الفتوحات المكية

لمحيي الحق والدين

أبي عبد الله محمد المعروف بابن عربي

الجزء السادس

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

الفتوحات المكية

للشيخ

محيي الدين بن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨هـ

قدم له

الدكتور محمود مطرجي

إشراف

مكتب البحوث والدراسات

الجزء السادس

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

Marfat.com

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيًا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت
لبنان

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأحد والستون وثلاثمائة

في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير
وهو من الحضرة المحمدية

لو كان في الكون غير الله ما وجدوا ... ما كان من فاعل فيه ومنفعل
لكنه واحد في الكون منفرد ... بالاختراع وبالتبديل للدّول
وليس يرجع تكوين إلى عدم ... ولا استقامته في العين عن ميل
فانظر إلى دول في طيها ملل ... وانظر إلى ملل تبين عن نحل
وارقى بها فلكاً من فوقه فلك ... من الهلال على قصد إلى زحل
أتى بها ملك من سدرة بلغت ... نهاية الأمر في ستر من الكلل
ولا تناد بما نادت به فرق ... يا مبدأ الأمر بل يا علة العلل
لأنه لقب أعطت معالمه ... فقراً يقوم به كسائر العلل

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله عز وجل يقول لإبليس: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ على جهة التشريف والاختصاص لآدم عليه السلام استكبرت في نظرك وكذلك كان فإن الله أخبر عنه أنه استكبر، وقال لنا عز وجل في كتابه العزيز أن إبليس قال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ وقال لما قيل له اسجد: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ فهذا معنى قولنا في نظرك ﴿أم كنت من العالين﴾ في نفس الأمر أي أنك في نفس الأمر خير منه، فهنا ظهر جهل إبليس، وقد يريد بالعالين الملائكة المهيمة في جلال الله الذين لم يدخلوا تحت الأمر بالسجود وهم أرواح ما هم ملائكة، فإن الملائكة هي الرسل من هذه الأرواح كجبريل عليه السلام وأمثاله، فإن الألوكة هي الرسالة في لسان العرب، فالملائكة هم الرسل من هذه الأرواح خاصة، فما بقي ملك إلا سجد لأنهم الذين قال الله لهم: ﴿اسجدوا لآدم﴾ ولم تدخل الأرواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فإنّ الله

Marfat.com

ما ذكر أنه خاطب إلا الملائكة ولهذا قال: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ ونصب إبليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل، وهذه الأرواح المهيمة في جلال الله لا تعلم أن الله خلق آدم ولا شيئاً لشغلهم بالله يقول الله لإبليس: ﴿أم كنت من العالمين﴾ أي من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود، والسجود التطاطي في اللسان لأن آدم خلق من تراب وهو أسفل الأركان لا أسفل منه، ومن هنا يعرف شرف نقطة الدائرة على محيطها فإن النقطة أصل وجود المحيط، فالعالون ما أمروا بالسجود لأنهم ما جرى لهم ذكر في تعريف الله إيانا، ولولا ما ذكر الله إبليس بالإباية ما عرفنا أنه أمر بالسجود، فما أضاف آدم إلى يديه إلا على جهة التشريف على غيره والتنويه لتعلم منزلته عند الله.

ثم زاد في تشريفه بخلقه باليدين قوله معرّفاً الأناسي الحيوانيين بكمال الأناسي المكملين: ﴿أو لم يروا﴾ الضمير في يروا يعود على الأناسي الحيوانيين ﴿أنا خلقنا لهم﴾ أي من أجلهم فالضمير في لهم يعود على الناس الكمل المقصودين من العالم بالخطاب الإلهي ﴿مما عملت أيدينا﴾ فأضاف عمل الخلق إلى الأيدي الإلهية وعم الأسماء الإلهية بالنون من أيدينا وذلك لتمام التشريف الذي شرّف به آدم عليه السلام في إضافة خلقه إلى يديه ﴿أنعاماً﴾ وهي من إنعامه عليهم ﴿فهم لهم مالكون﴾ فملكوها بتمليك الله، بخلاف الإنسان الحيواني فإنه يملكها عند نفسه بنفسه غافلاً عن إنعام الله عليه بذلك، فيتصرّف في المخلوقات الإنسان الحيوان بحكم التبعية، ويتصرّف الإنسان الكامل فيها بحكم التمليك الإلهيّ، فتصرّفه فيها بيد الله وبمال الله الذي آتاه كما قال تعالى آمراً في حق المماليك: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ فكل مخلوق في العالم فمضاف خلقه إلى يد إلهية لأنه قال: ﴿مما عملت أيدينا﴾ فجمع، فكل يد خالقة في العالم فهي يده يد ملك وتصريف فالخلق كله لله ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وقد ورد أن شجرة طوبى غرسها الله بيده وخلق جنة عدن بيده فوحد اليد وثناها وجمعها وما ثناها إلا في خلق آدم عليه السلام وهو الإنسان الكامل، ولا شك أن التثنية برزخ بين الجمع والإفراد، بل هي أول الجمع، والتثنية تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال لأن المفرد لا يصل إلى الجمع إلا بها، والجمع لا ينظر إلى المفرد إلا بها، فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة فهو قلب لجسم العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله، وهو البيت المعمور بالحق لما وسعه، يقول تعالى في الحديث المروي: «ما وسعني أرض ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فكانت مرتبة الإنسان الكامل من حيث هو قلب بين الله والعالم، وسماه بالقلب لتقليبه في كل صورة ﴿كل يوم هو

Marfat.com

في شأن﴾ وتصريفه واتساعه في التقليب والتصريف، ولذلك كانت له هذه السعة الإلهية لأنه وصف نفسه تعالى بأنه كل يوم في شأن، واليوم هنا الزمن الفرد في كل شيء فهو في شؤون، وليست التصريفات والتقليبات كلها في العالم سوى هذه الشؤون التي الحق فيها، ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطى ﴿كن﴾ سوى الإنسان خاصة، فظهر ذلك في وقت في النبيّ ﷺ في غزوة تبوك فقال: كن أبا ذر فكان أبا ذر.

وورد الخبر في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله فإذا في الكتاب لكل إنسان يخاطب به من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت: أما بعد فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون، فقال ﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون فجاء بشيء وهو من أنكر النكرات فعم، وغاية الطبيعة تكوين الأجسام وما تحمله مما لا تخلو عنه وتطلبه بالطبع، ولا شك أن الأجسام بعض العالم فليس لها العموم، وغاية النفس تكوين الأرواح الجزئية في النشاءات الطبيعية، والأرواح جزء من العالم فلم يعم، فما أعطى العموم إلا الإنسان الكامل حامل السرّ الإلهيّ، فكل ما سوى الله جزء من كل الإنسان فاعقل إن كنت تعقل وانظر في كل ما سوى الله وما وصفه الحق به وهو قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ووصف الكل بالسجود وما جعل لواحد منهم أمراً في العالم ولا نهياً ولا خلافة ولا تكويناً عاماً وجعل ذلك للإنسان الكامل، فمن أراد أن يعرف كماله فلينظر في نفسه في أمره ونهيه وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره، فإن صح له المعنى في ذلك فهو على بينة من ربه في كماله فإنه عنده شاهد منه أي من نفسه وهو ما ذكرناه، فإن أمر أو نهى أو شرع في التكوين بوساطة جارحة من جوارحه فلم يقع شيء من ذلك أو وقع في شيء دون شيء ولم يعم مع عموم ذلك بترك الواسطة فقد كمل، ولا يقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن أمره بالواسطة، فإن الصورة الإلهية بهذا ظهرت في الوجود، فإنه أمر تعالى عباده على ألسنة رسله عليهم السلام وفي كتبه فمنهم من أطاع ومنهم من عصى، وبارتفاع الوسائط لا سبيل إلا الطاعة خاصة لا يصح ولا تمكن إباية، قال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة وقدرته نافذة**» ولهذا إذا اجتمع الإنسان في نفسه حتى صار شيئاً واحداً نفذت همته فيما يريد، وهذا ذوق أجمع عليه أهل الله قاطبة فإن يد الله مع الجماعة فإنه بالمجموع ظهر العالم والأعيان ليست إلا هو، انظر في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ثم قال: ﴿ولا أدنى من

Marfat.com

ذلك﴾ وهو ما دون الثلاثة ﴿ولا أكثر﴾ وهو ما فوق الثلاثة إلى ما لا يتناهى من العدد ﴿إلا هو معهم أينما كانوا﴾ وجوداً أو عدماً حيثما فرضوا فهو سبحانه ثان للواحد، فإن المعية لا تصح للواحد من نفسه لأنها تقتضي الصحبة وأقلها اثنان وهو ثالث للاثنين ورابع للثلاثة وخامس للأربعة بالغاً ما بلغ، وإذا أضيفت المعية للخلق دون الحق فمعية الثاني ثاني اثنين، ومعية الثالث للاثنين ثالث ثلاثة، ومعية الرابع للثلاثة رابع أربعة بالغاً ما بلغ لأنه عين ما هو معه في المخلوقية فهو من جنسه والحق ليس كذلك فليس كمثله شيء فليس بثالث ثلاثة ولا خامس خمسة فافهم، فقد تبين الحق من الخلق من وجه وقد ظهر بصورته أيضاً من وجه.

واعلم أن الطبيعة ظل النفس الكلية الموصوفة بالقوّتين المعبر عنها بلسان الشرع باللوح المحفوظ فما لم يمتد من ظل النفس وبقي فيها فهو الذي نزلت به عن العقل في درجة النورية والإضاءة وما امتد من ظل النفس سمي طبيعة، وكان امتداد هذا الظل على ذات الهيولى الكل، فظهر من جوهر الهيولى والطبيعة الجسم الكل مظلماً ولهذا شبهوه بالسبجة السوداء لهذه الظلمة الطبيعية، وسموا النفس الزمرّدة الخضراء لما نزلت به عن العقل في النور وفي الجسم الكل ظهرت صور عالم الأجسام وأشكاله فكان ذلك للجسم الكل كالأعضاء، فلما استعد الجسم بما استعد به توجهت عليه النفس وأنارته فانتشرت الحياة في جميع أعضائه كلها، فتلك أرواح عالم الأجسام العلوي والسفلي من فلك وعنصر، ثم استحال بعضه إلى بعضه لتأثير حكم الحركة الزمانية التي عينها الاسم الدهر في الأفلاك، فظهرت للعين صور المولدات الفلكية كالكواكب والجنات ومرتبتها وما فيها والعنصرية من معدن ونبات وحيوان وصور غريبة وأشكال عجيبة في عين وجودية، فما خرج شيء من العدم إلا الصور والأعراض من تركيب وتحليل والجوهر ثابت العين قابل لهذه الصور كلها دنيا وآخرة، وإذا علمت هذا وتقرر فاعلم أن قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ أن المعنى المراد من ذلك التقدير والإيجاد، فالتدبير للتقدير والتفصيل للإيجاد من فصلت الشيء عن الشيء إذا قطعته منه وفصلت بينه وبينه حتى تميز، فإن كان الفصل عن تقدير فهو على صورته وشكله، وإن كان عن غير تقدير فقد لا يكون على صورته، وإن أشبهه في أمر مّا فإنه يفارقه في أمر آخر كالبياض والسواد يشتركان في اللونية وإن كانا ضدّين، وكاللون والحركة يشتركان في العرضية وإن كانا مختلفين قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـــض الناس يخلق ثم لا يفري

Marfat.com

وكالإسكاف وأمثاله من صائغ وخياط وحداد وأمثال ذلك يريد أن يقطع من جلد نعلاً فيأخذ نعلاً فيقدره على الجلد فإذا أخذ قدرة من الجلد قطع من الجلد ذلك المقدار وفصله منه، والظلالات أوجدها الله على مثال الأشخاص ولما أراد فصلها مدها فظهرت أعيانها على صورة من هي ظله حذوك النعل بالنعل، فلما خلق الله العالم دون الإنسان أي دون مجموعه حذا صورته على صورة العالم كله فما في العالم جزء إلا وهو على صورة الإنسان، وأريد بالعالم كل ما سوى الله، ففصله عن العالم بعدما دبره وهو عين الأمر المدبر، ثم أنه تعالى حذاه حذواً معنوياً على حضرة الأسماء الإلهية فظهرت فيه ظهور الصور في المرآة للرائي ثم فصله عن حضرة الأسماء الإلهية بعدما حصلت فيه قواها فظهر بها في روحه وباطنه فظاهر الإنسان خلق وباطنه حق، وهذا هو الإنسان الكامل المطلوب وما عدا هذا فهو الإنسان الحيواني، ورتبة الإنسان الحيواني من الإنسان الكامل رتبة خلق النسناس من الإنسان الحيواني، هذا جملة الأمر في خلق الإنسان الكامل من غير تفصيل.

وأما تفصيل خلقه فاعلم أن الله لما خلق الأركان الأربعة دون الفلك وأدارها على شكل الفلك والكل أشكال في الجسم الكل فأوّل حركة فلكية ظهر أثرها فيما يليها من الأركان وهو النار فأثر فيه اشتعالاً بما في الهواء من الرطوبة فكان ذلك الاشتعال واللهب من النار والهواء وهو المارج أي المختلط ومنه سمى المرج مرجاً لأنه يحوي على أخلاط من الأزهار والنبات، ومنه وقع الناس في هرج أي قتل ومرج أي اختلاط، ففتح الله في تلك الشعلة الجان، ثم أفاضت الكواكب النيرة بأمر الله وإذنه فإنه أوحى في كل سماء أمرها فطرحت شعاعها على الأركان والأركان مطارح الشعاعات، فظهرت الأركان بالأنوار وأشرقت وأضاءت فأثرت وولدت فيها المعدن والنبات والحيوان وهي على الحقيقة التي أثرت في نفسها لأن الأفلاك أعني السموات إنما أوجدها الله عن الأركان ثم أثرت في الأركان بحركاتها وطرح شعاعات كواكبها ليتولد ما تولد فيها من المولدات فبضاعتها ردّت إليها فما أثر فيها سواها، وجعل ذلك من أشراط الساعة فإنه من أشراطها أن تلد المرأة بعلها فولدت الأركان الفلك، ثم نكحها الفلك فولد فيها ما ولد فهو ابنها زوجها، ولم يظهر في الأركان صورة للإنسان الذي هو المطلوب من وجود العالم فأخذ التراب اللزج وخلطه بالماء فصيره طيناً بيديه تعالى كما يليق بجلاله إذ ﴿ليس كمثله شيء﴾ وتركه مدة يختمر بما يمرّ عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتخمر وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنوناً متغير الريح.

Marfat.com

ومن أراد أن يرى صدق ذلك إن كان في إيمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكاً قوياً حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فيجد فيه رائحة الحمأة وهي أصله التي خلق الجسم منها قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال ومن حماء مسنون﴾ فلما طهرت فخارة الإنسان بطبخ ركن النار إياها والتأمت أجزاؤه وقويت وصلبت قصرها بالماء الذي هو عنصر الحياة فأعطاها الماء من رطوبته وألان بذلك من صلابة الفخار ما ألان فسرت فيه الحياة وأمده الركن الهوائي بما فيه من الرطوبة والحرارة ليقابل بحرارته برد الماء فامتنعا فتوفرت الرطوبة عليه فأحال جوهرة طينته إلى لحم ودم وعضلات وعروق وأعصاب وعظام، وهذه كلها أمزجة مختلفة لاختلاف آثار طبيعة العناصر واستعدادات أجزاء هذه النشأة فلذلك اختلفت أعيان هذه النشأة الحيوانية فاختلفت أسماؤها لتتميز كل عين من غيرها، وجعل غذاء هذه النشأة مما خلقت منه، والغذاء سبب في وجود النبات وبه ينمو فعبر عن نموه وظهور الزيادة فيه بقوله ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ ومعناه فنبتم نباتاً فإن مصدر أنبت إنما هو إنبات فأضاف النبات إلى الشيء الذي ينمو يقول: جعل غذاءكم منها أي مما تنبته فتنبتون به أي تنمي أجسامكم وتزيد، فلما أكمل النشأة الجسمية النباتية الحيوانية وظهر فيها جميع قوى الحيوان أعطاه الفكر من قوّة النفس العملية وأعطاه ذلك من قوّة النفس العلمية من الاسم الإلهيّ المدبر، فإن الحيوان جميع ما يعمله من الصنائع وما يعلمه ليس عن تدبير ولا روية بل هو مفطور على العلم بما يصدر عنه لا يعرف من أين حصل له ذلك الإتقان والإحكام كالعناكب والنحل والزنابير، بخلاف الإنسان فإنه يعلم أنه ما استنبط أمراً من الأمور إلا عن فكر وروية وتدبير فيعرف من أين صدر هذا الأمر، وسائر الحيوان يعلم الأمر ولا يعلم من أين صدر، وبهذا القدر سمي إنساناً لا غير، وهي حالة يشترك فيها جميع الناس إلا الإنسان الكامل فإنه زاد على الإنسان الحيواني في الدنيا بتصريفه الأسماء الإلهية التي أخذ قواها لما حذاه الحق عليها حين حذاه على العالم، فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير الذي هو ظل الله في خلقه من خلقه، فعن ذلك هو خليفة ولذلك هم خلفاء عن مستخلف واحد فهم ظلاله للأنوار الإلهية التي تقابل الإنسان الأصلي.

وتلك أنوار التجلي تختلف عليه من كل جانب فيظهر له ظلالات متعدّدة على قدر أعداد التجلي، فلكل تجل فيه نور يعطي ظلاً من صورة الإنسان في الوجود العنصري فيكون

Marfat.com

ذلك الظل خليفة فيوجد عنه الخلفاء خاصة، وأما الإنسان الحيواني فليس ذلك أصله جملة واحدة وإنما حكمه حكم سائر الحيواني إلا أنه يتميز عن غيره من الحيوان بالفصل المقوّم له، كما يتميز الحيواني بعضه عن بعض بالفصول المقوّمة لكل واحد من الحيوان، فإن الفرس ما هو الحمار من حيث فصله المقوّم له ولا البغل ولا الطائر ولا السبع ولا الدودة، فالإنسان الحيواني من جملة الحشرات فإذا كمل فهو الخليفة فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان، ثم إن الله أعطاه حكم الخلافة واسم الخليفة وهما لفظان مؤنثان لظهور التكوين عنهما، فإن الأنثى محل التكوين فهو في الاسم تنبيه ولم يقل فيه نائب وإن كان المعنى عينه ولكن قال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وما قال إنساناً ولا داعياً وإنما ذكره وسماه بما أوجده له.

وإنما فرقنا بين الإنسان الحيواني والإنسان الكامل الخليفة لقوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك﴾ فهذا كمال النشأة الإنسانية العنصرية الطبيعية، ثم قال له بعد ذلك: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ إن شاء في صورة الكمال فيجعلك خليفة عنه في العالم، أو في صورة الحيوان فتكون من جملة الحيوان بفصلك المقوّم لذاتك الذي لا يكون إلا لمن ينطلق عليه اسم الإنسان، ولم يذكر في غير نشأة الإنسان قط تسوية ولا تعديلاً وإن كان قد جاء ﴿الذي خلق فسوّى﴾ فقد يعني به خلق الإنسان لأن التسوية والتعديل لا يكونان معاً إلا للإنسان لأنه سوّاه على صورة العالم وعدّله عليه ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر، ثم قال له بعد التسوية والتعديل: ﴿كن﴾ وهو نفس إلهيّ فظهر الإنسان الكامل عن التسوية والتعديل ونفخ الروح وقول: ﴿كن﴾ وهو قوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن﴾ فشبه الكامل وهو عيسى عليه السلام بالكامل وهو آدم عليه السلام خليفة بخليفة، وغير الخلفاء إنما سوّاه ونفخ فيه من روحه وما قال فيه أنه قال له كن إلا في الآية الجامعة في قوله: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن﴾ فاجعل بالك لما نبهتك عليه فنقص عن مرتبة الكمال التي أعطاها الله للخلفاء من الناس.

ولما قسم الله الفلك الأطلس الذي هو فلك البروج وهو قوله: ﴿والسماء ذات البروج﴾ على اثني عشر قسماً وأوحى الله تعالى في سماء البروج أمرها فلكل برج فيها أمر يتميز به عن غيره من البروج، وجعل الله لهذه البروج أثراً من أمر الله الموحى به فيها فيما

Marfat.com

دون هذه السماء من عالم التركيب والإنسان من حيث جسمه وطبيعته من عالم التركيب وهو زبدة مخض الطبيعة التي ظهرت بتحريك الأفلاك، فهو المخضة التي ليس في اللبن ألطف منها بل هي روح اللبن إذا خرج منه بقي العالم مثل النخالة فهو فيه لا فيه فإنه متميز عنه بالقوّة وهو منه، فإن الإنسان ما خرج من العالم وإن كان زبد مخضة العالم إذ لو انفصل عنه ما بقي العالم يساوي شيئاً مثل اللبن إذا خرج عنه الزبد استحال وقل ثمنه وزال خيره الذي كان المطلوب منه، ومن أجل تلك الزبدة كان يستعمل اللبن ويعظم قدره، فلما قضى الله أن يكون لهذه البروج أثر في العالم الذي تحت حيطة سماء هذه البروج جعل الله في نشأة هذا الإنسان اثني عشر قابلاً يقبل بها هذه الآثار فيظهر الإنسان الكامل بها، وليس ذلك للإنسان الحيوان وإن كان أتم في قبول هذه الآثار من سائر الحيوان ولكنه ناقص بالنظر إلى قبول الإنسان الكامل، فمن الاثني عشر لصوقها بالعالم حين حذيت عليه ولصوقها بحضرة الأسماء الإلهية وبه صح الكمال لهذه النفس، وهذه المجاورة على ثلاث مراتب منها مرتبة الاختصاص وهي في الإنسان الحيوان بما هو محصل لحقائق العالم وهي في الكامل كذلك، وبما اختص به من الأسماء الإلهية حين انطلقت عليه بحكم المطابقة للحذو الإلهي الاعتنائي ولكونه ظلاً، ولا شيء ألصق من الظل بمن هو عنه.

والمرتبة الثانية من المجاورة مرتبة الشيئية الرابطة بين الأمرين وهي الأدوات التي بها يظهر عن الإنسان ما يتكوّن عنه، فيشترك الإنسان الحيوان مع الكامل في الأدوات الصناعية التي بها يتوصل إلى مصنوع ما مما يفعل بالأيدي ويزيد الكامل عليه بالفعل بالهمة، فأدواته همته وهي له بمنزلة الإرادة الإلهية إذا توجهت على إيجاد شيء، فمن المحال أن لا يكون ذلك الشيء المراد.

والمرتبة الثالثة الاتصال بالحق فيفنى عن نفسه بهذا الاتصال فيظهر الحق حتى يكون سمعه وبصره، وهذا المسمى علم الذوق فإنه لا يكون الحق شيئاً من هذه الأدوات حتى تحترق بوجوده فيكون هو لا هي وقد ذقنا ذلك ووجدت الحرق حساً في ذكري لله بالله فكان هو ولم أكن أنا، فأحسست بالحرق في لساني وتألمت لذلك الحرق تألماً حسياً حيوانياً لحرق حسي قام بالعضو فكنت ذاكراً الله بالله في تلك الحالة ست ساعات أو نحوها ثم أنبت الله لي لساني فذكرته بالحضور معه لا به، وهكذا جميع القوى لا يكون الحق شيئاً منها حتى يحرق تلك القوّة وجوده فيكون هو أيّ قوّة كانت وهو قوله: «كنت سمعه وبصره ولسانه

Marfat.com

ويده» ومن لم يشاهد الحرق في قواه ويحسه وإلا فلا ذوق له وإنما ذلك توهم منه، وهذا معنى قوله في الحجب الإلهية: لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، فأيّ قوّة أراد الحق إحراقها من عبده حتى يحصل له العلم بالأمر من طريق الذوق برفع الحجاب الذي بين الإنسان من حيث تلك القوّة وبين الحق فتحترق بنور الوجه فيسد بنفسه خلل تلك القوّة، فإن كان سمعه كان الحق سمعه في هذه الحالة، وإن كان بصره فكذلك، وإن كان لسانه فكذلك، ولنا في هذا المعنى:

ألا إن ذكـــر الله بـــالله يحـــرق وحكمـي بهـذا فيـه حكـم محقـق

فـإنـي ورب الـواردات طعمتـه فحكمـي عليـه أنـه الحـق يصـدق

ولذلك قال الحق في الحديث الصحيح: «كنت سمعه وبصره» فجعل كينونته سمع عبد منعوت بوصف خاص، وهذا أعظم اتصال يكون من الله بالعبد حيث يزيل قوّة من قواه ويقوم بكينونته في العبد مقام ما أزال على ما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تكييف ولا حصر ولا إحاطة ولا حلول ولا بدلية والأمر على ما قلناه ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية﴾ يعني الجماعة التي كنا فيها، يعني أهل الله المنعوتين بهذه الطريقة من عباد الله الذين قاموا بنوافل الخيرات وداوموا عليها وأقبلوا إلى الله بها، والله يؤيدنا بالعصمة في الاعتقاد والقول والعمل إنه ولي الرحمة.

الأثر الثاني من الاثني عشر: أن المثلين اللغويين لا يلزم من وصف كل واحد منهما بالمثلية لصاحبه المماثل له الاشتراك في صفات النفس، لأن المثلية لغوية وعقلية، فالعقلية هي التي يشترك بها في صفات النفس واللغوية بأدنى شبه بأمر ما يكون مثلاً له في ذلك الأمر، فيكون للمثل حكم مثله من حيث ما هو مثله فيه وقابل له، وماثم بين العبد الإنساني الكامل والحق في ﴿ليس كمثله شيء﴾ إلا قبوله لجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا وبها صحت خلافته وفضل على الملائكة، فالخليفة إن لم يظهر فيمن هو خليفة عليه بأحكام من استخلفه وصورته في التصرّف فيه وإلا فما هو خليفة له، كما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه في ماله وجميع أحواله لما اتخذه وكيلاً فهو فيما استخلفه الحق فيه من التصرّف في المستخلف عليه لا يتصرّف إلا بنظر وكيله فهو المستخلف بالمستخلف، فاستخلاف العبد ربه لما اتخذه وكيلاً خلافة مطلقة ووكالة مفوّضة دورية، واستخلاف الرب عبده خلافة

Marfat.com

مقيدة بحسب ما تعطيه ذاته ونشأته، يقول النبيّ ﷺ لربه عز وجل لما سافر: «**أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**» فسماه خليفة، والله تعالى قد أقسم بكل معلوم من موجود ومعدوم فقال: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ فأقسم بنفسه وبجميع المعلومات، فهل لنا أن نقسم بما أقسم الله تعالى به أو محجور علينا ذلك فلا نكون إذاً خلفاء فيما هو محجور علينا، والمقسم به قد يقسم بالأمر مضافاً أو مفرداً، فالمفرد: والله لأفعلن كذا، والمضاف مثل قول عائشة رضي الله عنها في قسمها: ورب محمد، فدخل المضاف في المضاف إليه في الذكر بالقسم، فعلى هذا الحدّ يقسم الإنسان الكامل بكل معلوم سواء ذكر الاسم أو لم يذكره، وهو بعض تأويلات وجوه قسم الله بالأشياء في مثل قوله تعالى: ﴿والشمس﴾ ﴿والضحى﴾ ﴿والليل﴾ ﴿والتين﴾ يريد: ورب الشمس، ورب الضحى، ورب التين، فما أقسم إلا بنفسه فلا قسم إلا بالله، وما عدا ذلك من الأقسام فهو ساقط ما ينعقد به يمين في المقسوم عليه ولهذا قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ واللغو الساقط، فمعناه لا يؤاخذكم الله بالأيمان التي أسقط الكفارة فيها إذا حنثتم ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ فلما سقط العقد بالقلب عند اليمين سقطت الكفارة إذا وقع الحنث، ولا خلاف بين العلماء أن الكفارة في الأيمان المذكورة في القرآن أنها في اليمين بالله لا بغيره، وجاء بالأيمان معرّفة بالإضافة والألف واللام، وقد صح عن النبيّ ﷺ النهي عن اليمين بغير الله، فالخليفة ينبغي له أن يكون مع إرادة من استخلفه فيما استخلفه فيه فإن الله يقول: ﴿والله غالب على أمره﴾ والصورة قد تكون في اللسان الأمر والشأن فقوله: «إن الله خلق آدم على صورته» أي على أمره وشأنه ﴿فالله غالب على أمره﴾ أي على من أظهره بصورته أي بأمره فإن له حكم العزل فيه مع بقاء نشأته، فيدلك ذلك على أنه ما أراد بالصورة النشأة وإنما أراد الأمر والحكم، فالعالم لا يعدل عن سنن العلم، ومراد الله في الأشياء وهذا الأمر وحده على الاختصاص من آثار الجوزاء خاصة وهي برج هوائي، فطابق الأمر قول النبيّ ﷺ: إن الرب كان في عماء بالمدّ والهمزة وهو السحاب الرقيق ما فوقه هواء وما تحته هواء، فنفى عن هذا العماء إحاطة الهواء به وما تعرّض لنفي الهواء فالأمر لله، فليست نسبة العماء إليه بأولى من نسبة الهواء، فنفي الإحاطة الهوائية بهذا العماء لا بد فيه من نفي المجموع لا الجميع، وقد بينا في النفس الرحماني حديث العماء والجوزاء بين الماء والتراب لأنها بين الثور والسرطان كآدم بين الماء والطين، ولهذا كان حكم الهواء أعم من سائر الأركان لأنه يتخلل كل شيء وله في كل شيء سلطان، فيزلزل الأرض ويموّج الماء

Marfat.com

ويجريه ويوقد النار وبه حياة كل نفس متنفس، وله الإنتاج في الأشجار وهو الرياح اللواقح، فهذا الأثر الثاني من الأقسام الاثني عشر.

وأما الأثر الثالث: وهو ما يظهر في العالم مما يمكن أن يستغني عنه وإنما ظهر مع الاستغناء عنه لتظهر مرتبة قوّة الاثنين لئلا يقال ما في الوجود إلا الله مع ظهور الممكنات والمخلوقين، فيعلم أن الله غني عن العالمين مع وجود العالمين والاستغناء عنه معقول، فجاء في العالم هذا الأمر الذي يمكن أن يستغني عنه مع وجوده لبيان غنى الحق عن العالم، فما جعله الله في العالم عبثاً فأعطى وجوده مع الاستغناء عنه هذا العلم وهو علم نافع، وله نظم خاص يشبه نظم ما لا يستغنى عنه مثل وجود الولد عن النكاح وهو مستغنى عنه دليله نكاحَ أهل الجنة في الجنة ونكاح العقيم.

وأما الأثر الرابع: فكقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله» فأتى به مرتين ولم يكتف بواحدة وأثبت بذلك أنه ذكر على الانفراد ولم ينعته بشيء وسكن الهاء من الاسم وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وهو تكرار هذا الاسم، وقوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ولم يذكر إلا الاسم الله خاصة وهو مأمور من الله أن يبين للناس ما نزل إليهم، فلولا أن قول الإنسان الله الله له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر لم يقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه وهو الدنيا، وهذا الاسم كان ذكرنا وذكر شيخنا الذي دخلنا عليه وما في فوائد الأذكار أعظم من فائدته، فلما قال الحق: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ولم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية فاتخذه أهل الله ذكراً وحده فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأذكار، فإن بعض العلماء بالرسوم لم ير هذا الذكر لارتفاع الفائدة عنده فيه إذ كل مبتدأ لا بد له من خبر فيقال له لا يلزم ذلك في اللفظ بل لا بد له من فائدة، وقد ظهرت في الذاكر به حين ذكره بهذه الكلمة خاصة فنتج له في باطنه من نور الكشف ما لا ينتجه غيره بل له خبر ظاهر لا في اللفظ كإضافة إلى تنزيه أو ثناء بفعل، ومعلوم أنه إذا ذكر أمر ماثم ذكر أمر ما وكرّر على طريق التأكيد له أنه يعطي من الفائدة ما لا يعطيه من ليس له هذا الحكم ولا قصد به فهو أسرع وأنجح في طلب الأمور فلا عبث في العالم جملة واحدة.

وأما الأثر الخامس: وهو يشبه الرابع كما أشبه قسم الحمل من البروج قسم الأسد

Marfat.com

والقوس وغيره وإن كان هذا ما هو عين هذا، وينفرد كل واحد منهما بأمر لا يكون لغيره من مماثله مع كونه على مثله، فلهذا وقع الشبه في الآثار كما وقع في الأصل وهو كل ما وقع في العالم ويعطي معنى صحيحاً غير ظهوره، ولو سقط من العالم لم يختل ذلك الأمر الذي أعطى فيه هذا المعنى، ولكنه لا بد أن ينقص عن الأمر الذي يعطيه وجوده، وهذه تسمى عوارض الأعطيات التي لا يخل سقوطها وعدم وقوعها بحقيقة ما عدمت منه وإن كان لها معنى كوجود لذة الجماع من غير جماع، فحصلت الفائدة التي كان لها الجماع، ولكن لحصولها بالجماع معنى لا يحصل إلا بالجماع لأن المقصود بالنكاح الالتذاذ ووجود اللذة وقد وجدت فما أخل سقوط الجماع باللذة ولهذا زوجنا الله بالحور العين.

وأما الأثر السادس: فهو ما يتعلق بصاحب الهمة إذا أراد أن يتكوّن عنه ما لا يقع بالعادة إلا بآلة فيفعله بهمته لا بآلة وفي وقت بآلة، فإن الله قادر أن يكون آدم ابتداء من غير تخمير ولا توجه يدين ولا تسوية ولا تعديل لنفخ روح بل يقوله له ﴿كن فيكون﴾ ومع هذا فخمر طينته بيديه وسوّاه وعدله ثم نفخ فيه الروح وعلمه الأسماء وأوجد الأشياء على ترتيب، كما أنه لو شاء جعلنا نكتفي بالعلم به عن أسمائه ولكن تسمى بكذا في كل لسان وضعه في العالم فيسمى بالله في العرب، وبخداي في الفرس، وبواق في الحبش، وفي كل لسان له أسماء مع العلم بوجوده، وأظهر فائدة ذلك مع الاستغناء عما ظهر والاكتفاء ومن هذا الباب ما يظهر عنا من الأفعال مع أنه يجوز أن يفعلها الله لا بأيدينا، ولكن ما وصل إلى هذا الفعل في الشاهد إلا بأيدينا، فأراد تحريك الجسم من مكان إلى مكان، فجعل فينا إرادة طلب الانتقال فقمنا بحركة اختيارية نعقلها من نفوسنا وانتقلنا والانتقال خلق الله بالأصل ولكنه وجد عن إرادة حادثة اختيارية بخلاف حركة المرتعش فإنها اضطرارية، فالإنسان المختار مجبور في اختياره عند السليم العقل، ثم ما من حقيقة لا يظهر حكمها إلا بالمحل فلا تظهر إلا بالمحل فيفرق بين ما يجوز وبين ما لا يجوز، فالتحرك محال وجوده إلا في متحرّك، ومن هذا الباب نزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل مع كونه معنا أينما كنا، فهذا حكم نزول قد ظهر بفعل ما يمكن حصول ذلك المراد من غير هذا النزول، لكن إذا أضفته إلى قوله تعالى: ﴿إنه غنيّ عن العالمين﴾ كان نزولاً ولا بد عن مرتبة الغنى لأنه لا يقبل هذا النزول إلا لنسبة إلهية تقتضيها ذاته فلم تكن إلا بنزول فافهم، فإن الإضافات لها من الحكم الذاتي ما ليس لغير المضاف والحقائق لا تتبدل، والشأن إنما

Marfat.com

هو ظهور حكم في محكوم، فهو من وجه تطلبه ذاته ومن وجه لا تطلبه ذاته تعالى، كالخالق يطلب الخلق والعالم يطلب المعلوم.

وأما الأثر السابع: فوجود الظرفية في الكون هل هي أصل في الكون ثم حملناها على الحق حملاً شرعياً أو هي في الحق بحسب ما يليق بجلاله وظهرت في العالم بالفعل كقول رسول الله ﷺ للسوداء: «أين الله؟ فأشارت إلى السماء وكانت خرساء» قال تعالى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ وبنية فعيل ترد بمعنى الفاعل، وبمعنى المفعول كقتيل وجريح، فعليم بمعنى عالم وبمعنى معلوم وكلا الوجهين سائغ في هذه الآية إذا كانت الباء من قوله بكل بمعنى الفاء فهو في كل شيء معلوم وبكل شيء محيط أي له في كل شيء إحاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك إلا لله أو لمن أعلمه الله.

وأما الأثر الثامن فقوله تعالى: ﴿فاسئل به خبيرا﴾ أي إذا أردت أن تسأل عن حقيقة أمر فاسأل عنه من له فيه ذوق ومن لا ذوق له في الأشياء فلا تسأله فإنه لا يخبرك إلا باسم ما سألت عنه لا بحقيقته، فلا يسئل العبد عن الله فإنه لا ذوق له في الألوهة ولا خبرة له بها فما عنده منها إلا الأسماء خاصة، فاسأل الله عن الله واسئل العبد عن العبودة، فنسبة العبودة للعبد نسبة الألوهة لله، فإخبار الحق عن العبودة إخبار إله، وإخبار العبد عن الألوهة إخبار عبد، ولذلك ورد: «من عرف نفسه عرف ربه» فيعرف نفسه معرفة ذوق، فلا يجد في نفسه للألوهة مدخلاً فيعلم بالضرورة أن الله لو أشبهه أو كان مثلاً له لعرفه في نفسه وعلم بافتقاره أن ثم من يفتقر إليه ولا يمكن أن يشبهه فعرف ربه أنه ليس مثله وإن كان الله قد أقامه خليفة وأوجده على الصورة فيخاف ويرجى ويطاع ويعصى، فقد بينا معنى ذلك في هذه الآثار من هذا الباب.

وأما الأثر التاسع: وهو قوله في خلق السموات والأرض أنه ما خلقهما إلا بالحق أي ما خلقهما إلا له تعالى جده وتبارك اسمه لأنه قال: ﴿إن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فما خلق العالم إلا له تعالى ولذلك قال فيمن علم أنه جعل في نشأته عزة وهما الجن والإنس ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ليتذللوا إلي لما ظهر فيهما من العزة ودعوى الألوهة والإعجاب بنفوسهم، فمن لطف الله بهم أن ينبههم على ما أراد بهم في خلقه إياهم، فمن تنبه كان من الكثير الذي يسجد لله ومن لم يتنبه كان من الكثير الذي حق عليه العذاب. وأما قوله في هذه الآية: ﴿وما خلقت الجن والإنس﴾ قد يريد به الإنسان وحده

Marfat.com

من حيث ما له ظاهر وباطن، فمن حيث ما له ظاهر هو إنس من آنست الشيء إذا أبصرته قال تعالى في حق موسى إخباراً عنه: ﴿إني آنست ناراً﴾ أي أبصرت والجن باطن الإنسان فإنه مستور عنه فكأنه قال: وما خلقت ما ظهر من الإنسان وما بطن إلا ليعبدون ظاهراً وباطناً، فإن المنافق يعبده ظاهراً لا باطناً، والمؤمن يعبده ظاهراً وباطناً، والكافر المعطل لا يعبده لا في الظاهر ولا في الباطن، وبعض العصاة يعبده باطناً لا ظاهراً وما ثم قسم خامس، وما أخرجنا الجن الذين خلقهم الله من نار من هذه الآية وجعلناها في الإنسان وحده من جهة ما ظهر منه وما استتر إلا لقول الله لما ذكر السجود أنه ذكر جميع من يسجد له ممن في السموات ومن في الأرض وقال في الناس وكثير من الناس فما عمهم، ودخل الشياطين في قوله من في الأرض وذلك أن الشيطان وهو البعيد من الرحمة يقول للإنسان إذا أمره بالكفر فكفر ﴿إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ فأبان الله لنا عن معرفة الشيطان بربه وخوفه منه، فلذلك كان صرف الجن في هذه الآية إلى ما استتر من الإنسان أولى من إطلاقه على الجان والله أعلم.

وأمّا **الأثر العاشر**: فهو ما ظهر في العالم من إبانة الرسل المترجمين عن الله ما أنزل الله على عباده مع إنزال كتبه فما اكتفى بنزول الكتب الإلهية حتى جعل الرسل تبين ما فيها لما في العبارة من الإجمال وما تطلبه من التفصيل ولا تفصل العبارة إلا بالعبارة، فنابت الرسل مناب الحق في التفصيل فيما لم يفصله وأجمله وهو قوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ بعد تبليغه ما أنزل إلينا، وهذه حقيقة سارية في العالم ولولاها ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا من حال إلى حال، قال تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وهو ما أنزله خاصة، وأما ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل، ويقع البيان بعبارة خاصة ويعقل بأي شيء كان.

الأثر الحادي عشر والثاني عشر: فهما المرتبتان من المراتب الثلاثة التي ذكرناها في أوّل هذه الآثار وهما مرتبة الاتصال بالحق ومرتبة السبب الرابط بين الأمرين وقد تقدم. فلنذكر ما في هذا المنزل من العلوم إن شاء الله، فمن ذلك علم السبب الموجب لبقاء المؤمن في النعيم في دار النعيم، وفيه علم أسباب الفوز والنجاة من الجهل الذي هو شر الشرور، وفيه علم ما يستحقه الموطن من الأمور التي تكون بها السعادة للإنسان وقد تظهر في موطن آخر ولا تعطي سعادة، وفيه علم كل ما ثبت عينه هل يسقط حكمه أو لا يسقط إلا

Marfat.com

حكم بعض ما ثبت عينه أو لا يسقط له حكم على الإطلاق بل يسقط عنه حكم خاص لا كل حكم، فهل يشتغل بما سقط حكمه أو لا يشتغل به كلغو اليمين فإن الكفارة سقطت عنه في الحنث؟ وفيه علم ما يظهر من الزيادة إذا أضيف الفعل إلى المخلوق بوجه شرعي يوجب ذلك أو كرم خلق عقلي، وفيه علم الملا والخلا، وفيه علم فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي، وفيه علم التعدّي في حدود الأشياء وهل الحد داخل في المحدود فلا يكون تعدياً وإذا دخل كيف صورة دخوله؟ والفرق بين قوله: ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ وقوله: ﴿أتموا الصيام إلى الليل﴾ وهذا حد بكلمة معينة تقتضي في الواحد خروج الحد من المحدود، وفي الآخر دخول الحد في المحدود، وينبني هذا على معرفة الحد في نفسه ما هو فإن للحد حداً ولا يتسلسل.

وفيه علم العهود والأمانات وما هي الأمانات وما هي العهود والعقود التي أمرنا بها والعهد الإلهي هل له حكم عهد المخلوق أم لا؟ وفيه علم الفضل بين المال الموروث والمكتسب وبأي المالين تقع اللذة أكثر لصاحبه وهو علم ذوق ويختلف باختلاف المزاج فإنه ثم من جبل على الكسل فمال الميراث عنده ألذ لأنه لا تعمل له فيه، ومنهم أهل الفتوح ومن الناس من هو مجبول في نفسه على الرياسة فيلتذ بالمال المكتسب ما لا يلتذ بالمال الموروث لما فيه من التعمل لإظهار قدرته فيه بجهة كسبه، وفيه علم توقف المسببات على أسبابها هل هو توقف ذاتي أم اختياري من الله؟ وفيه علم الاستحالات من حال إلى حال فهل تتبع الأعيان تلك الأحوال فتستحيل من عين إلى عين أم العين واحدة والاستحالات تقع في الأحوال والمذاهب في ذلك مختلفة فأين الحق منها؟ وفيه علم حفظ الصانع لصنعته هل حفظه لصنعته أو لعين المصنوع؟ فإن الصنعة للصانع قد تكون مستفادة له كصنعة الخياطة وغير ذلك مما لا يحصل إلا بالتعلم، وقد تكون الصنعة بالفطرة لا بالتفكر كصنعة الحيوانات كالنحل والعناكب وكلها بالجعل، وقد تكون ذاتية كإضافة الصنعة إلى الله وما معنى قوله مع هذا: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾؟ فنسب التدبير إليه.

وفيه علم حكمة ما يثبت من الأمور في الكون وما لا يثبت وضرب مثل النبي ﷺ بذلك فيما جاء به بالمطر والبقاع فيمن نفعه الله بما جاء به ومن لم ينفعه، وفيه علم وجود الأعلى من الأدنى فأمّا في المعاني كوجود علمنا بالله عن وجود علمنا بأنفسنا، وفيه علم ما

Marfat.com

للنيابة في الأمر من الحكم للنائب، وفيه علم معرفة الشيء بما يكون منه لا به وفي هذا الباب تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب أو يتضمنه، وفيه علم التوحيد المطلوب من العالم ما هو، وفيه علم الفضائل حتى يقع الحسد فيها هل هي فضائل لأنفسها أو هي بحكم العرف والوضع؟ وفيه علم ما يبقى به كل شيء على التفصيل والاختلاف فما كل واق من شيء يكون واقياً من شيء آخر، وما الأمر الجامع لكل وقاية؟ وفيه علم فائدة وجود الأمثال مع الاكتفاء بالأوّل من الأمثال، وفيه علم الحجب الحائلة بين الناس وبين العلم بالأشياء، وفيه علم من اتخذ الجهل علماً هل يجد في نفسه القطع به أو تكون نفسه تزلزله في ذلك حتى إذا حقق النظر في نفسه وجد الفرق بين ما يوافق العلم من ذلك وبين ما لا يوافقه وليس ذلك إلا في الجهل خاصة، وأما في الظن والشك فليس حكمهما هذا الحكم فإن الظان يعلم بظنه والشاك يعلم بشكه وقد لا يعلم الجاهل بجهله فإنه من علِم بجهله فله علم يمكن أن يوصف به.

وفيه علم حكمة التأييد هل هو عناية أو إقامة حجة؟ أو في موضع عناية وفي موضع إقامة حجة بالنظر إلى حال شخصين، وفيه علم ما ينسب إلى العالم بالشيء مما لا يستحقه علمه به ومع ذلك ينسبه إلى نفسه كالترجي من العالم بوقوع ما يترجاه أو عدم وقوعه فما يتعلق الرجاء مع العلم، وفيه علم حكمة من يأتي الأحسن وهو لا يقطع بثمرته هل ذلك راجع إلى علمه بجهل من أحسن إليه بمرتبة الإحسان أو راجع إلى نفسه لكونه لا يعلم أنه وفى حق الإحسان فيه؟ وفيه علم حكمة استمرار العذاب والضرّ على المضرورين من أصحاب الآلام هل ذلك على جهة الرحمة بهم أم لا؟ وفيه علم من استعمل الأمر في غير ما وضع له أو لم يستعمله إلا فيما وضع له إذا كان له وجوه كثيرة متضادة فما خرج عن حكم ما هو له كالمرض له وجه إلى الصبر وله وجه إلى الضجر، وفيه علم تذكر الناسي هل ينفعه تذكره أم لا؟ وفيه علم الصادق يسمى كاذباً، وفيه علم الاستعاذة وما يستعاذ به ومنه وأين يحمد وفي أي موضع يذم؟ وفيه علم ما ينفع من الاعتراف مما لا ينفع فإن للمواطن حكماً في الاعتراف وللأحوال فيه حكماً أيضاً، فإن من الناس من يعترف بالخطأ مع بقائه عليه، ومن الناس من يزول عنه، وفيه علم شرف الخطاب ووجود الالتذاذ به، وفيه علم حكمة وجود الشك في العالم، وفيه علم نجاة المجتهد أخطأ أم أصاب مع توفيته ما آتاه الله من ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والستون وثلثمائة

في معرفة منزل سجود القلب والوجه والكل والجزء وهما منزل السجودين والسجدتين

مقام سهل سجود القلب ليس له ... في غير سهل من الأكوان أحكام
لا يرفع القلب رأساً بعد سجدته ... والوجه يرفع والتغيير إعلام
فإنه غير مشهود بقبلته ... وقبلة القلب أسماء وأعلام
تبدي حقيقته تأييد سجدته ... وما له في علوم الخلق أقدام

هذا المنزل يسمى منزل التمكين وإلى ما يؤول إليه أمر كل ما سوى الله، ويسمى أيضاً منزل العصمة. اعلم أن الله تعالى لما خلق العالم جعل له ظاهراً وباطناً وجعل منه غيباً وشهادة لنفس العالم، فما غاب من العالم عن العالم فهو الغيب، وما شاهده العالم من العالم فهو شهادة، وكله لله شهادة وظاهر، فجعل القلب من عالم الغيب وجعل الوجه من عالم الشهادة، وعين للوجه جهة يسجد لها سماها بيته وقبلته أي يستقبلها بوجهه إذا صلى، وجعل استقبالها عبادة، وجعل أفضل أفعال الصلاة السجود وأفضل أقوالها ذكر الله بالقرآن، وعين للقلب نفسه سبحانه فلا يقصد غيره وأمره أن يسجد له فإن سجد عن كشف لم يرفع رأسه أبداً من سجدته دنيا وآخرة، ومن سجد من غير كشف رفع رأسه ورفعه المعبر عنه بالغفلة عن الله ونسيان الله في الأشياء، فمن لم يرفع رأسه في سجود قلبه فهو الذي لا يزال يشهد الحق دائماً في كل شيء، فلا يرى شيئاً إلا ويرى الله قبل ذلك الشيء، وهذه حالة أبي بكر الصديق، ولا تظن في العالم أنه لم يكن ساجداً ثم سجد بل لم يزل ساجداً فإن السجود له ذاتي، وإنما بعض العالم كشف له عن سجوده فعلمه، وبعض العالم لم يكشف له عن سجوده فجهله، فتخيل أنه يرفع ويسجد ويتصرّف كيف يشاء.

واعلم أن السجود الظاهر لما كان نقلة من حال قيام أو ركوع أو قعود إلى تطأطي ووضع وجه على الأرض يسمى ذلك التطاطؤ سجوداً علمنا أنه طرأ على الساجد حالة لم يكن عليها في الظاهر المرئي لأبصارنا، فطلبنا من الله الوقوف على منقل هذا المنقول من

Marfat.com

حال إلى حال، فمن الناس من جعل ذلك وأمثاله نسباً وهو الذي أعطاه الكشف الإلهيّ في العلم بالأكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، فالحركة عبارة عن كون الجسم أو الجوهر قد شوهد في زمان في حيز أو في مكان ثم شوهد في الزمان الآخر في حيز آخر أو في مكان آخر فقيل: قد تحرك وانتقل، والسكون أن يشاهد الجوهر أو الجسم في حيز واحد زمانين فصاعداً، فسمى إقامته في حيزه سكوناً، والاجتماع عبارة عن جوهرين أو جسمين في حيزين متجاورين ليس بين الحيزين حيز ثالث، والافتراق عبارة عن جوهرين أو جسمين في حيزين غير متجاورين بينهما حيز ليس فيه أحدهما فليس الأمر سوى هذا، ووافق بعض أهل الكلام أهل الكشف في هذا، وبقي من المسألة من هو المحرك هل المتحرك أو أمر آخر؟ فمن الناس من قال المحرك هي الحركة قامت بالجسم فأوجبت له التحرك والانتقال، واختلفوا في الحركة التي أوجبت التحرك للجسم هل تعلقت بها مشيئة العبد فتسمى اختيارية أي حركة اختيار أو لم يتعلق بها مشيئة المتحرك فتسمى اضطرارية كحركة المرتعش؟ وهذا كله إذا ثبت أن ثم حركة كما زعم بعضهم.

ولم يختلفوا في أن هذه الأكوان أعراض سواء كانت نسباً أو معاني قائمة بالمحال الموصوفة بها، فإنا لا نشك أنه قد عرض لها حال لم تكن عليه، ومن المحال أن يكون واحد من تلك الأعراض ذاتياً لها وإنما الذاتي لها قبولها، واختلفوا فيمن أوجد تلك الحركة أو السكون إذا ثبت أن ذلك عين موجودة هل هو الله تعالى أو غير الله؟ فمن قائل بهذا الوجه، ومن قائل بهذا الوجه، وسواء في ذلك المرتعش وغير المرتعش؛ ومن قائل إن الأكوان لا وجود لها وإنما هي نسب فلمن تستند ونحن نقول في النسبة الاختيارية: إن الله خلق للعبد مشيئة شاء بها حكم هذا النسبة، وتلك المشيئة الحادثة عن مشيئة الله يقول الله عز وجل: ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ فأثبت سبحانه المشيئة له ولنا، وجعل مشيئتنا موقوفة على مشيئته، هذا في الحركة الاختيارية، وأما في الاضطرارية فالأمر عندنا واحد، فالسبب الأوّل: مشيئة الحق، والسبب الثاني: المشيئة التي وجدت عن مشيئة الحق، غير أن هنا لطيفة أعطاها الكشف وأشار بها من خلف حجاب الكون وهي قوله: ﴿ما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ فالله هو المشيء بالكشف، وإن وجد العبد في نفسه إرادة لذلك فالحق عين إرادته لا غيره، كما ثبت أنه إذا أحبه كان سمعه وبصره ويده وجميع قواه، فحكم المشيئة التي يجدها في نفسه ليست سوى الحق فإذا شاء الله كان ما شاءه فهو عين مشيئة كل مشيء كما يقول

Marfat.com

مثبت الحركة: إن زيداً تحرك أو أنه حرك يده، فإذا حققت قوله على مذهبه وجدت أن الذي حرك يده إنما هي الحركة القائمة بيده وإن كنت لا تراها فإنك تدرك أثرها، ومع هذا تقول: إن زيداً حرك يده، كذلك تقول: إن زيداً حرك يده والمحرك إنما هو الله تعالى.

واعلم أنه ليس في العالم سكون ألبتة، وإنما هو متقلب أبداً دائماً من حال إلى حال دنيا وآخرة ظاهراً وباطناً، إلا أن ثم حركة خفية وحركة مشهودة، فالأحوال تتردد وتذهب على الأعيان القابلة لها، والحركات تعطي في العالم آثاراً مختلفة، ولولاها لما تناهت المدد ولا وجد حكم للعدد، ولا جرت الأشياء إلى أجل مسمى، ولا كان انتقال من دار إلى دار، وأصل وجود هذه الأحوال النعوت الإلهية من نزول الحق إلى السماء الدنيا كل ليلة واستوائه على عرش محدث وكونه ولا عرش في عماء، وهذا الذي أوجب أن يكون الحق سمع العبد وبصره وعين مشيئته، فبه يسمع ويبصر ويتحرك ويشاء، فسبحان من خفي في ظهوره وظهر في خفائه ووصف نفسه بما يقال فيه أنه صمد لا إله إلا هو يصوّرنا في الأرحام كيف يشاء، ويقلب الليل والنهار، وهو معنا أينما كنا، وهو أقرب إلينا منا، فكثرناه بنا ووحدناه به، ثم طلب منا أن نوحده بلا إله إلا الله فوحدناه بأمره وكثرناه بنا:

ما كل وقت يريك الحق حكمته ... في كل وقت ولا يخليه عن حكم
فانظر إلى فرح في القلب من ترح ... من الطباق عن الألواح عن قلم
جاءت بها رسل الأرواح نازلة ... على سرائرنا من حضرة الكلم
فكل علم خفيّ عز مطلبه ... على العقول التي لم تحظ بالقدم
فقمت حباً وإجلالاً لمنزلها ... أمشي على الرأس سعياً لا على القدم

ولما لم تكن الأكوان سوى هذه الأربعة الأحوال فبقي الكلام في الساكن إذا سكن فبمن، وإذا تحرك فإلى من، وإذا اجتمع فبمن، وإذا افترق فعمن:

فما ثم إلا الله ما ثم غيره ... وما ثم إلا عينه وإرادته

فسكن في الله فهو حيزه إذ كان في علمه ولا عين له فهو هيولاه فتصوّر بصورة العبد فكان له حكم ما خلق وله ما سكن في الليل والنهار، ومن المحال أن يكون الأمر خلاف هذا فبه تلبس وعليه أسس بنيانه وثبت:

فإن شهدت سواه فهو صورته ... وإن تكثرت الآيات والصور

Marfat.com

ليست بغير سوى من كان منزلها   لكنها سور تعنو لها سور

فما في الكون حركة معقولة كما أنه ماثم سكون مشهود:

فانظر إلى الضد كيف يخفى   وليس شيء سواه يبدو

فأعجب لحركة في عين سكون فإن الخلا قد امتلأ، فالعالم ساكن في خلائه، والحركة لا تكون إلا في خلاء، هذه حركة الأجسام والخلاء ملآن فلا يقبل الزيادة فإنه ما لها أين، وكما سكن في الله تحرك إلى الله كما قال: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ أي ارجعوا إلى ما منه خرجتم فإنهم خرجوا مقرّين بربوبيته، ثم فزعوا فيها فقيل لهم: ارجعوا إلى ما منه خرجتم وليس إلا الله ولا رجوع إليه إلا به إذ هو الصاحب في السفر، فإن رجع رجعنا فإن الرجوع لا يكون إلا لمن له الحكم ولا حكم إلا لله ثم تاب عليهم ليتوبوا:

فهذا صدق ما قلنا   فلا تعدل عن الرشد
فكونوا كيفما شئتم   فإن الحق بالرصد

وإذا تحركت إليه فهو الهادي أو منه فمن اسمه المضل فحيرك ثم هداك فتاب عليك بالهدى فتحركت إليه بالتوبة، فمن مضل إلى هاد ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ وأما قولنا إذا اجتمع فبمن فنقول: اجتمع بالله في عين كونه تولاه الله وهو قوله لعبده: هل واليت فيّ ولياً فإنه عند وليه فمن والى ولياً في الله فقد والى الله، وليس الاجتماع سوى ما ذكرناه، ورد في الخبر أن الله يقول: «يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فقال: يا عبدي أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما أنك لو عدته لوجدتني عنده» فإن المريض لا يزال ذاكراً لله ذكر اضطرار وافتقار وهو الذكر الأصلي الذي انبنى عليه وجود الممكن، والحق تعالى جليس الذاكر له، فمن والى في الله ولياً فقد اجتمع بالله، فإن كنت أنت ولياً فاعلم أن الله أيضاً معك، فإذا واليت ولياً والله معه فقد اجتمع الله بالله فجمعت بين الله ونفسه فحصل لك أجر ما يستحقه صاحب هذه الجمعية فرأيت الله برؤية وليه، فإن كان في الولاية أكبر منك فالله عنده أعظم وأكبر مما هو عندك، فإن الله عند أوليائه على قدر معرفتهم به فأكثرهم جهلاً به وحيرة فيه أعظمهم علماً به، وإذا لم تحصل لك بولاية وليّ الله نسبة الله إلى ذلك الولي الخاص حتى تفرق بين نسبته سبحانه إليك ونسبته تعالى إلى ذلك الولي فما واليته جملة واحدة فيكلمك الحق على لسان ذلك الولي

Marfat.com

بما يسمع ليفيدك علماً لم يكن عندك أو يذكرك وتسمع أنت منه إن كنت ولياً تشهد ولايتك فتسمع بالحق إذ هو سمعك ما يتكلم به الحق على لسان ذلك الولي فيكون الأمر كمن يحدث نفسه بنفسه فيكون المحدث عين السامع، وهذا ذوق يجده كل أحد من نفسه ولا يعرف ما هو إلا من شهد الأمر على ما هو عليه، وأما قولنا الافتراق فعمن فتمام الخبر وهو قوله: أو عاديت فيّ عدوّاً ومن عاديته فقد فارقته فإن الهادي يفارق المضل والضار يفارق النافع، فمن أحكم الأسماء الإلهية انفتح له في العلم بالله باب عظيم لا يضيق عن شيء:

فلــو علمــت الــذي أقــول ... لــم تــك غيــر الــذي يقــول
مــا أنــت مثلــي بــل أنــت عينــي ... فــلا قــؤول ولا مقــول
تحيــرت فــي الــذي عنينــا ... فيمــا أتتنــا بــه العقــول

فالمحقق إذا اعتبر ما يشاهده صاحب الكشف ربما عثر على الحق المطلوب فإنه في غاية الوضوح والظهور لذي عينين:

فالحال يلعب بالعقول وبالنهى ... كتلاعب الأسماء بالأكوان

فالعداوة والمعاداة من هناك ظهرت في الكون، فالعالم المشاهد لا يتغير عليه الحال في عينه بقيام الأضداد به فإنه حق كله، فإن فهمت ما أشرنا إليه علمت كيف توالي وكيف تعادي ومن تعادي ومن يعادى ومن تولي ومن يولى، فسبحان من أوجدك منك وأشهدك إياك وامتن عليك بك، فمن عرف نفسه عرف ربه، فلم ينسب شيئاً إلا إليه والله غنيّ عن العالمين. واعلم أن الله لما نسب الألوهة للهوى وجعله مقابلاً له فقال لنبيه عليه السلام داود: ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ وقال: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ وليس الهوى سوى إرادة العبد، إذا خالفت الميزان المشروع الذي وضع الله له في الدنيا وقد تقرّر قوله: ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ فقد علمت بمن حكم من حكم بهواه ولهذا قال: ﴿وأضله الله على علم﴾ أي حيره فإن العلم بالله أوجب له الحيرة في الله إذ لا حاكم إلا الله:

فقــد زلــزل الأرض زلــزالهــا ... وقــال لنــا مــا لهــا مــا لهــا
فلــو نظــرت أعيــن أدركــت ... إلــى ربهــا حيــن أوحــى لهــا
وحــدثــت الأرض أخبــارهــا ... كمــا أخرجــت لــك أثقــالهــا

Marfat.com

فمن لم يشاهد هذا المشهد لم يشهد عظمة الله في الوجود وفاته علم كثير يفوت هذا المشهود. واعلم أن الأمر لما كان محصوراً في أربع حقائق: الأول والآخر والظاهر والباطن وقامت نشأة العلم على التربيع لم يكن في طريق الله تعالى صاحب تمكين إلا من شاهد التربيع في نفسه وأفعاله فأقام الفرائض وهي الإقامة الأولى، وأقام النوافل وهي الإقامة الأخرى في ظاهره وفي باطنه فإن حكم ذلك في الظاهر وفي الباطن فعم حكم الله نشأته، فإذا شهد هذا ذوقاً من نفسه علم ما يثمر له هذا الأمر فله في ظاهره ست جهات والستة لها الكمال فإنها أول عدد كامل فإن سدسها إذا أضفته إلى ثلثها ونصفها كان كالكل والقلب له ستة وجوه، لكل جهة وجه من القلب هو عين تلك الجهة بتلك العين يدرك الحق إذا تجلى له في الاسم الظاهر، فإن عم التجلي الجهات كلها من كونه بكل شيء محيطاً عم القلب بوجوهه ما بدا له من الحق في كل جهة فكان نوراً كله، وهناك يقول العبد: فعلت يا رب ويخاطبه ويقول: أنت كما قال العبد الصالح: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ فظهر الضمير مع كونه ضميراً والمضمر يخالف الظاهر وقد ظهر مع كونه مضمراً في حال ظهوره فيقول في الحق إنه الظاهر في حال بطونه والباطن في حال ظهوره من وجه واحد، فإن كلمة أنت ضمير مخاطب وليس سوى عينك وأنت مشهود بالخطاب فأنت المضمر الظاهر بخلاف الاسم فأسماء المضمرات أعظم قوّة وأمكن في العلم بالله من الأسماء.

(وحكي) عن بعض العارفين ورأيته منقولاً عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في بعض مشاهده مع الحق في حال من الأحوال: أنانيتي أنانيتك أي كما ينطلق على الاسم المضمر بحقيقته كذلك ينطلق عليك ما هو مثل الاسم الظاهر ولا مثل الوصف الظاهر، وهذا عين ما قلناه من قوّة المضمرات، ولما وقع في الكون التشبيه والاشتراك في الصور بحيث أن يغيب أحد الشخصين ويحضر الآخر فيتخيل الناظر إلى الحاضر أن الحاضر عين الغائب وضع الله في العالم الإشارات في الإخبارات والضمائر لارتفاع هذا اللبس والفصل بين ما هو وبين من يظهر بصورته واعتمدوا عليه، ولما أخبر الله تعالى أن الإنسان مخلوق على الصورة قال عيسى عليه السلام: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ ففصل بين الحق وبين من هو على الصورة فكأنه قال: كنت من حيث عينك لا من هو على صورتك الرقيب عليهم فناب أنت في هذا الموضع مناب العين المقصودة، ولنا جزء في هذه الأسماء المضمرات سميناه كتاب الهو وهو جزء حسن بالغنا فيه في هذه الأسماء المضمرة وهي تقبل كل صورة قديمة وحديثة لتمكنها وعلوّ مقامها والعالم وإن تكثر فهو راجع إلى عين واحدة:

Marfat.com

فكـل مـن فـي الـوجـود حـق وكـل مـن فـي الشهـود خلـق
فـانظـر إلـى حكمـة تجلـت فـي عيـن حـق يحـويـه حـق
فـالعبـد محـق والحـق محـق فليـس حـق ولا محـق

فيا ولي لا تعطل زمانك في النظر في الحركات وتحقيقها فإن الوقت عزيز، وانظر إلى ما نتجه فاعتمد عليه بما يعطيك من حقيقته، فإنك إن كنت نافذ البصيرة عرفت من عين النتيجة عين الحركة والمحرّك، فإن الحركة حقيقة العين والمحرّك من وراء حجاب الكون، والنتيجة ظاهرة سافرة معربة عن شأنها فاعتمد عليها فهذه نصيحتي لك يا ولي، ولهذا ما نسب الحق إلى نفسه انتقالاً إلا وذكر النتيجة ليعرّفك ما هو عين الانتقال المنسوب إليه في نازلة مّا مثل قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، ثم ذكر النتيجة فقال: فيقول هل من تائب؟ هل من داع؟ هل من مستغفر؟ وقال مثل هذا كثيراً ليريح عباده من تعب الفكر والاعتذار، فإن المقصود من الحركات ما تنتج لا أعينها، وكذا كل شيء، فالمبتدأ لولا الخبر ما كان له فائدة ولكان عبثاً الإتيان به، ومن هنا يعرف قوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ وقوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ ومن هنا يقع التنبيه على معرفة الحكمة التي أوجد الله لها العالم وأن اسمه الحق تعالى حق وقوله: ﴿إنه غنيّ عن العالمين﴾ أن معناه غنيّ عن وجوده لا عن ثبوته، فإن العالم في حال ثبوته يقع به الاكتفاء والاستغناء عن وجوده لأنه وفى الألوهة حقها بإمكانه، ولولا طلب الممكنات وافتقارها إلى ذوق الحالات وأرادت أن تذوق حال الوجود كما ذاقت حال العدم فسألت بلسان ثبوتها واجب الوجود أن يوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقاً فأوجدها لها لا له، فهو الغني عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلاً عليه وعلامة على ثبوته، بل عدمها في الدلالة عليه كوجودها، فأي شيء رجح من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بالله؟ فلهذا علمنا أن غناه سبحانه عن العالم عين غناه عن وجود العالم، وهذه مسألة غريبة لاتصاف الممكن بالعدم في الأزل، وكون الأزل لا يقبل الترجيح، وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته، وذلك أنه من حيث ما هو ممكن لنفسه استوى في حقه القبول للحكمين، فما يفرض له حال عدم إلا ويفرض له حال وجود، فما كان له الحكم فيه في حال الفرض فهو مرجح، فالترجيح ينسحب على الممكن أزلاً في حال عدمه وأنه منعوت بعدم مرجح، والترجيح من المرجح الذي هو اسم الفاعل لا يكون إلا بقصد لذلك، والقصد حركة

Marfat.com

معنوية يظهر حكمها في كلّ واحد بحسب ما تعطيه حقيقته، فإن كان محسوساً فرّغ حيزاً وشغل حيزاً، وإن كان معقولاً أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال إلى حال.

وفي هذا المنزل من العلوم علوم شتى منها علم الدعاء المقيد والدعاء المطلق وما ينبغي أن يقال لكل مدعوّ ويعامل به. ومنها علم الحركات وأسبابها ونتائجها. ومنها علم منزلة من تكلم فيما لا يعلم ويتخيل أنه يعلم هل ما تكلم به علم في نفس الأمر أم ليس بعلم؟ أم يستحيل أن يكون إلا علماً لكن لا يعلمه هذا المتكلم؟ وهل ظهر مثل هذا في العالم وهو خلق لله لتمييز المراتب فيعلم به مرتبة الجهل من العلم والجاهل من العالم أو ماثم إلا علم؟ ومنها علم تعيين من جعل الله الحيرة في العالم على يديه وهل الحيرة تعطي سعادة على الإطلاق أو شقاوة أو فيها تفصيل منها ما يعطي سعادة ومنها ما يعطي شقاوة؟ وهل المتحير فيه هل كونه متحيراً فيه اسم مفعول لذاته أم يمكن أن لا يتحير فيه. وفيه علم سبب الاحتراق الذي يجده صاحب الحيرة في باطنه في حال حيرته وهل إذا علم الحائر أن الذي تحير فيه لا يكون العلم به إلا عين التحير فيه فيزول عنه ألم الاحتراق. ومنها علم نصب الأدلة كيف رتبها الله للعقلاء أصحاب النظر والاستبصار. ومنها علم غريب وهو هل يمكن أن يمر على القابل للعلوم زمان لا يستفيد فيه علماً أم لا؟ ومنها علم الرتبة الإلهية هل تحجب عن الله أو تدل على الله؟ وصفة من تحجبه وصفة من تكون له دلالة على خالقه. ومنها علم كون الله ما أوجد واحداً قط ولا يصح وإنما أوجد اثنين فصاعداً معاً من غير تقدّم في الوجود ولا تأخر.

ومنها علم كون الحق لا تثبت له أحدية إلا في ألوهيته وأما في وجوده فلا بد من معقولين فصاعداً، فاجعل ذلك ما شئت إما نسباً أو صفات بعد أن لا تعقل أحدية. ومنها علم تعلق الأسماء الإلهية بالكائنات، ومنها علم سعي الآخرة إلى أن تجيء ومن أين جاءت وما هذه الحركة المنسوبة إليها؟ ومنها علم معقول الدنيا والآخرة ما هو؟ ومنها علم جهل من أعرض عن الله ﴿وأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فكيف يشقى من أقبل على وجه الله وإن لم يقصد الإقبال على وجه الله وهو في نفس الأمر مقبل على وجه الله معرض عن وجه الله، ومتى ينطلق على الإنسان الإقبال على الله بكل وجه وذلك إذا كان الإنسان وجهاً كله وعيناً كله لم يصح في حق من هذه صفته إعراض عن الله. ومنها علم غريب وهو أنه لا يرجع إلى الإنسان إلا ما خرج منه للأصل الذي يعضده وهو قوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ ومنه بدا الأمر كله وإليه يعود، وهذا معنى قوله ﷺ «إنما هي أعمالكم تردّ عليكم» فاجهد أن لا

Marfat.com

يخرج عنك إلا ما تحمد رجوعه إليك. ومنها علم من يكون مع الله على آخر قدم ما يصنع ولا يكون ذلك إلا في حضرة التكليف إذ لا أجر إلا فيه فابحث على علم هذا. ومنها علم الربح والخسران وما يقع فيه الربح والخسران وهل ثم موطن للإنسان يكون فيه لا يكون دنيا ولا آخرة؟ وأعني بالآخرة الدار الآخرة التي جاءت الشرائع بها عن الله.

ومنها علم ما انقسم بالحال في الدنيا انقسم بالدار في الأخرى ففي الآخرة منزلان: جنة وجهنم، وفي الدنيا منزلتان: عذاب ونعيم، أو ألم ولذة، فإذا كان الإنسان في حال يقال فيه أنه لا صفة له كدعوى أبي يزيد فهل صاحب هذه الدعوى هو الذي له الموطن الذي ليس بدنيا ولا آخرة. ومنها علم ما يؤول إليه حال من ترك الأخذ بالأهم فالأهم. وفيه علم الأمور العوارض ما لها من الأثر في العالم. ومنها علم خزائن الأرزاق وقول بعض الصالحين وقد شكى إليه شخص كثرة العائلة فقال له: ادخل إلى بيتك وانظر كل من ليس له رزق على الله فأخرجه فقال له: كلهم رزقهم على الله، فقال له: فما تضرك كثرتهم أو قلتهم. ومنها علم الفصل بالشهود والكشف بالحكم. وفيه علم الفرق بين الإرادة والمشيئة والهمة والعزم والقصد والنية. وفيه علم ما للنائب من صفات من استنابه هل يقوم بها كلها أو ما يطلبه من استنيب فيه؟ ومنها علم مراتب القول وبماذا ينسب السوء إليه من الحسن من الطيب. ومنها علم بيان الطرق الموصلة إلى الثناء على الله بطريق التنزيه والإثبات. ومنها علم ما يقع به التساوي بين الأشقياء والسعداء في الدنيا. ومنها علم الميل إلى الأكوان والميل إلى جانب الحق وما يحمد من ذلك وما يذم.

ومنها علم إقامة نشأة ما نسب الحق إلى نفسه مما لا يقوم إلا على أيدي عباده. ومنها علم الكور والحور واللازم والقائم والخاضع والنازل. ومنها علم الأعلام بتكرار القصد إلى الحق في الأمور التي دعا الحق عباده إليها من العبادات. ومنها علم السبل القريبة والبعيدة والسالكين فيها واحتساب الآثار إذا كان السلوك فيها وعليها مشروعاً وغير مشروع لكن يقتضيه العقل السليم والنظر الصحيح وتعيين القرب الإلهية في ذلك من غير توقيف وما يصح من ذلك وما لا يصح. ومنها علم الحمد لله على آلائه القريبة المناسبة من الإنسان. ومنها علم ما لكل موجود من المنافع في العالم. ومنها علم الموانع في العالم وما منعت عقلاً وشرعاً. ومنها علم ظهور المعدوم في صورة الموجود وتميزه في الوجود من الوجود الحقيقي. ومنها علم النحل والملل. ومنها علم ما لا ينتفع به إلا بعد إزالة ما ينتفع

Marfat.com

به منه. ومنها علم أحوال السائلين وما يليق بكل سائل من الجواب. ومنها علم ما يقبل الحق من أعمال عباده مما لا يقبل مع كونه ليس بمحرم ولا مذموم. ومنها علم الفرق بين العظمة الإلهية والكبرياء. ومنها علم الإحسان ومعرفة ماهيته. ومنها علم صفة من ينوب الحق عنه في صرف ما يسوء مع وجود ما يسوءه. ومنها علم المعارضة بالمثل. ومنها علم عواقب الأسماء الحسنى. ومنها علم العمارة والخراب وحكمهما في الدنيا والآخرة. ومنها علم الرجوع عن الحق ما يؤثر في الراجع. ومنها علم تقدير الواحد بالكثير كما قال بعضهم:

ومـــــا علـــــى الله بمستنكـــــــر أن يجمـــع العـــالـــم فـــي واحـــد

ومنها علم تقدير التخالج في الحديث وما يرفع من ذلك وما لا يرفع. ومنها علم عرض الفتن على القلوب وحكم من أنس بها من غيره. ومنها علم السبب المبقي للشاك على شكه مع التمكن من النظر المخرج عن الشك فلم يفعل. ومنها علم الفرق بين الإيمان والعلم وما بين العالم والمؤمن من المراتب. ومنها علم تتبع الحق مراضي عباده الذين تتبعوا مراضيه جزاء وفاقاً. ومنها علم تأخير البيان مع التمكن من استعجال إيضاحه لأمر يراه العالم مع الحاجة إليه. ومنها علم صفة من يطلبه العفو الإلهي. ومنها علم ما ينبغي أن يكشف من العلوم وما ينبغي أن يستر منها. ومنها علم تداخل عالم الغيب في الشهادة وعالم الشهادة في الغيب. ومنها علم الاستدراج والمكر. ومنها علم كل علم غايته العمل فلم تظهر غايته ما العلة في ذلك. ومنها علم كون السماء كالخيمة لا كالكرة المجوفة وأن هيئة السموات على خلاف ما ذكره أصحاب علم الهيئة ولماذا يرجع سير الكواكب هل لأنفسها أو لفلك دائر بها؟ وفيه علم ما لا ينبغي فيه تنازع لوجود الإمكان العقلي فيه. ومنها علم ما يؤثر العلم به في نفس العالم به. ومنها علم استحالة خلق العالم أعيان الجواهر. ومنها علم المصطفى المختار من كل نوع من العالم ومن كل جنس. ومنها علم الآباء والأبناء في المعاني وغير المعاني. ومنها علم التعلق بالأسباب وترك التعلق بها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر الرابع والعشرون.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والستون وثلثمائة

في معرفة منزل إحالة العارف ما لم يعرفه على من هو دونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه وتنزيهه الباري عن الطرب والفرح

وضع الموازين للحساب جاء به ناطق الكتاب
كتاب ذات بلا يراع ولا مداد ولا اكتساب
ولا صفات ولا نعوت ولا ذهاب ولا إياب
فإن يتب للذي اعتراه قابله قابل المتاب
طالبه الشكر في قدور وفي جفان مثل الجوابي

هذا منزل التوحيد العقلي أعني توحيد الأفعال أي لا فاعل إلا الله وهو منزل شريف.

فاعلم أن العالم لم يزل في حال عدمه مشاهد الواجب الوجود لأنه لم يزل في عدم مرجح وهو ثابت العين، وقد وصفه الحق في حال عدمه بالسمع والطاعة له، فلم يستحل عليه إضافة المشاهدة، ولهذا لم ينكره أحد من الممكنات في حال وجوده، إلا أن هذا الموجود الإنسانيّ وحده من بين العالم أشرك بعضه به ممن غلب عليه حجاب الطبع وهو ما اعتاد أن يسمع ويطيع ويعبد بالأصالة إلا لرب يشهده، وقد صير ذلك المعبود حجاب الطبع غيباً له فاتخذ ما اتخذ من الموجودات التي يشهدها ويراها إما من العالم السماوي كالكواكب، وإما من العالم الأسفل كالعناصر، أو ما تولد عنها رباً يعبده على المشاهدة التي اعتادها وسكنت نفسه بها إليه ويوهم في نظره أن ذلك المتخذ إلهاً يشهد الحق وأنه أقرب إليه منه فعبد نفسه له خدمة ليقرّ به إلى الله عز وجل كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ما نعبدهم﴾ يعني الآلهة الذين اتخذوها للعبادة ﴿إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ فأكدوه بزلفى وكان هذا عن نظر واجتهاد، ثم رأوا أصحاب الشرائع المنزلة الإلهية قد قيدوا الناس بالسجود ووضع الوجوه على الأرض والركوع والاستقبال على طريق القربة إلى الله في جهة معينة وتقبيل

Marfat.com

حجر قالوا لنا إنه يمين الله وجاؤوا بتعظيم شعائر وأعلام محدثات أضافوها إلى الله وجعلوا تعظيمنا إياها أي لتلك الشعائر والمناسك من تقوى القلوب، وقرنوا بذلك التعظيم إذا ظهر منا سعادتنا فزادهم ذلك اعتماداً على ما قرّروه ونصبوه من الآلهة والشرائع ولم يفرقوا بين ما هو وضع الله في خلقه وبين ما وضعوه لأنفسهم من أنفسهم، وكلامنا إنما هو مع الأئمة أصحاب النظر الأوّل الذين وضعوا هذه الأمور معبودة لهم على طريق القربة إلى الله عز وجل، ثم أنهم مما اغتروا به ما رأوه وسمعوه في الشرائع الإلهية من سعادة المجتهد على الإطلاق سواء أخطأ أو أصاب فالأجر له محقق بعد استيفاء النظر في حقه والاجتهاد في زعمه على قدر ما أعطاه الله في نفسه من الاستعداد، فتخيلوا فيما ليس ببرهان أنه برهان على ما طلبوه، فما اتخذوه إلهاً إلا عن برهان في زعمهم وهو قوله: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ يعني في زعمه، فدل على أنه من قام له برهان في نظره أنه غير مؤاخذ وإن أخطأ فما كان الخطأ له مقصوداً وإنما كان قصده إصابة الحق على ما هو عليه الأمر، وأصل هذا كله أن لا يعبد غيباً لأنه بالأصالة ما تعوّده، ولهذا جاء جبريل عليه السلام ليعلم النبيّ ﷺ وأصحابه ما هو الأمر عليه في صورة أعرابيّ فقال النبيّ ﷺ: **«أتدرون من هذا؟ أو قال: ردّوا علي الرجل فالتمس فلم يجدوه فقال النبيّ ﷺ لأصحابه لما أدبر: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»** وكان فيما سأله أن قال له: ما الإحسان؟ فقال له النبيّ ﷺ في الجواب: **«أن تعبد الله كأنك تراه»** لما علم أن العبادة على الغيب تصعب على النفوس ثم تمم وقال: **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** أي أحضر في نفسك أنه يراك وهو نوع آخر من الشهود من خلف حجاب تعلم أن معبودك يراك من حيث لا تراه ويسمعك، فما أتانا الشرع في هذا كله إلا بما كان فيه لهؤلاء اغترار وإليه استناد، ولذلك قال تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ وقال: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وهو الذي يرزق الإصابة في النظر والذي يرزق الخطأ.

فخرج من مضمون هذا كله أن العبادة لا تتعلق من العابد إلا بمشهود أو كالمشهود لا سبيل إلى الغيب وهذا من رحمة الله الخفية وألطافه، وما خرج عمن ذكرناه إلا المقلدة فبهم ألحق الشقاء فجعل لهم الحق في الشرع المنزل مستنداً من رحمته فيهم يستندون إليه فيه فقال: ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر هم أهل القرآن فإن الله تعالى يقول: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ وهو القرآن وهم أهل الاجتهاد ومنهم المصيب والمخطىء، فإذا سأل المقلد من أخطأ من أهل الاجتهاد في نفس الأمر وعمل بما أفتاه فإنه مأجور لأنه

Marfat.com

مأمور بالسؤال فاستند مقلد والنظار الذين أخطؤوا في نظرهم في الأصول مع توفية ما أدّاهم إليه استعدادهم فيما أفتوهم به من اتخاذهم الآلهة دون الله، وإن لم ينظروا فإن الله ما كلف نفساً إلا وسعها وهو ما جعل فيها فعمت رحمته الأئمة والمأمومين، فما في العالم إلا موحد أي مستند إلى واحد، وقد علمت من هذا المساق ما الشرك وما صفة المشرك وقد أعذرهم الله من وجه فقال لهم: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ هذا إذا قصد العبد فعل الذنب معتقداً أنه ذنب، فكيف حال من لم يتعمد إتيان الذنب واتخذ ذلك قربة لشبهة قامت له فهو أحق بالمغفرة، وأما مؤاخذته أهل الشرك على القطع بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ فهو ظاهر لقرينة الحال، وأما من طريق اللسان فهو الواقع فإن الله ما ستر الشرك على أهل الشرك بل ظهروا به فهو إخبار بما وقع في الوجود من ظهور الشرك وستر ما دون ذلك لمن يشاء أن يستر، فإن ثم أموراً لم تظهر لعين ولا لعقل كما جاء في وصف الجنة: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ولكن قرائن الأحوال تدل على القطع بمؤاخذة المشركين.

ثم لم يذكر سبحانه ما هو الأمر عليه فيهم بعد المؤاخذة التي هي إقامة الحدّ عليهم في الآخرة يوم الدين الذي هو الجزاء فيدخلون النار مع بعض آلهتهم ليتحققوا مشاهدة أن تلك الآلهة لا تغني عنهم من الله شيئاً لكونهم اتخذوها عن نظرهم لا عن وضع إلهيّ، فانظر يا وليّ في عدل الله وفضله فله الحمد على كل حال وهذا حمد نبوي صحيح، فإن الثناء على كل حال من مشرك وغير مشرك، فإن المشرك كما قلنا ما جعل العظمة والكبرياء إلا لله وجعل الآلهة كالسدنة والحجاب فما عبدوهم إلا من أجله، وإن أخطؤوا فيهم ما أخطؤوا إلا في الأحدية فهم أيضاً من الحامدين لله، إذ كانوا أهل ثناء على الله بتوحيد عظمته وإيثاره على هؤلاء الحجبة، فاجعل بالك لرحمة الله السابغة الواسعة التي بسطها الله على خلقه ترشد للحق إن شاء الله.

وأما اختلاف العقائد في الله في أصحاب الشرائع الإلهية وغيرهم فإن العالم لو آخذهم الله تعالى بالخطأ لآخذ كل صاحب عقيدة فيه فإنه قد قيد ربه بعقله ونظره وحصره ولا ينبغي لله إلا الإطلاق فإن ﴿بيده ملكوت كل شيء﴾ فهو يقيد ولا يتقيد ولكن عفا الله عن الجميع، فمن أراد إصابة الحق وأن يوفيه حقه وفقه لعلمه بسعته واتساعه، وأنه عند اعتقاد كل معتقد مشهود لا يصح أن يكون مفقوداً عند اعتقاد المعتقد فإنه ربط اعتقاده به ﴿وهو

Marfat.com

على كل شيء شهيد﴾ فصاحب هذا العلم يرى الحق دائماً وفي كل صورة فلا ينكره إذا أنكره من قيده، ومع هذا فالله قد عفا عمن قيده بتنزيه أو تشبيه من أئمة الدين.

ثم انظر في شهادة الله عز وجل عند نبيه ﷺ في حق المشركين: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾ فهو تنبيه عجيب ولما قيل لهم: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ وما رأوا له عيناً ولا يعلمونه إلا مسمى الله ولم يعلموا أنه عين مسمى الرحمن فتخيلوا في الرحمن أنه شريك لله فانكروا ذلك ولم ينكروا ذلك فيمن نصبوه إلهاً على ما قرّرناه لأنهم عالمون بأسماء من نصبوهم آلهة من دون الله فعلموا بأسمائهم أنهم ليسوا في الحقيقة في الألوهة مثله، فإن له تعالى عندهم توحيد العظمة والكبرياء، ودلهم بالسجود للرحمن على عبادة غيب فقالوا: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾ لأنهم ما علموا في الغيب إلا إلهاً واحداً فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فتعجبوا من ذلك غاية العجب لأنهم تخيلوا أن مسمى الرحمن ليس هو مسمى الله وإن كان لكل واحد الأسماء الحسنى، وذلك لما أعمى الله بصائرهم وكثف أغطيتهم فلم يعقلوا عن الله ما أراد بما أنزله في حقهم، وجعل الحق ذلك أيضاً مستنداً لهم حيث جاء إليهم باسم يطلب مسمى لا يعرفون هذه العلامة له حين علم ذلك أهل الله وخاصته:

فالله والرب والرحمن والملك ... حقائق كلها في الذات تشترك
فالعين واحدة والحكم مشترك ... لذا بدا الجسم والأرواح والفلك
وكلها أدوات بين خالقنا ... وبيننا ولهذا يضمن الدرك
جاءت بها رسل الرحمن قاطبة ... مع الكتاب الذي قد ساقه الملك

واعلم أن العلم بالله له طريقان: طريق يستقل العقل بإدراكه قبل ثبوت الشرع وهو يتعلق بأحديته في ألوهته وأنه لا شريك له وما يجب أن يكون عليه الإله الواجب الوجود وليس له تعرّض إلى العلم بذاته تعالى، ومن تعرّض بعقله إلى معرفة ذات الله فقد تعرّض لأمر يعجز عنه ويسيء الأدب فيه وعرّض نفسه لخطر عظيم، وهذا الطريق هو الذي قال فيه الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ فنبههم على أن العلم بالله من كونه إلهاً واحداً في ألوهته من مدركات العقول، فما أحالهم إلا على أمر يصح منه أن ينظر فيعلم ينظهره ما هو الأمر عليه، والطريق الآخر طريق الشرع بعد ثبوته، فأتى بما أتى به العقل من جهة دليله وهو إثبات أحدية خالقه وما يجب له عز

Marfat.com

وجل، والمسلك الآخر من العلم بالله العلم بما هو عليه في ذاته، فوصفه بعد أن حكم العقل بدليله بعصمته فيما ينقله عن ربه من الخبر عنه سبحانه مع ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأن لا يضرب له مثل بل هو الذي يضرب الأمثال لأنه يعلم ونحن لا نعلم فنسب إليه تعالى أموراً لا يتمكن للعقل من حيث دليله أن ينسبها إليه ولا يتمكن له ردّها على من قام الدليل العقليّ عنده على عصمته فأورثه ذلك حيرة بين الطريقين، وكلا الطريقين صحيحان لا يقدر على الطعن على أحدهما، فمن العقلاء من تأول تأويل تنزيه وتأييد وعضد تأويله بليس كمثله شيء وبقوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ومن العقلاء من سلم علم ذلك إلى من جاء به أو إلى الله، ومن العقلاء من أهل اللسان من شبه وعذر الله كل طائفة وما طلب من عباده في حقه إلا أن يعلموا أنه إله واحد لا شريك له في ألوهته لا غير، وأن له الأسماء الحسنى بما هي عليه من المعاني في اللسان، وقرن النجاة والسعادة بمن وقف عندما جاء من عنده عز وجل في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام:

إذا أبـــان الحـــق عـــن نفســـه ... بنفســـه فـــي كتبـــه فـــاعتقـــد
فمـــا علينـــا مـــن جنـــاح بـــه ... وذلـــك العلـــم بـــه فـــاعتقـــد
فـــإن حـــظ العقـــل مـــن علمـــه ... بـــه الـــذي ينفـــي وجـــود العـــدد
وأنـــه فـــي شـــأنـــه واحـــد ... وأنـــه الله الـــذي لـــم يلـــد
كـــذاك لـــم يـــولـــد ولمـــن رامـــه ... بعقلـــه عـــن فكـــره لا تـــزد

وبرهان ذلك يا وليّ اختلاف المقالات فيه من العقلاء النظار، واتفاق المقالات فيه من كل من جاء من عنده من رسول ونبيّ وولي وكل مخبر عن الله، ولو وقف العاقل من المؤمنين على معنى قوله في كتابه: ﴿ولم يولد﴾ وعلم أن ما أنتجه العقل من فكره بتركيب مقدمتيه أن تلك النتيجة للعقل عليها ولادة وأنها مولودة عنه وهو قد نفى أن يولد فأين الإيمان وليس المولود إلا عينه؟ بخلاف ما إذا أنتج العقل نسبة الأحدية له، فما معقولية الأحدية للواحد عين من نسبت إليه الأحدية، فللعقل على الأحدية ولادة، وعلى الاستناد إليه ولادة، وعلى كل لا يكون له على عينه ولادة، فأما هويته وحقيقته فما لعقل عليها ولادة وقد نفى ذلك بقوله: ﴿ولم يولد﴾ ومن هنا تعرف أن كل عاقل له في ذات الله مقالة إنما عبد ما ولده عقله، فإن كان مؤمناً كان طعناً في إيمانه، وإن لم يكن مؤمناً فيكفيه أنه ليس بمؤمن، ولا سيما بعد بعثة محمد ﷺ العامة وبلوغها إلى جميع الآفاق، وأن لله عباداً عملوا

Marfat.com

على إيمانهم وصدقوا الله في أحوالهم ففتح الله أعين بصائرهم وتجلى لهم في سرائرهم فعرفوه على الشهود وكانوا في معرفتهم تلك على بصيرة وبينة بشاهد منهم وهو الرسول المبعوث إليهم، فإن الله جعل الرسل شهداء على أممهم ولأممهم، فمع كون هذا المؤمن على بينة من ربه حين تجلى له تلاه في تلك الحال شاهد منه وهو الرسول فأقامه له في الشهود مرآة فقال له هذا الذي جئتك من عنده فلما أبصره ما أنكره بعد ذلك مع اختلاف صور التجلي، فربما كنى عنه من هذه حالته من المؤمنين بما وصف نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله أو وصفته به رسله، فآمن العاقل المؤمن بذلك من كتاب الله وقول الرسول وكفر بذلك من قول صاحب هذه الحالة من المؤمنين المتبعين، وأما غير المؤمنين فهم الذين يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وهم الورثة الذين دعوا إلى الله على بصيرة كما دعوا الرسل قال تعالى عنه ﷺ: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ ومعنى البصيرة هنا ما ذكرناه أي على الكشف مثل كشف الرسل فكيف آمن بهذا المؤمن من الرسول وكفر به بعينه من التابع رسول الله ﷺ أخيه المؤمن إذا جاءه به فلا أقل من أن أخذه منه حاكياً، وما رأينا ولا سمعنا عن صاحب كشف إلهيّ من المؤمنين خالف كشفه ما جاءت به الرسل جملة واحدة ولا تجده، فقد علمت الفرق بين العقلاء في معرفة عينه وبين الرسل والأولياء وما جاءت به الكتب المنزلة في ذلك، فالمؤمن عند ما أعطاه سبيله، والعاقل عند ما أعطاه دليله:

وأيـن حكـم العقـل مـن حكمـه ... سبحـانـه جـل علـى نفسـه
هيهـات لا يعـرفـه غيـره ... إلا بـه إذ ليـس مـن جنسـه
والعقـل قـد أدخـل معبـوده ... بفكـره القـاصـر فـي حبسـه
وقـال هـذا ولـدي صنتـه ... فـي خلـدي فهـو علـى قـدسـه
كـلام حـال فـإذا حـوقلـوا ... قـالـوا تعـالـى الله فـي نفسـه
فخـالقـي المخلـوق لـي فـاعتبـر ... فـي فـرعـه الأعلـى وفـي أسـه

فعليك بعبادة الله التي جاء بها الشرع وورد بها السمع، ولا تكفر بما أعطاك دليلك المؤدّي إلى تصديقه، وقصارى الأمر أن تسلم له ولأمثاله مقالته في ربه لثبوت صدقه وثبوت المؤمن على اتباعه، فإذا أنصفت في الأمر وعلمت ما نطقت به الرسل عليهم السلام في حق الله جوّزت أن تهب من تلك المعرفة نفحة على قلوب المتبعين من المؤمنين تؤدّيهم

Marfat.com

إلى الموافقة في النطق وأنه حيث كان لسان الحق فتسلمه في الفرع كما سلمته في الأصل بجامع الموافقة، وإياك والكفران فإنه غاية الحرمان فتكون من ﴿الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ فاعبد ربك المنعوت في الشرع حتى يأتيك اليقين فينكشف الغطاء ويحتد البصر فترى ما رأى وتسمع ما سمع فتلحق به في درجته من غير نبوّة تشريع بل وراثة محققة لنفس مصدقة متبعة، وهذا باب يتسع المجال فيه لاتساع الأفعال، فإن توحيد الأفعال يتسع باتساعها، فإن نسب الأفعال لا تنتهي بل هي في مزيد ما دام الفعل يظهر من الفاعل، ومنها طلب المزيد في قوله تعالى: ﴿رب زدني علماً﴾ فإن له في كل فعل تجلياً خاصاً لا يكون إلا لعين ذلك الفعل، ولهذا يتميز كل فعل عن غيره بما يخصه من التجلي:

قد قلت في الحق الذي قلته ... لا ترعوي فيه ولا تأتلي
فإنه الحق الذي جاءني ... من عنده وهو العليم الولي
فكيف لي بردّه وهو لي ... مؤيد بكشفه كيف لي

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فأتى بكاف الصفة في نفي المماثلة عن المثل المفروض، ولها عموم النفي حتى تقترن بها حال مخصصة إذ قصارى الناظر في ذلك التوقف حتى يرى ما تعطيه قرائن الأحوال فيها، وهذه آية صاحب الدليل العقلي، لكنه جاء هذا النفي والإثبات للمثلية باللسان العربي والمماثلة في اللسان على غير المماثلة التي اصطلح على إطلاقها العقلاء، فيحتاج العاقل أن يتكلف دليلاً على أن الحق أراد المماثلة العقلية، ولا دليل يطلب من صاحب اللسان فيها فإنه بلسانه نزلت وعلى اصطلاحه، ومثل هذا لا يدرك بالقياس ولا بالنظر، فإنه يرجع إلى قصد المتكلم ولا يعرف ما في نفس المتكلم إلا بإفصاحه عما في نفسه، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ والعربي لا يعرف المماثلة العقلية ولا ينكرها إذا سمعها، وكل لفظ ورد في وصف الله تعالى معرّى عن لفظة المثل وحرف كاف الصفة فقد تعرّى عن أدوات التشبيه ولحق بالألفاظ المشتركة.

واعلم أن كاف الصفة لا فرق بينها وبين لفظة المثل وإن كان لهذا الحرف مواطن من جملتها موطن الصفة، فإذا وردت في موطن الصفة في اللسان وهو أن تقول زيد كعمرو فإن العرب لا تريد إلا الإفادة، فمن المحال أن تجيء بمثل هذا وتريد به أنه يماثله في الإنسانية وهي المماثلة العقلية، وإنما تريد أنه كعمرو في الكرم مثلاً أو في الشجاعة أو في الفصاحة

Marfat.com

أو في العلم أو في الحسن وما أشبه ذلك مما دل عليه الحال بقرينته عند السامع لتقع له الفائدة، فإذا قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فلا بد أن يقول فيماذا أو يدل عليه قرينة الحال في المجلس ولا سيما وقد أردف نفي المماثلة بقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ وهاتان صفتان محققتان في المخلوق، فلا بد إن تحقق ما نفي أن يعلم هل هي كاف الصفات أو غيرها مما يطلبه اللسان منها بما وضعها له؟ فإن كانت كاف صفة هنا فما نفى إلا مماثلة المثل أن يماثل، فأثبت المثل له بالهاء التي في مثله وهي ضمير يعود على الحق، ومعلوم أن المثل ليس عين مماثله، ولو كان عين من هو مثل له ما كان مثلاً له لا عقلاً ولا شرعاً، فوجود المثل عين إثبات الغير بلا شك، فإن عمت المماثلة فهي العقلية بلا شك ولا ينكرها اللسان، وإن خصت فهي لما خصت له حقيقة لا مجازاً مثل زيد كالبحر لاتساعه في العلم أو في الجود، ومن العلماء من جعل الكاف في ﴿ليس كمثله شيء﴾ زائدة، فإن كانت جاءت لمعنى فما هي زائدة، فإن ذلك المعنى الذي سيقت له لا يظهر ولا يحصل إلا بها في نفس المخاطب فانتفي أن تكون زائدة فإن الله ما خلق شيئاً باطلاً ولا عبثاً، والزائد لغير معنى، إنما هو عبث، والعرب من المحال أن تجيء بزائد لغير معنى، فإذا جاءت بهذا الحرف جاءت به لمعنى فهو لما جاءت به، فإن المتكلم لا يجيء بالكلمة فيما يقوله النحويّ زائدة إلا لقصد التوكيد، فإذا زالت زال التوكيد، فإذا ما هي زائدة فإن الكلام المؤكد ما استقل دونها وما يقوم مقامها، فإذا أكد تعالى نفي المثل فما هي زائدة فجعل تأكيد نفي المثل في مقابلة من أثبت المثل فرضاً ووجوداً في زعمه، والصحيح في هذه الكاف أنها كاف الصفة بقرائن الأحوال أي لو فرض له مثل لم يماثل ذلك المثل فأحرى أن لا يماثل فهو أبلغ في نفي المماثلة في اللسان.

ثم نقول في قولنا بقرائن الأحوال لكون الحق ما وصف الإنسان الكامل إلا بما وصف به نفسه، فنفى مماثلة الإنسان الكامل أن يماثله شيء من العالم، ويعضد هذا قوله: إنه خلق آدم على صورته، فهذا خبر يقع به الأنس للنفس، فما في العالم زائد لغير معنى لأنه ما فيه عبث ولا باطل، بل كل ما فيه مقصود لمعنى. فإن قلت: فأين المماثلة في الفعل؟ قلنا: بيان هذا من وجهين: الوجه الواحد أن يفعل بآلة ظاهرة فإذا قمت في توحيده في الأفعال جعلنا آلة له فيفعل بنا ما ينسب في الشاهد لنا فعله فنحن له كالقدّوم للنجار والإبرة للخائط مثلاً هذا إذا جعلناه مثلاً لنا، فإذا جعلنا أنفسنا مثلاً له وهو الوجه الآخر من الوجهين في الجواب وهو الفعل بالإرادة والقصد وهي آلة باطنة فإنها نسبة فهو يفعل بالإرادة، فإذا كان

Marfat.com

الإنسان صاحب همة نافذة فإنه يفعل بهمته كان مثلاً له ولا يوجد ذلك في كل إنسان من هذا النوع فإنما نحن به وله فيفعلنا ويفعل بنا ويفعل فينا، فلا يثبت التوحيد في الأعمال إلا أن تكون آلة لا بد من ذلك، والله العالم والمعلم الذي أطلع من شاء على ما شاء من علمه.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم ما بقي من الزمان لقيام الساعة. وفيه علم الفرق بين ما ينزل من العلم على قلوب العلماء من حضرة الربوبية وحضرة الرحمانية دون غيرهما من الحضرات الإلهية. وفيه علم ما ينبغي أن يكون عليه صاحب هذا العلم من الصفة وهل يصح هذا العلم لمن لا يرفع به رأساً أم لا؟ وفيه علم الأسرار التي لا تذاع. وفيه علم الردّ والقبول. وفيه علم الفرق بين الرؤيا والمبشرات وأن الرؤيا أعم والمبشرات أخص، فإن الإنسان قد يرى ما يحدّث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه، ولو لم يكن لذلك أثر فيمن رويت له أو رآها لنفسه ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلاً وهو قوله: أن يتفل صاحب الرؤيا المفزعة على يساره ثلاثاً ويستعيذ بالله من شرّ ما رأى فإنها لا تضره وليتحوّل من شقه الذي كان عليه نائماً حين الرؤيا إلى شقه الآخر فإنها تتحولّ بتحوّله كما يحوّل صاحب الاستسقاء رداءه عند الدعاء فيحوّل الله حالة الجدب بالخصب ويرمي شرّها عمن اتخذه معاذاً، فلم يؤثر فيه إذ هو ليس بمحل للأثر وإن كان قد ورد ولكن على وجه خاص، فقد ورد في الشرع «أن العبد يفعل فعلاً يسخط به ربه ويفعل فعلاً يرضي به ربه».

وفيه علم في أيّ صورة يستعمل الدليل العقلي وفي أيّ صورة لا يستعمل. وفيه علم حقائق الأشياء التي بالعلم بها يصح أن تكون معلومات. وفيه علم الحدود الإلهية الموضوعة في العالم في الدنيا والآخرة وتنتهي أوقاتها. وفيه علم العلم المولد من غير المولد، والمولد علم ما ظهر عن الفكر والتدبر والروية. وفيه علم مقارعة الوجود العدم وفي أيّ حضرة أو ميدان يجتمعان وليس لهما ميدان مقارعة إلا الممكنات فالمرجح غالب والمرجوح مغلوب. وفيه علم التوحيد الإلهيّ وأماكنه ستة وثلاثون. وفيه علم ما يعلل وما لا يعلل. وفيه علم ما ينبغي أن يتخذ عدة للشدائد من الأسباب وغيرها وما ثم غير سبب تدفع به. وفيه علم الفصل والوصل ولهما بابان في هذا الكتاب. وفيه علم الأصل الذي منه أو به ظهرت الأكوان وأعيان العالم. وفيه علم من هو العالم ومن يحفظ عليه صورته ومن لا يحفظ عليه صورته. وفيه علم نسبة الحركة إلى العالم العلوي وما يطلب بتلك الحركة. وفيه علم الانتقال من حال إلى حال وما أصل ذلك. وفيه علم نشأة الإنسان على الانفراد وأعني بالإنسان الإنسان الحيوان. وفيه علم التثبت في الأمور وما سبب وما ينتج. وفيه علم

Marfat.com

العجز والقصور ومن هو أهله. وفيه علم الحافظ والحفظ والمحفوظ من حيث ما هو محفوظ والمحفوظ به. وفيه علم الزيادة والنقص وأن الدنيا من حين خلقها الله ما زالت تنقص، وأن الآخرة من حين شرع النقص في الدنيا ما زالت تزيد فهي في كل يوم في مزيد والدنيا في كل يوم أيضاً في نقص. وفيه علم من علم أنه لا يكون منه كون كذا لما طولب بكون ذلك، كمن يطلب القيام من المقعد الذي لا يصح منه القيام ولماذا يريده مع علمه بأنه لا يستطيعه.

وفيه علم عناية الحق بعبده في حال لا يتصف فيه العبد بالعقل ولا بالوجود كأبي يزيد وأمثاله من الأولياء وكعيسى ويحيى من الأنبياء. وفيه علم إقامة الحجج. وفيه علم ما يستقل العقل بإدراكه مما لا يستقل بإدراكه. وفيه علم طيب الخبيث عند الخبيث. وفيه علم نسبة الإصابة لكل مجتهد ومعنى نسبة الخطأ إلى المجتهد وأن ذلك الخطأ علم في نفس الأمر وحكم الله. وفيه علم الصنائع العملية بالفطرة والروية والتعليم، فهذه ثلاثة أحوال فهي بالفطرة في الحيوان وبالتعليم في الضعيف العقل والروية، وبالروية والتدبير في القويّ العقل الصحيح الفكر والنظر. وفيه علم ما يتقى ومن يتقي وبماذا يتقى وأصناف المتقين. وفيه علم الفرق بين البلاء والابتلاء. وفيه علم القرين الصالح هل الصلاح فيه بالجعل أو بالأصالة؟ وفيه علم حكم الجزاء الوفاق المناسب بالاتفاق. وفيه علم أحوال الندم ومتى يتعين وقته. وفيه علم التبديل والتحويل في الصور مع بقاء العين وهل ينتقل الاسم بانتقال الحال أم لا؟ وفيه علم ترتيب الكتب الإلهية مع أن الكلام واحد في نفسه، وكيف ينسب للمتأخر التقدم على من هو متأخر عنه؟ وفيه علم ما تعطيه العبادة من العلوم. وفيه علم عموم رحمة المخلوق وهو من أسنى العلوم وأخفاها. وفيه علم ما يمكن أن يكون فيه التساوي بين المخلوقات وبين ما لا يكون. وفيه علم التنزيه ومكانة الخلق من الحق والحق من الخلق. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والستون وثلثمائة

في معرفة منزل سرّين من عرفهما نال الراحة في الدنيا والآخرة والغيرة الإلهية

إذا ما قام شخص عن سواه بأحكام فذاك المستناب
فإن لم يستنبه وقام فيها فلا شك لديه ولا ارتياب
ولو يدعو عليه إذا تعدى لكان دعاؤه فيه يجاب
لصدق الوعد والإخلاص فيه يصيب إذا يريد ولا يصاب

هذا منزل البشرى الإلهية بالراحة التي أوجبها الاعتناء الإلهيّ بمن بشر بها من عباد الله الصالحين إلى يوم القيامة وفي القيامة، فإن الله لم يزل كل شيء عنده بالفعل في عباده ما عنده شيء بالقوّة، فوردت التعريفات الإلهية إليه بما كان لله فيه من الأفعال والأحوال ليتذكر بعقله شهوده ذلك من ربه فيه في حال عدمه لما كان عليه من الثبوت الذي أوجب له قبول التصرّف الإلهي فيه، وبتلك الحالة الثبوتية امتثل أمر الحق بالتكوين، فإن الأمر لا يرد إلا على متصف بالسمع، فالقول الإلهيّ لم يزل والسمع الثبوتي لم يزل، وما حدث إلا السمع الوجودي الذي هو فرع عن السمع الثبوتي، فانتقلت الحال على عين السمع ما انتقل السمع، فإن الأعيان لا تنقلب من حال إلى حال وإنما الأحوال تلبسها أحكاماً فتلبسها، فيتخيل من لا علم له أن العين انتقل، فالأحوال تطلب الأسماء الإلهية لا أن الأعيان هي الموصوفة بالطلب، ويحدث للأعيان أسماء وألقاب بحسب أحكام الأحوال التي تنقلب عليها، ولولا الأحوال ما تميزت الأعيان فإنه ماثم إلا عين واحدة تميزت بذاتها عن واجب الوجود كما اشتركت معه في وجوب الثبوت فله تعالى وجوب الثبوت والوجود، ولهذه العين وجوب الثبوت فالأحوال لهذه العين كالأسماء الإلهية للحق فكما أن الأسماء للعين الواحدة لا تعدد المسمى ولا تكثره كذلك الأحوال لهذه العين لا تعددها ولا تكثرها مع معقولية الكثرة والعدد في الأسماء والأحوال، وبهذا صح لهذه العين أن يقال فيها أنها على الصورة أي على ما هو عليه الأمر الإلهيّ، فحصل لهذه العين الكمال بالوجود الذي هو من جملة الأحوال التي تقلبت عليها فما نقصها من الكمال إلا وهو نفي حكم وجوب الوجود

Marfat.com

للتمييز بينها وبين الله إذ لا يرتفع ذلك ولا يصح لها فيه قدم، وله تمييز آخر وذلك أن الحق يتقلب في الأحوال لا تتقلب عليه الأحوال لأنه يستحيل أن يكون للحال على الحق حكم بل له تعالى الحكم عليها فلهذا يتقلب فيها ولا تتقلب عليه ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فإنها لو تقلبت عليه أوجبت له أحكاماً، وعين العالم ليس كذلك تتقلب عليه الأحوال فتظهر فيها أحكامها وتقليبها عليها بيد الله تعالى.

فأما تقليب الحق في الأحوال فمعلوم بالنزول والاستواء والمعية والضحك والفرح والرضى والغضب، وكل حال وصف الحق به نفسه فهو سبحانه يتقلب فيها بالحكم، فهذا الفرق بيننا وبين الحق وهو أوضح الفروق وأجلاها فوقعت المشاركة في الأحوال كما وقعت في الأسماء لأن الأسماء هي أسماء الأحوال ومسماها العين، كما أنه لها الأسماء بنسبة غير هذه النسبة ومسماها الحق فهو السميع البصير العالم القدير، وأنت السميع البصير العالم القدير، فحال السمع والبصر والعلم والقدرة لنا وله بنسبتين مختلفتين فإنه هو هو ونحن نحن، فلنا آلات ونحن له آلات، فإن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، وقال: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ والآلة رسول الله ﷺ فالتقلب للحق في الأحوال لإظهار أعيانها كتقلب الواحد في مراتب الأعداد لإظهار أعيانها.

واعلم أن هذا المنزل ما سمي منزل سرّين إلا لسرّ عجيب وهو أن الشيء الواحد تثنيه نفسه لا غيره في المحسوس والمعقول فأما في المحسوس فآدم ثناه ما فتح في ضلعه القصير الأيسر من صورة حواء فكان واحداً في عينه فصار زوجاً بها وليست سوى نفسه التي قيل بها فيه أنه واحد، وأما في المعقول فالألوهية ليست غير ذاته تعالى، ومعقول الألوهة خلاف معقول كونه ذاتاً فثنت الألوهة ذات الحق وليست سوى عينها، فكما بث في الحس من آدم ومن ثناه من ذاته رجالاً كثيراً ونساء على صورة الزوجين، كذلك بث من ذات الحق تعالى وكونه إله العالم على صورة هذين المعقولين، فالعالم خرج على صورة مؤثر ومؤثر فيه للتوالد أي لتوالد أجزائه، فإن الألوهة حكم للذات فيها حكمت بإيجاد العالم فلما أثرت الحكم بإيجاد العالم لذلك ظهر العالم بصورة من أوجده بين مؤثر ومؤثر فيه كما جرى في المحسوس، فإن الله ما خلق من آدم وحوّاء أرضاً ولا سماء ولا جبلاً ولا غير نوعه بل ما خلق منهما إلا مثلهما في الصورة والحكم:

Marfat.com

إن التي كان الوجود بكونها ذات يقدس لفظها معناها
إني لأهواها وأهوى قربها مني وأهوى كل من يهواها
ليلى ولبنى والرباب وزينب أتراب من حبي لها محياها
لو مت مات وجودها بمماتنا فوجودنا عين لها وسواها
عجباً لنا ولها فإن وجودنا فرد فلا ثان فمن ثناها

ولما كان الأصل واحداً وما ثناه سوى نفسه ولا ظهرت كثرة إلا من عينه، كذلك كانت له في كل شيء من العالم آية تدل على أنه واحد، فالكون كله جسم وروح بهما قامت نشأة الوجود، فالعالم للحق كالجسم للروح، وكما لم يعرف الروح إلا من الجسم، فإنا لما نظرنا فيه ورأينا صورته مع بقائها تزول عنها أحكام كنا نشاهدها من الجسم وصورته من إدراك المحسوسات والمعاني فعلمنا أن وراء الجسم الظاهر معنى آخر هو الذي أعطاه أحكام الإدراكات فيه فسمينا ذلك المعنى روحاً لهذا الجسم، فكذلك ما علمنا أن لنا أمراً يحرّكنا ويسكننا ويحكم فينا بما شاء حتى نظرنا في نفوسنا فلما عرفنا نفوسنا عرفنا ربنا حذوك النعل بالنعل، ولهذا أخبر في الوحي بقوله: «من عرف نفسه عرف ربه» وفي الخبر المنزل الإلهيّ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ فما ظهر العالم عن الله إلا بصورة ما هو الأمر عليه وما في الأصل شرّ فإلى من تستند الشرور والعالم في قبضة الخير المحض وهو الوجود التام، غير أن الممكن لما كان للعدم نظر إليه كان بذلك القدر ينسب إليه من الشرّ ما ينسب إليه فإنه ليس له من ذاته حكم وجوب الوجود لذاته، فإذا عرض له الشرّ فمن هناك ولا يستمر عليه ولا يثبت فإنه في قبضة الخير المحض والوجود.

ثم من تمام المعرفة الموضوعة في العلم بالله أن للجسم في الروح آثاراً معقولة معلومة لما يعطيه من علوم الأذواق وما لا يمكن أن يعلمها إلا به وأن الروح له آثار في الجسم محسوسة يشهدها كل حيوان من نفسه، كذلك العالم مع الحق لله فيه آثار ظاهرة وهي ما يتقلب فيه العالم من الأحوال وذلك من حكم اسمه الدهر، وأخبر الحق سبحانه أن للعالم من حيث ما كلفه آثاراً لولا تعريفه إيانا بها ما عرفناها، وذلك أنه إذا اتبعنا رسوله فيما جاءنا به من طاعة الله أحبنا وأرضيناه فرضي عنا، وإذا خالفناه ولم نمتثل أمره وعصيناه أخبرنا أنا أسخطناه وأغضبناه فغضب علينا وإذا دعوناه أجابنا، فالدعاء من أثره والإجابة من

Marfat.com

أثرنا، ذلك لتعلموا أنه ما أظهر شيئاً إلا من صورة ما هو هو، ويستحيل أن يكون الأمر إلا كذلك، وإلا فمن أين وما ثم إلا هو ولا يعطى الشيء إلا ما في قوّته، ولهذا نعت الحق لنا نفسه بنعوت المحدثات عندنا وهي في الحقيقة نعوته ظهرت فينا ثم ما عادت عليه، ونعتنا سبحانه بنعوت ما يستحقه جلاله فهي نعوته على الحقيقة، فلولا ما أوجدنا على صورة ما هو عليه في نفسه ما صح ولا ثبت أن نقبل صفة مما وصفنا بها مما هي حق له، ولا كان يقبل صفة مما وصف بها نفسه مما هي حق لنا والكل حق له فهو الأصل الذي نحن فرعه.

والأسماء أغصان هذه الشجرة أعني شجرة الوجود، ونحن عين الثمر، بل هو عين الثمر، فما لنا مثل سوى وجود هذا الشجر، ومن تمام المعرفة بالله ما أخبرنا به على لسان رسوله ﷺ من تحوّله تعالى في الصور في مواطن التجلّي وذلك أصل تقلبنا في الأحوال باطناً وظاهراً وكل ذلك فيه تعالى، وكذلك هو تعالى في شؤون العالم بحسب ما يقتضيه الترتيب الحكمي، فشأنه غداً لا يمكن أن يكون إلا في غد، وشأن اليوم لا يمكن أن يكون إلا اليوم، وشأن أمس لا يمكن أن يكون إلا في أمس، هذا كله بالنظر إليه تعالى. وأما بالنظر إلى الشأن يمكن أن يكون في غير الوقت الذي تكوّن فيه لو شاء الحق تعالى وما في مشيئته جبر ولا تحير تعالى الله عن ذلك بل ليس لمشيئته إلا تعلق واحد لا غير ومنها قوله ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ يعني منكم ومن العالم الذي هو سوانا، وإنما سمانا بالثقلين لما فينا من الثقل وهو عين تأخرنا بالوجود فأبطأنا ومن عادة الثقيل الإبطاء كما أنه من عادة الخفيف الإسراع، فنحن والجن من الثقلين، ونحن أثقل من الجن للركن الأغلب علينا وهو التراب، فالإنسان آخر موجود في العالم لأن المختصر لا يختصر إلا من مطوّل وإلا فليس بمختصر، فالعالم مختصر الحق والإنسان مختصر العالم والحق فهو نقاوة المختصر أعني الإنسان الكامل.

وأما الإنسان الحيوان فإنه مختصر العالم وله يفرغ الحق ليقيم عليه ميزان ما خلق له، فإن قوله: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ كلمة تهديد والإنسان الكامل لا يتوجه عليه هذا الخطاب غير أن في هذه الكلمة إشارة للحوق الرحمة بهما أعني الثقلين، وذلك في فتح اللام الداخلة على ضمير المخاطب في لكم وإن كان الفتح الإلهيّ قد يكون بما يسوء كما يكون بما يسرّ، ولكن رحمته سبقت غضبه، وجاء بآلة الاستقبال وهو السين وآخر درجة الاستقبال ما يؤول إليه أمر العالم من الرحمة التي لا غضب بعدها لارتفاع التكليف واستيفاء الحدود، ولما جاء بضمير الخطاب في قوله لكم وعلمنا من الكرم الإلهيّ أبداً أنه يرجح

Marfat.com

جانب السعداء وجانب الرحمة على النقيض ولهذا سمي ما يتألم به أهل الشقاء عذاباً لأن السعداء يستعذبون آلام أهل الشقاء إيثاراً لجناب الحق حيث أشركوا، فلهم في أسباب الآلام نعيم فسمى الحق ذلك عذاباً إيثاراً لهم حين آثروه فلذلك جاء بحرف الخطاب ليفتح اللام وليعلم بآلة الخطاب أنهم قوم مخصوصون لأنه لا يفقد من العالم ضمير الغائب، فلا بد له من أهل مثل قوله في السعداء: ﴿لهم جنات تجري﴾ فأتى بضمير الغائب فغابوا عن هؤلاء المخاطبين وفتح اللام فتح رحمة تعطيها قرائن الأحوال، ولهذه الأداة مراتب يعامل الحق بها عباده مثل قوله: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ ومثل قوله: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ ﴿وخلق لكم ما في الأرض﴾ ﴿وله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ فله ولنا ومع هذا فالأدب يلزمنا وبالأدب يكون أصحاب السلطان جلساء من غير انبساط لأن الشهود والانبساط لا يجتمعان، قال بعضهم: اقعد على البساط وإياك والانبساط:

إني عبدت من أمر ليس يصلح لي ... ولست أعبد من نعتي بصورته
فإنه قال هذا لم أقله أنا ... وليس سورة حالي غير سورته

فإن الدون الأدون إذا نسب إليه ما لا يقتضيه مقامه من الصفات الشريفة يأنف من ذلك لأنه هجو به، كما يأنف الشريف أن يوصف بدون ما يستحقه شرفه.

(وصل): وأمّا من قال من أصحابنا وذهب إليه كالإمام أبي حامد الغزالي وغيره بأن الفرق بين الولي والنبيّ نزول الملك فإن الولي ملهم والنبي ينزل عليه الملك مع كونه في أمور يكون ملهماً فإنه جامع بين الولاية والنبوّة فهذا غلط عندنا من القائلين به ودليل على عدم ذوق القائلين به، وإنما الفرقان إنما هو فيما ينزل به الملك لا في نزول الملك، فالذي ينزل به الملك على الرسول والنبيّ خلاف الذي ينزل به الملك على الولي التابع، فإن الملك قد ينزل على الولي التابع بالاتباع وبإفهام ما جاء به النبيّ مما لم يتحقق هذا الولي بالعلم به، وإن كان متأخراً عنه بالزمان أعني متأخراً عن زمان وجوده فقد ينزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبيّ وسقمه مما قد وضع عليه أو توهم أنه صحيح عنه أو ترك لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر، وقد ينزل عليه الملك بالبشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز وبالأمان كل ذلك في الحياة الدنيا فإن الله عز وجل يقول: ﴿لهم البشرى في

Marfat.com

الحياة الدنيا﴾ وقال في أهل الاستقامة القائلين بربوبية الله أن الملائكة تنزل عليهم قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾.

ومن أولياء الله من يكون له من الله ذوق والإنزال في التنزيل، فما طرأ ما طرأ على القائلين بخلاف هذا إلا من اعتقادهم في نفوسهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع الطرق والمقامات وأنه ما بقي مقام إلا ولهم فيه ذوق وما رأوا أنهم نزل عليهم ملك فاعتقدوا أن ذلك مما يختص به النبي فذوقهم صحيح وحكمهم باطل وهم قائلون أنه من أتى منهم بزيادة قبلت منه لأنه عدل صاحب ذوق ما عندهم تجريح ولا طعن ولا يتعدون ذوقهم، فمن هنالك وقع الغلط ولو وصل إليهم ممن تقدمهم أو كان معهم في زمانهم من أهل الله القول بنزول الملك على الولي قبلوه وما ردوه، وقد رأينا في الوقائع ممن تقدم جماعة غير قائلين بأمر ما فلما سمعوه منا قبلوه ولم ينكروه لارتفاع التهمة عنهم في أشكالهم وأمثالهم، فإن قال أحد من أهل الله من أهل الإشارات وهم أصحاب النداء على رأس البعد إنك قد قلت أنه ما من حقيقة ولا نسبة في العالم إلا وهي صادرة عن نسبة إلهية ومن نسب العالم الافتقار، وقد قال أبو يزيد وهو من أهل الكشف والوجود: إن الله قال له في بعض مشاهده معه تقرّب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار، فاعلم أيها المستفيد أن الحق تعالى له الرحمة والعفو والكرم والمغفرة وما جاء من ذلك من أسمائه الحسنى وهي له تعالى حقيقة، وكذلك له الانتقام والبطش الشديد، فهو سبحانه الرحيم العفو الكريم الغفور ذو انتقام، ومن المحال أن تكون آثار هذه الأسماء فيه أو يكون محلاً لآثارها، فرحيم بمن، وعفوّ عمن، وكريم على من، وغفور لمن، وذو انتقام ممن، فلا بد أن يقول: إن الله الخالق يطلب المخلوق والمخلوق يطلب الخالق وصفة الطالب معروفة والحاصل لا ينفي، فلا بد من العالم لأن الحقائق الإلهية تطلبه، وقد بينا لك أن معقولية كونه ذاتاً ما هي معقولية كونه إلهاً فثنت المرتبة وليس في الوجود العيني سوى العين، فهو من حيث هو غنيّ عن العالمين، ومن حيث الأسماء الحسنى التي تطلب العالم لإمكانه لظهور آثارها فيه يطلب وجود العالم، فلو كان العالم موجوداً ما طلب وجوده، فالأسماء له كالعائلة، ورب العيال يسعى على عياله، والخلق عيال الله الأبعد، والأسماء الآل الأقرب، فسأله العالم لإمكانه، وسألته الأسماء لظهور آثارها، وما يسأل إلا فيما ليس له وجود فلا بدّ من وجود العالم، والكتاب حاكم، والعلم سابق، والمشيئة محققة فمن المحال أن لا يقع، وإنما وقع التكفير في الطائفة التي

Marfat.com

قالت: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ بالمجموع فإنهم ليسوا بأغنياء عن الله وليس الحق بمتأخر عن إيجادهم ولا عن إسباغ النعم عليهم فضلاً منه ومنة لحكم كتاب سبق، قال الله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب﴾ فالحكم للكتاب ونسبة الكتاب ما هي نسبة الذات، وتعين إمضاء الحكم فيمن أمضاه، فهو للكتاب كالسادن والمتصرّف بحكم جبر المرتبة هذا تعطيه الحقائق بأنفسها وهي لا تتبدل ولو تبدلت الحقائق اختل النظام ولم يكن علم أصلاً ولا حق ولا خلق، فلو نظر العاقل في حكمة الخطاب الإلهيّ في قوله تعالى: ﴿سنكتب ما قالوا﴾ وأخذه من قوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ يريد أوجبها على نفسه لأنه ما ثم موجب إلا هو تعالى فقال: سنوجب ما قالوه فيما يرجع ضرره عليهم، وقال في تمام الآية: ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ عقوبة لقولهم، ولهذا كان تحقيق كفرهم بالمجموع فإنهم ليسوا بأغنياء فهذا روح هذه الآية.

وأما احتجاجك بما قاله لأبي يزيد فهو أيضاً عين المجموع، فلم يقل الذلة وحدها بل قال الذلة والافتقار ونسبة المجموع ليست بنسبة الأفراد، فلولا الممكن ما ظهر أثر للأسماء الإلهية والاسم هو المسمى عينه ولا سيما الأسماء الإلهية، فالوجود طالب ومطلوب ومتعلق الطلب العدم، فإما إعدام موجود وإما إيجاد معدوم، قال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ فما نفى إلا الألوهة أن تكون نعتاً لأكثر من واحد، فللأسماء الإلهية أو المرتبة التي هي مرتبة المسمى إلهاً التصريف والحكم فيمن نعت بها، فبها يتصرّف ولها يتصرّف وهو غني عن العالمين في حال تصرّفه لا بد منه، فانظر ما أعجب الأمر في نفسه، ومن هنا يعرف قول أبي سعيد الخراز أنه ما عرف الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ وأما قول اليهود في البخل: ﴿يد الله مغلولة﴾ فقال تعالى فيهم: ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ أي أبعدوا عن صفة الكرم الإلهيّ، فإن أقوالهم من أعمالهم فغلت أيديهم فوقع البخل الذي نسبوه إلى الله بهم، فما شهدوا من الله إلا ما قالوا فأذاقهم طعم ما جاؤوا به وكذبهم الله بعد ذلك في المآل فبسط عليهم الكرم بالرحمة التي وسعت كل شيء ليعرّفهم بأنهم كانوا كاذبين وهو أشد العذاب عليهم وأشد النعيم، فإنه إذا بسط عليهم الجود والكرم علموا جهلهم فتوهموه فتعذبت نفوسهم بتصوّر الحال التي كانوا عليها من الجهل بالله ويتنعمون بإزالة ذلك ووقوفهم على العلم، وعلموا أن جهلهم أورثهم الكذب على الله تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فالحكم للمشيئة فافهم وليست مشيئته غير ذاته، فأسماؤه عينه وأحكامها حكمه، وما ظهر العالم إلا بما هي عليه من القوى:

Marfat.com

فـانظـر إليـه تكنـه ولا تجـاوز حـدك
فكـل مـا هـو فيـه فـإنمـا هـو عنـدك
مـن قـدر الله حـق قـدره أظهـر أمـر الـوجـود منـه
فكـل أمـر تـراه عيـن مـن علمـه فيـه فهـو عنـه
فعينـه عيـن مـن تـراه لـذاك مـا للـوجـود كنـه

فإذا قلت الله فهو مجموع حقائق الأسماء الإلهية كلها، فمن المحال أن يقال على الإطلاق فلا بد أن تقيده الأحوال، وإن قيدته الألفاظ فبحكم التبعية للأحوال، فكلما أضيف إليه فانظر أي اسم تستحقه تلك الإضافة فليس المطلوب من الله في ذلك الأمر إلا الاسم الذي تخصه تلك الإضافة والحقيقة الإلهية التي تطلبه فلا تتعداه، وسن كان هذا حاله فقد وفى الله حقه وقدر قدره مجملاً، فإنه لا يقدر قدره مفصلاً لأن الزيادة من العلم بالله لا تنقطع دنيا ولا آخرة فالأمر في ذلك غير متناه، ألم تر أن الله تعالى بعث موسى عليه السلام برسالة إلى فرعون كان من جملتها أن يقول له إذا قال له فرعون: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ يعني ما أوجبه على نفسه من ذلك فما كتبها في اللوح المحفوظ إلا ليعلم من ليس من شأنه أن لا يعلم إلا بالإعلام، لا ليتذكر ما أوجبه على نفسه مما تستقبل أوقاته في المدد الطائلة، فإنه سبحانه لا يضل ربي الذي جئتك من عنده لأدعوك إلى عبادته ولا ينسى. وقال تعالى عن نفسه: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ وما نسوه على الإطلاق فما ينساهم على الإطلاق وإنما ينساهم فيما نسوه فيه مما لو علموا به نالتهم الرحمة من الرحيم بذلك، فلما نسوه نسيهم الرحيم، إذ تولاهم الاسم الإلهيّ الذي كانوا في العمل الذي يدعو ذلك الاسم إليه، فإذا انقضى عدل ميزانه فيه زال النسيان إذ لا بد من زواله عند كشف الغطاء عند الموت في الدنيا فلا يموت أحد من أهل التكليف إلا مؤمناً عن علم وعيان محقق لا مرية فيه ولا شك من العلم بالله والإيمان به خاصة هذا هو الذي يعم، فلا بأس أشد من الموت وما بقي إلا هل ينفعه ذلك الإيمان أم لا، أما في رفع العقوبة عنهم فلا إلا من اختصه الله مثل قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ ثم قال وهو موضع استشهادنا: ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وأما الاستثناء فقوله تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ فلا حكم على الله في خلقه، وأما نفع ذلك الإيمان في المآل فإن ربك فعال لما يريد وأنه

Marfat.com

يقول تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فهذا قوله عهده إلينا في كتابه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام:

فقــد أن الحــق فيمــا أتــى بــه ... رسول إلى قلبي من الملأ الأعلى
فـأخبرني بـالأمر مـن نصفـه فمـا ... أقـول بـأحرى في الأمور ولا أولى
بـل الأمـر فيـه واحـد ليـس غيره ... فمـن عـالـم يبلي ومن عـالم يبلى
وذلــك فــرقــان يبيــن دليلــه ... وليــس بقــرآن علــى قلبنــا يتلــى
وإن كـان قـول الله فـي كـل حـالـة ... عليّ إذا مـا جئت حضـرتـه يملـى
وخلقــي عجيــب لا يــزال مجــدداً ... ومــا مـر منـه لا يـزال ولا يبلــى
فحكم الحكيم الحق في الخلق ظاهر ... فسبحان من أعمى وسبحان من أجلى
لقــد جــاد لــي إنعــامــه بشهــوده ... وقــد خصنـي منـه بمـورده الأحلـى

فمن اتقى الله جعل له فرقاناً. وإن كان في عين القرآن العزيز الذي هو الجمع من قريت الماء في الحوض إذا جمعته فما كل فرقان قرآن وكل قرآن فرقان:

فعين الجمع عين الفرق فـانظر ... بعينــك لاجتمــاع فــي افتــراق
فليس المثل عين المثل فـاحكـم ... عليــه بــالفــراق وبــالتــلاق
وإن شئنــا إذا فكــرت فيــه ... حكمنــا بــالنكــاح وبــالطــلاق
فلــولا الحــق مــا كــان اتســاق ... فســاق الحــق ملتــف بســاقــي
وعنــد شــرودنــا عنــه دعــانــي ... لا علـم أن فـي العقبـى مسـاقـي
إليــه فــي جســوم مــن نبــات ... فـإن طبنـا فمسـك فـي حقـاق

﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ فتميز الواحد عمن ثناه فانفرد كل فريق بأحديته وجمعيته، فمنهم من تأنّس بانفراده بفرديته وأحديته، ومنهم من استوحش في انفراده بفرديته وأحديته فتلك عند العارفين وحشة الحجاب:

فــأيّ نعيــم لا يكــدره الــدهــر ... ولله فيمــا قلتــه الخلــق والأمــر
فلـولا وجـود الحـق مـا كـان خيره ... ولولا وجودي لم ير في الورى الشر
ولســت ســواه لــو تســر حقيقتــي ... ولكنــه أخفــى فشــأنــي لــه ستــر
فمــن يتحقــق صــورتــيّ فــإنــه ... يلـوح لـه مـن نشـأتـي الـدرّ والـدرّ

Marfat.com

فـدر لأحجـار تنـافـس نشـأتـي ... وللعلـم منهـا مـا يجـود بـه الـدر
فـإن كنـت ذا عقـل تبيـن حكمـه ... وإن كنـت ذا عيـن فقـد رفـع الستـر
فـإن شئـت فـاشـربـه رحيقـاً مختمـاً ... وإن لـم تشـأ خمـراً فمشربـك المـزر
فسبحـان مـن أحيـا الفـؤاد بـذكـره ... ولـو لـم يكُـن ذكـر لقـام بـه الفكـر

واعلم أيدك الله بروح منه أني ما رأيت ثبوت العلم على صورته لا يتغير إلا في هذا المنزل فأورثني الطمأنينة فيما علمت أنه لا يزول، وأن الشبه لا تزلزله، وأن الشبهة إذا جاءت لمن شاهد هذا الأمر في هذا المنز، رآها شبهة لا يمكن أن تتغير له عن صورتها، بخلاف من ليس له هذا المنزل فإنه يتزلزل ويؤديه ذلك التزلزل إلى النظر فيما كان قد قطع أنه يعلمه، ولا يعرف هل العلم الأول كان شبهة أو هل الشهود شبهة أو هل الأمران شبهة؟ فيحار، وذلك أنه ليس هو في علمه بالأمور على بصيرة لأنه ولدها بفكرة، فإذا جاءت الأمور بأنفسها لا بجعلك وإنشائك أعطتك حقائقها فعلمتها على ما هي عليه، ويتعلق بهذا المنزل آيات كثيرة من القرآن العزيز، ولو بسطنا الكلام فيها لطال المدى، فلنذكر منها بعض آيات لا كلها ولا أشرحها، وإنما أنبه عليها للعقول السليمة والأبصار النافذة، فمن ذلك: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ ومنها: ﴿له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ في سورة التغابن. ومنها: ﴿وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك﴾ ومنها: ﴿ويل للمطففين﴾ ومنها: ﴿فويل للمصلين﴾ ومنها ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث وقع، ومنها: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ ومنها: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ توطئة لسعادتهم، ومنها: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ فصدر بهذه الآية ليعلم بما هو الأمر عليه بالنسبة إليه، ومنها: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ فاكتفى بالخبرة عن العلم إذ كانت كل خبرة علماً، ومنها: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ فجاء بحرف امتناع لامتناع، ومنها: ﴿ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ ومنها: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ ومنها: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ ومنها: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ الآية، ومنها: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ ومنها: ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ ومنها: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الآية، ومنها: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ ومنها: ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ ومنها: ﴿أفمن يمشي مكباً

Marfat.com

على وجهه أهدى﴾ وهو الذي سقط على وجهه في النار من الصراط وهو من الموحدين، ومنها: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ ومنها: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ أي تعجبا: ومنها ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ ومنها: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فتدبر منازل هذه الآيات وأمثالها، ومن هنا تعرف قوة الألف واللام اللتين للعهد والتعريف والجنس وإلحاق لام ألف بالحروف والحروف على قسمين: حروف هجاء وهي الحروف الأصلية وحروف معاني وكلاهما في الرقم بالوضع وفي اللفظ بالطبع في الإنسان وكلها منك وفيك، وما ثم أمر خارج عنك فلا ترجو أن تعرف نفسك بسواك فإنه ما ثم فأنت دليل عليك وعليه وما ثم من هو دليل عليك:

مـــن ذا الــذي تــرتجيــه بعــدك   وأنــت فــي الحــالتيــن وحــدك

فــانظــر إليــه بــه تكــن هــو   فكــل مـــا فيـــه فهـــو عنـــدك

وفي هذا المنزل من العلوم: علم ما للأسباب في المسببات من الأحكام وتفصيل الأسباب وهل العالم كله أسباب بعضه لبعضه؟ وهل من الأسباب ما يكون عدماً وهو سبب مثل النسب كتعلقات المعاني الموجبة أحكاماً بتعلقها. وفيه علم ما ثبت لله من الأحكام عقلاً وشرعاً. وفيه علم ما فائدة الأخبار في المخير المعقول وما الأخبار التي تفيد علماً من التي تفيد ظناً أو غلبة ظن من الأخبار التي تفيد حيرة من الأخبار التي تقدح في الأدلة النظرية لقدحها في العلم. وفيه علم الخلق عيال الله هل معناه معنى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ وفيماذا يكون الفقر مع كونهم موجودين وعلمهم من الحق أنهم لا يعدمون بعد وجودهم وإنما هو تقلب أحوال عليهم، فمن حال يزول وحال يأتي والزائل يعطي زواله حكماً والآتي يعطي إتيانه حكماً، والمحكوم عليه بالحكمين واحد العين كالقائم يقعد فالقعود آت والقيام زائل، فحكم زوال القيام كونه ليس بقائم وهو عين حكم القعود ويزيده القعود أحكاماً لم تفهم من زوال القيام قد صار إليها وهي أنه ليس بمضطجع ولا راكع ولا ساجد ولا منبطح وفيه علم ما حكمة استفهام العالم عما يعلم. وفيه علم لماذا يرجع ما يدركه البصر من تحول العين الواحد في الصور في نظر الناظر هل هي في نفسها على ما يدركها البصر أو هي على ما هي عليه في نفسها لم تنقلب عينها؟ وهذا راجع إلى ما يرى من الأعيان ويحكم عليها بأنها أعيان هل تكثرت بأعراض أو بجواهر؟ فإن الصور تختلف في

Marfat.com

النظر دائماً، وكل منظور إليه بالبصر من الأجسام جسم فالجسمية حكم عام، ونرى فيها صوراً مختلفة منها ما يكون سريع الزوال، ومنها ما يبطىء في النظر والجسم جسم لم يتبدل وليس الموصوف بما ظهر إلا الجسم، وكذلك الصور الروحانية والتجلي الإلهي وهذا علم فيه إشكال عظيم، والتخلص منه بطريق النظر الفكري عسير جداً.

وفيه علم ما للنائب من الشروط أن يشترطها على من استخلفه مع علمه بأنه مقهور في إقامته نائباً فهل اشتراطه مؤذن بجهله بمن استخلفه أو بنسيانه فيذكره أو يعلمه بمصالحه أكثر من علم من استخلفه بها وينفتح في هذا الاشتراط أمور هائلة تقدح أو يعلم النائب أن من استخلفه يريد منه أن يسأله فيما اشترط عليه ليريه فقره إليه ذوقاً إذ لو كان للنائب الاستقلال بما طلبه في شرطه ما اشترطه. وفيه علم تعرض النائب لمن استخلفه بالرشاء وما يقبل من الرشاء وما لا يقبل. وفيه علم إجابة المستخلف النائب في كل ما يسأله من مصالحه. وفيه علم أن في الطعن على المستخدمين تسفيه من استخدمهم وهو علم خطر جداً ولذلك نهى عن الطعن على الملوك والخلفاء وأخبرنا أن قلوبهم بيد الله إن شاء قبضها عنا وإن شاء عطف بها علينا، وأمرنا أن ندعو لهم وأن وقوع المصلحة بهم في العامة أكثر من جورهم، وما حكمة جورهم مع كونهم نواب الله على الحقيقة في خلقه سواء كانوا كفاراً أو مؤمنين وعادلين أو جائرين ما يخرجهم ذلك عن إطلاق النيابة عليهم، فهل إذا جار النائب انعزل فيما جار فيه من النيابة أو انعزل على الإطلاق من النيابة ثم جدد الحق له نيابة أخرى مجددة.

وفيه علم تعداد النعم من المنعم على المنعم عليه هل هو منّ قادح أو هل هو تعريف ليعلم قدر ذلك لما طلب منه من الشكر عليها؟ أو هل هو عقوبة لأمر وقع منهم؟ أو هل تسوغ فيه مجموع هذه الوجوه كلها؟ وفيه علم الرفق في التعليم في مواطن والإغلاظ في مواطن. وفيه علم من أين جئت وإلى أين تروح وهل ثم رجوع على الحقيقة أم لا؟ أو هو سلوك أبداً قدماً لا رجوع فيه، والرجوع للمعقول والمحسوس في العالم لأية نسبة إلهية يرجع وهل وصف الحق بالرجوع على ما قلناه في الرجوع أم لا؟ فإن الحقائق تأبى أن يكون ثم رجوع. وفيه علم الفرق بين وصف النفوس الناطقة بالعقول والنهي والأحكام والألباب وأمثال هذه الألقاب لماذا يرجع. وفيه علم ما حكمة إقامة الدليل لمن لا يعلم أن ذلك دليل وهو يعلم أنه عالم بهذه الصفة فهل هو عينه مقصود بذاك الدليل أو غيره فيكون فيه ناقلاً فينتفع به ويقبله من يصل إليه من نقل هذا الذي لم يعلم أن ذلك دليل وهذا يقع كثيراً وهو

Marfat.com

قول النبيّ ﷺ: «رب حامل فقه ليس بفقيه» فإذا حمله ونقله إلى فقيه قبله ذلك الفقيه واستفاد به علماً لم يكن عنده والناقل لا علم له بشيء من ذلك.

وفيه علم تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه سبب. وفيه علم لم أمر الشارع بقتل الساحر ولماذا سمي كافراً؟ ولما علم فرعون صدق موسى عليه السلام وأضمر الإيمان في نفسه الذي أظهره عند غرقه حين رأى البأس هل قتل من قتل من السحرة الذين آمنوا لكونهم سحرة فقتلهم شرعاً في باطن الأمر ولإيمانهم في ظاهر الأمر وإذا قتل الساحر هل ذلك القتل كفارة له وجزاء على سحره ولم يبق عليه من جهة ذلك السحر في الآخرة مطالبة فيه من الحق سبحانه وتعالى أم لا مطالبة عليه فيه من الله؟ وفيه علم تفاضل المقرّبين عند الله بماذا فضل بعضهم بعضاً. وفيه علم قول النبيّ ﷺ في ابتلاء المؤمن بالرزايا والمصائب أن له خيراً في ذلك كه، ولماذا كان أهل الله في الدنيا أشد بلاء من سواهم؟ ولماذا يرجع اقتضاء ذلك في حقهم دون غيرهم من الناس المؤمنين؟ وفيه علم لماذا جبلت النفوس على حب المال ولا سيما الذهب هل لحيازته درجة الكمال المعدني فوقعت المناسبة بين الكاملين أو هل لما فيه من قضاء حوائجهم فهم فقراء إليه لوصولهم به إلى أغراضهم وقول عيسى عليه السلام: «قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فمن اكتنز ماله فقد دفن قلبه في أرض طبيعته فلا يلتذ بمشاهدة أبيه الذي هو الروح الإلهي أبداً» ومثل هذا يكون ابن أمه وإن كان له أب ولكن لا ينسب إليه كعيسى ابن مريم عليهما السلام ينسب إلى أمه وما وهبه لها إلا جبريل عليه السلام لما تمثل لها بشراً سوياً وأعلمها ومع هذا فما نسب إلا إلى البقعة الجسمية مع كونه يحيي الموتى من حيث ما هو من هبات الروح الأمين.

وفيه علم الغيرة الإلهية وممن زاحمه في الاسم الخاص الذي به شرفه. وفيه علم متى يتعين إجابة السائل فيما سأل إذا سأل ومن سأل بالحال هل يتعين إجابته بالحال فيكون الجواب مطابقاً للسؤال. وفيه علم وضع من ارتفع بنفسه وانحطاط من تطاول فوق قدره. وفيه علم فائدة الموعظة ولو كفر بها فإن لها أثراً في الباطن عند السامع وإن لم يظهر ذلك فإنه يحس به من نفسه. وفيه علم من أراد كيداً فصادف حقاً فهو عنده كذب ثم أسفرت العاقبة أنه صدق في نفس الأمر ولكن لا علم له بذلك. وفيه علم الأوقات وما تعامل به عقلاً وشرعاً عند السليم الفكر. وفيه علم تعيين مكارم الأخلاق. وفيه علم أن العلم بما لا يعلم أنه لا يعلم العلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والستون وثلثمائة

في معرفة منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله على الأكوان وهو من الحضرة المحمدية

مرتبة الخمسة معروفة تحفظ ما جاوزها من عدد
تحفظ ذكر الله من رحمة قامت بها ليس لها مستند
سوى الذي يحفظ أعياننا وهو الإله المتعالي الصمد
جميع ما في الكون من خلقه له إذا يدعوه عبدي سجد
لولاه لم نوجد بأعياننا مع كونه سبحانه لم يلد
فهو مع الكثرة في حكمه لم تنتف عنه صفات الأحد
لولا وجود الكثر في حكمه لما بدا منه وجود العدد
فهو وحيد العين في ملكه وحكمه في كونه مستند
لما حملناه على كوننا من نفسنا من فضله ما عبد
عز فما يدركه غيره وجل أن يبقى بحكم المدد
سبحانه من ملك قاهر قد قهر الكل وأهل العدد
ليس على غير من أكوانه لكل من يعرفه معتمدا
من أزل صح له حكمنا كذاك أيضاً حكمه في الأبد

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله لما سمى نفسه بالظاهر والباطن اقتضى ذلك أن يكون الأمر الوجودي بالنسبة إلينا بين جلي وخفي، فما جلاه لنا فهو الجلي وما ستره عنا فهو الخفي، وكل ذلك له تعالى جلي، قال رسول الله ﷺ في دعائه: **«اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك»** وهو الجلي عند من علمه الله إياه والخفي عمن لم يعلمه، ثم قال: **«أو استأثرت به في علم غيبك»** فهذا خفي عما سوى الله فلا يعلمه إلا الله، فإنه تعالى يعلم السرّ وهو ما بينه وبين خلقه وأخفى وهو ما لا يعلمه إلا هو مثل مفاتح الغيب التي عنده لا يعلمها إلا هو فهو عالم الغيب وهو الخفي، والشهادة وهو

Marfat.com

الجلي، وما أوجده من الممكنات وهو الجلي أيضاً، وما لم يوجده منها وهو الخفي أيضاً، ولا يخلو العالم من هاتين النسبتين دنيا ولا آخرة، فالمزيد الواقع من العالم في العالم فهو من الخفي والمزيد لا يزال فالعالم مزيد خارج من الخفاء إلى الجلا لا يزال، فالجلي من سؤال السائلين إنما يسمعه الحق من الاسم الظاهر، والخفي منه يسمعه من الاسم الباطن، فإذا أعطاه ما سأل فالاسم الباطن يعطيه للظاهر والظاهر يعطيه للسائل، فالظاهر حاجب الباطن والجلي حاجب الخفي، كما أن الشعور حاجب العلم.

واعلم أن الله عز وجل يعامل عباده بما يعاملونه به فكأنه تعالى يحكم التبعية لهم وإن كان ابتداء الأمر منه ولكن هكذا علمنا وقرر لدينا فإنا لا ننسب إليه إلا ما نسبه إلى نفسه ولا يتمكن لنا إلا ذلك، فمن حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وقوله ﷺ في الصحيح: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» وقوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقوله سبحانه: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»:

فلا يكون العبد في حالة ... إلا يكون الحق في مثلها
وكلها منه ولكنه ... كذا أتانا الحكم في شكلها

فكل مخالف أمر الحق فإنه يستدعي بهذه المخالفة من الحق مخالفة غرضه، ولذلك لا يكون العفو والتجاوز والمغفرة من الحق جزاء لمخالفة العبد في بعض العبيد، وإنما يكون ذلك امتناناً من الله عليه، فإن كان جزاء فهو جزاء لمن عفا عن عبد مثله وتجاوز وغفر لمن أساء إليه في دنياه فقام له الحق في تلك الصفة من العفو والصفح والتجاوز والمغفرة مثلاً بمثل يداً بيدها وهذا ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم**» فما نهى الله عباده عن شيء إلا كان منه أبعد، ولا أمركم بكريم خلق إلا كان الحق به أحق.

واعلم أن هذا المنزل هو منزل الميراث المعنوي وهو منزل الشريعة وكون الحياة شرطاً في جميع وجود النسب المنسوبة إلى الله، وهذه النسبة أوجبت له سبحانه أن يكون له اسمه الحي، فجميع الأسماء الإلهية موقوفة عليه ومشروطة به حتى الاسم الله فالاسم الله هو المهيمن على جميع الأسماء التي من جملتها الحي، ونسبة الاسم الحي لها المهيمنية على جميع النسب الأسمائية حتى نسبة الألوهة التي بها تسمى الله، قال ﷺ: «**العلماء ورثة**

Marfat.com

الأنبياء» وما ورثوا ديناً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر، وقال: «نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ما تركنا صدقة» يعني الورث أي ما يورث من الميت من المال فلم يبق الميراث إلا في العلم والحال والعبارة عما وجدوه من الله في كشفهم وأهل النظر في نظرهم وهؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله لعلمهم بأنه يعلم حركاتهم وسكناتهم على التعيين والتفصيل، فإنه الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وفي جميع أحوالك، فأبان ﷺ أن الأنبياء لهم التقدم فإنهم لا يورثون حتى ينقلبوا إلى الله من هذه الدار، فكل ما يناله المتبع لنبي خاص في حياته فإنه إنعام من ذلك النبي لا ميراث، وكل ما ناله من نبي قد مات فذلك علم موروث، فكل وارث علم في زمان فإنما يرث من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام لا من تأخر عنه، فوراثة عالم كل أمة كانت لنبي قبل رسول الله فوراثة جزئية، وهذه الأمّة المحمدية لما كان نبيها محمد ﷺ آخر الأنبياء وكانت أمّته خير الأمم صح للوارث منهم أن يرثه ويرث جميع الأنبياء عليهم السلام، ولا يكون هذا أبداً في عالم أمّة متقدمة قبل هذه الأمة، فلهذا كانت أفضل أمّة أخرجت للناس لأنها زادت على الوارثين بأمر لم ينله إلا هذه الأمة فكل وارث نبيّ فعلمه من فيض نور من ورثه من الله ونظره سبحانه إلى أنبيائه أتم النظر فعلم الوراثة أتم العلوم، وكل علم لا يكون عن ورث فإنه ليس بعلم اختصاص كعلم أصحاب الفترات فإن علمهم ليس بعلم وراثة وإن كانوا علماء ولكنهم لم يكونوا متبعين لنبيّ لأنه لم يبعث إليهم وليسوا بأنبياء فما كان لهم من الله نظرة الأنبياء، فنزلوا عن درجة الورثة في العلم وعلموا أن لله أنبياء.

وأما الذين لا يقرّون بالأنبياء ولا بالنبوّة على ما هي عليه في نفسها ويرون أن مسمى الأنبياء إنما هو لمن صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات الطبيعية والتزم مكارم الأخلاق العرفية وإنه إذا كان بهذه المثابة انتقش في نفسه ما في العالم العلويّ من الصور بالقوّة فنطق بعلم الغيوب وليست النبوّة عندنا ولا هي في نفسها كذلك ولا بد، وقد تكون في بعض الأشخاص على ما قالوه ولكن مع جواز ما ذكروه من نقش ما في العالم من الصور بالقوّة في نفس هذا الشخص مما وقع في الوجود ولا يقع في جزئيات الأمور، فإن الذي في حركات الأفلاك وسباحة الكواكب وفي السموات من العلوم التي تكون من آثارها لا علم لها بذلك من كوكب وسماء وفلك وملك فيعرف هذا الشخص منها ما لا تعرف من نفسها، وما ذكر عن أحد من نبيّ ولا حكيم أنه أحاط علماً بما يحوي عليه حاله في كل نفس نفس إلى

Marfat.com

حين موته بل يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً، مع علمنا أن الله عز وجل أوحى في كل سماء أمرها، وأن الله قد أودع اللوح المحفوظ علمه في خلقه بما يكون منهم إلى يوم القيامة.

ولو سئل اللوح ما فيك أو ما خط القلم فيك من علم الله عز وجل ما علم، فإن الله أودع ذلك كله في نظره لمن هو دونه، ولا يعلم ما يكون عن ذلك النظر من الأثر إلا الله، فإن الأثر ما يظهر عن النظر بل عن استعداد القابل ولهذا قال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ فانظر في لمحة البصر الواحد ما تدرك من المنظورات، وهذا الأمر وإن كان واحدة فإنه بالوجود مختلف لاختلاف القوابل في الاستعداد فلا يعلم الأمور على التفصيل إلا الله وحده ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وكل صاحب مجاهدة وخلوة وتصفية نفس على غير شريعة ولا مؤمن بها على ما هي عليه في نفسها، فإن العلم الذي يكون عليه ويجده عند هذا الاستعداد ليس بعلم ميراث ولا للحق إليه نظر نبويّ، بل غايته أن يتلقى من الأرواح الملكية بقدر ما هو عليه من المناسبة، ومن الله على قدر ما أعطاه نظره الفكريّ لأنه لا كشف له ألبتة من الله لأن ذلك من خصائص الأنبياء عليهم السلام ومتبعيهم لا من قال بهم ولم يتبع واحداً منهم على التعيين من أصحاب التعريف ولا عمل عملاً في زمان الفترة لقول نبيّ، وإن وافق بعمله عمل نبيّ لكنه غير مقصود له الاتباع فإن الإلقاء إليه دون الإلقاء إلى الوارث العامل على ذلك لقول ذلك النبيّ، وبين العلمين بون عظيم، وتمييز ذوقيّ مشهود جعلنا الله وإياكم من الوارثين.

وكل من أظهر اعتقاد النبوّة وصرف ما جاءت به من الأحكام الظاهرة إلى معان نفسية لم تكن من قصد النبيّ بما ظهر عنه ما اعتقدته العامة من ذلك فإنه لا يحصل على طائل من العلم، ومن اعتقد فيما جاء به هذا النبيّ أنه في الظاهر والعموم على ما هو عليه حق كله، وله زيادة مصرف آخر مع ثبوت هذه المعاني، فجمع بين الحس والمعنى في نظره فذلك الوارث العالم الذي شاهد الحق على ما هو عليه وهذا لا يحصل إلا بالتعمل، وليس معنى التعمل أن يقول هذا الذي ليس له هذا الاعتقاد ثم يسمع به مني أو من غيري فيقول: أنا أعتقده وأربط نفسي به، فإن كان ما قاله حقاً فأنا له، وإن لم يكن فما يضرّني، فمثل هذا لا ينفعه ولا يفتح له فيه لأنه غير مصدّق به على القطع بل هو صاحب تجربة، وأين الإيمان من الشك والتجربة، فهذا أعمى البصيرة ناقص النظر، فإنه لو صح منه النظر الفكريّ في الأدلة لعثر على وجه الدلالة فانقدح له المطلوب وأسفر له عن الأمر على ما هو عليه، كما أسفر لغيره ممن وفى النظر حقه، فإنه إذا وفى الناظر نظره حقه لزمه الإيمان ملازمة الظل

Marfat.com

للشخص لأنهما مزدوجان، فإنه يطلع بعين الدليل على رتبة هذا المسمى بالنبيّ والشارع عند الله، فمن المحال أن يشهده ذوقاً ولا يتبعه حالاً هذا ما لا يتصوّر، ولقد آمنا بالله وبرسوله وما جاء به مجملاً ومفصلاً مما وصل إلينا من تفصيله وما لم يصل إلينا أو لم يثبت عندنا، فنحن مؤمنون بكل ما جاء به في نفس الأمر أخذت ذلك عن أبويّ أخذ تقليد ولم يطخر لي ما حكم النظر العقلي فيه من جواز وإحالة ووجوب، فعملت على إيماني بذلك حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت، وكشف الله عن بصري وبصيرتي وخيالي فرأيت بعين البصر ما لا يدرك إلا به، ورأيت بعين الخيال ما لا يدرك إلا به، ورأيت بعين البصيرة ما لا يدرك إلا بها فصار الأمر لي مشهوداً والحكم المتخيل المتوهم بالتقليد موجوداً، فعلمت قدر من اتبعته وهو الرسول المبعوث إليّ محمد ﷺ وشاهدت جميع الأنبياء كلهم من آدم إلى محمد عليهم السلام.

وأشهدني الله تعالى المؤمنين بهم كلهم حتى ما بقي منهم من أحد ممن كان ويكون إلى يوم القيامة خاصهم وعامهم، ورأيت مراتب الجماعة كلها فعلمت أقدارهم واطلعت على جميع ما آمنت به مجملاً مما هو في العالم العلويّ وشهدت ذلك كله، فما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن إيماني، فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبيّ ﷺ لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت بين الإيمان والعيان وهذا عزيز الوجود في الأتباع، فإن مزلة الأقدام للأكابر إنما تكون هنا إذا وقعت المعاينة لما وقع به الإيمان، فتعمل على عين لا على إيمان فلم يجمع بينهما، ففاته من الكمال أن يعرف قدره ومنزلته، فهو وإن كان من أهل الكشف فما كشف الله له عن قدره ومنزلته فجهل نفسه فعمل على المشاهدة والكامل من عمل على الإيمان مع ذوق العيان وما انتقل ولا أثر فيه العيان وما رأيت لهذا المقام ذائقاً بالحال، وإن كنت أعلم أن له رجالاً في العالم لكن ما جمع الله بيني وبينهم في رؤية أعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم فقد يمكن أن أكون رأيت منهم وما جمعت بين عينه واسمه، وكان سبب ذلك أني ما علقت نفسي قط إلى جانب الحق أن يطلعني على كون من الأكوان ولا حادثة من الحوادث، وإنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ولا يستعملني فيما يباعدني عنه، وأن يخصني بمقام لا يكون لمتبع أعلى منه، ولو أشركني فيه جميع من في العالم لم أتأثر لذلك فإني عبد محض لا أطلب التفوق على عباده، بل جعل الله في نفسي من الفرح أني أتمنى أن يكون العالم كله على قدم واحدة في أعلى المراتب، فخصني الله بخاتمة أمر لم يخطر لي ببال، فشكرت الله تعالى بالعجز عن شكره مع توفيتي

Marfat.com

في الشكر حقه، وما ذكرت ما ذكرته من حالي للفخر لا والله وإنما ذكرته لأمرين: الأمر الواحد لقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ وأية نعمة أعظم من هذه والأمر الآخر: ليسمع صاحب همة فتحدث فيه همة لاستعمال نفسه فيما استعملتها فينال مثل هذا فيكون معي وفي درجتي فإنه لا ضيق ولا حرج إلا في المحسوس والألوهية خاصة، ولهذا لا يتعلق حكم الغيرة إلا بهذين المقامين، فأما المحسوس فلحصره فإنه إذا كان عندك لم يكن عين ما هو عندك عند غيرك، وأما في الألوهية فإن المدعي فيها كاذب ومن هي له صادق فمتعلق الغيرة كون من ليست فيه الألوهية ويدعيها كاذباً فالغيرة على المقام فإنها لا تكون إلا لواحد ليس لغيره فيها قدم والغيرة مشتقة من الغير، فهذا قد أبنت لك عن سواء السبيل.

واعلم أن أطيب ما يورث من العلم ما يرثه العالم من الأسماء الإلهية. فإن قلت: وكيف تورث الأسماء الإلهية ولا يكون الورث إلا بعد موت؟ قلنا: وكذلك أقول، فاعلم أني أريد بهذا النوع من العلم كون الحق سبحانه قادراً على أن يفعل ابتداء ما لا يفعله ولا وقع إلا منك كما قد بينا أنك آلة له تعالى، فلا كان منك ولا بد ما يمكن أن يكون له دونك ومن المحال أن يكون لما هو منك كونان، فإن الكائن لا يقبل كونين بل هو وجود واحد، فينزل هذا القدر من الكون الظاهر منك مما كان له منزلة المالل الموروث ممن كان له إذ يستحيل أن يكون له مع موته، كما استحال أن يكون هذا الكائن عن غير من كان عنه، فتحقق هذه النكتة فإنها عجيبة في أصحاب الأذواق لا في أحكام العقل.

واعلم أنه لما لم يتمكن أن يتقدّم الاسم الحيّ الإلهيّ اسم من الأسماء الإلهية كانت له رتبة السبق فهو المنعوت على الحقيقة بالأوّل، فكل حيّ في العالم وما في العالم إلا حيّ فهو فرع عن هذا الأصل، وكما لا يشبه الفرع الأصل بما يحمله من الثمر وما يظهر منه من تصريف الأهواء له على اختلافها عليه وما يقبل من حال التعرية واللباس إذا أورق وتجرّد عن ورقه، والأصل ليس كذلك بل هو الممدّ له بكل ما يظهر فيه وبه إذ ليس له بقاء في فرعيته وأحكامها إلا بالأصل، كذلك الاسم الحيّ مع سائر الأسماء الإلهية، فكل اسم هو له إذا حققت الأمر فيسري سرّه في جميع العالم فخرج على صورته فيما نسب إليه من التسبيح بحمده والتسبيح تنزيه والتنزيه تعرية، وكذلك الأصل معرّى عن ملابس الفروع وزينتها من ورق وثمر وكل ذلك منه وهو منزه في ذاته عن أن تقوم به، فقد أعطى ما لا يقوم به ولا يكون صفة له، وهذا علم لا يمكن أن يحصل إلا لصاحب كشف، وإذا حصل له لا يمكن أن يقسم

Marfat.com

العالم إلى حي وإلى غير حي بل هو عنده كله حيّ، ولكن تنسب عندنا الحياة لكل حيّ بحسب حقيقة المنعوت بها المسمى عند أهل اكشف والشهود لا عند من لا يرى الحياة إلا في غير الجماد، والنامي في نظره ليس كلامنا إلا مع أهل الكشف الذين أشهدهم الله الأمر على ما هو عليه في نفسه فاعلم ذلك.

واعلم أنه لما كان الاسم الحيّ اسماً ذاتياً للحق سبحانه لم يتمكن أن يصدر عنه إلا حيّ فالعالم كله حيّ، إذ عدم الحياة أو وجود موجود من العالم غير حيّ لم يكن له مستند إلهي في وجوده ألبتة، ولا بد لكل حادث من مستند، فالجماد في نظرك هو حيّ في نفس الأمر، وأما الموت فهو مفارقة حي مدبر لحي مدبر، فالمدبر والمدبر حي، والمفارقة نسبة عدمية لا وجودية إنما هو عزل عن ولاية، ثم أنه ما من شرط الحي أن يحس فإن الإحساس والحواس أمر معقول زائد على كونه حياً وإنما من شرطه العلم وقد يحس وقد لا يحس، ولو أحبس فليس من شرط الإحساس وجود الآلام واللذات، فإن العلم يغني عن ذلك مع كون العالم لا يحس بما جرت العادة أنه لا يدرك إلا بالحس، وأنت تعلم وجميع العقلاء أن الله عالم بكل شيء مع تنزيهه عن الإحساس والحواس، فلحصول العلم طرق كثيرة عند من يستفيد علماً، والحس طريق موصلة إلى العلم بالمحسوس، فقد يوصل إلى العلم به من غير طريق الحس فيكون معلوماً في الحالتين، لكنه لا يكون محسوساً لمن علمه من غير طريق الحس لكنه هو له مشهود ومعلوم، كما لا نشك أنا نرى ربنا بالأبصار عياناً على ما يليق بجلاله وهو مرئي لنا، ولا نقول فيه أنه محسوس لما يطلبه الحس من الحصر والتقييد فهذه رؤية غير مكيفة، وكلامنا في هذا مع من يقول بالرؤية بالبصر ولا نقول بالكيف ولا الحصر والتقييد بل نراه منزهاً كما علمناه منزهاً، وقد قدمنا في غير موضع من هذا الكتاب تصويب كل اعتقاد وصحة كل مقالة عقلية في الله.

وأما المقالات الشرعية المنزلة من الله فيه فالإيمان بها واجب وما جاءت لتخالف العقل فإنها قد جاءت بموافقة العقل في ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقد جاءت بما لا يقبله دليل العقل من حيث نظره فزاد علماً به لم يكن ليستقل به قبله بإيمانه إن كان عن خبر أو بذوقه إن كان عن شهود، وسلمنا له ما وصف به نفسه من كل ما لا يستقل به العقل من حيث انفراده بذلك في نظره لكوننا لا نحيط علماً بذاته لا بل لا نعلمها رأساً.

ولما كانت الأعيان في الوجود لها اتصال بعضها ببعض ولها انفصال بعضها عن بعض

Marfat.com

جعل الله ذلك علامة لمن لا كشف له على أن للعالم بالله اتصالاً معنوياً من وجه وفصلاً من وجه، فهو من حقيقة ذاته وألوهته وفاعليته متصل منفصل من وجه واحد ذلك الوجه عينه لأنه لا يتكثر، وإن كثرت أحكامه وأسماؤه ومعقولات أسمائه فاتصاله خلقه إيانا بيديه ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ خلقنا لهم ﴿مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ وانفصاله انفصال ألوهة من عبودة ﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ بانفصاله ﴿الحكيم﴾ باتصاله، ولكن لا يكون التكوين من العالم إلا باتصاله لا بانفصاله، والعالم يكوّن ما كلفه الله به من العبادات، ولهذا أضاف أعمالها إلى العبد وأمره أن يطلب الإعانة من الله في ذلك، كما أنه آلة للحق في بعض الأفعال والآلات معينة لصانع فيما لا يصنع إلا بآلة، والعالم منفصل عن الحق بحده وحقيقته فهو منفصل متصل من عين واحدة فإنه لا يتكثر في عينه وإن تكثرت أحكامه فإنها نسب وإضافات عدمية معلومة فخرج على صورة حق، فما صدر عن الواحد إلا واحد وهو عين الممكن، وما صدرت الكثرة أعني أحكامه إلا من الكثرة وهي الأحكام المنسوبة إلى الحق المعبر عنها بالأسماء والصفات، فمن نظر العالم من حيث عينه قال بأحديته، ومن نظره من حيث أحكامه ونسبه قال بالكثرة في عين واحدة، وكذلك نظره في الحق فهو الواحد الكثير، كما أنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وأين التنزيه من التشبيه والآية واحدة وهي كلامه عن نفسه على جهة التعريف لنا بما هو عليه في ذاته ففصل بليس وأثبت بهو، وأما نداؤه تعالى للعالم ونداء العالم إياه فمن حيث الانفصال فهو ينادي: يا أيها الناس، ونحن ننادي: يا ربنا، ففصل نفسه عنا كما فصلنا أيضاً أنفسنا عنه فتميزنا، وأين هذا المقام من مقام الاتصال إذا أحبنا وكان سمعنا وبصرنا وجميع قوانا وجعل ذلك حين أخبرنا اتصال محب بمحبوب فنسب الحب إليه ونحن المحبوبون، ولا خفاء بالفرق بين أحكام المحب ومنزلته وبين أحكام المحبوب ومنزلته فارتفعنا به ونزل سبحانه بنا، وذلك حتى لا يكون الوجود على السواء فإنه محال التسوية فيه فلا بد من نزول ورفعة فيه وما ثم إلا نحن وهو، فإذا كان حكم واحد النزول كان حكم الآخر الرفعة والعلوّ، وكل محب نازل وكل محبوب عال، وما منا إلا محب ومحبوب، فما منا إلا له مقام معلوم، وما منا إلا نازل علي، فهذه أحكام مختلفة في عين واحدة:

فيا أيها المؤمنون اتقوا ... ويا ربنا ما الذي نتقي
فنادى فناديت مستفهماً ... فلم أدر من راح أو من بقي
وقسم حكمي على حكمه ... فإما سعيد وإما شقي

Marfat.com

فيرضى ويغضب في حكمه ... ويشقى ويسعد إذا نتقي
فأين الأكاليل من رجله ... وأين النعال من المفرق
فيظهر في ذا وذا مثله ... ليلقى العبيد الذي قد لقي
إذا كان ما قلته كائناً ... فقد علم العبد ما يتقي

واعلم أيدك الله أن في هذا المنزل من العلوم علم الحجب المتصلة بالمحجوب فإن القرب المفرط حجاب مثل البعد المفرط. وفيه علم مجالسة العبد ربه إذا ذكره وانقسام أهل الذكر فيه إلى من يعلم أنه جليس الحق في حين ذكره الحق وإلى من لا يعلم ذلك وسبب جهله بمجالسته ربه كونه لا يعلم ربه فلا يميزه أو كونه لا يعلم أن ربه ذكره لصمم قام به وغشاوة على بصره، فإن الذاكر الصحيح يعلم متى يذكره ربه وإن لم يعلم شهوداً مجالسة ربه وغيره يعلم ذلك ويشهد جليسه فكما هو الحق جليس من ذكره كذلك العبد جليس الحق إذا ذكره ربه، ولا يجالسه إلا عبد في الحالتين ولو جالسه به فعبوديته لم تزل فإن عينه لم تزل لأن غاية القرب أن يكون الحق سمعه وبصره فقد أثبت عينه وليس عينه سوى عبودته. وفيه علم ما الفرق بين مجالسة الحق تعالى في الخلوة والجلوة هل الصورة في ذلك واحدة أم تتنوّع بتنوّع المجالس؟ وفيه علم ما يتحدث به جليس الحق مع الحق وفي أي صورة يكون ذلك فإن المشاهدة للبهت فهل كل مشاهدة للبهت أو لا يكون البهت إلا في بعض المشاهدات؟ ولا بد من العلم بأن المتجلي هو الله تعالى. وفيه علم كل من دعا الله كائناً من كان أنه لا يشقى ولا أحاشي أحداً وإن شقي الداعي لعارض فالمآل إلى السعادة الأبدية. وفيه علم من خاف غير الله بالله ما حكمه عند الله وهو مقام عزيز لكونه خاف بالله ومن هذه حالته لا يرى غير الله فكيف يخاف غير الله؟ يقول الله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

وفيه علم من طلب الأمان من الله بالغير هل هو مصيب صاحب علم أو مخطىء صاحب جهل؟ وهل يخاف الله لعينه أو يخاف لما يكون منه؟ فمتعلق الخوف إن كان لما يكون منه فمتعلقه ما يكون منه وهو ما يقوم بك. وفيه علم أثر العادات في الأكابر أهل الشهود لماذا يرجع مع علمهم بأنه على كل شيء قدير فما مشهودهم؟ هل مشهودهم ﴿فعال لما يريد﴾ وهم جاهلون بما في إرادة الحق بهم فتؤثر العادات فيهم بوساطة حالهم في هذا المقام الذي تعطيه الإرادة الإلهية. وفيه علم هل الأمور كلها بالنسبة إلى الله على السواء أو

Marfat.com

ليست على السواء؟ فإن لم تكن على السواء فما السبب الذي أخرجها أن تكون على السواء؟ قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ وقوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ فهو قوله: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ ابتداء وإعادتهم أهون من ابتدائهم وابتداؤهم أهون من خلق السموات والأرض، فخلق السموات والأرض أكبر قدراً من خلق الناس فإن الناس لهما عليهم حق ولادة فالناس منفعلون عنهما فإن الجرمية غير معتبرة هنا فإنه قال: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وما من أحد إلا وهو يعلم حساً أن خلق السموات والأرض أكبر في الجرم من خلق الناس وماثم إلا انفعال الجسم الطبيعيّ عنهما لا غير.

وفيه علم ابتداء كل عين في كونها فليس لها مثال سبق. وفيه علم الفرد الأوّل الذي هو أوّل الأفراد. وفيه علم ما يسمى كلاماً فإن ذلك مسألة خلاف طال فيها الكلام بين أهل النظر وقول الله لزكريا عليه السلام أن جعل الله له آية على وجود يحيى عليه السلام ﴿ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾ فاستثنى وما استثنى إلا الكلام والأثر موجود من الإشارة والرمز كما هو موجود من نظم الحروف في النطق. وفيه علم النيابة عن الله ونيابة الحق عن العبد ومن أتم فإنه أمر أن يتخذ وكيلاً وجعل بعضنا خلفاء في الأرض وأخبر أنا ننطق بكلامه وهو القائل منا إذا قلنا بعض أقوالنا. وفيه علم المناسبة التي تشمل العالم كله وأنه جنس واحد فتصح المفاضلة فيما تحته من الأنواع والأشخاص، فإن الإمام أبا القاسم بن قسي صاحب خلع النعلين منع من ذلك فاعتبر خلاف ما اعتبرناه فهو مصيب فيما اعتبره مخطىء باعتبارنا إذ ماثم إلا حق وأحق وكامل وأكمل، فالمفاضلة سارية في أنواع الجنس للمفاضلة التي في الأسماء بالإحاطة، وما يزيد به هذا الاسم على غيره كالعالم والقادر وكالقادر والقاهر.

وفيه علم التأثيرات في العالم. وفيه علم ما حكم من رأى لنفسه قدراً وهل إذا أتى بما يدل عليه وهو كامل هل إتيانه بذلك شفقة على الغير أو تعظيماً لنفسه؟ وهل يؤثر مثل ذلك في الرضا أم لا يؤثر فيه؟ ومن أعلى من يحتج عن نفسه ويذب عنها أو من لا يحتج عنها بل يكون مع الناس عليها ومتى يصلح أن يكون للإنسان هذا الحكم ومتى يصلح أن لا يكون له هذا الحكم؟ وقوله: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فاصبر﴾ ولم يقل تعالى: فارض بحكم ربك. وفيه علم سعي الإنسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته فهو من

Marfat.com

باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه لأمور تطرأ إن لم يكن عدلاً لا يقبل الحاكم شهادته فربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا كما قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» وما قصد الفخر وإنما قصد الإعلام وإراحة أمته من التعب حتى لا تمشي في ذلك اليوم كما تمشي الأمم إلى نبيّ بعد نبيّ للشفاعة فتقتصر على محمد ﷺ بما أعلمها من ذلك وأن الرجوع إليه في آخر الأمر:

رأى الأمـر يفضـي إلـى آخـر فصيـــــــر آخـــــــره أوّلا

فتميزت الأمة المحمدية عن سائر الأمم في ذلك الموطن بهذا القدر إلى غير هذا.

وفيه علم موطن بيان الأمور لجميع الخلق وارتفاع التلبيس ورجوع الناس وغيرهم إلى الحق وهل ذلك نافعهم أم لا؟ وفيه علم ما لا يصح إلا لله الاتصاف به. وفيه علم ما يجب لله وما يستحيل. وفيه علم حكم من يبتغي نصرة من خذله الله عند الله تعالى. وفيه علم من يريد شرفاً بتشريف من ينسب إليه. وفيه علم الفرق بين المهدي والهادي. وفيه علم النبوّة العامة والنبوة الخاصة وما يبقى منها وما يزول. وفيه علم هل يكون للولي الذي ليس بنبيّ مقام في الولاية لا يكون ذوقاً لنبي أم لا. وفيه علم ما هي النعم الظاهرة والباطنة ومن يتنعم بكل نعمة منهما من الإنسان. وفيه علم علامات المقربين عند الله وبماذا يعرفون. وفيه علم هل يلحق اللاحق بالسابق وأي المنزلتين أفضل؟ وفيه علم من يرى أن أحوال الآخرة على ميزان أحوال الدنيا سواء في جميع الأمور. وفيه علم ما ينبغي أن يكون عليه صاحب جنة الأعمال، وما يكون عليه صاحب جنة الورث، وما يكون عليه صاحب جنة الاختصاص. وفيه علم سبب اختصاص عالم الأمر بالأمر وعالم الإنسان بالنهي والأمر. وفيه علم ما نفى الله من أسمائه أن يشرك فيه فلم يشرك. وفيه علم ما لا يدرك إلا بالحوالة. وفيه علم الجزاء ومحله أيضاً. وفيه علم صفة الطريق إلى الجنة ومن يسلك. وفيه علم من أرخى الله له في طوله في الدنيا هل يرخي له في الآخرة كذلك جزاء. وفيه علم اختلاف أحوال الخلق في الاستدعاء إلى الله تعالى يوم القيامة للفصل والقضاء. وفيه علم ما هو أعظم الأهوال عند الله ولم يأت به إلا الإنسان خاصة وما أجراه على ذلك وقد خلقه الله ضعيفاً فقيراً إلى كل شيء، وفيه انقلاب الولي عدوّاً لمن كان له ولياً، وانقلاب العدو ولياً لمن كان له عدواً. وفيه علم العلم الضروري والنظري والبديهي، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والستون وثلثمائة

في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان
الذي بشّر به رسول الله ﷺ وهو من أهل البيت

إنّ الإمـــام إلـــى الـــوزيـــر فقيـــر — وعليهمـــا فلـــك الـــوجـــود يـــدور
والملـــك إن لـــم تستقـــم أحـــوالـــه — بـــوجـــود هـــذيـــن فســـوف يبـــور
إلا الإلـــه الحـــق فهـــو منـــزه — مـــا عنـــده فيمـــا يـــريـــد وزيـــر
جـــل الإلـــه الحـــق فـــي ملكـــوتـــه — عـــن أن يـــراه الخلـــق وهـــو فقيـــر

اعلم أيدنا الله أنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة يواطىء اسمه اسم رسول الله ﷺ جده الحسن بن علي بن أبي طالب يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في خلقه بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضم الخاء لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه والله يقول فيه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعية، ويفصل في القضية، يأتيه الرجل فيقول له: يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله، يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي جاهلاً بخيلاً جباناً، ويصبح أعلم الناس أكرم الناس أشجع الناس يصلحه الله في ليلة يمشي النصر بين يديه يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يقفو أثر رسول الله ﷺ لا يخطىء له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويقوّي الضعيف في الحق ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، يفعل ما يقول ويقول ما يعلم ويعلم ما يشهد، يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفاً من المسلمين من ولد إسحاق، يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا، يبيد الظلم وأهله، يقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام يعز الإسلام به بعد ذله، ويحيا بعد موته، يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل ومن نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان

Marfat.com

أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم، بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه، يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهيّ، له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله، ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره، يقطر رأسه ماء مثل الجمان، يتحدر كأنما خرج من ديماس والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مقامه فيتقدم فيصلي بالناس، يؤم الناس بسنة محمد ﷺ، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقبض الله المهدي إليه طاهراً مطهراً. وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البيداء بين المدينة ومكة حتى لا يبقى من الجيش إلا رجل واحد من جهينة يستبيح هذا الجيش مدينة الرسول ﷺ ثلاثة أيام ثم يرحل يطلب مكة فيخسف الله به في البيداء، فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته القرآن حاكم والسيف مبيد، ولذلك ورد في الخبر: «أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»:

ألا إن ختـــم الأوليـــاء شهيـــد وعيـــن إمـــام العـــالميـــن فقيـــد
هـــو السيـــد المهـــدي مـــن آل أحمـــد هـــو الصـــارم الهنـــدي حيـــن يبيـــد
هـــو الشمـــس يجلـــو كـــل غـــم وظلمـــة هـــو الـــوابـــل الـــوسمـــي حيـــن يجـــود

وقد جاءكم زمانه، وأظلكم أوانه، وظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله ﷺ وهو قرن الصحابة، ثم الذي يليه، ثم الذي يلي الثاني، ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء، وعاثت الذئاب في البلاد، وكثر الفساد، إلى أن طم الجور وطما سيله، وأدبر نهار العدل بالظلم حين أقبل ليله، فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه أفضل الأمناء، وأن الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق، وما هو أمر الله عليه في عباده فبمشاورتهم يفصل ما يفصل وهم العارفون الذين عرفوا ماثم، وأما هو في نفسه فصاحب سيف حق وسياسة مدنية يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته ومنزله لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان يسري عدله في الإنس والجان من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له قوله تعالى: ﴿وكان

Marfat.com

حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ وهم على أقدام رجال من الصحابة ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وهم من الأعاجم ما فيهم عربي لكن لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء وأفضل الأمناء، فأعطاهم الله في هذه الآية التي اتخذوها هجيراً وفي ليلهم سميراً، فضل علم الصدق حالاً وذوقاً، فعلموا أن الصدق سيف الله في الأرض ما قام بأحد ولا اتصف به إلا نصره الله لأن الصدق نعته والصادق اسمه، فنظروا بأعين سليمة من الرمد، وسلكوا بأقدام ثابتة في سبيل الرشد، فلم يروا الحق قيد مؤمناً من مؤمن بل أوجب على نفسه نصر المؤمنين، ولم يقل بمن بل أرسلها مطلقة وجلاها محققة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا﴾ وقال: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ وقال: ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ فسماهم مؤمنين، وقال: ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ فسمى المشرك مؤمناً فهؤلاء هم المؤمنون الذين أيده الله بهم في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ فميزهم عن المؤمنين من أهل الكتاب والكتب وماتم مخبر جاء بخبر إلا الرسل، فتعين أن المؤمنين الذين أمروا بالإيمان أنهم الذين آمنوا بالباطل وآمنوا بالشريك عن شبه صرفتهم عن الدليل لأن الذين آمنوا بالباطل كفروا بالله والذين آمنوا بالشريك اشمأزت قلوبهم إذا ذكر الله وحده، فما أتاهم بهذا الخبر إلا أئمتهم المضلون الذين سبقوهم، وكان ذلك في زعمهم عن برهان أعني الأئمة لا عن قصور بل وفوا النظر حقه فما أعطاهم استعدادهم الذي آتاهم الله وما كلف الله نفساً إلا ما آتاها وما آتاها غير ما جاءت به فآمن بذلك أتباعهم وصدقوا في إيمانهم وما قصدوا إلا طريق النجاة ما قصدوا ما يرديهم.

ولما رأوا أن الله يفعل ابتداء ويفعل بالآلة جعلوا الشريك كالوزير معيناً على ظهور بعض الأفعال الحاصلة في الوجود، فلما ذكر الله وحده رأوا أن هذا الذاكر لم يوف الأمر حقه لما علموا من توقف بعض الأفعال على وجود بعض الخلق، وما كان مشهودهم إلا الأفعال الإلهية الحاصلة في الوجود عن الأسباب المخلوقة، فلم يقبلوا توحيد الأفعال لأنهم ما شاهدوه ولو قبلوه أبطلوا حكمة الله فيما وضع من الأسباب علواً وسفلاً، فهذا الذي أدّاهم إلى الاشمئزاز وعدم الإنصاف، فذمهم الله إيثاراً لجناب المؤمنين الذين لم يروا فاعلاً إلا الله، وأن القدرة الحادثة والأمور الموقوفة على الأسباب لا أثر لها في الفعل، فهذه الطائفة وحدها هي التي خص الله بهذا الخطاب. وأما الذين كفروا بالله فهم الذين ستروه بحجاب الشرك وآمنوا بالباطل والباطل عدم، وما رأوا من ينتفي عنه التشبيه والشرك إلا

Marfat.com

العدم، فإن الوجود صفة مشتركة، فإيمانهم بالباطل إيمان تنزيه، وكفرهم أي سترهم نسبة الوجود إلى الله لما وقع في ذلك من الاشتراك ولذلك قال تعالى: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ لأنهم خسروا في تجارتهم وجود ربح وإظهار تمام الأمر على ما هو عليه ﴿فاشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي الحيرة بالبيان، فأخذوا الحيرة وعلموا أن الأمر عظيم وأن البيان تقيد وهو لا يتقيد فآثروا الحيرة على البيان، وأما أصحاب العقل السليم والنظر الصحيح والإيمان العام فهم الذين أثبتوا الحيرة في مقامها وموطنها فقال ﷺ: «زدني فيك تحيراً» وأثبتوا البيان في مقامه الذي لا يتمكن معرفة ذلك الأمر إلا بالبيان ولا يقبل الحيرة، فأعطوا كل ذي حق حقه ووضعوا الحكمة في موضعها فالكل مؤمنون فإن الله سماهم مؤمنين كما سماهم كافرين ومشركين وجعلهم على مراتب في إيمانهم ولهذا قال: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ فيما آمنوا به، كما زادهم مرضاً ورجساً إلى رجسهم فيما كفروا به فمنهم الصادق والأصدق، فينصر الله المؤمن الذي لم يدخله خلل في إيمانه على من دخله خلل في إيمانه فإن الله يخذله على قدر ما دخله من الخلل أي مؤمن كان من المؤمنين فالمؤمن الكامل الإيمان منصور أبداً، ولهذا ما انهزم نبي قط ولا وليّ، ألا ترى يوم حنين لما ادعت الصحابة رضي الله عنهم توحيد الله ثم رأوا كثرتهم فأعجبتهم كثرتهم فنسوا الله عند ذلك فلم تغن عنهم كثرتهم شيئاً، كما لم تغن أولئك آلهتهم من الله شيئاً مع كون الصحابة مؤمنين بلا شك، ولكن دخلهم الخلل باعتمادهم على الكثرة ونسوا قول الله ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ فما أذن الله هنا إلا للغلبة فأوجدها فغلبتهم الفئة القليلة بها عن إذن الله:

فمـــاثـــم إلا الله ليـــس ســـواه　　　وكـــل بصيـــر بـــالـــوجـــود يـــراه

وأما تأثير الصدق فمشهود في أشخاص ما لهم تلك المكانة من أسباب السعادة التي جاءت بها الشرائع ولكن لهم القدم الراسخ في الصدق فيقتلون بالهمة وهي الصدق، قيل لأبي يزيد: أرنا اسم الله الأعظم، فقال لهم: أرونا الأصغر حتى أريكم الأعظم أسماء الله كلها عظيمة، فما هو إلا الصدق أصدق وخذ أي اسم شئت فإنك تفعل به ما شئت، وبه أحيا أبو يزيد النملة، وأحيا ذو النون ابن المرأة التي ابتلعه التمساح، فإن فهمت فقد فتحت لك باباً من أبواب سعادتك إن عملت عليه أسعدك الله حيث كنت ولن تخطىء أبداً، ومن هنا تكون في راحة مع الله إذا كانت الغلبة للكافرين على المسلمين، فتعلم أن إيمانهم تزلزل ودخله الخلل وأن الكافرين فيما آمنوا به من الباطل والمشركين لم يتخلخل إيمانهم ولا

Marfat.com

تزلزلوا فيه، فالنصر أخو الصدق حيث كان يتبعه، ولو كان خلاف هذا ما انهزم المسلمون قط كما أنه لم ينهزم نبي قط، وأنت تشاهد غلبة الكفار ونصرتهم في وقت وغلبة المسلمين ونصرتهم في وقت، والصادق من الفريقين لا ينهزم جملة واحدة بل لا يزال ثابتاً حتى يقتل أو ينصرف من غير هزيمة، وعلى هذه القدم وزراء المهدي، وهذا هو الذي يقررونه في نفوس أصحاب المهدي، ألا تراهم بالتكبير يفتحون مدينة الروم فيكبرون التكبيرة الأولى فيسقط ثلث سورها، ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور، ويكبرون الثالثة فيسقط الثلث الثالث فيفتحونها من غير سيف، فهذا عين الصدق الذي ذكرنا وهم جماعة أعني وزراء المهدي دون العشرة.

وإذا علم الإمام المهدي هذا عمل به فيكون أصدق أهل زمانه فوزراؤه الهداة وهو المهدي، فهذا القدر يحصل للمهدي من العلم بالله على أيدي وزرائه، وأما ختم الولاية المحمدية فهو أعلم الخلق بالله لا يكون في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله وبمواقع الحكم منه فهو والقرآن أخوان، كما أن المهدي والسيف أخوان، وإنما شك رسول الله ﷺ في مدة إقامته خليفة من خمس إلى تسع للشك الذي وقع في وزرائه لأنه لكل وزير معه سنة، فإن كانوا خمسة عاش خمسة، وإن كانوا سبعة عاش سبعة، وإن كانوا تسعة عاش تسعة، فإنه لكل عام أحوال مخصوصة، وعلم ما يصلح في ذلك العام خص به وزير من وزرائه فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة ويقتلون كلهم إلا واحداً منهم في مرج عكاء في المائدة الإلهية التي جعلها الله مائدة لسباع الطير والهوام، وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل يكون ممن استثنى الله في قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ أو يموت في تلك النفخة. وأما الخضر الذي يقتله الدجال في زعمه لا في نفس الأمر وهو فتى ممتلىء شباباً هكذا يظهر له في عينه، وقد قيل إن الشابّ الذي يقتله الدجال في زعمه أنه واحد من أصحاب الكهف وليس ذلك بصحيح عندنا من طريق الكشف، وظهور المهدي من أشراط قرب الساعة، ويكون فتح مدينة الروم وهي القسطنطينية العظمى والملحمة الكبرى التي هي المأدبة بمرج عكا وخروج الدجال في ستة أشهر، ويكون بين فتح القسطنطينية وخروج الدجال ثمانية عشر يوماً، ويكون خروجه من خراسان من أرض المشرق موضع الفتن تتبعه الأتراك واليهود يخرج إليه من أصبهان وحدها سبعون ألفاً مطيلسين في أتباعه كلهم من اليهود، وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فاء راء فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من

Marfat.com

الأفعال أو أراد به كفر من الأسماء إلا أنه حذف الألف كما حذفتها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون، وكان ﷺ يستعيذ وأمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال ومن الفتن، فإن الفتن تعرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء نعوذ بالله من الفتن.

حدثنا المكي أبو شجاع ابن رستم الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بالحرم المكي في آخرين كلهم قالوا: حدثنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروحي قال: أخبرنا مشايخي الثلاثة: القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي وأبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي وأبو بكر محمد بن أبي حاتم العورجي التاجر قال: أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال: أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال: أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال: حدثنا علي بن حجر: أنا الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن خالد الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان الكلابي قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل قال: فانصرفنا من عند رسول الله ﷺ ثم رحنا إليه فعرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: غير الدجال أخوف لي عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية شبيه بعبد العزي بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف قال: يخرج ما بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً يا عباد الله اثبتوا اثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله أرأيت اليوم الذي كالسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا ولكن أقدروا له، قلنا: يا رسول الله فما سرعته في الأرض؟ قال: كالغيث إذا استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم فيصبحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت دراً وأمده خواصر وأدره ضروعاً، قال: ثم يأتي الخربة فيقول لها أخرجي كنوزك وينصرف عنها فتتبعه كيعاسيب النحل، ثم يدعو

Marfat.com

رجلاً شاباً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً يديه على أجنحة ملكين، إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه انحدر منه جمان كاللؤلؤ قال: ولا يجد ريح نفسه يعني أحد إلا مات وريح نفسه منتهى بصره قال: فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله قال: ويلبث كذلك ما شاء الله قال: ثم يوحي الله إليه أن أحرز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عباداً لي لايد لأحد بقتالهم قال: ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله تعالى من كل حدب ينسلون قال: فيمرّ أولهم ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمرّ بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون إلى أن ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمراً دماً ويحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيراً لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم قال: فيرغب عيسى ابن مريم إلى الله وأصحابه قال: فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس واحدة قال: ويهبط عيسى ابن مريم وأصحابه فلا يجد موضع شبر إلا وقد ملأته زهمتهم ونتنهم ودماؤهم قال: فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين ويرسل الله عليهم مطراً لا يكن منه بيت ولا وبر ولا مدر قال: فيغسل الأرض ويتركها كالزلفة قال: ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى أن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وأن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وأن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً فقبضت روح كل مؤمن ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» قال أبو عيسى: هذا حديث غريب حسن صحيح.

ثم نرجع إلى ما بنينا عليه الباب من العلم بوزراء المهدي ومراتبهم. فاعلم أني على الشك من مدة إقامة هذا المهدي إماماً في هذه الدنيا فإني ما طلبت من الله تحقيق ذلك ولا تعيينه ولا تعيين حادث من حوادث الأكوان إلا أن يعلمني الله به ابتداء لا عن طلب، فإني أخاف أن يفوتني من معرفتي به تعالى حظ في الزمان الذي أطلب فيه منه تعالى معرفة كون وحادث، بل سلمت أمري إلى الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء، فإني رأيت جماعة من أهل الله تعالى يطلبون الوقوف على علم الحوادث الكونية منه تعالى ولا سيما معرفة إمام الوقت،

Marfat.com

فأنفت من ذلك وخفت أن يسرقني الطبع بمعاشرتهم وهم على هذه الحال وما أردت منه تعالى إلا أن يرزقني الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به وإن تقلبت في الأحوال فلا أبالي، ولما رأيته قد قدمني وأخرني ورأيت اختلاف عيني لاختلاف الحال فلم أر عيناً واحدة تثبت فما استقر لي أمر أثبت عليه كما كنت عليه في حال عدمي ورأيت أن حكم الوجود ومقام الشهود حكم على عيني بذلك طلبت الإقالة من وجودي فخاطبته نظماً وحكماً:

لـك العتبى أقلني من وجودي ... ومن حكم التحقق بالشهود
لقد أصبحت قبلة كل شيء ... وقد أمسيت أطلب بالسجود
عجب لحالتي إذ قال كوني ... أنا عين المسوّد والمسود
فإما أن تميزني إماماً ... وإما أن أميز في العبيد
لقد لعبت بنا أيدي الخفايا ... خفايا الغيب في عين الوجود

فلما سألت ذلك أبان لي عن جهلي وقال لي: أما ترضى أن تكون مثلي؟ ثم أقام لي اختلاف تجليه في الصور وما يدركه من ذاته البصر فقلت ما عليّ من اختلاف الأحوال على عين ثابتة لا تقبل التقييد فإني ما أنكرت اختلاف الأحوال فإن الحقائق تعطي ذلك، وإنما أقلقني اختلاف العين من وجودي لاختلاف الأحوال، فإني أعلم مع كونك كل يوم في شأن أنك العين الثابتة في الغنى عن العالمين فإني علمت:

أن التحوّل في الصور ... نعت المهيمن بالخبر
وبذاك أنزل وحيه ... فيما تلاه من السور
ولقد رأيت مثاله ... بمطوّل وبمختصر

أردت بالمطوّل العالم كله، وبالمختصر الإنسان الكامل لما رأيت أن التقلب في كل ذلك لازم، ففي العالم تقلب الليل والنهار، وفي الإنسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال وهو محمد ﷺ سيد الناس يوم القيامة وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، ولما جرى بنا القلم في حلبة العبارة الرقمية لأن التعريف قد يقع لفظاً وكتابة، وقد يقع في العموم عند الخواص بالنظر وقد وجدته، وقد يقع بالضرب وقد وجده رسول الله ﷺ بأمور كثيرة غير ما ذكرنا، وكل ذلك خطاب وتعريف فطريق علمنا الأخبار.

ولما كنت على هذه القدم التي جالست الحق عليها أن لا أضيع زماني في غير علمي به تعالى

Marfat.com

قيض الله واحداً من أهل الله تعالى وخاصته يقال له أحمد بن عقاب اختصه الله بالأهلية صغيراً فوقع منه ابتداء ذكر هؤلاء الوزراء فقال لي: هم تسعة، فقلت له: إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي لا بد أن تكون تسع سنين فإني عليم بما يحتاج إليه وزيره، فإن كان واحداً اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج إليه، وإن كانوا أكثر من واحد فما يكونون أكثر من تسعة فإنه إليها انتهى الشك من رسول الله ﷺ في قوله خمساً أو سبعاً أو تسعاً في إقامة المهدي وجميع ما يحتاج إليه مما يكون قيام وزرائه به تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي: نفوذ البصر، ومعرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء، وعلم الترجمة عن الله، وتعيين المراتب لولاة الأمر، والرحمة في الغضب، وما يحتاج إليه الملك من الأرزاق المحسوسة والمعقولة، وعلم تداخل الأمور بعضها على بعض، والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس، والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدته خاصة، فهذه تسعة أمور لا بد أن تكون في وزير الإمام المهدي إن كان الوزير واحداً أو وزرائه إن كانوا أكثر من واحد.

فأمّا نفوذ البصر فذلك ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعوّ إليه لا في المدعو فينظر في عين كل مدعوّ ممن يدعوه فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته فيدعوه من ذلك ولو بطريق الإلحاح وما يرى منه أنه لا يجيب دعوته يدعوه من غير إلحاح لإقامة الحجة عليه خاصة، فإن المهدي حجة الله على أهل زمانه وهي درجة الأنبياء التي تقع فيها المشاركة، قال الله تعالى: ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ أخبر بذلك عن نبيه ﷺ، فالمهدي ممن اتبعه وهو ﷺ لا يخطىء في دعائه إلى الله فمتبعه لا يخطىء فإنه يقفو أثره، وكذا ورد الخبر في صفة المهدي أنه قال ﷺ: «يقفو أثري لا يخطىء» وهذه هي العصمة في الدعاء إلى الله وينالها كثير من الأولياء بل كلهم، ومن حكم نفوذ البصر أن يدرك صاحبه الأرواح النورية والنارية عن غير إرادة من الأرواح ولا ظهور ولا تصوّر كابن عباس وعائشة رضي الله عنهما حين أدركا جبريل عليه السلام وهو يكلم رسول الله ﷺ على غير علم من جبريل بذلك ولا إرادة منه للظهور لهم فأخبرا بذلك رسول الله ﷺ ولم يعلما أنه جبريل عليه السلام فقال لها ﷺ: أو قد رأيتيه؟ وقال لابن عباس: أرأيته؟. قالا نعم، قال: ذلك جبريل. وكذلك يدركون رجال الغيب في حال إرادتهم الاحتجاب وأن لا يظهروا للأبصار فيراهم صاحب هذا الحال، ومن نفوذ البصر أيضاً أنهم إذا تجسدت لهم المعاني يعرفونها في عين صورها فيعلمون أيّ معنى هو ذلك الذي تجسد من غير توقف.

Marfat.com

(وصل): وأما معرفة الخطاب الإلهيّ عند الإلقاء فهو قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ فأمّا الوحي من ذلك فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث فيحصل لهم من ذلك علم بأمر مّا وهو الذي تضمنه ذلك الحديث، وإن لم يكن كذلك فليس بوحي ولا خطاب، فإن بعض القلوب يجد أصحابها علماً بأمر مّا من العلوم الضرورية عند الناس فذلك علم صحيح ليس عن خطاب، وكلامنا إنما هو في الخطاب الإلهي المسمى وحياً، فإن الله تعالى جعل مثل هذا الصنف من الوحي كلاماً، ومن الكلام يستفيد العلم بالذي جاء له ذلك الكلام، وبهذا يفرق إذا وجد ذلك. وأما قوله تعالى: ﴿أو من وراء حجاب﴾ فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقي عليه فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك وقد يحصل له ذلك في صور التجلي فتخاطبه تلك الصورة الإلهية وهي عين الحجاب فيفهم من ذلك الخطاب علم ما يدل عليه ويعلم أن ذلك حجاب وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب، وما كل من أدرك صورة التجلي الإلهي يعلم أن ذلك هو الله، فما يزيد صاحب هذه الحال على غيره إلا بأن يعرف أن تلك الصورة وإن كانت حجاباً فهي عين تجلي الحق له. وأما قوله تعالى: ﴿أو يرسل رسولاً﴾ فهو ما ينزل به الملك أو ما يجيء به الرسول البشريّ إلينا إذا نقلا كلام الله خاصة مثل التالي قال تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ وقوله تعالى: ﴿نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ فإن نقلا علماً وأفصحا عنه ووجداه في أنفسهما فذلك ليس بكلام إلهي وقد يكون الرسول والصورة معاً وذلك في نفس الكتابة، فالكتاب رسول وهو عين الحجاب على المتكلم فيفهمك ما جاء به ولكن لا يكون ذلك إذا كتب ما علم، وإنما يكون ذلك إذا كتب عن حديث يخاطبه به تلك الحروف التي يسطرها، ومتى لم يكن كذلك فما هو كلام، هذا هو الضابط، فاللقاء للرسل والإلقاء للخبر الإلهي بارتفاع الوسائط من كونه كلمه لا غير، والكتابة رقوم مسطرة حيث كانت لم تسطر إلا عن حديث ممن سطرها لا عن علم، فهذا كله من الخطاب الإلهي لصاحب هذا المقام.

وأما علم الترجمة عن الله فذلك لكل من كلمه الله في الإلقاء والوحي فيكون المترجم خلافاً لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها ويكون روح تلك الصور كلام الله لا غير، فإن ترجم عن علم فما هو مترجم لا بد من ذلك، يقول الولي: حدثني قلبي عن ربي وقد يترجم المترجم عن ألسنة الأحوال وليس من هذا الباب بل ذلك من باب آخر يرجع إلى

Marfat.com

عين الفهم بالأحوال وهو معلوم عند علماء الرسوم وعلى ذلك يخرجون قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ يقولون يعني بلسان الحال وكذلك قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ فجعلوا هذه الإباية والإشفاق حالاً لا حقيقة، وكذلك قوله عنهما: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ قول حال لا قول خطاب، وهذا كله ليس بصحيح ولا مراد في هذه الآيات بل الأمر على ظاهره كما ورد هكذا يدركه أهل الكشف، فإذا ترجموا من الموجودات فإنما يترجمون عما تخاطبهم به لا عن أحوالهم إذ لو نطقوا لقالوا هذا، وأصحاب هذا القول انقسموا على قسمين: فبعضهم يقول إن كان هذا وأمثاله نطقاً حقيقة وكلاماً فلا بد أن يخلق في هؤلاء الناطقين حياة وحينئذ يصح أن يكون حقيقة، وجائز أن يخلق الله فيهم حياة ولكن لا علم لنا بذلك أن الأمر وقع كما جوّزناه أو هو لسان حال، فأما أصحاب ذاك القول فكذا وقع في نفس الأمر لأن كل ما سوى الله حيّ ناطق في نفس الأمر، فلا معنى للأحوال مع هذا عند أهل الكشف والوجود. وأما القسم الآخر وهم الحكماء فقالوا: إن هذا لسان حال ولا بدّ لأنه من المحال أن يحيا الجماد، وهذا قول محجوب بأكثف حجاب فما في العالم إلا مترجم إذا ترجم عن حديث إلهيّ فافهم ذلك.

وأما تعيين المراتب لولاة الأمر فهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح التي خلقت لها، فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يوليه ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة، فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه وإن رجح الوالي فلا يضرّه، وإن رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله لأنه ينقص عن علم ما رجحه به فيجور بلا شك وهو أصل الجور في الولاة، ومن المحال عندنا أن يعلم ويعدل عن حكم علمه جملة واحدة وهو جائز عند علماء الرسوم وعندنا هذا الجائز ليس بواقع في الوجود وهي مسألة صعبة ولهذا يكون المهديّ «يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» يعني الأرض، فإن العلم عندنا يقتضي العمل ولا بد وإلا فليس بعلم وإن ظهر بصورة علم والمراتب ثلاثة وهي التي ينفذ فيها حكم الحاكم وهي: الدماء والأعراض والأموال، فيعلم ما تطلبه كل مرتبة من الحكم الإلهيّ المشروع وينظر في الناس، فمن رأى أنه جمع ما تطلبه تلك المرتبة نظر في مزاج ذلك الجامع فإن رآه يتصرّف تحت حكم العلم علم أنه عاقل فولاه، وإن رآه يحكم على علمه وأن علمه معه مقهور تحت حكم شهوته وسلطان هواه لم يوله مع علمه بالحكم، قال بعض الملوك لبعض جلسائه من أهل الرأي والنظر الصحيح

Marfat.com

حين استشاره فقال له: من ترى أن أولي أمور الناس؟ فقال: ولّ على أمور الناس رجلاً عاقلاً فإن العاقل يستبرىء لنفسه، فإن كان عالماً حكم بما علم، وإن لم يكن عالماً بتلك الواقعة ما حكمها حكم عليه عقله أن يسأل من يدري الحكم الإلهيّ المشروع في تلك النازلة، فإذا عرفه حكم فيها فهذا فائدة العقل، فإن كثيراً ممن ينتمي إلى الدين والعلم الرسميّ تحكم شهوتهم عليهم، والعاقل ليس كذلك، فإن العقل يأبى إلا الفضائل فإنه يقيد صاحبه عن التصرّف فيما لا ينبغي ولهذا سمي عقلاً من العقال.

وأما الرحمة في الغضب فلا يكون ذلك إلا في الحدود المشروعة والتعزير، وما عدا ذلك فغضب ليس فيه من الرحمة شيء ولذلك قال أبو يزيد: بطشي أشدّ لما سمع القارىء يقرأ: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ فإن الإنسان إذا غضب لنفسه فلا يتضمن ذلك الغضب رحمة بوجه، وإذا غضب لله فغضبه غضب الله وغضب الله لا يخلص عن رحمة إلهية تشوبه، فغضبه في الدنيا ما نصبه من الحدود والتعزيرات، وغضبه في الآخرة ما يقيم من الحدود على من يدخل النار، فهو وإن كان غضباً فهو تطهير لما شابه من الرحمة في الدنيا والآخرة، لأن الرحمة لما سبقت الغضب في الوجود عمت الكون كله ووسعت كل شيء، فلما جاء الغضب في الوجود وجد الرحمة قد سبقته ولا بد من وجوده، فكان مع الرحمة كالماء مع اللبن إذا شابه وخالطه، فلم يخلص الماء من اللبن، كذلك لم يخلص الغضب من الرحمة، فحكمت على الغضب لأنها صاحبة المحل، فينتهي غضب الله في المغضوب عليهم، ورحمة الله لا تنتهي، فهذا المهدي لا يغضب إلا لله فلا يتعدى في غضبه إقامة حدود الله التي شرعها بخلاف من يغضب لهواه ومخالفة غرضه، فمثل هذا الذي يغضب لله لا يمكن أن يكون إلا عادلاً ومقسطاً لا جائراً ولا قاسطاً، وعلامة من يدعي هذا المقام إذا غضب لله وكان حاكماً وأقام الحد على المغضوب عليه يزول عنه الغضب على ذلك الشخص عند الفراغ منه وربما قام إليه وعانقه وآنسه وقال له: أحمد الله الذي طهرك وأظهر له السرور والبشاشة به وربما أحسن إليه بعد ذلك هذا ميزانه ويرجع لذلك المحدود رحمة كله، وقد رأيت ذلك لبعض القضاة ببلاد المغرب قاضي مدينة سبتة يقال له أبو إبراهيم بن يغمور وكان يسمع معنا الحديث على شيخنا أبي الحسين بن الصائغ من ذرية أبي أيوب الأنصاري وعلى أبي الصبر أيوب الفهري وعلى أبي محمد بن عبد الله الحجري بسبتة في زمان قضائه بها وما كان يأتي إلى السماع راكباً قط بل يمشي بين الناس، فإذا لقيه رجلان قد تخاصما وتداعيا إليه وقف إليهما وأصلح بينهما، غزير الدمعة طويل الفكرة كثير الذكر، يصلح بين

Marfat.com

القبيلتين بنفسه فيصطلحان ببركته، والقاضي إن بقي معه الغضب على المحدود بعد أخذ حق الله منه فهو غضب نفس وطبع أو لأمر في نفسه لذلك المحدود ما هو غضب لله فلذلك لا يأجره الله فإنه ما قام في ذلك مراعاة لحق الله وهذا من قوله تعالى: ﴿ونبلو أخباركم﴾ فابتلاهم أوّلاً بما كلفهم فإذا عملوا ابتلى أعمالهم هل عملوها لخطاب الحق أو عملوها لغير ذلك؟ وهو قوله عز وجل أيضاً: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ وهذا ميزانه عند أهل الكشف فلا يغفل الحاكم عند إقامة الحدود عن النظر في نفسه وليحذر من التشفي الذي يكون للنفوس، ولهذا نهي عن الحكم في حال غضبه، ولو لم يكن حاكماً في حق من ابتلى بإقامة حد عليه، فإن وجد لذلك تشفياً فيعلم أنه ما قام في ذلك لله وما عنده فيه خير من الله، وإذا فرح بإقامة الحد على المحدود إن لم يكن فرحه له لما سقط عنه ذلك الحد في الآخرة من المطالبة وإلا فهو معلول، وما عندي في مسائل الأحكام المشروعة بأصعب من الزنا خاصة ولو أقيم عليه الحد فإني أعلم أنه يبقى عليه بعد إقامة الحد مطالبات من مظالم العباد. واعلم أن غير الحاكم ما عين الله له إقامة الحد عليه فلا ينبغي أن يقوم به غضب عند تعدي الحدود، فليس ذلك إلا للحكام خاصة ولرسول الله ﷺ من حيث ما هو حاكم، فلو كان مبلغاً لا حاكماً لم يقم به غضب على من رد دعوته فإنه ليس له من الأمر شيء وليس عليه هداهم فإن الله يقول في هذا للرسول ﷺ: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وقد بلغ فأسمع الله من شاء وأصم من شاء فهم أعقل الناس أعني الأنبياء، وإذا كوشف الداعي على من أصمه الله عن الدعوة فما سمعها لم يتغير لذلك فإن الصائح إذا نادى من قام به الصمم وعلم أنه لم يسمع نداءه لم يجد عليه وقام عذره عنده، فإن كان الرسول حاكماً تعين عليه الحكم بما عين الله له فيه، وهذا علم شريف يحتاج إليه كل وال في الأرض على العالم.

وأما علم ما يحتاج إليه الملك من الأرزاق فهو أن يعلم أصناف العالم وليس إلا اثنان وأعني بالعالم الذي يمشي فيهم حكم هذا الإمام وهم: عالم الصور وعالم الأنفس المدبرون لهذه الصور فيما يتصرّفون فيه من حركة أو سكون، وما عدا هذين الصنفين فما له عليهم حكم إلا من أراد منهم أن يحكمه على نفسه كعالم الجان. وأما العالم النوراني فهم خارجون عن أن يكون للعالم البشريّ عليهم تولية، فكل شخص منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما يتنزل إلا بأمر ربه، فمن أراد تنزيل واحد منهم فيتوجه في ذلك إلى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك إسعافاً لهذا السائل أو ينزله عليه ابتداء. وأما السائحون منهم فمقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر، فإذا وجدوا أهل الذكر وهم أهل القرآن

Marfat.com

الذاكرون القرآن فلا يقدمون عليهم أحداً من مجالس الذاكرين بغير القرآن، فإذا لم يجدوا ذلك ووجدوا الذاكرين الله لا من كونهم تالين قعدوا إليهم ونادى بعضهم بعضاً هلموا إلى بغيتكم فذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم. فإذا علم الإمام ذلك لم يزل يقيم جماعة يتلون آيات الله آناء الليل والنهار، وقد كنا بفاس من بلاد المغرب قد سلكنا هذا المسلك لموافقة أصحاب موفقين كانوا لنا سامعين وطائعين وفقدناهم ففقدنا لفقدهم هذا العمل الخالص وهو أشرف الأرزاق وأعلاها فأخذنا لما فقدنا مثل هؤلاء في بث العلم من أجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم، ورأينا أن لا نورد شيئاً منه إلا من أصل هو مطلوب لهذا الصنف الروحاني وهو القرآن، فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا نخرج عنه فإنه أرفع ما يمنح، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه وشهد منزلته حالاً من نفسه وكلمه به الحق في سرّه، فإن الحق إذا كان هو المكلم عبده في سرّه بارتفاع الوسائط فإن الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه فإن تأخر عنه فليس هو كلام الله، ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده، فإذا كلمه بالحجاب الصوري بلسان نبيّ أو من شاء الله من العالم فقد يصحبه الفهم وقد يتأخر عنه هذا هو الفرق بينهما.

وأما الأرزاق المحسوسة فإنه لا حكم له فيها إلا في بقية الله فمن أكل مما خرج عن هذه البقية لم يأكل من يد هذا الإمام العادل، وليس مسمى رزق الله في حق المؤمنين إلا بقية الله، وكل رزق في الكون من بقية الله، وما بقي إلا أن يفرق بينهما، وذلك أن جميع ما في العالم من الأموال لا يخلو إما أن يكون لها مالك معين أو لا يكون لها مالك، فإن كان لها مالك معين فهي من بقية الله لهذا الشخص، وإن لم يكن لها مالك معين فهي لجميع المسلمين، فجعل الله لهم وكيلاً هذا الإمام يحفظ عليهم ذلك، فهذا من بقية الله الذي زاد على المال المملوك، فكل رزق في العالم بقية الله، إن عرفت معنى بقية الله فمال زيد بقية الله لزيد لما حجر الله عليه التصرّف في مال عمرو بغير إذنه، ومال عمرو بقية الله لعمر ولما حجر عليه التصرّف في مال زيد بغير إذنه، فما في العالم رزق إلا وهو بقية الله، فيحكم الإمام فيه بقدر ما أنزل الله من الحكم فيه فاعلم ذلك، فالناس على حالتين: اضطرار وغير اضطرار، فحال الاضطرار يبيح قدر الحاجة في الوقت ويرفع عنه حكم التحجير، فإذا نال ما يزيلها به رجح عليه حكم التحجير، فإن كان المضطرّ قد تصرّف فيما هو ملك لأحد تصرّف فيه بحكم الضمان في قول وبغير ضمان في قول، فإن وجد أداه عند القائل

Marfat.com

بالضمان، وإن لم يجد فإمام الوقت يقوم عنه في ذلك من بيت المال، وإن كان المتصرّف قد تصرّف فيما لا يملكه أحد أو يملكه الإمام بحكم الوكالة المطلقة من الله له فلا شيء عليه لا ضمان ولا غيره، وهذا علم يتعين المعرفة به على إمام الوقت لا بدّ منه، فما تصرّف أحد من المكلفين بالوجه المشروع إلا في بقية الله، قال الله عز وجل: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ وهو حكم فرعيّ، وإنما الأصل أن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ثم حجر وأبقى فما أبقاه سماه بقية الله وما حجر سماه حراماً أي المكلف ممنوع من التصرّف فيه حالاً أو زماناً أو مكاناً مع التحجير، فإنّ الأصل التوقف عن إطلاق الحكم فيه بشيء، فإذا جاء حكم الله فيه كنا بحسب الحكم الإلهيّ الذي ورد به الشرع إلينا، فمن عرف هذا عرف كيف يتصرّف في الأرزاق.

وأما علم تداخل الأمور بعضها على بعض فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ فالمولج ذكر والمولج فيه أنثى، هذا الحكم له مستصحب حيث ظهر، فهو في العلوم العلم النظري، وهو في الحس النكاح الحيوانيّ والنباتي، وليس شيء من ذلك مراداً لنفسه فقط بل هو مراد لنفسه ولما ينتجه، ولولا اللحمة والسدا ما ظهر للشفة عين وهو سار في جميع الصنائع العملية والعلمية، فإذا علم الإمام ذلك لم تدخل عليه شبهة في أحكامه، وهذا هو الميزان الموضوع في العالم في المعاني والمحسوسات، والعاقل يتصرّف بالميزان في العالمين بل في كل شيء له التصرّف فيه، وأما الحاكمون بالوحي المنزل أهل الإلقاء من الرسل وأمثالهم فما خرجوا عن التوالج، فإن الله جعلهم محلاً لما يلقى إليهم من حكمه في عباده، قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ وقال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ فما ظهر حكم في العالم من رسول إلا عن نكاح معنوي لا في النصوص ولا في الحاكمين بالقياس، فالإمام يتعين عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهيّ وبين ما يكون بطريق القياس وما يعلمه المهدي أعني علم القياس ليحكم به وإنما يعلمه ليتجنبه، فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه ليسدّده، وذلك هو الشرع الحقيقيّ المحمديّ الذي لو كان محمد ﷺ حياً ورفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بما يحكم هذا الإمام، فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدي فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها ولذلك قال رسول الله ﷺ في صفة المهدي: «يقفو أثري لا يخطىء» فعرفنا أنه متبع لا متبوع، وأنه معصوم ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطىء، فإن حكم الرسول

Marfat.com

لا ينسب إليه خطأ، فإنه ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ كما أنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجوداً وأهل الكشف النبيّ عندهم موجود فلا يأخذون الحكم إلا عنه، ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له، كما أن الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه، فينزل على قلوب العارفين الصادقين من الله التعريف بحكم النوازل أنه حكم الشرع الذي بعث به رسول الله ﷺ، وأصحاب علم الرسوم ليست لهم هذه المرتبة لما أكبوا عليه من حب الجاه والرياسة والتقدّم على عباد الله وافتقار العامّة إليهم، فلا يفلحون في أنفسهم ولا يفلح بهم، وهي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من قضاء وشهادة وحسبة وتدريس. وأما المتنمسون منهم بالدين فيجمعون أكتافهم وينظرون إلى الناس من طرف خفي نظر الخاشع ويحركون شفاههم بالذكر ليعلم الناظر إليهم أنهم ذاكرون، ويتعجمون في كلامهم ويتشدقون ويغلب عليهم رعونات النفس وقلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله إليهم، هذا حال المتدين منهم لا الذين هم قرناء الشيطان لا حاجة لله بهم، لبسوا للناس جلود الضأن مّن اللين أخوان العلانية أعداء السريرة، فالله يراجع بهم ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم، وإذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدوّ مبين إلا الفقهاء خاصة فإنهم لا تبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة، ولا يبقى لهم علم بحكم إلا قليل، ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون فيقبلون حكمه من غير إيمان بل يضمرون خلافه كما يفعل الحنفيون والشافعيون فيما اختلفوا فيه، فلقد أخبرنا أنهم يقتتلون في بلاد العجم أصحاب المذهبين ويموت بينهما خلق كثير ويفطرون في شهر رمضان ليتقووا على القتال، فمثل هؤلاء لولا قهر الإمام المهدي بالسيف ما سمعوا له ولا أطاعوه بظواهرهم، كما أنهم لا يطيعونه بقلوبهم بل يعتقدون فيه أنه إذا حكم فيهم بغير مذهبهم أنه على ضلالة في ذلك الحكم، لأنهم يعتقدون أن زمان أهل الاجتها قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم، وأن الله لا يوجد بعد أئمتهم أحداً له درجة الاجتهاد، وأما من يدعي التعريف الإلهيّ بالأحكام الشرعية فهو عندهم مجنون مفسود الخيال لا يلتفتون إليه، فإن كان ذا مال وسلطان انقادوا في الظاهر إليه رغبة في ماله وخوفاً من سلطانه وهم ببواطنهم كافرون به.

وأما المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس فـإنه متعين على الإمام خصوصاً دون جميع الناس، فإن الله ما قدمه على خلقه ونصبه إماماً لهم إلا ليسعى في مصالحهم هذا والذي

Marfat.com

ينتجه هذا السعي عظيم، وله في قصة موسى عليه السلام لما مشى في حق أهله ليطلب لهم ناراً يصطلون بها ويقضون بها الأمر الذي لا ينقضي إلا بها في العادة وما كان عنده عليه السلام خبر بما جاءه فأسفرت له عاقبة ذلك الطلب عن كلام ربه فكلمه الله تعالى في عين حاجته وهي النار في الصورة ولم يخطر له عليه السلام ذلك الأمر بخاطر، وأي شيء أعظم من هذا؟ وما حصل له إلا في وقت السعي في حق عياله ليعلمه بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصاً في سعيه في حقهم، فكان ذلك تنبيهاً من الحق تعالى على قدر ذلك عند الله تعالى وعلى قدرهم لأنهم عبيده على كل حال، وقد وكل هذا على القيام بهم كما قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ فأنتج له الفرار من الأعداء الطالبين قتله الحكم والرسالة كما أخبر الله تعالى من قوله عليه السلام ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ وأعطاه السعي على العيال وقضاء حاجاتهم كلام الله وكله سعي بلا شك، فإن الفارّ أتى في فراره بنسبة حيوانية فرت نفسه من الأعداء طلباً للنجاة وإبقاء للملك والتدبير على النفس الناطقة، فما سعى بنفسه الحيوانية في فراره إلا في حق النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن، وحركة الأئمة كلهم العادلة إنما تكون في حق الغير لا في حق أنفسهم، فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق بينه وبين العامة. ولما أراد عمر بن عبد العزيز يوم ولي الخلافة أن يقيل راحة لنفسه لما تعب من شغله بقضاء حوائج الناس دخل عليه ابنه فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تستريح وأصحاب الحاجات على الباب من أراد الراحة لا يلي أمور الناس، فبكى عمر وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من ينبهني ويدعوني إلى الحق ويعينني عليه، فترك الراحة وخرج إلى الناس. وكذلك خضر واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام كان في جيش فبعثه أمير الجيش يرتاد لهم ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منه فعاش إلى الآن، وكان لا يعرف ما خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء، ولقيته بإشبيلية، وأفادني التسليم للشيوخ وأن لا أنازعهم، وكنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخاً لي في مسألة وخرجت من عنده فلقيت الخضر بقوس الحنية فقال لي: سلم إلى الشيخ مقالته، فرجعت إلى الشيخ من حيني فلما دخلت عليه منزله فكلمني قبل أن أكلمه وقال لي: يا محمد أحتاج في كل مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ، فقلت له: يا سيدنا ذلك هو الخضر الذي أوصاني؟ قال: نعم، قلت له: الحمد لله هذي فائدة، ومع هذا فما هو

Marfat.com

الأمر إلا كما ذكرت لك، فلما كان بعد مدة دخلت على الشيخ فوجدته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة وقال لي: إني كنت على غلط فيها وأنت المصيب، فقلت له: يا سيدي علمت الساعة أن الخضر ما أوصاني إلا بالتسليم ما عرفني بأنك مصيب في تلك المسألة فإنه ما كان يتعين علي نزاعك فيها فإنها لم تكن من الأحكام المشروعة التي يحرم السكوت عنها، وشكرت الله على ذلك، وفرحت للشيخ الذي تبين له الحق فيها، وهذا عين الحياة ماء خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء، ثم عاد إلى أصحابه فأخبرهم بالماء فسارع الناس إلى ذلك الموضع ليستقوا منه، فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يقدروا عليه، فهذا ما أنتج له سعيه في حق الغير، وكذلك من والى في الله وعادى في الله وأحب في الله وأبغض في الله فهو من هذا الباب، قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ فما يدري أحد ما لهم من المنزلة عند الله لأنهم ما تحرّكوا ولا سكنوا إلا في حق الله لا في حق أنفسهم إيثاراً لجناب الله على ما يقتضيه طبعهم.

وأما الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون خاصة في مدة خاصة وهي تاسع مسألة ليس وراءها ما يحتاج إليه الإمام في إمامته وذلك أن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه ﴿كل يوم هو في شأن﴾ والشأن ما يكون عليه العالم في ذلك اليوم، ومعلوم أن ذلك الشأن إذا ظهر في الوجود عرف أنه معلوم لكل من شهده، فهذا الإمام من هذه المسألة له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود، فيطلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن، فإن كان مما فيه منفعة لرعيته شكر الله وسكت عنه، وإن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم وشفع وتضرع فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته وفضله وأجاب دعاءه وسؤاله، فلهذا يطلعه الله عليه قبل وقوعه في الوجود بأصحابه، ثم يطلعه الله في تلك الشؤون على النوازل الواقعة من الأشخاص ويعين له الأشخاص بحليتهم، حتى إذا رآهم لا يشك فيهم أنهم عين ما رآه، ثم يطلعه الله على الحكم المشروع في تلك النازلة الذي شرع الله لنبيه محمد ﷺ أن يحكم به فيها فلا يحكم إلا بذلك الحكم فلا يخطىء أبداً، وإذا أعمى الله الحكم عليه في بعض النوازل ولم يقع له عليه كشف كان غايته أن يلحقها في الحكم بالمباح، ويعلم بعدم التعريف أن ذلك حكم الشرع فيها فإنه معصوم عن الرأي والقياس في الدين، فإن القياس ممن ليس بنبيّ حكم على الله في دين الله بما لا يعلم فإنه طرد علة، وما يدريك لعل الله لا

Marfat.com

يريد طرد تلك العلة، ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله ﷺ وأمر بطردها، هذا إذا كانت العلة مما نص الشرع عليها في قضية، فما ظنك بعلة يستخرجها الفقيه بنفسه ونظره من غير أن يذكرها الشرع بنص معين فيها ثم بعد استنباطه إياها يطردها، فهذا تحكم على تحكم بشرع لم يأذن به الله، وهذا يمنع المهدي من القول بالقياس في دين الله، ولا سيما وهو يعلم أن مراد النبيّ ﷺ التخفيف في التكليف عن هذه الأمة، ولذلك كان يقول ﷺ: «**اتركوني ما تركتكم**» وكان يكره السؤال في الدين خوفاً من زيادة الحكم، فكل ما سكت له عنه ولم يطلع على حكم فيه معين جعله عاقبة الأمر فيه الحكم بحكم الأصل، وكل ما أطلعه الله عليه كشفاً وتعريفاً فذلك حكم الشرع المحمدي في المسألة، وقد يطلعه الله في أوقات على المباح أنه مباح وعاقبة، فكل مصلحة تكون في حق رعاياه يطلعه الله عليها ليسأله فيه، وكل فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه فإن الله يطلعه عليه ليسأل الله في رفع ذلك عنهم لأنه عقوبة كما قال: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾.

فالمهدي رحمة كما كان رسول الله ﷺ رحمة، قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ والمهدي يقفو أثره لا يخطىء فلا بد أن يكون رحمة، كان رسول الله ﷺ يقول لما جرح: «**اللّهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**» يعتذر لربه عنهم ولما علم أنه بشر وأن أحكام البشرية قد تغلب عليه في أوقات دعا ربه فقال: «**اللهم إنك تعلم أني بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر**» يعني أغضب عليهم وأرضى لنفسي «**اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة له ورضواناً**».

فهذه تسعة أمور لم تصح لإمام من أئمة الدين خلفاء الله ورسوله بمجموعها إلى يوم القيامة إلا لهذا الإمام المهدي، كما أنه ما نص رسول الله ﷺ على إمام من أئمة الدين يكون بعده يرثه ويقفو أثره لا يخطىء إلا المهدي خاصة، فقد شهد بعصمته في أحكامه، كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم الاشتراك في الأحدية وهو الاشتراك العام مثل قوله: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ وقال تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ فوصف نفسه تعالى بالأحدية وهذه السورة نسب الحق تعالى وأفرد العبادة له من كل أحد. وفيه علم الإنزال الإلهي. وفيه علم المعنى الذي جعل الكتابة كلاماً وحقيقة الكلام معلومة عند العقلاء،

Marfat.com

والكلام مسألة مختلف فيها بين النظار. وفيه علم الكلام المستقيم من الكلام المعوج وبماذا يعرف استقامة الكلام من معوجه. وفيه علم ما جاءت به الرسل عموماً وخصوصاً. وفيه علم من تكلم بغير علم هل هو علم في نفس الأمر ولا علم عند من يرى أنه ليس بعلم أنه علم مع كونه يعلم أنه لا منطق إلا الله. وفيه علم معرفة الصدق والكذب ولماذا يرجعان والصادق والكاذب. وفيه علم إذا علمه الإنسان ارتفع عنه الحرج في نفسه إذا رأى ما جرت به العادة في النفوس من الأمور العوارض أن يؤثر فيها حرجاً حتى يود الإنسان أن يقتل نفسه لما يراه وهذا يسمى علم الراحة وهو علم أهل الجنة خاصة، فمن فتح الله به على أحد من أهل الدنيا في الدنيا فقد عجلت له راحة الأبد مع ملازمة الأدب ممن هذه صفته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر مرتبته. وفيه علم ما أظهر الله للأبصار على الأجسام أنه حلية الأجسام ومن قبح عنده بعض ما ظهر لماذا قبح عنده ومن رآه كله حسناً لما رآه وبأي عين رآه فيقابله من ذاته بأفعال حسنة، وهذا العلم من أحسن علم في العالم وأنفعه وهو الذي يقول بعض المتكلمين فيه: لا فاعل إلا الله، وأفعاله كلها حسنة فهؤلاء لا يقبحون من أفعال الله إلا ما قبحه الله فذلك لله تعالى لا لهم، ولو لم يقبحوا ما قبح الله لكانوا منازعين لله عز وجل.

وفيه علم ما وضعه الله في العالم على سبيل التعجب وليس إلا ما خرق به العادة، وأما الذين يعقلون عن الله فكل شيء في العادة عندهم فيه تعجب، وأما أصحاب العوائد فإنهم لا تعجب عندهم إلا فيما ظهر فيه خرق العادة. وفيه علم التشوق إلى معالي الأمور من جبلة النفوس وبماذا تعلم معالي الأمور هل بالعقل أو بالشرع؟ وما هي معالي الأمور؟ وهل هي أمر يعم العقلاء أو هو ما يراه زيد من معالي الأمور لا يراه عمرو بتلك الصفة فيكون إضافياً؟ وفيه علم دخول الأطول في الأقصر وهو إيراد الكبير على الصغير. وفيه علم أحكام الحق في الخلق إذا ظهر وإذا بطن ومن أي حقيقة يقبل الاتصاف بالظهور والبطون. وفيه علم الحيرة التي لا يمكن لمن دخل فيها أن يخرج منها. وفيه علم من يرى أمراً على خلاف ما هو عليه ذلك الأمر في نفسه وهل يصح لصاحب هذا العلم أن يجمع بين الأمرين أم لا؟ وفيه علم اتساع البرازخ وضيقها. وفيه علم ما للاعتدال والانحراف من الأثر فيما ينحرف عنه أو يقابل. وفيه علم الأحوال في العالم وهل لها أثر في غير العالم أم لا أثر لها فيه؟ وفيه علم ما يعظم عند الإنسان الكامل وماثم أعظم منه ولماذا يرجع ما يعظم عنده حتى يؤثر فيه حالة لا يقتضيها مقامه الذي هو فيه، وهل حصل له ذلك العلم عن مشاهدة أو فكر؟ وفيه علم هل

Marfat.com

يصح من الوكيل المفوّض إليه المطلق الوكالة أن يتصرف في مال موكله تصرف رب المال من جميع الوجوه أو له حدّ يقف عنده في حكم الشرع؟

وفيه علم حكمة طلب الأولياء الستر على مقامهم بخلاف الأنبياء عليهم صلوات الله. وفيه علم السياسة في التعليم حتى يوصل المعلم العلم إلى المتعلم من حيث لا يشعر المتعلم أن المعلم قصد إفادته بما حصل عنده من العلم فيقول له المتعلم: يا أستاذ لقد حصل لي من فعلك كذا وكذا مع كذا وكذا علم وافر صحيح وهو كذا، ويتخيل المتعلم أن الذي حصل له من العلم بذلك الأمر لم يكن مقصوداً للمعلم وهو مقصود في نفس الأمر للمعلم فيفرح المتعلم بما أعطاه الله من النباهة والتفطن حيث علم من حركة أستاذه علماً لم يكن عنده في زعمه أن أستاذه قصد تعليمه. وفيه علم من علوم الكشف وهو أن يعلم صاحب الكشف أن أي واحد أو جماعة قلت أو كثرت لا بد أن يكون معهم من رجال الغيب واحد عندما يتحدثون، فذلك الواحد ينقل أخبارهم في العالم ويجد ذلك الناس من نفوسهم في العالم يجتمع جماعة في خلوة أو يحدث الرجل نفسه بحديث لا يعلم به إلا الله فيخرج أو تخرج تلك الجماعة فتسمعه في الناس والناس يتحدثون به، ولقد عملت أبياتاً من الشعر بمقصورة ابن مثنى بشرقي جامع تونس من بلاد إفريقية عند صلاة العصر في يوم معلوم معين بالتاريخ عندي بمدينة تونس فجئت إشبيلية وبينهما مسيرة ثلاثة أشهر للقافلة فاجتمع بي إنسان لا يعرفني فأنشدني بحكم الاتفاق تلك الأبيات عينها ولم أكن كتبتها لأحد فقلت له: لمن هي هذه الأبيات؟ فقال لي: لمحمد بن العربي وسماني، فقلت له: ومتى حفظتها؟ فذكر لي التاريخ الذي عملتها فيه والزمان مع طول هذه المسافة فقلت له: ومن أنشدك إياها حتى حفظتها؟ فقال لي: كنت جالساً في ليلة بشرق إشبيلية في مجلس جماعة على الطريق ومر بنا رجل غريب لا نعرفه كأنه من السياح فجلس إلينا فتحدث معنا ثم أنشدنا هذه الأبيات فاستحسناها وكتبناها فقلنا له: لمن هذه الأبيات؟ فقال: لفلان وسماني لهم، فقلنا له: فهذه مقصورة ابن مثنى ما نعرفها ببلادنا، فقال: هي بشرقي جامع تونس، وهنالك عملها في هذه الساعة وحفظتها منه ثم غاب عنا فلم ندر ما أمره ولا كيف ذهب عنا وما رأيناه. ولقد كنت بجامع العديس بإشبيلية يوماً بعد صلاة العصر وشخص يذكر لي عن رجل كبير من أهل الطريق من أكابرهم اجتمع به في خراسان فذكر لي فضله وإذا بشخص أنظر إليه قريباً منا والجماعة معي لا تراه فقال لي: أنا هو هذا الشخص الذي يصفه لك هذا الرجل الذي اجتمع بنا في خراسان، فقلت للرجل المخبر: إن هذا الرجل الذي رأيته

Marfat.com

بخراسان أتعرف صفته؟ فقال: نعم فأخذت أنعته له بآثار كانت فيه وحلية في خلقه فقال الرجل: هو والله على صورة ما وصفت، هل رأيته؟ فقلت له: هو ذا جالس يصدقك عندي فيما تخبر به عنه وما وصفته لك إلا وأنا أنظر إليه وهو عرّفني بنفسه ولم يزل معي جالساً حتى انصرفت فطلبته فلم أجده، وأما الأبيات التي أنشدنيها لي فهي هذه:

مقصـــورة ابـــن مثنـــى ... أمسيـــت فيهـــا معنـــى
بشـــادن تـــونســـي ... حلـــو اللّمـــا يتمنـــى
خلعـــت فيـــه عـــذاري ... فـأصبـح الجسـم مضنـى
ســـألتـــه الـــوصـــل لمـــا ... رأيتـــــه يتجنـــــى
وهـــز عطفيـــه عجبـــاً ... كـــالغصـــن إذ يتثنـــى
وقـــال أنـــت غـــريـــب ... إليـــك يـــا هـــذا عنـــا
فـــذبـــت شـــوقـــاً ويـــأســـاً ... ومـــت وجـــداً وحـــزنـــا

وهذا الصبي يقال له أحمد بن الإدريسي من تجار البلد كان أبوه وكان شاباً صالحاً يحب الصالحين ويجالسهم وفقه الله، وكان هذا المجلس بيني وبينه سنة تسعين وخمسمائة ونحن الآن في سنة خمس وثلاثين وستمائة. وفيه علم ما يحمد من الجدال وما يذم منه، ولا ينبغي لمسلم ممن ينتمي إلى الله أن يجادل إلا فيما هو فيه محق عن كشف لا عن فكر ونظر، فإذا كان مشهوداً له ما يجادل عنه حينئذ يتعين عليه الجدال فيه بالتي هي أحسن إذا كان مأموراً بأمر إلهي، فإن لم يكن مأموراً فهو بالخيار، فإن تعين له نفع الغير بذلك كان مندوباً إليه، وإن يئس من قبول السامعين له فليسكت ولا يجادل، فإن جادل فإنه ساع في هلاك السامعين عند الله. وفيه علم قول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله مع علمه في نفسه في ذلك الوقت أنه مؤمن، وهذه مسألة عظيمة الفائدة لمن نظر فيها تعلمه الأدب مع الله إذا لم يتعد الناطق بها الموضع الذي جعلها الله فيه، فإن تعداه ولم يقف عنده أساء الأدب مع الله ولم ينجح له طلب. وفيه علم الشيء الذي يذكرك بالأمر الذي كنت قد علمته ثم نسيته. وفيه علم الزيادة في الزمان والنقصان لماذا ترجع وقول النبي ﷺ: «**قد يكون الشهر تسعاً وعشرين**» لعائشة في إيلائه من نسائه، وبماذا ينبغي الأخذ من ذلك في الحكم الشرعي هل بأقل ما ينطلق عليه اسم الشهر أو بأكثر؟

وفيه علم إيثار صحبة أهل الله على الغافلين عن الله وإن شملهم الإيمان. وفيه علم ما

Marfat.com

ينبغي لجلال الله أن يعامل به سواء أرضى العالم أم أسخطه. وفيه علم المياه وهو علم غريب وما حد الريّ منها في المرتوي من الماء الذي يروي، فإن من الماء ما يروي ومنه ما لا يروي، وما هو الماء الذي جعل الله منه كل شيء حيّ هل هو كل ماء أو له خصوص وصف من بين المياه؟ ووصف الماء الذي خلق الله منه بني آدم بالمهانة فقال: ﴿خلقنا الإنسان من ماء مهين﴾. وفيه علم علامة من أسعده الله ممن أشقاه في الحياة الدنيا. وفيه علم ما هي الدنيا في نفسها وما حياتها وما زينتها. وفيه علم ما يبقى وما يفنى وما يقبل الفناء من العالم وما يقبل البقاء. وفيه علم صورة الإحاطة بما لا يتناهى ومما لا يتناهى لا يوصف بأنه محاط به لأنه يستحيل دخوله في الوجود. وفيه علم أحوال الجان وتكليف الحق إياهم بالشرائع المنزلة من عنده هل هو تكليف ألزمهم الحق به ابتداء أو ألزموه أنفسهم فألزمهم الحق به كالنذر؟ وفيه علم الفرق بين الفعل والمفعول. وفيه علم من يقبل الإعانة في الفعل. وفيه علم النحل والملل. وفيه علم الاستحقاق. وفيه علم ما لا ينفع العلم به. وفيه علم العلم الغريب بماذا تقبله النفوس وتقبل عليه أكثر من غيره.

وفيه علم يصح الإعراض عن العلم مع بقائه علماً في المعرض عنه أو يقدح عنده شبهة فيه فلا يعرض عنه حتى يزول عنه أنه علم وهذا عند المحققين العارفين من أخفى العلوم. وفيه علم الحجب التي تحول بين عين البصيرة وما ينبغي لها أن تدركه لولا هذه الحجب. وفيه علم الحلم والفرق بينه وبين العفو، وعلم الغفور الرحيم هل هو برزخ بين الحليم والعفو ولهما حكم في هذا أم لا؟ وفيه علم لا تتعدى الأمور مقاديرها عند الله. وفيه علم ما الذي أغفل الأكابر عن الاستثناء الإلهي في أفعالهم كقصة سليمان وموسى وغيرهما عليهم السلام. وفيه علم رد ما ينبغي لمن ينبغي وهو أفضل العلوم لأنه يورث الراحة ويسلم من الاعتراض عليه في ذلك والله أعلم. وفيه علم ما يحمده من نفسه وينكره من غيره ويذمه. وفيه علم الوقوف بين العالمين ما حال الواقف فيه. وفيه علم كون الحق ما أوجد شيئاً إلا عن سبب فمن رفع الأسباب فقد جهل فمن يزعم أنه رفعها فما رفعها إلا بها إذ لا يصح رفع ما أقره الله وما يعطيه حال الوجود، وما الفرق بين الأسباب المعتادة التي يجوز رفعها وبين الأسباب المعقولة التي لا يمكن رفعها. وفيه علم من احتاط على عباد الله ما له عند الله. وفيه علم اتخاذ الشبه أدلة ما الذي أعماهم عن كونها شبهاً. وفيه علم من يهمل من عباد الله يوم القيامة ممن لا يهمل. وفيه علم الخواص. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والستون وثلثمائة

في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له وقصور الأفهام عن دركه

إن التـوكـل يثبـت الأسبـابـا ويفتـح الأغـلاق والأبـوابـا
ويجـود بـالخيـر الأعـم لنفسـه ويقـرب الأعـداء والأحبـابـا
ويقـول للنفس الضعيفـة نـاصحاً وحـد إلهـك واتـرك الأربـابـا
إنـي خليفتـه وقـد وكلتـه فمـن اقتفـى أثـري إليـه أصـابـا
إنـي لـه رحـم وذاك وسيلتـي فلقـد نجـا مـن يحفـظ الأنسـابـا

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا له تعالى وهو قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل في حال كونه استوى على العرش، في حال كونه في العماء، في حال كونه في الأرض وفي السماء، في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد منه، وهذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو، فما نقل الله عبداً من مكان إلى مكان ليراه بل ليريه من آياته التي غابت عنه، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ وكذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه أيضاً من آياته فنقله في أحواله مثل قوله ﷺ: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وكذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ وذلك عين اليقين لأنه عن رؤية وشهود، وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى إلا بتلك الآية وهو قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ وحديث الإسراء يقول: «ما أسريت به إلا لرؤية الآيات لا إليّ فإنه لا يحويني مكان ونسبة

Marfat.com

الأمكنة إليّ نسبة واحدة فأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن فكيف أسري به إليّ وأنا عنده ومعه أينما كان» فلما أراد الله أن يري النبيّ عبده محمداً ﷺ من آياته ما شاء أنزل إليه جبريل عليه السلام وهو الروح الأمين بدابة يقال لها البراق إثباتاً للأسباب وتقوية له ليريه العلم بالأسباب ذوقاً، كما جعل الأجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم، والبراق دابة برزخية فإنه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد، فجمع البراق بين من ظهر من جنسين مختلفين وبين من ظهر من جنس واحد لحكمة علمها أهل الله في صدور عالم الخلق وعالم الأمر، وفي صدور الأجسام الطبيعية وما فوقها، فركبه ﷺ وأخذه جبريل عليه السلام والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل إليه للرسول ليركبه تهمماً به في الظاهر وفي الباطن أن لا يصل إليه إلا على ما يكون منه لا على ما يكون لغيره ليتنبه بذلك، فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الأمور، فهو تعريف في نفس الأمر كما قررناه بما قلناه، فجاء ﷺ إلى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء عليهم السلام كل ذلك إثبات للأسباب، فإنه ما من رسول إلا وقد أسرى به راكباً على ذلك البراق، وإنما ربطه مع علمه بأنه مأمور، ولو أوقفه دون ربط بحلقة لوقف، ولكن حكم العادة منعه من ذلك إبقاء لحكم العادة التي أجراها الله في مسمى الدابة، ألا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب، وأنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة الآتية إلى مكة، فوصف البراق بأنه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية أعني القدح، فلما صلى جاءه جبريل بالبراق فركب عليه ومعه جبريل فطار البراق في الهواء فاخترق به الجوّ فعطش واحتاج إلى الشرب فأتاه جبريل عليه السلام بإناءين إناء لبن وإناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك، ولذلك كان ﷺ يتأول اللبن إذا رآه في النوم بالعلم.

خرج البخاري في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأني أتيت بقدح لبن فشربته حتى رأيت الريّ يخرج من تحت أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم فلما وصل إلى السماء الدنيا استفتح جبريل فقال له الحاجب: من هذا؟ فقال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح فدخلنا فإذا بآدم وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء أهل الجنة، وعن يساره نسم بنيه الأشقياء عمرة النار، ورأى ﷺ نفسه في أشخاص السعداء الذين على يمين آدم

Marfat.com

فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين وهو عينه لا غيره فكان له كالصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة والمرايا فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح، ثم عرج به البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الأولى والسماء الثانية أو سمك السموات فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأولى وقال وقيل له، فلما دخل إذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فإنه لم يمت إلى الآن بل رفعه الله إلى هذه السماء وأسكنه بها وحكمه فيها وهو شيخنا الأوّل الذي رجعنا على يديه وله بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة وأرجو أن ندرك زمان نزوله إن شاء الله فرحب به وسهل، ثم جاء السماء الثالثة فاستفتح وقال وقيل له، ففتحت وإذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب وسهل وجبريل في هذا كله يسمي له من يراه من هؤلاء الأشخاص، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فاستفتح وقال وقيل له، ففتحت فإذا بإدريس عليه السلام بجسمه فإنه ما مات إلى الآن بل رفعه الله مكاناً علياً وهو هذه السماء قلب السموات وقطبها فسلم عليه ورحب وسهل، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح قال وقيل له، ففتحت فإذا بهارون ويحيى عليهما السلام فسلما عليه ورحبا به وسهلا، ثم عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح وقال وقيل له ففتحت فإذا بموسى عليه السلام فسلم عليه ورحب وسهل، ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتح وقال وقيل له، ففتحت فإذا بإبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر إليه وركع فيه ركعتين وأعلمنا أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر، فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغارب الكواكب، وأخبره أن أوّلئك الملائكة يخلقهم الله كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من انغماسه في نهر الحياة فإن له كل يوم غمسة فيه، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله من النور ما غشي فلا يستطيع أحد أن ينعتها لأن البصر لا يدركها لنورها ورأى أنه يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران ونهران باطنان، فأخبره جبريل أن النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان إلى الجنة، وأن هذين النهرين النيل والفرات يرجعان يوم القيامة إلى الجنة وهما نهرا العسل واللبن، وفي الجنة أربعة أنهار: ﴿نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى﴾ وهذه الأنهار تعطي لأصحابها علوماً عند شربهم منها متنوعة يعرفها أصحاب

Marfat.com

الأذواق في الدنيا ولنا فيها جزء صغير فلينظر ما ذكرناه في ذلك الجزء، وأخبره أن أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة وأنها مقر الأرواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهناك منصته، فنزل ﷺ عن البراق بها وجيء إليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل إلى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال: لا أقدر لو خطوت خطوة احترقت فما منا إلا له مقام معلوم، وما أسرى الله بك يا محمد إلا ليريك من آياته فلا تغفل، فودعه وانصرف على الرفرف مع ذلك الملك يمشي به إلى أن ظهر لمستوى سمع منه صريف القلم والأقلام في الألواح بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك، قال تعالى: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ ثم زج في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فاستوحش لما لم يره وبقي لا يدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفزعه الحال وكان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرناه من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال، وأعطاه الله في نفسه علماً علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته، فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على الحق فسمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر وهو يقول له: يا محمد قف إن ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب وقال في نفسه: أربي يصلي؟ فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر الصديق تلى عليه: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق.

فلما فرغ من الصلاة مثل قوله: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ مع أنه لا يشغله شأن عن شأن ولكن لخلقه أصناف العالم أزمان مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما سبق في علمه ومشيئته في ذلك، فأوحى الله إليه في تلك الوقفة ما أوحى ثم أمر بالدخول فدخل فرأى عين ما علم لا غير وما تغيرت عليه صورة اعتقاده، ثم فرض عليه في جملة ما أوحى به إليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزل حتى وصل إلى موسى عليه السلام فسأله موسى عما قيل له وما فرض عليه فأجابه وقال: إن الله فرض على أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له: يا محمد قد تقدمت إلى هذا الأمر قبلك وعرفته ذوقاً وتعبت مع أمتي فيه وإني أنصحك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجع ربك وسله التخفيف، فراجع ربه فترك له عشراً فأخبر موسى بما ترك له ربه فقال له موسى: راجع ربك فراجعه

Marfat.com

فترك له عشراً، فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فقال له ربه: هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لديّ، فأخبر موسى فقال راجع ربك فقال: إني أستحي من ربي وقد قال لي كذا وكذا، ثم ودعه وانصرف ونزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر، فنزل بالحجر فطاف ومشى إلى بيته» فلما أصبح ذكر ذلك للناس فالمؤمن به صدقه وغير المؤمن به كذبه والشاك ارتاب فيه، ثم أخبرهم بحديث القافلة وبالشخص الذي كان يتوضأ وإذا بالقافلة قد وصلت كما قال فسألوا الشخص فأخبرهم بقلب القدح كما أخبرهم رسول الله ﷺ وسأله من حضر من المكذبين ممن رأى بيت المقدس أن يصفه لهم ولم يكن رأى منه ﷺ إلا قدر ما مشى فيه وحيث صلى فرفعه الله له حتى نظر إليه فأخذ ينعته للحاضرين فما أنكروا من نعته شيئاً ولو كان الإسراء بروحه وتكون رؤيا رآها كما يراه النائم في نومه ما أنكره أحد ولا نازعه وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه في هذه المواطن كلها، وله ﷺ أربعة وثلاثون مرة الذي أسرى به منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها.

وأما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم واختراق السموات والأفلاك حساً وقطع مسافات حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السموات فما فوقها، فلنذكر من إسراء أهل الله ما أشهدني الله خاصة من ذلك، فإن إسراءاتهم تختلف لأنها معان متجسدة بخلاف الإسراء المحسوس، فمعارج الأولياء معارج أرواح ورؤية قلوب وصور برزخيات ومعان متجسدات، فما شهدته من ذلك وقد ذكرناه في كتابنا المسمى بالإسراء وترتيب الرحلة:

ألـم تـر أن الله أسـرى بعبـده ... من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السموات قاصداً ... إلـى بيتـه المعمـور بـالمـلأ الأعلـى
إلى السدرة العليا وكرسيه الأحمى ... إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلـى سبحـات الـوجـه حيـن تقشعـت ... سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
وكـان تـدليـه علـى الأمـر إذ دنـى ... مـن الله قـربـاً قـاب قـوسيـن أو أدنـى

Marfat.com

وكانت عيون الكون عنه بمعزل ... تلاحظ ما يسقيه بالمورد الأحلى
فخاطبه بالأنس صوت عتيقه ... توقف فرب العرش سبحانه صلى
فأزعجه ذاك الخطاب وقال هل ... يصلي إلهي ما سمعت به يتلى
وشال حجاب العلم عن عين قلبه ... وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعاين ما لا يقدر الخلق قدره ... وأيده الرحمن بالعروة الوثقى
وألفاه تواقاً إلى وجه ربه ... فأكرمه الرحمن بالمنظر الأجلى
ومن قبل ذا قد كان أشهد قلبه ... بغار حراء قبل ذلك في المجلى

فإذا أراد الله تعالى أن يسري بأرواح من شاء من ورثة رسله وأوليائه لأجل أن يريهم من آياته فهو إسراء لزيادة علم وفتح عين فهم فيختلف مسراهم، فمنهم من أسرى به فيه فهذا الإسراء فيه حل تركيبهم فيوقفهم بهذا الإسراء على ما يناسبهم من كل عالم بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب والبسيط فيترك مع كل عالم من ذاته ما يناسبه، وصورة تركه معه أن يرسل الله بينه وبين ما ترك منه مع ذلك الصنف من العالم حجاباً فلا يشهده ويبقى له شهود ما بقي حتى يبقى بالسر الإلهيّ الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه، فإذا بقي وحده رفع عنه حجاب الستر فيبقى معه تعالى كما بقي كل شيء منه مع مناسبه فيبقى العبد في هذا الإسراء هو لا هو، فإذا بقي هو لا هو أسرى به من حيث هو لا من حيث لا هو إسراء معنوياً لطيفاً فيه لأنه في الأصل على صورة العالم وصورته على صورته تعالى فكله على صورته من حيث هو تعالى، فإن العالم على صورة الحق والإنسان على صورة العالم، فالإنسان على صورة الحق فإن المساوي لأحد المتساويين مساو لكل واحد من المتساويين، فإنه إذا كان كل ألف باء وكل باء جيم فكل ألف جيم فلينظر جيم من حيث هو ألف لا من حيث هو با، كذلك ينظر الإنسان نفسه من حيث هو على صورة الحق لا من حيث هو على صورة العالم وإن كان العالم على صورة الحق.

ولما كان الترتيب على ما وقع عليه الوجود لتأخر النشأة الجسمية الإنسانية عن العالم فكانت آخراً فظهرت في نشأتها على صورة العالم وما كان العالم على الكمال في صورة الحق حتى وجد الإنسان فيه، فبه كمل العالم، فهو الأوّل بالمرتبة والآخر بالوجود، فالإنسان من حيث رتبته أقدم من حيث جسميته، فالعالم بالإنسان على صورة الحق، والإنسان دون العالم على صورة الحق، والعالم دون الإنسان ليس على الكمال في صورة

Marfat.com

الحق، ولا يقال في الشيء أنه على صورة كذا حتى يكون هو من كل وجوهه إلا الذي لا يمكن أن يقال فيه هو كما قلنا في جيم أنه ألف لكونه با والبا ألف، ولكن قد تميز عين كل واحد بأمر ليس هو عين الآخر وهو كون الألف ألف والباء باء والجيم جيم، كذلك الحق حق، والإنسان إنسان، والعالم عالم، وقد بان ذلك بالتساوي، فإنه إن لم تكن ثم حقيقة يقع بها تميز الأعيان لم يصح أن تقول كذا مساو لكذا بل تقول: عين كذا بلا تجوز، فإني قد أشرت إلى أمرين فقد وقع التمييز فلا بد من فصل يعقل لولا ذلك الفصل ما كانت كثرة في عين الواحد، فلم يبق للواحد سوى أحديته التي يقال بها لا هو عين الآخر، وبالذي يقال به هو عين الآخر هو أحدية الكثرة، فإنه كثرة بإطلاق ألف با جيم عليه، ثم قال في إقامة البرهان: كل هذا هو هذا، فأشار فكثر وأعاد الضمير فوحد فوصل وفصل، فالفصل في عين الوصل لمن عقل، فإذا وقف الغير على ما قدمناه وعلم أنه ما كان على صورة العالم وإنما كان على صورة الحق أسرى به الحق في أسمائه ليريه من آياته فيه، فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهيّ، سواء كان ذلك الاسم من المنعوت بالحسن أو لا، وبها يظهر الحق في عباده، وبها يتلوّن العبد في حالاته، فهي في الحق أسماء وفينا تلوينات وهي عين الشؤون التي هو فيها الحق، ففينا بنا يتصرّف كما نحن به فيه نظهر ولهذا قلنا:

دليلـــي فيـــه تلـــوينـــي ... وهـــذا منـــك يكفينـــي
فلـم أسـأل عـن الأمـر الـ ... ـذي إليـك يـدعـونـي
فـــإنـــي ليـــس أدريـــه ... وليـس الأمـر يـدرينـي
فلـــو يـــدرينـــي الأمـ ... ـر لمـا ميـزت تكـوينـي
ولا قلنـــا ولا قـــالـــوا ... سيهـــدينـــي ويحيينـــي
وقـــد قـــالـــوا وقـــد قلنـــا ... فـــأعنيـــه ويعنينـــي
فـــأفنيـــه وأبقيـــه ... ويفنينـــي ويبقينـــي
فـــأرضيـــه فيمـــدحنـــي ... وأغضبـــه فيهجـــونـــي

فإذا أسرى الحق بالولي في أسمائه الحسنى إلى غير ذلك من الأسماء وكل الأسماء الإلهية علم تقلبات أحواله وأحوال العالم كله، وأن ذلك التقلب هو الذي أحدث فينا عين تلك الأسماء، كما علمنا أن تقلبات الأحوال أحكام تلك الأسماء، فاسم الحال الذي انقلبت منه، والذي انقلبت إليه هو أسمى به أقلب كما به تقلبت، فالرؤوف الرحيم كان ﷺ

Marfat.com

بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وبالمؤمن كان مؤمناً، وبالمهيمن كان مهيمناً، فجعلنا شهداء بعضنا على بعض وعلى أنفسنا وبالصبور والشكور كان ما ابتلى به من الريح لسوق الجواري في البحر ﴿آية لكل صبار﴾ لما فيها من الأمر المفزع الهائل ﴿شكور﴾ لما فيها من الفرح والنعمة بالوصول إلى المطلوب بسرعة، ولقد رأيت ذلك ذوقاً من نفسي جرينا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوماً في موج كالجبال فكيف لو كان البحر فارغاً والريح من ورائنا كنا نقطع أكثر من ذلك، ولكن أراد الله أن يرينا آيات كل صبار شكور، فما من اسم سمى به نفسه إلا وسمانا به، فبها نتقلب في أحوالنا وبها نقلب، فمن علم هذه الآيات فقد أسرى الحق به في أسمائه فأراه من آياته ليكون سميعاً بصيراً، سميعاً لما يخبر به الحق من التعريفات باللسان الخاص وهو ما أنزله من كلامه الذي نسبه إليه وباللسان العام وهو ما يتكلم به جميع العالم مما يتكلمون به كان ما كان فإنه قد سمعنا ما حكاه الحق لنا من كلام اليهود فيه وسمعناه من اليهود فسمعناه باللسان العام والخاص فحكى ما نطقهم به، إذ ليس في وسع المخلوق أن ينطق من غير أن ينطق فإذا نطق نطق فافهم فحكى به عنهم بهم عنه.

فإذا كمل حظه من الإسراء في الأسماء وعلم ما أعطته من الآيات أسماء الله في ذلك الإسراء عاد يركب ذاته تركيباً غير ذلك التركيب الأول لما حصل له من العلم الذي لم يكن عليه حين تحلل، فما زال يمر على أصناف العالم ويأخذ من كل عالم ما ترك عنده منه فيتركب في ذاته فلا يزال يظهر في طور طور إلى أن يصل إلى الأرض فيصبح في أهله، وما عرف أحد ما طرأ عليه في سره حتى تكلم فسمعوا منه لساناً غير اللسان الذي كانوا يعرفونه، فإذا قال له أحدهم ما هذا؟ يقول له: إن الله أسرى بي فأراني من آياته ما شاء، فيقول له السامعون: ما فقدناك كذبت فيما ادعيت من ذلك، ويقول الفقيه منهم: هذا رجل يدعي النبوّة أو قد دخله خلل في عقله فهو إما زنديق فيجب قتله وإما معتوه فلا خطاب لنا معه، فيسخر به قوم ويعتبر به آخرون ويؤمن بقوله آخرون وترجع مسألة خلاف في العالم، وغاب الفقيه عن قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ ولم يخص طائفة من طائفة، فمن أراه الله شيئاً من هذه الآيات على هذه الطريقة التي ذكرناها فليذكر ما رآه ولا يذكر الطريقة فإنه يصدق وينظر في كلامه ولا يقع الإنكار عليه إلا إذا ادعى الطريقة.

واعلم أنه ليس بين العالم وصاحب هذه الطريقة والصفة فرق في الإسراء لأنه لرؤية

Marfat.com

الآيات وتقلبات الأحوال في العالم كله آيات فهم فيها لا يشعرون، فما يزيد هذا الصنف على سائر الخلق المحجوبين إلا بما يلهمه الله في سره من النظر بعقله وبفكره أو من التهيىء بصقالة مرآة قلبه ليكشف له عن هذه الآيات كشفاً وشهوداً وذوقاً ووجوداً، فالعالم ينكرون عين ما هم فيه وعليه، ولولا ذكره الطريقة التي بها نال معرفة هذه الأشياء ما أنكره عليه أحد، فالناس كلهم لا أحاشي منهم من أحد يضربون الأمثال لله وقد تواطؤوا على ذلك ولا واحد منهم ينكر على الآخر والله يقول: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ وهم في عماية عن هذه الآية، فأما أولياء الله فلا يضربون لله الأمثال فإن الله هو الذي يضرب الأمثال للناس لعلمه بمواقعها لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، فيشهد الولي ما ضربه الله من الأمثال فيرى في ذلك الشهود عين الجامع الذي بين المثل وبين ما ضرب له ذلك المثل فهو عينه من حيث ذلك الجامع وما هو عينه من حيث ما هو مثل، فالولي لا يضرب لله الأمثال بل هو يعرف ما ضرب الله له الأمثال كقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره﴾ أي صفة نوره ﴿كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ بما ضربه لعباده من هذا النور بالمصباح لنوره الممثل به من يشاء ﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ فهذا مصباح مخصوص ما هو كل مصباح.

فلا ينبغي أن يقال: نور الله كالمصباح من كونه يكشف المصباح كل ما انبسط عليه نوره لصاحب بصر مثل هذا لا يقال، إن الله ما ذكر ما ذكره من شروط هذا المصباح ونعوته وصفاته الممثل به سدى، فمثل هذا المصباح هو الذي يضرب به المثل فإن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وقد قال إنه ما يضرب الأمثال إلا للناس، ونهانا أن نضرب لله الأمثال، فإن الله يعلم ونحن لا نعلم، فإن ضربنا الأمثال فلننظر فإن كان الله قد ضرب في ذلك مثلاً للناس فلنقف عنده وهو الأدب الإلهي، وإن لم نجد لله في ذلك مثلاً مضروباً فلنضرب عند ذلك مثلاً للناس الذين لا يعلمون ذلك إلا بالمثل المضروب، وإن أنصفنا فلا نضربه لله فإن الله يعلمه، وتتحرى الصواب في ضرب ذلك المثل إن كنت صاحب فكر واعتبار، وإن كنت صاحب كشف وشهود فلا تتحرى فإنك على بينة من ربك فلا تقصد ما أنت فيه بل تبديه كما شهدته مثل ما يحكى ما ضرب الله لنفسه من المثل، فهذه حالة أولياء الله في ضرب الأمثال كما قال في اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف رجماً بالغيب لأنهم ما شاهدوهم ولذا

Marfat.com

جاء بفعل الاستقبال فقال: ﴿سيقولون ثلاثة﴾ الآية، ثم قال: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم﴾ يعني كم عددهم ﴿إلا قليل﴾ أما من شاهدهم ممن لا يغلب عليه الوهم وأما من أعلمه الله بعدتهم، وقال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ من باب الإشارة في الجمع بين الآيتين، ولكن كما قال من أنه رابع ثلاثة لا ثالث ثلاثة لأنه لا يقال رابع أربعة إلا في الجنس الواحد والأمثال، فإذا انتفت المثلية لم يقل فيه أنه خامس خمسة إذا كان معهم وإنما يقال فيه خامس أربعة أو سادس خمسة، ألا ترى الكلب لما لم يكن من النوع الإنساني قالوا سبعة وثامنهم كلبهم ولم يقولوا ثمانية ثامنهم كلبهم فافهم تصب إن شاء الله:

فلا تضرب لرب الكو ... ن من أكوانه مثلاً
فلا أحد يماثله ... فجل بذاته وعلا
فلم أضرب له مثلا ... وكل الناس قد فعلا
فلا تضرب له مثلا ... وكن في حزب من عقلا

فلما أراد الله أن يسري بي ليريني من آياته في أسمائه من أسمائي وهو حظ ميراثنا من الإسراء أزالني عن مكاني وعرج بي على براق إمكاني فزج بي في أركاني فلم أر أرضي تصحبني فقيل لي: أخذه الوالد الأصلي الذي خلقه الله من تراب، فلما فارقت ركن الماء فقدت بعضي فقيل لي: إنك مخلوق من ماء مهين فإهانته ذلته فلصق بالتراب فلهذا فارقته فنقص مني جزءان فلما جئت ركن الهواء تغيرت علي الأهواء، وقال لي الهواء: ما كان فيك مني فلا يزول عني فإنه لا ينبغي له أن يعدو قدره ولا يمد رجله في غير بساطه فإن لي عليك مطالبة بما غيره مني تعفينك فإنه لولاه ما كنت مسنوناً فإن طيب بالذات خبيث بصحبة من جاورني، فلما خبثني صحبته ومجاورته قيل فيه حمأ مسنون فعاد خبثه عليه فإنه هو المنعوت وهو الذي غيرني في مشامّ أهل الشم من أهل الروائح فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك ومجاورة طينتك ومائك فتركته عنده فلما وصلت إلى ركن النار قيل قد جاء الفخار فقيل: وقد بعث إليه؟ قال نعم، قيل: ومن معه؟ قال: جبريل الجبر فهو مضطر في رحلته ومفارقة بنيته، فقال لي عنده في نشأته جزء مني لا أتركه معه إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها ملكي واقتداري ونفوذ تصرّفي فنفذت إلى السماء الأولى وما بقي معي من نشأتي البدنية شيء أعوّل عليه ولا أنظر

Marfat.com

إليه، فسلمت على والدي وسألني عن تربتي فقلت له: إن الأرض أخذت مني جزأها وحينئذ خرجت عنها وعن الماء بطينتي، فقال لي: يا ولدي هكذا جرى لها مع أبيك فمن طلب حقه فما تعدّى ولا سيما وأنت لها مفارق ولا تعرف هل ترجع إليها أم لا فإنه تعالى يقول: ﴿إذا شاء أنشره﴾ ولا يعلم أحد ما في مشيئة الحق إلا أن يعلمه الحق بذلك، فالتفت فإذا أنا بين يديه وعن يمينه من نسم بنيه عيني فقلت له: هذا أنا فضحك فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك قال نعم هكذا رأيت نفسي بين يدي الحق حين بسط يده فرأيتني وبنيّ في اليد ورأيتني بين يديه فقلت له: فما كان في اليد الأخرى المقبوضة؟ قال: العالم قلت له: فيمين الحق تقضي بتعيين السعادة؟ فقال نعم تقضي بالسعادة، فقلت له: فقد فرق الحق لنا بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فقال لي: يا ولدي ذلك يمين أبيك وشماله ألا ترى نسم بنيّ على يميني وعلى شمالي وكلتا يدي ربي يمين مباركة فبنيّ في يميني وفي شمالي وأنا وبنيّ في يمين الحق وما سوانا من العالم في اليد الأخرى الإلهية، قلت: فإذاً لا نشقى، فقال: لو دام الغضب لدام الشقاء فالسعادة دائمة وإن اختلف المسكن فإن الله جاعل في كل دار ما يكون به نعيم أهل تلك الدار فلا بد من عمارة الدارين، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر وأمر بإقامة الحدود فأقيمت وإذا أقيمت زال الغضب فإن الرسالة تزيله فهو عين إقامة الحدود على المغضوب عليه فلم يبق إلا الرضا وهو الرحمة التي وسعت كل شيء، فإذا انتهت الحدود صار الحكم للرحمة العامة في العموم، فأفادني أبي آدم هذا العلم ولم أكن به خبيراً لكان لي ذلك بشرى معجلة إلهية في الحياة الدنيا وتنتهي القيامة بالزمان كما قال الله خمسين ألف سنة وهذه مدة إقامة الحدود، ويرجع الحكم بعد انقضاء هذه المدة إلى الرحمن الرحيم، وللرحمن الأسماء الحسنى وهي حسنى لمن تتوجه عليه بالحكم، فالرحيم برحمته ينتقم من الغضب وهو شديد البطش به مذل له مانع بحقيقته فيبقى الحكم في تعارض الأسماء بالنسب والخلق بالرحمة مغمورون فلا يزال حكم الأسماء في تعارضها لا فينا فافهم فإنه علم غريب دقيق لا يشعر به بل الناس في عماية عنه، وما منهم إلا من لو قلت له ترضى لنفسك أن يحكم عليك ما يسوءك من هذه الأسماء لقال لا، ويجعل حكم ذلك الاسم الذي يسوء في حق غيره، فهذا من أجهل الناس بالخلق وهو بالحق أجهل، فأفاد هذا الشهود بقاء أحكام الأسماء في الأسماء لا فينا وهي نسب تتضادّ بحقائقها فلا تجتمع أبداً، ويبسط الله رحمته على عباده حيث كانوا فالوجود كله رحمة.

ثم رحلت عنه بعدما دعا لي فنزلت بعيسى عليه السلام في السماء الثانية فوجدت

Marfat.com

عنده ابن خالته يحيى عليهما السلام فكانت الحياة الحيوانية ولو كان يحيى ابن خالته لكان روحاً، ولما كانت الحياة الحيوانية ملازمة للروح وجدت يحيى عند روح الله عيسى لأن الروح حيّ بلا شك وما كل حيّ روح فسلمت عليهما فقلت له: بماذا زدت علينا حتى سماك الله بالروح المضاف إلى الله؟ فقال: ألم تر إلى من وهبني لأمي ففهمت ما قال فقال لي: لولا هذا ما أحييت الموتى، فقلت له: فقد رأينا من أحيا الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتك، فقال: ما أحيا الموتى من أحياهم إلا بقدر ما ورثه عني فلم يقم في ذلك مقامي كما لم أقم أنا مقام من وهبني في إحياء الموتى، فإن الذي وهبني يعني جبريل ما يطأ موضعاً إلا حيي ذلك الموضع بوطأته وأنا ليس كذلك، بل حظنا أن نقيم الصور بالوطء خاصة والروح الكل يتولى أرواح تلك الصور وما يطؤه الروح الذي وهبني هو يعطي الحياة في صورة ما أظهره الوطء فاعلم ذلك.

ثم رددت وجهي إلى يحيى عليه السلام وقلت له: أخبرت أنك تذبح الموت إذا أتى الله به يوم القيامة فيوضع بين الجنة والنار ليراه هؤلاء وهؤلاء ويعرفون أنه الموت في صورة كبش أملح قال نعم ولا ينبغي ذلك إلا لي فإني يحيى وأن ضدي لا يبقى معي وهي دار الحيوان فلا بد من إزالة الموت فلا مزيل له سواي، فقلت له صدقت فيما أشرت إلي به ولكن في العالم يحيى كثير فقال لي: ولكن لي مرتبة الأولية في هذا الاسم فبي يحيى كل من يحيى من الناس من تقدم ومن تأخر وأن الله ما جعل لي من قبل سميا، فكل يحيى تبع لي فبظهوري لا حكم لهم فنبهني على شيء لم يكن عندي فقلت: جزاك الله عني خيراً من صاحب موروث وقلت: الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة أعني روح الله عيسى ويحيى عليهما السلام حتى أسألكما عن مسألة واحدة فيقع الجواب بحضور كل واحد منكما فإنكما خصصتما بسلام الحق، فقيل في عيسى أنه قال في المهد ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقيل في يحيى: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ فأخبر عيسى عن نفسه بسلام الحق عليه، والحق أخبر بسلامه على يحيى فأيّ مقام أتم؟ فقال لي: ألست من أهل القرآن؟ قلت له: بلى أنا من أهل القرآن فقال: انظر فيما جمع الحق بيني وبين ابن خالتي أليس قد قال الله فيّ: ﴿ونبياً من الصالحين﴾ فعينني في النكرة فقلت له: نعم، قال: ألم يقل في عيسى ابن خالتي أنه ﴿من الصالحين﴾ كما قال عني فعينه في النكرة ثم قال: إن عيسى هذا لما كان كلامه في المهد دلالة على براءة خالتي مما نسب إليها لم يترجم عن الله إلا هو بنفسه فقال: ﴿والسلام علي﴾ يعني من الله، قلت

Marfat.com

له: صدقت قلت ولكن سلم بالتعريف وسلام الحق عليك بالتنكير والتنكير أعم، فقيل لي: ما هو تعريف عين بل هو تعريف جنس فلا فرق بينه بالألف واللام وبين عدمهما فأنا وإياه في السلام على السواء وفي الصلاح كذلك، وجاء الصلاح لنا بالبشرى فيّ وفي عيسى بالملائكة، فقلت له: أفدتني أفادك الله فقلت له: فلم كنت حصوراً؟ فقال: ذلك من أثر همة والدي في استفراغه في مريم البتول والبتول المنقطعة عن الرجال لما دخل عليها المحراب ورأى حالها فأعجبه فدعا الله أن يرزقه ولداً مثلها فخرجت حصوراً منقطعاً عن النساء فما هي صفة كمال وإنما كانت أثر همة فإن في الإنتاج عين الكمال، قلت له: فنكاح الجنة ما فيه نتاج، فقال: لا تقل بل هو نتاج ولا بدو ولادته نفس تخرج من الزوجة عند الفراغ من الجماع فإن الإنزال ريح كما هو في الدنيا ماء فيخرج ذلك الريح بصورة مما وقع عليه الاجتماع بين الزوجين، فمنا من يشهد ذلك ومنا من لا يشهده كما هو الأمر عليه في الدنيا عالم غيب لمن غاب عنه وعالم شهادة في حق من شهده، قلت له: أفدتني أفادك الله من نعمة العلم به ثم قلت له: هذه سماؤك؟ قال لي: لا أنا متردد بين عيسى وهارون أكون عند هذا وعند هذا، وكذلك عند يوسف وإدريس عليهما السلام فقلت له: فلماذا خصصت هارون دون غيره من الأنبياء؟ فقال لي لحرمة النسب ما جئت لعيسى إلا لكونه ابن خالتي فأزوره في سمائه وآتي إلى هارون لكون خالتي أختاً له ديناً ونسباً، قلت: فما هو أخوها لأن بينهما زماناً طويلاً وعالماً فقال لي قوله: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ ما هذه الأخوة أترى هو أخو ثمود لأبيه وأمه فهو أخوهم فسمى القبيلة باسم ثمود وكان صالح من نسل ثمود فهو أخوهم بلا شك ثم جاء بعد ذلك بالدين، ألا ترى أصحاب الأيكة لما لم يكونوا من مدين وكان شعيب من مدين فقال في شعيب أخو مدين وإلى مدين أخاهم شعيباً، ولما جاء ذكر أصحاب الأيكة قال: إذ قال لهم شعيب ولم يقل أخاهم لأنهم ليسوا من مدين وشعيب من مدين فزيارتي لهما صلة رحم وأنا لعيسى أقرب مني لهارون.

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف عليه السلام فقلت له بعد أن سلمت عليه فرد وسهل بي ورحب: يا يوسف لم لم تجب الداعي حين دعاك ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه أنه لو ابتلى بمثل ما ابتليت به ودعى لأجاب الداعي ولم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقول النسوة، فقال لي: بين الذوق والفرض ما بين السماء والأرض كثير بين أن تفرض الأمر أو تذوقه من نفسك لو نسب إليه ﷺ ما نسب إلي لطلب صحة البراءة في غيبته فإنها أدل على براءته من حضوره، ولما كان رحمة كان من عالم السعة والسجن ضيق،

Marfat.com

فإذا جاء لمن حاله هذا سارع إلى الانفراج وهذا فرض، فالكلام مع التقدير المفروض ما هو مثل الكلام مع الذائق، ألا تراه ﷺ ما ذكر ذلك إلا في معرض نسبة الكمال إليَّ فيما تحملته من الفرية عليّ فقال ذلك أدباً معي لكوني أكبر منه بالزمان كما قال في إبراهيم نحن أحق بالشك من إبراهيم فيما شك فيه إبراهيم، وكما قال في لوط: يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد أتراه أكذبه حاشى لله فإن الركن الشديد الذي أراده لوط هو القبيلة، والركن الشديد الذي ذكره رسول الله ﷺ هو الله، فهذا تنبيه لك أن لا تجري نفسك فيما لا ذوق لك فيه مجرى من ذاق، فلا تقل لو كنت أنا عوض فلان لما قيل له كذا وقال كذا ما كنت أقوله لا والله بل لو نالك ما ناله لقلت ما قاله، فإن الحال الأقوى حاكم على الحال الأضعف.

وقد اجتمع في يوسف وهو رسول الله حالان: حال السجن وحال كونه مفترى عليه، والرسول يطلب أن يقرّر في نفس المرسل إليه ما يقبل به دعاء ربه فيما يدعوه به إليه، والذي نسب إليه معلوم عند كل أحد أنه لا يقع من مثل من جاء بدعوته إليهم فلا بد أن يطلب البراءة من ذلك عندهم ليؤمنوا بما جاء به من عند ربه ولم يحضر بنفسه ذلك المجلس حتى لا تدخل الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره، وفرق كبير بين من يحضر في مثل هذا الموطن وبين من لا يحضر، فإذا كانت المرأة لم تخن يوسف في غيبته لما برأته وأضافت المراودة لنفسها لتعلم أن يوسف لم يخن العزيز في أهله وعلمت أنه أحق بهذا الوصف منها في حقه فما برأت نفسها بل قالت: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ فمن فتوّة يوسف عليه السلام إقامته في السجن بعد أن دعاه الملك إليه وما علم قدر ذلك إلا رسول الله ﷺ حيث قال عن نفسه لأجبت الداعي ثناء على يوسف، فقلت له: فالاشتراك في إخبار الله عنك إذ قال: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ ولم يعين فيماذا يدل في اللسان على أحدية المعنى فقال: ولهذا قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل عن النسوة وشأن الأمر، فما ذكرت المرأة إلا أنها راودته عن نفسه وما ذكرت أنه راودها فزال ما كان يتوهم من ذلك، ولما لم يسم الله في التعبير عن ذلك أمراً ولا عين في ذلك حالاً فقلت له: لا بد من الاشتراك في اللسان قال: صدقت فإنها همت بي لتقهرني على ما تريده مني وهممت أنا بها لأقهرها في الدفع عن ذلك، فالاشتراك وقع في طلب القهر مني ومنها فلهذا قال: ﴿ولقد همت به﴾ يعني في عين ما هم بها وليس إلا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قولها: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ وما جاء في السورة قط أنه راودها عن نفسها، فأراه الله البرهان

Marfat.com

عند إرادته القهر في دفعها عنه فيما تريده منه، فكان البرهان الذي رآه أن يدفع عن نفسه بالقول اللين كما قال لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي لا تعنف عليها وتسبها فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال، فقلت له: أفدتني أفادك الله.

ثم ودّعته وانصرفت إلى إدريس عليه السلام فسلمت عليه فرد وسهل ورحب وقال: أهلاً بالوارث المحمدي فقلت له: كيف أبهم عليك الأمر على ما وصل إلينا؟ فما علمت أمر الطوفان بحيث لا تشك فيه والنبيّ واقف مع ما يوحى به إليه فقال: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فهذا مما أوحى به إليّ قلت له: وصلني عنك أنك تقول بالخرق فقال: فلولا الخرق ما رفعت مكاناً علياً، فقلت: فأين مكانتك من مكانك؟ فقال: الظاهر عنوان الباطن، قلت: بلغني أنك ما طلبت من قومك إلا التوحيد لا غير، قال: وما فعلوا فإني كنت نبياً أدعو إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد فإن التوحيد ما أنكره أحد، قلت هذا غريب ثم قلت: يا واضع الحكم الاجتهاد في الفروع مشروع عندنا وأنا لسان علماء الزمان، قال: وفي الأصول مشروع فإن الله أجلّ أن يكلف نفساً إلا وسعها، قلت: فلقد كثر الاختلاف في الحق والمقالات فيه، قال: لا يكون إلا كذلك فإن الأمر تابع للمزاج، قلت فرأيتكم معاشر الأنبياء ما اختلفتم فيه، فقال: لأنا ما قلناه عن نظر وإنما قلناه عن الّ واحد فمن علم الحقائق علم أن اتفاق الأنبياء أجمعهم على قول واحد في الله بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر، قلت: فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم فإن أدلة العقول تحيل أموراً مما جئتم به في ذلك، فقال: الأمر كما قيل لنا وكما قال من قال فيه فإن الله عند قول كل قائل ولهذا ما دعونا الناس إلا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد، ومن تكلم في الحق من نظره ما تكلم في محظور، فإن الذي شرع لعباده توحيد المرتبة وما ثم إلا من قال بها، قلت: فالمشركون قال: ما أخذوا إلا بالوضع فمن حيث كذبوا في أوضاعهم واتخذوها قربة ولم ينزلوها منزلة صاحب تلك الرتبة الأحدية، قل: فإني رأيت في واقعتي شخصاً بالطواف أخبرني أنه من أجدادي وسمى لي نفسه فسألته عن زمان موته فقال لي: أربعون ألف سنة، فسألته عن آدم لما تقرّر عندنا في التاريخ لمدته فقال لي: عن أي آدم تسأل عن آدم الأقرب؟ فقال: صدق إني نبيّ الله ولا أعلم للعالم مدة نقف عندها بجملتها إلا أنه بالجملة لم يزل خالقاً ولا يزال دنيا وآخرة والآجال في المخلوق بانتهاء المدد لا في الخلق، فالخلق مع الأنفاس يتجدد، فما أعلمناه علمناه ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، قلت: فعرّفني بشرط من

Marfat.com

شروط اقترابها: فقال وجود آدم من شروط الساعة، قلت: فهل كان قبل الدنيا دار غيرها؟ قال: دار الوجود واحدة والدار ما كانت دنيا إلا بكم والآخرة ما تميزت عنها إلا بكم وإنما الأمر في الأجسام أكوان واستحالات وإتيان وذهاب لم يزل ولا تزال، قلت: ما ثم؟ قال: ما ندري وما لا ندري، قلت: فأين الخطأ من الصواب؟ قال: الخطأ أمر إضافيّ والصواب هو الأصل فمن عرف الله وعرف العالم عرف أن الصواب هو الأصل المستصحب الذي لا يزال وأن الخطأ بتقابل النظرين ولا بد من التقابل فلا بد من الخطأ فمن قال بالخطأ قال بالصواب، ومن قال بعدم الخطأ قال صواباً وجعل الخطأ من الصواب، قلت: من أي صفة صدر العالم؟ قال: من الجود، قلت: هكذا سمعت بعض الشيوخ يقول: قال صحيح ما قال، قلت: وإلى ماذا يكون المآل بعد انتقالنا من يوم العرض؟ قال: رحمة الله وسعت كل شيء، قلت: أيّ شيء؟ قال: الشيئيتان فالباقي أبقاه برحمته والذي أوجده أوجده برحمته ثم قال: محالّ العوارض ثابتة في وجودها والعوارض تتبدل عليها بالأمثال والأضداد، قلت: ما الأمر الأعظم؟ قال: العالم به أعظم.

ثم ودّعته وانصرفت، فنزلت بهارون عليه السلام فوجدت يحيى قد سبقني إليه فقلت له: ما رأيتك في طريقي فهل ثم طريق أخرى؟ فقال: لكل شخص طريق لا يسلك عليها إلا هو، قلت: فأين هي هذه الطرق؟ فقال: تحدث بحدوث السلوك، فسلمت على هارون عليه السلام فردّ وسهل ورحب وقال: مرحباً بالوارث المكمل، قلت: أنت خليفة الخليفة مع كونك رسولاً نبياً؟ فقال: أما أنا فنبيّ بحكم الأصل وما أخذت الرسالة إلا بسؤال أخي فكان يوحى إليّ بما كنت عليه، قلت: يا هارون إن ناساً من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم فلا يرون إلا الله ولا يبقى للعالم عندهم ما يلتفتون به إليه في جنب الله ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم وأخبرنا الحق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه ﴿لا تشمت بي الأعداء﴾ فجعلت لهم قدراً وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين، فقال: صدقوا فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم ولكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم؟ قلت: لا، قال: فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم فعندهم عدم العالم فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم فإن العالم كله هو عين تجلي الحق لمن عرف الحق فأين تذهبون؟ إن هو إلا ذكر للعالمين بما هو الأمر عليه:

فليس الكمال سوى كونه فمن فاته ليس بالكامل

Marfat.com

فيا قائلاً بالفناء اتئد وحوصل من السنبل الحاصل
ولا تركننّ إلى فائت ولا تبع النقد بالآجل
ولا تتبع النفس أغراضها ولا تمزج الحق بالباطل

ثم ودّعته ونزلت بموسى عليه السلام فسلمت عليه فردّ وسهل ورحب فشكرته على ما صنع في حقنا مما اتفق بينه وبين نبينا محمد ﷺ في المراجعة في حديث فرض الصلوات فقال لي: هذه فائدة علم الذوق فللمباشرة حال لا يدرك إلا بها، قلت: ما زلت تسعى في حق الغير حتى صح لك الخير كله، قال: سعي الإنسان في حق الغير إنما يسعى لنفسه في نفس الأمر فما يزيده ذلك إلا شكر الغير والشاكر ذاكر لله بأحب المحامد لله وللساعي منطقة بتلك المحامد، فالساعي ذاكر لله بلسانه ولسان غيره، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى اذكرني بلسان لم تعصني به، فأمره أن يذكره بلسان الغير فأمره بالإحسان والكرم، ثم قلت له: إن الله اصطفاك على الناس برسالته وبكلامه وأنت سألت الرؤية ورسول الله ﷺ يقول: إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت فقال: وكذلك كان لما سألته الرؤية أجابني فخررت صعقاً فرأيته تعالى في صعقتي، قلت: موتاً؟ قال: موتاً، قلت: فإن رسول الله ﷺ شك في أمرك إذا وجدك في يوم البعث فلا يدري أجوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق فإن نفخة الصعق ما تعم فقال: صدقت كذلك كان جازاني الله بصعقة الطور فما رأيته تعالى حتى مت ثم أفقت فعلمت من رأيت ولذلك قلت: تبت إليك فإني ما رجعت إلا إليه، فقلت: أنت من جملة العلماء بالله فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إياها؟ فقال: واجبة وجوباً عقلياً، قلت: فبماذا اختصصت به دون غيرك؟ قال: كنت أراه وما كنت أعلم أنه هو فلما اختلف عليّ الموطن ورأيته علمت من رأيت فلما أفقت ما انحجبت واستصحبتني رؤيته إلى أبد الأبد، فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم بما يرونه فإذا ماتوا رأوا الحق فميزه لهم الموطن فلو ردّوا لقالوا مثل ما قلنا، قلت: فلو كان الموت موطن رؤيته لرآه كل ميت وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته قال: نعم هم المحجوبون عن العلم به أنه هو، وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه وأنت طالب له من اسمه وحاجتك إليه فلقيته وسلمت عليه وسلم عليك في جملة من لقيت ولم يتعرّف إليه فقد رأيته وما رأيته فلا تزال طالباً له وهو بحيث تراه فلا معوّل إلا على العلم، ولهذا قلنا في العلم أنه عين ذاته إذ لو لم يكن عين ذاته لكان المعوّل عليه غير إله ولا معوّل إلا على العلم، قلت: إن الله دلك على الجبل وذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل فقال لا يثبت شيء لتجليه فلا بدّ من تغير

Marfat.com

الحال فكان الدك للجبل كالصعق لموسى يقول موسى: فالذي دكه أصعقني، قلت له: إن الله تولى تعليمي فعلمت منه على قدر ما أعطاني، فقال: هكذا فعله مع العلماء به فخذ منه لا من الكون فإنك لن تأخذ إلا على قدر استعدادك فلا يحجبنك عنه بأمثالنا فإنك لن تعلم منه من جهتنا إلا ما نعلم منه من تجليه، فإنا لا نعطيك منه إلا على قدر استعدادك فلا فرق فانتسب إليه فإنه ما أرسلنا إلا لندعوكم إليه لا لندعوكم إلينا فهي ﴿كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ قلت: كذا جاء في القرآن، قال: وكذلك هو، قلت: بماذا سمعت كلام الله؟ قال: بسمعي، قلت: وما سمعك؟ قال: هو، قلت: فبماذا اختصصت؟ قال: بذوق في ذلك لا يعلمه إلا صاحبه، قلت له: فكذلك أصحاب الأذواق، قال: نعم والأذواق على قدر المراتب.

ثم ودّعته وانصرفت فنزلت بإبراهيم الخليل عليه السلام فسلمت عليه فردّ وسهل ورحب فقلت يا أبت لم قلت: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ قال: لأنهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها، قلت: فإشارتك بقولك هذا قال أنت تعلمها قلت: إني أعلم أنها إشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم﴾ إقامة الحجة عليهم منهم، فقال: ما زدت على ما كان عليه الأمر، قلت: فما قولك في الأنوار الثلاثة أكان عن اعتقاد؟ قال: لا بل عن تعريف لإقامة الحجة على القوم ألا ترى إلى ما قال الحق في ذلك: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ وما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمروذ بن كنعان لم تكن تلك الأنوار آلهتهم ولا كان نمروذ إلهاً عندهم لهم وإنما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا إليه ولذلك لما قال إبراهيم: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ لم يجرأ نمروذ أن ينسب الإحياء والإماتة لآلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ فعدل إلى نفسه تنزيهاً لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون، ولما علم إبراهيم قصور إفهام الحاضرين عما جاء به لو فصله وطال المجلس فعدل إلى الأقرب في أفهامهم فذكر حديث إتيان الله بالشمس من المشرق وطلبه أن يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر فقلت له: هذا إعجاز من الله كونه بهت فيما له فيه مقال وإن كان فاسداً، لأنه لو قاله قيل له قد كانت الشمس طالعة من المشرق وأنت لم تكن وأكذبه من تقدمه بالسنّ على البديهة فقال: وما المقال؟ قلت: يقول ما نفعل الأمر بحكمك ولا تبطل الحكمة لأجلك قال: صدقت فكان بهته إعجازاً من الله سبحانه حتى علم الحاضرون أن إبراهيم عليه السلام على الحق ولم يكن لنمروذ أن يدعي الألوهة، ثم رأيت البيت المعمور

Marfat.com

فإذا به قلبي وإذا بالملائكة التي تدخله كل يوم تجلى الحق له سبحانه الذي وسعه في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة فهو يتجلى فيها لقلب عبده لو تجلى دونها لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد، فلما فارقته جئت سدرة المنتهى فوقفت بين فروعها الدنيا والقصوى وقد غشيتها أنوار الأعمال وصدحت في ذرى أفنانها طيور أرواح العاملين وهي على نشأة الإنسان.

وأمّا الأنهار الأربعة فعلوم الوهب الإلهي الأربعة التي ذكرناها في جزء لنا سميناه مراتب علوم الوهب، ثم عاينت متكآت رفارف العارفين فغشيتني الأنوار حتى صرت كلي نوراً وخلع علي خلعة ما رأيت مثلها فقلت: إلهي الآيات شتات فأنزل عليّ عند هذا القول: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ فأعطاني في هذه الآية كل الآيات وقرب عليّ الأمر وجعلها لي مفتاح كل علم، فعلمت أني مجموع من ذكر لي وكانت لي بذلك البشرى بأني محمديّ المقام من ورثة جمعية محمد ﷺ فإنه آخر مرسل وآخر من إليه تنزل آتاه الله جوامع الكلم وخص بست لم يخص بها رسول أمّة من الأمم، فعم برسالته لعموم ست جهاته، فمن أي جهة جئت لم تجد إلا نور محمد ينفهق عليك فما أخذ أحد إلا منه ولا أخبر رسول إلا عنه، فعندما حصل لي ذلك قلت: حسبي حسبي قد ملأ أركاني فما وسعني مكاني وأزال عني به إمكاني فحصلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها فرأيتها ترجع إلى مسمى واحد وعين واحدة، فكان ذلك المسمى مشهودي وتلك العين وجودي، فما كانت رحلتي إلا فيّ ودلالتي إلا عليّ، ومن هنا علمت أني عبد محض ما فيّ من الربوبية شيء أصلاً.

وفتحت خزائن هذا المنزل فرأيت فيها من العلوم علم أحدية عبودة التشريف ولم أكن رأيته قبل ذلك، وإنما كنت رأيت جمعية العبودية ورأيت علم الغيب بعين الشهادة وأين منقطع الغيب من العالم ويرجع الكل في حق العبد شهادة، وأعني بالغيب غيب الوجود أي ما هو في الوجود وهو مغيب عن بعض الأبصار والبصائر، وأما غيب ما ليس بموجود فمفتاح ذلك الغيب لا يعلمه إلا هو تعالى. ورأيت فيه علم القرب والبعد ممن وعمن. ورأيت فيه علم خزائن مزيد العلوم وتنزلها على قلوب العارفين وبمن تحق ومن يقسمها على القلوب وما ينزل منها عن سؤال وعن غير سؤال، فإذا سأل الإنسان مزيد العلم فليسأل كما أمر الله تعالى نبيه أن يسأل إذ قال له: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فنكر ولم يعين فعم، فأي

Marfat.com

علم نزل عليه دخل تحت هذا السؤال فإن النزول عن سؤال أعظم لذة من النزول عن غير سؤال، فإن في ذلك إدراك البغية وذلة الافتقار وإعطاء الربوبية حقها والعبودة حقها، فإن العبد مأمور أن يعطي كل شيء حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه. وفي العلم المنزل عن السؤال من علوّ المنزلة ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله، ورأيت علم حصر الآيات في السمع والبصر فإما شهود وإما خبر، ورأيت التوراة وعلم اختصاصها بما كتبها الله بيده وتعجبت من ذلك كيف كتبها بيده ولم يحفظها من التبديل والتحريف الذي حرّفه اليهود أصحاب موسى، فلما تعجبت من ذلك قيل لي في سرّي: اسمع الخطاب، بل أرى المتكلم وأشهده في اتساع رحمة أنا فيها واقف وقد أحاطت بي فقال لي: أعجب من ذلك أن خلق آدم بيديه وما حفظه من المعصية ولا من النسيان وأين رتبة اليد من اليدين؟ فمن هذا فأعجب، وما توجهت اليدان إلا على طينته وطبيعته، وما جاءته الوسوسة إلا من جهة طبيعته لأن الشيطان وسوس إليه وهو مخلوق من جزء ما خلق منه آدم فما نسي ولا قبل الوسوسة إلا من طبيعته وعلى طبيعته توجهت اليدان، ثم مع هذا فما حفظه مما حمله في طينته من عصاة بنيه، فلا تعجب لتغيير اليهود التوراة فإن التوراة ما تغيرت في نفسه وإنما كتابتهم إياها وتلفظهم بها لحقه التغيير، فنسب مثل ذلك إلى كلام الله فقال: ﴿يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ وهم يعلمون أن كلام الله معقول عندهم، وأبدوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في صدورهم عندهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل وأبقوا الأصل على ما هو عليه ليبقى لهم العلم ولعلمائهم، وآدم مع اليدين عصى بنفسه ولم يحفظ حفظ كلام الله فهذا أعجب، وإنما عصم كلام الله لأنه حكم والحكم معصوم ومحله العلماء به، فما هو عند العلماء محرف وهم يحرفونه لأتباعهم وآدم ما هو حكم الله فلا يلزمه العصمة في نفسه وتلزمه العصمة فيما ينقله عن ربه من الحكم إذا كان رسولاً هو وجميع الرسل وهذا علم شريف فإن الله ما جعل في العالم هدى لا يصح أن يعود عمى فإنه أبان لمن أوصله إليه، فما اتصف بالعمى إلا من لم يصل إليه الهدى من ربه، ومن قيل له هذا هدى لا يقال إنه وصل إليه حتى يكون هو الذي أنزل عليه الهدى وحصل له العلم بذلك فإن هذا لا يكون عنده عمى أبداً، فما استحب العمى على الهدى إلا من هو مقلد في الأمرين لأبناء جنسه، فالعمى يوافق طبعه والهدى يخالف طبعه فلذلك يؤثره عليه، فرأيت فيها علم من اتأد وعلى الله اعتمد، وهذا هو التوكل الخامس وهو قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾.

Marfat.com

ورأيت فيها علم ما ينال بالورث وعلم ما ينال بالكسب، ورأيت فيها علم الفرق بين شكر المكلف وشكر العبد. ورأيت فيها علم تنوّع الأحكام لتنوّع الأزمان فإنه من المحال أن يقع شيء في العالم إلا بترتيب زماني وتقدم وتأخر ومفاضلة لأن الله أشهدني أسماءه فرأيتها تتفاضل لاشتراكها في أمور وتميزها في أمور مع الاشتراك، وكل اسم لا يقع فيه اشتراك مع اسم لا مفاضلة بين ذانك الاسمين فاعلم ذلك فإنه علم عزيز. ورأيت فيها علم تسليط العالم بعضه على بعض وما سببه فرأيته من حكم الأسماء الإلهية في طلبها ظهورها وولايتها وما هي عليها من الغيرة، ورأيتها تستعين بالمشارك لها من الأسماء فهي المعانة المعينة ولذلك خرج الخلق على صورتها فمنها المعان والمعين، ولما وقع الأمر هكذا خاطبهم بحكم التعاون فقال: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾ فيكون ما فطروا عليه عباده فإنهم قد يتعاونون بتلك الحقيقة على الإثم والعدوان. ورأيت علم الجبر فرأيته آخر ما تنتهي إليه المعاذر وهو سبب مآل الخلق إلى الرحمة فإن الله يعذر خلقه بذلك فيما كان منهم فإنهم لا يبقى منهم إلا التضرّع الطبيعي، ولولا أن نشء الآخرة مثل نشء الدنيا ذو جسم طبيعي وروح ما صح من الشقي طلب ولا تضرع، إذ لو لم يكن هناك أمر طبيعي لم يكن للنفس إذا جهلت من ينبهها على جهلها لعدم إحساسها إذ لا حس لها إلا بالجزء الطبيعي الذي هو الجسد المركب وبالجهل شقاؤها، فكانت النفس بعد المفارقة إذا فارقت وهي على جهالة كان شقاؤها جهلها ولا تزال فيه أبداً، فمن رحمة الله بها أن جعل لها هذا المركب الطبيعي في الدنيا والآخرة، وما كل أحد يعلم حكمة هذا المركب الذي لا يخلو حيوان عنه. ورأيت علم الرجعة وهو علم البعث وحشر الأجساد في الآخرة وأن الإنسان إذا انتقل عن الدنيا لن يرجع إليها أبداً لكنها تنتقل معه بانتقاله، فمن هذه الدار من ينتقل إلى الجنة، ومنهم من ينتقل إلى النار، فالنار والجنة تعم الدار الدنيا ونعيمها فإنه ما يبقى دار إلا الجنة والنار، والدنيا لا تنعدم ذاتها بعد وجودها ولا شيء موجود فلا بد أن يكون في الدارين أو في أحدهما فأعطى الكشف أن تكون مقسمة بين الدارين، وقد ورد في الخبر النبويّ من ذلك ما فيه غنية وكان بعض الصحابة يقول: يا بحر متى تعود ناراً؟ وهو الحميم الذي يشربه أهل النار.

وقوله ﷺ في الأنهار الأربعة أنها من الجنة فذكر سيحان وجيحان والنيل والفرات، «وبين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» ومجالس الذكر حيث كانت روضات من روضات الجنة، والأخبار في ذلك كثيرة، ولسنا من أهل التقليد بحمد الله، بل الأمر عندنا

Marfat.com

كما آمنا به من عند ربنا شهدناه عياناً. ورأيت فيها علم مرتبة قول النبي ﷺ: «إني مكاثر بكم الأمم» وأن ذلك من الشرف والمجد في موطنه فلا يهمل مثل هذا فإن لكل موطن شرفاً يخصه لا يكون شرفه إلا به، وهنا زلت جماعة من العارفين حيث لم يفرقوا بين شرف النفوس وشرف العقول وأنهما لا يتداخلان وأن الكمال في وجود الشرفين. ورأيت فيها علم ما يرى الإنسان إلا ما كان عليه سواء عرف ذلك أو جهله فإنه لا بد أن يشهده فيعرفه في الموضع الذي لا ينفعه العلم به ولا مشاهدته إياه. ورأيت فيها علم التداخل والدور وهو أنه لا يكون الحق إلا بصورة الخلق في الفعل ولا يكون الخلق فيه إلا بصورة الحق فهو دور لا يؤدي إلى امتناع الوقوع بل هو الواقع الذي عليه الأمر فإن الله لا يمل حتى تملوا، فهذا حكم خلق في حق، وقال: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ فهذا منه كما كان عوده ومآله منا.

ورأيت فيها علم منزلة القرآن من العالم ولمن جاء وبما جاء وإلى أين يعود. ورأيت فيها علم التلبيس وأن أصله العجلة من الإنسان، فلو اتئد وتفكر وتبصر لم يلتبس عليه أمر وقليل فاعل ذلك. ورأيت فيها علم الليل وحده والنهار وحده الزمان وحده واليوم وحده والدهر وحده والعصر وحده والمدة وحدها. ورأيت فيها علم التفصيل وفيما ظهر. ورأيت فيها علم ما لزم الإنسان من حكم الله الذي فصله الشرع فلا ينفك عنه. ورأيت فيها علم تقابل النسختين وأن الإنسان في نفسه كتاب ربه. ورأيت فيها علم سبب وجوب العذاب في الآخرة وهو جلي، والعلم الخفي إنما هو في وجود سبب عذاب الدنيا و لاسيما في حق الطفل الرضيع وهل الطفل الرضيع وجميع الحيوان لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعر به؟ وأن الصغير إذا كبر وكلف لا يشعر ولا يتذكر تكليفه في حال صغره لما يقوم به من الآلام، وبالحيوان فإنه تعالى ما يعذب ابتداء ولكن يعذب جزاء، فإن الرحمة لا تقتضي في العذاب إلا الجزاء للتطهير، ولولا التطهير ما وقع العذاب، وهذا من أسرار العلم الذي اختص الله به من شاء من عباده ولكل أمة رسول ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وما من شيء في الوجود إلا وهو أمة من الأمم، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ في كل شيء. وقال ﷺ في الكلاب أنها أمة من الأمم فعمت الرسالة الإلهية جميع الأمم صغيرهم وكبيرهم، فما من أمة إلا وهي تحت خطاب إلهي على لسان نذير بعث إليها منها وفيها.

ورأيت فيها علم حكم الوجوب الموسع المخير كأوقات الصلوات والتخيير في

Marfat.com

الكفارات. ورأيت فيها علم كون الحق مع إرادة العبد لا يخالفه وهذه الصفة بالعبد أولى، فكما أمر الله عبده فعصاه كذلك دعاه عبده فلم يجبه فيما سأل فيه كما أمره فلم يطعه، ألا ترى إلى الملائكة لما لم تعص أمر الله أجابها الله في كل ما سألته فيه حتى أن العبد إذا وافق في الصلاة تأمينه تأمين الملائكة غفر له، ورأيت فيها عموم العطاء الإلهي وأنه من الكرم الإلهي إتيان الكبائر في العالم المكلف فإنه لا بد لطائفة من التبديل فيبدل بها كبير بكبير:

إحيـــاء نفـــس بقتـــل نفـــس فـــي كـــل نـــوع وكـــل جنـــس

فمن الناس من يبدل له بالتوبة والعمل الصالح، ومن الناس من يبدل له بعد أخذ العقوبة حقها منه، وسبب إنفاذ الوعيد في حق طائفة حكم المشيئة الإلهية، فإذا انتهت المدة طلبت المشيئة في أولئك تبديل العذاب الذي كانوا فيه بالنعيم المماثل له فإن حكم المشيئة أقوى من حكم الأمر وقد وقع التبديل بالأمر، فهو بالإرادة أحق بالوقوع، وستر الله هذا العلم عن بعض عباده وأطلع عليه من شاء من عباده، وهو من علم الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً ولذلك قال الحق تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ غفوراً أي يستر رحيماً بذلك الستر بعد قوله: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ وقال في المسرفين: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ فجاء بالمغفرة والرحمة في حق التائب وصاحب العمل الصالح كما جاء بهما في المسرفين الذين لم يتوبوا ونهاهم عن القنوط وأكد بقوله: ﴿جميعاً﴾ وأكثر من هذا الإفصاح الإلهي في مآل عباده إلى الرحمة ما يكون مع عمارة الدارين الجنة وجهنم، وأن لكل واحدة منهما ملأها لا يخرجون منها، فعطاء الله لا مانع له، وإنما الاسم المانع إنما متعلقه أن نعيم زيد ممنوع عن عمرو، وكما أن نعيم عمرو ممنوع عن زيد، فهذا حكم المانع لا أنه يمنع شمول الرحمة.

ورأيت فيها علم الفرق بين مفاضلة المفضولين في الدنيا وبينهم في الآخرة. ورأيت فيها علم من ترك ما هو عليه لماذا ترك وسببه. ورأيت فيها علم أن الله هو المعبود في كل معبود من خلف حجاب الصورة. ورأيت فيها علم الرفق بالعالم ومعاملة كل صنف بما يليق به من الرفق. ورأيت فيها علم ما يجني الإنسان إلا ثمرة غرسه لا غير. ورأيت فيها علم الحدود في التصرفات ومقاديرها وأوزانها ورأيت فيها علم التخلق بالأخلاق الإلهية من

Marfat.com

كونه رباً خاصة. ورأيت فيها علم حكم مرتبة الجزء من الكل وإن كان الجزء على صورة الكل. ورأيت فيها علم نتاج المقدمتين الفاسدتين علماً صحيحاً مثل كل إنسان حجر وكل حجر حيوان فكل إنسان حيوان، فلم يلزم من فساد المقدمتين أن لا تكون النتيجة صحيحة وهذا لا يعرف ميزانه. ورأيت فيها علم تأثير المثل في مثله بماذا أثر فيه وليس أحدهما بأولى من الآخر ولا أحق بنسبة التأثير إليه والمثلان ضدان فافهم. ورأيت فيها علم العبث وكيف يصح مع قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً﴾ والعبث فيما بينهما، فبأي نظر يكون عبثاً وبأي نظر لا يكون باطلاً، وقول الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ فقيد وما قيد الباطل.

ورأيت علم فضل الذكور على الإناث وهي مفاضلة عرضية لا ذاتية. ورأيت فيها علم أحكام المحال والحال والمكان والمتمكن فيه. ورأيت فيها علم الحجب المانعة من التأثير الإلهي في المحجوب بها. ورأيت فيها علم سلطنة الأحدية وأنه لا يبقى لسلطانها أحد وهل يصح فيها تجل أم لا؟ فالذي قال بالتجلي فيها ما يريد هل أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟ وكذلك من لا يقول بالتجلي فيها هل يريد أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟. ورأيت فيها علم آداب السماع وترك الكلام عنده. ورأيت علم إلحاق الأدنى بالأعلى في حكم ضرب المثل له ومن هو هذا الأعلى وبماذا كان أعلى؟ ورأيت فيها علم المجبور على الثناء على من كان يذمه قبل الجبر. ورأيت فيها علم السبب المانع الذي يمنع العاقل من سلوك الأشد والأخذ بالأولى والأحق. ورأيت فيها علم العروج والنزول من الشخص الواحد لاختلاف الأحوال ومن نزل لماذا نزل ومن أنزله؟ ومن صعد لماذا صعد ومن أصعده؟ ورأيت فيها علم أحوال الناس في البرزخ فإنه تقابلت فيه الأخبار فهل يعم التقابل أو يخص؟ وهل العموم والخصوص في الزمان أو في الأشخاص؟ ورأيت فيها علم ما فائدة الآيات التي لا تأتي للإعجاز فلأي شيء أتت؟ ورأيت فيها علم ما السبب الذي أجرأ الضعيف من جميع الوجوه على القوي من جميع الوجوه مع علمه بأنه قادر على إهلاكه. ورأيت فيها علم طاعة إبليس ربه في كل شيء إلا في السجود لآدم وما ذكر آدم بأنه عصى نهي الله، وقيل في إبليس أبى ولم يقل فيه عصى أمر الله هل ذلك شرف يرجع لآدم لكونه على الصورة وما لإبليس هذا المقام، وذكر الله في آدم أنه عصى ربه فذكر من عصى ولم يذكر في حق إبليس إلا أبى ولم يذكر أنه أبى امتثال أمر ربه، وفي آية أخرى قيل: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ وفي آية أخرى قيل: ﴿استكبر﴾ وفي آية أخرى قال: ﴿أأسجد لمن خلقت

Marfat.com

طيناً﴾ وفي آية أخرى قيل: ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ فانظر ما أفادك الحق في هذه الآيات وما في طيها من الأسرار.

ورأيت فيها علم الاغترار. ورأيت فيها علم من فضل آدم من المخلوقين وأن فضله لم يعم، وهكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبا مدين بأن فضل آدم لم يعم. ورأيت فيها علم الإمامة والإمام. ورأيت فيها علم أن الدنيا عنوان الآخرة وضرب مثال لها وأن حكم ما فيها هو أتم وأكمل في الآخرة. ورأيت فيها علم السبب الذي لأجله يميل قلب صاحب العلم بالشيء عما يعطيه علمه وما حكمه. ورأيت فيها علم سنة الله في عباده لا تتبدل. ورأيت فيها علم توقيت محادثة الحق التي لا بد لصاحب العناية منها والجمع بين الشهود والمحادثة وما يكون من المحادثة مسامرة، وأن الحق لا يمتنع من المسامرة ويمتنع من المحادثة في أوقات مّا وهي خطاب إلهي من العبد لله ومن الله للعبد وما ينتج هذا العلم لمن علمه يوم القيامة. ورأيت فيها علم أحوال الصادقين في حركاتهم في الدخول إلى الحضرة الإلهية من العالم والخروج منها إلى العالم، وممن تمكن في هذا المقام أبو يزيد البسطامي. ورأيت فيها علم تشخص العدم حتى يقبل الحكم عليه بما يؤثر فيه الوجود وإن لم يكن كذلك فلا يعقل وصورته صورة تجلي الحق في أي صورة ظهر يحكم عليه بما يحكم به على تلك الصورة التي تجلى فيها ويستلزمه حكمها، ومن ذلك نسب إليه تعالى ما نسب من كل ما جاءنا في الكتاب والسنة ولا يلزم التشبيه.

ورأيت فيها علم الطب الإلهي في الأجسام الطبيعية لا في الأخلاق وقد يكون في الأخلاق، فإن مرض النفس بالأخلاق الدنية أعظم من مرض الأجسام الطبيعية. ورأيت فيها علم ما لا يتعدى العامل ما يقتضيه طبعه ومزاجه إن كان ذا مزاج، فإن كان العامل ممن لا مزاج له فإن عمله بحسب ما هو عليه في ذاته. ورأيت فيها علم حكم من يسأل عما يعلم فيجيب أنه لا يعلم فيكون ذلك علماً به عند السائل أنه يعلم ما سأله عنه، فإن أجابه بما يعلم كما هو الأمر في نفسه وعليه علم أنه لا يعلم المجيب ما سأل عنه السائل. ورأيت فيها علم التعاون على حصول العلم إذا وجد هل يحصل به كل علم يتعاون عليه أو يحصل به علم بعض العلوم دون بعض؟ ورأيت فيها علم سبب وضع الشرائع وإرسال الرسل. ورأيت فيها علم التحكم على الرسل ما سببه وهل هو محمود أو مذموم أو لا محمود ولا مذموم أو في

Marfat.com

موطن محمود وفي موطن مذموم؟ ورأيت فيها علم المانع من وقوع الممكنات دفعة واحدة أعني ما وقع منها وهل ذلك ممكن أم لا؟ وفيما يمكن ذلك وفيما لا يمكن، والذي يمكن فيه هل وقع أم لا؟ وما ثم إلا جوهر أو عرض حامل ومحمول قائم بنفسه وغير قائم بنفسه فيدخل في ذلك التقسيم الجسم وغيره، وهل الجسم مجموع أعراض وصفات والجوهر كذلك أم ليس كذلك؟ ورأيت فيها علم مرتبة التسعة من العدد. ورأيت فيها علم تعارض الخصمين ما أدّاهما إلى المنازعة هل أمر وجودي أو عدمي؟ ورأيت فيها علم الحق المخلوق به. ورأيت فيها علم تسمية الاسم الواحد من الأسماء بجميع الأسماء كما ذهب إليه صاحب خلع النعلين أبو القاسم بن قسي رحمه الله في كتاب خلع النعلين. ورأيت فيها علم مراتب المحامد وعواقبها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والستون وثلثمائة

في معرفة منزل الأفعال مثل أتى ولم يأت وحضرة الأمر وحده

إذا كان غير الجنس مثلي في الفصل ... فأين امتيازي بالحديث عن النحل
أنا ناطق والطير مثلي ناطق ... كما جاء في القرآن في سورة النمل
فلا تفرحن إلا بما أنت واحد ... به فوجود الشكل يأنس بالشكل
لقد كان لي شيخ عزيز مقدس ... يقول بتفضيل الأمور وبالوصل

قال الله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ وهذا القول لا يكون إلا يوم القيامة فما وقع فعبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه ولا بد وزوال حكم الإمكان فيه إلى حكم الوجوب وكل ما كان بهذه المثابة، فحكم الماضي فيه والمستقبل على السواء، وسياقه بالماضي آكد في الوقوع وتحققه من بقائه على الاستقبال.

اعلم يا ولي أسعدك الله بالحق ونطقك به أن جماعة من أهل الله غلطوا في أمر جاء من عند الله تعالى وساعدناهم على غلطهم وما ساعدناهم ولكن مشينا أقوالهم لانتمائهم إلى الله حتى لا ينتمي إليه سبحانه إلا أهل حق وصدق، وذلك أن الأمر الذي غلطوا فيه علم الحق المخلوق به وجعلوا هذا المخلوق به عيناً موجودة لما سمعوا الله يقول: ﴿إنه خلق السموات والأرض بالحق﴾ وما أشبه هذه الآيات الواردة في القرآن، والباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ من أجل الباء والأمر في نفسه في حق السماء والأرض وما أنزل ما بينهما حتى يعم الوجود كله مثل قوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ كذلك ﴿ما خلق السموات والأرض إلا بالحق﴾ أي للحق فاللام التي نابت الباء هنا منابها عين اللام التي في قوله: ﴿ليعبدون﴾ فخلق السموات والأرض للحق والحق أن يعبدوه ولهذا قال: ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ والشرك هو الظلم العظيم، وما ظهر من موجود إلا من هذا النوع الإنساني، وما ذكر الجن معه في الخلق للعبادة إلا لكونه أغواه بالشرك لا أنه أشرك والإنس هو الذي أشرك هذا إذا لم تكن الجن عبارة عن باطن

Marfat.com

الإنسان فكأنه يقول: ﴿وما خلقت الجن﴾ وهو ما استتر من الإنسان وما بطن منه والإنس وهو ما يبصر منه لظهوره ﴿إلا ليعبدون﴾ ظاهراً وباطناً.

ثم قال: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ أي بين الخصومة ظاهر بها وقال: ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ وذلك لدعواه في الربوبية، وما خلقه الله إلا عبداً فلا يتجاوز قدره فنازع ربه في ربوبيته وما نازعه مخلوق إلا هو، ووصف خصومته بالإبانة دون من وصفه بالخصومة من الملأ الأعلى وغيرهم وفي دعوى غير الربوبية، فإنه ما من خصام يكون من مخلوق في أمر خلاف دعوى الربوبية إلا وهو ممكن أن يكون الحق بيده في ذلك ويخفى على السامع والحاكم، فلا يدري هل الحق معه أو مع خصمه؟ وهل هو صادق في دعواه أو هو كاذب للاحتمال المتطرق في ذلك إلا دعواه في الربوبية فإنه يعلم من نفسه ويعلم كل سامع من خلق الله أنه كاذب في دعواه وأنه عبد ولذلك خلقه الله، فلهذا قيل فيه أنه خصيم مبين أي ظاهر الظلم في خصومته، فمن نازع ربه في ربوبيته كيف يكون حاله؟ ثم إن هذا الإنسان ليته يسعى في ذلك في حق نفسه فإنه يعلم من نفسه أنه ليس له حظ في الربوبية ثم يعترف بالربوبية لخلق من خلق الله من حجر أو نبات أو حيوان أو إنسان مثله أو جان أو ملك أو كوكب فإنه ما بقي صنف من المخلوقات إلا وقد عبد منه وما عبده إلا الإنسان الحيوان، فأشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره، ومن هلك فيما لا يحصل بيده منه شيء فيشهد على نفسه أنه أجهل الناس بغيره وأعلم الناس بنفسه لأنه ما ادّعاها لنفسه، ومن ادّعاها لنفسه فإنما استخف قومه فأطاعوه لذلك وهو يعلم خلاف ذلك من نفسه ولذلك قال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ أي في اعتقادكم.

واعلم أن الحق تعالى لا يخلق شيئاً بشيء لكن يخلق شيئاً عند شيء، فكل ما يقتضي الاستعانة والسببية فهي لام الحكمة، فما خلق الله شيئاً إلا للحق والحق أن يعبدوه فإذا هو خصيم مبين وما ذاك إلا من عمى القلوب التي في الصدور عن الحق، فلو كانت غير معرضة عن الحق مقبلة عليه لأبصرت الحق فأقرّت بالربوبية في كل شيء ولم يشرك بعبادة ربه أحداً ولذلك قال: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ والصالح الذي لا يدخله خلل، فإن ظهر فيه خلل فليس بصالح، وليس الخلل في العمل وعدم الصلاح فيه إلا الشرك فقال: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ فنكر فعم كل من ينطلق عليه اسم أحد وهو كل شيء في عالم الخلق والأمر، وعم الشرك الأصغر وهو الشرك الذي في العموم وهو الربوبية المستورة المنتهكة في مثل فعلت وصنعت وفعل فلان ولولا فلان فهذا هو الشرك المغفور،

Marfat.com

فإنك إذا راجعت أصحاب هذا القول فيه رجعوا إلى الله تعالى والشرك الذي في الخصوص فهم الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر وهو الظلم العظيم الذي ظلموا به هذا المقول عليه أنه إله مع الله، فظلموا الله في وحدانية الألوهية له، وظلموا الشريك في نسبة الألوهية إليه، فيأخذهم الله بظلم الشريك لا بظلمه في أحديته، فإن الذي جعلوه شريكاً يتبرّأ منهم يوم القيامة حيث تظهر الحقوق إلى أربابها المستحقين لها، فعلى الحقيقة أن الله لا يخلق شيئاً بشيء وإن خلقه لشيء فتلك لام الحكمة وعين خلقه عين الحكمة إذ خلقه تعالى لا يعلل، فالخلق عبد بالذات أثرت فيه العوارض ولا سيما الشخص الإنساني، بل ما أثرت العوارض إلا في الشخص الإنساني وحده دون سائر الخلق وما سواه فعلى أصله من تنزيه خالقه عن الشريك ولذلك قال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون﴾ وهذا ضمير الجمع في تفقهون إنما هم الناس خاصة، فجميع المخلوقات عبدوا الله إلا بعض الناس، فالإنسان ألدّ الخصام حيث خاصم فيما هو ظاهر الظلم فيه وليس إلا الربوبية، وهل رأيتم عبداً يخاصم ربه إلا إذا خرج عن عبوديته وزاحم سيده في ربوبيته فادّعى ملكاً لنفسه، فإذا تصرّف فيه سيده نازعه فيه وخاصمه، فما وقعت خصومة من عبد في عبودية، وإنما وقعت فيما هو رب فيه ومالك له، وكثير من أهل الله من العلماء منهم ممن لا أذكره ولا أسميه فإن هذه النسبة إليه نسبة تنص على جهله فلذلك تأدبت معه فقرروا المخلوق به على وجهين: فمنهم من جعل هذا الحق المخلوق به عين علة الخلق والحق تعالى لا يعلل خلقه هذا هو الصحيح في نفسه حتى لا يعقل فيه أمر يوجب عليه ما ظهر من خلقه بل خلقه الخلق منة منه على الخلق وابتداء فضل وهو الغنيّ عن العالمين. ومنهم من جعل هذا الحق المخلوق به عيناً موجودة بها خلق الله ما سواها وهم القائلون بأنه ما صدر عن الواحد إلا واحد، وكان صدور ذلك الواحد صدور معلول عن علة أوجبت العلة صدوره، وهذا فيه ما فيه، والذي أقول به أنه:

إذا جاء أمر الله فالآمر الأمر ... وذلك توحيد إلى من له الأمر
فلا تشركوا فالشرك ظلم مبرهن ... عليه وهذا الظلم قد عمه الحجر

ولما كان العلم تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح أعيان الأجسام كلها سمي العلم روحاً تنزل به الملائكة على قلوب عباد الله وتلقيه وتوحي به من غير واسطة في حق عباده أيضاً، فأما إلقاؤه ووحيه به فهو قوله: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ وقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ وأما تنزيل الملائكة به على قلوب عباده فهو

Marfat.com

قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ فهم المعلمون والأستاذون في الغيب يشهدهم من نزلوا عليه، فإذا نزل هذا الروح في قلب العبد بتنزيل الملك أو بإلقاء الله ووحيه حيي به قلب المنزل عليه فكان صاحب شهود ووجود لا صاحب فكر وتردّد ولا علم يقبل عليه دخلاً فينتقل صاحبه من درجة القطع إلى حال النظر، فالعبد العالم المجتبى إما يعرج فيرى، وإما ينزل عليه في موضعه:

إن العروج لرؤية الآيات ... نعت المحقق في شهود الذات
فانظر بفعل الحال تشهد كونه ... وانظر إلى الماضي يريك الآتي
إن الوجود مبرهن عن نفسه ... بوجوده في أكثر الحالات
فالحال في الأحياء يشهد دائماً ... والماضي والآتي مع الأموات

فإن قال المعتذر عن هؤلاء: فما فائدة خلق الإنسان الكامل على الصورة؟ قلنا: ليظهر عنه صدور الأفعال والمخلوقات كلها مع وجود عينه عنده أنه عبد، فإن غاية الأمر الإلهيّ أن يكون الحق مع العبد وبصره بل جميع قواه فقال تعالى: «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده» الحديث، فأثبت بالضمير عينه عبداً لا ربوبية له، وجعل ما يظهر به وعليه ومنه أن ذلك هو الحق تعالى لا للعبد، فهذا الخبر يؤيد ما ذهبنا إليه وهو عليهم لو اعتذروا به محتجين علينا كما فعلت أنت ولم يكن لهم هذا الخبر فلا شيء أعلى من كلام النبوّة ولا سيما فيما أخبرت به عن الله عز وجل، فإن قالوا: إن الإمكان جعلنا أن نقول ما نقول. قلنا: الإمكان حكم وهمي لا معقول لا في الله ولا في المسمى ممكناً فإنه لا يعقل أبداً هذا المسمى ممكناً إلا مرجحاً، وحالة الاختيار لا تعقل إلا ولا ترجيح، وهذا غير واقع فهو غير واقع عقلاً لكن تقع وهماً والوهم حكم عدمي فما ثم إلا واجب بذاته أو واجب به فمشيئة الحق في الأشياء واحدة:

والحق ليس له إلا مشيئته ... وحيدة العين لا شرك يثنيها
والاختيار محال فرضه فإذا ... أتى فحكمته الإمكان تدريها
فلا تزال على الترجيح نشأته ... والله بالحال أخفى نفسه فيها
فزال من علمنا الإمكان عن نظر ... في الممكنات فيبديها ويخفيها

وإذا زال الإمكان زال الاختيار وما بقي سوى عين واحدة، لأن المشيئة الإلهية ما

Marfat.com

عندها إلا أمر واحد في الأشياء، ولا تزال الأشياء على حكم واحد معين من الحكمين فما الأمر كما توهمه القائل بالإمكان، فثبت أنه ما ثم إلا حق لحق، وحق لخلق، فحق الحق ربوبيته، وحق الخلق عبوديته، فنحن عبيد وإن ظهرنا بنعوته، وهو ربنا وإن ظهر بنعوتنا، فإن النعوت عند المحققين لا أثر لها في العين المنعوتة، ولهذا تزول بمقابلها إذا جاء ولا تذهب عيناً بل لا يزال كونها في الحالين، فالقائم عين القاعد من حيث عينه، والقائم ليس القاعد من حيث حكمه، فالقائم لا يمكن أن يقعد في حال قيامه، والقاعد لا يمكن أن يقوم في حال قعوده، وما شاء الحق إلا ما هو الأمر عليه في نفسه، فمشيئة الحق في الأمور عين ما هي الأمور عليه فزال الحكم، فإن المشيئة إن جعلتها خلاف عين الأمر، فإما أن تتبع الأمر وهو محال، وإما أن يتبعها الأمر وهو محال، وبيان ذلك أن الأمر هو أمر لنفسه كان ما كان فهو لا يقبل التبديل فهو غير مشاء بمشيئة ليست عينه فالمشيئة عينه فلا تابع ولا متبوع فتحفظ من الوهم، فإن له سلطاناً قوياً في النفس يحول بينها وبين العلم الصحيح الذي يعطيه العقل السليم.

ولما دخلت هذا المنزل عندما رفعت إلى أعلامه فاستدللت عليه بأعلامه حتى وصلت إليه بعدما قاسيت مشقة وطالت علي الشقة، فلما دخلته صعب علي التصرف فيه لما فيه من المهالك وهو منزل مظلم لا سراج فيه، فكنت أمشي فيه بحس الرجل والتثبت مخافة الوقوع في مهلك من مهالكه، فإذا ثبت قدمي في موضع أحسّ به ولا أبصره حينئذ شرعت في نقله أطلب موضعاً أنتقل إليه، فإذا وقعت قدمي بفراغ علمت أن هنالك مهلكاً، فسرت أتتبع بقدمي يميناً وشمالاً حتى أجد لقدمي موضعاً يستقر فيه وأنا معتمد على القدم الأخرى، وما زلت كذلك أنتقل من مكان إلى مكان في هذه الظلمة ولا أبصر شيئاً لعدم النور من الخارج المقارن لنور بصري فكان رجلي بصري فعلمت من ذلك قدر ما تصرفت فيه، وأنا على حذر ما أدري ما يعرض لي في طريقي من حيوان يؤذيني ولا أحس به حتى يوقع الأذى بي، ومع هذا خاطرت بنفسي لأني قلت: أنا في ظلمة على كل حال فسواء علي قعدت أو تصرفت، فإني إذا قعدت لم آمن أن يأتيني حيوان يؤذيني، وإن تصرفت لم آمن أيضاً من حيوان يؤذيني أو مهلك أقع فيه، فالتثبت في التصرف أرجى لي فرجحته على القعود طلباً للفائدة، فبينا أنا كذلك إذ فجئني نور الشرع من خارج بصورة سراج مصباح لا تحركه الأهواء لكونه في مشكاة ومشكاته الرسول فهو محفوظ من الأهواء التي تطفيه وذلك المصباح في زجاجة قلبه وجسمه المصباح واللسان ترجمته والإمداد الإلهي زيته والشجرة

Marfat.com

حضرة إمداده، فاجتمع نور البصر مع هذا النور الخارج فكشفنا ما في الطريق من المهالك والحيوانات المضرة فاجتنبنا كل ما يخاف منها ويحذر، وسلكنا محجة بيضاء ما فيها مهلك ولا حيوان مضر، ولو تعرض إلينا عدلنا عنه لاتساع الطريق وسهولته والموانع والحصون التي فيه المانعة ضرر تلك الحيوانات ﴿فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ وبعد أن ظهر هذا المصباح لم ينطف ولا زال، فمن استدبره وأعرض عنه مشى في ظلمة ذاته وتلك الظلمة ظلمته فيكون ممن جنى على نفسه بإعراضه عن المصباح واستدباره، فهذا حكم من ترك الشرع واستقل بنظره، فهو وإن ثبت في سعيه لظلمة ذاته على خطر من دواب الطريق وإن لم يقع في مهلك، فينبغي للعاقل أن لا يستعجل في أمر له فيه أناة، ولا يتأنى في أمر يكون الحق في المبادرة إليه والإسراع في تحصيله، هذا فائدة العقل في العاقل.

ورأيت في هذا المنزل علوماً جمة منها علم الحاصل في عين الفائت لأنه لولا ذلك ما علمت فضل الحاصل على الفائت في حقك إذا كان فيه سعادتك، ولا فضل الفائت على الحاصل إذا كان الفائت مطلوبك، ولو حصل لك أشقاك وأنت لا تعلم فكان الفضل فيه في حقك فوته فإن بفوته سعدت، وهذا لا يكون إلا لمن أسعده الله وهو قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ومنه ما روي أن رسول الله ﷺ قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فيريد أن يدخل إلى مكة ليصيب فيها ما يصيب الشبان، فإذا دخل مكة وترك في الغنم بعض من يعرفه يحفظها حتى يأتي إليه يرسل الله عليه النوم فيفوته تحصيل ما دخل من أجله فيستعجل الرجوع إلى غنمه فيخرج وقد فاته ما دخل من أجله وكانت في ذلك عصمته وحفظه من حيث لا يشعر، ويقال في المثل في هذا المعنى: من العصمة أن لا تجد.

وفي هذا المنزل من العلوم علم أحدية الأفعال وهو أمر مختلف فيه، فمن مثبت ذلك للحق تعالى، ومن مثبت ذلك للخلق فهو أحدي في الطائفتين، ومن مثبت في ذلك شركاً خفياً وهم القائلون بالكسب. وفيه علم ما لا يعلم إلا بالوهب ليس للكشف فيه مدخل جملة واحدة وهو ما لا يدرك إلا بذات المدرك اسم فاعل على حسب ما هو المدرك اسم فاعل عليه، فإن كان ممن تنسب إليه الحواس فالحواس له ذاتية لا محالها المعين لها، وإن كان ممن لا تنسب إليه الحواس فإدراكه للأمور المحسوسة كصاحب الحواس أيضاً بذاته ولا يقال أنها محسوسة له لأنه لا ينسب إليه حس فهي معلومة له، والحواس طريق موصلة إلى العلم، والعلم بالأمر هو المطلوب لا بما حصل، فقد رأيت الأكمه يدرك الفرق بين الألوان

Marfat.com

مع فقد حس البصر وجعل الله بصره في لمسه فيبصر بما به يلمس. وفيه علم الإعلام بتوحيد الحق نفسه في ألوهيته بأي لسان أعلم ذلك وما السمع الذي أدرك هذا الإعلام الإلهي إذا تبعه الفهم عنه فإن لم يتبعه فهم فهل يقال فيه أنه سمع أم لا؟ وفيه علم رتبة الإنسان الحيوان ومزاحمته الإنسان الكامل بالقوة فيما لا يكون من الإنسان الكامل إلا بالفعل، وأن الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحكم، فإن الإنسان الحيوان يرزق رزق الحيوان وهو للكامل وزيادة، فإن الكامل له رزق إلهي لا يناله الإنسان الحيوان، وهو ما يتغذى به من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان والكشف والذوق والفكر الصحيح.

وفيه علم رحمة الله بالعالم حيث أحالهم على الأسباب وما جعل لهم رزقاً إلا فيها ليجدوا العذر في إثباتها، فمن أثبتها جعلاً فهو صاحب عبادة، ومن أثبتها عقلاً فهو مشرك وإن كان مؤمناً، فما كل مؤمن موحد عن بصيرة شهودية أعطاه الله إياها. وفيه علم رتبة المباح من الشرائع وما حدوه به من أنه لا أجر فيه ولا وزر حد صحيح أم لا، وهل فيه حصول الأجر في فعله وتركه وما ينظر إليه من أفعال الله ومما يحكم به في الله فإنه لا يماثلها إلا الاختيار المنسوب إلى الله، فإن لم يثبت هنالك اختيار على حد الاختيار فلا يثبت هنا مباح على حد المباح لأنه ما هو ثم. وفيه علم ما يعلمه المخلوق وأنه محدود مقيد لا ينسب إليه الإطلاق في العلم به فإن ذلك من خصائص الحق سبحانه وتعالى. وفيه علم اختلاف الطبائع فيمن تركب منها وبماذا اختلف من لا طبيعة له، ولولا حكم الاختلاف فيمن لا طبيعة له ما ظهر الاختلاف في الطبيعة، كما أنه لولا اختلاف الطبيعة ما ظهر خلاف فيما تألف منها وهو علم عجيب في المفرد العين والمفرد الحكم، فبالقوابل ظهر الخلاف بالفعل وهو في المفرد بالقوة.

وفيه علم حكمة توقف العالم بعضه على بعض فيما يستفاد منه مع التمكن من ذلك دونه. وفيه علم رتبة من كثرت علومه ممن قلت علومه ومن قلت علومه عن كثرة أو من قلت لا عن كثرة وإن كان الشرف عند بعضهم في قلة العلم فلماذا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يطلب الزيادة من العلم والزيادة كثرة ومن كان علمه من المعلومات وإن كثرت أحدية كل معلوم التي هي عين الدلالة على أحدية الحق فهو صاحب علم واحد ولا أقل من الواحد في معلومات كثيرة مجمل كل معلوم أحدية هي معلومة للعالم بالله وحده، وما نبه على هذه المسألة إلا ابن السيد البطليوسي فإنه قال فيما وقفنا عليه من كلامه: أن الإنسان كلما علا قدره في العالم قلت علومه، وكلما نزل عن هذه المرتبة لشريفة اتسعت علومه، وأعني

Marfat.com

العلم بالأفعال، وأعني بالقلة العلم بالذات من طريق الشهود، وكان رأيه في علم التوحيد رأي الفيثاغوريين وهم القوم الذين أثبتوا التوحيد بالعدد وجعلوه دليلاً على أحدية الحق وعلى ذلك جماعة من العقلاء. وفيه علم العلم الثابت الذي لا يقبل الزوال في الدنيا ولا الآخرة.

وفيه علم نصب الأدلة لمن لا يعرف الأمر إلا بالنظر الفكري. وفيه علم ما لا يمكن أن ينسب إلا إلى الله فإن نسب إلى غير الله دل عند من يعرف ذلك العلم على جهل من ينسبه إلى غير الله بالله. وفيه علم كون الموجودات كلها نعماً إلهية أنعم الله بها، وعلم من هو الذي أنعم الله بها عليه وهل هو هذا المنعم عليه من جملة النعم فيكون عين النعمة عين المنعم اسم مفعول فاعلم ذلك. وفيه علم الموت في الحياة والحياة في الموت ومن هو الحي الذي لا يموت والميت الذي لا يحيا؟ ومن يموت ويحيا ومن لا يموت ولا يحيا؟ وفيه علم سبب وجود الإنكار في العالم ولماذا يستند من الحضرة الإلهية؟ وهل قوله لعبده عندما ينسب إليه ما ظهر عليه من الأمور التي نهى أن يعملها: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ إنكار إلهي عن نسبة ذلك الفعل إلى الله، ولماذا سمي منكراً وهو معروف؟ وقوله: ﴿الذين يأمرون بالمعروف﴾ وهو الأمر بما هو معلوم له ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو أن يأمر بما ليس معلوماً عنده من النكرة التي لا تتعرف، ولما كان المنكر فعل ما أمر بتركه أو ترك ما أمر بفعله ولا يوصف بأنه أتى منكراً حتى يعلم أنه مأمور به ذلك العمل أو منهي عنه فصح له اسم المنكر لما يحصل للعبد من الحيرة في ذلك وعدم تخلصه إلى أحد الجانبين، فإن نسبه إلى الحق في بعض الأمور عارضه الأدب أو الدليل الحسيّ والعقليّ والسمعيّ فيسلب عن ذلك العمل نعت المعرفة ويلحقه بالنكرة، ولما اختص المنكر بالمذموم من الأفعال لا بالمحمود.

وفيه علم ذم الله المتكبر والكبرياء صفته وقد علم الله عز وجل أنه لا يدخل قلب إنسان الكبر على الله ولكن يدخله الكبر على خلق الله وهو الذي يزال منه وحينئذ يدخل الجنة، فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر على غير الله حتى يزال وأما على الله فمحال فإن الله قد طبع على القلوب التواضع له، وإن ظهر من بعض الأشخاص صورة الكبرياء على أمر الله وهو الذي جاءت به الوسائط وهم الرسل عليهم السلام من الله لا على الله، فإنه يستحيل الكبرياء من المخلوق عليه لأن الافتقار له ذاتي، ولا يمكن للإنسان أن يجهل ذاته. وفيه علم الحميل والكفالة وانتقال الحق إلى الكفيل من الذي عليه الحق وبراءة

Marfat.com

من انتقل الحق عنه منه. وفيه علم السبب الذي أوجب للإنسان أن يؤخذ من مأمنه. وفيه علم التسليم والتفويض. وفيه علم اختلاف أحوال الخلق عند الموت ما سبب ذلك ولماذا لم يقبضوا على الفطرة كما ولدوا عليها؟ وما الذي أخرجهم عن الفطرة أو أخرج بعضهم وما هي الفطرة؟ وهل يصح الخروج عنها أو لا يصح؟ ورحمة الله تعالى بخلقه في أخذ العهد على الناس لما أخذهم الله من ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم بربوبيته عليهم فقالوا بلى أنت ربنا ولم يشهدهم بتوحيده إبقاء عليهم لعلمه أن فيهم من يشرك به إذا خرج إلى الدنيا وتبريه من الشريك في العقبى يوم العرض الأكبر.

وفيه علم المحاجة يوم القيامة والفرق بين الحجة الداحضة والحجة البالغة وما هو الموطن الذي يقال فيه للإنسان: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون﴾. وفيه علم ما يجب على المبلغين عن الله تعالى من رسول ووارث. وفيه علم ما يؤتى عن أمر الله وما يجتنب وأحكامهم في ذلك عن بينة وعن غير بينة. وفيه علم ما لا يمكن التبدل فيه عقلاً مع إمكان ذلك عقلاً، وكيف يدخل النسخ في أدلة العقول كما يدخل في أحكام الشرائع. وفيه علم التحكم على الله هل يسوغ ذلك لأحد من أهل الله من غير أمر الله أو لا يسوغ؟ وفيه علم كيف يوجد الله من يوجده من العالم. وفيه علم هل عين الاعتماد على الله في دفع المكروه والضراء عين الاعتماد عليه في إبقاء النعم على المنعم عليه اسم مفعول وعلى أي اسم إلهي يكون كل اعتماد من هذين الاعتمادين. وفيه علم صفة الشخص الذي ينبغي أن يسأل في العلم الذي يعطي السعادة للعامل به. وفيه علم السبب الذي يوجب الخوف عند من أعطاه الله الأمان في الدار الدنيا وارتفاع ذلك عنه في الدار الآخرة واختلاف وجوه الأخذ الإلهي مع الأمان. وفيه علم تنقل الصور الموجودة عن الأشخاص تطلب وجه الله في تنقلها وهي كالظلال مع الأشخاص الظاهرة عنه عند استقبال النور واستدباره أو يكون عن يمينه ذلك النور أو شماله.

وفيه علم نفي أن يتخذ الحق إلها في المجموع وهل يتخذ بغير المجموع أو لا يصح أن يكون متخذاً؟ فإنه إله لعينه لا بالاتخاذ فاعلم ذلك. وفيه علم ما لله من الدين وما للعبد منه ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ والدين الذي تدخله المشقة هل هو لله فإنه يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وقال: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقال رسول الله ﷺ: «دين الله يسر» وقال: «بعثت بالحنيفية السمحة» كما قال أيضاً: «وله الدين

Marfat.com

واصباً» وقال: «من يشادّ هذا الدين يغلبه» وقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ فإنه ما كلفها إلا ما آتاها من القوة عليه. وفيه علم ردّ النعم إلى الله ولماذا يغلب على الإنسان شهود الضراء حتى تحول بينه وبين ما فيها من طعم النعم حتى يضجر من البلاء، وهذا كان مقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاهد نعم البلاء في البلاء فيجمع بين الصبر والشكر في الآن الواحد وكان صاحب عملين. وفيه علم الاستدراج بالنعم. وفيه علم حكم من عامل الحق بجهله وهو يظن في نفسه أنه على علم في ذلك. وفيه علم التعرية. وفيه علم صفة المفتي والفتيا ومتى يفتي المفتي هل بعد الاستفتاء أو يفتي وإن لم يستفت وهل يفتقر المفتي إلى إذن الإمام له في ذلك أم لا؟ وفيه علم استخراج العلوم من النظر في الموجودات وتفاصيله. وفيه علم أنواع الوحي وضروبه وما يختص بالأولياء الأتباع من ذلك وما لا يشارك فيه النبيّ من الوحي. وفيه علم الإحاطة بوجوه كل معلوم من هو ذلك العالم بها وما صفته. وفيه علم تفاضل الصفات لماذا يرجع؟ وفيه علم الأرزاق الروحانية وما هو الرزق الذي في تناوله حياة القلوب من الرزق الذي فيه موت القلوب فإنه قد يكون الموت من الجوع وقد يكون من الشبع والامتلاء، وما هو الرزق الذي يشبع منه والرزق الذي لا يشبع منه؟ والرزق الذي يتساوى فيه جميع العالم والرزق الذي يخص بعض العالم دون بعض. وفيه علم لعلم بالرازق وأنه أحق بالعبادة لافتقار المرزوق إلى الرزق. وفيه علم التحرك والسكون ومن أحق بالمقام هل المتحرّك أو الساكن؟ وحكاية المتحرّك والساكن لما تحاكما في ذلك إلى العالم بذلك ذوقاً وما جرى لهما وأن صاحب الرزق من يأكله لا من يجمعه، وأخبر تعالى عن لقمان الحكيم فيما أوصى به لابنه: ﴿يا بنيّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ ولم يقل يأت إليها.

وفيه علم العدل وأداء الحقوق. وفيه علم النسيان بعد العلم بحيث لا يدري أنه علم ما قد نسيه أصلاً. وفيه علم الاسم الإلهيّ الواقي واختلاف صوره في العالم مثل اختلاف الاسم الرزاق. وفيه علم اختلاف الحال على المشاهد في حال رؤيته. وفيه علم من يدع الناس إلى ما هو عليه حتى يكون داعي حق. وفيه علم الأوامر الإلهية. وفيه علم المحسن والإحسان. وفيه علم الأنساب وقول النبيّ ﷺ: «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى فإن الله يقول: اليوم أرفع نسبكم وأضع نسبي أين المتقون» وقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فهل هو المتقي من يكون وقاية لله أو من يتخذ الله وقاية ولهذا رجال ولهذا رجال. وفيه علم الإيلاء وأقسامه

Marfat.com

وأحكامه في المولى وصورة الإيلاء وما يكون لله من ذلك وما يكون للعبد. وفيه علم كون العالم العامل في دنياه في جنة معجلة في نفسه وإن كان رديء الحال فنعيمه في نفسه أعظم النعيم. وفيه علم المداخلة في القرآن مع كونه محفوظاً من عند الله فلا يصح في القرآن تحريف ولا تبديل كما وقع في غيره من الكتب المنزلة.

وفيه علم النسخ ما هو. وفيه علم حكم من يخالف ظاهره باطنه عن شهود. وفيه علم دفع الإنسان عن نفسه إعظاماً لها لما رأى من تعظيم الله حقها في تحريم الجنة على من قتل نفسه، وإن كان قاتل نفسه لا يدخل جهنم إلا بنفسه الحيوانية لأن جهنم ليست موطناً للنفس الناطقة، ولو أشرفت عليها طفى لهيبها بلا شك لأن نورها أعظم، فإن الذي قتل نفسه عظم جرمه لحق الجوار الأقرب وحال بذلك بينها وبين ملكها، وما سوى نفسه فبعيد عن هذا القرب الخاص الذي لنفسه. وفيه علم ما حلل وحرّم هل حرم أو حلل لنفسه أو لأمور مخصوصة وأحوال في المحرّم والمحرّم عليه، ولا محلل ولا محرّم إلا الله بلسان الشرع لسان الرسول ﷺ أو المجتهد من علماء الرسوم كالفقهاء. وفيه علم تغير الإقبال الإلهيّ لتغير الأحوال. وفيه علم إقامة العظيم مقام الجماعة. وفيه علم السياسات في المخاطبات من العلماء والعارفين الدعاة إلى الله. وفيه علم الجزاء بالمماثل في أي نوع كان وفيما يحمد من ذلك كله وفيما يذم. وفيه علم المعية الإلهية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والستون وثلثمائة

في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود

قلت لما أن قال قومي بأني ... قلت ما قلت والكؤوس تدار
من مدير الكؤوس قلت حبيبي ... وهو شربي الذي عليه المدار
ثم قالوا فما يقول حبيب ... في إله له القلوب تعار
ولسان الكريم يعطيك مالاً ... ثم يأتيك سائلاً فتحار
كرماً منه وامتناناً وفضلاً ... ولك الحكم بعد ذا والخيار
إن تشأ قلت أنت مالك هذا ... أو تشأ ضده فليس يغار
كل هذا أباحه لك فضلاً ... حكم الجبر فيه والاضطرار

أعلم أيدنا الله وإياك أنه ما من شيء أوجده الله في العالم الذي لا أكمل منه في الإمكان إلا وله أمثال في خزائن الجود، وهذه الخزائن في كرسيه وهذه الأمثال التي تحتوي عليها هذه الخزائن لا تنتهي أشخاصها، فالأمثال من كل شيء توجد في كل زمان فرد في الدنيا والآخرة لبقاء كل نوع وجد منه ما وجد. واختلف أصحابنا في هذا النوع الإنساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا؟ فمن لم يكشف قال بانتهائه، ومن كشف قال بعدم انتهائه، وأن التوالد في الآخرة في هذا النوع الإنساني باق في المثل في نكاح الرجل المرأة الآدمية الإنسانية على صورة أذكرها، والتوالد أيضاً بين جنسين مختلفين وهما بنو آدم، والحور اللاتي أنشأهن الله في الجنان على صورة الإنسان ولسن بأناسي فتوالدهما بنكاح بينهما في الإنس والحور، ويتناكحان في الزمن الفرد، ينكح الرجل إذا أراد جميع من عنده من النساء والحور من غير تقدم ولا تأخر مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، بل بقطف دان من غير فقد مع وجود أكل وطيب طعم، فإذا أفضى الرجل إلى الحوراء أو الإنسية له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها في الدنيا غشي عليه من شدة حلاوتها فتكون منه في كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكوّن من حينه فيها ولد في كل دفعة، ويكمل نشؤه ما بين الدفعتين ويخرج مولوداً مصوّراً مع النفس

Marfat.com

الخارج من المرأة روحاً مجرداً طبيعياً، فهذا هو التوالد الروحاني في البشرى بين الجنسين المختلفين والمتماثلين، فلا يزال الأمر كذلك دائماً أبداً، ويشاهد الأبوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح وهم كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ولا يعودون إليه أبداً، هذا صورة توالد هذا النوع الإنساني، ولا حظ لهؤلاء الأولاد في النعيم المحسوس ولا بلغوا مقام النعيم المعنوي، فنعيمهم برزخيّ كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعي، فلا يزال النوع الإنساني يتوالد ولكن حكمه ما ذكرناه.

وأما توالد الأرواح البشرية فإن لهما في الآخرة مثل ما لهما في الدنيا اجتماعات برزخيات مثل ما يرى النائم في النوم أنه ينكح زوجته ويولد له، فإذا أقيم العبد في هذا المقام سواء كان في الدنيا أو في الآخرة ونكح الرجل من حيث روحه زوجته من حيث روحها يتولد بينهما من ذلك النكاح أولاد روحانيون ما يكون حكمهم حكم المولدين من النكاح الحسي في الأجسام والصور المحسوسات التي تقدم ذكرها، فيخرج الأولاد ملائكة كراماً لا بل أرواحاً مطهرة وهذا هو توالد الأرواح، ولكن لا بد أن يكون ذلك عن تجل برزخيّ فتجلى الحق في الصور المقيدة، فإن البرزخ أوسع الحضرات جوداً وهو مجمع البحرين: بحر المعاني وبحر المحسوسات، فالمحسوس لا يكون معنى، والمعنى لا يكون محسوساً، وحضرة الخيال التي عبرنا عنه بمجمع البحرين هو يجسد المعاني ويلطف المحسوس ويقلب في عين الناظر عين كل معلوم فهو الحاكم المتحكم الذي يحكم ولا يحكم عليه مع كونه مخلوقاً إلا أن الأنفاس التي تظهر من تنفس الحوراء أو الآدمية إذا كانت صورة ما ظهرت فيه من نفس النكاح يخرج مخالفاً للنفس الذي لا صورة فيه يميزه أهل الكشف ولا يدرك ذلك في الآخرة إلا أهل الكشف في الدنيا، وصورة هذا النشىء المتولد عن هذا النكاح في الجنة صورة نشىء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين الله وما يخلق الله من صور الأعمال، وقد صحت الأخبار بذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما جعلنا الكرسي موضع هذه الخزائن لأن الكرسيّ لغة عبارة عن العلم كما قال: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ أي علمه وكذلك هو هنا فإن الخزائن فيها أشخاص الأنواع، وهذه الأشخاص لا تتناهى وما لا يتناهى لا يدخل في الوجود، إذ كل ما يحصره الوجود فإنه متناه، فلا بد أن يكون الكرسي هنا علمه، فإن علمه محيط بما لا يتناهى، فلا تتخيل في الكرسي الذي ذكرناه أنه هذا الكرسي الذي فوق السموات ودون العرش فإنه كرسي محصور موجود متناهي الأجزاء.

Marfat.com

واعلم أن أفضل ما جاد به الله تعالى على عباده العلم، فمن أعطاه الله العلم فقد منحه أشرف الصفات وأعظم الهبات، والعلم وإن كان شريفاً بالذات فإن له شرفاً آخر يرجع إليه من معلومه فإنها صفة عامة التعلق، وتشرف المفاتيح بشرف الخزائن، وتشرف الخزائن بقدر شرف ما اختزن فيها، فالموجود الحق أعظم الموجودات وأجلها وأشرفها، فالعلم به أشرف العلوم وأعظمها وأجلها، ثم ينزل الأمر في الشرف إلى آخر معلوم، وما من شيء إلا والعلم به أحسن من الجهل به، فالعلم شرفه ذاتي له، والشرف الآخر مكتسب والخزائن محصورة بانحصار أنواع المعلومات ومرجعها وإن كثرت إلى خزانتين: خزانة العلم بالله وخزانة العلم بالعالم، وفي كل خزانة من هاتين الخزانتين خزائن كالعلم بالله من حيث ذاته بالإدراك العقلي، ومن حيث ذاته بالإدراك الشرعي السمعي، والعلم به من حيث أسماؤه، والعلم به من حيث نعوته، والعلم به من حيث صفاته، والعلم به من حيث النسب إليه، وكل ذلك من حيث النظر الفكري ومن حيث السمع وهو من حيث السمع كما هو من حيث الكشف. والخزانة الأخرى التي هي العلم بالعالم تحوي على خزائن وفي كل خزانة خزائن، فالخزائن الأول العلم بأعيان العالم من حيث إمكانه، ومن حيث وجوبه، ومن حيث ذواته القائمة بأنفسها، ومن حيث أكوانه، ومن حيث ألوانه، ومن حيث مراتبه، ومن حيث مكانه وزمانه ونسبه وعدده ووضعه وتأثيره وكونه مؤثراً فيه منه ومن غيره إلى أمثال هذا من العلوم، وعلم الدنيا والبرزخ والآخرة والملأ الأعلى والأدنى، فأوّل مفتاح من هذه الخزائن أعطاه العالم بالله مفتاح خزانة العلم بالوجود مطلقاً من غير تقييد بحادث ولا قديم وبماذا تميز هل بنفسه أو بغيره وهو العدم، فالوجود ظهور الموجود في عينه فإن به تظهر جميع الأحكام من نفي وإثبات ووجوب وإمكان وإحالة ووجود وعدم ولا وجود ولا عدم، هذا كله لا يثبت ولا يصح إلا من موجود يكون عينه وماهيته ووجوده لا يقبل التكثر إلا بحكمه عليه، فإن الحقائق التي تبرز إليه فيه لوجوده فنقول بالكثرة في عينه وهو واحد ولكل حقيقة اسم فله أسماء:

تجسدت أسمائي فكنت كثيراً ... ولم يرني غير فكنت بصيرا
فيا قائلاً بالغير أين وجوده ... وأين يكون الغير كنت غيورا
تعالى على من أو بعز فليس ثم ... فبالحق كان الحق فيه غفورا
فوالله لولا الله ما كان كونه ... غنياً ولا كان الغنيّ فقيرا

Marfat.com

فسل بالذي قام الوجود خبيرا بمن أو إلى من علق الفقر والغنى

فإذا كان الوجود أوّل خزائن الجود وأعطاك الحق مفتاح هذه الخزانة كالذي كان عرّفك بك فعرفته فأنت أوّل معلوم وهو آخر معلوم، وأنت آخر موجود وهو أوّل موجود، فإنه ليس في قوتك أن تعلم المعدوم لأن العلم شهود، وإن لم يكن كذلك فليس بعلم، هذا هو الحق الذي ﴿لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ فأوجد من كل خزانة عيناً قائمة أو عيناً في عين أو لا عيناً في عين، وأعني بقولي لا عين في عين النسب فإنه ليست لها أعيان، وحكمها يحكم على الوجود لأعيان بها ولا وجود لها إلا بالحكم، فلما أوجد ما ذكرناه عمد إليك فأوجدك كاملاً لانتهاء طرفي الدائرة فظهرت في وجودك وإن كنت آخراً بصورة الأوّل فانحصر العالم بينك وبينه فلا مخلص له منكما فلم تتميز عنه ولا تميز عنك في الحكم، وظهرت فيك صور العالم كلها التي أخرجها من تلك الخزائن فشاهدتك فحصل لك العلم بها فعلمت من العالم ما لم يعلم العالم من نفسه من الحكم فرداً فرداً وقال لك: كلما بقي في الخزائن مما لا يتناهى فهو مثل ما علمت، فمن أحاط علماً بواحد من الجنس فقد أحاط علماً بالجنس فإنه ماثم إلا أمثال، فما التقى طرفا الدائرة حتى حدث المحيط ودل المحيط على نقطة الدائرة فحدثت الخطوط من النقطة إلى المحيط ولم تتجاوزه، فإن انتهاء الخط إنما يكون إلى نقطة من المحيط فانتهى إلى ما منه خرج، فصورة أوليته عين صورة آخريته، فيصير من حكم نقطة آخرة الذي انتهى إليها من المحيط من كذا إلى محيط آخر، نصفه من داخل المحيط الأوّل ونصفه من خارجه لحكم الظاهر والباطن، ويلتقي طرفاه أيضاً كالتقاء المحيط الأوّل حتى يكون على صورته لأنه من المحال أن يخرج على غير صورته، ثم يظهر من الحكم في المحيط ما ظهر في المحيط الأوّل إلى ما لا يتناهى وهو ما يبرز من تلك الخزائن الذي لا يتناهى ما تحوي عليه وهو الخلق الجديد الذي الكون فيه دائماً أبداً، وبعض الناس أو أكثر الناس في لبس من ذلك كما قال تعالى: ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ مع الأنفاس ولكن بصورة ما ذكرناه، فالنقطة سبب في وجود المحيط، والمحيط سبب في حصول العلم بالنقط، فالمحيط حق وخلق والنقطة حق وخلق، فهذان حكمان يسريان في كل دائرة ظهرت من الدائرة الأولى، ولما ظهرت الدوائر بالغاً ما بلغت ولا تزال تظهر صارت الدائرة الأولى التي أحدثت هذه الدوائر خفية لا تعرف ولا تدرك لأن كل دائرة قربت منها أو بعدت عنها فهي على صورتها، فكل دائرة يقال فيها تشهدها ما تشهدها فهذا هو غيب في شهادة، فالدوائر الظاهرة في الدائرة الأولى عددها مساو لعدد خزائن الأجناس

Marfat.com

كانت ما كانت لا يزاد فيها ولا ينقص منها، وما يخرج ويحدث عنها من الدوائر إلى ما لا يتناهى دوائر أشخاص تلك الأجناس إلى ما لا يتناهى، وتدل عين دائرة الشخص على أمر يسمى نوعاً وهو ما بين الجنس والشخص فيحدث عندك أنواع في أنواع ولكن منحصرة ولا تعرف إلا من الأشخاص لأن النوع معقول بين الجنس الأعم والشخص، وكل متوسط بين طرفين إن شئت قلت: إن الطرفين أظهرا له حكم التوسط، وإن شئت قلت: إن التوسط أظهر حكم الطرفين، وهذا عين معرفة الحق بالخلق والخلق بالحق:

فلولا شهود الخلق بالحق لم يكن ... ولولا شهود الحق بالخلق لم تكن
فمن قال كن فهو الذي قد شهدته ... وماثم إلا من يكون بقول كن
فمن علمه بالخلق يعرف حقه ... ومن علمه بالحق كان ولم يكن

فالمحيط يحفظ النقطة علماً، والنقطة تحفظ المحيط وجوداً، فكل واحد منهما حافظ محفوظ ولا حظ ملحوظ، قال تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾ فالكل مشهود وشاهد، والكل فاضل ومفضول، فإن قال أحدهما أنا قال الآخر أنا، وإن قال أحدهما أنت قال الآخر له أنت، فلا يظهر كل واحد للآخر إلا بما يبدأ به كل واحد والقولان صحيحان:

فيا حقي ويا خلقي ... لمن تفني لمن تبقي
شربت شربة منه ... وقد غص بها حلقي
وما ثم سوى عين ... فمن يقبل ما تلقي
فقال لي الذي أعني ... إذا ما قلت فاستبقي
فإن الأمر محصور ... بين الخلق والحق
ولولا ذاك ما كنا ... فأخف الذكر في الحق

فأنت يا ولي الذكر المنزل فأنت المحفوظ وما نزل إلا بك فأنت الحافظ فلا تفن عينك فإنه في نفس الأمر ما يفنى وغايتك أن تقول: أنا هو، فمدلول هو ما هو مدلول أنا فما يتخلص لك ما ترومه أبداً، وإذا عز عن التخلص فقل به، وقل بك، وتميز عنه، وميزه عنك تميز الأوّل عن الآخر والآخر عن الأوّل، وتميز عن العالم وميزه عنك تميز الظاهر من الباطن والباطن من الظاهر، فإنك من العالم روح العالم والعالم صورتك الظاهرة، ولا معنى للصورة بلا روح فلا معنى للعالم دونك، فإذا ميزت عينك من الحق ومن العالم عرفت قدرك بمعرفة الحق وعرفت منزلتك بمعرفة العالم:

Marfat.com

فكنت لذا رباً وكنت لذا عبدا ... وأنزلت عهداً مثل ما أنزل العهدا
فإن كنت ذا لب وغوص وفطنة ... فلا تلتزم ذماً ولا تلتزم حمدا
ولا تفعلن شيئاً إذا ما فعلته ... بسهو وحرر عند فعلتك القصدا
فما أنت ذاك الشخص إن كان سهوكم ... يغالبكم فاعمد إلى تركه عمدا

فهذا الذي أنبأتك به مفتاح من مفاتح خزائن الجود فلا تضيعه فإنه يعمل عمل كل مفتاح ولا يعمل مفتاح عمله، فبه يفتح كل مغلق ولا يفتح بغيره ما أغلقه هذا المفتاح، ومفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فلا تعلم إلا منه، فلا تطمع أن تصل إلى علمها بك، ومن طمع في غير مطمع فقد شهد على نفسه بالجهل ﴿ولله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ وماثم إلا سماء وأرض وله المثل الأعلى فله صورة في كل سماء وأرض ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرّكم﴾ من كونه في الأرض ﴿وجهركم﴾ من كونه في السماء ومن حيث النشأة ﴿يعلم سرّكم﴾ من كونه في السماء وهو معناكم الذي خفي عن الأبصار عينه وظهر حكمه وله العلوّ فهو في السماء وهو الباطن، ويعلم أيضاً ﴿جهركم﴾ من كونه في الأرض وهو ظاهركم الذي ظهر للأبصار عينه وخفي حكمه لأن حكمه في روحه فإنه الذي تفيده العلوم بحواسه فله النزول فهو الأرض فهو الظاهر:

فقد بان أن الحق بالحق ينطق ... وأن الذي قلناه أمر محقق
فلا تعدلن إن كنت للحق طالباً ... فعكس الذي قلناه لفظ ملفق

فيقول العبد الكامل الذي لا أكمل منه لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ويقول الأصل لي وقت لا يسعني فيه غير نفسي، فإن الأوقات كلها استغرقها العالم في الجانبين، ولهذا كان الإنسان الكامل خليفة له تعالى، فلهذا سبق علمه بنفسه على علمه بربه، وبهذا جاء الخبر: «من عرف نفسه عرف ربه» فإن من استخلفه علم العالم من علمه بنفسه، والخليفة على صورة من استخلفه فعلم ربه من علمه بنفسه، وعلم أن كل من اتصف بالوجود فهو متناه أي كل ما دخل في الوجود وبقيت الحيرة في العلم بالله من كونه موجوداً هل يتصف بالتناهي لكونه موجوداً أو لا يتصف بالتناهي؟ فإن أرادوا بالتناهي كون عين الموجود موصوفاً بالوجود فهو متناهي كما هو كل موجود وإن عينه موجودة، وإن أرادوا بالتناهي انتهاء مدّة وجوده ثم ينقطع فهذا لا يصح عقلاً في الحق لأنه واجب الوجود لذاته فلا يقبل

Marfat.com

التناهي وجوده، ولأن بقاءه ليس بمرور المدد عليه المتوهمة فهو محال من وجهين تناهيه، وكذلك في أهل الآخرة أعني في أعيانهم وفي الدار الآخرة سمعاً ولا يتناهى بقاؤهم في الآخرة ولا استمراراً لمدد عليهم، فنسبة البقاء إلى الله تخالف نسبة البقاء للعالم، فالإطلاق في العلم والحصر في الوجود:

كل ما في الكون محصو ... ر والذي في العلم مطلق
فتدبر قول حبر ... بوجوده تحقق
إن علمي بوجودي ... من وجود الحق أسبق
فإذا علمت كوني ... جاء علم الله يلحق

ولما كان العالم لا بقاء له إلا بالله وكان النعت الإلهي لا بقاء له إلا بالعالم كان كل واحد رزقاً للآخر به يتغذى لبقاء وجوده محكوماً عليه بأنه كذا:

فنحن له رزق تغذى بكوننا ... كما أنه رزق الكيان بلا شك
فيحفظنا كوناً ونحفظ كونه ... إلهاً وهذا القول ما فيه من إفك
فلا غرو أن الكون في كل حالة ... يقر لملك الملك بالرق والملك

فالوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعضه ربط الإضافة والحكم لا ربط وجود العين، فالإنسان مثلاً موجود العين من حيث ما هو إنسان، وفي حال وجوده معلوم الأبوة إذا لم يكن له ابن يعطيه وجوده أو تقدير وجوده نعت الأبوة، وكذلك أيضاً هو معدوم نعت المالك ما لم يكن له ملك يملكه به يقال إنه مالك، وكذلك الملك وإن كان موجود العين لا يقال فيه ملك حتى يكون له مالك يملكه، فالله من حيث ذاته ووجوده غني عن العالمين، ومن كونه رباً يطلب المربوب بلا شك فهو من حيث العين لا يطلب ومن حيث الربوبية يطلب المربوب وجوداً وتقديراً، وقد ذكرنا أن كل حكم في العالم لا بد أن يستند إلى نعت إلهي إلا النعت الذاتي الذي يستحقه الحق لذاته وبه كان غنياً، والنعت الذاتي الذي للعالم بالاستحقاق وبه كان فقيراً بل عبداً فإنه أحق من نعت الفقر وإن كان الفقر والذلة على السواء، ولهذا قال الحق لأبي يزيد: تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار، والقادر على الشيء والانفعال الذاتي عن الشيء لا يتصف ذلك القادر ولا الذي عنه انفعل ما انفعل بالافتقار بخلاف المنفعل فإنه موصوف بالذلة والافتقار، فتميز الحق من الخلق بهذا، وإن كان الخلق بالحق والحق بالخلق مرتبطاً بوجه فالأمر كما قررناه، وهذا المنزل قد حواه

Marfat.com

فيقول القائل: فلماذا يستند الحكم بالهوى وهو موجود في الكون والحق لا يحكم بالهوى فالأهواء ما مستندها؟ قلنا: إن تفطنت لقول الله تعالى: ﴿ربك فعال لما يريد﴾ فلم يصف نفسه بالتحجير عليه في حكمه والكون موصوف بالتحجير فتوجه عليه الخطاب بأنه لا يحكم بكل ما يريد بل بما شرع له، ثم أنه لما قيل: ﴿احكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ أي لا تحكم بكل ما يخطر لك ولا بما يهوى كل أحد منك بل احكم بما أوحى به إليك فإن الله تعالى قال جبراً لقلب خلفائه قل يا محمد: رب احكم بالحق أي ولا تفعل ما تريد، فليكن حكمك في الأمم يوم القيامة بما شرعت لهم وبعثتنا به إليهم فإن ذلك مما يراد فإنك ما أرسلتنا إلا بما تريد حتى يثبت صدقنا عندهم وتقوم الحجة عليهم إذا حكم الحق في كل أمة بما أرسل به نبيه إليهم، وبهذا تكون لله الحجة البالغة، فيدل التحجير على الخلق في الأهواء أن لهم الإطلاق بما هم في نفوسهم، ثم حدث التحجير في الحكم والتحكم كما أنه فعال لما يريد.

ثم أنه ما حكم إلا بما شرع وأمر عبده أن يسأله تعالى في ذلك حتى يكون حكمه فيه عن سؤال عبده كما كان حكم العبد بما قيده من الشرع عن أمر ربه بذلك فليست الأهواء إلا مطلق الإرادات، فقد علمت لماذا استندت الأهواء واستند التحجير، ثم لتعلم أن الهوى وإن كان مطلقاً فلا يقع له حكم إلا مقيداً فإنه من حيث القابل يكون الأثر فالقابل لا بد أن يقيده فإنه بالهوى قد يريد القيام والقعود من العين الواحدة التي تقبلهما على البدل في حال وجود كل واحد منهما في تلك العين، والقابل لا يقبل ذلك فصار الهوى محجوراً عليه بالقابل فلما قبل الهوى التحجير بالقابل علمنا أن هذا القبول له قبول ذاتي فحجر الشرع عليه فقبل وظهر حكم القابل في الهوى ظهوره في مطلق الإرادة فيمن اتصف بها، فلما خلق الله النفس الناطقة أو الخليفة قل ما شئت خلق فيه قوى روحانية معنوية نسبية معقولة، وإن كانت هذه القوى عين من اتصف بها كالأسماء والصفات الإلهية التي مرجعها وكثرتها إلى نسب في عين واحدة لا تقبل الكثرة في عينها ولا العدد الوجودي العيني، فكان من القوى التي خلقها في هذا الخليفة بل في الإنسان الكامل والحيوان وهو مطلق الإنسان قوّة تسمى الوهم وقوّة تسمى العقل وقوّة تسمى الفكر، وميز الحضرات الثلاثة لهذا الخليفة وولاه عليها حضرة المحسوسات وحضرة المعاني المجردة في نفسها عن المواد وإن لم يظهر بعضها إلا في بعض المواد، وحضرة الخيال وجعل الخيال حضرة متوسطة بين طرفي الحس والمعنى وهو خزانة الجبايات التي تجبيها الحواس، وجعل فيه قوّة مصوّرة تحت

Marfat.com

حكم العقل والوهم يتصرف فيها العقل بالأمر، وكذلك الوهم أيضاً يتصرف فيها بالأمر وقوّى في هذه النشأة سلطان الوهم على العقل، فلم يجعل في قوّة العقل أن يدرك أمراً من الأمور التي ليس من شأنها أن تكون عين مواد أو تكون لا تعقل من جهة ما إلا في غير مادة كالصفات المنسوبة إلى الله المنزه عن أن يكون مادة أو في مادة، فعلمه المنسوب إليه ما هو مادة ولا ينسب إلى مادة، فلم يكن في قوّة العقل مع علمه بهذا إذا خاض فيه أن يقبله إلا بتصوّر، وهذا التصوّر من حكم الوهم عليه لا من حكمه، فالحس يرفع إلى الخيال ما يدركه وتركب القوّة المصورة في الخيال ما شاءته مما لا وجود له في الحس من حيث جملته لكن من حيث أجزاء تلك الجملة، فإن كانت القوة المصورة قد صورت ذلك عن أمر العقل بقوة الفكر فذلك لطلبه العلم بأمر ما والعلم مقيد بلا شك، وإن كان ما صورته المصورة عن أمر الوهم لا من حيث ما تصرف به العقل من حكم الوهم بل من الوهم نفسه فإن تلك الصورة لا تبقى فإن الوهم سريع الزوال لإطلاقه بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده.

ولما كان الغالب على الخلق حكم الأوهام لسلطنة الوهم على العقل فإنه أثر فيه أنه لا يقبل معنى يعلم قطعاً أنه ليس بمادة ولا في مادة إلا بتصور، وذلك التصور ليس غير الصورة التي لا يحكم بها إلا الوهم، فصار العقل مقيداً بالوهم بلا شك فيما هو به عالم بالنظر، وأما علمه الضروري فليس للوهم عليه سلطان، وبه يعلم أن ثم معاني ليست بمواد ولا في أعيان مواد وإن لم يقبلها بالنظر إلا في مواد من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم.

ولما علم الحق ما ركب عليه العالم المكلف مما ذكرناه أرسل الرسل إلى الناس والمكلفين فوقفوا في حضرة الخيال خاصة ليجمعوا بين الطرفين بين المعاني والمحسوسات فهو موقف الرسل عليهم السلام فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة: اعبد الله كأنك تراه، ثم نبه هذا المخاطب المكلف بعد هذا التقرير على أمر آخر ألطف منه لأنه علم أن ثم رجالاً علموا أن ثم معاني مجردة عن المواد فقال له: فإن لم تكن تراه أي تقف مع دليلك الذي أعلمك أنك لا تراه فإنه يعني الله يراك أي الزم الحياء منه والوقوف عندما كلفك فعدل في الخطاب إلى حكم وهم ألطف من الحكم الأوّل، فإنه لا بد لهذا المكلف أن يعلم أنه يراه إما بعقله أو بقول الشرع، وبكل وجه فلا بد أن يقيده الوهم، فإن العبد بحيث يراه الله فأخرجه عنه فحده إذ ميزه مع علمه أنه: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فحيره وهذه الحيرة سارية في العالم النوري والناري والترابي، لأن العالم ما ظهر إلا على ما هو عليه في العلم الإلهي وما هو في العلم لا يتبدل، فالمرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها، والقوابل

Marfat.com

تنفي الإطلاق عنها بالوقوع، فعلمت سبب الحيرة في الوجود ما هو، قال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ أي ما حكم به العلم وسبق به الكتاب فعرفنا ذلك من العلم والكتاب إذ كان له الحكم، والخلفاء إنما هم خلفاء العلم والكتاب، فالعلم والكتاب حجابان عن الحق الذي هو غني عن العالمين، فمرجع الكون للعلم والكتاب فتنتج الأهواء مع إطلاقها ما تنتجه العقول مع تقييدها فلا يسلم لعقل حكم أصلاً بلا وهم في هذه النشأة، لأن النشأة لها ولادة على كل من ظهر فيها، وماثم أعلى من الحق رتبة ومع هذا تخيلته وقال لها تخيليني أمرها بذلك لكونه ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ووسعها ما تعطيه حقيقتها وجعل سعادتها في ذلك التخيل ثم قال لها: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فجمعت بين التنزيه فقيدته وبين التشبيه فقيدته فإنها مقيدة فلا تعلم إلا التقييد الذي هو حقيقتها:

فالعقل ينتج ما الأهواء تنتجه ... فإنه عن هوى قد كان مخرجه
فليس يحكم في شيء بغير هوى ... إلا الضروريّ والفكر يخرجه

وقد نبه الحق عباده في كتابه العزيز أن عنده خزانة خزائن كل شيء، والخزائن تقتضي الحصر والحصر يقتضي التقييد. ثم بين أنه ما ينزل شيئاً منها إلا بقدر معلوم وهو تقييد، ولولا التقييد بين المقدمتين الذي يربطهما ما ظهرت بينهما نتيجة أصلاً ولا ظهر خلق عن حق أصلاً، ولهذا سرى النكاح في المعاني والمحسوسات للتوالد قديماً وحديثاً ولكن لا يفقهون حديثاً أي أنتم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به، فإن الشرع كله حديث وخبر إلهيّ بما يقبله العقل والوهم حتى تعم الفائدة ويكون كل من في الكون مخاطباً ويا علماء بالله وبالأمر لا تعلمون حديثاً بل تعلمون قديماً وإن حدث عندكم فما هو حديث العين ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو إلا كلام الله المنعوت بالقدم، فحدث عندهم حين سمعوه فهو محدث بالإتيان قديم بالعين، وجاء في مواد حادثة ما وقع السمع ولا تعلق إلا بها وتعلق الفهم بما دلت عليه هذه الأخبار، والذي دلت عليه منه ما هو موصوف بالقدم، ومنه ما هو موصوف بالحدوث، فله الحدوث من وجه والقدم من وجه، ولذلك قال من قال: إن الحق يسمع بما به يبصر بما به يتكلم والعين واحدة والأحكام تختلف، قال تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ فعلق الذهاب بالمشيئة، وقال: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فعلق الذهاب بالاقتدار فما به قدرته أراد وشاء.

وهنا علم شريف وهو أن متعلق القدرة الإيجاد لا الإعدام فيتعرض هنا أمران الأمر

Marfat.com

الواحد أن الذهاب المراد هنا ليس الإعدام، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، فمتعلق القدرة ظهور المحكوم عليه بالحال التي انتقل إليها، فأوجدت القدرة له ذلك الحال فما تعلقت إلا بالإيجاد. والأمر الآخر أن وصفه بالاقتدار على الذهاب أي لا مكره له على إبقائه في الوجود، فإن وجود عين القائم بنفسه أعني بقاءه إنما هو مشروط بشرط بوجود ذلك الشرط يبقي الوجود عليه، وذلك الشرط يمده الله به في كل زمان، وله أن يمنع وجود ذلك الشرط ولا بقاء للمشروط إلا به فلم يوجد الشرط فانعدم المشروط، وهذا الإمساك ليس من متعلق القدرة، وقد وصف نفسه بالقدرة على ذلك فلم يبق إلا فرض المنازع الذي يريد بقاءه، فهو قادر على دفعه لما لم يرد الله بقاءه فيقهر المنازع فلا يبقى ما أراد المنازع بقاءه، والقهر حكم من أحكام الاقتدار.

ولما علمنا هذا وتقرر لدينا علمنا من تقدم وحكمه ومن تأخر وحكمه، كما قدمنا أن الشيء يكون متقدماً من وجه متأخراً من وجه.

وفي هذا المنزل من العلوم علم المثلثات الواقعة في الوجود ومن أين أصلها وما يتصل منها وما ينفصل. وفيه علم مناسبة القرآن للكتاب وكون التوراة وغيرها كتاباً وليست بقرآن. وفيه علم تقليل النظير في المحمود والمذموم. وفيه علم حكمة السبب في وجود ما لا يوجد إلا بسبب هل يجوز وجوده بغير سبب أم لا عقلاً؟ وفيه علم تهيؤ القوابل بذاتها لما يرد عليها مما تقبله، وفيه ترك الإهمال من ترك ما يترك لمنفعة وكله ترك. وفيه علم تأخير الوعيد ممن لا مانع له فهل ذلك لمانع لا يمكن رفعه أو هل هو عن اختيار إن صح وجود الإنسان في العالم فإنه ليس له مستند وجودي في الحق، وإنما هو أمر متوهم ذكرناه في الباب الذي يليه هذا الباب فقد تقدم. وفيه علم الآجال في الأشياء والترتيب في الإيجاد مع تهيؤ الممكنات لقبول الإيجاد فما الذي أخرها والفيض الإلهيّ غير ممنوع والقوابل مهيأة للقبول والتأخير والتقديم مشهود فلماذا يرجع؟ فلا بد في هذا الموطن من حكم يسمى المشيئة ولا بد ولا يمكن رفع هذا الحكم بوجه من الوجوه. وفيه علم ما ستر عن العالم أن يعلمه هل ينقسم إلى ما لا يزال مستوراً عنه فلا يعلمه أبداً وإلى ما يعلمه برفع الستور، وهل علم ما لا يرفع ستره ممكن أن يعلم لو رفع الستر أو ستره عينه فلا يمكن أن يعلم لذاته.

وفيه علم سبب طلب البينة من المدعي.اسم فاعل وقبول الطالب لذلك شهادة البينة من غير حكم الحاكم ولا يكون ذلك حتى يتذكر المدعى عليه بشهادة البينة فهل قبوله

Marfat.com

شهادتهم للذكرى أم لأمر آخر وهو عدم التهمة لهم فيما شهدوا به وجوزوا النسيان منه لما شهدوا به عليه وذلك لإنصافهم. وفيه علم تأخير البيان عند الحاجة مع التمكن منه لا يجوز. وفيه علم إقامة الجماعة مقام الواحد وإقامة الواحد مقام الجماعة. وفيه علم ردّ الدلائل للأغراض النفسية هل يكون ردّها عن خلل عنده في كون تلك الدلائل كما هي في نفسها صحيحة أو لا عن خلل؟ وفيه علم من حفظ من العالم وبماذا حفظ وممن حفظ ولماذا حفظ. وفيه علم ما تحوي عليه الأرض من الكنوز وما يظهر عليها مما يخرج منها أنه على حد معلوم لا يقبل الزيادة والنقص. وفيه علم رزق العالم بعضه بعضاً. وفيه علم ترك الادّخار من صفة أهل الله الذاكرين منهم. وفيه علم نشء الحيوان على اختلاف أنواعه وفيما ذا يشترك وبماذا يتميز صنف عن صنف. وفيه علم التعريف الإلهيّ من شاء الله من عباده. وفيه علم سبب سجود الملائكة لآدم إنما كان لأجل الصورة لا لأن علمهم الأسماء فأمروا بالسجود قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله من الأسماء، ولو كان السجود بعد ظهوره بالعلم ما أبى إبليس ولا قال: ﴿أنا خير منه﴾ ولا استكبر عليه ولهذا قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ وقال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ثم بعد ذلك أعلم الله الملائكة بخلافته فقالوا ما أخبر الله عنهم ولهذا قال تعالى في بعض ما كرره من قصته: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فأتى بالماضي من الأفعال وبأداة إذ وهي لما مضى من الزمان، فاجعل بالك لهذه المسألة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرّد ذاته، ولماذا نهى في الشرع أن يسجد إنسان لإنسان فإنه سجود الشيء لنفسه فإنه مثله من جميع وجوهه والشيء لا يخضع لنفسه، ولهذا لما سئل ﷺ في الرجل إذا لقي الرجل أينحني له؟ قال: لا قيل له: أيصافحه؟ قال: نعم.

وفيه علم ما السبب في عداوة الأمثال هل لكون المثلين ضدين أو لأمر آخر؟ وفيه علم ما جهل الأعلى من الأدنى حين افتخر عليه وما له شرف إلا به فإنه لولا الأدنى ما ظهر فضل الأعلى، فأيّ فائدة لافتخاره والحال يشهد له بذلك ولم يكتف ولهذا قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي ما قصدت الفخر عليكم بذلك فإنه معلوم بالمقام والحال أنه سيد الناس. وفيه علم حكمة من سأل أمراً فيه شقاؤه فأجابه المسؤول مع علمه بذلك ولم ينبهه على ما عليه من الشقاء في ذلك. وفيه علم أن المأمور يمتثل أمر سيده ثم يعاقبه السيد على امتثال أمره ما حكم هذا الفعل من السيد؟ وفيه علم الفرق بين من أخذ بالحجة وبين من أخذ بالقهر. وفيه علم الخمسة عشر. وفيه علم التساوي بين الضدين فيما اجتمعا فيه. وفيه علم

Marfat.com

المبادرة لكرامة الضيف النازل عليك وإن لم تعرفه بماذا تقابله وأنت لا تعرف منزلته فتكرمه بقدر ما تعرف من منزلته وتعامله بذلك، فإن الكرامة على قسمين: القسم الواحد يعم المعروف وغير المعروف. والقسم الآخر ما يفضل بها المعروفون. وفيه علم التعريف بما يقع به الأمان للخائف والأنس للمستوحش. وفيه علم النصائح. وفيه علم التذكير والمواعظ. وفيه علم من ينبغي أن يصحب ممن لا ينبغي أن يصحب، ومن ينبغي أن يتبع ممن لا ينبغي أن يتبع، ومن ينبغي أن يعرف من غير صحبة ولا اتباع ومن يصحب ويتبع ولا يعرف. وفيه علم ما لا بد من العلم به وهو العلم بطريق نجاتك.

(وصل): هذا المنزل بينه وبين الباب السبعين ومائتين وصلة بنسبة خاصة، فألحقنا منه في هذا المنزل هذا القدر الذي أذكره إن شاء الله وذلك أن الله تعالى لما خلق الأرواح النورية والنارية أعني الملائكة والجان شرّك بينهما في أمر وهو الاستتار عن أعين الناس مع حضورهم معهم في مجالسهم وحيث كانوا، وقد جعل الله عز وجل بينهما وبين أعين الناس حجاباً مستوراً فالحجاب مستور عنا وهم مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم إلا إذا شاؤوا أن يظهروا لنا، ولهذا سمى الله الطائفتين من الأرواح جناً أي مستورين عنا فلا نراهم، فقال في حق الملائكة في الذين قالوا ﴿إن الملائكة بنات الله﴾ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً يعني بالجنة هنا الملائكة لقولهم ما ذكرناه آنفاً وكانوا يكرهون نسبة البنات إليهم فأخبرنا الله بذلك في قوله: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ فإنهم كانوا يكرهون البنات، وبهذا أخبرنا الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، وهو قوله تعالى: ﴿وإذا الموؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت﴾ وأنكر الله عليهم نسبة الأنوثة إلى الملائكة في قوله ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ فلما شرك الله تعالى بين الملائكة وبين الشياطين في الاستتار سمى الكل جنة فقال في الشياطين: ﴿من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ يعني بالجنة هنا الشياطين. وقال في الملائكة: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ يعني الملائكة ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ والملائكة رسل من الله إلى الإنسان موكلون به حافظون كاتبون أفعالنا، والشياطين مسلطون على الإنسان بأمر الله فهم مرسلون إلينا من الله، وقال عن إبليس: ﴿إنه كان من الجن﴾ يعني الملائكة ﴿ففسق﴾ أي خرج أي ﴿عن أمر ربه﴾ أي من الذين يستترون عن الإنس مع حضورهم معهم فلا يرونهم كالملائكة فلما شرك بينهم في الرسالة أدخله أعني إبليس في الأمر بالسجود مع

Marfat.com

الملائكة فقال: ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ فأدخله معهم في الأمر بالسجود فصحّ الاستثناء وجعله منصوباً بالاستثناء المنقطع فقطعه عن الملائكة كما قطعه عنهم في خلقه من نار فكأنه يقول: إلا من أبعده الله من المأمورين بالسجود، ولا ينطلق على الأرواح اسم جن إلا لاستتارهم عنا مع حضورهم معنا فلا نراهم فحينئذ ينطلق عليهم هذا النعت، فالجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الإنسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة.

وإذا أراد الله عز وجل أن يراهم من يراهم من الإنس من غير إرادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم، وقد يأمر الله الملك والجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم أو يكشف الله الغطاء عنا فنراهم رأي العين، فقد نراهم أجساداً على صور، وقد نراهم لا على صور بشرية، بل نراهم على صورهم في أنفسهم، كما يدرك كل واحد منهم نفسه وصورته التي هو عليها، وأن الملائكة أصل أجسامها نور والجن نار مارج والإنسان مما قيل لنا، ولكن كما استحال الإنس عن أصل ما خلق منه كذلك استحال الملك والجن عن أصل ما خلقا منه إلى ما هما عليه من الصور، فقد بان لك ما اشترك فيه الجان والملك وما تميز به بعضهما عن بعض، فيعتبر الله في التعبير لنا عن كل واحد منهما، إما بالصفة المشتركة بينهما أو بما ينفرد كل جنس منهما به كيف شاء لمن نظر نظراً صحيحاً في ذلك، وخلق الله الجان شقياً وسعيداً وكذلك الإنس، وخلق الله الملك سعيداً لا حظ له في الشقاء، فسمي شقي الإنس والجان كافراً، وسمي السعيد من الجن والإنس مؤمناً، وكذلك شرّك بينهما في الشيطنة فقال تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ وقال: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ وقد علمنا أن النفس بذاتها وإن كانت مقيدة لا تشتهي التقييد بذاتها وتطلب السراح والتصرف بما يخطر لها من غير تحجير، فإذا رأيت النفس قد حبب إليها التحجير فقامت به طيبة وكره إليها تحجير آخر فقامت به إن قامت غير طيبة مكرهة، فتعلم قطعاً أن ذلك التحجير مما ألقي إليها من غير ذاتها كان التحجير ما كان، فإذا حبب إلى نفوس العامة القيام بتحجير خاص فتعلم قطعاً أن ذلك التحجير هو الباطل الذي يؤدي العمل به إلى شقاوة العامل به والواقف عنده، فإن الشيطان الذي يوسوس في صدره يوسوس إليه دائماً ويحببه إليه لأن غرضه أن يشقيه، وإذا رأيته يكره ذلك التحجير ويطلب تأويلاً في ترك العمل به فتعلم أن ذلك تحجير الحق الذي يحصل للعامل به السعادة إلا أهل الكشف الذين حبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق

Marfat.com

والعصيان وإن لم يعرفوا أنهم كشف لهم، ولكن علمناه نحن منهم وهم لا يعلمونه من نفوسهم، ولهذا نرى من ليس بمسلم يثابر على دينه وملازمته كأكثر اليهود والنصارى أكثر مما يثابر المسلم على إقامة جزئيات دينه ومثابرته على ذلك دليل على أنه على طريق يشقى بسلوكه عليها، وهذا من مكر الله الخفي الذي لا يشعر به كل أحد إلا من كان على بصيرة من ربه، وهذا الصنف قليل، ولا يوجد في الجن لا في مؤمنهم ولا في كافرهم من يجهل الحق ولا من يشرك، ولهذا ألحقوا بالكفار ولم يلحقهم الله بالمشركين، وإن كانوا هم الذين يجعلون الإنس أن يشركوا فإذا أشركوا تبرؤوا ممن أشرك كما قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾.وهو وحي الشيطان إلى وليه ليجادل بالباطل أهل الحق، فإذا كفر يقول له: ﴿إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ فوصف الشيطان بالخوف من الله ولكن على ذلك الإنسان لا على نفسه، فخوف الشيطان على الذي قبل إغواءه لا على نفسه، كما تخاف الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على أممهم لا على أنفسهم.

وسبب ارتفاع الخوف من الشيطان على نفسه علمه بأنه من أهل التوحيد ولهذا قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ فأقسم به تعالى لعلمه بربه كأنه يرى الحق أنه قد علم من نشأة الإنسان قبوله لكل ما يلقى إليه، فلما سأل ذلك أجاب الله سؤاله فأمره بما أغوى به الإنس فقال له ﴿اذهب﴾ يعني إلى ما سألته مني وذكر له جزاءه وجزاء من اتبعه من الإنس، فكان جزاء الشيطان أن رده إلى أصله الذي منه خلقه، وجزاء الإنسان الذي اتبعه كذلك، ولكن غلب جزاء الإنسان على جزاء إبليس، فإن الله ما جعل جزاءهما إلا جهنم وفيها عذاب إبليس فإن جهنم برد كلها ما فيها شيء من النارية فهو عذاب لإبليس أكثر منه لمتبعه، وإنما كان ذلك لأن إبليس طلب أن يشقي الغير فحار وباله عليه لما قصده، فهو تنبيه من الحق لنا أن لا نقصد وقوع ما يؤدي إلى الشقاء لأحد فإن ذلك نعت إلهي، ولذلك أبان الله طريق الهدى من طريق الضلالة، فالعبد المستقيم هو الذي يكون على صراط ربه، مع أن الشيطان تحت أمر ربه في قوله: ﴿اذهب﴾ ﴿واستفزز﴾ ﴿وأجلب﴾ ﴿وشاركهم﴾ ﴿وعدهم﴾ وهذه كلها أوامر إلهية، فلو كانت ابتداء من الله ما شقي إبليس ولما كانت إجابة له لما قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ ﴿ولأحتنكن ذريته﴾ شقي بها، كما تعب المكلف فيما سأله من التكليف، فإن الشرع منه ما نزل ابتداء ومنه ما نزل عن سؤال.

ولولا أن الرحمة شاملة لكان الأمر كما ظهر في العموم ولما قيدت هذا الوصل: غفوت غفوة فرأيت في المبشرة يتلى علي: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي

Marfat.com

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من الوحدة فهو كثير بالأحكام فإن له الأسماء الحسنى، وكل اسم علامة على حقيقة معقولة ليست هي الأخرى ووجوه العالم في خروجه من العدم إلى الوجود كثيرة تطلب تلك الأسماء أعني المسميات وإن كانت العين واحدة، كما أن العالم من حيث هو عالم واحد وهو كثير بالأحكام والأشخاص، ثم تلى علي﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ وما ذكر لشقي هنا نعتاً ولا حالاً بل ذكر الأمر بين اجتباء وهداية، ثم قيل لي من علم الهداية والاجتباء علم ما جاءت به الأنبياء وكلا الأمرين إليه، فمن اجتباه إليه جاء به إليه ولم يكله إلى نفسه، ومن هداه إليه أبان له الطريق الموصلة إليه ليسعده وتركه ورأيه ﴿فإما شاكراً وإما كفوراً﴾ ﴿إنا هديناه السبيل﴾ ولما جاء تعالى في هذه الآية العامة ولم يذكر للشقاوة اسماً ولا عيناً وذكر الاجتباء والهداية وهو البيان هنا وجعل الأمرين إليه علمنا أن الحكم للرحمة التي وسعت كل شيء، وما ذكر في المشرك إلا كون هذا الذي دعى إليه كبر عليه لأنه دعى من وجه واحد وهو يشهد لكثرة من وجوده الذي جعله الحق دليلاً عليه في قوله: «من عرف نفسه عرف ربه» وما عرف نفسه إلا واحداً في كثير أو كثيراً في واحد، فلا يعرف ربه إلا بصورة معرفته بنفسه، فلذلك كبر عليه دعاء الحق إلى الأحدية دون سائر الوجوه، وذلك لأن المشرك ما فهم عن الله مراد الله بذلك الخطاب، فلما علم الحق أن ذلك كبر عليه رفق به وجعل الأمر إليه تعالى بين اجتباء وهداية، فشرك بالاجتباء والهداية ووحد باليه في الأمرين رفقاً به وأنساً له ليعلم أنه الغفور الرحيم بالمسرفين على أنفسهم، ولما رأى إبليس منّة الله قد سرت في العالم طمع في رحمة الله من عين المنة لا من عين الوجوب الإلهيّ فعبده مطلقاً لا مقيداً ففي أيّ وجهة تصرّف لم يخرج عن حق، كما أن الشرع الذي وصى به من ذكره في هذه الآية متنوّع الأحكام ينسخ بعضه بعضاً، والكل قد أمروا بإقامته، وأن لا يتفرق فيه للافتراق الذي فيه، فهو يدعو بالكثرة إلى عين واحدة أو بالوحدة إلى حقائق كثيرة كيف شئت فقل ما شئت مما لا يغير المعنى:

فالكل في حكم الوجود ... كالكل في عين الشهود
لتعم رحمته الورى ... وتبين أعلام الجحود
فيكون رحماناً بمن ... يدعى الشقيّ أو السعيد
هذا بدار جهنم ... هذا بجنات الخلود
والله جلّ بذاته ... عن الانحصار عن الحدود

Marfat.com

وهذا الوصل واسع المجال فيه علم الأوامر المختصة بالشارع وحده وهو الرسول. وعلم ما يتقى به من الأسماء الإلهية. وعلم مالك الملك ومدلول اسم الإله ونعته بالأحدية في قوله ﴿ما من إله إلا إله واحد﴾ وإضافته إلى الضمير مثل: ﴿إلهكم﴾ وإلى الظاهر مثل: ﴿وإله موسى﴾ ﴿وإله الناس﴾ هل الحكم واحد أو يتغير بتغير الإضافة أو بالنعت؟ وعلم الربوبية وكونها لم تأت قط من عند الله من غير تقييد. وعلم الإلهام واختلاف الاسم عليه بالطرق التي منها يأتي.

(الوصل الثاني من هذا الباب): وهو ما يتصل به من المنزل الثاني من المنازل المذكورة في هذا الكتاب وهو يتضمن علوماً منها علم الفصل بين ما يقع به الإدراك للأشياء وبين ما لا يدرك به إلا نفسه خاصة. وعلم اختزان البزرة والنواة والحبة ما يظهر منها إذا بزرت في الأرض وكيف تدل على علم خروج العالم من الغيب إلى الشهادة لأن البزرة لا تعطي ما اختزن الحق فيها إلا بعد دفنها في الأرض فتنفلق عما اختزنته من ساق وأوراق وبزور، وأمثالها من النواة نوى، ومن الحبة حبوب، ومن البزرة بزور، فتظهر عينها في كثير مما خرج عنها فتعلم من هذا ما الحبة التي خرج منها العالم، وما أعطت بذاتها فيما ظهر من الحبوب، ولماذا يستند ما ظهر منها من سوى أعيان الحبوب، فلولا ما هو مختزن فيها بالقوة ما ظهر بالفعل فاعلم ذلك وهذا كله من خزائن الجود، ويتضمن علم الأمر المطلق في قوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾ والمقيد بعمل مخصوص واختلاف الصيغ في ذلك، ويتضمن علم إضافة الشرور إلى غير الله لأنها معقولة عند العالم فقال ﷺ: «والشر ليس إليك» فأثبته في عينه ونفى إضافته إلى الحق، فدل على أن الشر ليس بشيء وأنه عدم إذ لو كان شيئاً لكان بيد الحق فإن بيده ملكوت كل شيء وهو خالق كل شيء، وقد بين لك ما خلق بالآلة وبغير الآلة، وبكن، وبيده، وبيديه، وبأيد، وفصل، وأعلم، وقدر، وأوجد، وجمع، ووحد فقال: إني، ونحن، وأنا، وإنا، ولهذا كبر على المشركين، فإن معقول نحن ما هو معقول إني، وجاء الخطاب بإليه فوحد وما رأوا للجمع عيناً فكبر ذلك عليهم ونون العظمة في الواحد قول من لا علم له بالحقائق ولا بلسان العرب.

ويتضمن علم ظلمة الجهل إذا قامت بالقلب فأعمته عن إدراك الحقائق التي بإدراكها يسمى عالماً، قال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾ أراد العلم والجهل وما كل ما يدرك ولا يدرك به يكون ظلمة، فإن النور إذا كان أقوى من نور البصر أدركه الإنسان ولم يدرك به، ولهذا ذكر رسول الله ﷺ في الله أن

Marfat.com

حجابه النور فلا يقع الكشف إلا بالنور الذي يوازي نور البصر، ألا ترى الخفافيش لا تظهر إلا في النور الموازي نور بصرها وهو نور الشفق. ويتضمن علم الشبهات وهو كل معلوم يظهر فيه وجه للحق ووجه لغير الحق، فيكون في الأرزاق ما هو حلال بين وحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن لاحت له وقف عندها حتى يتبين له أمرها، فإما أن يلحقها بالحلال وإما أن يلحقها بالحرام، فلا يقدم عليها ما دامت في حقه شبهة فإنها في نفس الأمر مخلصة لأحد الجانبين، وإنما اشتبه على المكلف لتعارض الأدلة الشرعية عنده في ذلك وفي المعقولات كالأفعال الظاهرة على أيدي المخلوقين فيها وجه يدل أنها لله ووجه يدل أنها للمخلوق التي ظهرت في الشهادة عليه وهي في نفس الأمر مخلصة لأحد الجانبين، وكذلك السحر والمعجزة، فالسحر له وجه إلى الحق فيشبه الحق وله وجه إلى غير الحق فيشبه الباطل مشتق من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة فلا يتخلص لأحد الجانبين، ولما سحر رسول الله ﷺ فكان يخيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لم يأتهنّ فأتاهن حقيقة في عين الخيال ولم يأتهن حقيقة في عين الحس فهو لما حكم عليه، وهذه مسألة عظيمة، وإذا أراد من أراد إبطال السحر ينظر إلى ما عقده الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كانت ما كانت، فإن نقص عنها بالكلمات بقي الأمر عليه فإنه ما يزول عنه إلا بحل الكل وهو علم إلهي، فإن النبيّ ﷺ يقول: «**إن روح القدس نفث في روعي**» ولا يكون النفث إلا ريحاً بريق لا بد من ذلك حتى يعم، فكما أعطاه من روحه بريحه أعطاه من نشأته الطبيعية من ريقه فجمع له الكل في النفث بخلاف النفخ فإنه ريح مجرد، وكذلك السحر وهو الرئة وهي التي تعطي الهواء الحار الخارج والهواء البارد الداخل، وفيها القوّتان الجاذبة والدافعة، فسميت سحراً لقبولها النفس الحار والبارد وبما فيها من الرطوبة لا تحترق بقبول النفس الحار، ولهذا يخرج النفس وفيه نداوة فذلك مثل الريق الذي يكون في النفث الذي ينفثه الروح في الروع والساحر في العقدة.

ويتضمن علم الفرق بين من يريد بسط رحمة الله على عباده طائعهم وعاصيهم وبين من يريد إزالة رحمة الله عن بعض عباده وهو الذي يحجر رحمة الله التي وسعت كل شيء ولا يحجرها على نفسه، وصاحب هذه الصفة لولا أن الله سبقت رحمته غضبه لكان هذا الشخص ممن لا يناله رحمة الله أبداً.

واعلم أن الله تعالى لما أوجد الأشياء عن أصل هو عينه وصف نفسه بأنه مع كل شيء حيث كان ذلك الشيء ليحفظه بما فيه من صورته لإبقاء ذلك النوع في الوجود، فظهرت

Marfat.com

كثرة الصور عن صورة واحدة هي عينها بالحد وغيرها بالشخص كما قلنا في الحبوب عن الحبة الواحدة فهي خزانة من خزائن الجود لما يشبهها ولما يلزمها وإن خالفها في الصورة، إذ الخزانة تخزن خزائن وتخزن ما في تلك الخزائن من المخزون فيها، فهو وإن خرج عن غير صورتها فلا بد من جامع يجمع بينهما وأظهرها الجسمية في الحبة والورق والثمر والجسد والفروع والأصول، وهذا مشهود لكل عين من الحبة الواحدة أو البزرة الواحدة زائداً على الأمثال، فالكامل من الخلفاء كالحبوب من الحبة والنوى من النواة والبزور من البزرة، فيعطي كل حبة ما أعطته الحبة الأصلية لاختصاصها بالصورة على الكمال وما تميزت إلا بالشخص خاصة، وما عدا الخلفاء من العالم فلهم من الحق ما للأوراق والأغصان والأزهار والأصول من النواة أو البزرة أو الحبة، ومن هنا يعلم فضل الإنسان الخليفة على الإنسان الحيوان الذي هو أقرب شبهاً بالإنسان الكامل ثم على سائر المخلوقات، فافهم ما بيناه فإنه من لباب العلم بالله الذي أعطاه الكشف والشهود. فإن قلت: بماذا أعلم من نفسي هل أنا من الكمل أو من الحيوان الذي يسمى إنساناً؟ قلنا: نعم ما سألت عنه فاعلم أنك لا تعلم أنك على الصورة ما لم تعلم قوله ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه**» فيرى المؤمن نفسه في مرآة أخيه ويرى الآخر نفسه فيه، وليس ذلك إلا في حضرة الاسم الإلهيّ المؤمن وقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقال: «**المؤمن كثير بأخيه كما أنه واحد بنفسه**» فيعلم أن الأسماء الإلهية كلها كالمؤمنين إخوة ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ يعني إذا تنافروا كالمعز، والمذل، والضار، والنافع، وأما ما عدا الأسماء المتقابلة فهم إخوان على سرر متقابلين وليس يصلح بين الأسماء إلا الاسم الرب فإنه المصلح والمؤمن من حيث ما هو مرآة، فمن رأى نفسه هكذا علم أنه خليفة من الخلفاء بما رآه من الصورة، وهذا الإنسان الحيوان لا مرآة له وإن كان له شكل المرآة لكنها ما فيها جلاء ولا صقالة قد طلع عليها الصدا والران فلا تقبل صورة الناظر فلا تسمى مرآة إلا بالرؤية، فإذا أقامك الحق في العبودة المطلقة التي ما فيها ربوبية فأنت خليفة له حقاً، فإنه لا حكم للمستخلف فيما ولي فيه خليفة عنه جملة واحدة فاستخلفه في العبودة فلا حظ للربوبية فيها لأن الخليفة استقل بها استقلالاً ذاتياً فهو بيد الله وفي ملك الله، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ فجعل عبداً محضاً وجرده عن كل شيء حتى عن الإسراء فجعله يسري به وما أضاف السرى إليه فإنه لو قال: سبحان الذي دعى عبده لأن يسري إليه أو إلى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول، ولكن المقام منع من ذلك فجعله مجبوراً لا حظ له من الربوبية في فعل من الأفعال.

Marfat.com

(الوصل الثالث) من خزائن الجود فيما يناسبه ويتعلق به من المنزل الثالث وهو يتضمن علم الأمر الواقع عند السؤال، فإن الأوامر منها ما يقع ابتداء ومنها ما يقع جواباً ويتضمن علم الهوية والفرق بين الهوية والأحدية والواحدية، ويتضمن علم مسمى الله ما هو ولماذا ينعت ولا ينعت به، وحقيقة الهوية هل لها شبه بشيء من العالم في شيء من الوجوه أو لا شبه فيها بوجه من الوجوه، وصورة ما يتقيد به الاسم الله إذا ورد بقرائن الأحوال ويتضمن علم ظهور العالم هل هو ظهور ذاتي لذات الحق أو لحكم ما تقرر في العلم الإلهيّ أو ظهر بحكم الاختيار فيكون العالم لما يضاف إليه حتى تتبين المراتب ويتضمن علم نفي المماثل الذي لو ثبت صح أن يكون العالم بينهما فما هو لنا أب ولا نحن أبناء بل هو الرب ونحن العبيد فيطلبنا عبيداً ونطلبه سيداً:

تعالى عن التحديد بالفكر والخبر ... كما جل عن حكم البصيرة والبصر
فليس لنا منه سوى ما يرومه ... على كل حال في الدلالات والعبر
فاعلم أني ما تحققت غيره ... واعلم أني ما علمت سوى البشر
لذا منع الرحمن في وحيه على ... لسان رسول الله في ذاته النظر
فقال ولا تقف الذي لست عالماً ... به فيكون الناظرون على خطر
فلم يولد الرحمن علماً ولم يلد ... وجوداً فحقق من نهاك ومن أمر

ولما لم يكن في الإمكان أن يخلق الله فيما خلق قوة في موجود يحيط ذلك الموجود بالله علماً من حيث قيامها به لم يدرك بعقل كنه جلاله ولم يدرك ببصركنه ذاته عند تجليه حيثما تجلى لعباده، فهو تعالى المتجلي الذي لا يدرك الإدراك الذي يدرك فيه هو نفسه لا علماً ولا رؤية، فلا ينبغي أن يقفو الإنسان علم ما قد علم أنه لا يبلغ إليه، قال الصديق رضي الله عنه: «العجز عن درك الإدراك إدراك فمن لا يدرك إلا بالعجز فكيف يوصف المدرك له بتحصيله؟»:

كلما فيه نكاح وازدواج ... هو مقصود لأرباب الحجاج
فإذا أنتجني أنتجه ... فترانا في نكاح ونتاج
فالذي يظهر من أحوالنا ... هو ما بين اتضاح واندماج
فكما نحن به فهو بنا ... إن عين الضيق عين الانفراج

واعلم أن من خزائن الجود أن يعلم الإنسان أنه لا جامع له بين العبودة والربوبية بوجه

Marfat.com

من الوجوه وأنهما أشد الأشياء في التقابل، فإن المثلين وإن تقابلا فإنهما يشتركان في صفات النفس، والسواد والبياض وإن تقابلا فلم يمكن اجتماعهما، والحركة والسكون وإن تقابلا فلم يمكن اجتماعهما، فإن الجامع للبياض والسواد اللون، والجامع للحركة والسكون الكون، والجامع للأكوان والألوان العرضية، فكل ضدين وإن تقابلا أو مختلفين من العالم فلا بد من جامع يجتمعان فيه إلا العبد والرب فإن كل واحد لا يجتمع مع الآخر في أمر ما من الأمور جملة واحدة، فالعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه، والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه، فلا يجتمع الرب والعبد أبداً، وغاية صاحب الوهم أن يجمع بين الرب والعبد في الوجود وذلك ليس بجامع، فإني لا أعني بالجامع إطلاق الألفاظ وإنما أعني بالجامع نسبة المعنى إلى كل واحد على حد نسبته إلى الآخر، وهذا غير موجود في الوجود المنسوب إلى الرب والوجود المنسوب إلى العبد، فإن وجود الرب عينه ووجود العبد حكم يحكم به على العبد، ومن حيث عينه قد يكون موجوداً وغير موجود، والحد في الحالين على السواء في عينه فإذاً ليس وجوده عينه ووجود الرب عينه، فينبغي للعبد أن لا يقوم في مقام يشم منه فيه روائح ربوبية فإن ذلك زور وعين جهل وصاحبه ما حصل له مقام العبودة كما هو الأمر في نفسه ولا أزيد من قولي لا تشم فيه رائحة ربوبية إلا عنده في نفسه لا يغفل عن مشاهدة عبودته، وأما غيره فقد ينسبون إليه ربوبية لما يرونه عليه من ظهور آثارها فذلك لله لا له، وهو في نفسه على خلاف ما يظهر للعالم منه فإن ذلك محال أن لا يظهر للربوبية أثر منها عليه.

وإذا عرف التلميذ من الشيخ أنه بهذه المثابة فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فإنه يتجرد إلى جانب الحق تجرد الشيخ فإنه عرف منه واتكل على الله لا عليه وبقي ناظراً في الشيخ ما يجري الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه أو بعلم يفيده، فيأخذه التلميذ من الله على لسان هذا الشيخ ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه أنه محل جريان أحكام الربوبية حتى لو فقد الشيخ لم يقم فقده عند ذلك التلميذ ذلك القيام لعلمه بحال شيخه كأبي بكر الصديق مع رسول الله ﷺ حين مات رسول الله ﷺ فما بقي أحد إلا اضطرب وقال ما لا يمكن أن يسمع وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته برسوله الذي اتبعه إلا أبا بكر فإنه ما تغير عليه الحال لعلمه بما ثم وما هو الأمر عليه فصعد المنبر وقال قارئاً: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية فتراجع من حكم عليه

Marfat.com

وهمه، وعرف الناس حينئذ فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الإمامة والتقديم، فما بايعه من بايعه سدا وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما جهل أيضاً من رسول الله ﷺ، أو من كان في محل نظر في ذلك أو متأوّلاً، فإنه رضي الله عنه قد شهد له رسول الله ﷺ في حياته بفضله على الجماعة بالسرّ الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السرّ في ذلك اليوم وليس إلا ما ذكرناه وهو استيفاء مقام العبودة بحيث أنه لم يخلّ منه بشيء في حقه وفي حق رسول الله ﷺ، فعلم محمد ﷺ أن أبا بكر الصديق مع من دعاه إليه وهو الله تعالى ليس معه إلا بحكم أنه يرى ما يخاطبه الحق سبحانه به على لسان رسوله ﷺ في كل خطاب يسمعه منه بل من جميع من يخاطبه، وقد علمه الحق في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه وما يرد، ونرجو إن شاء الله أن يكون مقامنا هذا ولا يجعلها دعوى غير صادقة، فإني ذقت هذا المقام ذوقاً لا مزاج فيه أعرفه من نفسي وما سمعته عن أحد ممن تقدمني بالزمان غير أبي بكر الصديق إلا واحد من الرجال المذكورين في رسالة القشيري فإنه حكى عنه أنه قال: لو اجتمع الناس أن ينزلوا نفسي منزلتها مني من الخسة لم يستطيعوا ذلك، وهذا ليس إلا لمن ذاق طعم العبودية لغيره لا يكون، ولما شهدت لي جماعة أني على قدم أبي بكر الصديق من الصحابة علمت أنه ليس إلا مقام العبودة المحضة لله الحمد والشكر على ذلك، فالله يجعل من نظر إليّ مرة واحدة من عمره أن يكون هذا نعته في نفسه دنيا وآخرة. وكذلك حكى صاحب البياض والسواد في كتابه عن بعض الرجال أنه قال: العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة فإن كنى عن نفسه فهو صاحب المقام وإن عثر عليه من غير أن يكون نعته فقد وفى ما خلق الله الإنسان له حقه لأنه قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ يعني ظاهراً وباطناً، فما جعل لهم في الربوبية قدماً، فهكذا ينبغي أن يكون الإنسان في نفسه فيقوم بحق ما خلق له، وإن لم يفعل فهو إنسان حيوان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل الرابع): من خزائن الجود فيما يناسبه ويتعلق به من المنزل الرابع، وقد ذكرنا ما يتضمنه من العلوم في موضعه في الباب الثالث والسبعين ومائتين فاعلم أنه من خزائن الجود ما يجب على الإنسان أن يعلمه ذوقاً وهو علم ما يستغني به مما لا يستغنى به، وذلك أن يعلم أن غاية درجة الغنى في العبد أن يستغني بالله عما سواه، وليس ذلك عندنا مقاماً محموداً في الطريق فإن في ذلك قدراً لما سوى الحق وتميزاً عن نفسه، وصاحب مقام العبودة يسري ذوقه في كل ما سوى الله أنه عبد كهو لا فرق، ويرى أن كل ما سوى الله محل جريان تعريفات الحق له فيفتقر إلى كل شيء فإنه ما يفتقر إلا إلى الله، ولا يرى أن شيئاً يفتقر

Marfat.com

إليه في نفسه، وإن أفاد الله الناس على يديه فهو عن ذلك في نفسه بمعزل ويرى أن كل اسم تسمى به شيء مما يعطيه فائدة أن ذلك اسم الله غير أنه لا يطلقه عليه حكماً شرعياً وأدباً إلهياً، والاسم الإلهي المغني هو الذي يعطي مقام الغنى للعبد بما شاء مما تستغني به نفسه، والغنى وإن كان بالله فهو محل الفتنة العمياء فإنه يعطي الزهوّ على عباد الله ويورث الجهل بالعالم وبنفسه كما قال صاحب الجنيد ومن العالم حتى يذكر مع الله، هذا وإن كان الذي قال هذا القول صاحب حال وعلم بأن الله ما خاطب عباده إلا بقدر ما جعل فيهم من القبول لمعرفة خطابه فيتنوّع خطابه ليتسع الأمر ويعم، فما خلق الله العالم على قدم واحدة إلا في شيء واحد وهو الافتقار، فالفقر له ذاتي والغنى له أمر عرضي، ومن لا علم له يغيب عن الأمر الذاتي له بالأمر العارض والعالم المحقق لا يزال الأمر الذاتي من كل شيء ومن نفسه مشهوداً له دائماً دنيا وآخرة، فلا يزال عبداً فقيراً تحت أمر سيده لا يستغني في نفسه عن ربه أبداً، ألا ترى أن السجود لله تعالى عام في كل مخلوق إلا هذا النوع الإنساني فإنه لم يعمه السجود لله، ومع هذا فقد عمه السجود فإنه لا يخلو أن يكون ساجداً لأن السجود له ذاتي لأنه عبد فقير محتاج يتألم فالحاجة به منوطة قائمة، فإما أن يسجد لله وإما أن يسجد لغير الله، على أن ذلك السجود له عنده إما لله وإما لمن يقرب إلى الله في زعمه لا بد من هذا التوهم، ولهذا رحم الله عباده بما كلفهم وأمرهم به من السجود لآدم وللكعبة ولصخرة بيت المقدس لعلمه بما جعل في عباده أن منهم من يسجد للمخلوقات عن غير أمر الله، فأمر من أمر من ملك وإنسان بالسجود للمخلوق، وجعل ذلك عبادة يتقرب بها إليه سبحانه ليقل السؤال يوم القيامة عن الساجدين لغير الله عن غير أمر الله، فلا يبقى للحق عليهم مطالبة إلا بالأمر فيقول لهم: «من أمركم بذلك» ما يقول لهم لا يجوز السجود لمخلوق فإنه قد شرع ذلك في مخلوق خاص حساً وخيالاً كرؤيا يوسف عليه السلام الذي رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدين له فكان ذلك أباه وخالته وإخوته، فوقع حساً ما كان إدراكه خيالاً، والقصة فيه معروفة متلوة قرآناً في صورة كوكبية، فلما دخلوا عليه خرّوا له سجداً فقال يوسف عليه السلام لأبيه: ﴿هذا تأويل﴾ أي مآل ﴿رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ أي حقاً في الحس، وقد كانت حقاً في الخيال في موطن الرؤيا فما ثم إلا حق، وما كان الله ليسرمد عذاباً على من أتى حقاً فإن الله لما قسم الحق إلى ما هو مأمور به ومنهي عنه فأراد الحق أن يفرق بين من أتى المأمور به وبين من أتى المنهي عنه ليتميز الطائع من العاصي فتتميز المراتب، فإذا عرف كل أحد قدره وما أتى عمت الرحمة الجميع كل صنف في منزله

Marfat.com

من حيث أنه ما جاء إلا بحق وإن كان منهياً عنه فإن المفتري صاحب حق خيالي لا حق حسي، فإنه لا يفتري المفتري حتى يحضر في خياله الافتراء والمفترى عليه ويقيمه في صورة ما افترى به عليه، فإذا تخيله مثل صورة النوم سواء أخبر عنه بحق خيالي لكنه سكت عن التعريف بذلك للسامع فأخذه السامع على أنه حق محسوس فأراد الله الفرقان بين طبقات العالم ومراتبه، فلذلك أعقب صاحب هذا النعت بالعقوبة على ذلك أو بالمغفرة بأيهما شاء، لأن من هؤلاء العصاة المعاقب والمغفور له كما أنه من الطائعين العالم بالأمر على ما هو عليه في نفسه وهم العاملون على بصيرة أهل الكشف والوجود، ومنهم المحجوب عن ذلك مع كونه مطيعاً، فلم يجعل الله أهل الطاعة على رتبة واحدة، فما في الوجود المعنوي والحسي والخيالي إلا حق فإنه موجود عن حق ولا يوجد الحق إلا الحق ولهذا قال ﷺ في دعائه يخاطب ربه تعالى: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك» فإنه ضد الخير فما صدر عن الخير إلا الخير والشر إنما هو عدم الخير، فالخير وجود كله والشر عدم كله لأنه ظهور ما لا عين له في الحقيقة فهو حكم والأحكام نسب، وإنما قلنا ظهور فيه لأن ذلك لغة عربية، قال امرؤ القيس: لو يشرّون مقتلي أي يظهرون ولذلك قال تعالى عن نفسه ﴿إنه يعلم السر﴾ وهو إخفاء ما له عين ﴿وأخفى﴾ وهو إظهار ما لا عين له، فيتخيل الناس أن ذلك حق والله يعلم أنه ليس له وجود عين في نفس الحكم فيعلم السر وأخفى أي أظهر في الخفاء من السر كما قال: ﴿ما بعوضة فما فوقها﴾ يعني في الصغر وهكذا هذا هو أظهر في الخفاء من السر، والشيء الخافي هو الظاهر لغة منقولة، قال تعالى في تأييد ما ذكرنا ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فكل شيء هو موجود نشاهده حساً ونعلمه عقلاً فليس بهالك، فكل شيء وجهه ووجه الشيء حقيقته فما في الوجود إلا الله فما في الوجود إلا الخير وإن تنوّعت الصور فإن رسول الله ﷺ قد أخبرنا أن التجلي الإلهيّ يتنوّع، وقد أخبرنا الله تعالى أنه كل يوم في شأن فنكر وما هو إلا اختلاف ما هو فيه، فكل ما ظهر فما هو إلا هو ولنفسه ظهر فما يشهده أمر ولا يكثره غير ولذلك قال: ﴿له الحكم وإليه ترجعون﴾ أي من يعتقد أن كل شيء جعلناه هالكاً وما عرف ما قصدناه إذا رآه ما يهلك ويرى بقاء عينه مشهوداً له دنيا وآخرة علم ما أردنا بالشيء الهالك، وأن كل شيء لم يتصف بالهلاك فهو وجهي، فعلم أن الأشياء ليست غير وجهي فإنها لم تهلك فردّها إلى حكمها، فهذا معنى قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ وهو معنى لطيف يخفى على من لم يستظهر القرآن، فإذا كان الغنى عبارة عمن هذه صفته والغنى عبارة عن هذه الصفة فلا غنى إلا الله وكذلك الغنى صفته، ونحن ما تكلمنا إلا في

Marfat.com

العبد لا في الحق، فالعبد له الفقر المطلق إلى سيده، والحق له الغنى المطلق عن العالم، فالعالم لم يزل مفقود العين هالكاً بالذات في حضرة إمكانه وأحكامه يظهر بها الحق لنفسه بما هو ناظر من حقيقة حكم ممكن آخر، فالعالم هو الممد بذاته ما يظهر في الكون من الموجودات وليس إلا الحق لا غيره، فتحقق يا وليّ هذا الوصل فإنه وصل عجيب حكمه خلق في حق بحق ولا خلق في نفس العين مع وجود الحكم وقبول الحق لحكم الخلق وهو قبول الوجود لحكم العدم وليس يكون إلا هكذا، ولولا ذلك لم يظهر للكثرة عين وما ثم إلا الكثرة مع أحدية العين فلا بد من ظهور أحكام الكثير وليس إلا العالم فإنه الكثير المتعدد والحق واحد العين ليس بكثير، وقد رميت بك على الطريق لتعلم ما الأمر عليه فتعلم من أنت ومن الحق فيتميز الرب من العبد، وعلى الله قصد السبيل.

(الوصل الخامس): من خزائن الجود فيما يناسبه ويتعلق به من المنزل الخامس، ويتضمن هذا المنزل الخامس من العلوم الإلهية: علم تفصيل الرجوع الإلهي بحسب المرجوع إليه من أحوال العباد وهو علم عزيز فإن الله يقول: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ ويقول: ﴿وإليه ترجعون﴾ وهنا رجوع الحق إلى العباد من نفسه مع غناه عن العالمين، فلما خلقهم لم يمكن إلا الرجوع إليهم والاشتغال بهم وحفظ العالم فإنه ما أوجده عبثاً فيرجع إليه سبحانه بحسب ما يطلبه كل شخص شخص من العالم به إذ لا يقبل منه إلا ما هو عليه في نفسه من الاستعداد فيحكم باستعداده على مواهب خالقه فلا يعطيه إلا ما يقتضيه طلبه، ولما كان الأمر على ما ذكرناه وأدخل الحق نفسه تحت طلب عباده فأطاعهم كلفهم أن يطيعوه على ألسنة الرسل، فمن أطاعه منهم ظهر له بصفة الحق التي ظهر للعباد بها في إعطاء ما طلبوه منه، ومن عصاه علم عند ذلك ما السبب الذي أدّى هذا العاصي إلى أن يعصي ربه فلم يكن ذلك إلا إظهار الحكمة عموم الرجوع الإلهي إلى العباد بحسب أحوالهم فإنه عام الرجوع، فرجع على الطائعين بما وعد ورجع على العاصين بالمغفرة، وإن عاقب وظهرت المعصية في أوّل إنسان والإباية في أوّل جان ثم انتشرت المعاصي في الأناسي والجنّ بحسب الأوامر والنواهي، وكان ذلك على قدر ما علم الحق من الرجوع الإلهي إليهم بهذه المخالفات، فلم يقدر مخلوق على أن يطيع الله تعالى طاعة الله بما يطلبه العبد منه بحاله مما يسوءه ومما يسره، فإن الحال الذي قام فيه العبد إذا كان سوءاً فإن لسان الحال يطلب من الحق ما يجزيه به ويرجع به عليه، إما على التخيير وذلك ليس إلا لحال المعصية القائم بالعاصي، وإما على الوجوب بالتعيين، فالرجوع الإلهيّ على العاصي إما بالأخذ وإما

Marfat.com

بالمغفرة والرجوع على الطائع بالإحسان فما أعطى الحق برجوعه للعبد إلا ما طلب منه العبد بلسان حاله وهو أفصح الألسنة وأقوم العبارات فأصل المعاصي في العباد يستند إلى نسبة إلهية وهي أن الله هو الآمر عباده والناهي تعالى والمشيئة لها الحكم في الأمر الحق المتوجه على المأمور، إما بالوقوع أو بعدم الوقوع، فإن توجهت بالوقوع سمي ذلك العبد طائعاً ويسمى ذلك الوقوع طاعة، فإنه أطاعت الإرادة الأمر الإلهيّ وإن لم تتوجه المشيئة بوقوع ذلك الأمر عصت الإرادة الأمر وليس في قوّة الأمر الحكم على المشيئة فظهر حكم المشيئة في العبد المأمور فعصى أمر ربه أو نهيه وليس ذلك إلا للمشيئة الإلهية، فقد تبين لك من العاصي ومن الطائع، وإلى أي أصل ترجع معصية المكلف أو طاعته فلا رجوع إلا لله على العباد، ورجوع العباد إلى الله برجوع الحق عليهم كما قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ فلولا توبة الله عليهم ما تابوا، والتوبة الرجوع، فالله أكثر رجوعاً إلى العباد من العباد إليه، فإن رجوع العباد إلى الله بإرجاع الله ما رجعوا إلى الله إلا بالله.

وبعد أن أوجد الله العالم وأبقى الوجود عليه لم يتمكن إلا بحفظه فإنه لا بقاء له إلا بالحفظ الإلهيّ، فالعبد يرجع إلى الله من نفسه ويرجع إلى نفسه من الله، والحق ما له رجوع إلا إلى عباده من عباده، فما كانت له رجعة من نفسه إلا الأولى المعبر عن ذلك بابتداء العالم، ولو كانت المشيئة تقتضي الاختيار لجوزنا رجوع الحق إلى نفسه، وليس الحق بمحل للجواز لما يطلبه الجواز من الترجيح من المرجح، فمحال على الله الاختيار في المشيئة لأنه محال عليه الجواز، لأنه محال أن يكون لله مرجح يرجح له أمراً دون أمر فهو المرجح لذاته، فالمشيئة أحدية التعلق لا اختيار فيها، ولهذا لا يعقل الممكن أبداً إلا مرجحاً، إلا أن الحق من كونه غفوراً أرسل ستره وحجابه بين بعض عباده وبين إحالة رجوع الحق إلى نفسه في غناه عن العالم فقال في ذلك الستر: ﴿والله غنيّ عن العالمين﴾ وهذا ليس يتمكن الحكم به إلا ولا عالم أو يكون متعلق المشيئة الاختيار، وكلا الأمرين مع وجود العالم لا يكون ولا واحد منهما، فالمحجوب بهذا الحجاب يقول: ﴿والله غنيّ عن العالمين﴾ ولا يعلم صورة الأمر كيف هو المرفوع عنه من العباد هذا الستر إذا قالها قالها تلاوة وعلم متعلقها وما هو الأمر عليه الآن وما كان عليه الأمر وترك متعلق غناه فما بقي من الممكنات لم يوجد فإنها غير متناهية بالأشخاص، فلا بدّ من بقاء ما لم يوجد، فبه تتعلق صفة الغنى الإلهيّ عن العالم فإن بعض العالم يسمى عالماً، فمن فهم الغنى الإلهيّ هكذا فقد علمه.

Marfat.com

وأما تنزيه الحق عما تنزهه عباده مما سوى العبودية فلا علم لهم بما هو الأمر عليه فإنه يكذب ربه في كل حال يجعل الحق فيه نفسه مع عباده، وهذا أعظم ما يكون من سوء الأدب مع الله أن ينزهه عما نسبه سبحانه إلى نفسه بما نسبه إلى نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ويكفر ببعض ﴿فأولئك هم الكافرون حقاً﴾ فجعل العبد نفسه أعلم منه بربه نفسه وأكثر من هذا الجهل فلا يكون، والعبد المؤمن ينبغي له أن ينسب إلى الحق ما نسبه الحق إلى نفسه على حد ما يعلمه الله من ذلك إذا لم يكن ممن كشف الله عن بصيرته حتى رأى الأمر على ما هو عليه وهذا هو الشرك الخفي فإنه نزاع لله تعالى خفي في العبد لا يشعر به كل أحد ولا سيما الواقع فيه ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت، ولهذا أمر الحق تعالى أن يسبح بحمده أي بما أثنى على نفسه، وما وصف تعالى نفسه بشيء إلا في معرض الثناء عليه بذلك الوصف، وهذا المنزه الجاهل ينزهه عن ذلك الوصف الذي وصف به الحق نفسه وأخذ يثني عليه بما يرى أنه ثناء على الله، والله ما أمره أن ينزهه إلا بحمده أي بما أثنى على نفسه به في كتبه وعلى ألسنة رسله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ إلا هذا الإنسان فإن بعضه يسبحه بغير حمده ويكذب الحق في بعض ما أثنى به على نفسه وهو لا يشعر بذلك ولهذا قال تعالى: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً﴾ فلم يؤاخذكم على ما تركتم من الثناء عليه مما أثنى به على نفسه ولم يعجل عليكم العقوبة ﴿غفوراً﴾ بما ستره عنكم من علم ذلك ممن هو بهذه المثابة فإذا أراد العبد نجاة نفسه وتحصيل أسباب سعادته فلا يحمد الله إلا بحمده كان ما كان على علم الله في ذلك من غير تعيين، فإن قبضه الله تعالى ذلك اطلع على الأمر على ما هو عليه إذا لم يكن من أهل الكشف في الحياة الدنيا، وإن لم يفعل وتأوّل فهو لما تأوّله وحرمه الله كل ما خرج عن تأويله فلم يره فيه وهذا أعظم الحرمان، وعند الكشف الأخروي يرى ما كان عليه من سوء الأدب مع الله والجهل به كما ورد أن أهل هذا المقام إذا تجلى لهم الحق تعالى في الآخرة ينكرونه ولا يقرّون به لأنهم فما عبدوا رباً إلا مقيداً بعلامة فإذا ظهر لهم بتلك العلامة أقرّوا له بالربوبية وهو عين ما أنكروه، وأي جهل أعظم من أن يقرّ بما هو له منكر. ويتضمن هذا المنزل علم الوافدين على الله، وعلم أنواع الفتوح ومجيء المعاني بمجيء من قامت به فينسب المجيء إليها لا إليه، وعلم الزمان.

(الوصل السادس): من خزائن الجود فيما يناسب ويتعلق به المنزل السادس:

من ستر الحق ولم يفشه   فذلك الشخص الذي قد كفر

Marfat.com

وليس مخفياً على ناظر ... فيه بعين العقل أو بالبصر
تبارك الله الذي لم يزل ... يظهر فيما قد بدا من صور
فإنه منشئها دائماً ... في كل ما يظهر أو قد ظهر

اعلم أيدك الله أن عبادة الله بالغيب عين عبادته بالشهادة فإن الإنسان وكل عابد لا يصح أن يعبد معبوده إلا عن شهود إما بعقل أو ببصر أو بصيرة، فبالبصيرة يشهده العابد بها فيعبده وإلا فلا تصح له عبادة، فما عبد إلا مشهوداً لا غائباً، فإن أعلمه بتجليه في الصور للبصر حتى يميزه عبده أيضاً على الشهود البصري ولا يكون ذلك إلا بعد أن يراه بعين بصيرته، فمن جمع بين البصيرة والبصر فقد كملت عبادته ظاهراً وباطناً، ومن قال بحلوله في الصور فذلك جاهل بالأمرين جميعاً، بل الحق أن الحق عين الصور فإنه لا يحويه ظرف ولا تغيبه صورة، وإنما غيبه الجهل به من الجاهل فهو يراه ولا يعلم أنه مطلوبه، فقال له الرسول ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فأمره بالاستحضار فإنه يعلم أنه لا يستحضر إلا من يقبل الحضور، فاستحضار العبد ربه في العبادة عين حضور المعبود له، فإن لم يعلمه إلا في الحدّ والمقدار حده وقدره، وإن علمه منزهاً عن ذلك لم يحده ولم يقدره مع استحضاره كأنه يراه، وإنما لم يحده ولم يقدره العارف به لأنه يراه جميع الصور، فمهما حده بصورة عارضته صورة أخرى فانخرم عليه الحد فلم ينحصر له الأمر لعدم إحاطته بالصور الكائنة وغير الكائنة له فلم يحط به علماً كما قال: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ مع وصفه بأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، فالحق أقرب إليه من نفسه، فإنه أتى بافعل من فثم قريب، وأقرب الأشياء قرب الظاهر من الباطن، فلا أقرب من الظاهر إلى الباطن إلا الظاهر عينه، ولا أقرب من الباطن إلى الظاهر إلا الباطن عينه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فهو عين المنعوت بأن له حبل الوريد، فعلمنا أنه عين كل صورة، ولا نحيط بما في الوجود من صور فلا نحيط به علماً. فإن قلت: فأنت من الصور. قلنا: وكذلك نقول إلا أن الصور وإن كانت عين المطلوب فإنها أحكام الممكنات في عين المطلوب، فلا نبالي بما ينسب إليها من الجهل والعلم وكل وصف فإني أعلم كيف أنسب وأصف وأنعت، فللّه الأمر من قبل ومن بعد، فالحق حق وإن لم تكن، كما هو الحق حق وإن كنت لا فرقان، فللظاهر حكم لا يكون للباطن من حيث ما قلت فيه باطن في العبادة، وللباطن حكم لا يكون للظاهر من حيث ما قلت فيه ظاهر في العبادة، وكل حكم له مقام معلوم، وكل مقام له حكم معلوم، فلا يعلم شيء إلا به فلا يعبد إلا به، ولهذا نبه الحق من لا علم له بما ذكرناه على رتبة

Marfat.com

العلماء بالله فقال: إنه سمع العبد وبصره فما أبصرته إلا به ولا سمعته إلا به، فعينه عين سمعك وبصرك فما عبدته إلا به وليس بعد إعلام الحق عز اسمه وجل ذكره إعلام، ولا بعد أحكامه فيما حكم فيه أحكام:

فليس إلا عينه بالخبر — وليس إلا غيره بالبصر
فأين أهل الفكر في ذاته — قد ركبوا فيه عظيم الخطر
تعارض الأمر لديهم فما — لهم به علم بحكم النظر
إن قيل هو قيل لهم ليس هو — لأنه مطلوبكم بالفكر
أو قيل ما هو قيل هو أنه — عين الذي تشهده في الصور

(واقعة): رأيت عيناً من لبن حليب ما رأيت لبناً مثله في البياض والطيب في جرمه دخلت فيه حتى بلغ ثديي وهو يتدفق فتعجبت لذلك وسمعت كلاماً غريباً إلهياً يقول: من سجد لغير الله عن أمر الله قربة إلى الله طاعة لله فقد سعد ونجا، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله قربة إلى الله فقد شقي، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ فإن الله مع الخلق ما الخلق مع الله لأنه يعلمهم فهو معهم أينما كانوا في ظرفية أمكنتهم وأزمانهم وأحوالهم ما الخلق معه تعالى جل جلاله فإن الخلق لا تعرفه حتى تكون معه، فمن دعا الله مع الخلق ما هو كمن دعا الخلق مع الله فلا تدعوا مع الله أحداً ولا يصح السجود إلى غير الله إلا لكون الله مع الخلق حيث كانوا فلا نعلمه ولا نجده إلا بالخلق، فالسجود على الحقيقة لله الموصوف بالمعية مع الخلق ولهذا شرعت القبلة كما قال ﷺ «إن الله في قبلة المصلي» فالقبلة ما هي الله والله فيها فأمرنا بالسجود لها لكون الله فيها ومعها، فمن رأى الخلق ببصره فقد رأى الحق ببصيرته مطلقاً، وليس له إذا رأى ذلك أن يسجد له إلا إذا أمره بالسجود وإن كان لله فلا يقع في الحس إلا لغير الله أبداً لأنه لا يصح أن يقع السجود لله لأن الله بكل شيء محيط، فالجهات كلها نسبتها أو نسبة الحق إليها على السواء، ومن خرّ على قفاه فما سجد لله وإن كان الله خلفه كما هو أمامه لكن الله ما راعى إلا وجهه لم يراع من جهات العبد سوى وجهه، فلذلك لا يصح السجود لغير الله إلا عن أمر الله قال الله تعالى: ﴿اسجدوا لآدم﴾ فالسجود لغير الله والعبادة لله لا تكون لغير الله أبداً فإنه لا أعظم من الشرك وقد قال المشرك: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ ما عبدوا الشركاء لأعيانهم فما أوخذوا إلا لكونهم عبدوهم، فإن الله لا يأمر خلقه ولا يصح أن يأمر خلقه

Marfat.com

بعبادة مخلوق، ويجوز أن يأمرنا بالسجود للمخلوق، فمن سجد عبادة لمخلوق عن أمر الله أو عن غير أمر الله فقد شقي، ومن سجد غير عابد لمخلوق فإن كان عن أمر الله كان طاعة فسعد، وإن سجد لمخلوق غير عابد إياه عن غير أمر الله كانت رهبانية ابتدعها فما رعاها حق رعايتها إلا ابتغاء رضوان الله لأنه ما قصدها إلا قربة إلى الله فما خلت هذه الحالة عن الله، والله عند ظن عبده به لا يخيبه فليظن به خيراً، فلا بد من أخذ المشركين لتعديهم بالاسم غير محله وموضوعه ولم يرد عليه أمر بذلك من الله، ومن المحل أن ترد عبادة وإن ورد سجود، ولولا وضع اسم الألوهية على الشريك ما عبدوه، فإن نفوس الأناسي بالأصالة تأنف من عبادة المخلوقين ولا سيما من أمثالها فأصحبوا عليها الاسم الإلهيّ حتى لا يتعبدهم غير الله لا يتعبدهم مخلوق، فما جعل المشرك يشرك بالله في وضع هذا الاسم على المخلوق إلا التنزيه لله الكبير المتعالي، لأن المشرك لا بد له في عبادته من حركات ظاهرة تطلب التقييد، ولا بد من تصوّر خيالي لأنه ذو خيال، ولا بد من علم عن دليل عقلي يقضي بتنزيه الحق عن التقييد ونفي المماثلة فلذلك نقلوا الاسم للشريك، والنبيّ ﷺ يقول لجبريل عليه السلام في معرض التعليم لعباد الله: «اعبد الله كأنك تراه» فأمره بتصوره في الخيال مرئياً، فما حجر الله على العباد تنزيهه ولا تخيله وإنما حجر عليه أن يكون محسوسا له مع علمه بأن الخيال من حقيقته أن يجسد ويصوّر ما ليس بجسد ولا صورة، فإن الخيال لا يدركه إلا كذلك، فهو حسّ باطن بين المعقول والمحسوس مقيد أعني الخيال، وما قرر الحق هذا كله إلا للرحمة التي وسعت كل شيء حتى إذا رحم من وقع الأخذ به عرف الخلق أن هذه الرحمة الإلهية قد تقدم الإعلام بها من الحق في الدار الدنيا دار التكليف فلا ينكرها العالمون، فما أخرج الله العالم من العدم الذي هو الشرّ إلا للخير الذي أراده به ليس إلا الوجود فهو إلى السعادة موجود بالأصالة وإليها ينتهي أمره بالحكم، فإن الدار التي أشرك فيها دار مزج فهي دار شبهة وهي الدنيا فلها وجه إلى الحق بما هي موجودة، ولها وجه لغير الحق بما ينعدم ما فيها وينتقل عنها إلى الأخرى، والشبهة نسبة الحل إليها والحرمة على السواء، وما جعلها الله على هذه الصفة إلا لإقامة عذر العباد إذا أراد أن يرحمهم رحمة العموم فما ألطف الله بخلقه فإن الصانع له اعتناء بصنعته، فالمؤمن العالم ما جحد أن المشرك عبد الله فإنه سمعه يقول: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ والمشرك ما جحد الله تعالى بل أقرّ به وأقرّ له بالعظمة والكبرياء على من اتخذه قربة إليه، فإذا علمت من أين أخذ من أخذ وأن الأخذ الأخروي كالحدود في الدنيا لا تؤثر في الإيمان بوجود الله ولا

Marfat.com

في أحدية العظمة له التي تفوق كل عظمة عند الجميع، فإنه من رحمة الله أن جعل الله ﴿من يعظم شعائر الله﴾ وحرمات الله، والشعائر الأعلام والمناسك قربة إلى الله وأن ذلك ﴿من تقوى القلوب﴾ فهذا أيضاً من المشاركة في العظمة وهي مشروعة لنا، فما عظم المشرك الشريك إلا لعظمة الله لما رأى أن العظمة في المخلوقات سارية يجدها كل إنسان في جبلته، ومع ذلك فأفرد المشرك عظم عظمة الله في قلبه إلى الله، فما وقعت المؤاخذة إلا لكون ما وقع من ذلك عن غير أمر الله في حق أشخاص معينين ونقل الاسم إلى أولئك الأشخاص.

(وصل): وأما الأصول فمحفوظة بالفطرة التي فطر الله الخلق عليها، ألا ترى إلى ما قال بعضهم: وما يهلكنا إلا الدهر، فقال الله تعالى في الوحي الصريح الصحيح: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» تراه قال هذا وجاء به سدى؟ لا والله بل جاء به رحمة لعباده، فإن الدهر عند القائلين به ما هو محسوس عندهم، وإنما هو أمر متوهم صورته في العالم وجود الليل والنهار عن حركة كوكب الشمس في فلكها المحرّك بحركة الفلك الأعظم فلك البروج الذي له اليوم بحركته كما الليل والنهار بظهور كوكب الشمس فيه، فقد كان اليوم ولا ليل ولا نهار ومع وجود الدرجات والدقائق وأقل من ذلك فلم يصح مع هذا شرك عام ولا تعطيل عام وإنما هي أسماء سموها أطلقوها على أعيان محسوسة وموهومة عن غير أمر الله فأخذوا بعدم التوقيف، فقد وجدنا الأمر عين ما وجد منهم عن غير أمر، فتحقق هذا الوصل فإنه دقيق جداً. انتهى السفر الخامس والعشرون بانتهاء الوصل السادس من الباب التاسع والستين وثلاثمائة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الوصل السابع) من مفاتح خزائن الجود من الباب التاسع والستين وثلثمائة هذه الخزانة فيها وجوب تأخر العبد عن رتبة سيده وتخليص عبوديته لله من غيره، كما أقرّ له بذلك في قبضة الذرية يريد الحق أن يستصحبه ذلك الإقرار في حياته الدنيا موضع الحجاب والستر، فإن الحق له التقدم على الخلق بالوجود من جميع الوجوه وبالمكانة والرتبة فكان ولا مخلوق هذا تقدم الوجود وقدر وقضى وحكم وأمضى إمضاء لا يرد ولا يقضى عليه فهذا تقدم الرتبة ﴿فما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ أن تشاؤوا فوجب التأخر عن رتبة الحق من جميع الوجوه، فإن العبد أعطي الكثرة لتكون الأحدية له تعالى، وأعطي كل مخلوق أحدية التمييز لتكون عنده الأحدية ذوقاً، فيعلم أن ثم أحدية ليعلم منها الأحدية الإلهية حتى يشهد بها لله

Marfat.com

تعالى، إذ لو لم يكن لمخلوق أحدية ذوقاً يتميز بها عما سواه ما علم أن الله أحدية يتميز بها عن خلقه فلا بد منها، فللكثرة أحدية الكثرة، ولكل عدد أحدية لا تكون لعدد آخر كالاثنين والثلاثة إلى ما فوق ذلك مما لا يتناهى وجوداً عقلياً، فلكل كثرة من ذلك أحدية تخصه، وعلى كل حال أوجب الحق على عبده أن يتأخر عن رتبة خالقه كما أخر سبحانه علمنا به عن علمنا بأنفسنا، فوجود العلم المحدث به متأخر بالوجود عن وجود العلم المحدث بنا، وجعل المفاضلة في العالم بعضه على بعض لنعرف المفاضلة ذوقاً من نفوسنا فنعلم من ذلك فصل الحق علينا وإن تأخر علمنا به عن علمنا بنفوسنا لنعلم أن علمنا بنفوسنا إنما كان للدلالة على علمنا به، فعلمنا أنا مطلوبون له لا لأنفسنا وأعياننا لأن الدليل مطلوب للمدلول لا لنفسه، ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول أبداً، فلا يجتمع الخلق والحق أبداً في وجه من الوجوه، فالعبد عبد لنفسه والرب رب لنفسه، فالعبودية لا تصح إلا لمن يعرفها فيعلم أنه ليس فيها من الربوبية شيء، والربوبية لا تصح إلا لمن يعرفها فيعرف أنه ليس فيها من العبودية شيء، فأوجب على عباده التأخر عن ربوبيته، فشرع له الصلاة ليسميه بالمصلي وهو المتأخر عن رتبة ربه، ونسب الصلاة إليه تعالى ليعلم أن الأمر يعطي تأخر العلم الحادث به عن العلم الحادث بالمخلوق فقال: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ وقال: ﴿فصل لربك﴾ ولما علمنا أنه من تأخر عن أمر فقد انقطع عنه علمنا أن كل واحد قد تميز في رتبته عن الآخر بلا شك وإن أطلق على كل واحد ما أطلق على الآخر فيتوهم الاشتراك وهو لا اشتراك فيه فإن الرتبة قد ميزته، فيقبل كل واحد ذلك الإطلاق على ما تعطيه الرتبة التي تميز بها، فإنا نعلم قطعاً أن الأسماء الإلهية التي بأيدينا تطلق على الله وتطلق علينا، ونعلم قطعاً بعلمنا برتبتنا وبعلمنا برتبة الحق أن نسبة تلك الأسماء التي وقع في الظاهر الاشتراك في اللفظ بها إلى الله غير نسبتها إلينا فما انفصل عنا إلا بربوبيته، وما انفصلنا عنه إلا بعبوديتنا، فمن لزم رتبته منا فما جنى على نفسه بل أعطى الأمر حقه:

فقد بان لك الحق ... وقد بان لك الخلق
فقل ما شئت أو سمه ... فكل قوله حق
فما في كونه مين ... وما في كوننا صدق

وفي هذا المعنى قول لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل». قال رسول الله ﷺ في هذا البيت أصدق بيت قالته العرب قول لبيد يعني هذا النصف منه، قلنا: وهذه رتبة ما خص

Marfat.com

الله بها أحداً من الناس وأثنى عليه بها إلا الذاكر وذلك أن الذاكر هو الذي كان له علم بأمر مّا ثم نسيه لما جبل عليه الإنسان من النسيان كما قال الله عز وجل: ﴿ونسوا الله فنسيهم﴾ وصورة نسيانهم أنهم توهموا بما أضاف الله إليهم من الأعمال والأموال والتمليك أن لهم حظاً في الربوبية أو ضرب الله لهم بسهم فيها بقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ فلما اعتنى الله تعالى بمن اعتنى منهم وآتاه رحمة من عنده ذكر اسم ربه والله يقول: أنا جليس من ذاكرني، والذاكرون هم جلساء الحق فأورثه الذكر مجالسة الحق وأورثته المجالسة مشاهدة الحق ورؤيته في الأشياء، يقول الصديق: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وعمر معه وغيره بعده وغيره فيه وغيره ما رأيت شيئاً من غير ارتباط بشيء وأورثته رؤية الحق تأخره عما كان يتوهم من أن الله تعالى ضرب له بسهم في الربوبية وأنها من نعوته وله فيها قدم بوجه ما فتأخر عن ذلك بالذكر فقال: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أي تأخر إلى مقام عبودته وأفرد الربوبية لله تعالى فأفلح من جميع وجوهه، وليست هذه الصفة مشاهدة لغير الذاكر، فالذاكر عبد مخلص لله تعالى، ألا ترى إلى ما قال في الذي اتصف بنقيض هذه الحال لما جاءه ذكر ربه وهو القرآن يذكره بنفسه وبربه: ﴿فلا صدق﴾ من أتى به أنه من عند ربه ﴿ولا صلى﴾ يقول: ولا تأخر عن دعواه وتكبره وقد سمع قول الله الحق، ولو لم يكن من عند الله فينبغي للعاقل إذا سمع الحق ممن معه أن يرجع إليه ويقول به ليكون من أهله من رد الحق، فما صدق ذلك القول فيما دل عليه قاله من قاله فذمه الله وقال ولكن استدراك لتمام القصة كذب من أتى به إليه وهو الرسول ﷺ وكذب الحق إما بجهله فلم يعلم أنه الحق وإما بعناد وهو على يقين أنه حق في نفس الأمر، فغالط نفسه لكون هذا الرسول جاء به كما قال في حق من هذه صفته ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ ثم قال: ﴿وتولى﴾ بعد تكذيبه بالحق وبمن جاء به فتولى عن الحق ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ وهذا شغل المتكبر المشغول الخاطر المفكر الحائر الذي كسله ما سمعه، فإنه بالوجه الظاهر يعلم أنه الحق لأن المعجزة لم يأت بها الله إلا لمن يعلم أن في قوته قبولها بما ركب الله فيه من ذلك.

ولذلك اختلفت الدلالات من كل نبي وفي حق كل طائفة، ولو جاءهم بآية ليس في وسعهم أن يقبلوها لجهلهم ما آخذهم الله بإعراضهم ولا بتوليهم عنها فإن الله عليم حكيم عادل، ومن تأخر عن حق غيره إلى ما يستحقه في نفسه فقد أنصف من نفسه ولم يتوجه لصاحب حق عليه طلب فحاز الخير بكلتي يديه فوقفه الله على جوامع الخير كله، فإنه من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فإن الحكيم هو الذي ينزل كل شيء في مرتبته ويعطي كل

Marfat.com

ذي حق حقه، فله الحجة البالغة والكلمة الدامغة، ولم تنقطع مشاهدته، ولم تتأخر المعونة الإلهية في عبادته عن مساعدته فإنا فرضناه عبد السيد ما فرضناه ملكاً، فإن الملك قد يكون فيمن يعقل عبوديته وفيمن لا يعقلها، فالعبد حاله السمع والطاعة لسيده، وما عدا العبد فهو ملك يتصرف فيه المالك كيف يشاء من غير أن يتعلق به ثناء يعدم منعه من التصرف فيه بخلاف من يعقل وهو العبد، فإذا قام في تصريف الحق فيه مقام الأموال أثنى الله عليه بذلك لأن الله قد خصه في نشأته بقوة المنع والرد لكلمة الحق ومكنه من الطاعة والمعصية فهو لما استعمله من ذلك فوقع الثناء عليه كما أثنى الله على الملائكة بقوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلو لم يكن في قوتهم ونشأتهم ما يقتضي رد أمر الله وما يقتضي قبوله ما أثنى الله عليهم بما أثنى به من نفي العصيان عنهم وفعلهم ما أمرهم به فإن المجبور لا ثناء عليه، ألا ترى إلى المصلي إذا وقف بين يدي ربه في الصلاة يتكتف شغل العبد الذليل بين يدي سيده في حال مناجاته، والسنة قد وردت بذلك، وهو أحسن من إسبال اليدين وذلك أن الله تعالى لما قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها مخلص له تعالى من أول الفاتحة إلى قوله: ﴿يوم الدين﴾ فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد لأن القوة لله جميعاً فأعطيناه اليمين، والجزء الآخر مخلص للعبد من قوله: ﴿اهدنا﴾ إلى آخر السورة فهذا الجزء بمنزلة اليد اليسرى وهي الشمال فإنه الجناب الأضعف والعبد هذه مرتبته فإنه خلق من ضعف ابتداء ورد إلى ضعف انتهاء وجزء منها بين الله وبين عبده فجمع هذا الجزء بين الله وعبده وهو قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فلهذا الجمع جمع العبد بين يديه في الصلاة إذا وقف فكملت صلاة العبد بجمعه بين يديه، وصورة هذا التكتيف أن يجعل اليمنى على اليسرى كما قررناه من أن اليمين لله فلها العلو على الشمال، وصورتها أن يجعل باطن كفه اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد ليجمع بالإحاطة جميع اليد التي أمر الله عبده في الوضوء للصلاة أن يعمها بالطهارة فأخذ الرسغ وما جاوره من الكف والساعد، فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين، ثم نهى النبي ﷺ أن يرفع المصلي عينيه إلى السماء في صلاته فإن الله في قبلة العبد ولا يقابله في وقوفه إلا الأفق فهو قبلته التي يستقبلها ويحمد له أن ينظر إلى موضع سجوده فإنه المنبه له على معرفة نفسه وعبوديته، ولهذا جعل الله القربة في الصلاة في حال السجود، وليس الإنسان بمعصوم من الشيطان في شيء من صلاته إلا في السجود، فإنه إذا سجد اعتزل عنه الشيطان يبكي على نفسه ويقول: أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار.

Marfat.com

(الوصل الثامن) من خزائن الجود وهو متعلق بهذا الوصل الذي فرغنا منه، وهو أن العبد متأخر في نفس الأمر عن رتبة خالقه، وقد حيل بينه وبين شهود ذلك بما جعل الله فيه من النسيان والسهو والغفلة، فيتخيل أن له قدماً في السيادة والحال تشهد بخلاف ذلك فهو بالحال محقق، وفي نفس الأمر على ما هو عليه صاحب الشهود ولا سعادة له في ذلك بل له الشقاء وهذا غاية الحرمان، ولا يزال كذلك حتى ينكشف الغطاء فيحتد البصر فيرى الأمر على ما هو عليه فيؤمن به فما ينفعه إيمانه، فإن الإيمان لا يكون إلا بالخبر لا بالعيان، فليس المؤمن إلا من يؤمن بالغيب، وهو الخبر الذي جاء من عند الله فإن الخبر بما هو خبر يقبل الصدق والكذب كالممكن يقبل الوجود والعدم.

واعلم أنه ما أتى على أحد إلا من الغفلة عما يجب عليه من الحقوق التي أوجب الشرع عليه أداءها، فمن أحضرها نصب عينيه وسعى جهده في أدائها ثم حالت بينه وبين أدائها موانع تقيم له العذر عند الله فقد وفى الأمر حقه ووفى الله بذمته، ولا حرج عليه ولا جناح ولا خاطبه الحق بوجوب حق عليه مع ذلك المانع، والموانع على نوعين: نوع يكون مع الحضور ونوع يكون مع عدم الحضور وهو الغفلة، فأما النوع الذي يكون مع الحضور فينقسم قسمين: قسم يرجع إلى النظر في ذلك الواجب هل هو واجب عليه أم لا؟ فيجتهد جهد وسعه الذي كلفه الله في طلب الدليل على وجوب ذلك الأمر فلا يجده وهو من أهل الاجتهاد فلا يجب عليه إلا ما يقتضيه دليله وهو واجب في نفس الأمر عند الله ولكن أخطأ هذا المجتهد فهو مأجور عند الله بنص الله ونص رسوله ﷺ وما كلفه الله إلا ذلك، وقد أدى ما كلفه الله من الاجتهاد في طلب الدليل فلم يجده، وليس للمجتهد أن يقلد غيره في حكم لا يعرف دليله ولكن من اجتهاده إذا لم يعثر على دليل أن يسأل في ذلك الأمر أهل الاجتهاد الذين حكموا عليه بالوجوب، وصورة سؤاله أن يقول لهم: ما دليلكم على ما أوجبتموه في هذا الأمر؟ ولا يقلدهم في الحكم، فإذا عرّفوه بدليلهم فإن كان ذلك الدليل مما قد حصل له في اجتهاده فقدح فيه فلا يجب عليه النظر فيه ولا الحكم به فإنه قد تركه وراءه، وإن كان لم يعثر عليه فيما عثر من نظره فله عند ذلك النظر في دليل ذلك المجتهد المسؤول هل هو دليل في نظر هذا السائل المجتهد أو ليس بدليل؟ فإن أداه اجتهاده في أن ذلك هو دليل كما هو عند من اتخذه دليلاً تعين عليه العمل به، وإن قدح فيه بوجه لم يعثر ذلك الآخر عليه فإنه ليس له الأخذ به ولا تقليد ذلك المسؤول في الحكم الذي حكم هذا الدليل عليه عند ذلك المجتهد فهذا مانع، والقسم الآخر أن يعلم وجوب ذلك عليه من فعل أو ترك ثم يحول بينه

Marfat.com

وبين ذلك إن كان تركاً اضطرار، وإن كان أمراً فعدم استطاعة، وما ثم مانع آخر، هذا مع الحضور والنوع الآخر من الموانع الغفلة وهي على نوعين: غفلة عن كذا وغفلة في كذا، فالغفلة عن كذا ترك ذلك بالكلية وهو غير مؤاخذ بذلك عند الله فإن الله قد رفع عن عباده رحمة بهم الخطأ وهو حال المجتهد الذي ذكرناه آنفاً، والنسيان وهو الغفلة وما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به، فإن الكلام عمل فيؤاخذ به من حيث ما هو متلفظ به، فإن كان ليس لذلك المتلفظ به عمل إلا عين التلفظ كالغيبة والنميمة فإنه يؤاخذ بذلك بحسب ما يؤدي إليه ذلك التلفظ وإن كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه إلا عين ما تلفظ به فهو مسؤول عند الله من حيث لسانه.

ولا يدخل الهمّ بالشيء في حديث النفس فإن الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع، خلاف حديث النفس فإن لذلك مواطن فإنه من يرد في الحرم المكيّ بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم، سواء وقع منه ذلك الظلم الذي أراده أو لمم يقع، وأما في غير المسجد الحرام المكي فإنه غير مؤاخذ بالهم، فإن لم يفعل ما هم به كتب له حسنة إذا ترك ذلك من أجل الله خاصة، فإن لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه، فهذا الفرق بين الحديث النفسي والإرادة التي هي الهم، فهذا وأمثاله رحمة من الله بعباده.

وأما الغفلة في كذا فهو تكليف صعب لو كلفه الإنسان لكن الله ما آخذ عباده بالغفلة في كذا كما لم يؤاخذهم بالغفلة عن كذا، فإنه إذا غفل في كذا فإنه غفل عن جزء من أجزاء ما هو فيه شارع أو عامل فهو من غفلت عن كذا، وقد شرع الله للغافل في كذا في بعض الأعمال حكماً كالساهي في صلاته فإنه قد شرع له سجود السهو جبراً لما سها عنه وترغيماً للشيطان الذي وسوس له حتى وقع منه السهو والغفلة فيما هو فيه عامل، فإن تغافل حتى أوجب له ذلك التغافل الغفلة آخذه الله بها فإنه متعمل قاصد فيما يحول بينه وبين ما أوجب الله عليه فعله أو تركه، فإذا غفل الإنسان أو سها عن عبوديته ورأى له فضلاً على عبد آخر مثله ولا سيما إن كان العبد الآخر ملك يمينه أو يكون هذا الغافل من أولي الأمر كالسلطان والوالي فيرى لنفسه مزية على غيره ما يرى تلك المزية للمرتبة التي أقيم فيها إن كان من أولي الأمر ولا للصفة القائمة به من حيث الاختصاص الإلهيّ له بها كالعلم وكرم الأخلاق فلم يفرق بين نفسه والمرتبة ولا بين الصفة والموصوف بها، فإنه صاحب جهل وغفلة مردية ولهذا يقول في حالها: وأنت مثلي أو فلان مثلي أو يعادلني، ومن هو فلان؟ وأي شيء قيمة فلان؟ وهل هو إلا عبدي أو من رعيتي أو هو كذا من كل أمر مذموم ينزه نفسه عنه

Marfat.com

وينوطه بذلك الآخر، بخلاف من ليس بغافل عن نفسه فإنه يجعل الفضل للصفة والمرتبة لا لنفسه فإنه لم ينلها باستحقاق وإنما نالها بامتنان إلهيّ إما لشقاوته إن كفر بها أو لسعادته إن شكرها، ولولا حكم الجهل فيمن هذه صفته ما اتصف بهذا كله وتغافل فإنه مباهت، فهذا أعم في الجور، بل هو في هذه الحالة كصاحب اليمين الغموس والغافل كصاحب لغو اليمين، فإذا كان مستحضراً لحقيقته عالماً بأن الذي هو عليه مما حرمه غيره جائز أن يسلب عنه ويخلع على ذلك الغير الذي قد ازدراه لإهمال الله إياه فشكر نعمة الله عليه ودعا الله لذلك الغير أن ينيله مثل ما أعطاه الله وأدركته الشفقة فإنه وإن كان كافراً فهو أخوه من حيث أنه وإياه من نفس واحدة، وإن كان مؤمناً فهو أخوه إخوة اختصاص ديني سعادي، فعلى كل حال وجبت عليه الشفقة على خلق الله والرحمة بعباد الله، يقول رسول الله ﷺ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فأما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع، وأما نصرة الظالم فرحمة نبوية خفية فإنه علم أن الظلم ليس من شيم النفوس لأنها طاهرة الذات بالأصالة، فكلما ينقص طهارتها فهو أمر عرضي عرض لها لما عندها من القبول في جبلتها، والذي من شيمها إنما هو القهر والظهور، ومن هنا دخل عليها إبليس بوسوسته، ولقد جهل القائل الذي قال:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وما أنصف وما قال حقاً، فلو قال بدل الظلم القهر من شيم النفوس فالظلم الذي يصدر من زيد في حق من كان ما هو منه وإنما هو ممن يلقي إليه وهو الشيطان، وللإنسان فيه مدافعة يجدها من نفسه لأن ذلك ليس من شيم النفوس، وإنما الذي من شأنه إنما هو جلب المنافع ودفع المضار، فدفع المضار به تشارك الحيوان كله، وجلب المنافع مما تختص به النفس الإنسانية، فإذا رأيت الحيوان يجلب المنافع فليس ذلك إلا لدفع المضار لا لأمر آخر، فكل ضرر يطرأ من الحيوان في حق حيوان آخر أو في حق إنسان إنما هو لدفع المضار عن نفسه خاصة.

ولما كانت نفس الإنسان بهذه المثابة ووقع منه الظلم في حق أحد فيسمى ظالماً فنصرة الظالم أن تنصره على إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه من الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته إذا كان ظالماً، ولذا جاء في الخبر في نصرة الظالم أن يأخذ على يده والمراد به ما ذكرناه ولهذا جاء بلفظ النصرة التي أوجبتها الإخوة لأنه لا بد أن تكون النصرة على شيء وما ثم إلا ما ذكرناه، لأن العدوّ الموسوس إليه في صدره يقول مقسماً بربه: ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ هم الذين أخلصهم الله إليه مما ألقى إليهم وفيهم من

Marfat.com

نور الحفظ والعصمة ولذلك قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي قوّة وقهر وحجة لأن الله تولى حفظهم وتعليمهم بما جعل فيهم من التقوى، فلما اتخذوا الله جل جلاله وقاية لم يجد اللعين من أين يدخل عليهم بشيء فإنه أينما تولى منه ليدخل عليه بما يخرجه عن دينه وعلمه وجد في تلك الجهة وجه الله يحفظه فلا يستطيع الوصول إليه بالوسوسة فيتجسد له في صورة إنسان مثله فيتخيل أنه إنسان ويأتيه بالإغواء من قبل أذنه، فيدخل له فيما حجر عليه تأويلاً أدناه أن يبيح له ذلك فلا يضره الوقوع فيه بسبب ذلك التأويل لعلمه بأن الإنسان لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسة من العدوّ الذي يزين له سوء عمله فيراه حسناً، فإذا جاء بهذه المثابة للعالم الذي ما له عليه سلطان بما ذكرناه من التأويل فيما يريد إيقاعه به صار ذلك العالم من أهل الاجتهاد، فإن أخطأه فله أجر، وإن أصاب فله أجران فهو مأجور على كل حال، فما تم له مراده، وإن نسي كما نسي آدم فإن الله تعالى الذي شرع المعصية والطاعة وبين حكمهما رفع حكم الأخذ بالمعصية في حق الناسي والمخطىء كما رفعها في حق المجتهد، فما تحرّك الإنسان إلا في أمر مشروع، فقد أحاط بالإنسان وجه الله ظاهراً وباطناً، فأينما تولاه الشيطان من ظاهر وباطن فثم وجه الله يحفظه فمما له عليه سلطان وهو قوله ﷺ في حق القرين «أعانني الله عليه» فأسلم برفع الميم على جهة الخبر فما له عليه سلطان أي حجة لأن الحجة هنا شرعية، فهو لو ألقى على ظاهره أو باطنه، وفي الشرع حكم برفع المؤاخذة فيما أتى به هذا العدوّ فما له عليه سلطان لأن الحجة الشرعية له «فللّه الحجة البالغة» وقوله: فأعانني الله عليه هي نصرة الله له بالحجة فلا يبالي ولهذا شرع لعباده أن يقولوا: ﴿وإياك نستعين﴾ أي بك نستنصر، وما ثم إلا العلم فهو خبر ناصر يعطيه الله عبده، والذي نسي آدم إنما هو قوله تعالى له: ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ فنسي ما أخبره الله به من عداوته فقبل نصيحته.

ولما علم إبليس أن آدم محفوظ من الله ورأى الله قد نهاه عن قرب الشجرة لا قرب الثمرة جاء بصورة الأكل لا بصورة القرب فإنه علم أنه لا يفعل لنهي ربه إياه عن قرب الشجرة فأتاه بثمرها فأكل آدم وزوجته حوّاء وصدقا إبليس وهو الكذوب في قوله: ﴿وهل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ وكذلك كان أورثه ذلك الأكل منها الخلد في الجنة والملك الذي لا يبلى، وما قال له متى وجعل ذلك من خاصية تلك الشجرة فيمن أكل منها فأورثه الاجتباء الإلهي فأهبطه الله للخلافة في الأرض تصديقاً لما قاله للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وأهبط حوّاء للنسل، وأهبط إبليس للإغواء ليحور عليه جميع ما

Marfat.com

يغوي به بني آدم إذا عمت الناس رحمة الله، فجعل الله كل مخالفة تكون من الإنسان من إلقاء العدوّ وإغوائه فقال: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ أي بإظهارها يعني بذلك وقوعها منكم لما علم أن الإنسان قد رفع عنه الحق ما حدث به نفسه وما هم به من السوء إلا أن يظهر ذلك على جوارحه بالعمل وهو الفحشاء فقال تعالى: ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ لما وقع منكم من الفحشاء التي أمركم بها الشيطان ﴿وفضلاً﴾ لما وعدكم به من الفقر، وهذه أعظم آية وأشدّها مرت على سمع إبليس فإنه علم أنه لا ينفعه إغواؤه ولهذا لا يحرص إلا على الشرك خاصة لكونه سمع الحق يقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ وتخيل أن العقوبة على الشرك لا ينتهي أمدها، والله ما قال ذلك فلا بد من عقوبة المشرك ومن سكناه في جهنم فإنه ليس بخارج من النار فهو مؤبد السكنى ولم يتعرض لانتهاء مدة العذاب فيها بالشقاء، وليس الخوف إلا من ذلك لا من كونها دار إقامة لمن يعمرها فصدق الله بكون المشرك مأخوذاً بشركه فهو بمنزلة إقامة الحد على من تعين عليه سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة، فهي حدود إلهية يقيمها الحق على عبده إذا لم يغفر له أسبابها، وجهل إبليس انتهاء مدة عقوبة المشرك من أجل شركه، ولهذا طمع إبليس في الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، وطمعه فيها من عين المنة لإطلاقها لأنه علم في نفسه أنه موحد، وإنما سماه الله كافراً في قوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾ لأنه يستر عن العباد طرق سعادتهم التي جاء بها الشرع في حق كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك فقال فيه: ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ ولم يقل من المشركين لأنه يخاف الله رب العالمين ويعلم أن الله واحد، وقد علم حال مآل الموحدين إلى أين يصير سواء كان توحيده عن إيمان أو عن نظر من غير إيمان كما قال عيسى عليه السلام لإبليس لما عجز إبليس أن يطيعه عيسى عليه السلام فقال له إبليس: يا عيسى قل لا إله إلا الله حرص أن يطيعه، فقال له عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك لا إله إلا الله وقد علم إبليس أن جهنم لا تقبل خلود أهل التوحيد فيها وأن الله لا يترك فيها موحداً بأي طريق كان توحيده، فعلى هذا القدر اعتمد إبليس في حق نفسه فعلم من وجه وجهل من وجه إذ لا يعلم الشيء من جميع وجوهه إلا الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علماً، سواء كان الشيء ثابتاً أو موجوداً أو متناهياً أو غير متناه:

قال لي الحق في ضميري	ما أجهل الخلق بالأمور
ما عرف الأمر غير شخص	منبىء عالم خبير
مهيىء للهدى معد	ندب بأمر الورى بصير

Marfat.com

قــد علــم الحــق علــم ذوق ... ليــس بحــدس ولا شعــور
ولا تنــاء ولا تــدان ... ولا خفــاء ولا ظهــور

(الوصل التاسع من خزائن الجود): قال تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ فهو التفاف لا ينحل فإنه تعالى تمم فقال: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ فأتى بالاسم الذي يعطي الثبات والأمر ملتف بالأمر وإلى الرب المساق، فلا بد من ثبات هذا الالتفاف في الدار الآخرة، فعين أمر الدنيا عين أمر الآخرة، غير أن موطن الآخرة لا يشبه موطن الدنيا لما في الآخرة من التخليص القائم بوجود الدارين، فوقع التمييز بالدار والكل آخرة فالتف أمر الدنيا بأمر الآخرة، لا عين الدنيا بأمر الآخرة ولا عين الدنيا بعين الآخرة، ولكل دار أهل وجماعة والأمر ما هو عليه ذلك الجميع وإن اختلفت الأحوال فلا تزال الناس في الآخرة ينتقلون بالأحوال كما كانوا في الدنيا ينتقلون بالأحوال والأعيان ثابتة فإن الرب يحفظها، فالانتقال هو الجامع وفيماذا ينتقلون فذلك علم آخر يعلم من وجه آخر، فمن كون الآخرة دار جزاء كما كانت الدنيا دار جزاء في الخير والشر ظهر في الآخرة ما ظهر من سعادة وشقاء، فالشقاء للغضب الإلهي، والسعادة للرضى الإلهيّ، فالرضى بسط الرحمة من غير انتهاء، والغضب منقطع بالخبر النبوي فينتهي حكمه ولا ينتهي حكم الرضى، ولا سيما وقد قدمنا في كتابنا هذا أن الإنسان ولد على الفطرة وهي العلم بوجود الرب أنه ربنا ونحن عبيد له، وأن الإنسان لا يقبض حين يقبض إلا بعد كشف الغطاء فلا يقبض إلا مؤمناً ولا يحشر إلا مؤمناً، غير أن الله لما قال: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ فما آمنوا إلا ليندفع عنهم ذلك البأس فما اندفع عنهم وأخذهم الله بذلك البأس وما ذكر أنه لا ينفعهم في الآخرة، ويؤيد ذلك قوله: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ حين رأوا البأس ﴿وكشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ فهذا معنى قولنا: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ في رفع البأس عنهم في الحياة الدنيا كما نفع قوم يونس فما تعرض إلى الآخرة، ومع هذا فإن الله يقيم حدوده على عباده حيث شاء ومتى شاء، فثبت انتقال الناس في الدارين في أحوالهم من نعيم إلى نعيم، ومن عذاب إلى عذاب، ومن عذاب إلى نعيم من غير مدة معلومة لنا، فإن الله ما عرفنا إلا أنا استروحنا من قوله: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ أن هذا القدر مدة إقامة الحدود والله أعلم فإنه لا علم لي بذلك من طريق الكشف، فرحم الله عبداً أطلعه الحق على انتهاء مدة الشقاء فيلحقها في هذا الموضع من كتابي هذا فإني علمت ذلك مجملاً من غير تفصيل ولما كان ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾

Marfat.com

والرب المصلح فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة، هكذا جاء في الخبر النبوي في الرجلين يكون لأحدهما حق على الآخر فيقفان بين يدي الله تعالى فيقول: رب خذ لي بمظلمتي من هذا، فيقول له: ارفع رأسك فيرى خيراً كثيراً، فيقول المظلوم: لمن هذا يا رب؟ فيقول: لمن أعطاني الثمن، فيقول: يا رب ومن يقدر على ثمن هذا؟ فيقول له: أنت بعفوك عن أخيك، فيقول: قد عفوت عنه فيأخذ بيده فيدخلان الجنة، فقال رسول الله ﷺ عند إيراده هذا الخبر: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة الكريم إذا كان من شأنه أن يصلح بين عباده بمثل هذا الصلح حتى يسقط المظلوم حقه ويعفو عن أخيه، فالله أولى بهذه الصفة من العبد في ترك المؤاخذة بحقوقه من عباده، فيعاقب من شاء بظلم الغير لا بحقه المختص به، ولهذا الأخذ بالشرك من ظلم الغير فإن الله ما ينتصر لنفسه وإنما ينتصر لغيره، والذي شاء سبحانه ينتصر له، فإن الشركاء يتبرؤون من أتباعهم يوم القيامة، والرب أيضاً المغذي والمربي فهو يربي عباده، والمربي من شأنه إصلاح حال من يربيه، فمن التربية ما يقع بها الألم كمن يضرب ولده ليؤدبه وذلك من جملة تربيته وطلب المصلحة في حقه لينفعه ذلك في موطنه، كذلك حدود الله تربية لعباده حيث أقامها الله عليهم فهو يربيهم بها لسعادة لهم في ذلك من حيث لا يشعرون، كما لا يشعر الصغير بضرب من يربيه إياه، والرب أيضاً السيد والسيد أشفق على عبده من العبد على نفسه فإنه أعلم بمصالحه، ولن يسعى سيد في إتلاف عبده لأنه لا تصح له سيادة إلا بوجود العبد فإنها صفة إضافية، فعلى قدر ما يزول من المضاف يزول من حكم المضاف إليه، كالسلطان إذا لم يكن شغله دائماً في أمور رعيته وإلا فما له من السلطنة إلا الاسم وهو معزول في نفس الأمر فإن المرتبة لا تقبله سلطاناً إلا بشروطها، فعلى قدر ما يشتغل عن رعيته بنفسه في لهوه وطربه فهو إنسان من جملة الناس لا حظ له في السلطنة وينقصه في الآخرة من أجر السلطنة وعزها وشموخها على قد ما فرط فيه من حقها في الدنيا بلهوه ولعبه وصيده وتغافله عن أمور رعيته، وإذا سمع السلطان باستغاثة بعض رعيته عليه فلم يلتفت لذلك المستغيث ولا قضى فيه بما تعطيه مسألته إما له وإما عليه، فقد شهد على نفسه بهذا الفعل أنه معزول وأنه ليس بسلطان ولا فرق بينه وبين العامة، فما يقع مثل هذا إلا من سلطان جاهل لا معرفة له بقدر ما ولاه الله عليه، ولا غرو أن هذا الفعل يوجب أن يحور عليه وباله يوم القيامة وتقوم عليه الحجة عند الله لرعيته فيبقى موبقاً بعمله ولا ينفعه عند ذلك لهوه ولا ماله ولا بنوه ولا كل ما شغله عما تطلبه السلطنة بذاتها.

Marfat.com

وأما الرب الذي هو المالك فلشدة ما يعطيه هذا الاسم من النظر فيما تستحقه المرتبة فيوفيها حقها فقد بان لك في هذا المساق معنى اختصاص هذا الاسم الرب الذي إليه المساق عند التفاف الساق بالساق، فبه انتظم الأمران وثبت الانتقالان. ومن علم ثبوت الوجود ومن هو مالكه وسيده ومصلحه والثابت له حكمه فيه علم أن الرب مالكه. ومن علم منزلة عبوديته علم منزلة سيادة سيده فخافه ورجاه وصدقه في أمنه إذا أمنه لعلمه بأنه السيد الوفي الصادق الغني، ومهما تهدم شيء من بيت الوجود رمه هذا السيد بيد عبده لأنه آلته في ذلك والمستخدم فعلى يده يكون صلاح ما تهدم منه ويأمره سيده في ذلك إما بمشافهة أو بتبليغ مبلغ يبلغ إليه من السيد بإصلاحه، أو صورة حال تعطيه إصلاح ذلك من غير توقف على الأمر الآتي من عند السيد كالرهبانية الحسنة التي ابتدعها من ابتدعها فهو مأجور فيها موافقة بصورة الحال لما في نفس السيد، وإن لم يأمر بها في النواميس في أهل الفترات فإن الشرع ما جاء إلا لمصالح الدنيا والآخرة، فالآخرة لا تعرف إلا بأخبار خالقها وأنها في حكم العقل ممكنة والدنيا ومصالحها معلومة لأنها واقعة مشهودة، فللنظر في مصالحها مجال بخلاف الآخرة، فلا تتوقف مصالح الدنيا على ما تتوقف عليه مصالح الآخرة، ولهذا ما خلت طائفة من ناموس تكون عليه لأن طلب المصالح ذاتي في الحيوان فكيف في الإنسان صاحب الفكر والروية؟ فمن تدبر هذا الوصل رأى عجباً وعلم علماً يعطيه الرفعة في الدنيا والآخرة وينضم إليه علم الجمع والفرق الذي في عين الجمع، وعلم الأحوال والشؤون، وعلم الزمانين، وعلم ما يختص بالكون، وعلم القلوب التي وسعت الحق جل جلاله، وعلم ما يقع به البقاء لهذا الوجود أعني الموجودات كلها، وعلم العاقبة وهو وصل شريف:

إذا صحت عبودة كل عبد ... تصح له السيادة في الوجود
فيحكم مثل سيده وتبدو ... عليه بذاك أعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه ... بأن الأمر فيه من الشهود
له تعنو الوجوه إذا تبدى ... كما عنت الملائك بالسجود
فيسمو رفعة ويذل عزا ... فيدعى بالمراد وبالمريد

(الوصل العاشر من خزائن الجود): وهذا وصل الأذواق وهو العلم بالكيفيات فهي لا تقال إلا بين أربابها إذا اجتمعوا على اصطلاح معين فيها، وأما إذا لم يجتمعوا على ذلك فلا

Marfat.com

تنقال بين الذائقين، وهذا لا يكون إلا في العلم بما سوى الله مما لا يدرك إلا ذوقاً كالمحسوسات واللذة بها وبما يجده من التلذذ بالعلم المستفاد من النظر الفكري فهذا يمكن فيه الاصطلاح بوجه قريب. وأما الذوق الذي يكون في مشاهدة الحق فإنه لا يقع عليه اصطلاح فإنه ذوق الأسرار وهو خارج عن الذوق النظري والحسي، فإن الأشياء أعني كل ما سوى الله لها أمثال وأشباه فيمكن الاصطلاح فيها للتفهيم عند كل ذائق له فيها طعم ذوق من أي نوع كان من أنواع الإدراكات، والباريء ليس كمثله شيء، فمن المحال أن يضبطه اصطلاح فإن الذي يشهد منه شخص ما هو عين ما شهده شخص آخر جملة واحدة وبهذا يعرفه العارفون، فلا يقدر عارف بالأمر أن يوصل إلى عارف آخر ما يشهده من ربه لأن كل واحد من العارفين شهد من لا مثل له ولا يكون التوصيل إلا بالأمثال، فلو اشتركا في صورة لاصطلحا عليها بما شاء، وإذا قبل ذلك واحد جاز أن يقبل جميع العالم، فلا يتجلى في صورة واحدة لشخصين من العارفين، ولكن قد رفع الله بعض عباده درجات لم يعطها لغير عباده الذين لم يصح لهم هذه الدرجات وهم العامة من أهل الرؤية فيتجلى لهم في صور الأمثال، ولهذا تجتمع الأمة في عقد واحد في الله فيعتقد كل واحد من تلك الطائفة المعينة في الله ما يعتقده الآخر منها، كمن اتفق من الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة والقدماء فقد اتفقوا على أمر واحد لم تختلف فيه تلك الطائفة فجاز أن يصطلحوا فيما اتفقوا عليه، وأما العارفون أهل الله فإنهم علموا أن الله لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة مرتين فلم ينضبط لهم الأمر لما كان لكل شخص تجل يخصه ورآه الإنسان من نفسه، فإنه إذا تجلى له في صورة ثم تجلى له في صورة غيرها فعلم من هذا التجلي ما لم يعلمه من هذا التجلي الآخر من الحق هكذا دائماً في كل تجل علم أن الأمر في نفسه كذلك في حقه وحق غيره، فلا يقدر أن يعين في ذلك اصطلاحاً تقع به الفائدة بين المتخاطبين فهم يعلمون ولا ينقال ما يعلمون ولا في قوة أصحاب هذا المقام الأبهج الذي لا مقام في الممكنات أعلى منه أن يضع عليه لفظاً يدل على ما علمه منه إلا ما أوقعه تعالى وهو قوله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى المماثلة، فما صورة يتجلى فيها لأحد تماثل صورة أخرى:

فعـز الأمـر أن يـدري فيحكـي وجـل فليـس يضبطـه اصطـلاح
فتجهلــه العقــول إذا تــراه تعبــر عنــه ألسنــة فصــاح
مــن أقــوام مقلــدة عقــولاً لا مكــان يكــون بــه الصــلاح

Marfat.com

فهم بالفكر قد جمعوا عليه ... على جهل فخانهم الفلاح
وقال العارفون بما رأوه ... فما اصطلحوا فجاءهم النجاح
فليس كمثله في الكون شيء ... وليس له بنا إلا السراح

فبتقييدنا حكمنا عليه بالإطلاق، وأما الأمر في نفسه فغير منعوت بتقييد ولا إطلاق بل وجود عام فهو عين الأشياء وما الأشياء عينه، فلا ظهور لشيء لا تكون هويته عين ذلك الشيء، فمن كان وجوده بهذه المثابة كيف يقبل الإطلاق أو التقييد هكذا عرفه العارفون، فمن أطلقه فما عرفه ومن قيده فقد جهله:

فالله ليس سواه مشهوداً لنا ... وهو المنزه والمجمع بيننا
فالقيد والإطلاق فيه واحد ... وكلاهما حكم عليه له بنا
فانظر إليه بعينه إن كنت ذا ... لب تجده بالسريرة معلنا
هذا هو الحق الصريح لمن يرى ... ما قد رأيت مبرهناً ومبينا

واعلم أن الله تعالى ما جعل للأرواح أجنحة إلا للملائكة منهم لأنهم السفراء من حضرة الأمر إلى خلقه، فلا بد لهم من أسباب يكون لهم بها النزول والعروج فإن موضوع الحكمة يعطي هذا، فجعل لهم أجنحة على قدر مراتبهم في الذي يسرون به من حضرة الحق أو يعرجون إليه من حضرة الخلق، فهم بين الخلق والأمر يتردّدون ولذلك قالوا: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ فاعلم ذلك، فإذا نزلت هذه السفرة على القلوب فإن رأتها قلوباً طاهرة قابلة للخير أعطتها من علم ما جاءت به على قدر ما يسعها استعدادها، وإن رأتها قلوباً دنسة ليس فيها خير نهتها عن البقاء على تلك الحال وأمرتها بالطهارة بما نص لها الشارع إن كان في العلم بالله فبالعلم به مما يطلبه الفكر وجاء به الخبر النبوي عن الله، وإن كان في الأكوان فبعلم الأحكام واعتقاداتها، هذا ويلزمه حكمها في ذلك إذا وجدت القلوب وإذا لم تجدها كقلوب العارفين الذين هم في ﴿ليس كمثله شيء﴾ فلا تعرف الملائكة أين ذهبوا فهؤلاء هم الذين يأخذون عن الله من الوجه الخاص ما هم عليه من الأحوال فيجهلون ويؤخذ عليهم ما يأتون به، ومن هنا أخذ خضر علمه، فهؤلاء ينكر عليهم ولا ينكرون على أحد إلا بلسان الشرع، فلسان الشرع هو الذي أنكر لا هم كالمسبح بحمد الله، فالله هو الذي أثنى على نفسه بما يعلم نفسه عليه، فإن قام فضول بالإنسان واستنبط له ثناء لم يجيء بذلك اللفظ خطاب إلهيّ فما سبحه بحمده بل بما استنبطه من عنده فينقص عن درجة ما ينبغي فقل

Marfat.com

ما قاله عن نفسه ولا تزد في الرقم، وإن كان حسناً فقد أبنت لك ما إذا عملت به كنت من أهل الحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل الأحد عشر من خزائن الجود)

النـار نـاران نـار الله واللهـب ... والـدار داران دار الفـوز والعطـب
وكلهـا سبـب مـن كـون منشئهـا ... فاجزع من الكون لا تجزع من السبب
وخـف مـن العلـم إن العلـم يحكمـه ... واجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب

اعلم علمك الله أن النار جاء بها الحق مطلقة مثل قوله تعالى: ﴿النار﴾ بالألف واللام حيث جاءت وجاء بها مضافة، فمنها نار أضافها إلى الله مثل قوله: ﴿نار الله الموقدة﴾ ونار أضافها إلى غير الله مثل قوله ﴿لهم نار جهنم﴾ ثم نعت هذه النار بنعوت وأخبر عنها بأخبار من الوقد والإطباق وغير ذلك، وجعل لها حكماً في الظاهر فجعلها ظرفاً مثل قوله: ﴿فإن له نار جهنم خالداً فيها﴾ فجاء بالظرف وحكماً في الباطن وهو أن يكون ظاهر العبد ظرفاً لها وهي: ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة﴾ والأفئدة باطن الإنسان فهي تظهر في فؤاد الإنسان، وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة، والعبد منشأ النارين في الحالين، فما عذبه سوى ما أنشأه، كذلك ما أغضب الحق سوى ما خلقه، فلولا الخلق ما غضب الحق، ولولا المكلف الذي أنشأ صورة النارين بعمله الظاهر والباطن ما تعذب بنار، فما جنى أحد على أحد في الحقيقة والنظر الصحيح:

فـلا تعمـل فـلا تشقـى ... فكـن عبـداً وكـن حقـا
فمـا ثـم سـوى مـا قلـ ... ـتـه فـانظـر تـر الحقـا
عـذاب الخلـق بـالخلـق ... فحقـاً كنـت أو خلقـا

ومن ذلك:

فالنار منك وبالأعمال توقدها ... كما بصالحها في الحال تطفيها
فأنت بالطبع منها هارب أبداً ... وأنت في كل حال فيك تنشيها
أما لنفسك عقل في تصرّفها ... وقد أتيت إليها اليوم أنبيها
قبل الممات فإن الله قال لنا ... بأنه يوم عرض الخلق يملؤها

واعلم أنه تعالى لما ذكر على ألسنة رسله عليهم السلام: إن الله يغضب يوم القيامة

Marfat.com

غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأن الحق إذا قالت النار هل من مزيد لأنه وعدها أن يملأها وهي دار الغضب قال: فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي قد امتلأت وليست تلك القدم إلا غضب الله فإذا وضعه فيها امتلأت فإنها دار الغضب، واتصف الحق بالرحمة الواسعة فوسعت رحمته جهنم بما ملأها به من غضبه فهي ملتذة بما اختزنته ورحم الله من فيها أعني في النار الذين هم أهلها فيجعل لهم من هذه الرحمة نعيماً فيها، كما نعم جهنم بما وضع فيها من الغضب الإلهيّ، فإن المخلوق الذي من حقيقته أن يفنى لا يملؤه مخلوق فإنه كل ما حصل منه فيه أفناه كما ورد في نضج الجلود فلا يملؤ مخلوقاً إلا الحق وغضب الله حق، فأنعم على جهنم به فوضعه فيها فامتلأت بحق كما امتلأت الجنة برضى الحق ورحمته:

قد وسع الحق كل شيء ... لأنه عين كل شيء
فما ترى فيه غير حق ... في كل نور وكل فيء

ومن ذلك:

فنار الله ليس سوى وجودي ... ونار جهنم ذات الوقود
بآلهة تعبدها أناس ... وهم فيها على حكم الخلود

ولقد رأيت في هذا الوصل مشهداً هالني في الواقعة وتليت عليّ سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات عرضاً علي فكان من صورة ما تلته: ﴿ثلة من الأوّلين﴾ ﴿ثلة من الآخرين﴾ بحذف واو العطف ولم يكن عندي من ذلك سرّ قبل هذا فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل فرجعت إلى نفسي وعلمت ما نبهني الحق به في ذلك الحذف من الاقتطاع بين العالم فإذا جاء بالواو راعى ما يقع فيه الاشتراك في الصورة الظاهرة والمفهوم الأوّل، وإذا أزال الواو راعى ما يقع به التمييز والانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء لأنه لا حقيقة له إلا بما يتميز به، فعلمت ما أراد بحذف الواو من نطقها بذلك وهو الله ليعلم أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ مع وجود الأشياء وأنه بعدمها ووجودها منفي المماثلة وما بقي الأمر إلا هل هو منفي المناسبة أم لا، لأن الإيجاد بغير المناسبة لا يتصوّر، وقد حصل الإيجاد وظهر المخلوق فعلمنا أن المناسب لا بدّ منه، ولا يعطي المماثلة أصلاً لأن الخلق كله لله والأمر كله لله فلا شركة، فارتفعت المماثلة مع وجود المناسب الذي يطلبه الحق بذاته، وكل خلق أضيف إلى خلق فمجاز وصورة حجابية ليعلم العالم من الجاهل، وفضل

Marfat.com

الخلق بعضهم على بعض ليتحقق الشكر من الفاضل والطلب والافتقار من المفضول، فيزاد الفاضل لشكره، ويعطي المفضول لطلبه فكل في مزيد ولا يرتفع التفاضل كلما ارتقى الفاضل بالمزيد درجة ارتقى المفضول خلفه يطلبه درجة فالكل في ارتقاء من غير لحوق:

نـاداني الحق من وجودي ... في كل حال على الشهود
امتلأت ذاتكم فقلنا ... ملا محال هل من مزيد
ما يملأ الكون غير من قد ... جاد على الخلق بالوجود
وذلك الحق لا سواه ... ما رتبة الرب كالعبيد
من علم الحق علم ذوق ... لم يدر ما لذة السجود

فنار جهنم لها نضج الجلود وحرق الأجسام، ونار الله نار ممثلة مجسدة لأنها نتائج أعمال معنوية باطنة، ونار جهنم نتائج أعمال حسية ظاهرة ليجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل بأهل الجزية في إعطائها عن يد وهم صاغرون فعذبهم بعذاب إخراج المال من أيديهم وبين الصغار والقهر الذي هو عذاب نفوسهم مما يجدون في ذلك من الحرج، ألا ترى المنافق في الدرج الأسفل من النار فهو في نار الله لما كان عليه من إصرار الكفر وما له في الدرك الأوّل مقعد لما أتى به من الأعمال الظاهرة بخلاف الكافر فإن له من جهنم أعلاها وأسفلها فما عنده من يعصمه من نار الله ولا من نار جهنم، وأما حكم الذي جحدها واستيقن الحق واعتقده فإنه على ضدّ أو عكس عذاب المنافق فإنه علم بالحق يتحقق به في نفسه ولم يظهر ذلك على ظاهر نشأته فأظهر خلاف ما أضمر، والنار إنما تطلب من الإنسان من لم تظهر عليه صورة حق من ظاهر وباطن، فالعلم للباطن كالعمل للظاهر والجهل للباطن كترك الواجب للظاهر، وهنا يتبين للإنسان مراتب وأسباب المؤاخذات الإلهية لعباده في الدار الآخرة، فإذا استوفيت الحدود عمت الرحمة من خزانة الجود وهو قوله: ﴿وأما الذين شقوا ففي النار خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ الآية، وهذا هو الحد الزماني لأن التبديل لا بد أن يقع بالسموات والأرض فتنتهي المدة عند ذلك وهو في حق كل إنسان من وقت تكليفه إلى يوم التبديل لأنه غير مخاطب ببقاء السموات والأرض قبل التكليف، وهذا في حق السعيد والشقي فهما في نتائج أعمالهما هذه المدة المعينة فإذا انتهت انتهى نعيم الجزاء الوفاق وعذاب الجزاء، وانتقل هؤلاء إلى نعيم المنن الإلهية التي لم يربطها الله بالأعمال ولا خصها بقوم دون قوم وهو ﴿عطاء غير

Marfat.com

مجذوذ﴾ ماله مدة ينتهي بانتهائها، كما انتهى الكفر والإيمان هنا بانتهاء عمر المكلف، وانتهت إقامة الحدود في الأشقياء والنعيم الجزائي في السعداء بانتهاء مدة السموات والأرض ﴿إلا ما شاء ربك﴾ في حق الأشقياء ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾.

وكذا وقع الأمر بحسب ما تعلقت به المشيئة الإلهية وما قال تعالى في الأشقياء عذاباً غير مجذوذ كما قال تعالى في السعداء فعلمنا بذكر مدة السماء والأرض وحكم الإرادة في الأشقياء والإعراض عن ذكر العذاب أن للشقاء مدة ينتهي إليها حكمه وينقطع عن الأشقياء بانقطاعها وأن جزاء السعيد على مثل ذلك، ثم تعم المنن والرضى الإلهيّ على الجميع في أي منزل كانوا، فإن النعيم ليس سوى ما يقبله المزاج، وغرض النفوس لا أثر للأمكنة في ذلك، فحيثما وجد ملايمة الطبع ونيل الغرض كان ذلك نعيماً لصاحبه فاعلم ذلك، ومتعلق الاستثناء معلوم في الطائفتين لما كان عليه الكافر من نعيم الحياة الدنيا من نيل أغراضه وصحة بدنه، ولما كان عليه المؤمن من عدم نيل أغراضه وأمراضه في الدنيا كل ذلك من زمان تكليف كل واحد من الطائفتين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل الثاني عشر من خزائن الجود: وهو الإهمال الإلهيّ فلا يدري صاحبه ما له، فإن كل عبد استحق العقاب على مخالفته لما جاء الرسول إليه به فقد أمهله الله وما أخذه وهو تحت حكم سلطان الاسم الحليم فهو كالمهمل فلا يدري هل تسبق له العناية بالمغفرة والعفو قبل إقامة الحد الإلهيّ عليه بالحكم أو يؤخذ فيقام عليه حدود جناياته إلى أجل معلوم، ولما كان هذا الاحتمال يسوغ فيمن أمهله الله كانت صورة صاحب هذا الوصف صورة المهمل فإن الإهمال من جانب الحق ما يصح فإنه في علم الله السابق إمّا مغفور له وإما مؤاخذ بما جنى على نفسه، فهو على خطر وعلى غير علم بما سبق له في الكتاب الماضي الحكم فإن الحكم يحكم على الحاكم العادل كما يحكم على المحكوم عليه فإما بالأخذ وإما بالعفو في الشخص الذي هو على نعت وحال يوجب له أحد الأمرين بما ذكرناه وليس إلا من أمهله الله فلم يؤاخذه في وقت المخالفة، وكفى بالترقب للعارف العاصي الممهل الذي هو في صورة المهمل عذاباً في حقه لأنه لا يدري ما عاقبة الأمر فيه، وما من طائفة إلا وهي تحت ناموس شرعي حكمي أو وضع حكمي فلا تخلو أمة من مخالفة تقع منها لناموسها كان ما كان، فلا ينفك صاحب هذه المخالفة من مراقبة العفو أو المؤاخذة على ما قرّره عليه واضع ناموسه، فقد عمت النواميس جميع الأمم وهو قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ فهو إما نذير بأمر الله وإرادته أو نذير بإرادة الله لا بوحي نزل عليه

Marfat.com

يعلم به أنه من عند الله، فأمر الله إنما متعلقه عين إيجاد إنذاره فيه فقيل لإنذاره كن في هذا العبد فكان فوجد الإنذار في نفسه ولم يدر من أين جاء، فهذا الفرق بين الشرع الإلهيّ الذي جاءت به الرسل من عند الله وبين ما وضعته حكماء الأعصار لاتباعها لمصالحهم، فمن وفى بحق ناموسه واحترمه ووقف عند حده ابتغاء رضوان الله فقد أحسن في عمله ﴿وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه أو تعلم أنه يراك، فهذا هو الحد الضابط للإحسان في العمل وما عدا هذا فهو سوء عمله، فإن كان ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فلا يخلو إما أن تكون رؤية سوء العمل حسناً بعد اجتهاد يفي بما في وسع ذلك الشخص المجتهد فقد وفى الأمر حقه وهو صاحب عمل حسن، ويكون حكم كونه سوء عمل يراه في اجتهاده سوء عين حكم المصيب للحق صاحب الأجرين، ويكون هذا المزين له بهذه الصفة صاحب الأجر الواحد وإن لم يكن عن استيفاء الاجتهاد بقدر الوسع ورآه حسناً عن غير اجتهاد فهو في المشيئة فلا يدري بما ختم له ولماذا يؤول أمره في مدة إقامة الحدود في الدنيا والآخرة فإنه ممن أسرف على نفسه، فإن قنط من رحمة الله فما وفى الأمر حقه وساء ظناً بربه والرب عند ظن عبده به، وقد نهى الله المسرف على نفسه عن القنوط فهل قنوطه بارتكاب هذا المنهي عنه الآتي بعد حصول إسرافه معتبر له أثر يحول بين المغفرة وبين صاحبه أو حكمه حكم كل إسراف سواه، فهذا أيضاً ممهل لا يدري ما الأمر فيه إذا أنصف الناظر لأنه قال: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ مع ارتفاع القنوط أو مع وجوده إلا المشرك الذي لم يبذل وسع نفسه في طلبه عدم الكثرة في الاسم الإلهيّ فإنه لا بد من مؤاخذته، فتعين على العاقل معرفة المدد الزمانية واختلاف الأزمان والدهور والأعصار وما يجري من ذلك إلى أجل مسمى في الأشخاص المقول عليها أنها أزمان، وما يجرى منها إلى غير أجل مسمى، وما الحق الذي يوجب الشكر، وما الحق الذي يوجب الصبر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما الإيمان فهو أمر عام، وكذلك الكفر الذي هو ضده فإن الله قد سمى مؤمناً من آمن بالحق، وسمى مؤمناً من آمن بالباطل، وسمى كافراً من يكفر بالله، وسمى كافراً من يكفر بالطاغوت، وبين مآل هؤلاء وهؤلاء والطريق التي جاءت ببيانها أيده بالدلالات على صحته أنه من عند الله المرجو في كل ملة ونحلة وعند كل طائفة، والأعمال الصالحة رأسها الإيمان فهي تابعة له كان الإيمان بما كان، وما في الأمور الوجودية أغمض من هذه المسألة لأن الله قرن العمل السيىء بالتزيين حتى يراه العامل حسناً فيتخذه صالح عمل وعلى الله

Marfat.com

قصد السبيل، فجاء بالألف واللام للشمول في السبيل فإنها كلها سبل يراها من جاهد في الله، فأبان له ذلك الجهاد السبل الإلهية فسلك منها الأسدّ في نفسه وعذر الخلق فيما هم عليه من السبل وانفرد بالله فهو على نور من الله:

إذا عــرف الله مـــن فعلـــه ... فـإهمـالـه عيـن إمهـالـه
فعيـــن تـــراه بتفصيلـــه ... وعيـن تـراه بـإجمـالـه
فقــوم علـى حكـم إحسـانـه ... وقـوم علـى حكـم إجـلالـه
فيقبــض شخصـاً بتعـريفـه ... ويبسـط شخصـاً بـإهمـالـه
فسبحـان مـن حكمـه واحـد ... بـإعـراضـه أو بـإقبـالـه
وسبحـان مـن عـم إحسـانـه ... بـأدلالـه أو بـإدلالـه
وكـل بـإعـداده قـابـل ... لخسـرانـه ولإفضـالـه

والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(الوصل الثالث عشر من خزائن الجود): مآل الأمر الرجوع من الكثرة إلى الواحد من مؤمن ومشرك لأن المؤمن الذي يعطي كشف الأمور على ما هي عليه يعطي ذلك وهو قوله تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ وذلك قبل خروجه من الدنيا، فما قبض أحد إلا على كشف حين يقبض فيميل إلى الحق عند ذلك، والحق التوحيد والإيمان به، فمن حصل له هذا اليقين قبل الاحتضار فمقطوع بسعادته واتصالها، فإن اليقين عن النظر الصحيح والكشف الصريح يمنعه من العدول عن الحق فهو على بينة من الأمر وبصيرة، ومن حصل له هذا اليقين عند الاحتضار فهو في المشيئة وإن كان المآل إلى السعادة، ولكن بعد ارتكاب شدائد في حق من أخذ بذنوبه، ولا يكون الاحتضار إلا بعد أن يشهد الأمر الذي ينتقل إليه الخلق، وما لم يشاهد ذلك فما حضره الموت ولا يكون ذلك احتضاراً، فمن آمن قبل ذلك الاحتضار بنفس واحد أو تاب نفعه ذلك الإيمان والمتاب عند الله في الدار الآخرة وحاله عند قبض روحه حال من لا ذنب له، وسواء رده لذلك شدة ألم ومرض أوجب له قطع ما يرجوه من الحياة الدنيا أو غيره فهو مؤمن تائب ينفعه ذلك فإنه غير محتضر، فما آمن ولا تاب إلا لخميرة كانت في باطنه وقلبه لا يشعر بها، فما مال إلى ما مال إليه إلا عن أمر كان عليه في نفسه لم يظهر له حكم على ظاهره ولا له في نفسه إلا في ذلك

Marfat.com

الزمن الفرد الذي جاء في الزمان الذي يليه الاحتضار الذي يوجب له الإيمان المحصل في المشيئة:

فكم بين محكوم له بسعادة ... وما بين من تقضي عليه مشيئته
فذلك تخليص عزيز مقدّس ... وذاك على حال أرته حقيقته
فلولاه ما بانت عليه طريقته ... ولا شهدت يوماً عليه خليقته

فإذا انتقل العبد من الحياة الدنيا إلى حياة العرض الأكبر فإن الله عز وجل قد جعل في الكون قيامتين: قيامة صغرى وقيامة كبرى، فالقيامة الصغرى انتقال العبد من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ في الجسد الممثل وهو قوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته» ومن كان من أهل الرؤية فإنه يرى ربه فإن رسول الله ﷺ يقول لما حذر أمته الدجال إن الله لا يراه أحد حتى يموت والقيامة الكبرى هي قيامة البعث والحشر الأعظم الذي يجمع الناس فيه وهو في القيامة الكبرى أعني الإنسان ما بين مسؤول ومحاسب ومناقش في حسابه وغير مناقش وهو الحساب اليسير، وهو عرض الأعمال على العبد من غير مناقشة، والمناقشة السؤال عن العلل في الأعمال، فالسؤال عام في الجميع حتى في الرسل كما قال: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾ فالسؤال على نوعين: سؤال على تقرير النعم على طريق مباسطة الحق للمسؤول فهو ملتذ بالسؤال، وسؤال على طريق التوبيخ أيضاً لتقرير النعم فهو في شدة فقال ﷺ لأصحابه وقد أكلوا تمراً وماء عن جوع: «إنكم لتسألون عن نعيم هذا اليوم» وهذا السؤال موجه للإنذار والبشارة في قوم مخصوصين وهم أهل ذلك المجلس وهو تنبيه بما هو عليه الأمر في حق الجميع، فما خلق الله العالم بعد هذا التقرير إلا للسعادة بالذات، ووقع الشقاء في حق من وقع به بحكم العرض لأن الخير المحض الذي لا شرّ فيه هو وجود الحق الذي أعطى الوجود للعالم لا يصدر عنه إلا المناسب وهو الخير خاصة فلهذا كان للعالم الخير بالذات، ولكون العالم كان الحكم عليه بالإمكان لاتصافه بأحد الطرفين على البدل، فلم يكن في رتبة الواجب الوجود لذاته عرض له من الشر الذي هو عدم نيل الغرض وملايمة الطبع ما عرض لأن إمكانه لا يحول بينه وبين العدم، فبهذا القدر ظهر الشرّ في العالم، فما ظهر إلا من جهة الممكن لا من جانب الحق، ولذلك قال رسول الله ﷺ في دعائه ﷺ: «والخير كله في يديك والشرّ ليس إليك» وإنما هو إلى الخلق من حيث إمكانه:

فلذات الحق نحن السعدا ... ولا مكان الورى كان الشقا

Marfat.com

ولقــاء الحــق حــق واجــب ... فـابشـروا بكـل خيـر فـي اللقـا
فلنــا منــا فنــاء وبقــاء ... ولنــا منــه وجــود ولقــا
فهــو خيــر مــالــه ضـد يـرى ... فـإذا مـا الخيـر بـالخيـر التقـى
كـان خيـراً كـل مـا كـان بـه ... مـذهـب الشـرّ وأسبـاب التقـا

واعلم أن الأجسام نواويس الأرواح ومذاقها وهي التي حجبتها أن تشهد وتشهد فلا ترى ولا ترى إلا بمفارقة هذه الضرائح فناء عنها لا انفصالاً، فإذا فنيت عن شهودها وهي ذات بصر شهدت موجدها بشهودها نفسها، فمن عرف نفسه عرف ربه، كذلك من شهد نفسه شهد ربه، فانتقل من يقين علم إلى يقين عين، فإذا ردّ إلى ضريحه ردّ إلى يقين حق من يقين عين لا إلى يقين علم، ومن هنا يعلم الإنسان تفرقة الحق بأخباره الصدق بحق اليقين، وعين اليقين، وعلم اليقين، فاستقرّ عنده كل حكم في رتبته فلم تلتبس عليه الأشياء وعلم أنه لم تكذبه الأنباء، فمن عرف الله بهذا الطريق فقد عرف وعلم حكمة تكوين الجوهر في الصدف عن ماء فرات في ملح أجاج فصدفته جسمه ولمحه طبيعته ولهذا ظهر حكم الطبيعة على صدفته، فإن الملحة البياض وهو بمنزلة النور الذي يكشف به، فتحقق بهذا الدليل وعلى الله قصد السبيل.

(الوصل الرابع عشر) من خزائن الجود يقرع الأسماع ويعطي الاستمتاع ويجمع بين القاع واليفاع، لما كان المقصود من العالم الإنسان الكامل كان من العالم أيضاً الإنسان الحيوان المشبه للكامل في النشأة الطبيعية، وكانت الحقائق التي جمعها الإنسان متبددة في العالم، فناداها الحق من جميع العالم فاجتمعت فكان من جمعيّتها الإنسان فهو خزانتها، فوجوه العالم مصروفة إلى هذه الخزانة الإنسانية لترى ما ظهر عن نداء الحق بجميع هذه الحقائق، فرأت صورة منتصبة القامة مستقيمة الحركة معينة الجهات، وما رأى أحد من العالم مثل هذه الصورة الإنسانية، ومن ذلك الوقت تصوّرت الأرواح النارية والملائكة في صورة الإنسان وهو قوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ وقول رسول الله ﷺ: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً» فإن الأرواح لا تتشكل إلا فيما تعلمه من الصور ولا تعلم شيئاً منها إلا بالشهود، فكانت الأرواح تتصوّر في كل صورة في العالم إلا في صورة الإنسان قبل خلق الإنسان، فإن الأرواح وإن كان لها التصوّر فما لها القوّة المصوّرة كما للإنسان، فإن القوّة المصوّرة تابعة للفكرة التي هي صفة للقوّة المفكرة، فالتصوّر للأرواح من صفات ذات

Marfat.com

الأرواح النفسية لا المعنوية لا لقوّة مصوّرة تكون لها إلا أنها وإن كان لها التصوّر ذاتياً فلا تتصوّر إلا فيما أدركته من صور العالم الطبيعيّ، ولهذا كان ما فوق الطبيعة من الأرواح لا يقبلون التصوّر لكونهم لا علم لهم بصور الأشكال الطبيعية، وليس إلا النفس والعقل والملائكة المهيمون دنيا وآخرة فما فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم، وإن كان بعضهم كالنفس الكلي يعطي الإمداد بذاته لعالم الطبيعة من غير قصد كما تعطي الشمس ضوءها لذاتها من غير قصد منها لمنفعة أو ضرر وهذا معنى الذاتي لها، ونسبة العلم والعمل نسبة ذاتية لها لعلمها بنفسها لا بما فوقها من علتها وغيرها، وأمّا عملها فينسب إليها العمل كما ينسب إلى الشمس تبييض الشقة وسواد وجه القصار، وكما ينسب إلى النار التسخين والإحراق فيقال: بيضت الشمس كذا، وأظهرت الشمس كذا، وأحرقت النار كذا، وأنضجت كذا وسخنت كذا، فهكذا هو الأمر في العالم إن كنت ذا لب وفطنة، والله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ولهذا يتجلى في كل صورة، فجميع العالم برز من عدم إلى وجود إلا الإنسان وحده فإنه ظهر من وجود إلى وجود، من وجود فرق إلى وجود جمع، فتغير عليه الحال من افتراق إلى اجتماع، والعالم تغير عليه الحال من عدم إلى وجود، فبين الإنسان والعالم ما بين الوجود والعدم، ولهذا ليس كمثل الإنسان من العالم شيء:

فمــا أنــا مخضــة الــوجــود ... إلا لكــونــي مــن الــوجــود

ليــس لأمــر علــيّ حكــم ... مــن عــدم يقضــي فــي وجــود

فليس لـي فـي الكتـاب مثـل ... إذاقــة لــذة المــزيــد

لــذلــك اختــص بــالسجــود ... كــونــي وكــوّنــت للسجــود

اسجــد لــي الأمــر كــل كــون ... إلا الــذي قــال بــالجحــود

ولما تحلل الجامد تغيرت الصور فتغير الاسم فتغير الحكم، ولما تجمد المائع تغيرت الصورة فتغير الاسم فتغير الحكم فنزلت الشرائع تخاطب الأعيان بما هي عليه من الصور والأحوال والأسماء، فالعين لا خطاب عليه من ذاته ولا حكم عليه من حقيقته، ولهذا كان له المباح من الأحكام المشروعة، وفعل الواجب والمندوب والمحظور والمكروه من الملمات الغريبة في وجوده، وذلك مما قرن به من الأرواح الطاهرة الملكية وغير الطاهرة الشيطانية، فهو يتردد بين ثلاثة أحكام: حكم ذاتي له منه عليه وحكمان قرنا به، وله القبول والرد بحسب ما سبق به الكتاب وقضى به الخطاب، فمنهم شقي وسعيد،

Marfat.com

كما كان من القرناء مقرب وطريد، فهو لمن أجاب، وعلى الله تبيان الخطأ من الصواب، وغاية الأمر أن الله عنده حسن المآب، وما قرن الله قط بالمآب إليه سوءاً تصريحاً، وغاية ما ورد في ذلك في معرض التهديد في الفهم الأول ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ فسيعلمون من كرم الله ما لم يكونوا يحتسبون قبل المؤاخذة لمن غفر له وبعد المؤاخذة لانقطاعها عنهم، فرحمته واسعة ونعمته سابغة جامعة، وأنفس العالم فيها طامعة لأنه كريم من غير تحديد، ومطلق الجود من غير تقييد، ولذلك حشر العالم يوم القيامة كالفراش المبثوث لأن الرحمة منبثة في المواطن كلها فانبث العالم في طلبها لكون العالم على أحوال مختلفة وصور متنوعة الوجوه، فتطلب بذلك الانبثاث من الله الرحمة التي تذهب منه تلك الصورة التي تؤديه إلى الشقاء، فهذا سبب انبثاثهم في ذلك اليوم، وكذلك الجبال الصلبة تكون كالعهن المنفوش لما خرجت عنه من القساوة إلى اللين الذي يعطي الرحمة بالعباد، ولا يدري ما قلناه إلا أهل الشهود والمتحققون بحقائق الوجود، وأما من بقي مع ثقليته فإن الثقلين ما سماهما الله بهذا الاسم إلا ليميزهما به عمن سواهما دائماً حيث كانا فلا تزال أرواحهما تدبر أجساماً طبيعية وأجساداً دنيا وبرزخاً وآخرة، وكذلك منازلهما التي يسكنونها من جنس نشأتهما فما لهما نعيم إلا بالمشاكل لطبعهما.

وأما القائلون بالتجريد فهم مصيبون، فإن النفس الناطقة مجردة في الحقيقة عن هذه الأجسام والأجساد الطبيعية وما لها فيها إلا التدبير، غير أنهم ما عرفوا أن هذا التدبير لهذه النفوس دائماً أبداً فهم مصيبون من هذا الوجه إن قصدوه مخطئون إن قالوا بأنها تنفصل عن التدبير، فالنفوس الناطقة عندنا متصلة بالتدبير منفصلة بالذات والحد والحقيقية الشخصية فلا متصلة ولا منفصلة والتدبير لها ذاتي كمثل الشمس فإن لها التدبير الذاتي فيما تنبسط عليه أنوار ذاتها، غير أن الفرق بين الشمس والقمر والكواكب وأكثر الأسباب التي جعل الله فيها مصالح لعالم لذاتها لا علم لها بذلك، والنفوس الناطقة وإن كان تدبيرها ذاتياً فهي عالمة بما تدبره، فالنفوس الفاضلة منها التي لها الكشف تطلع على جزئيات ما هي مدبرة لها بذاتها، وغير الفاضلة لا تعلم بجزئيات ذلك، وقد تعلم ولا تعلم أنها تعلم، وهكذا كل روح مدبرة، فمن له التدبير للعالم هو الأعلم بجزئيات العالم وهو الله تعالى العالم بالجزء المعين، والكل مع التدبير الذاتي الذي لا يمكن إلا هو، فالنفوس السعيدة مراكبها النفوس الحيوانية في ألذ عيش وأرغده يوم القيامة أعطاها ذلك الموطن، كما أنها في أشد ألم وأضيق حبس إذا شقيت وحبست في المكان الضيق كما قال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها﴾ يعني

Marfat.com

من جهنم ﴿مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾ هذه الأحوال للنفوس الحيوانية والنفوس الناطقة ملتذة بما تعلمه من اختلاف أحوال مراكبها لأنها في مزيد علم بذلك إلهي مناسب، ألا ترى ذوقاً هنا في شخصين لكل واحد منهما نفس ناطقة ونفس حيوانية فيطرأ على كل واحد من الشخصين سبب مؤلم فيتألم به الواحد ويتنعم به الآخر لكون الواحد وإن كان ذا نفس ناطقة فحيوانيته غالبة عليه، فتبقى النفس الناطقة منه معطلة الآلة الفكرية النظرية، والآخر لم تتعطل نفسه الناطقة عن نظرها وفكرها ومشاهدتها، ومن أين قام بنفسها الحيوانية ذلك الأمر المؤلم حتى يوصلها ذلك إلى السبب الأول فتستغرق فيه فتتبعها في ذلك النفس الحيوانية فيزول عنها الألم مع وجود السبب، وكلا الشخصين كما قلنا ذو نفس ناطقة وسبب مؤلم، فارتفع الألم في حق أحد الشخصين ولم يرتفع في حق الآخر، فإن الحيوان بنور النفس الناطقة يستضيء فإذا صرفت النفس الناطقة نظرها إلى جانب الحق تبعها نورها كما يتبع نور الشمس الشمس بغروبها وأفولها فتلتذ النفس الحيوانية بما يحصل لها من الشهود لما لم تره قبل ذلك، فلا ألم ولا لذة إلا للنفوس الحيوانية إن كان كما ذكرناه فهي لذة علمية، وإن كان عن ملايمة طبع ومزاج ونيل غرض فلذة حسية، والنفس الناطقة علم مجرد لا يحتمل لذة ولا ألماً، ويطرأ على الإنسان الذي لا علم له بالأمر على ما هو عليه في نفسه تلبيس وغلط، فيتخيل أن النفس الناطقة لها التذاذ بالعلوم حتى قالوا بذلك في الجناب الإلهي وأنه بكماله مبتهج، فانظر بذلك يا أخي ما أبعد هؤلاء من العلم بحقائق الأمور، وما أحسن قول الشارع: «من عرف نفسه عرف ربه» فلم ينسب إليه إلا ما ينسبه لنفسه، فتعالى الله عز وجل عن أن يحكم عليه حال أو محل بل لله الأمر من قبل ومن بعد، عصمنا الله وإياكم من الآفات وبلغ بنا أرفع الدرجات وأبعد النهايات.

(الوصل الخامس عشر) من خزائن الجود وهو ما تخزنه الأجسام الطبيعية من الأنوار التي بها يضيء كونها وإن ظهرت في أعيننا مظلمة كما يخرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين تخزنه ضروع مواشيهم وإبلهم لهم، كما يخرج من بطون النحل شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس والله يقول: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ ولولا النور ما ظهر للممكنات عين، وقول رسول الله ﷺ في دعائه: «**اللهم اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي شعري نوراً حتى قال: واجعلني نوراً**» وهو كذلك، وإنما طلب مشاهدة ذلك حتى يظهر للأبصار، فإن النور المعنوي خفي لا تدركه الأبصار فأراد رسول الله ﷺ أن يدرك بالحس ما أدركه بالإيمان والعقل وذلك لا يظهر إلا لأرباب المجاهدات:

Marfat.com

النار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي ما لم تثرها الأزند

فنحن نعلم أن ثم ناراً ولا نرى لها تسخيناً في الحجر ولا إحراقاً في المرخ والعفار، وهكذا جميع الموجودات لمن نظر واستبصر أو من شاهد فاعتبر، فالحق مخبوء في الخلق من كونه نوراً فإذا قدحت زناد الخلق بالفكر ظهر نور الحق من عرف نفسه عرف ربه، فمن عرف القدح وميز الزناد فالنار عنده، فهو على نور من ربه متى شاء أظهرها فهو الظاهر ومتى شاء أخفاها فهو الباطن، فإذا بطن ﴿فليس كمثله شيء﴾، وإذا ظهر ﴿فهو السميع البصير﴾ فالقادح ما جاء بنور من عنده، فالحق معنا أينما كنا في عدم أو وجود فبمعيته ظهرنا فنحن ذو نور ولا شعور لنا:

فللّه ما لله من عين كوننا وللكون ما للكون من نور ذاته
فنحن كثير والمهيمن واحد توحد في أسمائه وصفاته

وإنما قلنا نحن كثير وهو واحد لأن الأزند كثير والنار من كل زناد منها واحد العين، فسواء كان الزناد حجراً أو شجراً ولهذا اختلفت المقالات في الله والمطلوب واحد، فكل ما ظهر لكل طالب فليس إلا الله لا غيره فالكل منه بدا وإليه يعود، وإنما سمي طالب النار في الزناد قادحاً لأن طلب الحق من الخلق ليعرف ذاته قدح في العلم الصحيح بذاته، فإنه لا يعلم منه إلا المرتبة وهي كونه إلهاً واحداً خاصة، فإن رام العلم بذاته وهي المشاهدة ولا تكون المشاهدة إلا عن تجليه ولا يكون ذلك إلا بالقدح فيه فإنك لا تراه إلا مقيداً قيده عقلك بنظره وتجلى لك في صورة تقييدك، وهذا قدح فيما هو عليه في نفس الأمر، ولولا ما أنت في نفسك ذو نور عقلي ما عرفته وذو نور بصري ما شهدته فما شهدته إلا بالنور وما ثم نور إلا هو، فما شهدته ولا عرفته إلا به، فهو نور السموات من حيث العقول والأرض من حيث الأبصار، وما جعل الله عز وجل صفة نوره إلا بالنور الذي هو المصباح وهو نور أرضي لا سماوي فشبه نوره بالمصباح، ورؤيتنا إياه كرؤيتنا الشمس والقمر، أي وإن كان كالمصباح فإنه يعلو في الرؤية والإدراك عن رؤية المصباح فهو بنفسه أرضي لأنه لولا نزوله إلينا ما عرفناه وهو بالرؤية سماوي، فانظر ما أحكم علم الشارع بالله أين هو من نظر العقل ولهذا قال: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ لأنه نور والنور لا يدرك إلا بالنور، فلا يدرك إلا به ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ لأنه نور ﴿وهو اللطيف﴾ لأنه يلطف ويخفي في عين ظهوره فلا يعرف ولا يشهد كما يعرف نفسه ويشهدها ﴿الخبير﴾ علم ذوق وما قال لا تدركه الأنوار:

Marfat.com

فلولا النور لم تشهده عين ولولا العقل لم يعرفه كون

فبالنور الكوني والإلهي كان ظهور الموجودات التي لم تزل ظاهرة له في حال عدمها كما هي لنا في حال وجودها، فنحن ندركها عقلاً في حال عدمها وندركها عيناً في حال وجودها، والحق يدركها عيناً في الحالين، فلولا أن الممكن في حال عدمه على نور في نفسه ما قبل الوجود ولا تميز عن المحال، فبنور إمكانه شاهده الحق، وبنور وجوده شاهده الخلق، فبين الحق والخلق ما بين الشهودين، فالحق نور في نور، والخلق نور في ظلمة في حال عدمه، وأما في حال وجوده فهو نور على نور لأنه عين الدليل على ربه، وما يحتمل هذا الوصل أكثر من هذا فإن فيه مكراً خفياً لعدم المثل للحق، ولا يتمكن أن يشهد ويعلم إلا بضرب مثل، ولهذا جعل لنا ﴿مثل نوره في السموات والأرض كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ ثم قال: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره﴾ من هذين النورين فيعلم المشبه والمشبه به ﴿من يشاء ويضرب الله الأمثال﴾ فجعله ضرب مثل للتوصيل ويجوز في ضرب الأمثال المحال الذي لا يمكن وقوعه، فكما لا يكون المحال الوجود وجوداً بالفرض كذلك لا يكون الخلق حقاً بضرب المثل، فما هو موجود بالفرض قد لا يصح أن يكون موجوداً بالعين، ولو كان عين المشبه ضرب المثل لما كان ضرب مثل إلا بوجه، فلا يصح أن يكون هنا ما وقع به التشبيه وضرب المثل موجوداً إلا بالفرض، فعلمنا بضرب هذا المثل أننا على غاية البعد منه تعالى في غاية القرب أيضاً، ولهذا قبلنا ضرب المثل، فجمعنا بين البعد والقرب وتسمى لنا بالقريب والبعيد، فكما هو ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿هو أقرب من حبل الوريد﴾ ﴿وهو السميع البصير﴾ فهو القريب بالمثل البعيد بالصورة لأن فرض الشيء لا يكون كهو ولا عين الشيء، وفي هذا الوصل إفاضة الحاج من عرفة إلى جمع ومن جمع إلى منى، فإن إفاضة عرفات ليلاً وإفاضة جمع نهار الصائم وإن شئت قلت نهاراً من غير إضافة والحج يجمع ذلك كله فقبل تفصيل اليوم الزماني الذي هو الليل والنهار كما أن فيه ما يشوش العقول عن نفوذ نورها إلى رؤية المطلوب وهو حجاب لطيف لقربه من المطلوب، فإن الشوق أبرح ما يكون إذا أبصر المحب دار محبوبه، قال الشاعر:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

Marfat.com

فمن أعجب الأمور أن بالإنسان استتر الحق فلم يشهد، وبالإنسان ظهر حتى عرف، فجمع الإنسان بين الحجاب والظهور، فهو المظهر الساتر وهو السيف الكهام الباتر، ويشهد الحق منه ذلك لأنه على ذلك خلقه، ويشهد الإنسان من نفسه ذلك لأنه لا يغيب عن نفسه وأنه مريد للاتصال بما قد علم أنه لا يتصل به، فهو كالحق في أمره من أراد منه أن يأمره بما لا يقع منه فهو مريد لا مريد، فلولا ما هو الحق صدفة أعياننا ما كنا صدفة عين العلم به، وفي الصدف يتكون اللؤلؤ فما تكوّنا إلا في الوجود وليس الوجود إلا هو ولكنه ستر علينا ستر حفظ ثم أظهرنا ثم تعرّف إلينا بنا وأحالنا في المعرفة به علينا، فإذا علمنا بنا سترنا على علمنا به، فلم يخرج الأمر عن صدف ساتر لؤلؤ ولكن تارة وتارة:

فذلك التبر ونحن الصدى ... وما لنا كون بغير الندا
فمن يناديه يكن كأنه ... وليس ذاك الكون منه ابتدا
لأنه يحدث عن قوله ... وقوله كن لا يكون سدى
فمنه كنا وبه قد بدا ... هذا الذي في عينه قد بدا
فهو الندى ليلاً كما كنته ... كما أنا منه نهاراً سدى
وإن تشأ عكس الذي قلته ... فإنه الليل ونحن الندى

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل السادس عشر) من خزائن الجود. اعلم أن الله تعالى ما خلق شيئاً من الكون إلا حياً ناطقاً جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً في العالم الأعلى والأسفل، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً﴾ فلم يعجل عليكم بالعقوبة ﴿غفوراً﴾ ساتراً تسبيحهم عن سمعكم، فكل شيء في عالم الطبيعة جسم متغذ حساس، فهو حيوان ناطق بين جلي وخفي في كل فصل فصل من فصول هذا الحد، فكل ما نقص منه في حد محدود فذلك النقص هو ما خفي منه في حق بعض الناس وما ظهر منه فهو الجلي، ولذلك اختلفت الحدود في الجماد والنبات والحيوان والإنسان، والكل عند أهل الكشف حيوان ناطق مسبح بحمد الله تعالى.

ولما كان الأمر هكذا جاز بل وقع وصح أن يخاطب الحق جميع الموجودات ويوحي إليها من سماء وأرض وجبال وشجر وغير ذلك من الموجودات ووصفها بالطاعة لما أمرها به وبالإباية لقبول عرضه وأسجد له كل شيء لأنه تجلى لكل شيء وأوحى إلى كل شيء بما

Marfat.com

خاطب ذلك الشيء به فقال للسماء والأرض: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ فأوحى في كل سماء أمرها والأرض كذلك أوحى لها، وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إليك يعني محمداً بالخطاب ﷺ روحاً من أمرنا فعم وحيه الجميع، ولكن بقي من يطيع ومن لا يطيع، وكيف فضل السميع السميع، فمن أعجب الأشياء وصف السامع بالصمم، والبصير بالعمى، والمتكلم بالبكم، فما عقل ولا رجع وإن فهم:

فالجحد من صفة النفوس إذا أبت ... كالنار تحرق بالقبول وإن خبت
لولا وجود الاختبار وجبرها ... فيه لما أبت النفوس إذا أبت

قال الله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ ولذلك يقولون لجلودهم إذا شهدت عليهم ﴿لم شهدتم علينا﴾ فتقول الجلود: ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ فعمت فكانت الجلود أعلم بالأمر ممن جعل النطق فصلاً مقوّماً للإنسان خاصة، وعرى غير الإنسان عن مجموع حده في الحيوانية والنطق، فمن فاته الشهود فقد فاته العلم الكثير، فلا تحكم على ما لم تر وقل الله أعلم بما خلق وأرض الإنسان جسده، وقد شهد عليه بما عمل، أتراه شهد عليه بما لم يعلم، أتراه علم من غير وحي إلهي جاءه من عند الله عز وجل كما نشهد نحن على الأمم بما أوحى الله تعالى به إلينا من قصص أنبيائه مع أممهم:

فيشهد الشخص بما لم يرا ... إذا أتاه الخبر الصادق
فالكل قد أوحى إليه الذي ... أوحى به فكله ناطق
فانظر فما في كونه غيره ... فهو وجود الخلق والخالق

فإذا انحصر الأمر بين خبر صادق وشهود علمنا أن العالم كله مكشوف له:

ما ثم ستر ولا حجاب ... بل كله ظاهر مبين
فيعلم الحق دون شك ... وسرّه في الحشا دفين

فيوحي بالتكوين فيكون، ويشهده ما شاء فيرى، فشهادته بالخبر الصادق كشهادته بالعيان الذي لا ريب فيه مثل شهادة خزيمة فأقامه رسول الله ﷺ في شهادته مقام رجلين فحكم بشهادته وحده، فكان الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالعين، لأن خزيمة لو شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله علينا ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾

Marfat.com

إلى آخر السورة إذ لم يقبل الجامع للقرآن آية منه إلا بشهادة رجلين فصاعداً إلا هذه الآية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ فإنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده رضي الله عنه.

(وصل وتنبيه): وأما التحدث بالأمور الذوقية فيصح لكن لا على جهة الإفهام ولكن كل مذوق له مثال مضروب فتفهم منه ما يناسب ذلك المثال خاصة، فإذن ما ينبىء عن حقيقة إلا في الذوق المشترك الذي يمكن الاصطلاح عليه، كالتحدّث بالأمور المحسوسة مع كل ذي حس أدرك ذلك المخبر عنه بحسه وعرف اللفظ الذي يدل عليه بالتواطىء بين المخاطبين، فنحن لا نشك إذا تلي علينا القرآن أنا قد سمعنا كلام الله وموسى عليه السلام لما كلمه الله قد سمع كلام الله، واين موسى منا في هذا السماع؟ فعلى مثل هذا تقع الأخبار الذوقية فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله في نفسه من الله برفع الوسائط ما يمكن أن يساوي في الإدراك من يسمعه بالترجمة عنه، فإن الواحد صاحب الواسطة هو مخير في الإخبار بذلك عن الواسطة إن شاء، وعن صاحب الكلام إن شاء، وهكذا جاء في القرآن، قال تعالى في إضافة الكلام إليه: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فأضاف الكلام إلى الله. وقال في إضافة ذلك الكلام إلى الواسطة والمترجم فقال مقسماً أنه يعني القرآن ﴿لقول رسول كريم ذي قوّة عند ذي العرش مكين﴾ وقال: ﴿إنه لقول رسول كريم ما هو بقول شاعر﴾ فإن فهمت عن الإله ما ضمنه هذا الخطاب وقفت على علم جليل، وكذلك ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فأضاف الحدوث إلى كلامه، فمن فرق بين الكلام والمتكلم به اسم مفعول فقد عرف بعض معرفة. وما أسمع الرحمان كلامه بارتفاع الوسائط إلا ليتمكن الاشتياق في السامع إلى رؤية المتكلم لما سمعه من حسن الكلام، فتكون رؤية المتكلم أشدّ، ولا سيما ورسول الله ﷺ يقول: «إن الله جميل يحب الجمال» والجمال محبوب لذاته وقد وصف الحق نفسه به فشوّق النفوس إلى رؤيته. وأما العقول فبين واقف في ذلك موقف حيرة فلم يحكم أو قاطع بأن الرؤية محال لما في الأبصار من التقييد العادي، فتخيلوا أن ذلك التقييد في رؤية الأبصار أمر طبيعيّ ذاتي لها وذلك لعدم الذوق، وربما يتقوّى عند المؤمنين منهم إحالة ذلك بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وللأبصار إدراك وللبصائر إدراك وكلاهما محدث، فإن صح أن يدرك بالعقل وهو محدث صح أو جاز أن يدرك بالبصر لأنه لا فضل لمحدث على محدث في الحدوث، وإن اختلفت الاستعدادات فجاز على كل قابل للاستعدادات أن يقبل استعداد الذي قبل فيه أنه أدرك الحق بنظره الفكري، فإما أن ينفوا ذلك نفياً جملة واحدة، وإما أن يجوّزوه جملة واحدة، وإما أن يقفوا

Marfat.com

في الحكم فلا يحكمون فيه بإحالة ولا جواز حتى يأتيهم تعريف الحق نصاً لا يشكون فيه أو يشهدونه من نفوسهم.

وأما الذي يزعم أنه يدركه عقلاً ولا يدركه بصراً فمتلاعب لا علم له بالعقل ولا بالبصر ولا بالحقائق على ما هي عليه في أنفسها كالمعتزلي فإن هذه رتبته، ومن لا يفرق بين الأمور العادية والطبيعية فلا ينبغي أن يتكلم معه في شيء من العلوم ولا سيما علوم الأذواق، وما شوّق الله عباده إلى رؤيته بكلامه سدى، ولولا أن موسى عليه السلام فهم من الأمر إذا كلمه الله بارتفاع الوسائط ما جرأه على طلب الرؤية ما فعل، فإن سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم عنه فلا يفتقر إلى تأويل وفكر في ذلك، وإنما يفتقر من كلمه الله بالوسائط من رسول أو كتاب، فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سأل الرؤية ليعلم التابع، ومن ليست له هذه المنزلة عند الله أنّ رؤية الله ليست بمحال وقد شهد الله لموسى أنه اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه ثم قال له: ﴿فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ وهو تعالى يقول: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ولا شك أن موسى قد شكر الله على نعمة الاصطفاء ونعمة الكلام شكراً واجباً مأموراً به، فيزيده الله لشكره نعمة رؤيته إياه، فهل رآه في وقت سؤاله بالشرط الذي أقامه كما ورد في نص القرآن أو لم يره؟ والآية محتملة المأخذ، فإنه ما نفى زمان الحال عن تعلق الرؤية وإنما نفى الاستقبال بأداة سوف، ولا شك أن الله تجلى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه فحصل لنا من هذا رؤية الجبل ربه التي أوجبت له التدكدك فقد رآه محدث، فما المانع إن رآه موسى عليه السلام في حال التدكدك ووقع النفي على الاستقبال ما لذلك مانع لمن عقل ولا سيما وقد قام الصعق لموسى عليه السلام مقام التدكدك للجبل، ثم لتعلم أنه من أدرك الحق علماً لم يفته من العلم الإلهي مسألة، ومن رأى الحق ببصره رأى كل نوع من العالم لا يفوته من أنواعه شيء إذا رآه في غير مادة وإذا علمه بصفة إثبات نفسية، فإن علمه بصفة تنزيه لم يكن له هذا المقام وإن رآه في مادّة لم يكن له هذا المقام.

وأما من ذهب إلى أن رؤية الحق إنما هي عبارة عن مزيد وضوح في العلم النظري بالله لا غير فهذه قولة من لا علم له بالله من طريق الكشف والتجلي إلا أن يكون قال ذلك لمعنى كان حاضراً من لا ينبغي أن يسمع مثل هذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل السابع عشر) من خزائن الجود. قال بعض السادة في هذه الخزانة إنها

Marfat.com

تتضمن فناء من لم يكن وبقاء من لم يزل، وهذه المسألة تخبط فيها من لم يستحكم كشفه ولا تحقق شهوده، فإن من الناس من تلوح له بارقة من مطلوبه، فيكتفي بها عن استيفاء الحال واستقصائه، فيحكم على هذا المقام بما شاهد منه ظناً منه أو قطعاً أنه قد استوفاه، وقد رأيت ممن هذه صفته رجالاً وقد طرأ مثل هذا لسهل بن عبد الله التستري المبرز في هذا الشأن في علم البرزخ فمرّ عليه لمحة فأحاط علماً بما هو الناس عليه في البرزخ ولم يتوقف حتى يرى هل يقع فيما رآه تبديل في أحوال مختلفة على أهله أو يستمرون على حالة واحدة؟ فحكم ببقائهم على حالة واحدة كما رآهم، فرؤيته صحيحة صادقة، وحكمه بالدوام فيما رآهم عليه إلى يوم البعث ليس بصحيح.

وأما الذين رأيت أنا من أهل هذه الصفة لما رأيتهم سريعين الرجعة غير ثابتين عندما يؤخذ عن نفسه سألت واحداً منهم: ما الذي يردّك بهذه السرعة؟ فقال لي: أخاف أن تنعدم عيني لما نراه فيخاف على نفسه، ومن تكون هذه حالته فلا تثبت له قدم في تحقيق أمر ولا يكون من الراسخين فيه، فلو اقتصروا على ما عاينوه ولم يحكموا لكان أولى بهم، فيتخيل الأجنبي إذا سمع مثل هذا من صادق وسمع عدم الثبوت في البرزخ على حالة واحدة أنّ بين القوم خلافاً في مثل هذا وليس بخلاف، فإن الراسخ يقول بما شاهده وهو مبلغه من العلم، وغير الراسخ يقول أيضاً بما شاهده ويزيد في الحكم بالثبوت الذي ذهب إليه، ولو أقام قليلاً لرأى التغيير والتبديل في البرزخ كما هو في الدنيا، فإن الله في كل يوم وهو الزمن الفرد في شأن، يقول تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ والخلق جديد حيث كان دنيا وآخرة وبرزخاً، فمن المحال بقاء حال على عين نفسين أو زمانين للاتساع الإلهي لبقاء الافتقار على العالم إلى الله، فالتغيير له واجب في كل نفس، والله خالق فيه في كل نفس، فالأحوال متجددة مع الأنفاس على الأعيان، وحكم الأعيان يعطي في العين الواحدة بحسب حقائقها إن لو صح وجودها لكانت بهذه الأحوال. فمن أصحابنا من يرى أن عين الوجود هو الذي يحفظ عليه أحوال أعيان الممكنات الثابتة وأنها لا وجود لها البتة بل لها الثبوت والحكم في العين الظاهرة التي هي الوجود الحقيقي.

ومن أصحابنا من يرى أن الأعيان اتصفت بالوجود واستفادته من الحق تعالى وأنها واحدة بالجوهر وإن تكثرت وأن الأحوال يكسوها الحق بها مع الأنفاس إذ لا بقاء لها إلا بها، فالحق يجددها على الأعيان في كل زمان، فعلى الأوّل يكون قوله حتى يفنى من لم يكن فلا يبقى له أثر في عين الوجود فيكون مسلوب النعوت وذلك حال التنزيه ويبقى من لم

Marfat.com

يزل على ما هي عليه عينه وهو الغني عن العالمين، فإن العالم ليس سوى الممكنات وهو تعالى غني عنها إن تدل عليه فإنه ما ثم من يطلب على ما قلناه الدلالة عليه، فإن الممكنات في أعيانها الثابتة مشهودة للحق، والحق مشهود للأعيان الممكنات بعينها وبصرها الثابت لا الموجود، فهو يشهدها ثبوتاً وهي تشهده وجوداً. وعلى القول الآخر الذي يرى وجود أعيان الممكنات وآثار الأسماء الإلهية فيها وإمداد الحق لها بتلك الآثار لبقائها، فتفنى تلك الآثار والأعيان القابلة لها عن صاحب هذا الشهود حالاً، والأمر في نفسه موجود على ما هو عليه لم يفن في نفسه كما فني في حق هذا القائل به، فلا يبقى له مشهود إلا الله تعالى، وتندرج الموجودات في وجود الحق، وتغيب عن نظر صاحب هذا المقام كما غابت أعيان الكواكب عن هذا الناظر بطلوع النير الأعظم الذي هو الشمس فيقول بفناء أعيانها من الوجود، وما فنيت في نفس الأمر بل هي على حالها في إمكانها من فلكها على حكمها وسيرها وكلا القولين قد علم من الطائفة.

ومن أصحاب هذا المقام من يجعل أمر الخلق مع الحق كالقمر مع الشمس في النور الذي يظهر في القمر، وليس في القمر نور من حيث ذاته ولا الشمس فيه ولا نورها ولكن البصر كذلك يدركه، فالنور الذي في القمر ليس غير الشمس كذلك الوجود الذي للمكنات ليس غير وجود الحق كالصورة في المرآة، فما هو الشمس في القمر، وما ذلك النور المنبسط ليلاً من القمر على الأرض بمغيب نور الشمس غير نور الشمس وهو يضاف إلى القمر كما قيل في كلام الله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وقيل في قول الرسول ﷺ إنه كلام الله تعالى إذا تلاه، وقول كل تال للقرآن ولكل مقالة وجه من الصحة، والكشف يكون في كل ما ذكرناه، فأهل الله اختلافهم اتفاق لأنهم يرمون عن قوس واحد، فالأمر متردد بين فناء عين وفناء حال، ولا جامع في العالم بين الضدين إلا أهل الله خاصة، لأن الذي تحققوا به هو الجامع بين الضدين وبه عرف العارفون فهو ﴿الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ من عين واحدة ونسبة واحدة لا من نسبتين مختلفتين، ففارقوا المعقول ولم تقيدهم العقول بل هم الإلهيون المحققون حققهم الحق بما أشهدهم فهم وما هم ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فأثبت ونفى وحسبنا الله وكفى.

فكان الشيخ أبو العباس بن العريف الصنهاجي الإمام في هذا الشأن يقول: وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم. وكان الشيخ أبو مدين يقول: لا بد من بقاء رسم العبودية ليقع التلذذ بمشاهدة الربوبية. وكان القاسم بن القاسم من شيوخ رسالة القشيري يقول:

Marfat.com

مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة. وكل قائل صادق، فإنه قد قدمنا قبل هذا في هذا الكتاب أن شخصين لا يجتمعان أبداً في تجل واحد، وأن الحق لا يكرر على شخص التجلي في صورة واحدة، وقد قدمنا أن تجلياته تختلف لأنها تعم الصور المعنوية والروحانية والملكية والطبيعية والعنصرية ففي أي صورة شاء ظهر كما أنه ﴿في أي صور ما شاء ركبك﴾ وفي الطريق في أي صورة ما شاء أقامك، فالمراكب مختلفة والراكب واحد، فمن تجلى له في الصور المعنوية قال بفناء الرسم، ومن تجلى له في الصور الطبيعية والعنصرية قال باللذة في المشاهدة، ومن قال بعدم اللذة في المشاهدة كان التجلي له في الصور الروحانية، فكل صدق وبما شاهد نطق، وأيّ الشهود أعلى وكلناك في ذلك لذوقك حتى تعلم من ذلك ما علمناه.

ومن هذا الوصل تعلم المفارق وغير المفارق، ومن يفرق ومن لا يفرق، وتعلم منه من هو على بينة من ربه وما هي البينة، وتعلم أنواع الطهارات لكل موصوف بالطهارة. وتعلم الميل المحمود والميل المذموم، وتعلم ما يقع به الاشتراك في الدين وما نسخ منه فلم يجتمع فيه رسولان، وتعلم من خلق من المخلوقات من شيء موجود ومن خلق لا من شيء موجود ومراتب العالم في ذلك، وتعلم أن كل ما طلب الحق من عباده أن يعاملوه به عاملهم به، فعم أحكام الشرائع كلها وحكم بذلك على نفسه كما حكم على خلقه، وأن مكارم الأخلاق في الأكوان هي الأخلاق الإلهية.

(الوصل الثامن عشر) من خزائن الجود: يتضمن فضل الطبيعة على غيرها وذلك لشبهها بالأسماء الإلهية، فإن العجب ليس من موجود يؤثر وإنما العجب من معدوم يؤثر، والنسب كلها أمور عدمية ولها الأثر والحكم، فكل معدوم العين ظاهر الحكم والأثر، فهو على الحقيقة المعبر عنه بالغيب، فإنه من غاب في عينه فهو الغيب والطبيعة غائبة العين عن الوجود فليس لها عين فيه وعن الثبوت وليس لها عين فيه فهي عالم الغيب المحقق وهي معلومة، كما أن المحال معلوم، غير أن الطبيعة وإن كانت مثل المحال في رفع الثبوت عنها والوجود فلها أثر ويظهر عنها صور والمحال ليس كذلك، ومفاتيح هذا الغيب هي الأسماء الإلهية التي لا يعلمها إلا الله العالم بكل شيء، والأسماء الإلهية نسب غيبية إذ الغيب لا يكون مفتاحه إلا غيباً، وهذه الأسماء تعقل منها حقائق مختلفة معلومة الاختلاف كثيرة ولا تضاف إلا إلى الحق فإنه مسماها ولا يتكثر بها، فلو كانت أموراً وجودية قائمة به لتكثر بها،

Marfat.com

فعلمها سبحانه من حيث كونه عالماً بكل معلوم، وعلمناها نحن باختلاف الآثار منهما فينا فسميناه كذا من أثر ما وجد فينا فتكثرت الآثار فينا فكثرت الأسماء والحق مسماها فنسبت إليه ولم يتكثر في نفسه بها فعلمنا أنها غائبة العين، ولما فتح الله بها عالم الأجسام الطبيعية باجتماعها بعدما كانت مفترقة في الغيب معلومة الافتراق في العلم، إذ لو كانت مجتمعة لذاتها لكان وجود عالم الأجسام أزلاً لنفسه لا لله، وما ثم موجود ليس هو الله إلا عن الله، وما ثم واجب الوجود لذاته إلا الله وما سواه فموجود به لا لذاته، فالسر معقول النسب والأخفى منها أعيانها، فبالمشيئة ظهر أثر الطبيعة وهي غيب، فالمشيئة مفتاح ذلك الغيب، والمشيئة نسبة إلهية لا عين لها فالمفتاح غيب وإن لم تثبت هذه النسب في العلم وإن كانت غيباً وعدماً فلم يكن يصح الوجود لموجود أصلاً ولا كان خلق ولا حق فلا بد منها، فالغيب هو النور الساطع العام الذي به ظهر الوجود كله، وما له في عينه ظهور فهو الخزانة العامة التي خازنها منها.

وإن أردت أن يقرب عليك تصوّر ما قلت فانظر في الحدود الذاتية للمحدود التي لا يعقل المحدود إلا بها، وينعدم المعلوم بعدمها، ويكون معلوماً بوجودها اتساعاً وإن لم توصف بالوجود، وذلك إذا أخذت في حد الجوهر مثلاً أعني الجوهر الفرد فتقول فيه هو الشيء فجئت بالجنس الأعم، والشيئية للأشياء ليست وجودية ولا بد فيدخل فيها كل ما هو محدود بشيء مما يقوم بنفسه ومما لا يقوم بنفسه، فإذا أردت أن تبينه ولا تتبين المعلومات إلا بذاتها وهو الحد الذاتي لها فتقول الموجود فجئت بما هو أخص منه فدخل فيه كل موجود وانفصل عنه كل من له شيئية ولا وجود له، ثم قلت القائم بنفسه، وهذه كلها معان معلومة هي للمحددود المعلوم بها صفات والصفة لا تقوم بنفسها، وباجتماع هذه المعاني جاء منها أعيان وجودية تدرك حساً وعقلاً فخرج منه كل موجود لا يقوم بنفسه ثم تقول المتحيز فيشركه غيره ويتميز عنه بهذا غير آخر والتحيز حكم وهو ما له قدر في المساحة أو القابل للمكان، ثم تقول الفرد الذي لا ينقسم ذاته فخرج عنه الجسم وكل ما ينقسم، ثم تقول القابل للأعراض فخرج منه من لا يقبل الأعراض ودخل معه في الحد من يقبل الأعراض، وبمجموع هذه المعاني كان المسمى جوهراً فرداً كما بالتأليف مع بقية الحدود ظهر الجسم، فلما ظهر من ائتلاف المعاني صور قائمة بنفسها وطالبة محال تقوم بها كالأعراض والصفات علمنا قطعاً أن كل ما سوى الحق عرض زائل وغرض مائل، وأنه وإن اتصف بالوجود وهو بهذه المثابة في نفسه في حكم المعدوم فلا بد من حافظ يحفظ عليه

Marfat.com

الوجود وليس إلا الله تعالى، ولو كان العالم أعني وجوده لذات الحق لا للنسب لكان العالم مساوقاً للحق في الوجود وليس كذلك فالنسب حكم لله أزلاً وهي تطلب تأخر وجود العالم عن وجود الحق فيصح حدوث العالم وليس ذلك إلا لنسبة المشيئة، وسبق العلم بوجوده فكان وجود العالم مرجحاً على عدمه، والوجود المرجح لا يساوق الوجود الذاتي الذي لا يتصف بالترجيح.

ولما كان ظهور العالم في عينه مجموع هذه المعاني فكان هذا المعقول المحدود عرض له جميع هذه المعاني فظهر ما هو في نفسه غير مجموع هذه المعاني والمعاني تتجدد عليه والله هو الحافظ وجوده بتجديدها عليه وهي نفس المحدود، فالمحدودات كلها في خلق جديد الناس منه في لبس فالله خالق دائماً، والعالم في افتقار دائم له في حفظ وجوده بتجديده، فالعالم معقول لذاته موجود بالله تعالى فحدوده النفسية عينه، وهذا هو الذي دعا الحسبانية إلى القول بتجديد أعيان العالم في كل زمان فرد دائماً وذهلت عن معقولية العالم من حيث ما هو محدود وهو أمر وهمي لا وجود له إلا بالوهم وهو القابل لهذه المعاني، وفي العلم ما هو غير جميع هذه المعاني فصار محسوساً أمر هو في نفسه مجموع معقولات فأشكل تصوره وصعب على من غلب عليه وهمه فحار بين علمه ووهمه وهو موضع حيرة، وقالت طائفة بتجدد الأعراض على الجوهر والجوهر ثابت الوجود وإن كان لا بقاء له إلا بالعرض وما تفطن صاحب هذا القول لما هو منكر له فغاب عنه شيء فجهله وظهر له شيء فعلمه، وقالت طائفة أخرى بتجدد بعض الأعراض وهي المسماة عندهم أعراضاً وما عداها وإن كانت في الحقيقة على ما يعطيه العلم أعراضاً فيسمونها صفات لازمة كصفرة الذهب وسواد الزنجي، وهذا كله في حق من يثبتها أعياناً وجودية، وثم من يقول أن ذلك كله نسب لا وجود لها إلا في عين المدرك لها لا وجود لها في عينها، وإلى هذا ذهب القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني على ما وصل إلينا والعهدة على الناقل، وأهل الكشف لهم الاطلاع على جميع المذاهب كلها والنحل والملل والمقالات في الله اطلاعاً عاماً لا يجهلون منه شيئاً، فما تظهر نحلة من منتحل ولا ملة بناموس خاص تكون عليه ولا مقالة في الله أو في كون من الأكوان ما تناقض منها، وما اختلف وما تماثل إلا ويعلم صاحب الكشف من أين أخذت هذه المقالة أو الملة أو النحلة، فينسبها إلى موضعها ويقيم عذر القائل بها ولا يخطئه ولا يجعل قوله عبثاً، فإن الله ما خلق سماء ولا أرضاً وما بينهما باطلاً، ولا خلق الإنسان عبثاً بل خلقه ليكون وحده على صورته، فكل من في العالم جاهل بالكل عالم بالبعض إلا

Marfat.com

الإنسان الكامل وحده فإن الله علمه الأسماء كلها وآتاه جوامع الكلم فكملت صورته فجمع بين صورة الحق وصورة العالم، فكان برزخاً بين الحق والعالم مرآة منصوبة يرى الحق صورته في مرآة الإنسان ويرى الخلق أيضاً صورته فيه. فمن حصل في هذه المرتبة حصل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان، ومعنى رؤية صورة الحق فيه إطلاق جميع الأسماء الإلهية عليه كما جاء في الخبر: «فبهم تنصرون والله الناصر، وبهم ترزقون والله الرازق، وبهم ترحمون والله الراحم» وقد ورد في القرآن فيمن علمنا كماله واعتقدنا ذلك فيه ﴿إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أي لترحمهم لما دعا على رعل وذكوان وعصية والتخلق بالأسماء يقول به جميع العلماء، فالإنسان متصف يسمى بالحي العالم، المريد، السميع، البصير، المتكلم، القادر، وجميع الأسماء الإلهية من أسماء تنزيه، وأفعال تحت إحاطة هذه الأسماء السبعة التي ذكرناها لا يخرج عنها جملة واحدة فلهذا لم نأت بها على التفصيل، وقد ذكرنا منها طرفاً شافياً في كتابنا المسمى إنشاء الجداول والدوائر صوّرنا فيه العالم والحضرتين ممثلتين في أشكال ليقرب العلم بها على صاحب الخيال، إذ لا يخلو الإنسان مع عقله عن حكم الوهم فيما يعلم أنه محال، ومع هذا تصوّره وتغلب عليه حكم الوهم إذ كان لا ينضبط لها العلم بذلك إلا بعد تصوّره، وحينئذ تضبطه القوّة الحافظة وتحكم عليه القوّة المذكرة إذا غلب على القوّة الحافظة فخرج من تحت حكمها، فإن المذكرة لا تفرط فيه فلا يزال المعلوم محصوراً في العلم ولهذا كان المعلوم محاطاً به، قال تعالى: ﴿أحاط بكل شيء علماً﴾.

فمن علم ما ذكرناه في هذا الوصل وما حوت عليه هذه الخزانة علم نفسه، وعلم ربه، وعلم العالم وما أصله وإذا بدا له منه ما بدا علم من أين جاء وإلى أين يعود؟ وعلم ما يستحقه منه فوفاه حقه فأعطى كل ذي حق حقه، كما أن الله ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ فالذي انفرد به الحق إنما هو الخلق، والذي انفرد به من العالم الكامل إنما هو الحق، فيعلم ما يستحقه كل موجود فيعطيه حقه وهو المسمى بالإنصاف، فمن أعطيته حقه فقد أنصفته، فإن تغاليت فما كملت وأنت ناقص فإن الزيادة في الحد نقص في المحدود فلا يتعدى الكامل بالشيء رتبته، وقد ذم الله تعالى تعليماً لنا في إقامة العدل في الأشياء من تغالى في دينه، ونزه الحق تعالى عما يستحقه، فهو وإن قصد تعظيماً بذلك الفعل في التغالي فقد وقع في الجهل وجاء بالنقص في موضع الكمال فقال: ﴿لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ فالغلوّ مثل أن ينسب إلى الله الأحوال وهي ليست إلا أحكام المعاني. فالمعاني لله

Marfat.com

وجودها، وإذا وجدت فيمن وجدت فيه أعطت بذاتها الحال المنعوت به ذلك المحل الذي قام به هذا المعنى فهذا من التغالي، وهذا مثل العالم، والقادر، والأبيض، والأسود، والشجاع، والجبان، والمتحرّك، والساكن، فهذه هي الأحوال وهي أحكام المعاني المعقولة أو النسب كيف شئت فقل وهي العلم والقدرة والبياض والسواد والحماسة والجبن والحركة والسكون، فقال لنا: ﴿لا تقولوا على الله إلا الحق﴾ كان ما كان، كما نسبوا إليه تعالى الصاحبة والولد وضربوا له الأمثال وجعلوا له أنداداً غلوّا في دينهم وتعظيماً لرسلهم فقالوا: عيسى هو الله، وقالت طائفة هو ابن الله، وقال من لم يغل في دينه هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فلم يتعد به ما هو الأمر عليه، فمن سلك مسلكنا فقد سلك طريق النجاة والإيمان وأعطى الإيمان حقه ولم يجر على العقل والفكر في حقه ولا فيما له، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وفي هذه الخزانة من العلوم: علم مقام الملائكة كلها، وعلم الأنوار والأسرار والفضل الزماني لا الفضل بالزمان، ومن هنا تنزل الملائكة على قلوب الأرسال من البشر بالوحي المشروع، وعلى قلوب الأولياء بالحديث والإلهام، وكل من أدرك هذا سرّاً أو غيباً فكان له جهراً وشهادة، فمن هذه الخزانة، فسبحان مرتب الأمور وشارح الصدور وباعث من في القبور بالنشور لا إله إلا هو العليم القدير.

(الوصل التاسع عشر) من خزائن الجود: هذه خزانة التعليم، ورفعة المعلم على المتعلم، وما يلزم المتعلم من الأدب مع أستاذه. اعلم أن المعلم على الحقيقة هو الله تعالى، والعالم كله مستفيد طالب مفتقر ذو حاجة وهو كماله، فمن لم تكن هذه أوصافه فقد جهل نفسه، ومن جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل أمراً فما أعطاه حقه، ومن لم يعط أمراً حقه فقد جار عليه في الحكم وعرا عن ملابسة العلم، فقد تبين لك أن الشرف كله إنما هو في العلم والعالم به بحسب ذلك العلم، فإن أعطي عملاً في جانب الحق عمل به، وإن أعطاه عملاً في جانب الخلق عمل به، فهو يمشي في بيضاء نقية سمحاء لا يرى فيها عوجاً ولا أمتاً، وأوّل متعلم قبل العلم بالتعلم لا بالذات العقل الأول، فعقل عن الله ما علمه وأمره أن يكتب ما علمه في اللوح المحفوظ الذي خلقه منه فسماه قلماً، فمن علمه الذي علمه أن قال له أدباً مع المعلم ما أكتب هل ما علمتني أو ما تمليه عليّ فهذا من أدب المتعلم إذا قال له المعلم قولاً مجملاً يطلب التفصيل فقال له: اكتب ما كان وما قد علمته وما يكون مما أمليه عليك وهو علمي في خلقي إلى يوم القيامة لا غير، فكتب ما في علمه مما كان، فكتب

Marfat.com

العماء الذي كان فيه الحق قبل أن يخلق خلقه وما يحوي عليه ذلك العماء من الحقائق، وقد ذكرناه في هذا الكتاب في باب النفس بفتح الفاء وكتب وجود الأرواح المهيمة وما هيمهم وأحوالهم وما هم عليه وذلك كله ليعلمه، وكتب تأثير أسمائه فيهم، وكتب نفسه ووجوده وصورة وجوده وما يحوي عليه من العلوم، وكتب اللوح. فلما فرغ من هذا كله أملى عليه الحق ما يكون منه إلى يوم القيامة لأن دخول ما لا يتناهى في الوجود محال فلا يكتب فإن الكتابة أمر وجودي فلا بد أن يكون متناهياً فأملى عليه الحق تعالى وكتب القلم منكوس الرأس أدباً مع المعلم لأن الإملاء لا تعلق للبصر به بل متعلق البصر الشيء الذي يكتب فيه، والسمع من القلم هو المتعلق بما يمليه الحق عليه، وحقيقة السمع أن لا يتقيد المسموع بجهة معينة بخلاف البصر الحسي فإنه يتقيد إما بجهة خاصة معينة وإما بالجهات كلها، والسمع ليس كذلك فإن متعلقه الكلام، فإن كان المتكلم ذا جهة أو في جهة فذلك راجع إليه، وإن كان لا في جهة ولا ذا جهة فذلك راجع إليه لا للسامع، فالسمع أدل في التنزيه من البصر، وأخرج عن التقييد وأوسع وأوضح في الإطلاق.

فأوّل أستاذ من العالم هو العقل الأوّل، وأوّل متعلم أخذ عن أستاذ مخلوق هو اللوح المحفوظ، وهذه الاسمية شرعية، واسم اللوح المحفوظ عند العقلاء النفس الكلية وهي أوّل موجود انبعاثي منفعل عن العقل وهي للعقل بمنزلة حواء لآدم منه خلق وبه زوّج، فثنى كما ثنى الوجود بالحادث وثنى العلم بالقلم الحادث، ثم رتب الله الخلق بالإيجاد إلى أن انتهت النوبة، والترتيب الإلهي إلى ظهور هذه النشأة الإنسانية الآدمية، فأنشأها في أحسن تقويم، ثم نفخ في آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود له فوقعت له ساجدة عن الأمر الإلهي بذلك فجعله لملائكته قبله، ثم عرّفهم بخلافته في الأرض فلم يعرفوا عمن هو خليفة فربما ظنوا أنه خليفة في عمارتها عمن سلف، فاعترضوا لما رأوا من تقابل طبائعه في نشأته فعلموا أن العجلة تسرع إليه وأن تقابل ما تركب منه جسده ينتج منه نزاعاً فيؤثر فساداً في الأرض وسفك دماء، فلما أعلمهم أنه خلقه سبحانه على صورته وعلمه الأسماء كلها المتوجهة على إيجاد العالم العنصري وغيره فما فوقه، ثم عرض المسميات على الملائكة فقال: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ الذين توجهتم على إيجادهم أي توجهت الأسماء هل سبحتموني بها وقدستموا لي فإنكم زعمتم أنكم تسبحوني بحمدي وتقدسون إلي، فقالت الملائكة ﴿لا علم لنا﴾ فقال لآدم: أنبئهم بأسمائهم فجعله أستاذاً لهم ﴿فعلمهم الأسماء كلها﴾ فعلموا عند ذلك أنه خليفة عن الله في أرضه لا خليفة عن سلف.

Marfat.com

ثم ما زال يتلقاها كامل عن كامل حتى انتهت إلى السيد الأكبر المشهود له بالكمال محمد ﷺ الذي عرف بنبوّته وآدم بين الماء والطين، فالماء لوجود البنين والطين وجود آدم، وأوتي ﷺ جوامع الكلم كما أوتي آدم جميع الأسماء، ثم علمه الله الأسماء التي علمها آدم فعلم علم الأولين والآخرين، فكان محمد ﷺ أعظم خليفة وأكبر إمام، وكانت أمته ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ وجعل الله ورثته في منازل الأنبياء والرسل، فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام فهو تشريع عن خبر الشارع فكل مجتهد مصيب كما أنه كل نبي معصوم، وتعبدهم الله بذلك ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع وتثبت لهم فيه قدم، فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ﷺ فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الأنبياء لا في صفوف الأمم فهم شهداء على الناس، وهذا نص في عدالتهم، فما من رسول إلا ولجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة أو ما كان، وكل عالم منهم فله درجة الأستاذية في علم الرسوم والأحوال والمقامات والمنازل والمنازلات إلى أن ينتهي الأمر في ذلك إلى خاتم الأولياء خاتم المجتهدين المحمديين إلى أن ينتهي إلى الختم العام الذي هو روح الله وكلمته، فهو آخر متعلم وآخر أستاذ لمن أخذ عنه، ويموت هو وأصحابه من أمة محمد ﷺ في نفس واحد بريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذي قد جهده السهر وأتاه النوم في السحر الذي سماه الشارع العسيلة لحلاوته، فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها، ثم يبقى رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة، وكان الروح الأمين جبريل عليه السلام معلم الرسل وأستاذهم، فلما أوحى إلى محمد ﷺ كان يعجل بالقرآن قبل أن يقضي إليه وحيه ليعلم الله بالحال أن الله تولى تعليمه من الوجه الخاص الذي لا يشعر به الملك، وجعل الله الملك النازل بالوحي صورة حجابية ثم أمره تعالى فيما أوحى إليه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ أدباً مع أستاذه فإنه ﷺ يقول: «إن الله أدّبني فأحسن أدبي» وهذا مما يؤيد أن الله تولى تعليمه بنفسه، ثم قال مؤيداً أيضاً لذلك: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ فما ذكر سوى نفسه وما أضافه إلا إليه، ولم يجر لغير الله في هذا التعريف ذكر، وبهذا جاء لفظ النبيّ ﷺ في قوله: «إن الله أدّبني فأحسن أدبي» ولم يذكر إلا الله ما تعرّض لواسطة ولا لملك فإن الله هكذا عرفنا، ثم وجدنا ذلك سارياً في ورثته من العلماء في كل طائفة أعني من علماء الرسوم وعلماء القلوب، فرجوع التعليم بالواسطة وغير الواسطة إلى الرب ولذلك قال الملك: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ فتبين لك من هذا الوصل صورة التعليم. ثم أنه شرع تعالى لكل

Marfat.com

أستاذ أن لا يرى له مزية على تلميذه، وأن لا تغيبه مرتبة الأستاذية عن علمه بنفسه وعبوديته، هذا هو الأصل المرجوع إليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل العشرون) من خزائن الجود: وهذه خزائة الأحكام الإلهية والنواميس الوضعية والشرعية، وأن لله تعالى في وحيه إلى قلوب عباده بما يشرع في كل أمة طريقين: طريقاً بإرسال الروح الأمين المسمى جبريل أو من كان من الملائكة إلى عبد من عباد الله فيسمى ذلك العبد لهذا النزول عليه رسولاً ونبياً يجب على من بعث إليهم الإيمان به وبما جاء به من عند ربه، وطريقاً آخر على يدي عاقل زمانه يلهمه الله في نفسه وينفث الروح الإلهيّ القدسي في روعه في حال فترة من الرسل ودرس من السبل، فيلهمه الله في ذلك لما ينبغي من المصالح في حقن الدماء وحفظ الأموال والفروج لما ركب الله في النفوس الحيوانية من الغيرة فيمهد لهم طريقة يرجعون بها إذا سلكوا عليها إلى مصالحهم، فيأمنون على أهليهم ودمائهم وأموالهم، ويحد لهم حدوداً في ذلك، ويخوّفهم ويحذرهم ويرجيهم ويأمرهم بالطاعة لما أمرهم به ونهاهم عنه وأن لا يخالفوه، ويعين لهم زواجر من قتل وضرب وغرم ليردع بذلك ما تقع به المفسدة والتشتيت، ويرغب في نظم شمل الكلمة، وأن الله تعالى يأجره على ذلك في أصحاب الفترات،وأما في الأمة التي فيها رسول أو هم تحت خطاب رسول فحرام عليه ذلك وحرام عليه خروجه عن شرع الرسول، ولم تظهر هذه الطريقة الوضعية التي تطلبها الحكمة في نوع من الأنواع إلا في النوع الإنساني خاصة لخلقه على الصورة، فيجد في نفسه قوة إلهية تدعوه لتشريع المصالح، فإن شرعها أحد غيره وهو الرسول فلا يزال يؤيده ويمهد لأمته ما وضعه لها ذلك الرسول، ويبين لهم ما خفي عنهم من رسالته لقصور فهمهم، وإن لم يفعل ذلك مع قدرته عليه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة، كما جاء في الإمام إذا صلى وهو يعلم أن خلفه من هو أحق بالإمامة منه فلم يقدمه وتقدم عليه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة إلا أن يقدمه ذلك الأفضل فيتقدم عن أمره كصلاة أبي بكر برسول الله ﷺ وصلاة عبد الرحمن بن عوف برسول الله ﷺ لما جاء وقد فاتته ركعة وتقدم لأجل خروج الوقت فجاء رسول الله ﷺ وقد صلوا ركعة فصلى خلفه وشكرهم على ما فعلوا وقال: أحسنتم، ولولا أن الشارع قرر حكم المجتهد من علماء هذه الأمة ما ثبت له حكم.

واعلم أن العلماء بالله على مراتب في أخذهم العلم الإلهيّ، فمنهم من أخذ العلم بالله من الله وهم الذين قيل لهم: ﴿فاعلموا أنه إله واحد﴾ ومنهم من أخذ العلم بالله عن نظر

Marfat.com

واستدلال وهم الذين نصب الله لهم الأدلة والآيات في الآفاق وفي أنفسهم وأمرهم بالنظر في ذلك حتى يتبين لهم أنه الحق مثل قوله: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ وقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقوله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» ومنهم من أخذ العلم بالله من تقوى الله مثل قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ تفرقون به بين الله وبين الآلهة التي عبدها المشركون وتعرفون ما عبدوا من ذلك مع علمهم إذا سموهم أنهم أحجار وأشجار وكواكب وملائكة وناس وجان ويعلمون حقيقة كل مسمى ولماذا اختصوا بالعبادة ما اختصوا منها وهي ومن لم يتخذوه معبوداً من أمثالها في الحد والحقيقة على السواء، وما في هذه الطوائف أعلى ممن حصل العلم بالله عن التقوى، فهذا المأخذ أعلى المراتب في الأخذ فإن له الحكم الأعم يحكم على كل حكم وعلى كل حاكم بكل حكم فهو خير الحاكمين، ولا يكون هذا العلم ابتداء ولهذا لا يختص به إلا المؤمنون العالمون الذين علموا أن ثم واحداً يرجع إليه ويوصل إلى شهوده، وإن لم يعلموا ذلك قصرت هممهم، ولو تجلى لهم الحق بنفسه أنكروه وردوه فإنه عندهم مقيد بأمر ما مهما لم يجدوا ذلك الأمر الذي قيدوه به فيمن تجلى لهم وقال لهم أو قيل لهم إنه الله ردوه ولا بد، فلما قصرت هممهم وأعطاهم نظرهم أن الحق لا يراه أحد كالفيلسوف والمعتزلي وإن علم فبالضرورة ينكرونه في تجليه لهم فلا بد للمؤمن أن يعطيه نور إيمانه ما أعطى لموسى عليه السلام في نفسه حتى سأل الرؤية ثم أخبر الله أنه تجلى للجبل والجبل من العالم وتدكدك الجبل عند رؤيته ربه، وإذا تجلى لمحدث جاز أن يراه كل محدث إذا شاء وجاز أن يتجلى له، فإذا علموا وآمنوا وانبسط نور الإيمان على المراتب والمقامات فعلموها كشفاً ووجوداً وانبسط على نفوسهم فشاهدوا نفوسهم فعرفوها فعرفوا ربهم بلا شك علماً وإيماناً ثم عملوا بتقوى الله فجعل الله لهم فرقاناً بين ما أدركوه من الله بالعلم الخبري وبالعلم النظري وبالعلم الحاصل عن التقوى، وعلموا عند ذلك ما هو التام من هذه العلوم والأتم، فمن ادّعى التقوى ولم يحصل له هذا الفرقان فما صدق في دعواه فإن الكذب كله عدم أي مدلوله عدم وإن كان مذموماً بالإطلاق عرفاً محموداً بالتقييد الذي يحمد به والصدق كله حق أي مدلوله حق، وإن كان محموداً بالإطلاق عرفاً مذموماً بالتقييد الذي يذم به:

أوقفني الحق في شهودي ... جوداً وفضلاً على وجودي
فقمت شكراً به إليه ... أرغب في لذة المزيد

Marfat.com

فزادني جوده علوماً بالله في نسبة الوجود
إليه سبحانه تعالى ترى على الكشف والشهود
لا يعرف الله غير قلب كالبدر في منزل السعود
يرقى إليه يجيء منه ما بين بيض وبين سود

فأما العلماء بالله من طريق الخبر فلا يعلمون من الله إلا ما ورد به خبر الله عن الله في كتاب أو سنة، فهم بين مشبه بتأويل وبين واقف وهو الأسلم والأنجى من الرجلين، فإنه لا يتمكن له رد الألفاظ ولا رد ما تدل عليه فيقع في التشبيه، والآخر وإن لم يكن له رد الألفاظ ولا رد ما تدل عليه فإنه ما نزل ما نزل من ذلك إلا بلغته، ورأى التقابل فيما نزل من نفي التشبيه فآمن وصرف علم ذلك إلى الله من غير تعيين لأن المسمى والموصوف لم يره ولم يعلم ما هو عليه إلا من هذه الأخبار الواردة عنه. وأما علماء النظر فهم طوائف كثيرة كل طائفة نزعت في الله منزعاً بحسب ما أعطاها نظرها في الذي اتخذته دليلاً على العلم به، فاختلفت مقالاتهم في الله اختلافاً شديداً وهم أصحاب العلامات لما ارتبطوا بها، وأما علماء الكشف والشهود وهم المؤمنون المتقون فإن الله جعل لهم فرقاناً أوقفهم ذلك الفرقان على ما ادعى أهل كل مقالة في الله من علماء النظر والخبر أن يقولوا بها وما الذي تجلى لقلوبهم وبصائرهم من الحق وهل كلها حق أو فيه ما هو حق وما ليس بحق؟ كل ذلك معلوم لهم كشفاً وشهوداً فيعبده من هذه صفته عبادة أمر وعبادة ذاتية وليس ذلك إلا لهم وللملائكة، وأما الأرواح التي لا تعرف الأمر فعبادتهم ذاتية، وأما علماء النظر والخبر فعبادتهم أمرية، قال رسول الله ﷺ: «**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**» وهذه هي العبادة الذاتية فأخبر أنه ذو عبادتين: عبادة أمر وذات وبالعبادة الذاتية يعبده أهل الجنان وأهل النار، ولهذا يكون المآل في الأشقياء إلى الرحمة لأن العبادة الذاتية قوية السلطان والأمر عارض والشقاء عارض وكل عارض زائل يجرى إلى أجل مسمى.

واعلم أنه ما تقدم لنبي قط قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله ولا ينبغي له ذلك، وكذلك كل ولي مصطفى لا يتقدم له نظر عقلي في العلم بالله وكل من تقدمه من الأولياء علم بالله من جهة نظر فكري فهو وإن كان ولياً فما هو مصطفى ولا هو ممن أورثه الله الكتاب الإلهي، وسبب ذلك أن النظر يقيده في الله بأمر مّا يميزه به عن سائر الأمور ولا يقدر على نسبة عموم الوجود لله، فما عنده سوى تنزيه مجرد، فإذا عقد عليه فكل ما أتاه من ربه

Marfat.com

مخالف عقده فإنه يرده ويقدح في الأدلة التي تعضد ما جاءه من عند ربه، فمن اعتنى الله به عصمه قبل اصطفائه من علوم النظر واصطنعه لنفسه وحال بينه وبين طلب العلوم النظرية ورزقه الإيمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله، هذا في هذه الأمة التي عمت دعوة رسولها، وأما في النبوة الأولى ممن كان في فترة من الرسل فإنه يرزق ويحبب إليه الشغل بطلب الرزق أو بالصنائع العملية أو الاشتغال بالعلوم الرياضية من حساب وهندسة وهيئة وطب وشبه ذلك من كل علم لا يتعلق بالإله، فإن كان مصطفى ويكون نبياً في زمان النبوّة في علم الله فيأتيه الوحي وهو طاهر القلب من التقييد بإله محصور في إحاطة عقله وإن لم يكن نبياً وجاء رسول إلى أمة هو منها قبل ما جاءه به نبيه ذلك لسذاجة محله ثم عمل بإيمانه واتقى ربه رزقه الله عند ذلك فرقاناً في قلبه وليس لغيره ذلك، هكذا أجرى الله عادته في خلقه، وإن سعد صاحب النظر العقلي فإنه لا يكون أبداً في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله إلا من حيث إيمانه وتقواه، وهذا هو وارث الأنبياء في هذه الصفة فهو معهم وفي درجتهم هذه، فاعلم ذلك ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

وأما علوم الملائكة وما عدا النفوس الناطقة المدبرة لهذه الهياكل الإنسانية والهياكل الإنسانية فكلهم علماء بالله بالفطرة لا عن تفكر ولا استدلال، ولهذا تشهد الجلود من هذه النشأة والأسماع والأبصار والأيدي والأرجل وجميع الجوارح على مدبرها بما أمرها به من التعدي لحدود ربه، وما شهادتها إلا إخبار بما جرى فيها من أفعال الله لأنها لا تعرف تعدي الحدود ولا العصيان، فيكون ذلك التعريف بتعيين هذه الأفعال شهادة على النفوس المصرفة لها في تلك الأفعال، فإن كل ما سوى هذه النفوس المشهود عليها ما تعلم إلا التسبيح بحمد ربها لا غير ذلك لما تجده في فطرتها، وما في العلوم أصعب تصوراً من هذا العلم لطهارة النفوس الناطقة بحكم الأصل ولطهارة الأجسام وقواها بما فطرت عليه، ثم باجتماع النفس والجسم حدث الإنسان وتعلق التكليف وظهرت الطاعات والمخالفات، فالنفوس الناطقة لا حظ لها في المخالفة لعينها، والنفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الأشياء ليس عليها تكليف، والجوارح ناطقة بحمد الله مسبحة له تعالى، فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة، فإن كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالإنسان أمر آخر كما حدث له اسم الإنسان فهو المذموم بالمخالفة خاصة، فإن الإنسان العاقل البالغ هو المكلف لا غير، ومن زالت عنه هذه الشروط من هذا النوع فليس بمكلف ولا مذموم على ترك أو فعل منهي عنه.

Marfat.com

ثم العلماء بالله انقسموا على أربعة أقسام لا خامس لها. فمنهم من أخذ العلم بالله من الله من غير دليل ظاهر ولا شبهة باطنة. ومنهم من أخذه بدليل ظاهر وشبهة باطنة وهم أهل الأنوار، والطائفة الأولى هم أهل الالتذاذ بالعلوم. والقسم الثالث هم الراسخون في العلم ولهم في علمهم بالله ميل إلى خلق الله ليروا ما قبل الخلق من صورة الحق لا شبهة لهم في علمهم بالله ولا بالخلق، وهم أهل الأسرار وعلم الغيوب وكنوز المعارف والعلوم والثبات في حال الأمور المزلزلة أكبر العقول عما عقدت عليه. والقسم الرابع هم أهل الجمع والوجود والإحاطة بحقيقة كل معلوم فلا يغيب عنهم وجه فيما علموه، ولهم التصريف بذلك العلم في العالم حيث شاؤوا ولهم الأمان فلا أثر لشبهة قادحة في علمهم وهم أيضاً من أهل الأسرار، وما عدا هؤلاء العلماء فخلق من خلق الله يتصرفون فيما يصرفون مجبورون في اختيارهم من كان منهم من أهل الاختيار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(الوصل الأحد والعشرون) من خزائن الجود: وهذه خزانة إظهار خفي المنن التي لأهل الله في الورود والصدور، ووضع الآصار والأغلال والأعباء والأثقال، ولها رجال أي رجال، ولهم مشاهد راحة عند حط الرحال وهم البيوت التي ﴿أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالغدو والآصال﴾ ومن هذه الخزانة يعلم إحاطة الرحمة بجميع الأعمال في الأحوال والأقوال والأفعال، وما ينبغي للعبد أن يكون عليه من التوجه إلى ربه والإقبال والفراغ إليه تعالى من جميع ما يشغل عنه من الأشغال، فهي خزانة الكرم ومعدن الهمم وقابلة أعذار الأمم وناطقة بكل طريق هو العالم عليه بأنه هو الطريق الأقوم. فأقول والله الموفق للصواب مترجماً عن هذه الخزانة بما كشفه لنا الجود الإلهي والكرم: اعلم أن كل موجود من العالم في مقامه الذي فطره الله عليه لا يرتقي عنه ولا ينزل قد أمن من التبديل والتحويل ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ فيئس من الزيادة التي طلبها من لا علم له بما أشرنا إليه وصار الأمر مثل الأجل المسمى بالإنسان فإنه في ترق دائم أبداً شقيه وسعيده، فأما السعيد فمعلوم عند جميع الطوائف، وأما ارتقاء الشقي في العلم بالله فلا يعرفه إلا أهل الله، والشقي لا يعرف أنه كان في ترق في أسباب شقائه حتى تعمه الرحمة ويحكم فيه الكريم الإلهي ويفتح له الفتح في المآل فيعرف عند ذلك ما ترقى فيه من العلم بالله في تلك المخالفات التي شقي بها فيحمد الله عليها، وقد أعطى الله منها أنموذجاً في الدنيا فيمن ﴿تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم

Marfat.com

حسنات﴾ ومعنى ذلك أنه كان يريه عين ما كان يراه سيئة حسنة، وقد كان حسنها غائباً عنه بحكم الشرع، فلما وصل إلى موضع ارتفاع الأحكام وهو الدار الآخرة رأى عند كشف الغطاء حسن ما في الأعمال كلها لأنه ينكشف له أن العامل هو الله لا غيره فهي أعماله تعالى، وأعماله كلها كاملة الحسن لا نقص فيها ولا قبح، فإن السوء والقبح الذي كان ينسب إليها إنما كان ذلك بمخالفة حكم الله لا أعيانها، فكل من كشف الغطاء عن بصيرته وبصره متى كان رأى ما ذكرناه، ويختلف زمان الكشف فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا وهم الذين يقولون أفعال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله وليس للعبد فعل إلا الكسب المضاف إليه وهو عبارة عما له في ذلك العمل من الاختيار، وأما القدرة الحادثة فلا أثر لها عندهم في شيء فإنها لا تتعدى محلها.

وأما العارفون من أهل الله فلا يرون أن ثم قدرة حادثة أصلاً يكون عنها فعل في شيء، وإنما وقع التكليف والخطاب من اسم إلهي على اسم إلهي في محل عبد كياني فسمى العبد مكلفاً وذلك الخطاب تكليفاً. وأما الذين يقولون أن الأفعال الصادرة من الخلق هي خلق لهم كالمعتزلة فعند كشف الغطاء يتبين لهم ما هو الأمر عليه فإما لهم وإما عليهم. ومنهم من يكون له الكشف عند الموت وفي القيامة عند كشف الساق والتفاف الساق بالساق وبعد نفوذ الحكم بالعقاب فينكشف لهم نسبة تلك الأعمال إلى الله، فللإنسان وحده وورود على الله وصدور عن الله هو عين وروده على الله من طريق آخر غير الورود الأول، فهو بين إقبال على الله للاستفادة وصدور عن الله بالإفادة، وهذا الصدور هو عين الإقبال على الله لاستفادة أخرى، وأكثر ما يكون الفتح في الصدور عن الله من حيث ما هو عين إقبال على الله فهو ممن يرى الحق في الخلق، فمن ثقل عليه من أهل الله رؤية الحق في الخلق لما فيه من بعد المناسبة التي بين الواجب الوجود بالذات وبين الواجب الوجود بالغير، فإذا كان ذوق هذا العبد هذا الشهود أراه الحق عين ما ثقل عليه ليس إلا الله وحده وجوداً ويسمى خلقاً لحكم الممكن في تلك العين، فإذا علم العبد ما هي العين الموجودة وما هو الحكم وأنه عن عين معدومة لم يبال وزال ما كان يجده من ثقل الكون الذي من أجله سمي الجن والإنس بالثقلين وهو اسم لكل موجود طبيعي، وزال عنه ما كان يحس به من الألم النفسي والحسي ورفعه الله عند هذا مكاناً علياً وهو نصيبه من مقام إدريس عليه السلام، فارتفعت مكانته وزالت زمانته وحمد مسراه وعلم ما أعطاه سراه، فتميزت المراتب واتحدت المذاهب وتبحرت الجداول والمذانب واستوى القادر وغير القادر والكاسب، فأعظم الإقبال وأعلاه

Marfat.com

من يكون إقباله على الله عين نفسه الخارج وصدوره عن الله وهو عين إقباله عين نفسه الداخل، فهو مقبل على الله من كونه محيطاً بالنفس الخارج، ومقبل على الله في صدوره بنفسه الداخل من كون الحق وسعه قلبه فيكون مستفيداً في كل نفس بين اسم إلهيّ ظاهر وبين اسم إلهيّ باطن، فالنفس الخارج إلى الحق المحيط الظاهر ليريه عين الحق في الآيات في الآفاق، والنفس الداخل إلى الحق الباطن ليريه عين الحق في نفسه، فلا يشهد ظاهراً ولا باطناً إلا حقاً، فلا يبقى له في ذاته اعتراض في فعل من الأفعال إلا بلسان حق لإقامة أدب، فالمتكلم والمكلم عين واحدة في صورتين بإضافتين.

ثم لتعلم يا ولي أن الله لما خلق العالم وملأ به الخلائق لم يبق في العالم جوهر يزيد ولا ينقص فهو بالجوهر واحد، غير أن هذا الجوهر الذي قد ملأ الخلا لا يزال الحق تعالى فيه خلاقاً على الدوام بما يفتح فيه من الأشكال ويلطف فيه من الكثائف ويكثف فيه من اللطائف ويظهر فيه من الصور ويحدث فيه من الأعراض من أكوان وألوان، ويميز كل صورة فيه من الكثائف بما يوجده فيها من الصفات، وعلى الصورة التي تفتح فيه تقع الحدود الذاتية والرسمية، وفيه تظهر أحكام النسب والإضافات، فما أحدث الله بعد ذلك جوهراً لكن يحدث فيه، فإذا علمت هذا فاعلم من تقع عليه العين وما هي عليه العين، وما تسمعه الأذن وما هي الأذن، وما يصوت به اللسان وما هو الصوت، وما تلمسه الجوارح وما هي الجارحة، وما يذوق طعمه الحنك وما هو الحنك، وما يشمه الأنف وما هو الأنف، وما يدركه العقل وما هو العقل، وما هو السمع والبصر والشم والطعم واللمس والحس، وما هو المتخيل والمتخيل والخيال، وما هو التفكر والمتفكر والفكر والمتفكر فيه، وما هو المصوّر والمصوّر والصورة، والذاكر والذكر والمذكور، والوهم والمتوهم والتوهم والمتوهم فيه، والحافظ والحفظ والمحفوظ، وما هو المعقول. فما يحصل لك إلا علم بأعراض ونسب وإضافات في عين واحدة هي الواحدة والكثيرة، وعليها تنطلق الأسماء كلها بحسب ما أحدث الله فيها مما ذكرناه وهي بالذات عين هذا الجوهر الذي ملأ الخلاء وقابل لكل ما ذكرناه، وفيه يظهر الجوهر الصوري والعرض والزمان والمكان، وهذه أمهات الوجود ليس غيرها، وما زاد عليها فإنه مركب منها من فاعل ومنفعل وإضافة ووضع وعدد والكيف.

ومن هنا يعرف هل تقوم المعاني بالمعاني أو الجوهر القابل للمعنى الذي يظن أن المعنى الآخر قائم به إنما هو قائم بالجوهر الذي قام به المعنى الموصوف مثل إشراق

Marfat.com

السواد فتقول: سواد مشرق، أو علم حسن، أو خلق كريم، أو حمرة في بياض مشربة به، فإذا علمت هذا علمت من أنت وما هو الحق الذي جاد عليك بما ذكرناه كله وأشباهه، وعلمت أنه لا يمكن أن يماثله شيء من خلقه مع معقولية المناسبة التي ربطت وجودك بوجوده وعينك بعينه، كما ربط وجود علمك به بعلمك بك في قوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فإن أعرف الخلق بالخلق أعرفهم بالله، وعلمت أحدية الواحد من أحدية الكثرة، وانحصار الوجود قديمه وحديثه فيماذا ينحصر، وتمييز القديم من المحدث بماذا يتميز وما ينسب إلى القديم الأزلي من الأسماء والأحكام، وما ينسب إلى المخلوق المحدث من الأسماء والأحكام، ولماذا يرجع عين العالم؟ وما يشهد من الحق إذا تجلى لك ورأيته، ولماذا يرجع اختلاف التجلي وتغايره هل لتغاير إدراكك في عين واحدة تختلف رؤيتك فيه وهو غير متنوّع في نفسه، أو ذلك التنوع في التجلي راجع إلى النسبة لا إليك ولا إليه؟ فأما إليه فمحال عند أهل الله وما بقي إلا لأحد أمرين: أولهما إما إليك أو إلى أمر آخر ما هو هو ولا هو أنت وهكذا تشهده، فما كل من رأى عرف ما رأى، وما حار أهل الحيرة سدى، فإن الأمر عظيم والخطب جسيم، والمشهد عام والوجود طام، والكمال حاصل والعلم فاصل، والحكم نازل، والتجدد مع الأنفاس في الأكوان معقول، وما يقال على الحق منقول بين معقول وغير معقول، وليس يدرك هذه الأغوار إلا أهل الأسرار والأنوار وأولو البصائر والأبصار، فمن انفرد بسر بلا نور أو بنور بلا سر، أو ببصيرة دون بصر أو ببصر دون بصيرة، أو بظاهر دون باطن أو بباطن دون ظاهر كان لما انفرد به ولم يحصل على كمال وإن اتصف به وإن كان تاماً فيما هو عليه ولكن الكمال هو المطلوب لا التمام، فإن التمام في الخلق والكمال فيما يستفيده التام ويفيده، ومتى لم تحصل له هذه الدرجة مع تمامه فإن الله أعطى كل شيء خلقه فقد تم ثم هدى لاكتساب الكمال، فمن اهتدى فقد كمل، ومن وقف مع تمامه فقد حرم، رزقنا الله وإياكم الفوز والوصول إلى مقام العجز إنه الولي المحسان.

(الوصل الثاني والعشرون) من خزائن الجود: وهذه خزانة الفترات فتوهم انقطاع الأمور وما هي الأمور منقطعة وما يصح أن تنقطع لأن الله لا يزال العالم محفوظاً به فلا يزال حافظاً له، فلو انقطع الحفظ لزال العالم، فإن الله ما هو غني عن العالم إلا لظهوره بنفسه للعالم فاستغنى أن يعرف بالعالم فلا يدل عليه الغير بل هو الدليل على نفسه بظهوره لخلقه، فمنهم من عرفه وميزه من خلقه، ومنهم من جعله عين خلقه، ومنهم من حار فيه فلم يدر أهو عين خلقه أم هو متميز عنه؟ ومنهم من علم أنه متميز عن الخلق والخلق متميز عنه

Marfat.com

ولكن لا يدري بماذا تميز خلق عن حق ولا حق عن خلق، ولهذا حار أبو يزيد، فإنه علم أن ثم في الجملة تمييزاً وما عرف ما هو حتى قال له الحق التمييز في الذلة والافتقار فحينئذ سكن وما قال له النصف الآخر من التمييز وهو الغنى الإلهيّ عن العالم. فإن قلت: الذلة والافتقار يغني. قلنا: في الشاهد لا يغني لما نشاهده من الذلة لذليل، ومن الافتقار لفقير، فإن الله قد جعل العالم على مراتب ودرجات مفتقراً بعضه إلى بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً فجعل العالم فاضلاً مفضولاً.

ولما كان الأمر الحق فيما نبه الله عليه أبا يزيد نبهنا بذلك على علم قوله: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد﴾ أي المثنى عليه بكل ما يفتقر إليه، فالعالم كله أسماؤه الحسنى وصفاته العليا فلا يزال الحق متجلياً ظاهراً على الدوام لأبصار عباده في صور مختلفة عند افتقار كل إنسان إلى كل صورة منها، فإذا استغنى من استغنى عن تلك فهي عند ذلك المستغنى خلق، فإذا عاد افتقاره إليها فهي حق واسمها هو اسم الحق وفي الظاهر لها، فيتخيل المحجوب أنه افتقر إليها وذل من أجل حاجته إليها، وما افتقر وذل إلا لله الذي بيده ملكوت كل شيء، فالناس في واد والعلماء بالله في واد.

وأما التفاضل الظاهر في العالم فمجهول عند بعض الناس ومعلوم عند بعضهم، ومنهم المخطىء فيه والمصيب، وذلك أن العالم قسمه الله في الوجود بين غيب وشهادة وظاهر وباطن وأوّل وآخر، فجعل الباطن والآخر والغيب نمطاً واحداً، وجعل الأوّل والظاهر والشهادة نمطاً آخر، فمن الناس من فضل النمط الذي فيه الأولية، ومن الناس من فضل النمط الذي فيه الآخرية، ومن الناس من سوّى مطلقاً، ومن الناس من قيد وهم أهل الله خاصة فقالوا: النمط الذي فيه الآخرية في حق السعداء خير وفي حق الأشقياء ما هو خير، وأن أهل الله تعلقهم بالمستقبل أولى من تعلقهم بالماضي، فإن الماضي والحال قد حصلا والمستقبل آت فلا بد منه فتعلق الهمة به أولى، فإنه إذا ورد عن همة متعلقة به كان لها لا عليها، وإذا ورد عن غير همة متعلقة به كان إما لها وإما عليها، وإنما أثر فيه تعلق الهمة أن يكون لها لا عليها لما يتعلق من صاحب الهمة من حسن الظن بالآتي والهمم مؤثرة، فلو كان إتيانه عليه لا له لعاد بالهمة له لا عليه، وهذه فائدة من حافظ عليها حاز كل نعيم، فإذا ورد الآتي على ذي همة متعلقة بإتيانه بادر إلى الكرامة به والتأدب معه على بصيرة وسكون وحسن تأن في ذلك، بخلاف من يفجأه الآتي فيدهش ويحار في كيفية تلقيه ومعاملته وهو سريع الزوال، فربما فارق الحال ومضى وما قام صاحب الدهش بحقه وبما يجب عليه من

Marfat.com

الأدب معه، بخلاف المستعد غير أن المستعد للآتي لا بد إن كان كاملاً أن يحفظ الماضي فإنه إن لم يحفظه فاته خيره.

وقد جعل الله في العبد من خزائن الجود خزانة الحفظ فيكون عليه جعله في تلك الخزانة فهو صاحب حال في الحال وفي الماضي، فما يبقى له إلا الآتي مع الأنفاس، فلا تزال القوّة الحافظة على باب خزانة الحفظ تمنع أن يخرج منها ما اخترنته فيها وتأخذ ما فارق الحال فتخزنه فيها، ولهذه القوّة الحافظة سادنان: الواحد الذكر وقد وكلته بحفظ المعاني المجرّدة عن المواد. والسادن الآخر الخيال وقد وكلته بحفظ المثل في تلك الخزانة وبقيت هي مشتغلة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة زمان الحال وحكم الزمان الماضي على هذا الآتي فتأخذه فتلقيه في الخزانة خزانة الحفظ، وإنما سميت خزانة الحفظ لأنها تحفظ على الآتي زمان الحال وهو الدائم، فلا يحكم عليه الزمان الماضي بخلاف من ليس له هذا الاستعداد ولا هذا التهيؤ، فإن الماضي يأخذه فينساه العبد فلا يدري أين ذهب، وهو الذي يستولي عليه سلطان الغفلة والسهو والنسيان فيكون الحق يحفظه له أو عليه، والعبد لا يشعر لهذا الحفظ الإلهيّ بل أكثر العبيد لا كلهم وهو قوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وقال تعالى أيضاً في كتابه: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ فالعبد الكامل رب الحفظ يحضر والغافل الذي لا حفظ له يحضر له فبين الرجلين بون بعيد، فالحكم العام إنما هو لزمان الحال وهو الدائم يحضر المستقبل قبل إتيانه ويمسك ما أتى به الماضي، فإن الزمان صورة روحها ما يأتي به لا غير، فزمان الحال حيّ بحياة كل زمان لأنه الحافظ والضابط لكل ما أتى به كل زمان.

ولما كانت الأزمنة ثلاثة كانت الأحوال ثلاثة حال اللين والعطف فإنه يأتي باللين ما يأتي بالقهر والفظاظة، ولا يأتي بالقهر ما يأتي باللين فإن القهر لا يأتي بالرحمة والمودّة في قلب المقهور، وباللين ينقضي المطلوب وتأتي بالمودة فتلقيها في قلب من استملته باللين وصاحب اللين لا يقاوم فإنه لا يقاوم لما يعطيه اللين من الحكم، والحال الثاني حال هداية الحائر فإن الحائر إذا سأل يسأل إما بحاله وإما بقوله، فإن العالم بما حار فيه يجب عليه أن يبين له ما حار فيه، فإن كان المسؤول فيه مما تكون حقيقة الحيرة فيه أبان له هذا العالم أن العلم به أنه يحار فيه فأزال عنه الحيرة في الحيرة، وإن كانت من العلوم التي إذا بينت زالت الحيرة فيه وبان بيان الصبح لذي عينين أبانه له فعلمه فأزال عنه الحيرة ولا يرده ولا يقول له

Marfat.com

ليس هذا عشك فادرج ولا سألت ما لا يعطيه مقامك، فإن الإنسان إذا قال مثل هذا القول لمن سأله عن علم ما فليس بعالم وهو جاهل بالمسألة، وبالوجه الذي ينبغي من هذه المسألة أن يقابل به هذا السائل والعلم وسوء الخلق لا يجتمعان في موفق، فكل عالم فهو واسع المغفرة والرحمة، وسوء الخلق إنما هو من الضيق والحرج وذلك لجهله فلا يعلم قدر العلم إلا العلماء بالله فله السعة التي لا نهاية لها مدداً ومدة.

ولقد شفعت عند ملك في حق شخص أذنب له ذنباً اقتضى ذلك الذنب في نفس ما يطلبه الملك أن يقتل صاحبه فإن الملك يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء فإنه لا يعفو عنها إذ لا عفو فيها، وما يتفاضل الملوك فيها إلا في صورة العقوبة، والثلاثة الأشياء التي لا عفو فيها عند الملوك: التعرّض للحرم، وإفشاء سره، والقدح في الملك، وكان هذا الشخص قد جاء لهذا الملك بما يقدح في الملك فعزم على قتله فلما بلغتني قصته تعرّضت عند الملك للشفاعة فيه أن لا يقتله فتغير وجه الملك وقال: هو ذنب لا يغفر فلا بد من قتله فتبسمت وقلت له: أيها الملك والله لو علمت أن في ملكك ذنباً يقاوم عفوك ويغالبه ما شفعت عندك ولا اعتقدت فيك أنك ملك، والله إني من عامة المسلمين والله ما أرى في العالم كله ذنباً يقاوم عفوي، فتحير من قولي ووقع لي بالعفو عن ذلك الشخص فقلت له: فاجعل عقوبته إنزاله عن الرتبة التي أوجبت له عندك أن تطلعه على أسرارك حتى ركب مركباً يقدح في الملك، فإني كما كنت له في دفع القتل عنه أنا أيضاً للملك معين فيما يدفع عن القدح في ملكه، ففرح الملك بذلك وسرّ وقال لي: جزاك الله خيراً عني، ثم صعد من عندي إلى قلعته وأخرج ذلك المحبوس وبعث به إليّ حتى رأيته فوصيته بما ينبغي وتعجبت من عقل الملك وتأدبه وشكرته على صنيعه.

والحال الثالث إظهار المنعم عليه نعمة المنعم عليه، إن إظهارها عين الشكر وحقه، وبمثل هذا يكون المزيد كما يكون بالكفران لها زوال النعم والكفران سترها فإن الكفر معناه الستر قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ وهذا غاية النعم من المنعم ﴿فكفرت﴾ يعني الجماعة التي أنعم عليها المنعم بهذه النعم بأنعم الله ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ بإزالة الرزق ﴿والخوف﴾ بإزالة الأمن ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من ستر النعم وجحدها والأشر والبطر بها، وقال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وقال: ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾ هذا مع غناه عن العالمين، فكيف بالفقير المحتاج إذا أنعم على مثله من نعمة الله التي أعطاه إياه وامتن عليه بها فهو أحوج إلى الشكر

Marfat.com

وأفرح به من الغنيّ المطلق الغنى عن العالمين، وهذه خزانة شريفة العلم بها شريف ومقامها مقام منيف.

(الوصل الثالث والعشرون) من خزائن الجود: وهذه خزانة الاعتدال وإعطاء كل ذي حق حقه، فهي خزانة العدل لا خزانة الفضل، من هذه الخزانة يقيم الله العدل في العالم بين عباده وهي خزانة ينقطع حكمها ويغلق بابها، وأن خزانة الفضل تنعطف عليها ﴿وإن الله يأمر بالعدل﴾ لما فيه من الفضل لمن أخذ له بالحق ﴿والإحسان﴾ معطوف على العدل في الأمر به، فيكون من ظهر فيه سلطان العدل وأخذ بجريمته أن يعطف عليه بالإحسان فينقضي أمر المؤاخذة ولا ينقضي أمد الإنعام والإحسان، وقد يكون الإحسان ابتداء وجزاء للإحسان الكوني كما جاء في قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ وقوله سبحانه: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ جزاء ﴿وزيادة﴾ الإحسان بعد العدل والإحسان قبل المؤاخذة ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح﴾ ولم يجاز بالسيئة على السيئة فهو أولى ﴿فأجره على الله﴾ أي هذه صفة الحق فيمن عفى عنه فيما هو حق له معرى عن حق الغير، فإقامة العدل إنما هو في حق الغير لا فيما يختص بالجناب الإلهيّ، فما كان الله ليأمر بمكارم خلق ولا يكون الجناب الإلهيّ موصوفاً به، ولهذا جعل أجر العافين عن الناس على الله، وهذه الخزانة أرسلت حجب الأسرار دون أعين الناس وهو ما أخفى الحق عنهم من الغيوب وهو قوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه لا يحيط من علم غيب الله إلا بما شاء الله، كما رفعت الستور وانكشفت الأنوار فأدركت البصائر بها كل معقول وأدركت الأبصار بها كل مبصر فأحاط العقل بهذه الأنوار كلما يمكن أن يدرك عقلاً، وأحاط البصر بهذه الأنوار كلما يمكن أن يدرك حساً، وهذا لخصوص عباده المصطفين الأخيار، فلهم الكشف الدائم للخلق الجديد، فلا يتناهى كشفهم كما لا يتناهى الخلق الجديد في العالم.

ثم إن هذه الخزانة تعطي في العلم الإلهيّ علم الفاعل والفعل والمفعول والمفعول فيه والمفعول به والمفعول معه فيقف على التكوين الإلهيّ والتكوين الكياني، فيعلم أن لكل فاعل طريقاً يخصه في نسبة الفعل إليه، فأما أهل الكرم والجود على الغير فإن الله يمكنه من أسباب الخير ويهون عليه الشدائد ويرفع عنه الأمور المحرجة ويخرجه من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن الغيّ إلى الرشد. وأما من نظر في الحقائق ورأى نفسه أحق بنظره إليها من نظره إلى غيره وأن نظره إلى غيره إنما جعله الله ليعود بما فيه من الخير

Marfat.com

على نفسه فغفل عن كل شيء سواه فشغل نفسه بنفسه وصرف همته إلى عينه وأعطاها من كل شيء أعطاه الحق حقها فاستغنى بربه وكشف له عن ذاته ورأى جميع العالم في حضرته ورأى الرقائق بينه وبين كل جزء من العالم، فعمد يحسن إلى العالم من نفسه على تلك الرقيقة التي بين ما يناسب من العالم وبين المناسب له، فيوصل الإحسان لكل ما في العالم بهمته من الغيب كما يوصله الحق من الأسباب فيجهله العالم لأنه لا يشهده في الإحسان كما يجهل الحق بالأسباب فيقول: لولا كذا ما كان كذا، ونسي الحق في جنب السبب فلا بد أن ينسى هذا العبد الكامل، وكما أن لله عباداً وإن وقفوا مع الأسباب يقولون هذا من عند الله ليس للسبب فيه حكم، كذلك لله عباد يقولون هذا ببركة فلان وهمته ولولا همته ما جرى كذا وما دفع الله عنا كذا، ومنهم من يقول ذلك عقداً وإيماناً، ومنهم من يقول ذلك عن غلبة ظنّ، فهذا عبد قد أقامه الحق في قلوب عباده مقامه في الحالين، فالناس ينطقون بذلك ولا يعرفون أصله.

وقد ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه من الأنصار في واقعة وقعت في فتح مكة في غزوة حنين فقال لهم: «**ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي فذكر نفسه ووجدتكم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي**» وهذا معنى قول الناس: هذا ببركة فلان وهذا بهمة فلان، وقولهم: اجعلني في خاطرك وفي همتك ولا تنساني وأشباه هذا، فمن أعرض عن هذه المشاهد ولم يفرق بين المشهود والشاهد فذلك الحائر الخاسر، كما أن الآخر هو الرابح في تجارته المقسط بصفقته. والرابحون انقسموا إلى قسمين: إلى عاملين على الجزاء وإلى عاملين على الوفاء، فالعاملون على الجزاء لهم نعوت تخصهم، والعاملون على الوفاء على قسمين، : عمال لا عمال، وعمال عمال، والعمال العمال على قسمين: عمال بحق وعمال بأنفسهم وكلاهما قائل بالجزاء، والعمال لا عمال يرون الجزاء للعمل لا للعامل، والعمل لا يقبل نعيم الجزاء فيعود عليهم جزاء العمل، وأما جزاء العامل هم يرون العامل هو الله، وليس بمحل للجزاء لأن الجزاء على قدر العامل فيحصلون على الجزاء الإلهيّ وهو القصور عن الوفاء بما يستحقه العامل فهو جزاء لما قام بالعلماء بالله في الثناء عليه بمحامده وهو قول النبيّ ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولكن عند من عند نفسك أو عند خلقك**» فانظر فيما نبهتك عليه فإنه ينفعك إن قبلت مقالتي وأصغيت إلى نصيحتي، وهذا وصل الكلام فيه يطول جداً فإنه يحوي على أسرار وأنوار ومزج واختلاط وتخليص وتمييز وما يردي وما ينجي، ويكتفى بهذا القدر من هذا الباب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السبعون وثلثمائة

في معرفة منزل المزيد وسرّ وسرين من أسرار الوجود والتبدل وهو من الحضرة المحمدية

إن الزيادة في الأعمال صورتها ... مثل الزيادة في الأنعام يا رجل
وليس يعرفها إلا رجال حجى ... وليس يحصرها عد ولا أجل
لله في طيها مكر لذي نظر ... محقق ولنا في مكره أمل
فإنه صادر من سرّ حضرته ... وليس يعصم إلا العلم والعمل
إن الفروع لها أصل يبينها ... للناظرين به قد جاءنا المثل

اعلم أن الحكمة في الأشياء كلها والأمور أجمعها إنما هو للمراتب لا للأعيان وأعظم المراتب الألوهية وأنزل المراتب العبودية، فما ثم إلا مرتبتان، فما ثم إلا رب وعبد، لكن للألوهة أحكام كل حكم منها يقتضي رتبة، فإما يقوم ذلك الحكم بالإله فيكون هو الذي حكم على نفسه وهو حكم المرتبة في المعنى ولا يحكم بذلك الحكم إلا صاحب المرتبة لأن المرتبة ليست وجود عين وإنما هي أمر معقول ونسبة معلومة محكوم بها ولها الأحكام وهذا من أعجب الأمور تأثير المعدوم. وإما أن يقوم ذلك الحكم بغيره في الموجود إما أمراً وجودياً، وإما نسبة فلا تؤثر إلا المراتب، وكذلك للعبودة أحكام كل حكم منها رتبة، إما يقوم ذلك الحكم بنفس العبد فما حكم عليه سوى نفسه فكأنه نائب عن المرتبة التي أوجبت له هذا الحكم أو يحكم على مثله أو على غيره وما ثم إلا مثل أو غير في حق العبد، وأما في الإله فما ثم إلا غير لا مثل فإنه لا مثل له، فأما الأحكام التي تعود عليه من أحكام الرتبة وجوب وجوده لذاته والحكم بغنائه عن العالم وإيجابه على نفسه بنصر المؤمنين بالرحمة ونعوت الجلال كلها التي تقتضي التنزيه ونفي المماثلة.

وأما الأحكام التي تقتضي بذاتها طلب الغير فمثل نعوت الخلق كلها وهي نعوت الكرم والإفضال والجود والإيجاد فلا بد فيمن وعلى من فلا بد من الغير وليس إلا العبد، وما منها أثر يطلب العبد إلا ولا بد أن يكون له أصل في الإله أوجبته المرتبة لا بد من ذلك،

Marfat.com

ويختص تعالى بأحكام من هذه المرتبة لا تطلب الخلق كما قرّرنا، ومرتبة العبد تطلب من كونه عبداً أحكاماً لا تقوم إلا بالعبد من كونه عبداً خاصاً فهي عامة في كل عبد لذاته، ثم لها أحكام تطلب تلك الأحكام وجود الأمثال ووجود الحق، فمنها إذا كان العبد نائباً وخليفة عن الحق أو خليفة عن عبد مثله فلا بد أن يخلع عليه من استخلفه من صفاته ما تطلبه مرتبة الخلافة لأنه إن لم يظهر بصورة من استخلفه وإلا فلا يتمشى له حكم في أمثاله، وليس ظهوره بصورة من استخلفه سوى ما تعطيه مرتبة السيادة، فأعطته رتبة العبودة ورتبة الخلافة أحكاماً لا يمكن أن يصرفها إلا في سيده والذي استخلفه، كما أن له أحكاماً لا يصرفها إلا فيمن استخلف عليه، والخلافة صغرى وكبرى، فأكبرها التي لا أكبر منها الإمامة الكبرى على العالم، وأصغرها خلافته على نفسه، وما بينهما ينطلق عليها صغرى بالنسبة إلى ما فوقها وهي بعينها كبرى بالنظر إلى ما تحتها، فأما تأثير رتبة العبد في سيده فهو قيام السيد بمصالح عبده ليبقى عليه حكم السيادة، ومن لم يقم بمصالح عبده فقد عزلته المرتبة، فإن المراتب لها حكم التولية والعزل بالذات لا بالجعل كانت لمن كانت.

وأما التأثير الذي يكون للعبد من كونه خليفة فيمن استخلفه كان المستخلف ما كان أن يبقى له عين من استخلفه عليه لينفذ حكمه فيه، وإن لم يكن كذلك فليس بخليفة ولا يصدق إذا لم يكن ثم على من ولا فيمن، لأن الخليفة لا بد له من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات، ألا ترى من لا يقبل المكان كيف اقتضت المرتبة له أن يخلق سماء جعله عرشاً ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج ولا يبقى العبد حائراً لا يدري أين يتوجه لأن العبد خلقه الله ذا جهة فنسب الحق الفوقية لنفسه من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ وبقوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب؟ هل من داع؟ هل من مستغفر؟» ويقول عنه رسوله: «إن الله في قبلة المصلي» هذا كله حكم المراتب إن عقلت، فلو زالت المراتب من العالم لم يكن للأعيان وجود أصلاً فافهم، فإذا أراد الأعلى أن يعرفه الأدنى لأن الأدنى لا قدم له في العلو والأعلى له الإحاطة بالأدنى فلا بد أن يتعرف الأعلى إلى الأدنى، ولا يمكن ذلك إلا بأن يتنزل إليه الأعلى لأن الأدنى لا يمكن أن يترقى إليه لأنه تنعدم عينه إذ لا قدم له في العلو، فالأدنى أبداً لا يزال في رتبته ثابتاً، والأعلى له النزول وله الثبوت في رتبته، ومن ثبوته في رتبته حكم على نفسه بالنزول فهو ثابت في مرتبته العالية في عين نزوله لأن النزول من أحكامها، وكذلك فعل الله تعالى في سفرائه الذين هم رسله إلى خلقه من خلقه فما أرسل رسولاً إلا

Marfat.com

بلسان قومه ليبين لهم، فإذا أرسله عامة كانت العامة قومه فأعطاه جوامع الكلم وهو فصل الخطاب وما كمل إلا آدم بالأسماء، وكمال محمد ﷺ بجوامع الكلم، فنزل إليهم برسالة ربهم بلسانهم ولحنهم فما دعاهم إلا بهم.

ثم أنه ما شرع لهم من الأحكام إلا ما كانوا عليه، فما زادهم في ذلك إلا كونها من عند الله فيحكمون بها على طريق القربة إلى الله لتورثهم السعادة عند الله، وإنما قلنا ما شرع لهم من الأحكام إلا ما كانوا عليه لأنه لم تخل أمة من الأمم على ناموس تكون عليه لمصالح أحوالها وليست إلا خمسة، فلا بد من واجب أوجبه إمامهم وواضع ناموسهم عليهم وهو الواجب والفرض عندنا، وكذلك المندوب والمحظور والمكروه والمباح لأنه لا بد لهم من حدود في الأحكام يقفون عندها عليها، وما جاءهم الشرع من عند الله إلا بهذا الذي كانوا عليه من حكم نظرهم فيما يزعمون وهو في نفس الأمر من جعل الله ذلك في نفوسهم من حيث لا يشعرون، ولذلك كان لهم بذلك أجر من الله من حيث لا يعلمون، لكن إذا انقلبوا إليه وجدوا ذلك عنه، فلما رأينا أنه ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه علمنا أنه ما تعرف إلينا حين أراد منا أن نعرفه إلا بما نحن عليه لا بما تقتضيه ذاته وإن كان تعرفه إلينا بنا مما تقتضيه ذاته، ولكن يختلف اقتضاء ذاته بين ما يتميز به عنا وبين ما يتعرف به إلينا، ولما كان الخلق على مراتب كثيرة وكان أكمل مرتبة فيه الإنسان كان كل صنف من العالم جزءاً بالنظر إلى كمال الإنسان، حتى الإنسان الحيوان جزء من الإنسان الكامل، فكل معرفة لجزء من العالم بالله معرفة جزئية إلا الإنسان فإن معرفته بالله معرفة العالم كله بالله، فعلمه بالله علم كلي لا علم كل، إذ لو كان علماً كلاً لم يؤمر أن يقول: ﴿رب زدني علماً﴾ أترى ذلك علماً بغير الله؟ لا والله بل بالله، فخلق الإنسان الكامل على صورته ومكنه بالصورة من إطلاق جميع أسمائه عليه فرداً فرداً وبعضاً بعضاً لا ينطلق عليه مجموع الأسماء معاً في الكلمة الواحدة ليتميز الرب من العبد الكامل.

فما من اسم من الأسماء الحسنى وكل أسماء الله حسنى إلا وللعبد الكامل أن يدعى بها كما له أن يدعو سيده بها. ومن هذه الأسماء الإلهية ما يدعوه الحق تعالى بها على طريق الثناء على العبد بها وهي أسماء الرحمة واللطف والحنان، ومنها ما يدعوه بها على طريق المذمة مثل قوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ وكذلك كان في قومه يدعى بهذا الاسم، ودعاه الحق به هنا سخرية به على جهة الذم قال تعالى: ﴿فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون﴾ فلما أوجد الكامل منا على الصورة عرفه الكامل من نفسه بما

Marfat.com

أعطاه من الكمال، وكان العبد الكامل حقاً كله وفنى عن عينه في نفسه لأنه قابله بذاته، وقد جعل الله له مثالاً في باب المحبة فعشق إليه ما عشق من العالم من أي شيء كان من فرس أو دار أو دينار أو درهم، فما قابله به إلا بالجزء المناسب ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه في ذلك وبقي سائره صاحياً لا حكم له فيه إلا إذا عشق شخصاً مثله من جارية أو غلام فإنه يقابله بذاته كلها وبجميع أجزائه، فإذا شاهده فني فيه بكله لا بجزء منه فيغشى عليه وذلك لكونه قابله بكله، كذلك العبد إذا رأى الحق أو تخيله فني فيه عند مشاهدته لأنه على صورته فيقابله بذاته، فما بقي فيه جزء يصحو حتى يعقل به ما فني منه فيه، وهكذا كل جزء من العالم مع الحق إذا تجلى له خشع له وفني فيه، لأن كل ما هو عليه شيء من العالم هو صورة الحق لما أعطاه منه، إذ لا يصح أن يكون شيء من العالم له وجود ليس هو صورة الحق، فلا بد أن يفنى العالم في الحق إذا تجلى له، ولا يفنى الحق في الخلق لأن الخلق من الحق ما هو الحق من الخلق، فنسبة الحق إلى الخلق نسبة الإنسان إلى كل صنف من العالم ما عدا نوع الإنسان، فتفطن لما ذكرته لك من فناء كل شيء من العالم عن نفسه عند تجليه سبحانه له، ولا يفنى الحق بمشاهدة الخلق، وقد جاء الشرع بتدكدك الجبل وصعق موسى عليه السلام عند التجلي الرباني فما عرفنا من الحق إلا ما نحن عليه وفينا الكامل والأكمل، فإن الله أعطى كل شيء خلقه، فلما قرر الله هذه النعم على عبده وهداه السبيل إليها قال: ﴿إما شاكراً﴾ فيزيده منها لأنا قلنا أنه ما أعطاه إلا منه ما أعطاه مطلقاً ﴿وإما كفوراً﴾ بنعمه فيسلبها عنه ويعذبه على ذلك، فليحترز الإنسان لنفسه في أي طريق يمشي فما بعد بيان الله بيان.

وقال موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله غني حميد﴾ ينبه أن الله تعالى ما أوجد العالم إلا للعالم، وما تعبده بما تعبده به إلا ليعرفه بنفسه، فإنه إذا عرف نفسه عرف ربه، فيكون جزاؤه على علمه بربه أعظم الجزاء ولذلك قال: ﴿إلا ليعبدون﴾ ولا يعبدونه حتى يعرفوه فإذا عرفوه عبدوه عبادة ذاتية، فإذا أمرهم عبدوه عبادة خاصة مع بقاء العبادة العامة الذاتية فجازاهم على ذلك فما خلقهم إلا لهم، ولهذا قال تعالى عن نفسه: ﴿إنه غني عن العالمين﴾ وما ذكر موسى الأرض إلا لكمالها بوجود كل شيء فيها وهو الإنسان الجامع حقائق العالم، فقوله في الأرض لأنها الذلول فهي الحافظة مقام العبودة فكأنه قال: إن تكفروا أنتم وكل عبد لله فإن الله غني عن العالمين، ولذلك جعل الله الأرض محل الخلافة ومنزلها، فكأنه كنى أي إني جاعل في الأرض خليفة منهم لا يزول عن مقام عبوديته في نفسه، أي لا يحجبه مرتبة الخلافة بالصفات التي أمره بها

Marfat.com

عن رتبته، ولهذا جعلناه خليفة ولم نذكره بالإمامة لأن الخليفة يطلب بحكم هذا الاسم عليه من استخلفه فيعلم أنه مقهور محكوم عليه فما سماه إلا بما له فيه تذكرة لأنه مفطور على النسيان والسهو والغفلة فيذكره اسم الخليفة لمن استخلفه، فلو جعله إماماً من غير أن يسميه خليفة مع الإمامة ربما اشتغل بإمامته عمن جعله إماماً بخلاف خلافته، لأن الإمامة ليست لها قوة التذكير في الخلافة فقال في الجماعة الكمل ﴿جعلكم خلائف في الأرض﴾ فوقع هذا في مسموعهم فتصرفوا في العالم بحكم الخلافة.

وقال لإبراهيم عليه السلام بعد أن أسمعه خلافة آدم ومن شاء الله من عباده: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ لما علم أن الخلافة قد أشر بها، فلا يبالي بعد ذلك أن يسميه بأي اسم شاء كما سمى يحيى بسيد، ولما عرفه العارفون به تميزوا عمن عرفه بنظره فكان لهم الإطلاق ولغيرهم التقييد، فيشهده العارفون به في كل شيء أو عين كل شيء، ويشهده من عرفه بنظره منعزلاً عنه ببعد اقتضاه له تنزيهه، فجعل نفسه في جانب والحق في جانب فيناديه من مكان بعيد.

ولما كانت الخلافة تطلب الظهور بصورة من استخلفه والذي جعله خليفة عنه ذكر عن نفسه أنه على صراط مستقيم فلا بد أن يكون هذا الخليفة على صراط فنظر في الطرق فوجدها كثيرة منها صراط الله، ومنها صراط العزيز، ومنها صراط الرب، ومنها صراط محمد ﷺ، ومنها صراط النعم وهو ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهو قوله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ فاختار هذا الإمام المحمدي سبيل محمد ﷺ وترك سائر السبل مع تقريرها وإيمانه بها، ولكن ما تعبد نفسه إلا بصراط محمد ﷺ ولا تعبد رعاياه إلا به، ورد جميع الأوصاف التي لكل صراط إليه لأن شريعته عامة، فانتقل حكم الشرائع كلها إلى شرعه فشرعه يتضمنها ولا تتضمنه، فمنها صراط الله وهو الصراط العام الذي عليه تمشي جميع الأمور فيوصلها إلى الله فيدخل فيه كل شرع إلهيّ وموضوع عقلي فهو يوصل إلى الله فيعم الشقي والسعيد، ثم أنه لا يخلو الماشي عليه إما أن يكون صاحب شهود إلهي أو محجوباً، فإن كان صاحب شهود إلهي فإنه يشهد أنه مسلوك به فهو سالك بحكم الجبر، ويرى أن السالك به هو ربه تعالى، وربه على صراط مستقيم، كذا تلاه علينا سبحانه وتعالى أن هوداً عليه السلام قاله وهو رسول من رسل الله فلهذا كان مآله إلى الرحمة، وإذا أدركه في الطريق النصب فتلك أعراض عرضت له من الشؤون التي الحق فيها كل يوم وذلك قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا، وما أحد أكشف للأمور

Marfat.com

وأشهد للحقائق وأعلم بالطرق إلى الله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومع هذا فما سلموا من الشؤون الإلهية فعرضت لهم الأمور المؤلمة النفسية من رد الدعوة في وجهه وما يسمعه في الحق تعالى مما نزه جلاله عنه وفي الحق الذي جاء به من عند الله.

وكذلك الأمور المؤلمة المحسوسة من الأمراض والجراحات والضرب في هذه الدار وهذا أمر عام له ولغيره، وقد تساوى في هذه الآلام السعيد والشقي، وكل يجري فيه إلى أجل مسمى عند الله، فمنهم من يمتد أجله إلى حين موته ويحصل في الراحة الدائمة والرحمة العامة الشاملة وهم الذين ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ ولا يخافون على أنفسهم ولا على أممهم لأنهم كانوا مجهولين في الدنيا والآخرة، وهم الذين تغبطهم الرسل في ذلك لما هم فيه من الراحة، لأن الرسل عليهم السلام يخافون يوم الفزع الأكبر على أممهم وأتباعهم لا على أنفسهم، ومنهم من يمتد أجله إلى دخول الجنة من العرض، ومنهم من يمتد أجله في الآلام إلى أن يشفع فيه بالخروج من النار إلى الجنة، ومنهم من يمتد أجله في الآلام إلى أن يخرجه الله بنفسه لا بشفاعة شافع وهم الموحدون بطريق النظر الذين ما آمنوا ولا كفروا ولا عملوا خيراً لقول الشارع قط فإنهم لم يكونوا مؤمنين ولكنهم وحدوا الله جل جلاله وماتوا على ذلك، ومن كان له علم بالله منهم ومات عليه جنى ثمرة علمه، فإن قدحت له فيه شبهة حيرته أو صرفته عن اعتقاد ما كان يظن أنه علم وهو علم في نفس الأمر ثم بدا له ما حيره فيه أو صرفه عنه فعلم يوم القيامة أن ذلك حق في نفس الأمر وهو ممن أخرجه الله إلى الجنة من النار عاد عليه ثمرة ذلك العلم ونال درجته.

ومنهم من يمتد أجله في الآلام ممن ليس بخارج من النار وهو من أهلها القاطنين فيها ومدته معلومة عندنا ثم تعمه رحمة الله وهو في جهنم فيجعل الله له فيها نعيماً بحيث أنه يتألم بنظره إلى الجنة كما يتألم أهل الجنة بنظرهم إلى النار، فهؤلاء إن كان لهم علم بوجود الله وقد دخلهم شبهة في توحيد الله أو في علم مما يتعلق بجناب الله حيرته أو صرفته إلى نقيض ما كان يعتقده فإنه يوم القيامة إذا تبين له أن ذلك كان علماً في نفس الأمر لا ينفعه ذلك التبين كما لم ينفع الإيمان في الدنيا عند رؤية البأس، فذلك العلم هو الذي يخلع على المؤمن الذي لم يكن له علم بإله له من الموحدين المؤمنين، ويؤخذ جهل ذلك المؤمن الموحد ويلقى على هذا الذي هو من أهل النار فيتنعم في النار بذلك الجهل كما كان يتنعم به المؤمن الجاهل في الدنيا، ويتنعم المؤمن بذلك العلم الذي خلع عليه الذي كان لهذا العالم بوجود الله لا بتوحيده، وأنه لما وحده قدحت له شبهة في توحيده وعلمه بالله حيرته وصرفته، وهذا

Marfat.com

آخر المدد لأصحاب الآلام في النار، وبعد انقضاء هذا الأجل فنعيم بكل وجه أينما تولى، ولا فرق بينه وبين عمار جهنم من الخزنة والحيوانات فهي تلدغه لما للحية والعقرب في ذلك اللدغ من النعيم والراحة، والملدوغ يجد لذلك اللدغ لذة واسترقاداً في الأعضاء وخدراً في الجوارح يلتذ بذلك التذاذاً هكذا دائماً أبداً، فإن الرحمة سبقت الغضب، فما دام الحق منعوتاً بالغضب فالآلام باقية على أهل جهنم الذين هم أهلها، فإذا زال الغضب الإلهيّ كما قدمنا وامتلأ به النار ارتفعت الآلام وانتشر ذلك الغضب فيما في النار من الحيوانات المضرة فهي تقصد راحتها بما يكون منها في حق أهل النار، ويجد أهل النار من اللذة ما تجده تلك الحية من الانتقام لله لأجل ذلك الغضب الإلهيّ الذي في النار وكذلك النار، ولا تعلم النار ولا من فيها أن أهلها يجدون لذة لذلك لأنهم لا يعلمون متى أعقبتهم الراحة وحكمت فيهم الرحمة، وهذا الصراط الذي تكلمنا فيه هو الذي يقول فيه أهل الله: إن الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق، وكل نفس إنما يخرج من القلب بما هو عليه القلب من الاعتقاد في الله، فالاعتقاد العام وجوده، فمن جعله الدهر فوصوله إلى الله من اسمه الدهر، فإن الله هو الجامع للأسماء المتقابلة وغير المتقابلة، وقد قدمنا أنه سبحانه تسمى بكل اسم يفتقر إليه في قوله عز وجل في الكتاب العزيز: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ وإن أنكر ذلك فما أنكره الله ولا الحال، وكذلك من اعتقد أنه الطبيعة فإنه يتجلى له في الطبيعة، ومن اعتقد أنه كذا كان ما كان فإنه يتجلى له في صورة اعتقاده وتجري الأحكام كما ذكرنا من غير مزيد فافهم.

وأما صراط العزة وهو قوله تعالى: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ فاعلم أن هذا صراط التنزيه فلا يناله ذوقاً إلا من نزه نفسه أن يكون رباً أو سيداً من وجه ما أو من كل وجه وهذا عزيز، فإن الإنسان يغفل ويسهو وينسى ويقول أنا ويرى لنفسه مرتبة سيادة في وقت غفلته على غيره من العباد، فإذا ولا بد من هذا فليجتهد أن يكون عند الموت عبداً محضاً ليس فيه شيء من السيادة على أحد من المخلوقين، ويرى نفسه فقيرة إلى كل شيء من العالم من حيث أنه عين الحق من خلف حجاب، الاسم الذي قال الله فيه لمن لا علم له بالأمر قل سموهم، ولما كان الإنسان فقيراً بالذات احتجب الله له بالأسباب وجعل نظر هذا العبد إليها وهو من ورائها فأثبتها عيناً ونفاها حكماً مثل قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ثم أعقب هذه الآية بقوله: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ فجعل ذلك بلاء أي اختباراً، وهذا الصراط العزيز الذي ليس لمخلوق قدم في العلم

Marfat.com

به فإنه صراط الله الذي عليه ينزل إلى خلقنا، وعليه يكون معنا أينما كنا، وعليه نزل من العرش إلى السماء الدنيا وإلى الأرض وهو قوله: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ وعليه يقرب من عبده أضعاف ما يتقرّب إليه عبده إذا سعى إليه بالطريق التي شرع له، فهو يهرول إليه إذا رآه مقبلاً ليستقبله تهمماً بعبده وإكراماً له، ولكن على صراط العزة وهو صراط نزول لا عروج لمخلوق فيه، ولو كان لمخلوق فيه سلوك ما كان عزيزاً وما نزل إليه إلا بنا، فالصفة لنا لا له، فنحن عين ذلك الصراط ولذلك نعته بالحميد أي بالحامد المحمود، لأنّ فعيل إذا ورد يطلب اسم الفاعل والمفعول، فإما أن يعطي الأمرين معاً مثل هذا، وإما أن يعطي الأمر الواحد لقرينة حال وقد أثنى على نفسه فهو الحامد المحمود، وأعظم ثناء أثنى به على نفسه عندنا كونه خلق آدم على صورته وسماه بأمهات الأسماء التي يدخل كل اسم تحت إحاطتها ولذلك قال ﷺ: «أنت كما أثنيت على نفسك» فأضاف النفس الكاملة إليه إضافة ملك وتشريف لما قال: «من عرف نفسه عرف ربه» فكل ثناء أثنى الله به على الإنسان الكامل الذي هو نفسه لكونه أوجده على صورته كان ذلك الثناء عين الثناء على الله بشهادة رسول الله ﷺ وتعريفه إيانا في قوله ﷺ: «أنت كما أثنيت على نفسك» أي كل ما أثنيت به على من خلقته على صورتك هو ثناؤك عليك. ولما كان الإنسان الكامل ﴿صراط العزيز الحميد﴾ لم يكن للصراط أن يسلك فيه ولا يتصف الصراط بالسلوك، فلهذا سماه بالعزيز أي ذلك ممنوع لنفسه، فالحق سبحانه يختص بالنزول فيه كما أخبر عن نفسه من النزول والهرولة، والعبد العارف على الحقيقة ما يسلك إلا في الله، فالله صراطه وذلك شرعه:

به رباطي وبنا رباطه ... فهو صراطي وأنا صراطه
فانظر مقالي فهو قول صادق ... محكم محقق مناطه
فهو حبيبي وأنا به فقد ... حواه قلبي فأنا فسطاطه
عز فما تدركه أبصارنا ... لقربه فقد طوى بساطه
فبعده لقربه ليس سوى ... هذا وما قد قلته استنباطه

فهو على صراط عزيز لأنه الخالق فلا قدم لمخلوق فيه، أروني ماذا خلق الذين من دونه لا يجدونه أصلاً لا علماً ولا عيناً ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ لأنه كل ما علم فقد بان، والله تعالى أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود، فكنا نوراً بإذن ربنا إلى صراط

Marfat.com

العزيز الحميد، فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة، ولهذا إذا سمعناه يثني على نفسه فنرى ذلك في نفوسنا، وإذا أثنى علينا فنرى ما أثنى به علينا هو ثناؤه على نفسه، ثم ميزنا عنه وميز نفسه عنّا ﴿بليس كمثله شيء﴾ وبما علم وجهلناه، وبما نحن عليه من الذلة، ويتعالى عن هذا الوصف في نفسه فنقول: نحن هو ما نحن هو بعدما قلنا إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور هو هو ونحن نحن فتميزنا، فلما جاء بالثناء بعد وجودنا ثناء منه على نفسه وعلينا وكلفنا بالثناء عليه أوقفنا في الحيرة، فإن أثنينا عليه بناء فقد قيدناه، وإن أطلقناه كما قال: لا أحصي ثناء عليك فقد قيدناه بالإطلاق فميزناه، ومن تقيد فلا يوصف بالغنى فإن التقييد يربطه إذ قد أدرك المحدث إطلاقه تعالى وقد قال عن نفسه: ﴿إنه غني عن العالمين﴾ فحيرنا فلا ندري ما هو ولا ما نحن، فما أظن والله أعلم إنه أمرنا بمعرفته وأحالنا على نفوسنا في تحصيلها إلا لعلمه أنا لا ندرك ولا نعلم حقيقة نفوسنا ونعجز عن معرفتنا بنا فنعلم أنّا به أعجز فيكون ذلك معرفة به لا معرفة:

وغيــر هــذا فــلا يكــون ... فــإنــه ظــاهــر مبيــن

فـاصـغ إلـى قـولنـا تجـده ... علمـاً وقـد جـاءك اليقيـن

فالجهل صفة ذاتية للعبد، والعالم كله عبد، والعلم صفة ذاتية لله، فخذ مجموع ما أشرت إليه في هذا تجده الصراط العزيز، وأما صراط ربك فقد أشار إليه تعالى بقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ يقول: كأنما يخرج عن طبعه والشيء لا يخرج عن حقيقته ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ وهذا أشار إلى ما تقدّم ذكره: ﴿صراط ربك مستقيماً﴾ وما ذكر إلا إرادته للشرح والضيق، فلا بد منهما في العالم لأنه ما يكون إلا ما يريد، وقد وجد ثم وصف نفسه يعني بالغضب والرضا والتردد والكراهة ثم أوجب فقال ومع الكراهة فلا بد له من لقائي فهذا عين قوله: ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ فهو كالجبر في الاختيار، فمن ارتفع عنه أحد الوصفين من عباد الله فليس بكامل أصلاً ولذا قال في حق الكامل: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فاصبر﴾ وهو الصبور على أذى خلقه. وسمي هذا الصراط صراط الرب لاستدعائه المربوب وجعله مستقيماً فمن خرج عنه فقد انحرف وخرج عن الاستقامة، ولهذا شرع لنا الود في الله والبغض في الله، وجعل ذلك من العمل المختص له ليس للعبد فيه حظ إلا ما يعطيه الله من الجزاء عليه، وهو أن يعادي الله

Marfat.com

من عادى أولياءه ويوالي من والاهم، فالسالك على صراط الرب هو القائم بالصفتين ولكن بالحق المشروع له لله لا لنفسه، فإن الله لا يقوم لأحد من عباده إلا لمن قام له ولهذا قال: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ وحق الله أحق بالقضاء من حق المخلوق إذا اجتمعا فإنه ليس لمخلوق حق إلا بجعل الله، فإذا تعين الحقان في وقت مّا بدأ العبد الموفق بقضاء حق الله الذي هو له، ثم أخذ في أداء حق المخلوق الذي أوجبه الله، وهذا خلاف ما عليه اليوم الفقهاء في الوصية والدين، فإن الله تعالى قدم الوصية على الدين والوصية حق الله، وقال ﷺ: «حق الله أحق أن يقضى» فمن سامح في حق الله عاد عليه عمله فيسامح في حقه، فإن تكلم قيل له كذلك فعلت فاجن ثمرة غرسك، وصراط الرب لا يكون إلا مع التكليف، فإذا ارتفع التكليف لم يبق لهذا الصراط عين وجودية، ولهذا يكون المآل إلى الرحمة وإزالة حكم الغضب الإلهيّ في العاصين، وقول هود عليه السلام: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ يعني فيما شرع مع كونه تعالى آخذاً بنواصي عباده إلى ما أراد وقوعه منهم وعقوبته إياهم مع هذا الجبر، فاجعل بالك وتأدّب واسلك سواء السبيل.

وأما صراط المنعم وهو ﴿صراط الذين أنعم الله عليهم﴾ وهو قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ وذكر الأنبياء والرسل ثم قال: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وهذا هو الصراط الجامع لكل نبيّ ورسول وهو إقامة الدين وأن لا يتفرّق فيه وأن يجتمع عليه، وهو الذي بوّب عليه البخاري باب ما جاء أن الأنبياء دينهم واحد، وجاء بالألف واللام في الدين للتعريف لأنه كله من عند الله، وإن اختلفت بعض أحكامه فالكل مأمور بإقامته والاجتماع عليه، وهو المنهاج الذي اتفقوا عليه، وما اختلفوا فيه من الأحكام فهو الشرعة التي جعل الله لكل واحد من الرسل قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ فلم تختلف شرائعكم كما لم يختلف منها ما أمرتم بالاجتماع فيه وإقامته، فلما كان الاختلاف منه وهو أهل العدل والإحسان وكان في الناس الدعوى في نسبة أفعالهم إليهم واختيارهم فيما اختاروه ولم يسندوا الأمر إلى أهله وإلى من يستحق نزل الحكم الإلهيّ على الرسل بكون هذا سيئاً وهذا حسناً وهذا طاعة وهذا معصية، ونزل الحكم الإلهيّ على العقول بأن هذا في حق من لا يلائم طبعه ومزاجه أو يوافق غرضه حسن، وهذا الذي لا يوافق غرضه ولا يلائم طبعه ومزاجه ليس بحسن، ولم يسندوا الأمر إلى عين واحدة، فجوزوا بما جوزوا لهذا الأمر، فعدل فيما حكم به من الجزاء بالسوء وأحسن بعد

Marfat.com

الحكم ونفوذه بما آل إليه عباده من الرحمة ورفع الأمور الشاقة عليهم وهي الآلام فعمت رحمته كل شيء.

وأما الصراط الخاص وهو صراط النبيّ ﷺ الذي اختص به دون الجماعة وهو القرآن حبل الله المتين وشرعه الجامع وهو قوله: ﴿إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ يعني هذا الصراط المضاف إليه، وذلك أن محمداً ﷺ كان نبياً وآدم بين الماء والطين وهو سيد الناس يوم القيامة بإخباره إيانا بالوحي الذي أوحى به إليه وبعثته العامة إشعاراً بأن جميع ما تقدمه من الشرائع بالزمان إنما هو من شرعه، فنسخ ببعثته منها ما نسخ وأبقى منها ما أبقى، كما نسخ ما قد كان أثبته حكماً، ومن ذلك كونه أوتي جوامع الكلم والعالم كلمات الله فقد آتاه الله الحكم في كلماته وعم وختم به الرسالة والنبوّة كما بدأ به باطناً ختم به ظاهراً، فله الأمر النبوّي من قبل ومن بعد، فورثته الذين لهم الاجتهاد في نصب الأحكام بمنزلة الرسل الذين كانوا قبله بالزمان، فمن ورث محمداً ﷺ في جمعيته فكان له من الله تعريف بالحكم وهو مقام أعلى من الاجتهاد وهو أن يعطيه الله بالتعريف الإلهيّ أنّ حكم الله الذي جاء به رسول الله ﷺ في هذه المسألة هو كذا، فيكون في ذلك الحكم بمنزلة من سمعه من رسول الله ﷺ، وإذا جاءه الحديث عن رسول الله ﷺ رجع إلى الله فيه فيعرف صحة الحديث من سقمه، سواء كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تكلم فيه، فإذا عرف فقد أخذ حكمه من الأصل، وقد أخبر أبو يزيد بهذا المقام أعني الأخذ عن الله عن نفسه أنه ناله فقال فيما روينا عنه يخاطب علماء زمانه: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، ولنا بحمد الله في هذا المقام ذوق شريف فيما تعبدنا به الشرع من الأحكام، وهذا مما بقي لهذه الأمة من الوحي وهو التعريف لا التشريع.

وأما أهل الاجتهاد فأحكامهم تشريع الشرع إذا أخطؤوا فإن رسول الله ﷺ هو المقرر لذلك الحكم فما هو تشريع لهم وإنما هو تشريع رسول الله ﷺ، وإذا أصاب المجتهد فهو صاحب نقل شرع كل ذلك في نفس الأمر، فإن المخطىء من المجتهدين والمصيب واحد لا بعينه، لكن المصيب في نفس الأمر ناقل، والمخطىء في نفس الأمر مقرر حكم مجهول لم يعلم إلا عند نظر هذا المجتهد، فهو معلوم عند الله قبل كونه، فما قرر الشارع وهو الرسول إلا الحكم المعين المعلوم عند الله وما هو عنده بمعلوم على التفصيل والتعيين،

Marfat.com

فكان حكم المجتهد المخطىء تشريعاً للتشريع، وأهل الله ما لهم حكم في الشرع إلا ما هو المحكوم به على التعيين عند رسول الله ﷺ وهم الورثة على الحقيقة، فإن الوارث لا يرث إلا ما كان ملكاً للموروث عنه إذا مات عنه، وحكم المجتهد المخطىء ما هو ملك له عينه حتى يورث عنه فليس بوارث، لأن ما عنده سوى تقرير ما أدّاه إليه نظره ذلك أباحه له رسول الله ﷺ فهو كالعصبة لا نصيب لهم في الميراث على التعيين، إنما لهم ما بقي بعد إلحاق الفرائض بأهلها، وكتوريث أولي الأرحام والمسلمين بعد أخذ الفرائض، فإن مات عن غير صاحب فريضة كرسول ونبيّ مات وما اتبعه واحد فيحشر مفرداً فقد يرثه في خلقه أو في حاله لا في حكمه من هذه الأمة من صادف ذلك الحال أو الحكم، وأما الإيمان به وقد آمن به كل من آمن بمحمد ﷺ فأمة محمد ﷺ المؤمنون به أتباع كل نبيّ وكل كتاب وكل صحيفة جاء أو نزل من عند الله في الإيمان به لا بالعمل بالحكم، فما بقي نبيّ إلا وقد أومن به، فالنبيّ محمد ﷺ له الإمامة والتقدم، وجميع الرسل والأنبياء خلفه في صف ونحن خلف الرسل وخلف محمد.

ومن الرسل من يكون له صورتان في الحشر: صورة معنا وصورة مع الرسل كعيسى وجميع الأمم خلفنا، غير أن لنا صورتين صورة في صف الرسل عليهم السلام وليست إلا لعلماء هذه الأمة، وصورة خلف الرسل من حيث الإيمان بهم. وكذلك سائر الأمم لهم صورتان: صورة يكونون بها خلفنا، وصورة يكونون بها خلف رسلهم، فوقتاً يقع نظر الناظر على صورهم خلفنا، ووقتاً خلف رسلهم، ووقتاً على المجموع، فهذه أحوال العلماء في الآخرة في حشرهم. وأما ورثة الأفعال فهم الذين اتبعوا رسول الله ﷺ في كل فعل كان عليه وهيئة مما أبيح لنا اتباعه حتى في عدد نكاحه وفي أكله وشربه، وجميع ما ينسب إليه من الأفعال التي أقامه الله فيها من أوراد وتسبيح وصلاة لا ينقص من ذلك، فإن زاد عليها بعد تحصيلها فما زاد عليها إلا من حكم قوله ﷺ، فهذه وراثة أفعاله. وأما وراثة أحواله فهو ذوق ما كان يجده في نفسه في مثل الوحي بالملك فيجد الوارث ذلك في اللمة الملكية ومن الملك الذي يسدده، ومن الوجه الخاص الإلهيّ بارتفاع الوسائط، وأن يكون الحق عين قوله، وأن يقرأ القرآن منزلاً عليه يجد لذة الإنزال ذوقاً على قلبه عند قراءته، فإن للقرآن عند قراءة كل قارىء في نفسه أو بلسانه تنزلاً إلهياً لا بد منه، فهو محدث التنزل والإتيان عند قراءة كل قارىء أيّ قارىء كان، غير أن الوارث بالحال يحس بالإنزال ويلتذ به التذاذاً خاصاً لا يجده إلا أمثاله فذلك صاحب ميراث الحال وقد ذقناه حالاً بحمد الله، وهو

Marfat.com

الذي قال فيه أبو يزيد: لم أمت حتى استظهرت القرآن وهو وجود لذة الإنزال من الغيب على القلوب، وما عدا هؤلاء فإنما يقرؤون القرآن من خيالهم، فهم يتخيلون صور حروفه المرقومة إن كان حفظ القرآن من المصاحف والألواح، أو يتخيلون صور حروف ما تلقنوه من معلمهم هذا إذا كانوا عاملين به، وأما إذا قرؤوه من غير إخلاص فيه فلا يتجاوز حناجرهم أي لا يقبل الله منه شيئاً فيبقى في محل تلاوته وهو مخرج الصوت، فلا يقرأ القرآن من قلبه إلا صاحب التنزل وهو الذوق الميراثي، فمن وجد ذلك فهو صاحبه يعرف ذلك عند وجوده إياه فلا يحتاج فيه إلى معرّف فإنه يفرق عند ذلك بين قراءته من خياله وبين قراءته عن تنزيل ربه مشاهدة، وما ثم أمر آخر لنبي أو رسول يقع فيه ميراث إنما هو قول أو فعل أو حال، فالوارث الكامل من جمع، والوارث الناقص من اقتصر على بعض هذه المراتب.

واعلم أن هذا المنزل هو منزل من اتصف بالخلة من الأنبياء عليهم السلام، فمن حصل له حصل له نصيب من الخلة الإلهية وضرب له فيها بسهم والكلام فيها طويل لا يفي الوقت بتفصيله، فلنذكر ما فيه من العلوم كسائر المنازل فنقول: فيه علم رحمة الخلان والفرق بينها وبين رحمة المحبوبين والأبناء والآباء والمستلذات كلها. وفيه علم حلاوة التنزل وأين يحس بها من نفسه من يتنزل عليه القرآن جديداً عند تلاوته. وفيه علم الأغيار والأسرار والأنوار والهداية وأنواع المحامد والمراتب الخاصة بكل نفس مما لا يقع لأحد معه فيها اشتراك وذلك أنّا نعلم أنه لكل نفس صفة أو حقيقة تختص بها وتتميز بها عن كل شيء في العالم لا بد من ذلك، فإذا جاءها الأمر الإلهيّ من طريق تلك الحقيقة الخاصة فإن ذوقه ذلك مقصور عليها، وهذا أدنى حظ النفس من مقام العزة الإلهية فإنه لكل نفس وإن لم تشعر به، وهو كفعل الأمور الطبيعية بالخاصية كالمغناطيس وأشباهه، غير أن الخاصية في الأمور الطبيعية على نوعين: بالإفراد وبالمجموع وفي المزاج الخاص، فإن الخواص الطبيعية ما تسري في كل مزاج ولا في كل صورة، وخاصية أهل الله إذا وقفوا عليها ذوقاً من أنفسهم سرى حكمها في كل ما في العالم.

وفيه علم الملكوت والمشاهدة ورؤية المعدوم في حال عدمه من غير تخيل ولا تمثل ولا بإدراك خيال بل بالبصر الحسي. وفيه علم أسباب التحير والحيرة. وفيه علم ما يعلم الإنسان إلا ما يعطيه استعداده إذا استعمله أو فجأه لا يقبل فوق ذلك فإنه ليست له قوّة القبول. وفيه علم الرسل والرسالة. وفيه علم أن الإنسان عالم بالذات إلا أنه ينسى، فكل

Marfat.com

علم يحصل له إنما هو تذكر ولا يشعر به أنه تذكر إلا أهل الله. وفيه علم البلايا والنعم. وفيه علم الفرقان في التعريف بين التقرير والتوبيخ وما يكون على طريق المنة أو المطالبة. وفيه علم صفات التنزيه في الأفعال وأن كل طلب في العالم أو من كل طالب إنما هو طلب ذاتي ماثم طلب عارض لا يكون بالذات هذا لا يكون، وإنما يعرض للشخص أمر ما لم يكن عنده، فهذا الأمر الذي حصل عنده هو الذي يكون له الطلب الذاتي للمطلوب، وانحجب الناس بمن قام به ذلك الأمر العارض وهو الذي يسمونه طالباً، وليس الطالب إلا ذلك الأمر، فالطلب له ذاتي والشخص الذي قام به هذا الأمر مستخدم له إذ قد كان موجوداً وهو فاقد لهذا الطلب، فعلمنا أنه طلب مستخدم في أمر مّا أوجب عليه هذا الأمر الذي حل به فالطلب ذاتي لذلك الأمر، وقد استخدم في تحصيله هذا الشخص الذي نزل به ولا شعور للناس بذلك.

وفيه علم النظر والتفكر والاعتبار وأن العالم بعضه لبعض عبرة. وفيه علم ما يختص به الله من العلوم المتفرقة في العالم وذلك جمعيتها لا يعلم ذلك إلا الله، هذا فيما دخل في الوجود منه مع علمه بما لم يدخل في الوجود ولا اتصف بالعلم به مخلوق، فله من علم الدنيا علم الجمعية بما أضيف إليه من علم الأخرى ولا بد من ذلك. وفيه علم الاستدلال بالمحدث على القديم وما يحصل في النفس من ذلك فإن القديم لا يحصل في النفس وإن حصل المحدث فما هو المطلوب وكل ما حصل محدث. وفيه علم ما يكون التوكل فيه شكر الله تعالى. وفيه علم من قام به معنى أوجب له اسماً يستحقه ومن هنا تعرف أسماء الله الحسنى من أسمائه، فإن أسماء الله في الكون عن آثار هذه النفوس وأسماء الكون عن المعاني القائمة به فالحق منزه في أسمائه واحد العين، والكون متكثر بأسمائه لقيام المعاني به التي أوجبت له الأسماء. وفيه علم أسباب الميراث. وفيه علم من ظفر ومن خاب والكل طالب. وفيه علم مشاهدة الموت مع كونه نسبة عدمية وفيمن يحكم وأنه لا حكم للموت فيمن لا تركيب فيه وكل مركب بالوضع فإنه يقبل الموت، فإن لم يمت فذلك لأمر آخر اقتضته المشيئة الإلهية وقد يجعل له سبباً ظاهراً أو معلوماً، وقد لا يكون إلا حكم عين المشيئة خاصة.

وفيه علم الحكم على الله بما يقتضيه من حيث ما هو ممكن لا بما هو الله عليه، وقد ورد في القرآن من ذلك كثير، ولكن لا يعلم معنى ذلك إلا العلماء بما تعطيه حقائق الموجودات والعالمون بماهية الأشياء. وفيه علم يوم القيامة والحشر والنشر وما يختص به

Marfat.com

ذلك اليوم من الحكم ومن هو الحاكم فيه ومراتب المتصرفين فيه. وفيه علم الأمر المقتضى في ذلك اليوم ما هو. وفيه علم تشبيه الإنسان بالنبات من حيث ما هو شجر لا من حيث ما هو نجم، ومن هنا نهى أن يقرب الشجرة آدم فهو تنبيه على نهيه أن يقرب أغراض نفسه وهواها وهو قوله: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ وهو إرادة النفس ما لم يشرع لها العمل به أو تركه. وفيه علم التمكين والثبات على علم ما تعطيه الحقائق في القول والفعل. وفيه علم ما يحمد من التبديل والتلوين وما يذم. وفيه علم الإمهال والإهمال المقصود. وفيه علم حكمة التسخير الكوني والإلهيّ. وفيه علم إفراد ذات الحق بالألوهة. وفيه علم الاقتداء وبمن ينبغي أن يقتدى. وفيه علم تقييد الثناء بالحال وإطلاقه بالقول. وفيه علم ما يظهر في الوجود أنه معلوم وظاهر عن علم متعلق به أوجب له ذلك الظهور. وفيه علم كون الإنسان مع علمه أن الله لا يتقيد بالجهات ﴿وهو أقرب من حبل الوريد﴾ وهو مع هذا كله يتوهم فيه جهة الفوق والتحديد لا تعطيه نشأته أن يخلو عن حكم الوهم على عقله فيعقل حقيقة الأمر مع حكم وهمه من غير تأخر فيجمع في الآن بين حكم العقل والوهم، كما جمع بين الأمور التي كان بها إنساناً كذلك يجمع بين أحكامها. وفيه علم مراتب القرآن في الناس فيكون في حكم طائفة على غير حكمه في طائفة أخرى، فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم مجملاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الأحد والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل سر وثلاثة أسرار لوحية أمية محمدية

لـو وجـدنـا ملكـاً نستعبـده ... أو فتـى ذا كـرم نستـرفـده
لبـذلنـا مهـج النفـس لـه ... واتخـذنـا إمـامـاً نقصـده
إنمـا الخلـق عيـال كلـه ... والـذي قـام بهـم لا أجحـده
وكمـا قـام بهـم قـامـوا بـه ... فـالتفـت رمـزي تـرى مـاأقصـده
وكمـا كنـا بـه كـان بنـا ... وبهـذا القـدر كنـا نعبـده
وإذا لـم يـك عينـي لـم يكـن ... وإذا مـا لـم يكـن لا أشهـده
فغنـاه غيـر معلـوم لنـا ... إذ تعـالـى وتعـالـى مشهـده
إنمـا الحـق الـذي أعـرفـه ... والـد الكون وكـونـي ولـده

قوله: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ اعلم أن الله هو اللطيف الخبير العلي القدير الحكيم العليم الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فنزه وشبه فتخيل من لا علم له أنه شبه، لكن اللفظ المشترك هو الذي ضمن ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ مرجع الدرك. ولما خلق الله الأشياء وذكر أن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وضع الأسباب وجعلها له كالحجاب فهي توصل إليه تعالى كل من علمها حجاباً، وهي تصد عنه كل من اتخذها أرباباً، فذكرت الأسباب في أنبائها أن الله من ورائها وأنها غير متصلة بخالقها، فإن الصنعة لا تعلم صانعها ولا منفصلة عن رازقها، فإنها عنه تأخذ مضارّها ومنافعها، فخلق الأرواح والأملاك ورفع السموات قبة فوق قبة على عمد الإنسان وأدار الأفلاك ودحى الأرض ليميز بين الرفع والخفض وعين الدنيا طريقاً للآخرة، وأرسل بذلك رسله تترى لما خلق في العقول من العجز والقصور عن معرفة ما خلق الله من أجرام العالم وأرواحه ولطائفه وكثائفه، فإن الوضع والترتيب ليس العلم به من حظ الفكر بل هو موقوف على خبر الفاعل لها والمنشيء لصورها ومتعلق علم العقل من طريق الفكر إمكان ذلك خاصة لا ترتيبه، فإن الترتيب لا يعرف إلا بالشهود في الأشخاص حتى يقول:

Marfat.com

هذا فوق هذا، وهذا تحت هذا، وهذا قبل هذا، وهذا بعد هذا، والعقل يحكم بالإمكان في ذلك كله.

ثم إن الله تعالى قدر في العالم العلوي المقادير والأوزان والحركات والسكون في الحال والمحل والمكان والمتمكن، فخلق السموات وجعلها كالقباب على الأرض قبة فوق قبة على الأرض، كما سنوقفك في هذا الباب على شكل وضع عالم الأجرام، وجعل هذه السموات ساكنة وخلق فيها نجوماً جعل لها في سيرها وسباحتها في هذه السموات حركات مقدرة لا تزيد ولا تنقص وجعلها عاقلة سامعة مطيعة ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ ثم أن الله لما جعل السباحة للنجوم في هذه السموات حدثت لسيرها طرق لكل كوكب طريق وهو قوله: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ فسميت تلك الطرق أفلاكاً، فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب وهي سريعة السير في جرم السماء الذي هو مساحتها فتخترق الهواء المماس لها فيحدث لسيرها أصوات ونغمات مطربة لكون سيرها على وزن معلوم، فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماوية، فهي تجري في هذه الطرق بعادة مستمرة قد علم بالرصد مقادير تلك الحركات ودخول بعضها على بعض في السير، وجعل سيرها للناظر بين بطء وسرعة، وجعل لها تقدماً وتأخراً في أماكن معلومة من السماء تعين تلك الأماكن أجرام الكواكب، فإن أجرام السموات متماثلة الأجزاء، فلولا إضاءة الكواكب ما عرف تقدمها ولا تأخرها وهي التي يدركها البصر ويدرك سيرها ورجوعها، فجعل أصحاب علم الهيئة للأفلاك ترتيباً جائزاً ممكناً في حكم العقل أعطاهم علم ذلك رصد الكواكب وسيرها وتقدمها وتأخرها وبطئها وسرعتها، وأضافوا ذلك إلى الأفلاك الدائرة بها، وجعلوا الكواكب في السموات كالشامات على سطح جسم الإنسان أو كالبرص لبياضها، وكل ما قالوه يعطي ميزان حركاتها، وأن الله تعالى لو فعل ذلك كما ذكروه لكان السير السير بعينه، ولذلك يصبون في علم الكسوفات ودخول الأفلاك بعضها على بعض، وكذلك الطرق يدخل بعضها على بعض في المحل الذي يحدث فيه سير السالكين، فهم مصيبون في الأوزان مخطئون في أنّ الأمر كما رتبوه، وأن السموات كالأكر، وأن الأرض في جوف هذه الأكر، وجعل الله لهذه الكواكب ولبعضها وقوفاً معلوماً مقدراً في أزمان مخصوصة، لم يخرق الله العادة فيها ليعلم صاحب الرصد بعض ما أوحى الله من أمره في السماء، وذلك كله ترتيب وضعي يجوز في الإمكان خلافه مع هذه الأوزان، وليس الأمر في ذلك إلا على ما ذكرناه شهوداً وكشفاً.

Marfat.com

ثم إن الله تعالى يحدث عند هذه الحركات الكوكبية في هذه الطرق السماوية في عالم الأركان وفي المولدات أموراً مما أوحى في أمر السماء، وجعل ذلك عادة مستمرة ابتلاء من الله ابتلى بها عباده، فمن الناس من جعل ذلك الأثر عند هذا السير لله تعالى، ومن الناس من جعل ذلك لحركة الكوكب وشعاعه لما رأى أن عالم الأركان مطارح شعاعات الكواكب ﴿فأما الذين آمنوا بالله فزادتهم إيماناً بالله وأما الذين آمنوا بالباطل فزادتهم إيماناً بالباطل وكفروا بالله وهم الخاسرون الذين ما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

ثم إن الله تعالى وكّل ملائكة بالأرحام عند مساقط النطف فيقلبون النطف من حال إلى حال كما قد شرع لهم الله وقدر ذلك التنقل بالأشهر وهو قوله تعالى: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أي ما تنقص عن العدد المعتاد ﴿وما تزداد﴾ على العدد المعتاد ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ فهو سبحانه يعلم شخصية كل شخص وشخصية فعله وحركاته وسكونه وربط ذلك بالحركات الكوكبية العلوية، فنسب من نسب الآثار لها وجعله الله عندها لا لها، فلا يعلم ما في الأرحام ولا ما تخلق مما لم يتخلق من النطف على قدر معلوم إلا الله تعالى ومن أعلمه الله تعالى من الملائكة الموكلة بالأرحام، ولهذا تكون الحركة الكوكبية العلوية واحدة، ويحدث عندها في الأركان والمولدات أمور مختلفة لاتنحصر ولا يبلغها نظر في جزئيات أشخاص العالم العنصري لأن الله قد وضعه على أمزجة مختلفة وإن كان عن أصل واحد، كمانعلم أن الله خلق الناس من نفس واحدة وهو آدم وجعلنا مختلفين في عقولنا متفاوتين في نظرنا والأصل واحد، ومنا الطيب والخبيث والأبيض والأسود وما بينهما والواسع الخلق والضيق الخلق الحرج:

فالأصل فرد والفروع كثيرة　　　فالحق أصل والكيان فروع

وما خلق الله العالم الخارج عن الإنسان إلا ضرب مثال للإنسان ليعلم أن كل ما ظهر في العالم هو فيه والإنسان هو العين المقصودة فهو مجموع الحكم، ومن أجله خلقت الجنة والنار والدنيا والآخرة والأحوال كلها والكيفيات، وفيه ظهر مجموع الأسماء الإلهية وآثارها، فهو المنعم والمعذب والمرحوم والمعاقب، ثم جعل له أن يعذب وينعم ويرحم ويعاقب، وهو المكلف المختار وهو المجبور في اختياره، وله يتجلى الحق بالحكم والقضاء والفصل، وعليه مدار العالم كله، ومن أجله كانت القيامة، وبه أخذ الجان، وله سخر ما في السموات وما في الأرض، ففي حاجته يتحرك العالم كله علواً وسفلاً دنيا

Marfat.com

وآخرة، وجعل نوع هذا الإنسان متفاوت الدرجات، فسخر بعضه لبعضه وسخره لبعض العالم ليعود نفع ذلك عليه، فما سخر إلا في حق نفسه وانتفع ذلك الآخر بالعرض، وما خص أحداً من خلق الله بالخلافة إلا هذا النوع الإنساني وملكه أزمة المنع والعطاء، فالسعداء خلفاء ونواب، ومن دون السعداء فنواب لا خلفاء ينوبون عن أسماء الله في ظهور حكم آثارها في العالم على أيديهم، فهم خلفاء في الباطن نواب في الظاهر، فالنائب هو الظاهر بالليل لأنه نائب لا خليفة إلهيّ بوضع شرعي ومستتر بالنهار فيعلم من حكمة تغير الحكم المشروع أن الشرع الإراديّ في جوره مستور.

ولما كان الحكام في الخلق خلفاء ونواباً كما قررناه بين الله بما شرعه الحق من الباطل وما ينفع مما يضرّ من الأفعال الظاهرة والباطنة، وقسم العمل بين الجوارح والقلب فجعل الله القلوب محلاً للحق والباطل والإيمان والكفر والعلم والجهل، فالباطل والكفر والجهل ما له إلى اضمحلال وزوال لأنه حكم لا عين له في الوجود فهو عدم له حكم ظاهر وصورة معلومة فيطلب ذلك الحكم وتلك الصورة أمراً وجودياً يستندان إليه فلا يجدانه فيضمحلان وينعدمان، فلهذا يكون المآل إلى السعادة. والإيمان والحق والعلم يستندون إلى أمر وجودي في العين وهو الله عز وجل فيثبت حكمهم في العين أي في عين المحكوم عليه بهم لأن الذي يحفظ وجود هذا الحكم هو موجود بل هو عين الوجود وهو الله المسمى بهذه الأسماء المنعوت بهذه النعوت، فهو الحق العالم المؤمن، فيستند الإيمان للمؤمن، والعلم إلى العالم، والحق إلى الحق، والله تعالى ما تسمى بالباطل لوجوده ولا بالجاهل والكافر تعالى الله عن هذه الأسماء علواً كبيراً، فنزلت الكتب الإلهية والصحف على قلوب المؤمنين الخلفاء والرعايا والورثة فسرت منفعتها في كل قلب كان محلاً لكل طيب.

وأما الأمور العوارض التي ليست منزلة عن أمر إلهي مشروع فهي أهواء عرضت للنواب والرعايا تسمى جوراً والعوارض لا ثبات لها فيزول حكمها بزوالها إذا زال والعين الذي كان قبلها واتصف بها موجود ولا بد له من حال يتصف به وقد زال عنه الشقاء لزوال موجبه إذ كان الموجب عارضاً عرض فلا بد من نقيضه وهو المسمى سعادة، ومن دخل النار منهم فما دخلها إلا لتنفي عنه خبثه وتبقي طيبه، فإذا ذهب الخبث وبقي الطيب فذلك المعبر عنه بالسعيد الذي كان سعده مستهلكاً في خبثه، هكذا هو الأمر في نفسه، ولا يعلم قدر ما قررناه إلا ذو عينين لا ذو عين واحدة، ومن وقف بين النجدين فرأى غاية كل طريق فسلك

Marfat.com

طريق سعادته التي لا يتقدمها شقاء فإنها طريق سهلة بيضاء مثلى نقية لا شوب فيها ولا عوجاً ولا أمتاً. والطريق الأخرى وإن كانت غايتها سعادة ولكن في الطريق مفاوز ومهالك وسباع عادية وحيات مضرة فلا يصل مخلوق إلى غايتها حتى يقاسي هذه الأهوال، والطريقان متجاوران ينبعثان من أصل واحد، وينتهيان إلى أصل واحد، ويفترقان ما بين الأصلين ما بين البداية والغاية، وصورتهما في الهامش كما تراه، فيشاهد صاحب المحجة البيضاء ما في طريق صاحبه لأنه بصير وصاحبه أعمى، فليس يرى الأعمى طريق البصير فيطرأ على البصير من مشاهدة تلك الآفات التي في طريق الأعمى مخاوف لما يرى من الأهوال ويتوهم في نفسه لو كان فيها ما كان يقاسيه ويرى الأعمى ليس عنده خبر من هذا كله لما هو عليه من العمى فلا يبصر شيئاً فيسير ملتذاً بسيره حتى يتردى في حفرة أو تلدغه حية من تلك الحيات فحينئذ يحس بالألم ويستغيث بصاحبه، فمن الأصحاب من يغيثه ومن الأصحاب من يكون قد سبقه فلا يسمعه فيبقى مضطراً ما شاء الله فيرحمه الله فيسعده، والحيوان بما هو حيوان يحس بالألم واللذة وبما هو عاقل وهو الإنسان يعلم السبب المؤلم والسبب الملذ ذوقاً من العادة، حتى أن جماعة غلطت في ذلك فجعلوا الألم للسبب المؤلم ذاتياً وليس كذلك، وإنما الذي يتألم به الإنسان أو يلتذ إنما هو قيام الألم به أو اللذة به عقلاً لا سببها هذا في الآلام واللذات العادية، وثم أسباب أخر لا يستقل العقل بإدراكها فيخبره الله بها على لسان رسوله بالوحي فيعلمها فيأتي من ذلك ما أمره الله به أن يأتيه ويجتنب من ذلك ما أمره الله به أن يجتنبه وقد علم الألم واللذة عقلاً فيتذكرهما عند علمه بهذه الأسباب الشرعية الموجبة لهما، فمن أطاع أطاع على بصيرة من أمره، ومن عصى وعلم أنه عاص عصى على بصيرة من المعصية، وليس هو على بصيرة من المؤاخذة عليها كما هو على بصيرة في الطاعة من الجزاء عليها، فما أجراه على المعصية بالقدر السابق إلا كونه على غير بصيرة من المؤاخذة، ولا ينبغي للمؤمن بل لا يصح أن يكون على بصيرة في المؤاخذة بالمعصية، فإن الرحمة الإلهية والمغفرة ما هو الانتقام والأخذ بأولى من المغفرة إلا ما عين الله من صفة خاصة يستحق من مات وهي به قائمة المؤاخذة ولا بد وليس إلا الشرك وما عدا الشرك فإن الله أدخله في المشيئة فلا يصح أن يكون أحد على بصيرة في العقاب، فهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم والدخول في المآثم إلا من عصم الله بخوف أو رجاء أو حياء أو عصمة في علم الله به خارجة عن هذه الثلاثة، ولا خامس لهذه الأربعة المانعة من وقوع المخالفة والتعرض للعقوبة والممكن قد عهد الله على قبوله لكل ممكن بذاته، فمن وفى

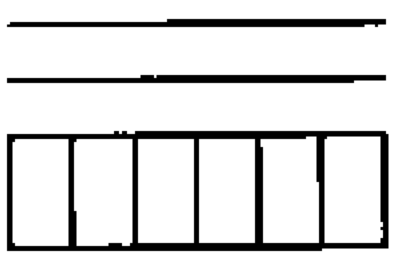

Marfat.com

بهذا العهد مع الله فإنه يسعده بلا شك ابتداء، فإن نقض عهد الله في ذلك وصير الممكن محالاً أو واجباً فقد خرج عما عاهد عليه الله وعرض بذاته لما تخيل أنه لا يصيبه، ومثل هذا هو الذي رد دعوة الحق التي جاء بها الرسول من عند الله كالبراهمة ومن قال بقولهم.

واعلم أنه لما كان الإنسان الكامل عمد السماء الذي يمسك الله بوجوده السماء أن تقع على الأرض، فإذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء وهو قوله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ أي ساقطة إلى الأرض، والسماء جسم شفاف صلب، فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فعادت دخاناً أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور إلا أن سباحتها لا تزول في النار لا بل انتثرت، فهي على غير النظام الذي كان سيرها في الدنيا، فتعطي من الأحكام في أهل النار على قدر ما أوحى فيها الله تعالى، لأن الأخرى تجديد نشأة أخرى في الكل لا يعرفها العقل الأول ولا اللوح المحفوظ ولذلك قال ﷺ أنه يحمد الله يوم القيامة في المقام المحمود بمحامد لا يعلمها الآن يعلمه الله إياها في ذلك اليوم بحسب ما يظهر في ذلك من حكم الأسماء الإلهية لا يعلمها أحد اليوم، فنشأة الخلق وأحوالهم وما يكون منهم في القيامة والدارين على غير نشأة الدنيا وإن أشبهتها في الصورة ولذلك قال: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ أنها كانت على غير مثال كذلك ﴿ينشئكم فيما لا تعلمون﴾ يوم القيامة.

فلنذكر في هذا الباب طرفاً من هيئة جهنم وهيئة الجنات وما فيها مما لم نذكره في بابهما فيما تقدم، ولنجعل ذلك كله في أمثلة ليقرب تصورها على من لا يتصور المعاني من غير ضرب مثل كما ضرب الله للقلوب مثلاً بالأودية بقدرها في نزول الماء، وكما ضرب المثل لنوره بالمصباح كل ذلك ليقرب إلى الأفهام الضعيفة الأمر وهو قوله: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ بما بين له فعلم كيف يبين لغيره فنقول: إن الجسم لما ملأ الخلاء كان أول شكل قبله الاستدارة فسمى تلك الاستدارة فلكاً، وفي تلك الدائرة ظهرت صور العالم كله أدناه وأعلاه ولطيفه وكثيفه وما يتحيز منه وما لا يتحيز، فالذي ملأ الخلاء غير متحيز ولا في مكان ولا يقبل المكان، ولولا اتصاف الحق بالإحاطة ما توهم العقل انحصار هذا الجسم الكل في الخلاء ولا توهم الخلاء إلا من شهود الجسم المحسوس كما لم يتوهم انحصار الممكنات وإن كانت لا تتناهى في نفس الأمر وما وجد منها هو متناه ويدخل في ذلك العقل الأول وكل ما لا يتحيز ولا يقبل المكان، وكان ينبغي أن يقال فيما لا يتحيز أن ذلك غير

Marfat.com

متناه لأن التناهي لا يعقل إلا في المكان والزمان الموجود وقد وجد ما لا يتحيز فكيف يعقل فيه التناهي، وكذلك ما دخل في الوجود من المراتب وإن كانت عدماً فإنها متوهمة الوجود، فإن المراتب نسب عدمية وهي المكانة تنزل كل شيء موجود أو معدوم بالحكم في رتبته، سواء كان واجب الوجود لذاته أو واجب الوجود لغيره أو محال الوجود، فللعدم الخالص مرتبة، وللوجود المحض مرتبة، وللممكن المحض مرتبة، كل مرتبة متميزة عن الأخرى فلا بد من الحصر المتوهم والمعقول، والمعلومات كلها في علم الله على ما هي عليه، فهو يعلم نفسه ويعلم غيره ووجوده لا يتصف بالتناهي، وما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي، والأجناس متناهية وهي معلومة بعلمه والعلم محيط بما يتناهى وما لا يتناهى مع حصر العلم له، وهنا حارت العقول من حيث أفكارها. ثم أن الحق إن حققت الأمر قد أدخل نفسه في الوصف الذي وصف به من الظرفية، فوصف نفسه بأنه في العماء وعلى العرش وفي السماء وفي الأرض، ووصف نفسه بالقبل وبالمعية وبكل شيء، وجعل نفسه عين كل شيء بقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ثم قال له الحكم وهو ما ظهر في عين الأشياء ثم قال: ﴿وإليه ترجعون﴾ أي مردكم من كونكم أغياراً إلي فيذهب حكم الغير فما في الوجود إلا أنا.

ونبين ذلك مثلاً باسم الإنسان بجملة تفاصيله واتصافه بأحكام متغايرة من حياة وحس وقوى وأعضاء مختلفة في الحركات، وكل ما يتعلق بهذا المسمى إنساناً، وليست هذه الأعيان التي تظهر فيها هذه الأحكام بأمر غير الإنسان، فإلى الإنسان ترجع هذه الأحكام، والأحكام في الحق صور العالم كله ما ظهر منه وما يظهر والأحكام منه ولهذا قال له الحكم ثم يرجع الكل إلى أنه عينه، فهو الحاكم بكل حكم في كل شيء حكماً ذاتياً لا يكون إلا هكذا، فسمى نفسه بأسمائه فحكم عليه بها، وسمى ما ظهر به من الأحكام الإلهية في أعيان الأشياء ليميز بعضها عن بعض كما ميز جسم الإنسان عن روحه وليس إنساناً إلا بمجموعه، كما تسمى خالقاً به وبخلقه، فلا يقال في روح الإنسان أنها عين الإنسان ولا غيره، وكذلك في حقائقه ولوازمه وعوارضه، لا يقال في يد الإنسان ولا في شيء من أعضائه أنه عين الإنسان ولا غير الإنسان، كذلك أعيان العالم لا يقال أنها عين الحق ولا غير الحق بل الوجود كله حق ولكن من الحق ما يتصف بأنه مخلوق، ومنه ما يوصف بأنه غير مخلوق لكنه كل موجود فإنه موصوف بأنه محكوم عليه بكذا فنقول في الله أنه ﴿غني عن العالمين﴾ فحكمنا عليه بهذا النعت، وقلنا في المسمى سواه أنه فقير إلى الله فحكمنا عليه، فالكل

Marfat.com

محكوم عليه، كما حكمنا على كل شيء بالهلاك، وحكمنا على وجهه بالاستثناء من حكم الهلاك، فهو أوّل محكوم عليه من عين هويته، فما حكم به على هويته أن وصف نفسه بأن له نفساً بفتح الفاء وأضافه إلى الاسم الرحمن لنعلم إذا ظهرت أعياننا وبلغتنا سفراؤه هذا الأمر شمول الرحمة وعمومها ومآل الناس والخلق كله إليها، فإن الرحمن لا يظهر عنه إلا المرحوم فافهم، فالنفس أوّل غيب ظهر لنفسه كان فيه الحق من اسمه الرب مثل العرش اليوم الذي استوى عليه بالاسم الرحمن، وهو أوّل كثيف شفاف نوري ظهر، فلما تميز عمن ظهر عنه وليس غيره وجعله تعالى ظرفاً له لأنه لا يكون ظرفاً له إلا عينه فظهر حكم الخلاء بظهور هذا النفس ولولا ذلك ما قلنا خلاء، ثم أوجد في هذا العماء جميع صور العالم الذي قال فيه أنه ﴿هالك﴾ يعني من حيث صوره ﴿إلا وجهه﴾ يعني إلا من حقيقته فإنه غير هالك، فالهاء في وجهه تعود على الشيء، فكل شيء من صور العالم هالك إلا من حقائقه فليس بهالك ولا يتمكن أن يهلك، ومثال ذلك للتقريب أن صورة الإنسان إذا هلكت ولم يبق لها في الوجود أثر لم تهلك حقيقته التي يميزها الحد وهي عين الحد له فنقول: الإنسان حيوان ناطق، ولا نتعرض لكونه موجوداً أو معدوماً فإن هذه الحقيقة لا تزال له وإن لم تكن له صورة في الوجود فإن المعلوم لا يزول من العلم فالعلم ظرف المعلومات فصورة العالم بجملته صورة دائرة فلكية، ثم اختلفت فيها صور الأشكال من تربيع وتثليث وتسديس إلى ما لا يتناهى حكماً لا وجوداً، والملائكة الحافون من حول العرش ما لهم سباحة إلا في هذا العماء المستدير الذي ظهر فيه أيضاً عين العرش على التربيع بقوائمه وحملته من صور المعاني وصور أجسامها التي هي الحروف الدالة عليها، فإن المعنى لا يستدل عليه إلا من حكم صورته وهو الحرف، والحرف لا يعلم إلا من حيث معناه فهو العالم العلم المعلوم، فما في الوجود إلا الواحد الكثير، وفيه ظهرت الملائكة المهيمة والعقل والنفس والطبيعة، والطبيعة هي أحق نسبة بالحق مما سواها، فإن كل ما سواها ما ظهر إلا فيما ظهر منها وهو النفس بفتح الفاء وهو الساري في العالم أعني في صور العالم، وبهذا الحكم يكون تجلي الحق في الصور التي ذكرها عن نفسه لمن عقل عنه ما أخبر به عن نفسه تعالى، فانظر في عموم حكم الطبيعة، وانظر في قصور حكم العقل لأنه في الحقيقة صورة من صور الطبيعة بل من صور العماء والعماء هو من صور الطبيعة، وإنما جعل من جعل رتبة الطبيعة دون النفس وفوق الهيولى لعدم شهوده الأشياء وإن كان صاحب شهود ومشى هذه المقالة فإنه يعني بها الطبيعة التي ظهرت بحكمها في الأجسام الشفافة من العرش، فما حواه فهي

Marfat.com

بالنسبة إلى الطبيعة نسبة البنت إلى المرأة التي هي الأم فتلد كما تلد أمها، وإن كانت البنت مولودة عنها فلها ولادة على كل من يولد عنها، وكذلك العناصر عندنا القريبة إلينا هي طبيعة ما تولد عنها، وكذلك الأخلاط في جسم الحيوان فلهذا سميناها طبيعة كما نسمي البنت والبنات والأم أنثى ونجمعها إناثاً.

وإنما ذكرنا هذا لما نظهره من الأشكال لضرب الأمثال للتقريب على الأفهام القاصرة عن إدراك المعاني من غير مثل، فإن الله ما جعل معرفة الإنسان نفسه إلا ضرب مثال لمعرفة ربه، إذ لو لم يعرف نفسه لم يعرف ربه، وهذا صورة العماء الذي هو الجسم الحقيقي العام الطبيعي الذي هو صورة من قوّة الطبيعة تجلى لما يظهر فيه من الصور وما فوقه رتبة إلا رتبة الربوبية التي طلبت صورة العماء من الاسم الرحمن فتنفس فكان العماء، فشبهه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الاسم، فلما فهمنا صورته بالتقريب قال ما فوقه هواء يعلو عليه فما فوقه إلا حق وما تحته هواء يعتمد عليه أي ما تحته شيء، ثم ظهرت فيه الأشياء، فالعماء أصل الأشياء والصور كلها، وهو أوّل فرع ظهر من أصل فهو نجم لا شجر، ثم تفرعت منه أشجار إلى منتهى الأمر والخلق وهو الأرض وذلك ﴿بتقدير العزيز العليم﴾ فهذا المثل المضروب المشكل الممثل الذي نضربه ونشكله هو العماء وهو الدائرة المحيطة وهو فلك الإشارات والنقط التي في الدائرة، مثال أعيان الأرواح المهيمة والنقطة العظمى في هذه النقط العقل والدائرة التي إلى جانب النقطة العظمى التي في داخلها نقطتان هي النفس الكل واللوح المحفوظ، وتانك النقطتان فيهما القوتان العلمية والعملية، والأربع النقط المجاورات لدائرة النفس رتبة الطبيعة التي هي بنت الطبيعة العظمى والدائرة التي في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولى وهو الهباء، والشكل المربع فيه هو العرش والدائرة في جوف هذا الشكل المربع هو الكرسي موضع القدمين، والدائرة التي في جوفه هي الفلك الأطلس، والدوائر الثمانية هي الجنات، والدائرة التي تحت الثمانية هو الفلك المكوكب فلك المنازل، وما تحت مقعره هو جهنم، وفيما تحت مقعره انفتحت أشكال السموات والأرض وما بينهما من الأركان والكواكب الثابتة كل ذلك جهنم، فإذا بدلت السماء والأرض فإنما يقع التبديل في الصور لا في الأعيان وإن كانت الأعيان صوراً، ولكن إذا علم المراد فلا مشاحة في الألفاظ والعبارات والخطان اللذان تحت الشكل المربع المسمى عرشاً الخط الواحد الماء والآخر الهواء، وأنصاف الدوائر التي في جوف فلك الكواكب هي السموات . الخطوط التي تستقر عليها أطراف أنصاف الدوائر الأرض، وما بين القبة التي في

Marfat.com

أوّل خط من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان: الماء والهواء والنار، والمقادير المعينة في الفلك الأطلس هي البروج، والمقادير المعينة في الفلك المكوكب هي المنازل، وكل قبة من القباب السبعة فيها نقطة حمراء هي صورة كوكب كل قبة، ثم جميع ما في جوف الفلك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصور، وفي جوف الفلك المكوكب يكون الحشر والنشر والحساب والعرش الذي يتجلى فيه الحق للفصل والقضاء والملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي ذلك العرش، والناس والجان بين العرش، وصفوف الملائكة والصراط منصوب كالخط الذي يقسم الدائرة نصفين، وينتهي إلى المرج الذي خارج سور الجنة موضع المأدبة التي يأكلها أهل الجنة قبل دخول الجنة وبعد الجواز على الصراط. وسأشكل هذا كله وأمثاله وأكتب على كل شكل اسم المراد به، فمن ذلك:

صورة العماء وما يحوي عليه إلى عرش الاستواء، فإن موضع صور الأشكال ضيق هنا لا يتسع لصور ما نريد تشكيلة واحدة فإنه لو اتسع كان أبين للناظر فيه.

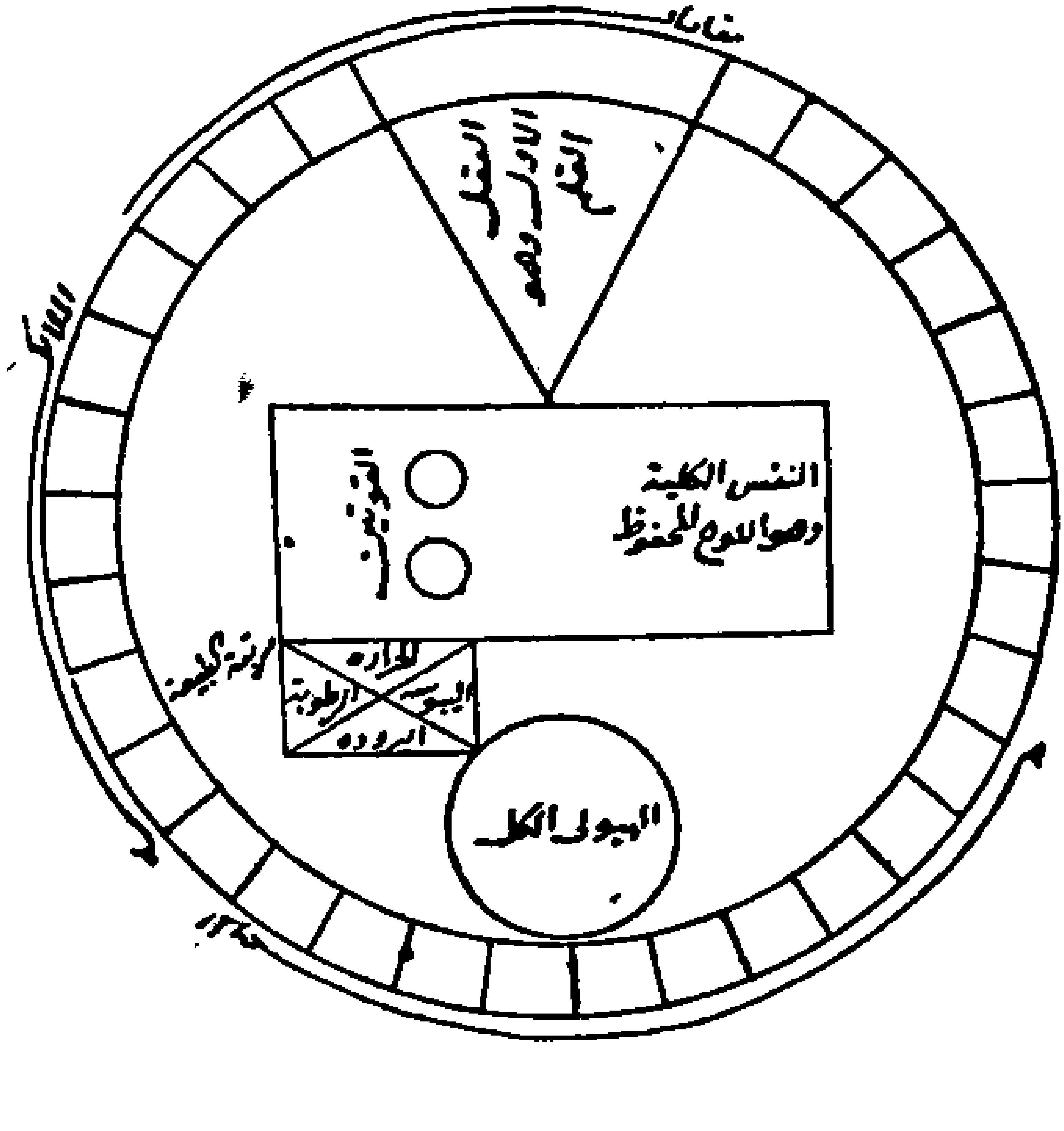

Marfat.com

ومن ذلك: صورة عرش الاستواء والكرسي والقدمان والماء الذي عليه العرش والهواء الذي يمسك الماء والظلمة.

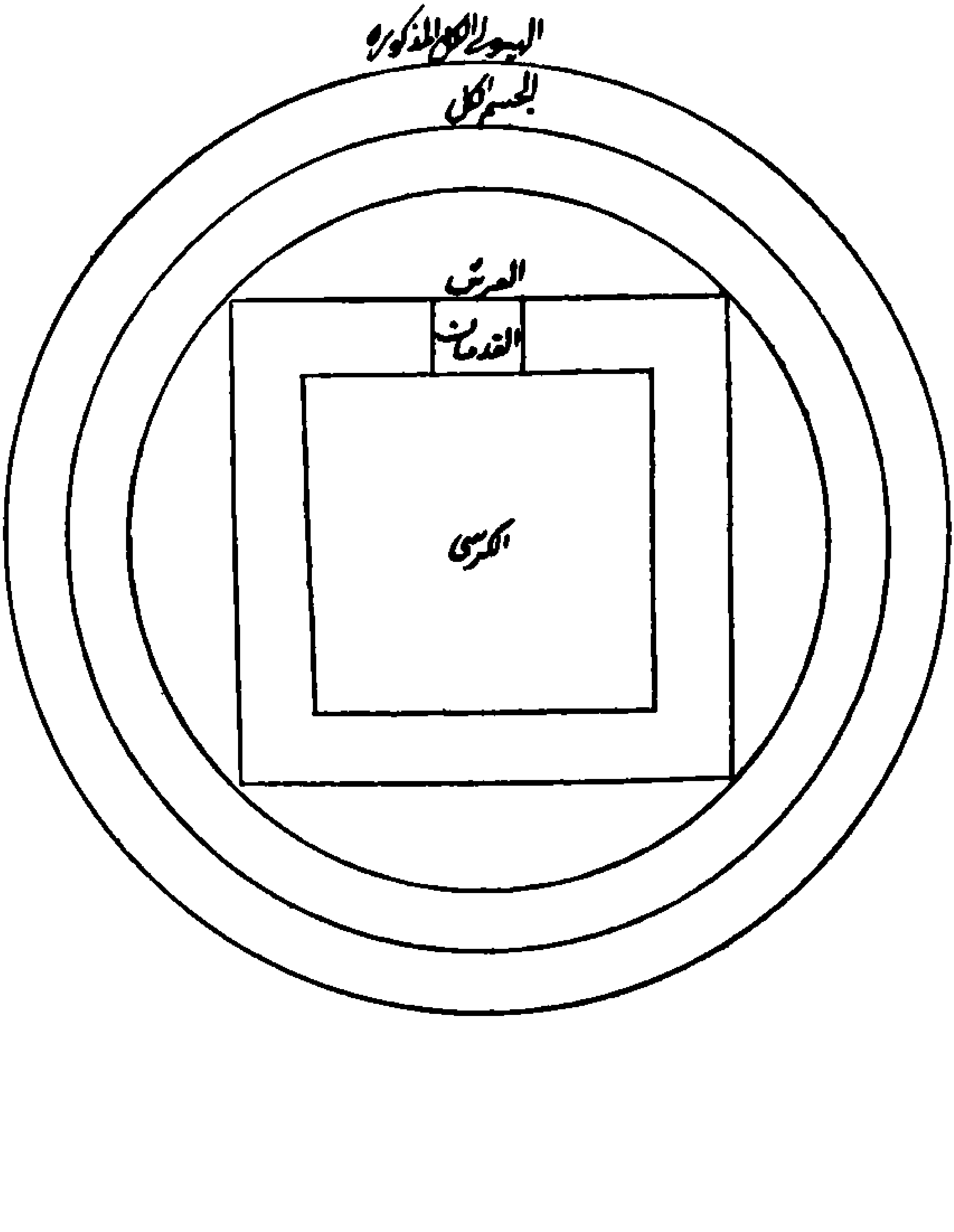

Marfat.com

ومن ذلك: صورة الفلك الأطلس والجنات وسطح فلك الكواكب وشجرة طوبى.

الكرسي المذكور

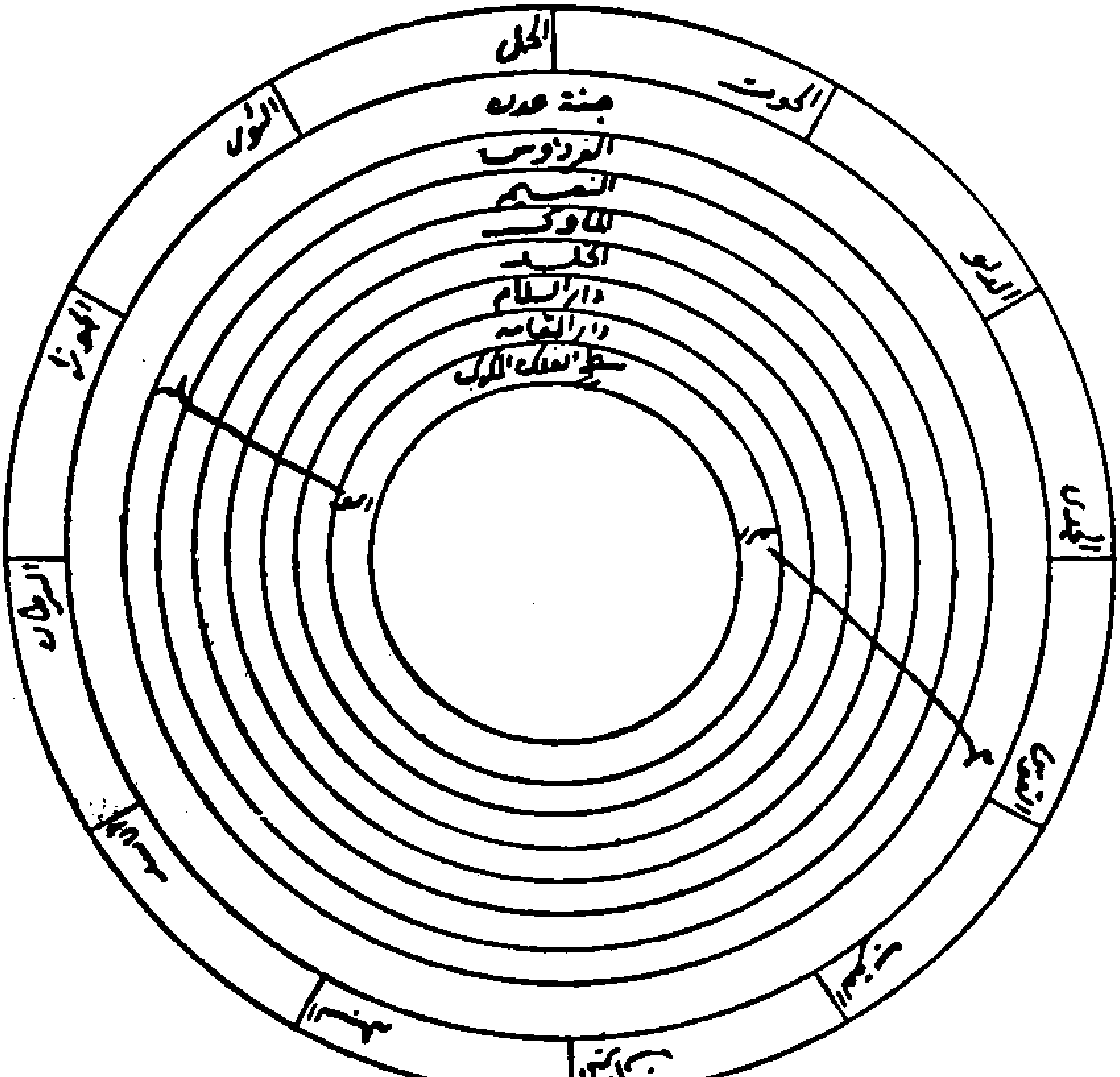

Marfat.com

ومن ذلك: صورة الفلك المكوكب وقباب السموات وما تستقر عليه وهو الأرض والأركان الثلاثة والعمد الذي يمسك الله به القبة والمعدن والنبات والحيوان والإنسان.

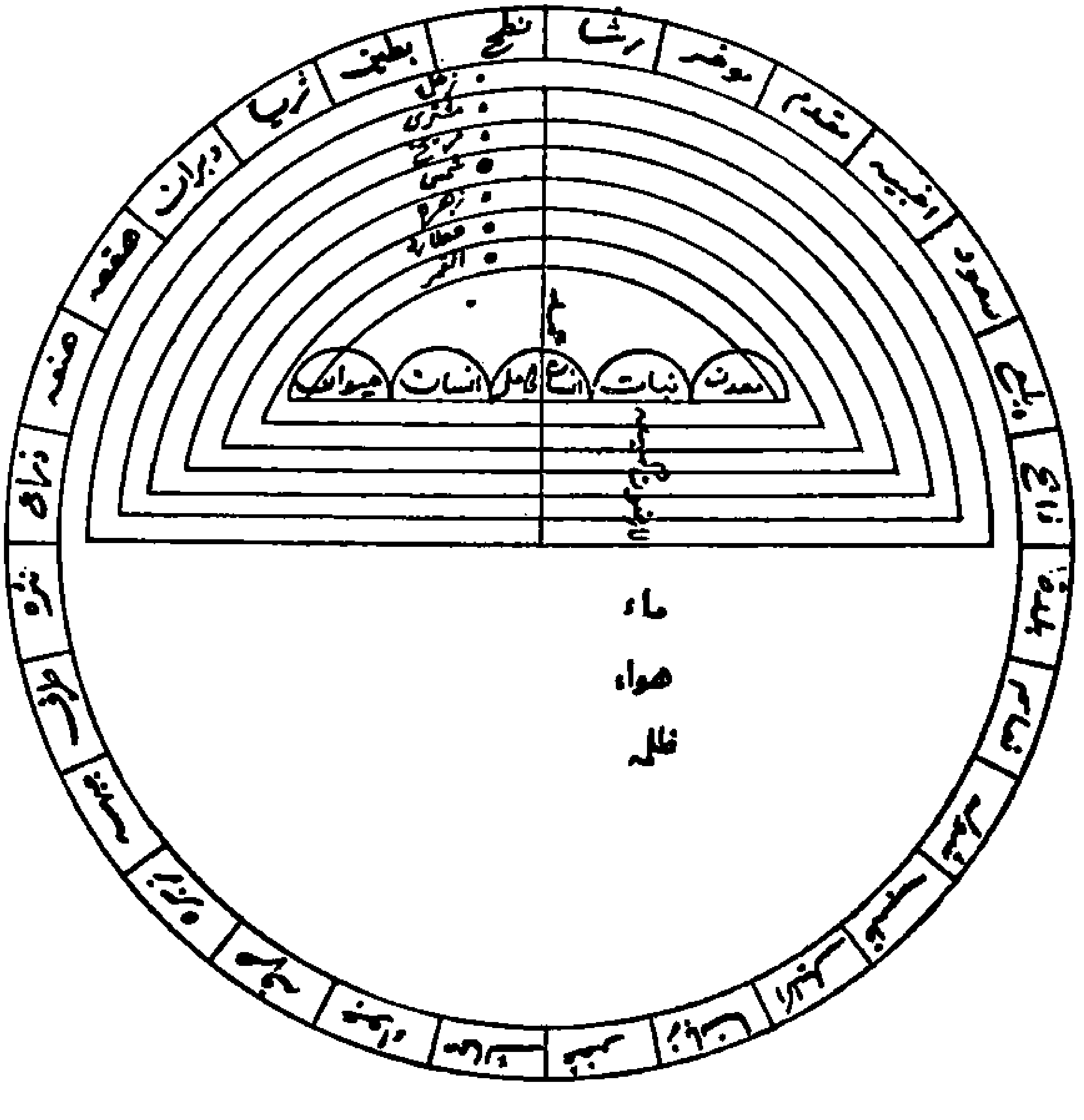

Marfat.com

ومن ذلك: صورة أرض المحشر وما يحوي عليه من الأعيان والمراتب وعرش الفصل والقضاء وحملته وصفوف الملائكة.

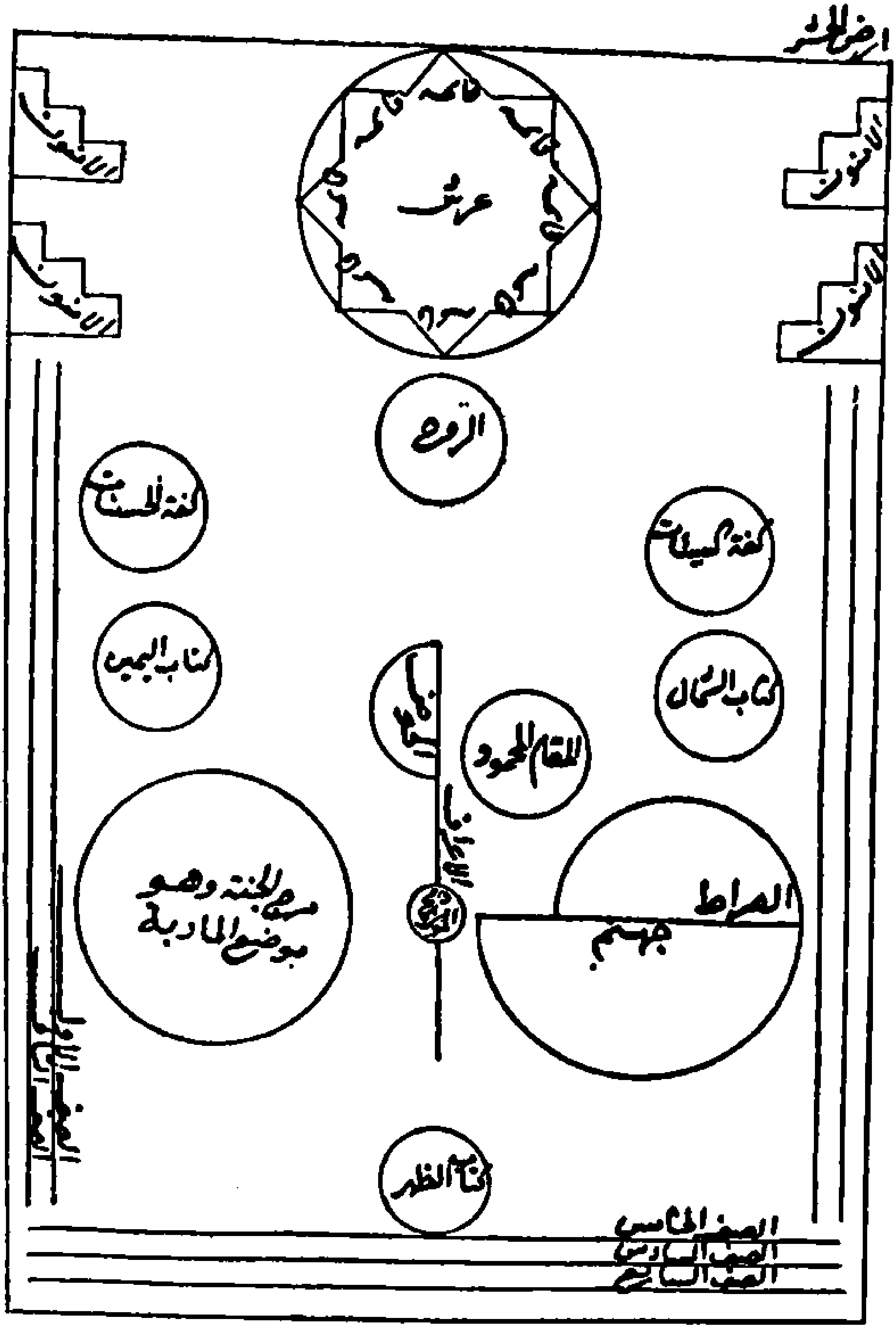

Marfat.com

ومن ذلك : صورة جهنم وأبوابها ومنازلها ودركاتها .

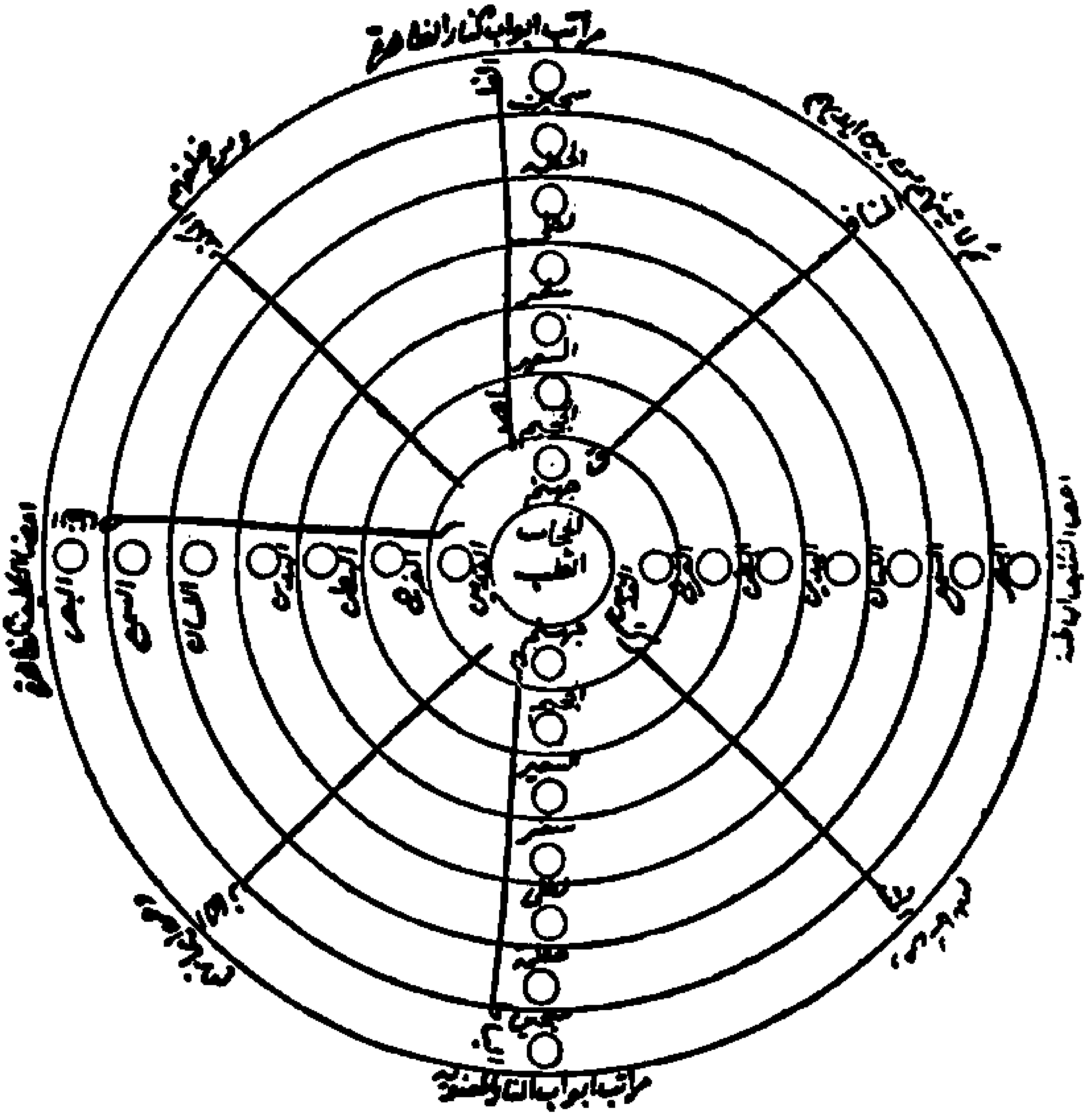

Marfat.com

ومن ذلك: صورة حضرة الأسماء الإلهية والدنيا والآخرة وال ـخ.

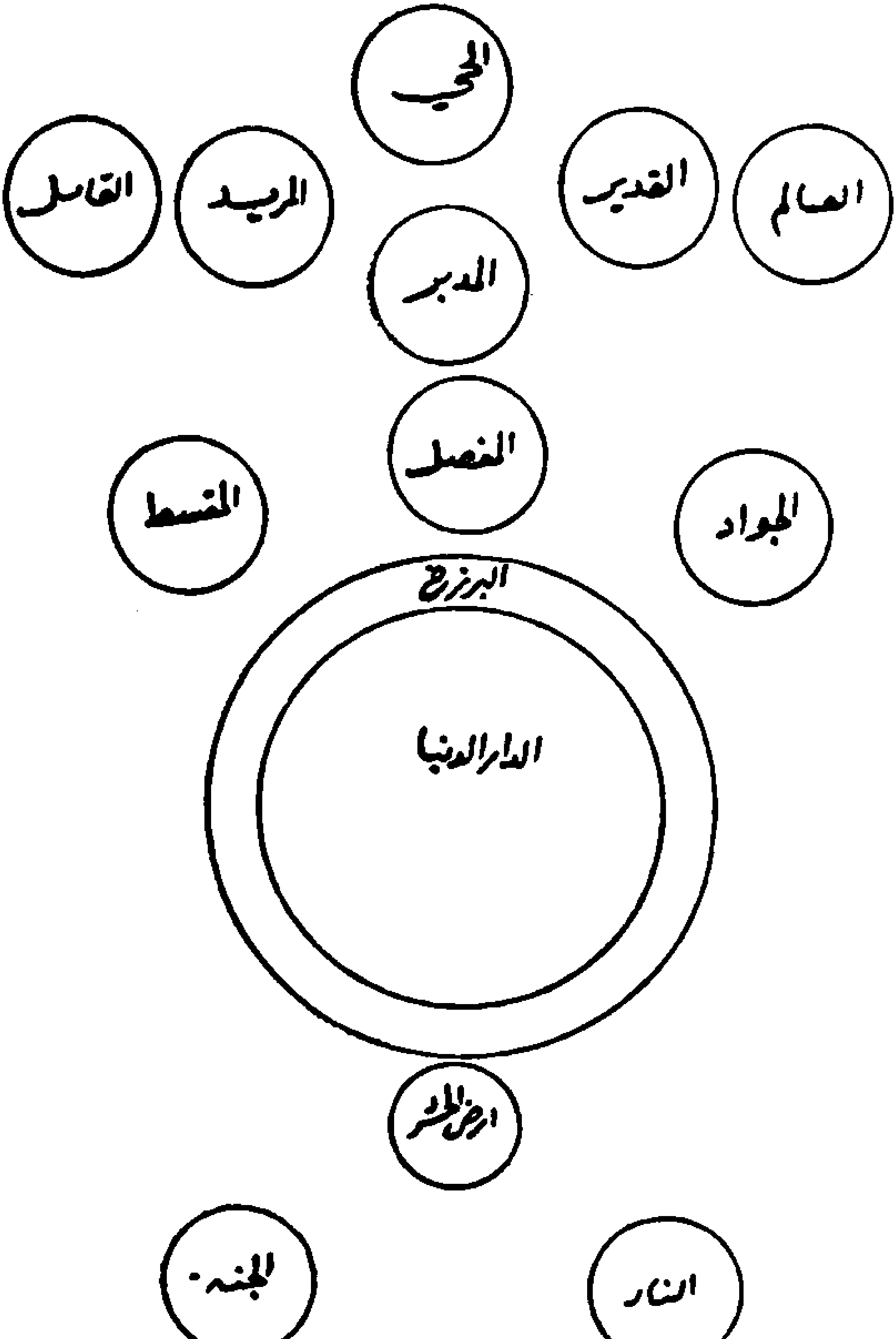

Marfat.com

ومن ذلك : صورة كثيب الرؤية ومراتب الخلق فيه .

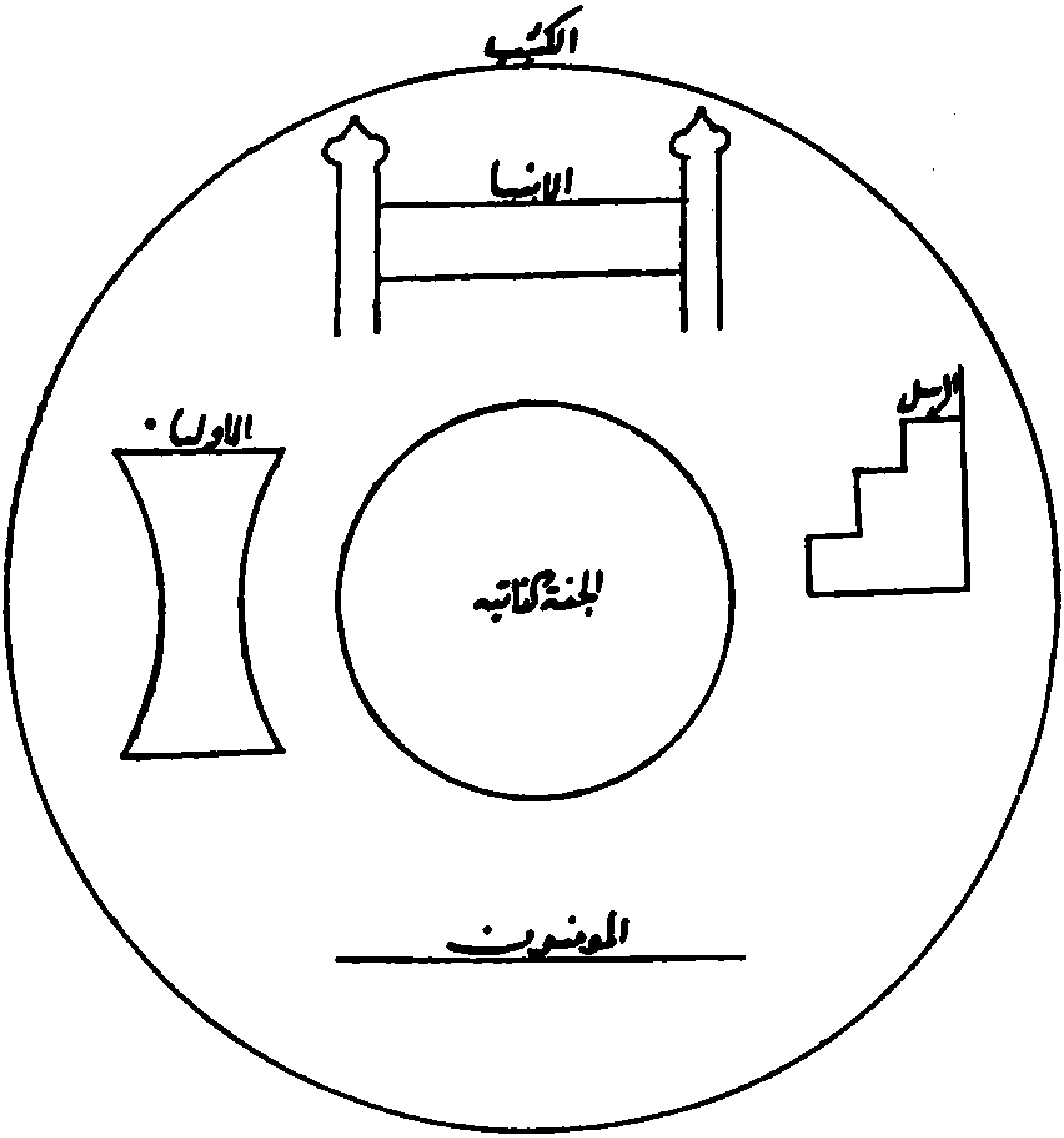

Marfat.com

ومن ذلك: صورة العالم كله وترتيب طبقاته روحاً وجسماً وعلواً وسفلاً.

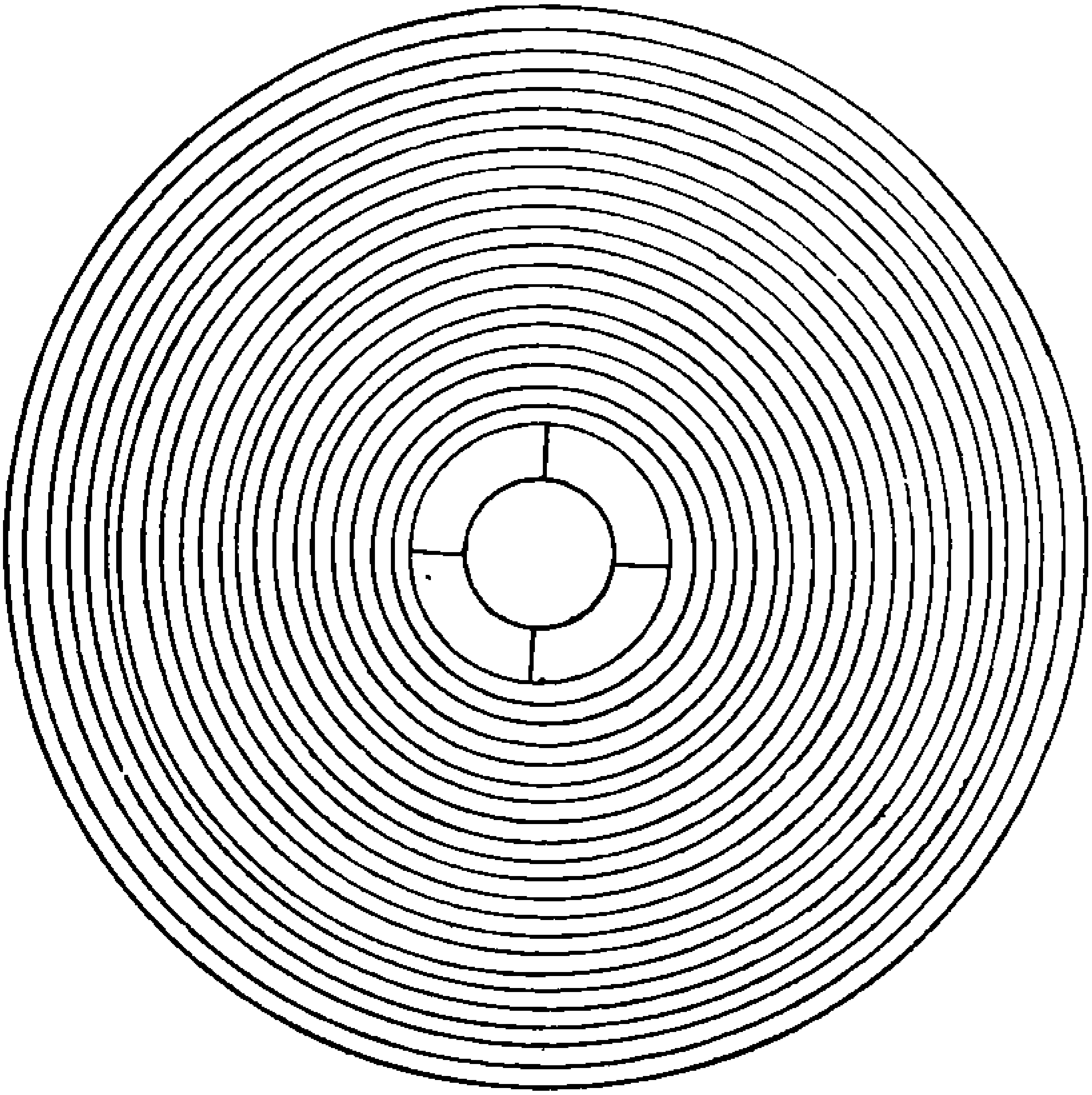

(وصل): فلنتكلم على كل صورة صورة منها على ما هو الأمر عليه في نفسه في فصول تسعة كما رسمناها في وجوه تسعة من التصوير وما جعلتها على الترتيب من التقديم والتأخير، ولكن الكلام عليها يبين المتقدم من ذلك والمتأخر والمجمل والمفصل.

الفصل الأول:

في ذكر العماء وما يحوي عليه إلى عرش الاستواء

اعلم أن الله موصوف بالوجود لا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات بل

Marfat.com

أقول: إن الحق هو عين الوجود وهو قول رسول الله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**» يقول: الله موجود ولا شيء من العالم موجود، فذكر عن نفسه بدء هذا الأمر أعني ظهور العالم في عينه، وذلك أن الله تعالى أحبّ أن يعرف ليجود على العالم بالعلم به عزّ وجلّ، وعلم أنه تعالى لا يعلم من حيث هويته، ولا من حيث يعلم نفسه، وأنه لا يحصل من العلم به تعالى في العالم إلا أن يعلم العالم أنه لا يعلم، وهذا القدر يسمى علماً كما قال الصديق: العجز عن درك الإدراك إدراك، إذ قد علم أن في الوجود أمراً مّا لا يعلم وهو الله، ولا سيما للممكنات من حيث أن لها أعياناً ثابتة لا موجودة مساوقة لواجب الوجود في الأزل، كما أن لنا تعلقاً سمعياً ثبوتياً لا وجودياً بخطاب الحق إذا خاطبنا وأن لها قوّة الامتثال، كذلك لها جميع القوى من علم وبصر وغير ذلك، كل ذلك أمر ثبوتي وحكم محقق غير وجودي، وعلى تلك الأعيان وبها تتعلق رؤية من يراها من الموجودات كما ترى هي نفسها رؤية ثبوتية، فلما اتصف لنا بالمحبة والمحبة حكم يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه ولهذا يجد المتنفس راحة في تنفسه، فبروز النفس من المتنفس عين رحمته بنفسه، فما خرج عنه تعالى إلا الرحمة التي وسعت كل شيء، فانسحبت على جميع العالم ما كان منه وما لا يكون إلى ما لا يتناهى.

فأوّل صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء فهو بخار رحماني فيه الرحمة بل هو عين الرحمة، فكان ذلك أوّل ظرف قبله وجود الحق فكان الحق له كالقلب للإنسان، كما أنه تعالى لقلب للإنسان العارف المؤمن كالقلب للإنسان فهو قلب القلب كما أنه ملك الملك فما حواه غيره فلم يكن إلا هو، ثم إن جوهر ذلك العماء قبل صور الأرواح من الراحة والاسترواح إليها وهي الأرواح المهيمة فلم تعرف غير الجوهر الذي ظهرت فيه وبه وهو أصلها وهو باطن الحق وغيبه ظهر فظهر فيه وبه العالم فإنه من المحال أن يظهر العالم من حكم الباطن، فلا بد من ظهور حق به يكون ظهور صور العالم فلم يكن غير العماء، فهو الاسم الظاهر الرحمان فهامت في نفسها ثم أيه واحداً من هذه الصور الروحية بتجل خاص علمي انتقش فيه علم ما يكون إلى يوم القيامة مما لا تعلمه الأرواح المهيمة، فوجد في ذاته قوّة امتاز بها عن سائر الأرواح فشاهدهم وهم لا يشاهدونه ولا يشهد بعضهم بعضاً فرأى نفسه مركباً منه، ومن القوّة التي وجدها علم بها صدوره كيف كان، وعلم أن في العلم حقائق معقولات سماها معقولات من حيث أنه عقلها لما تميزت عنده، فلم يكن لها أن يكون كل واحدة منها عين الأخرى، فهي للحق معلومات وللحق ولأنفسها معقولات، ولا

Marfat.com

وجود لها في الوجود الوجودي ولا في الوجود الإمكاني، فيظهر حكمها في الحق فتنسب إليه وتسمى أسماء إلهية، فينسب إليها من نعوت الأزل ما ينسب إلى الحق، وتنسب أيضاً إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه، فينسب إليها من نعوت الحدوث ما ينسب إلى الخلق، فهي الحادثة القديمة والأبدية الأزلية، وعلم عند ذلك هذا العقل أن الحق ما أوجد العالم إلا في العماء، ورأى أن العماء نفس الرحمن فقال: لا بد من أمرين يسميان في العلم النظري مقدمتين لإظهار أمر ثالث هو نتيجة إزدواج تينك المقدمتين، ورأى أن عنده من الحق ما ليس عند الأرواح المهيمة، فعلم أنه أقرب مناسبة للحق من سائر الأرواح، ورأى في جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الذي هو للحق بمنزله ظل الشخص من الشخص، ورأى نفسه ناقصاً عن تلك الدرجة، وقد علم ما يتكون عنه من العالم إلى آخره في الدنيا وفي المولدات فعلم أنه لا بد أن يحصل له درجة الكمال التي للإنسان الكامل وإن لم يكن فيها مثل الإنسان فإن الكمال في الإنسان الكامل بالفعل وهو في العقل الأوّل بالقوّة وما كان بالقوّة، والفعل أكمل في الوجود ممن هو بالقوّة دون الفعل، ولهذا وجد العالم في عينه فأخرجه من القوّة إلى الفعل ليتصف بكمال الاقتدار، ولو كان في الإمكان إيجاد الممكنات كلها لما ترك منها واحداً منعوتاً بالعدم لكن يستحيل ذلك لعدم التناهي، وما يدخل في الوجود فلا بد أن يكون متناهياً فتجلى له الحق فرأى لذاته ظلالاً لأن ذلك التجلي كان كالكلام لموسى من جانب الطور، كذلك كان التجلي الإلهي لهذا العقل من الجانب الأيمن، فإن لله يدين مباركتين مبسوطتين يعني فيهما الرحمة فلم يقرن بهما شيئاً من العذاب، فيعطي رحمة يبسطها ويعطي رحمة يقبضها، فإن القبض ضم إليه والبسط انفساح فيه، فكان ذلك الظل الممتد عن ذات العقل من نور ذلك التجلي، وكثافة المحدث بالنظر إلى اللطيف الخبير نفساً، وهو اللوح المحفوظ والطبيعة الذاتية مع ذلك كله، وتسمى هناك حياة وعلماً وإرادة وقولاً، كما تسمى في الأجسام: حرارة وبرودة يبوسة ورطوبة، كما تسمى في الأركان: ناراً وهواء وماء وتراباً، كما تسمى في الحيوان: سوداء وصفراء وبلغماً ودماً، والعين واحدة، والحكم مختلف:

فالعين واحدة والحكم مختلف وذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

ثم صرف العقل وجهه إلى العماء فرأى ما بقي منه لم يظهر فيه صورة وقد أبصر ما ظهرت فيه الصور قد أنار بالصور وما بقي دون صورة رآه ظلمة خالصة ورأى أنه قابل للصور والاستنارة، فاعلم أن ذلك لا يكون إلا بالتحامك بظلك فعمه التجلي الإلهيّ كما

Marfat.com

تعم لذة الجماع نفس الناكح حتى تغيبه عن كل معقول ومعلوم سوى ذاتها، فلما عمه نور التجلي رجع ظله إليه واتحد به، فكان نكاحاً معنوياً صدر عنه العرش الذي ذكر الحق أنه استوى عليه الاسم الرحمن فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، فما أنكر من أنكره أعني الاسم الرحمن إلا للقرب المفرط، ولم يقرّوا بالله إلا لما يتضمنه هذا الاسم من الرحمة والقهر، فعلم وجهل الرحمن فقالوا: ﴿وما الرحمن﴾ ولو قالها بلسان غير العربي لقال ما يشبه هذا المعنى ويقع الإنكار منهم أيضاً فلا أقرب من الرحمة إلى الخلق لأنه ما ثم أقرب إليهم من وجودهم ووجودهم رحمة بلا شك.

الفصل الثاني

في صورة العرش والكرسي والقدمين والماء الذي عليه العرش والهواء الذي عليه الماء والظلمة التي ظهر عنها الهواء الذي يمسك الماء ويمسك عليه الجرية والحملة والحافين. اعلم أن هذه الظلمة هي ظلمة الغيب ولهذا سميت ظلمة أي لا يظهر ما فيها، فكلما برز من الغيب ظهر لنا فنحن ننظر إلى ما ظهر من صور العالم في مرآة الغيب ولا نعرف أن ذلك في مرآة غيب وهي للحق كالمرآة، فإذا تجلى الحق لها انطبع فيها ما في العلم الإلهيّ من صور العالم وأعيانه، وما زال الحق متجلياً لها فما زالت صور العالم في الغيب، وكل ما ظهر لمن وجد من العالم فإنما هو ما يقابله في نظره في هذه المرآة التي هي الغيب، فلو جاز أن يعلم جميع ما في علم الحق وذلك لا يجوز فلا يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة إلا ما تراءى له منها، فكان مما رآه فيها صورة العرش الذي استوى الرحمن عليه وهو سرير ذو أركان أربعة ووجوه أربعة هي قوائمه الأصلية التي لو استقل بها لثبت عليه، إلا أنه في كل وجه من الوجوه الأربعة التي له قوائم كثيرة على السواء في كل وجه معلومة عندنا أعدادها زائدة على القواعد الأربعة وجعله مجوّفاً محيطاً بجميع ما يحوي عليه من كرسي وأفلاك وجنات وسموات وأركان ومولدات، فلما أوجده استوى عليه الرحمن واحداً لكلمة لا مقابل لها فهو رحمة كله ليس فيه ما يقابل الرحمة وهو صورة في العماء، فالعقل أبوه والنفس أمه، ولذلك استوى عليه الرحمن، فإن الأبوين لا ينظران أبداً لولدهما إلا بالرحمة ﴿والله أرحم الراحمين﴾ والنفس والعقل موجودان كريمان على الله محبوبان لله، فما استوى على العرش إلا بما تقر به أعين الأبوين وهو الرحمن، فعلمنا أنه ما يصدر عنه إلا ما فيه رحمة، وإن وقع ببعض العالم غصص فذلك لرحمة فيه لولا ما جرعه إياها اقتضى

Marfat.com

ذلك مزاج الطبع ومخالفة الغرض النفسي فهو كالدواء الكريه الطعم الغير المستلذ، وفيه رحمة للذي يشربه ويستعمله، وإن كرهه فباطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وما استوى عليه الرحمن تعالى إلا بعد ما خلق الأرض وقدر فيها أقواتها وخلق السموات وأوحى في كل سماء أمرها وفرغ من خلق هذه الأمور كلها ورتب الأركان ترتيباً يقبل الاستحالات لظهور التكوين والتنقل من حال إلى حال، وبعد هذا استوى على العرش، قال تعالى: ﴿فاسأل به خبيرا﴾ الضمير في قوله به يعود على الاستواء أي فاسأل بالاستواء خبيراً يعني كل من حصل له ذلك ذوقاً كأمثالنا، فإن أهل الله ما علموا الذي علموه إلا ذوقاً ما هو عن فكر ولا عن تدبر، فهو تعالى النازل الذي لا يفارق المنزل ولا النزول، فهو مع كل شيء بحسب حال ذلك الشيء.

وفي ليلة تقييدي هذا الوجه أراني الحق في واقعتي رجلاً ربع القامة في شقرة فقعد بين يدي وهو ساكت فقال لي الحق: هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك فقلت له: من هو؟ فقال لي: هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرّات وأنا إذ ذاك في دمشق فقلت له: يا رب وكيف يستفيد مني وأين أنا منه؟ فقال لي: قل فإنه يستفيد منك فكما أريتك إياه أريته إياك فهو الآن يراك كما تراه فخاطبه يسمع منك ويقول هو مثل ما تقول أنت، يقول: أريت رجلاً بالشام يقال له محمد بن العربي وسماني أفادني أمراً لم يكن عندي فهو أستاذي فقلت له: يا أبا العباس ما الأمر؟ قال: كنت أجهد في الطلب وأنصب وأبذل جهدي فلما كشف لي علمت أني مطلوب فاسترحت من ذلك الكد، فقلت له: يا أخي من كان خيراً منك وأوصل بالحق وأتم في الشهود وأكشف للأمر قيل له وقل: ﴿رب زدني علماً﴾ فأين الراحة في دار التكليف ما فهمت ما قيل لك قولك علمت أني مطلوب ولم تدر بماذا، نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد ما هذه الدار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في أمر يأتيك في كل نفس فأين الفراغ فشكرني على ما ذكرته به، فانظر عناية الله بنا وبه.

ثم نرجع فنقول: ثم أنه تعالى خلق ملائكة من أنوار العرش يحفون بالعرش، وجعل فيما خلق من الملائكة أربع حملة تحمل العرش من الأربع القوائم الذي هو العرش عليها وكل قائمة مشتركة بين كل وجهين إلى حد كل نصف وجه وجعل أركانه متفاضلة في الرتبة، فأنزلني في أفضلها وجعلني من جملة حملته، فإن الله وإن خلق ملائكة يحملون العرش فإن له من الصنف الإنساني أيضاً صوراً تحمل العرش الذي هو مستوى الرحمن أنا منهم،

Marfat.com

والقائمة التي هي أفضل قوائمه هي لنا وهي خزانة الرحمة، فجعلني رحيماً مطلقاً مع علمي بالشدائد، ولكن علمت أنه ما ثم شدة إلا وفيها رخاوة، ولا عذاب إلا وفيه رحمة، ولا قبض إلا وفيه بسط، ولا ضيق إلا وفيه سعة، فعلمت الأمرين، والقائمة التي على يميني قائمة رحمة أيضاً لكن ما فيها علم شدة فينقص حاملها في الدرجة عن حامل القائمة العظمى التي هي أعم القوائم، والقائمة التي على يساري قائمة الشدة والقهر فحاملها لا يعلم غير ذلك، والقائمة الرابعة التي تقابلني أفاضت عليها القائمة التي أنا فيها مما هي عليه فظهرت بصورتها فهي نور ظلمة وفيها رحمة وشدة، وفي نصف كل وجه قائمة فهي ثمانية قوائم لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة، فإذا كان في القيامة وكل الله بها من يحملها فيكونون في الآخرة ثمانية وهم في الدنيا أربعة، وما بين كل قائمتين قوائم العرش عليها وبها زينته وعددها معلوم عندنا لا أبينه لئلا يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقائق أن تلك القوائم عين ما توهموه وليست كذلك، فلهذا لم نتعرض لإيضاح كميتها، وبين مقعر العرش وبين الكرسي فضاء واسع وهواء محترق وصور أعمال بعض بني آدم من الأولياء في زوايا العرش تطير من مكان إلى مكان في ذلك الانفساح الرحماني، وقوائم هذا العرش على الماء الجامد ولذلك يضاف البرد إلى الرحمة كما قال ﷺ: «وجدت برد أنامله»، فأعطاه العلم الذي فيه الرحمة، فالعرش إنما يحمله الماء الجامد والحملة التي له إنما هي خدمة له تعظيماً وإجلالاً، وذلك الماء الجامد مقره على الهواء البارد وهو الذي جمد الماء، وذلك الهواء نفس الظلمة التي هي الغيب، ولا يعلم أحد ما تلك الظلمة إلا الله كما قال: ﴿عالم الغيب﴾ فلا يظهر على غيبه أحداً. وفيها يكون الناس على الجسر إذا بدلت الأرض غير الأرض والتبدل في الصفة لا في العين فتكون أرض صلاح لا أرض فساد، وتمد مد الأديم ﴿فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ وسيأتي ذكر ذلك في فصله من هذه الفصول إن شاء الله، وخلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشكل ودلى إليه القدمين فانقسمت الكلمة الواحدة التي هي في العرش واحدة فهي في العرش رحمة واحدة إليها مآل كل شيء، وانقسمت في الكرسي إلى رحمة وغضب مشوب برحمة اقتضى ذلك التركيب لما يريد الله أن يظهر في العالم من القبض والبسط والأضداد كلها، فإنه المعز المذل، والقابض الباسط، والمعطي المانع، قال تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ فهذا من انقسام الكلمة غير أن الأمر إذا كان ذاتياً لم يكن إلا هذا:

انظر إلى الكون في تفصيله عجبا ومرجع الكل في العقبى إلى الله

Marfat.com

في الأصل متفق في الصور مختلف دنيا وآخرة فالحكم لله
في الله من كونه مجلى لعالمه ولا يرى الكون إلا الله بالله
فاعلم وجودك إن الجود موجده وكن بذاك على علم من الله

فكما استوى الرحمن على العرش استوت القدمان على الكرسي .وهو على شكل العرش في التربيع لا في القوائم، وهو في العرش كحلقة ملقاة، فالكرسي موضع راحة الاستواء، فإنه ما تدلى إليه ما تدلى إلا مباسطة، والقدم الثبوت فتانك قدم الصدق، وقدم الجبار، وقدم الجبر، وقدم الاختيار، ولهاتين القدمين مراتب كثيرة في العلم الإلهي لا يتسع الوقت لإيرادها لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز والاختصار، ومقر هذا الكرسي أيضاً على الماء الجامد، وفي جوف هذا الكرسي جميع المخلوقات من سماء وأركان هي فيه كهو في العرش سواء وله ملائكة من المقسمات، ولهذا انقسمت الكلمة فيه لأن هذا الصنف لا يعرفون أحدية وإن كانت فيهم، فإن الله وكلهم بالتقسيم مع الأنفاس، فلو أشهدهم الأحدية منهم ومن الأمور كلها ربما شغلوا بها نفساً واحداً عن التقسيم الذي خلقوا له وهم المطيعون كما أخبر الله عنهم فحيل بينهم وبين مشاهدة الوحدات، فأية وحدة تجلت لهم قسموها بالحكم فلا يشهدون إلا القسمة في كل شيء ولا غفلة ولا نسيان لما علموه. وأما ملائكة التوحيد والوحدات إذا جمعهم مع المقسمات مجلس إلهيّ وجرت بينهما مفاوضات في الأمر اختصما لأنهما على النقيض، وهذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الأعلى، فيقول الصنف الواحد بالوحدة، ويقول الآخر بالانقسام والثنوية لم توجد أرواحهم إلا من هذه الأرواح، ولم توجد هذه الأرواح إلا من القوّتين اللتين في النفس الكلية:

فالنفس لا تعرف إلا به والحق لا يعرف إلا بها
فكن له من ذاته منزهاً وكن له من نفسه مشبها

وأيضاً:

ومن يكن على الذي وصيته كان بما أوصيته منتبها

واعلم علمك الله أن ألوهية المخلوقين من هذه الحضرة ظهرت في العالم لما تعطيه من انقسام كل شيء، فما ظهر في العالم إلا ما خلق تعالى فيه وعلمه، وما اختص العلماء بالله وحصل لهم الشفوف على غيرهم إلا بمصادر الأشياء من أين ظهرت في العالم،

Marfat.com

والتقابل لا نشك أنه انقسام في مقسوم فلا بد من عين جامعة تقبل القسمة، ولما كان عذر العالم مقبولاً في نفس الأمر لكونهم مجبورين في اختيارهم لذلك جعل الله مآل الجميع إلى الرحمة فهو الغفور لما ستر من ذلك عن قلوب من لم يعلمه بصورة الأمر رحمة به لأنه الرحيم في غفرانه لعلمه بأن مزاجه لا يقبل، فالمنع من القابل لتضمنه مشيئة الحق لكون العين قابلة لكل مزاج، فما اختصت واحدة على التعيين بمزاج دون غيره مع كونها قابلة لكل مزاج إلا لحكم المشيئة الإلهية، وإلى هذا إذا صعدت أرواح الثنوية يكون معراجها ليس لها قدم في غيره فلها طريق خاص وعلى الله قصد السبيل.

فصل ثالث
في الفلك الأطلس والبروج والجنات وشجرة طوبى وسطح الفلك المكوكب

اعلم أن الله خلق في جوف هذا الكرسي الذي ذكرناه جسماً شفافاً مستديراً قسمه اثني عشر قسماً سمى الأقسام بروجاً وهي التي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾ وأسكن كل برج منها ملكاً هم لأهل الجنة كالعناصر لأهل الدنيا، فهم ما بين مائي وترابي وهوائي وناري، وعن هؤلاء يتكوّن في الجنات ما يتكوّن، ويستحيل فيها ما يستحيل، ويفسد ما يفسد، أعني ينفسد بتغير نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث فهذا معنى يفسد فلا تتوهم، ومن هنا قالت الإمامية بالاثني عشر إماماً، فإن هؤلاء الملائكة ائمة لكنهم لا يشعرون أن الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان، وإذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل والقضاء النافذ بهم إلى هذا الفلك تنتهي لا تتعدّاه فإنها لم تعتقد سواه، فهم وإن كانوا اثني عشر فهم على أربع مراتب، لأن العرش على أربع قوائم، والمنازل ثلاثة: دنيا وبرزخ وآخرة، وما ثم رابع، ولكل منزل من هذه المنازل أربعة لا بد منهم لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضرب اثني عشر فلذلك كانوا اثني عشر برجاً. ولما كانت الدار الدنيا تعود ناراً في الآخرة بقي حكم الأربعة عليها التي لها والبرزخ في سوق الجنة ولا بد فيه من حكم الأربعة، والجنة لا بد فيها من حكم الأربعة فلا بد من البروج، فالحمل والأسد والقوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم، والثور والسنبلة والجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضاً، والجوزاء والميزان والدالي على مرتبة أخرى ولاة

Marfat.com

أيضاً، والسرطان والعقرب والحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضاً، لأن كل واحد من كل ثلاثة على طبيعة واحدة في مزاجهم لكن منازل أحكامهم ثلاثة وهم أربعة ولاة في كل منزل، وكل واحد منهم له الحكم في كل منزل من الثلاثة، كما أن اليوم والليلة لواحد من السبع الجواري الخنس الكنس هو واليها وصاحبها الحاكم فيها، ولكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم، فلا يستقل من دون الجماعة إلا بأوّل ساعة من يومه وثامن ساعة، وكذلك الليل والآخرة مثل ذلك، وإن كان لها الأسد كما كان للدنيا السرطان وهو برج منقلب والأسد برج ثابت فإن كل واحد من الإثني عشر له حكم فيها، كذلك الدنيا وإن كان لها السرطان فلا بد لباقي البروج من حكم فيها، كذلك البرزخ وإن كان له السنبلة فلا بد لكل واحد من الباقين من حكم فيها وما ثم منزل ثالث إلا بتبدل الدنيا بالنار، فإنه قد كان صاحب الدنيا بحكم الأصل السرطان، فلما عادت ناراً عزل السرطان ووليها برج الميزان وتبعه الباقون في الحكم فانظر ما أعجب هذا، فإذا انقضى عذاب أهل النار وليها برج الجوزاء، ولا بد لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الوالي، وإذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظره فيهم كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض حتى يتنعم به إذا حكم عليه هذا في المآل خاصة لأن المآل رحمة مطلقة عامة فبذلك فليفرحوا أعني بفضل الله ورحمته فإنه ﴿خير مما يجمعون﴾.

ولما أدار الله الفلك الأطلس بما جعل فيه من الولاة والحكام وجعل منتهى دورته يوماً كاملاً لا ليل فيه ولا نهار أوجد ما فيه عند حركته وبما ألقى وأوحى به إلى النواب من الحكم في ذلك وجعل لأحكامهم في كل عين مدة معلومة محصورة تتنوع تلك المدد بحسب المنزل الدنياوي والأخراوي والبرزخي، والحكم البرزخي أسرعه مدة وأكثره حكماً، كذا وسنيه على قدر أيامه والأيام متفاضلة، فيوم ونصف دورة ويوم دورة كاملة ويوم من ثمان وعشرين دورة، وأكثر من ذلك إلى يوم المعارج، وأقل من ذلك إلى يوم الشؤون، وما بين هذين اليومين درجات للأيام متفاضلة، وجعل لكل نائب من هؤلاء الأملاك الاثني عشر في كل برج من ملكه إياه ثلاثين خزانة تحتوي كل خزانة منها على علوم شتى يهبون منها لمن نزل بهم عن قدر ما تعطيه رتبة هذا النازل وهي الخزائن التي قال الله فيها: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾، وهذا النازل بهم ما يصرّف ما حصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه فإن حظه منها حظ حصولها ويصرّف ما حصل له في عالم الأركان والمولدات والإنسان، فمن النازلين من يقيم عندهم يوماً في كل خزانة وينصرف

Marfat.com

وهو أقل النازلين إقامة، وأما أكثر النازلين إقامة فهو الذي يقيم عند كل خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند الله وما يعطيه استعداده مائة سنة، وباقي النازلين ما بين مائة سنة واليوم وأعني باليوم قدر حركة هذا الفلك الأطلس، وأعني بالمائة سنة كل سنة ثلاث مائة وستين يوماً من أيام هذه الحركة فاعلم ذلك، وهذه الخزائن تسمى عند أهل التعاليم درجات الفلك والنازلون بها هم الجواري والمنازل وعيوقاتها من الثوابت، والعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهية هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى الأرض، وسميت ثابتة لبطئها عن سرعة الجواري السبعة، وجعل لهؤلاء الاثني عشر نظراً في الجنات وأهلها وما فيها مخلصاً من غير حجاب، فما يظهر في الجنان من حكم فهو عن تولي هؤلاء الإثني عشر بنفوسهم تشريفاً لأهل الجنة، وأما أهل الدنيا وأهل النار فما يباشرون ما لهم فيها من الحكم إلا بالنوّاب وهم النازلون عليهم الذين ذكرناهم.

فكل ما يظهر في الجنات من تكوين وأكل وشرب ونكاح وحركة وسكون وعلوم واستحالة ومأكول وشهوة فعلى أيدي هؤلاء النواب الإثني عشر من تلك الخزائن بإذن الله عزّ وجلّ الذي استخلفهم، ولهذا كان بين ما يحصل عنهم بمباشرتهم وبين ما يحصل عنهم بغير مباشرتهم بل بوساطة النازلين بهم الذين هم لهم في الدنيا والنار كالحجاب والنواب بون عظيم وفرقان كبير يحصل علم ذلك الفرقان في الدنيا لمن اتقى الله وهو قوله في هذا وأمثاله: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ وهو علم هذا وأمثاله ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي يستر عنكم ما يسؤكم فلا ينالكم ألم من مشاهدته، فإن رؤية السوء إذا رآه من يمكن أن يكون محلاً له وإن لم يحل به فإنه تسوءه رؤيته وذلك لحكم الوهم الذي عنده والإمكان العقلي ﴿ويغفر لكم﴾ أي ويستر من أجلكم ممن لكم به عناية في دعاء عام أو خاص معين، فالدعاء الخاص ما تعين به شخصاً بعينه أو نوعاً بعينه، والعام ما ترسله مطلقاً على عباد الله ممن يمكن أن يحل بهم سوء ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾، بما أوجبه على نفسه من الرحمة، وبما امتن به منها على من استحق العذاب كالعصاة في الأصول والفروع.

وهؤلاء النواب الاثنا عشر هم الذين تولوا بناء الجنات كلها إلا جنة عدن فإن الله خلقها بيده وجعلها له كالقلعة للملك، وجعل فيها الكثيب الأبيض من المسك وهو الظاهر من الصورة التي يتجلى فيها الرب لعباده عند الرؤية كالمسك بفتح الميم من الحيوان وهو الجلد وهو الغشاء الظاهر للأبصار من الحيوان، وجعل بأيديهم غراس الجنات إلا شجرة

Marfat.com

طوبى فإن الحق تعالى غرسها بيده في جنة عدن وأطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن وتدلت مطلة على سائر الجنات كلها وليس في أكمامها ثمر إلا الحلي والحلل لباس أهل الجنة وزينتهم زائداً في الحسن والبهاء على ما تحمل أكمام شجر الجنات من ذلك لأن لشجرة طوبى اختصاص فضل بكون الله خلقها بيده فإن لباس أهل الجنة ما هو نسج ينسج وإنما تشقق عن لباسهم ثمر الجنة كما تشقق الأكمام هنا عن الورد وعن شقائق النعمان وما شاكلهما من الأزهار كلها كما ورد في الخبر الصحيح كشفاً والحسن نقلاً «**أن رسول الله ﷺ كان يخطب بالناس فدخل رجل فقال: يا رسول الله، أو قام رجل من الحاضرين الشك مني فقال: يا رسول الله ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج؟ فضحك الحاضرون من كلامه فكره ذلك رسول الله ﷺ منهم وقال: أتضحكون أن سأل جاهل عالماً يا هذا وأشار إلى السائل: بل تشقق عنها ثمر الجنة**» فحصل لهم علم لم يكونوا عرفوه، وأدار بجنة عدن سائر الجنات، وبين كل جنة وجنة سور يميزها عن صاحبتها، وسمى كل جنة باسم معناه سار في كل جنة، وإن اختصت هي بذلك الاسم فإن ذلك الاسم الذي اختصت أمكن ما هي عليه من معناه وأفضله مثل قوله ﷺ: «**أقضاكم علي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضكم زيد**» وإن كان كل واحد منهم يعلم القضاء والحلال والحرام والفرائض ولكن هو بمن سمى به أخص وهي جنة عدن وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة السلام وجنة المقامة والوسيلة وهي أعلى جنة في الجنات فإنها في كل جنة من جنة عدن إلى آخر جنة، فلها في كل جنة صورة وهي مخصوصة برسول الله ﷺ وحده نالها بدعاء أمته حكمة من الله حيث نال الناس السعادة ببركة بعثته ودعائه إياهم إلى الله وتبيينه ما نزل الله إلى الناس من أحكامه ﴿جزاء وفاقاً﴾ وجعل أرض هذه الجنات سطح الفلك المكوكب الذي هو سقف النار، وسيأتي فصله في هذه الفصول إن شاء الله تعالى.

وجعل في كل جنة مائة درجة بعدد الأسماء الحسنى، والاسم الأعظم المسكوت عنه لوترية الأسماء وهو الاسم الذي يتميز به الحق عن العالم هو الناظر إلى درجة الوسيلة خاصة، وله في كل جنة حكم كما له حكم اسم إلهي فافهم ومنازل الجنة على عدد آي القرآن ما بلغ إلينا منه نلنا تلك المنزلة بالقراءة وما لم يبلغ إلينا نلناه بالاختصاص في جنات الاختصاص، كما نلنا بالميراث جنات أهل النار الذين هم أهلها، وأبواب الجنة ثمانية على عدد أعضاء التكليف، ولهذا ورد في الخبر «**أن النبي ﷺ قال فيمن توضأ وصلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشيء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، فقال له أبو بكر**

Marfat.com

الصديق رضي الله عنه: فما عليه أن لا يدخلها من أبوابها كلها فقرر رسول الله ﷺ قول أبي بكر وأثبته» وفي خبر جعله صاحب هذا الحال، فلكل عضو باب، والأعضاء ثمانية العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب، فقد يقوم الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلها فيدخل من أبواب الجنة الثمانية في حال دخوله من كل باب منها، فإن نشأة الآخرة تشبه البرزخ وباطن الإنسان من حيث ما هو ذو خيال.

وأما خوخات الجنات فتسع وسبعون خوخة وهي شعب الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع هنا تسعة، فإن البضع في اللسان من واحد إلى تسعة، فأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، وأعلاه لا إله إلا الله وما بينهما مما يتعلق من الأعمال ومكارم الأخلاق، فمن أتى شيئاً من مكارم الأخلاق فهو على شعبة من الإيمان وإن لم يكن مؤمناً كمن يوحى إليه في المبشرات وهي جزء من أجزاء النبوة وإن لم يكن صاحب المبشرة نبياً فتفطن لعموم رحمة الله، فما تطلق النبوة إلا لمن اتصف بالمجموع فذلك النبي وتلك النبوة التي حجزت علينا وانقطعت فإن من جملتها التشريع بالوحي الملكي في التشريع وذلك لا يكون إلا لنبي خاصة، فلا بد أن يكون لهذه الشعبة حكم فيمن قامت به واتصف بها وظهر أثرها عليه، فإن الله لما أخبر بهذه الشعبة على لسان الرسول أضافها إلى الإيمان إضافة إطلاق لم يقيد إيماناً بكذا بل قال الإيمان والإيمان بكذا شعبة من شعب الإيمان المطلق، فكل شعبة إيمان كالذين آمنوا بالباطل خاصة وهو الإصلاح بين الناس بما لم يكن والخديعة في الحرب فكان للكذب دخول في الإيمان فهو في موطن شعبة من شعب الإيمان، وقد يوجد هذا من المؤمن وغير المؤمن، على أنه ما ثم غير مؤمن فإن الله ما تركه، كما أنه ما ثم غير كافر فإن الأمر محصور بين مؤمن بالله ومؤمن بالباطل وكافر بالله وكافر بالباطل، فكل عبد لله فهو مؤمن كافر معاً يعين إيمانه وكفره ما تقيد به، فلكل شعبة من الإيمان طريق إلى الجنة، فأهل الجنان في كل جنة وأهل النار من حيث ما قام بهم من شعب الإيمان وهم أهل النار الذين لا يخرجون منها، فلهم بما كانوا فيه من شعب الإيمان جميع معاني الجنات في النار إلا جنة الفردوس والوسيلة لا قدم لهم فيهما فإن الفردوس لا عين له في النار، فلهم النعيم والخلد والمأوى والسلام والمقامة وعدن، ولأهل الجنات الرؤية متى شاؤوا ولأهل النار في أحيان مخصوصة الرؤية، فإن الله ما أرسل الحجاب عليهم مطلقاً وإنما قال يومئذ في قوله: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ لما تعود عليهم وأغلظ في حال الغضب والربوبية لها الشفقة، فإن المربي ضعيف يتعين اللطف به، فلذلك كان في حال الغضب عن ربه محجوباً

Marfat.com

فافهم، فأورثه ذلك الحجاب أن جعله يصلى الجحيم لأنه قال بعد قوله لمحجوبون: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ فأتى بقوله ثم فما صلى الجحيم إلا بعد وقوع الحجاب ولذلك قيده بيومئذ، كذلك أيضاً لم يخل إنسان ولا مكلف أن يكون على خلق من أخلاق الله وأن لله ثلثمائة خلق، فلا بد أن يكون الإنسان من مؤمن وكافر على خلق من أخلاق الله وأخلاق الله كلها حسنة حميدة، فكل ذات قام بها خلق منها وصرفه في الموضع الذي يستحقه ذلك الخلق فلا بد أن تسعد به حيث كانت من نار أو جنان فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر ولا بد أن يحنو كل إنسان على أمر ما من خلق الله فله أجر من ذلك، فدركات النار هي دركات ما لم ينقطع العذاب، فإذا انتهى إلى أجله المسمى عاد ذلك الدرك في حق المقيم فيه درجة للخلق الإلهي الذي كان عليه يوماً ما:

اللّـــه أكـــرم أن تنســـاك منتـــه ومـن يجـود إذا الرحمـن لـم يجـد

ولما جعل الله تعالى في المكلف عقلاً وتجلى له كان له من جهة عقله ونظره عقد وعهد لله ألزمه ذلك النظر العقلي، وهو الافتقار إلى الله بالذات وأمثاله، ثم بعث إليه رسولاً من عنده فأخذ عليه عهداً آخر على ما تقرر في الميثاق الأوّل، فصار الإنسان مع الله بين عهدين: عهد عقلي وعهد شرعي، وأمره الله بالوفاء بهما بل طلبه الحال بذلك لقبوله، فلما وقفت على هذين العهدين وبلغ مني علمي بهما المبلغ الذي يبلغه من شاهده قلت:

في القلب عقد حجى وعقد هداية أتــراه يخلــص مــن لــه عقــدان
ربـــي بمـــا أعطيتنيـــه علمتـــه مـــا لـــي لمـــا حملتنيـــه تـــران
مـــا كـــل مـــا كلفتنيـــه أطيقـــه مـــن لـــي بتحصيـــل النجـــاة وذان
عقــلاً وشــرعــاً بــالــوفــاء ينــاديــا قلبـــي فمـــا لـــي بـــالــوفــاء يــدان
إن كنــت نعتـي فــالــوفــاء محصــل أو كنــت أنــت فمــا همــا عنيــانـي

أما قولي: إن كنت نعتي فهو قول رسول الله ﷺ عن ربه أنه قال: «كنت سمعه وبصره ويده ومؤيده» وكذلك إن كنت أعني نفسي أنت أي أنت الفاعل والموجد للعمل والوفاء لا أنا، إذ لا إيجاد لمخلوق في عقد نابل الأمر كله لله فما هما يعني العقل والشرع بحكمهما على عنياني، وإنما عنيا من له خلق الأعمال والأحوال والقدرة عليها، وإنما قلنا هذا ليحقق

Marfat.com

عند السامعين صدق الله في قوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ وأقوى الجدال ما يجادل به الله.

واعلم أن شجرة طوبى لجميع شجر الجنات كآدم لما ظهر منه من البنين فإن الله لما غرسها بيده وسوّاها نفخ فيها من روحه وكما فعل في مريم نفخ فيها من روحه فكان عيسى يحيي الموتى ويبرىء الأكمة والأبرص، فشرف آدم باليدين ونفخ الروح فيه فأورثه نفخ الروح فيه علم الأسماء لكونه مخلوقاً باليدين، فبالمجموع نال الأمر وكانت له الخلافة ﴿والمال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ وتولى الحق غرس شجرة طوبى بيده، ونفخ الروح فيها زينها بثمر الحلي والحلل اللذين فيهما زينة للابسهما فنحن أرضها، فإن الله جعل ما على الأرض زينة لها وأعطت في ثمر الجنة كله من حقيقتها عين ما هي عليه، كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذي في ثمرها، وكل من تولاه الحق بنفسه من وجهه الخاص بأمر مّا منَ الأمور فإن له شفوفاً وميزة على من ليس له هذا الاختصاص ولا هذا التوجه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الرابع

في فلك المنازل وهو المكوكب وهيئة السموات والأرض والأركان والمولدات والعمد الذي يمسك الله السماء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من الناس مع كفرهم بنعمه، فلا تهوي السماء ساقطة واهية حتى يزول الناس منها.

اعلم أن الله خلق هذا الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس وما بينهما خلق الجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها والأطلس سماؤها وبينهما فضاء لا يعلم منتهاه إلا من أعلمه الله، فهو فيه كحلقة في فلاة فيحاء وعين في مقعر هذه الفلك ثماني وعشرين منزلة مع ما أضاف إلى هذه الكواكب التي سميت منازل لقطع السيارة فيها، ولا فرق بينها وبين سائر الكواكب الأخر التي ليست بمنازل في سيرها، وفيما تختص به من الأحكام في نزولها الذي ذكرناه في البروج قال تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ يعني هذه المنازل المعينة في هذا الفلك المكوكب وهي كالمنطقة بين الكواكب من الشرطين إلى الرشاء، وهي تقديرات وفروض في هذا الجسم، ولا تعرف أعيان هذه المقادير إلا بهذه الكواكب، كما أنه ما عرفت أنها منازل إلا بنزول السيارة فيها، ولولا ذلك ما تميزت عن سائر الكواكب إلا بأشخاصها، ومن مقعر هذا الفلك إلى ما تحته هي الدار الدنيا، فإنه من هناك إلى ما تحته يكون استحالة

Marfat.com

ما تراه إلى الأخرى، فللأخرى صورة فيها غير صورة الدنيا فينتقل من ينتقل منها إلى الجنة من إنسان وغير إنسان، ويبقى ما يبقى فيها من إنسان وغير إنسان، وكل من يبقى فيها فهو من أهل النار الذين هم أهلها، وجعل الله لكل كوكب من هذه الكواكب قطعاً في الفلك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن التي في بروجه وبأيدي ملائكته الاثني عشر من علوم التأثير ما تعطيه حقيقة كل كوكب وقد بينا ذلك، وجعلها على طبائع مختلفة، والنور الذي فيها وفي سائر السيارة من نور الشمس وهو الكوكب الأعظم القلبي ونور الشمس ما هو من حيث عينها بل هو من تجل دائم لها من اسمه النور، فما ثم نور إلا نور الله الذي هو نور السموات والأرض، فالناس يضيفون ذلك النور إلى جرم الشمس، ولا فرق بين الشمس والكواكب في ذلك إلا أن التجلي للشمس على الدوام فلهذا لا يذهب نورها إلى زمان تكويرها، فإن ذلك التجلي المثالي النوري يستتر عنه في أعين الناظرين بالحجاب الذي بينها وبين أعينهم، وبسباحة هذه الكواكب تحدث أفلاكاً في هذا الفلك أي طرقاً والهواء يعم جميع المخلوقات فهو حياة العالم وهو حار رطب، فما أفرطت فيه الحرارة والسخونة سمي ناراً، وما أفرطت فيه الرطوبة وقلت حرارته سمي ماء، وما بقي على حكم الاعتدال بقي عليه اسم الهواء وعلى الهواء أمسك الماء وبه جرى وانساب وتحرك، وليس في الأركان أقبل لسرعة الاستحالة من الهواء لأنه الأصل وهو فرع لازدواج الحرارة والرطوبة على الاعتدال والطريق المستقيم فهو الأسطقص الأعظم أصل الأسطقصات كلها والماء أقرب أسطقص إليه، ولهذا جعل الله منه كل شيء حي، ويقبل بذاته التسخين، ولا تقبل النار برودة ولا رطوبة لا بالذات ولا بالعرض بخلاف الماء.

وصل

فأعظم البروج البروج الهوائية وهي الجوزاء والميزان والدالي، ولما خلق الله الأرض سبع طباق جعل كل أرض أصغر من الأخرى لكون على كل أرض قبة سماء، فلما خلق الأرض وقدر فيها أقواتها وكسا الهواء صورة النحاس الذي هو الدخان فمن ذلك الدخان خلق سبع سموات أطباقاً أجساماً شفافة وجعلها على الأرض كالقباب على كل أرض سماء أطرافها عليها نصف كرة والأرض لها كالبساط فهي مدحية دحاها من أجل السماء أن تكون عليها فمادت فقال بالجبال عليها فثقلت فسكنت بها، وجعل في كل سماء منها كوكباً وهي الجواري منها القمر في السماء الدنيا، وفي السماء الثانية الكاتب وهو عطارد، وفي الثالثة

Marfat.com

الزهرة، وفي الرابعة الشمس، وفي الخامسة الأحمر وهو المريخ، وفي السادسة المشتري وهو بهرام، وفي السابعة زحل وهو المقاتل كما رسمناها في المثال المتقدم، فلما سبحت الكواكب كلها ونزلت بالخزائن التي في البروج ووهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ما وهبتها أثرت في الأركان ما تولد فيها من جمال الذي هو المعدن ونبات وحيوان، وآخر موجود الإنسان الحيوان خليفة الإنسان الكامل وهو الصورة الظاهرة التي بها جمع حقائق العالم، والإنسان الكامل هو الذي أضاف إلى جمعية حقائق العالم حقائق الحق التي بها صحت له الخلافة ظهر ذلك فيمن ظهر من هذه الصور فجعل في كل صنف من المولدات نوعاً كاملاً من جنسها، فأكمل صورة ظهرت في المعدن صورة الذهب، وفي النبات شجر الوقواق، وفي الحيوان الإنسان، وجعل بين كل نوعين متوسطات كالكمأة بين المعدن والنبات، والنخلة بين النبات والحيوان، والنسناس والقرد بين الحيوان والإنسان، ونفخ في كل صورة أنشأها روحاً منه فحييت وتعرف إليها بها فعرفته بأمر جبلت عليه تلك الصورة وما تعرف إليها إلا من نفسها فما تراه إلا على صورتها، وكانت الصور على أمزجة مختلفة وإن كانت خلقت من نفس واحدة كقلوب بني آدم خلقها الله من نفس واحدة وهي مختلفة، فمن الصور من بطنت حياته فأخذ الله بأبصار أكثر الناس عنها وهي على ضربين: ضرب له نموّ وغذاء ونوع له نموّ ولا غذاء له فسمينا الصنف الواحد معدناً وحجراً، والآخر نباتاً ومن الصور من ظهرت حياته فسميناه حيواناً وحياً والكل حي في نفس الأمر ذو نفس ناطقة، ولا يمكن أن يكون في العالم صورة لا نفس لها ولا حياة ولا عبادة ذاتية وأمرية سواء كانت تلك الصورة مما يحدثها الإنسان من الأشكال أو يحدثها الحيوانات ومن أحدثها من الخلق عن قصد وعن غير قصد، فما هو إلا أن نتصور الصورة كيف تصورت وعلى يدي من ظهرت إلا ويلبسها الله تعالى روحاً من أمره ويتعرف إليها من حينه فتعرفه منها وتشهده فيها، هكذا هو الأمر دائماً دنيا وآخرة يكشفه أهل الكشف، فظهر الليل والنهار بطلوع الشمس وغروبها كما حدث اليوم بدورة الفلك الأطلس، كما حدث الزمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى، والزمان واليوم والليل والنهار وفصول السنة كلها أمور عدمية نسبية لا وجود لها في الأعيان، وأوحى في كل سماء أمرها وجعل إمضاء الأمور التي أودعها السموات في عالم الأركان عند سباحة هذه الجواري وجعلهم نواباً متصرفين بأمر الحق لتنفيذ هذه الأمور التي أخذوها من خزائن البروج في السنة بكمالها، وقدر لها المنازل المعلومة التي في الفلك المكوكب وجعل لها اقترانات وافتراقات كل ذلك ﴿بتقدير العزيز العليم﴾ وجعل سيرها في

Marfat.com

استدارة ولهذا سماها أفلاكاً، وجعل في سطح السماء السابعة الضراح وهو البيت المعمور وشكله كما رسمته في الهامش، وخلق في كل سماء عالماً من الأرواح والملائكة يعمرونها، فأما الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالم الذي ظهر في الأركان والمصالح أمور معلومة وما يحدث عن حركات هذه الكواكب كلها وعن حركة الأطلس لا علم لهؤلاء السفراء بذلك حتى تحدث، فلكل واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه، وباقي العالم شغلهم التسبيح والصلاة والثناء على الله تعالى وبين السماء السابعة والفلك المكوكب كراسي عليها صور كصور المكلفين من الثقلين وستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهرة ليس لهم إلا مراقبة تلك الصور وبأيديهم تلك الستور، فإذا نظر الملك إلى الصور قد سمجت وتغيرت عما كانت عليه من الحسن أرسل الستر بينها وبين سائر الصور فلا يعرفون ما طرأ، ولا يزال الملك من الله مراقباً تلك الصورة، فإذا رأى تلك الصورة قد زال عنها ذلك القبح وحسنت رفع الستر فظهرت في أحسن زينة وتسبيح تلك الصور وهؤلاء الأرواح الملكية الموكلة بالستور، سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح وأطلع أهل الكشف على هذا ليتخلقوا بأخلاق الله ويتأدبوا مع عباد الله، فيظهرون محاسن العالم ويسترون مساويهم، وبذلك جاءت الشرائع من عند الله، فإذا رأيت من يدعي الأهلية لله ويكون مع العالم على خلاف هذا الحكم فهو كاذب في دعواه، وبهذا وأمثاله تسمى سبحانه بالغافر والغفور والغفار.

دورة الضراح

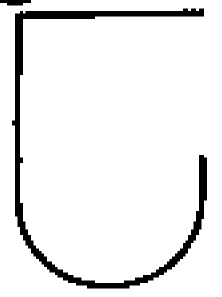

ولما كوّن الله ملكوته مما ذكرناه خلق آدم بيديه من الأركان وجعل أعظم جزء فيه التراب لبرده ويبسه وأنزله خليفة في أرضه التي خلق منها، وقد كان خلق قبله الجان من الأركان وجعل أغلب جزء فيه النار، وكان من أمر آدم وإبليس والملائكة ما وصف الله لنا في القرآن فلا يحتاج إلى ذكر ذلك، وأمسك الله صورة السماء على السماء لأجل الإنسان الموحد الذي لا يمكن أن ينفي فذكره الله لأنه ليس في خاطره إلا الله، فما عنده أمر آخر يدعي عنده ألوهية فينفيه بلا إله إلا الله فليس إلا الله الواحد الأحد، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله**» وهو الذكر الأكبر الذى قال الله فيه: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ فما قال الرسول ﷺ من يقول لا إله إلا الله فهذا الاسم هو هجير هذا الإمام الذي يقبض آخراً وتقوم الساعة فتنشق السماء، فإن هذا وأمثاله كان العمد لأن الله ما أمسكها من أجله أن تقع على الأرض ولذلك قال فيها أنها واهية أي واقعة ساقطة، ثم ما زالت النواب تتحرك في طرقها والصور تظهر بالاستحالات في عالم الأركان دنيا وبرزخاً وآخرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلا يبقى إلا ما في الآخرة

Marfat.com

وهو يوم القيامة والداران الجنة والنار، ولكل واحدة منهما ملؤها من الجن والإنس ومما شاء الله وفي الجنة قدم الصدق وفي النار قدم الجبار وهما القدمان اللتان في الكرسي، وقد مر من الكلام في هذا الفن من هذا الكتاب ما فيه غنية للعاقل وبلغة زاد للمسافر توصله إلى مقصوده.

الفصل الخامس

في أرض الحشر وما تحوي عليه من العالم والمراتب وعرش الفصل والقضاء وحملته وصفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل. اعلم أن الله تعالى إذا نفخ في الصور، وبعث ما في القبور، وحشر الناس والوحوش ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ ولم يبق في بطنها سوى عينها إخراجاً لا نباتاً، وهو الفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة الظاهرة، فإن الأولى أنبتنا فيها من الأرض فنبتنا نباتاً كما ينبت النبات على التدريج وقبول الزيادة في الجرم طولاً وعرضاً، ونشأة الآخرة إخراج من الأرض على الصورة التي يشاء الحق أن يخرجنا عليها، ولذلك علق المشيئة بنشر الصورة التي أعادها في الأرض الموصوفة بأنها تنبت فتنبت على غير مثال لأنه ليس في الصور صورة تشبهها، فكذلك نشأة الآخرة يظهرها الله على غير مثال صورة تقدمت تشبهها وذلك قوله: ﴿كما بدأكم كما تعودون﴾ ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ ﴿فإذا أخرجت الأرض أثقالها﴾ وحدثت أنها ما بقي فيها مما اختزنته شيء جيء بالعالم إلى الظلمة التي دون الجسر فألقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضاً ولا يبصرون كيف التبديل في السماء والأرض حتى تقع فتمد الأرض أوّلاً مد الأديم وتبسط فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وهي الساهرة فلا نوم فيها فإنه لا نوم لأحد بعد الدنيا ويرجع ما تحت مقعر الفلك المكوكب جهنم، ولهذا سميت بهذا الاسم لبعد قعرها فأين المقعر من الأرض؟ ويوضع الصراط من الأرض علواً على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب، فيكون منتهاه إلى المرج الذي خارج سور الجنة، وأوّل جنة يدخلها الناس هي جنة النعيم، وفي ذلك المرج المأدبة وهو درمكة بيضاء نقية منها يأكل أهل المأدبة وهو قوله تعالى في المؤمنين إذا أقاموا التوراة والإنجيل من بني إسرائيل: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ فنحن أمة محمد ﷺ نقيم كل ما أنزل إلينا من ربنا بالإيمان وبه نعمل من ذلك بما أمرنا من العمل به، وغيرنا من الأمم منهم من آمن كما آمنا، ومنهم من

Marfat.com

آمن ببعض وكفر ببعض، فمن نجا منهم قيل فيه: ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ وهو ما خرج من فروع أشجار الجنان على السور فظلل على هذا المرج فقطفه السعداء ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ هو ما أكلوه من الدرمكة البيضاء التي هم عليها، ووضع الموازين في أرض الحشر لكل مكلف ميزان يخصه، وضرب بسور يسمى الأعراف بين الجنة والنار وجعله مكاناً لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح إحداهما على الأخرى، ووقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك فعلقوها في أعناقهم بأيديهم، فمنهم من أخذ كتابه بيمينه، ومنهم من أخذه بشماله، ومنهم من أخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب في الدنيا وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، وليس أولئك إلا الأئمة الضلال المضلون الذين ضلوا وأضلوا، وجيء بالحوض يتدفق ماء عليه من الأواني على عدد الشاربين منه لا تزيد ولا تنقص ترمى فيه أنبوبات أنبوب ذهب وأنبوب فضة وهو لزيق بالسور، ومن السور تنبعث هذان الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون ويؤتى بمنابر من نور مختلفة في الإضاءة واللون فتنصب في تلك الأرض ويؤتى بقوم فيقعدون عليها قد غشيتهم الأنوار لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد عليهم من الخلع الإلهية ما تقر به أعينهم، ويأتي مع كل إنسان قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الألوية في ذلك اليوم للسعداء والأشقياء بأيدي أئمتهم الذين كانوا يدعونهم إلى ما كانوا يدعونهم إليه من حق وباطل، وتجتمع كل أمة إلى رسولها من آمن منهم به ومن كفر، وتحشر الأفراد والأنبياء بمعزل من الناس، بخلاف الرسل فإنهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم.

وقد عين الله في هذه الأرض بين يدي عرش الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التي في الجنة يسمى ذلك المقام المحمود وهو لمحمد ﷺ خاصة، وتأتي الملائكة ملائكة السموات ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فيكونون سبعة صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذي نزل بالشرائع على الرسل، ثم يجاء بالكتب المنزلة والصحف وكل طائفة ممن نزلت من أجلها خلفها فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله، وإنما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر عقلي من عاقل مهدي، ثم يأتي الله عزّ وجلّ على عرشه والملائكة الثمانية تحمل ذلك العرش فيضعونه في تلك الأرض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد علت الهيبة الإلهية وغلبت على قلوب أهل الموقف

Marfat.com

من إنسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون إلا همساً بإشارة عين وخفي صوت، وترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق، ويأمرهم داعي الحق عن أمر الله بالسجود لله فلا يبقى أحد سجد لله خالصاً على أي دين كان إلا سجد السجود المعهود، ومن سجد اتقاء ورياء خرّ على قفاه، وبهذه السجدة يرجح ميزان أصحاب الأعراف لأنها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة، ويشرع الحق في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم، وأما ما كان بينهم وبين الله فإن الكرم الإلهيّ قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحداً من عباد الله فيما لم يتعلق به حق للغير.

وقد ورد من أخبار الأنبياء عليهم السلام في ذلك اليوم ما قد ورد على ألسنة الرسل ودوّن الناس فيه ما دوّنوا، فمن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك، ثم تقع الشفاعة الأولى من محمد ﷺ في كل شافع أن يشفع، فيشفع الشافعون ويقبل الله من شفاعتهم ما شاء ويردّ من شفاعتهم ما شاء لأن الرحمة في ذلك اليوم يبسطها الله في قلوب الشفعاء، فمن ردّ الله شفاعته من الشافعين لم يردها انتقاصاً بهم ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه، وإنما أراد بذلك إظهار المنة الإلهية على بعض عباده، فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم، فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجهم من النار إلى الجنان وقد ورد وشفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبار، فهي مراتب أسماء إلهيـة لا شفاعة محققة، فإن الله يقول في ذلك اليوم: شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين، فدل بالمفهوم أنه لم يشفع، فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار إلى الجنة، ونقل حال من هو من أهل النار من شقاء الآلام إلى سعادة إزالتها فذلك قدر نعيمه وقد يشاء، ويملأ الله جهنم بغضبه المشوب وقضاءه، والجنة برضاه، فتعم الرحمة وتنبسط النعمة فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحق فيتحوّلون لتحوله، وآخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في عباده صورة الرضا فيتحوّل الحق في صورة النعيم، فإن الرحيم والمعافي أوّل من يرحم ويعفو وينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج والغضب على من أغضبه، ثم سرى ذلك في المغضوب عليه، فمن فهم فقد أمناه ومن لم يفهم فسيعلم ويفهم المآل إليه، والله من حيث يعلم نفسه ومن هويته وغناه فهو على ما هو عليه، وإنما هذا الذي وردت به الأخبار وأعطاه الكشف إنما ذلك أحوال تظهر ومقامات تشخص ومعان تجسد ليعلم الحق عباده معنى الاسم الإلهيّ الظاهر وهو ما بدا من هذا كله، والاسم الإلهيّ الباطن وهو هويته وقد تسمى لنا بهما، فكل ما هو العالم فيه من تصريف وانقلاب وتحوّل في صور في حق وخلق فذلك من حكم الاسم

Marfat.com

الظاهر وهو منتهى علم العالم والعلماء بالله. وأما الاسم الباطن فهو إليه لا إلينا وما بأيدينا منه سوى ﴿ليس كمثله شيء﴾، على بعض وجوه محتملاته، إلا أن أوصاف التنزيه لها تعلق بالاسم الباطن وإن كان فيه تحديد، ولكن ليس في الإمكان أكثر من هذا، فإنه غاية الفهم عندنا الذي يعطيه استعدادنا. وأما قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فإن الطريق إلى الجنة عليها فلا بد من الورود، فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنة أحد عاد كله ناراً أي دار النار، وإن كان فيها زمهرير فجهنم من مقعر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين.

الفصل السادس

في جهنم وأبوابها ومنازلها ودركاتها. اعلم أن جهنم تحوي على السموات والأرض على ما كانت عليه السماء والأرض ﴿إذ كانتا رتقا﴾ فرجعت إلى صفتها من الرتق، والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير، بالحرور على المقرورين بعد استيفاء المؤاخذة بما أجرموا، وبالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيماً ولذّة ما لهم من النعيم إلا ذلك وهو دائم عليهم أبداً، وكذلك طعامهم وشرابهم بعد انقضاء مدة المؤاخذة يتناولون من شجرة الزقوم لكل إنسان بحسب ما يبرد عنه ما كان يجده أو يسخنه، كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء بارداً فيجد له من اللذة لإذهابه لحرارة العطش وكذلك ضده وأبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة، لأن باب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه عندما أقر له بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية، فللنار على الأفئدة اطلاع لا دخول لغلق ذلك الباب فهو كالجنة حفت بالمكاره، فما ذكر الله من أبواب النار إلا السبعة التي يدخل منها الناس والجان، وأما الباب المغلق الذي لا يدخل عليه أحد هو في السور فباطنه فيه الرحمة بإقراره بوجود الله رباً له وعبودته لربه، وظاهره من قبله العذاب وهي النار ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ وأما منازلها ودركاتها وخوخاتها فعلى ما ذكرناه في الجنة على السواء لا تزيد ولا تنقص، وليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص وإنما ثم نار أعمال، فمنهم من عمرها بنفسه وعمله الذي هو قرينه، ومن كان من أهل الجنة بقي عمله الذي كان في الدنيا على صورته في المكان من النار الذي لو كان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه، فإنه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل، وهو خلاف ما كلف من فعل وترك فعاد إلى وطنه، كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض التي خلق منها، وكل شيء إلى أصله يعود إن طالت المدّة فإنها أنفاس معدودة وآجال مضروبة

Marfat.com

محدودة يبلغ الكتاب فيها أجله، ويرى كل مؤمل أمله، فإنما نحن به وله فما خرجنا عنا ولا حللنا إلا بنا حيث كنا وحشرت الوحوش كلها فيها إنعاماً من الله عليها إلا الغزلان، وما استعمل من الحيوان في سبيل الله فإنهم في الجنان على صور يقتضيها ذلك الموطن، وكل حيوان تغذى به أهل الجنة في الدنيا خاصة وإذا لم يبق في النار أحد إلا أهلها وهم في حال العذاب يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيوضع بين الجنة والنار ينظر إليه أهل الجنة وأهل النار فيقال لهم: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيضجعه الروح الأمين ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيذبحه ويقول الملك لساكني الجنة والنار خلود فلا موت ويقع اليأس لأهل النار من الخروج منها ويرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة من وقوع الخروج منها، وتغلق الأبواب وهي عين فتح أبواب الجنة فإنها على شكل الباب الذي إذا انفتح انسد به موضع آخر، فعين غلقه المنزل عين فتحه منزلاً آخر. وأما أسماء أبوابها السبعة: فباب جهنم، باب الجحيم، باب السعير، باب سقر، باب لظى، وباب الحطمة، وباب سجين، والباب المغلق، وهو الثامن الذي لا يفتح فهو الحجاب. وأما خوخات شعب الإيمان فمن كان على شعبة منها فإن له منها تجلياً بحسب تلك الشعبة كانت ما كانت، ومنها ما هي خلق في العبد جبل عليه، ومنها ما هي مكتسبة وكل خير فإنها عن الخير المحض، فمن عمل خيراً على أيّ وجه كان فإنه يراه ويجازى به، ومن عمل شراً فلا بد أن يراه وقد يجازى به وقد يعفى عنه ويبدل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب، وإن مات عن غير توبة فلا بد أن يبدل بما يقابله بما تقتضيه ندامته يوم يبعثون ويرى الناس أعمالهم والجان وكل مكلف فما كان يستوحش منه المكلف عند رؤيته يعود له أنس له به، وتختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس باختلاف الخواطر هنا في الدنيا، فإن باطن الإنسان في الدنيا هو الظاهر في الدار الآخرة، وقد كان غيباً هنا فيعود شهادة هناك وتبقى العين غيباً باطن هذه الهيئات والصور لا تتبدل ولا تتحوّل فما ثم إلا صور وهيئات تخلع عنه وعليه دائماً أبداً إلى غير نهاية ولا انقضاء.

الفصل السابع

في حضرة الأسماء الإلهية والدنيا والآخرة والبرزخ. اعلم أن أسماء الله الحسنى نسب وإضافات وفيها أئمة وسدنة، ومنها ما يحتاج إليها الممكنات احتياجاً ضرورياً، ومنها ما لا يحتاج إليها الممكنات ذلك الاحتياج الضروري، وقوّة نسبتها إلى الحق أوجه من

Marfat.com

طلبها للخلق، فالذي لا بد للممكن منها الحي والعالم والمريد والقائل كشفاً وهو في النظر العقلي القادر، فهذه أربعة يطلبها الخلق بذاته، وإلى هذه الأربعة تستند الطبيعة، كما تستند الأركان إلى الطبيعة، كما تستند الأخلاط إلى الأركان، وإلى الأربعة تستند في ظهورها أمهات المقولات وهي: الجوهر والعرض والزمان والمكان، وما بقي من الأسماء فكالسدنة لهذه الأسماء، ثم يلي هذه الأسماء اسمان المدبر والمفصل ثم الجواد والمقسط، فعن هذين الاسمين كان عالم الغيب والشهادة والدار الدنيا والآخرة وعنهما كان البلاء والعافية والجنة والنار، وعنهما خلق من كل زوجين اثنين، والسراء والضراء وعنهما صدر التحميدان في العالم التحميد الواحد: الحمد لله المنعم المفضل، والتحميد الآخر: الحمد لله على كل حال، وعن هذين الإسمين ظهرت القوّتان في النفس: القوّة العلمية والقوّة العملية، والقوّة والفعل والكون والاستحالة والملأ الأعلى والملأ الأسفل والخلق والأمر، ولما كانت الأسماء الإلهية نسباً تطلبها الآثار لذلك لا يلزم ما تعطل حكمه منها ما لم يتعطل، وإنما يقدح ذلك لو اتفق أن تكون أمراً وجودياً، فالله إله سواء وجد العالم أو لم يوجد، فإن بعض المتوهمين تخيل أن الأسماء للمسمى تدل على أعيان وجودية قائمة بذات الحق، فإن لم يكن حكمها يعم وإلا بقي منها ما لا أثر له معطلاً، فلذلك قلنا أنه سبحانه لو رحم العالم كله لكان، ولو عذب العالم كله لكان، ولو رحم بعضه وعذب بعضه لكان، ولو عذبه إلى أجل مسمى لكان، فإن الواجب الوجود لا يمتنع عنه ما هو ممكن لنفسه ولا مكره له على ما ينفذه في خلقه بل هو ﴿الفعال لما يريد﴾، فلما خلق الله العالم رأيناه ذا مراتب وحقائق مختلفة تطلب كل حقيقة منه من الحق نسبة خاصة، فلما أرسل تعالى رسله كان مما أرسلهم به لأجل تلك النسب أسماء تسمى بها لخلقه يفهم منها دلالتها على ذاته تعالى وعلى أمر معقول لا عين له في الوجود له حكم هذا الأثر، والحقيقة الظاهرة في العالم من خلق ورزق ونفع وضرّ وإيجاد واختصاص وأحكام وغلبة وقهر ولطف وتنزل واستجلاب ومحبة وبغض وقرب وبعد وتعظيم وتحقير، وكل صفة ظاهرة في العالم تستدعي نسبة خاصة لها اسم معلوم عندنا من الشرع، فمنها مشتركة وإن كان لكل واحد من المشتركة معنى إذا تبين ظهر أنها متباينة، فالأصل في الأسماء التباين والاشتراك فيه لفظي، ومنها متباينة، ومنها مترادفة ومع ترادفها فلا بد أن يفهم من كل واحد معنى لا يكون في الآخر فعلمنا ما سمى به نفسه واقتصرنا عليها فأوجد الدار الدنيا وأسكن فيها الحيوان، وجعل الإنسان الكامل فيها إماماً وخليفة أعطاه علم الأسماء لما تدل عليه من المعاني، وسخر لهذا الإنسان وبنيه وما

Marfat.com

تناسل منه جميع ما في السموات وما في الأرض، وخلق خلقاً إن قلت فيه موجود صدقت، وإن قلت فيه معدوم صدقت، وإن قلت فيه لا موجود ولا معدوم صدقت. وهو الخيال، وله حالان: حال اتصال وهذا الحال له بوجود الإنسان وبعض الحيوان، وحال انفصال وهو ما يتعلق به الإدراك الظاهر منحازاً عنه في نفس الأمر كجبريل في صورة دحية، ومن ظهر من عالم الستر من الجنة من ملك وغيره وخلق الجنة والمنزل الذي يكون يوم القيامة ناراً فخلق من النار ما خلق وبقي منها ما بقي في القوة، وجعل ذلك فيما جعل الله في هذا الوجود الطبيعي من الاستحالات، فالذي هو اليوم دار دنيا يكون غداً في القيامة دار جهنم وذلك في علم الله، وقد بينا ذلك في الصورة المثالية المتقدمة في هذا الباب على التقريب.

الفصل الثامن

في الكثيب ومراتب الخلق فيه. اعلم أن الكثيب هو مسك أبيض في جنة عدن وجنة عدن هي قصبة الجنة وقلعتها، وحضرة الملك وخواصه لا تدخلها العامة إلا بحكم الزيارة، وجعل في هذا الكثيب منابر وأسرّة وكراسي ومراتب لأن أهل الكثيب أربع طوائف: مؤمنون وأولياء وأنبياء ورسل، وكل صنف ممن ذكرنا أشخاصه يفضل بعضهم بعضاً قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ وقال: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فتفضل منازلهم بتفاضلهم وإن اشتركوا في الدار ومن هذا الباب قوله: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ يعني الخلق فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة، فإذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق إلى رؤيته فيسارعون على قدر مراكبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم، فمنهم البطيء، ومنهم السريع، ومنهم المتوسط، ويجتمعون في الكثيب، وكل شخص يعرف مرتبته علماً ضرورياً يجري إليها ولا ينزل إلا فيها، كما يجري الطفل إلى الثدي، والحديد إلى المغناطيس لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر، ولو رام أن يتعشق بغير منزلته ما استطاع، بل يرى في منزلته أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده، فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقاً طبيعياً ذاتياً لا يقوم بنفسه ما هو عنده أحسن من حاله، ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيص ولم تكن جنة ولا دار نعيم، غير أن الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الأدنى وأدنى الناس منزلة على أنه ليس ثم من دني من لا نعيم له إلا بمنزله خاصة، وأعلاهم من لا أعلى منه له نعيم بالكل، فكل شخص مقصور عليه نعيمه فما أعجب هذا الحكم.

Marfat.com

ففي الرؤية الأولى يعظم الحجاب على أهل النار والتنغيص والعذاب بحيث أنهم لا يكون عندهم عذاب أشد عذاباً من ذلك، فإن الرؤية الأولى تكون قبل انقضاء أجل العذاب وعموم الرحمة الشاملة وذلك ليعرفوا ذوقاً عذاب الحجاب، وفي الرؤية الثانية إلى ما يكون بعد ذلك تعم الرحمة، ولهم أعني لأهل الجحيم رؤية من خوخات أبواب النار على قدر ما اتصفوا به في الدنيا من مكارم الأخلاق، فإذا نزل الناس في الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجلياً عاماً على صور الاعتقادات في ذلك التجلي الواحد فهو واحد من حيث هو تجل، وهو كثير من حيث اختلاف الصور، فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي وظهر كل واحد منهم بنور صورة ما شاهده، فمن علمه في كل معتقد فله نور كل معتقد، ومن علمه في اعتقاد خاص معين لم يكن له سوى نور ذلك المعتقد المعين، ومن اعتقد وجوداً لا حكم له فيه بتنزيه ولا تشبيه بل كان اعتقاده أنه على ما هو عليه فلم ينزه ولم يشبه وآمن بما جاء من عنده تعالى على علمه فيه سبحانه، فله نور الاختصاص لا يعلم إلا في ذلك الوقت فإنه في علم الله، فلا يدري هل هو أعلى ممن عمم الاعتقادات كلها علمه أو مساوٍ له، وأما دونه فلا، فإذا أراد الله رجوعهم إلى مشاهدة نعيمهم بتلك الرؤية في جناتهم قال لملائكة وزعة الكثيب: ردّوهم إلى قصورهم فيرجعون بصورة ما رأوا ويجدون منازلهم وأهليهم منصبغين بتلك الصورة فيتلذذون بها فإنهم في وقت المشاهدة كانوا في حال فناء عنهم فلم تقع لهم لذة في زمان رؤيتهم، بل اللذة عند أوّل التجلي حكم سلطانها عليهم فأفنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها، وإذا أبصروا تلك الصورة في منازلهم وأهليهم استمرت لهم اللذة وتنعموا بتلك المشاهدة فتنعموا في هذا الموطن بعين ما أفناهم في الكثيب ويزيدون في ذلك التجلي وفي تلك الرؤية علماً بالله أعطاهم إياه العيان لم يكن عندهم، فإن المعلوم إذا شوهد تعطي مشاهدته أمراً لا يمكن أن يحصل من غير مشاهدة كما قيل:

ولكـن للعيـان لطيـف معنـى ... لـذا سـأل المعـاينـة الكليـم

وهذا ذوق يعرف كل من أقيم في هذه الحال لا يقدر على إنكاره من نفسه.

الفصل التاسع

في العالم وهو كل ما سوى الله وترتيبه ونضده روحاً وجسماً وعلواً وسفلاً، اعلم أن العالم عبارة عن كل ما سوى الله وليس إلا الممكنات سواء

Marfat.com

وجدت أو لم توجد، فإنها بذاتها علامة على علمنا أو على العلم بواجب الوجود لذاته وهو الله، فإن الإمكان حكم لها لازم في حال عدمها ووجودها بل هو ذاتي لها لأن الترجيح لها لازم فالمرجح معلوم، ولهذا سمي عالماً من العلامة لأنه الدليل على المرجح فاعلم ذلك، وليس العالم في حال وجوده بشيء سوى الصور التي قبلها العماء وظهرت فيه، فالعالم إن نظرت حقيقته إنما هو عرض زائل أي في حكم الزوال وهو قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وقال رسول الله ﷺ: «**أصدق بيت قالته العرب قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**». يقول: ما له حقيقة يثبت عليها من نفسه فما هو موجود إلا بغيره ولذلك قال ﷺ: «**أصدق بيت قالته العرب: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»، فالجوهر الثابت هو العماء وليس إلا نفس الرحمن، والعالم جميع ما ظهر فيه من الصور فهي أعراض فيه يمكن إزالتها، وتلك الصور هي الممكنات، ونسبتها من العماء نسبة الصور من المرآة تظهر فيها لعين الرائي والحق تعالى هو بصر العالم فهو الرائي وهو العالم بالممكنات، فما أدرك إلا ما في علمه من صور الممكنات فظهر العالم بين العماء وبين رؤية الحق فكان ما ظهر دليلاً على الرائي وهو الحق فتفطن واعلم من أنت.

وأما نضده على الظهور والترتيب فأرواح نورية إلهية مهيمة في صور نورية خلقية إبداعية في جوهر نفس هو العماء من جملتها العقل الأوّل وهو القلم، ثم النفس وهو اللوح المحفوظ، ثم الجسم، ثم العرش ومقره وهو الماء الجامد والهواء والظلمة، ثم ملائكته، ثم الكرسي، ثم ملائكته، ثم الأطلس، ثم ملائكته، ثم فلك المنازل، ثم الجنات بما فيها، ثم ما يختص بها وبهذا الفلك من الكواكب، ثم الأرض، ثم الماء، ثم الهواء العنصري، ثم النار، ثم الدخان. وفتق فيه سبع سموات: سماء القمر، وسماء الكاتب، وسماء الزهرة، وسماء الشمس، وسماء الأحمر، وسماء المشتري، وسماء المقاتل ثم أفلاكها المخلوقون منها، ثم ملائكة النار والماء والهواء والأرض، ثم المولدات المعدن والنبات والحيوان، ثم نشأة جسد الإنسان، ثم ما ظهر من أشخاص كل نوع من الحيوان والنبات والمعدن، ثم الصور المخلوقات من أعمال المكلفين وهي آخر نوع، هذا ترتيبه بالظهور في الإيجاد.

وأما ترتيبه بالمكان الوجودي أو المتوهم فالمكان المتوهم المعقولات التي ذكرناها إلى الجسم الكل، ثم العرش، ثم الكرسي، ثم الأطلس، ثم المكوكب وفيه الجنات، ثم سماء زحل، ثم سماء المشتري، ثم سماء المريخ، ثم سماء الشمس، ثم سماء الزهرة، ثم سماء الكاتب، ثم سماء القمر، ثم الأثير، ثم الهواء، ثم الماء، ثم الأرض.

Marfat.com

وأما ترتيبه بالمكانة فالإنسان الكامل، ثم العقل الأوّل، ثم الأرواح المهيمة، ثم النفس، ثم العرش، ثم الكرسي، ثم الأطلس، ثم الكثيب، ثم الوسيلة، ثم عدن، ثم الفردوس، ثم دار السلام، ثم دار المقامة، ثم المأوى، ثم الخلد، ثم النعيم، ثم فلك المنازل، ثم البيت المعمور، ثم سماء الشمس، ثم القمر، ثم المشتري، ثم زحل، ثم الزهرة، ثم الكاتب، ثم المريخ، ثم الهواء، ثم الماء، ثم التراب، ثم النار، ثم الحيوان، ثم النبات، ثم المعدن. وفي الناس: الرسل، ثم الأنبياء، ثم الأولياء، ثم المؤمنون، ثم سائر الخلق. وفي الأمم: أمة محمد ﷺ، ثم أمة موسى عليه السلام، ثم الأمم على منازل رسلها.

وأما ترتيبه بالتأثير فمنه المؤثر بالحال، ومنه ما هو المؤثر بالهمة، ومنه ما هو المؤثر بالقول، ومنه ما هو المؤثر بالفعل أعني بالآلة، ومنهم المؤثر بمجموع الكل، ومنهم المؤثر بمجموع البعض، ومنهم المؤثر بغير قصد لما ظهر منه من الأثر كتأثيرات الرياح بهبوبها في الرمال وغيرها وهي صورة الأشكال، وما في الوجود إلا مؤثر فيه مطلقاً ومؤثر اسم مفعول يكون له أثر بالحال كصور تحدث فتؤثر بالحال في واهب الأرواح لها، وقد ذكرنا في نضد العالم خطبة وهي هذه التي أنا ذاكرها. ذكر الخطبة في نضد العالم: الحمد لله الذي ليس لأوليته افتتاح كما لسائر الأوليات. الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الأزليات. الكائن ولا عقل ولا نفس ولا بسائط ولا مركبات. ولا أرض ولا سماوات. العالم في العماء بجميع المعلومات. القادر الذي لا يعجز عن الجائزات. المريد الذي لا يقصر فتعجزه المعجزات. المتكلم ولا حروف ولا أصوات السميع الذي يسمع كلامه ولا كلام مسموع إلا بالحروف والأصوات والآلات والنغمات. البصير الذي رأى ذاته ولا مرئيات مطبوعة الذوات. الحي الذي وجبت له صفات الدوام الأحدي والمقام الصمدي فتعالى بهذه السمات. الذي جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات. وأتم الكلمات المحدثات. والصلاة على سيدنا محمد خير البريات وسيد الجسمانيات والروحانيات. وصاحب الوسيلة في الجنات الفردوسيات. والمقام المحمود في اليوم العظيم البليات الأليم الرزيات. أما بعد: فإنه لما شاء سبحانه أن يوجد الأشياء من غير موجود وأن يبرزها في أعيانها بما تقتضيه من الرسوم والحدود، لظهور سلطان الأعراض والخواص والفصول والأنواع والأجناس الدافعين شبه الشكوك والرافعين حجب الالتباس بوسائط العبارات الشارحة والصفات الرسمية والذاتية النيرة النبراس فانجلى في صورة العلم صور الجواهر المتماثلات والأعراض المختلفات والمتماثلات والمتقابلات. وفصل بين هذه الذوات بين

Marfat.com

المتحيزات منها وغير المتحيزات. كما انجلى في ذوات الأعراض والجواهر صور الهيئات والحالات بالكيفيات وصور المقادير والأوزان المتصلات والمنفصلات بالكميات وصور الأدوار والحركات الزمانيات وصور الأقطار والأكوار المكانيات والصور الحافظات الماسكات نظام العالم الحاملات أسباب المناقب والمثالب العرضيات وأسباب المدائح والمذام الشرعيات. وأسباب الصلاح والفساد الوضعيات الحكميات وصور الإضافات بين المالك والمملوك والآباء والأبناء والبنات. وصور التمليك بالعبيد والإماء الخارجات والحسن والجمال والعلم وأمثال ذلك الداخلات. وصور التوجهات الفعلية القائمة بالفاعلات. وصور المنفعلات التي هي بالفعل والفاعلات مرتبطات. وقال عندما جلاها ﴿بالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها﴾ هذه حقائق الآباء العلويات والأمهات السفليات، ولها البقاء بالإبقاء مع استمرار التكوينات والتلوينات بالتغيير والاستحالات ليثبت عندها علم ما هي الحضرة الإلهية عليه من العزة والثبات، فهذا هو الذي أبرز سبحانه من المعلومات ولا يجوز غير ذلك فإنه لم يبق سوى الواجبات والمحالات. فأول موجود أداره سبحانه فلك الإشارات، إدارة إحاطة معنوية وهو أوّل الأفلاك الممكنات المحدثات المعقولات، وأوّل صورة ظهر في هذا الفلك العمائي صور الروحانيات المهيمات. الذي منها القلم الإلهي الكاتب العلام في الرسالات وهو العقل الأول الفياض في الحكميات والإنباءات وهو الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به والعدل عند أهل اللطائف والإشارات. وهو الروح القدسي الكل عند أهل الكشوف والتلويحات. فجعله عالماً حافظاً باقياً تاماً كاملاً فياضاً كاتباً من دواة العلم تحركه يمين القدرة عن سلطان الإرادة والعلوم الجاريات إلى نهايات، وهو مستوى الأسماء الإلهيات، ثم أدار معدن فلك النفوس دون هذا الفلك وهو اللوح المحفوظ في النبوّات وهو النفس المنفعلة عند أصحاب الإدراكات والإشارات والمكاشفات. فجعلها باقية تامة غير كاملة وفائضة غير مفيضة فيض العقل فهي محل القصور والعجز عن بلوغ الغايات، ثم أوجد الهباء في الكشف والهيولى في النظر والطبيعة في الأذهان لا في الأعيان، فأول صورة أظهر في ذلك الهباء صور الأبعاد الثلاثة فكان المكان فوجه عليه سبحانه سلطان الأربعة الأركان، فظهرت البروج الناريات والترابيات والهوائيات والمائيات فتميزت الأكوان وسمى هذا الجسم الشفاف اللطيف المستدير المحيط بأجسام العالم العرش العظيم الكريم، واستوى عليه باسمه الرحمن استواء منزهاً عن الحد والمقدار معلوم عنده غير

Marfat.com

مكيف ولا معلوم للعقول والأذهان، ثم أدار سبحانه في جوف هذا الفلك الأوّل فلكاً ثانياً سماه الكرسي فتدلت إليه القدمان فانفرق فيه كل أمر حكيم بتقدير عزيز عليم، وعنده أوجد الخيرات الحسان والمقصورات في خيام الجنان، ثم رتب فيه منازل الأمور كلها وأحكمها في روحانيات سخرها وحكمها بالتأثيرات السبعية من ألف إلى ساعة عن اختلاف الملوان، وجعل هذه المنازل بين وسط ممزوج وطرفي سعد مستقر ونحس مستمر بنزول المقدر المفرد الإنسان، ثم أدار سبحانه في جوف هذا الفلك الثاني فلكاً ثالثاً وخلق فيه كوكباً سابحاً من الخنس الكنس مسخراً فقيراً أودع لديه كل أسود حالك وقرن به ضيق المسالك والوعر والحزن والكرب والحزن وحسرات الفوت وسكرات الموت، وأسرار الظلمات والمفازات المهلكات والأشجار المثمرات والأفاعي والحيات، والحيوانات المضرات والحرات الموحشات والطرق الدارسات والعنا والمشقات، وخلق عند مساعدته النفس الكلية الجبال لتسكين الأرضين المدحيات، وأسكن في هذا الفلك روحانية خليله إبراهيم عليه السلام عبده ورسوله، ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكاً رابعاً خلق فيه كوكباً سابحاً من الخنس الكنس أودع لديه النخل الباسقات والعدل في القضايا والحكومات وأسباب الخير والسعادات والبيض الحسان المنعمات والاعتدالات والتمامات وأسرار العبادات والقربات والصدقات البرهانيات والصلوات النوريات وإجابة الدعوات والناظرين إلى الواقفين بعرفات، وقبول النسك بموضع رمي الجمرات، وخلق عند مساعدته النفس الكلية تحليل المياه الجامدات، وأسكن في هذا الفلك روحانية نبيه موسى عليه السلام عبده ونجيه، ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكاً خامساً خلق فيه كوكباً سابحاً من الخنس الكنس أودع لديه حماية المذاهب بالقواضب المرهفات والموازن السمهريات وتجميز قدور راسيات وملء جفون كالجوابي المستديرات والمتعصبات والحميمات، وإيقاع الفتن والحروب بين أهل الهدايات والضلالات، وتقابل الشبه المضلات والأدلة الواضحات بين أهل العقول السليمة والتخيلات، وخلق عند مساعدته النفس الكل لتلطيف الأهوية السخيفات، وأسكن في هذا الفلك روح رسوليه هارون ويحيى عليهم السلام موضحي سبيليه، ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكاً سادساً خلق فيه كوكباً عظيماً مشرقاً سابحاً أودع لديه أسرار الروحانيات والأنوار المشرقات والضياءات اللامعات والبروق الخاطفات والشعاعات النيرات والأجساد المستنيرات والمراتب الكاملات والاستواءات المعتدلات والمعارف اللؤلؤيات واليواقيت العاليات، والجمع بين الأنوار والأسرار الساريات ومعالم التأسيسات وأنفاس النور

Marfat.com

الجاريات وخلع الأرواح المدبرات وإيضاح الأمور المبهمات وحل المسائل المشكلات وحسن إيقاع السماع في النغمات وتوالي الواردات وترادف التنزلات الغيبيات وارتقاء المغاني الروحانيات إلى أوج الانتهاءات، ودفع العلل بالعلالات النافعات، والكلمات المستحسنات، والأعراف العطريات، وأمثال ذلك مما يطول ذكره، قد ذكرنا منه طرفاً في الباب السادس والأربعين من كتاب التنزلات الموصليات، وخلق عند مساعدته النفس الكل تحريك الفلك الأثير لتسخين العالم بهذه الحركات، وأسكن في هذا الفلك إدريس النبي المخصوص بالمكان العلي، ثم أدار في جوف هذه الفلك فلكاً سابعاً خلق فيه كوكباً سابحاً من الخنس الكنس أودع لديه التصوير التام وحسن النظام والسماع الشهي والمنظر الرائق البهي والهيبة والجمال والأنس والجلال، وخلق عند مساعدته النفس الكل تقطير ماء رطب من ركن البخارات، وأسكن في هذا الفلك روحانية النبي الجميل التام يوسف عليه السلام.

ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكاً ثامناً خلق فيه كوكباً سابحاً من الخنس الكنس أودع لديه الأوهام والاليهام والوحي والإلهام ومهالك الآراء الفاسدة والقياسات، والأحلام الرديئة والمبشرات والاختراعات الصناعيات والاستنباطات العمليات، وما في الأفكار من الغلطات والإصابات، والقوى الفعالات والوهميات والزجر والكهانات والفراسات، والسحر والعزائم والطلسميات، وخلق عند مساعدته النفس الكل مزج البخارات الرطبة بالبخارات اليابسات، وأسكن في هذا الفلك روحانية روحه وكلمته عيسى عليه السلام عبده ورسوله وابن أمته. ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكاً آخر تاسعاً خلق فيه كوكباً سابحاً أودع الله لديه الزيادة والنقصان والربو والاستحالات بالاضمحلالات، وخلق عند مساعدته النفس الكل إمداد المولدات بركن العصارات، وأسكن في هذا الفلك روحانية نبيه آدم عليه السلام عبده ورسوله وصفيه، وأسكن هذه الأفلاك المستديرات أصناف الملائكة الصافات التاليات، فمنها القائمات والقاعدات، ومنها الراكعات والساجدات كما قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ فهم عمار السموات، وجعل منهم الأرواح المطهرات المعتكفين بأشرف الحضرات، وجعل منهم الملائكة المسخرات والوكلاء على ما يخلقه الله من التكوينات، فوكل بالأرجاء الزاجرات وبالأنباء المرسلات وبالإلهام واللمات الملقيات، وبالتفصيل والتصوير والترتيب المقسمات، وبالترغيب والترحيب الناشرات، وبالترهيب الناشطات، وبالتشتيت النازعات، وبالسوق السابحات، وبالاعتناء السابقات، وبالأحكام المدبرات. ثم أدار في جوف هذا الفلك الأثير أودع فيها رجوم

Marfat.com

المسترقات الطارقات، ثم جعل دونه كرة الهواء أجرى فيه الذاريات العاصفات السابقات الحاملات المعصرات، وموّج فيه البحور الزاخرات الكائنات من البخارات المستحيلات يسمى دائرة كرة الزمهرير تتعلم منه صناعة التقطيرات، وأمسك في هذه الكرة أرواح الأجسام الطائرات، وأظهر في هاتين الكرتين الرعود القاصفات، والبروق الخاطفات، والصواعق المهلكات، والأحجار القاتلات، والجبال الشامخات، والأرواح الناريات الصاعدات النازلات والمياه الجامدات، ثم أدار في جوف هذه الكرة كرة أودع فيها سبحانه ما أخبرنا به في الآيات البينات من أسرار إحياء الموات، وأجرى فيها الأعلام الجاريات، وأسكنها الحيوانات الصامتات، ثم أدار في جوفها كرة أخرى أودع فيه ضروب التكوينات من المعادن والنباتات والحيوانات، فأما المعادن فجعلها عز وجلّ ثلاث طبقات منها المائيات والترابيات والحجريات، وكذلك النبات منها النابتات والمغروسات والمزروعات، وكذلك الحيوانات منها المولدات المرضعات والحاضنات والمعفنات، ثم كون الإنسان مضاهياً لجميع ما ذكرناه من المحدثات، ثم وهبه معالم الأسماء والصفات فمهدت له هذه المخلوقات المعجزات ولهذا كان آخر الموجودات، فمن روحانيته صح له سر الأولية في البدايات، ومن جسميته صح له الآخرية في الغايات، فبه بدىء الأمر وختم إظهاراً للعنايات وأقامه خليفة في الأرض لأن فيها ما في السموات، وأيده بالآيات والعلامات والدلالات والمعجزات، واختصه بأصناف الكرامات، ونصب به القضايا المشروعات ليميز الله به الخبيثات من الطيبات، فيلحق الخبيث بالشقاوات في الدركات، ويلحق الطيب بالسعادات في الدرجات كما سبق في القبضتين اللتين هما صفتان للذات، فسبحان مبدىء هذه الآيات وناصب هذه الدلالات على أنه واحد قهار الأرض والسموات: فهذا ترتيب نضد العالم على طريق خاص لبعض النظار أنفرد به، وسنذكر بعد القصيدة التي أذكرها بعد هذا ما وافقونا فيه، وأما نظمنا فيه أيضاً على طريقة أخرى في الوضع الأول

فاعلم وهذه هي القصيدة:

الحمد لله الذي بوجوده ... ظهر الوجود وعالم الهيمان
والعنصر الأعلى الذي بوجوده ... ظهرت ذوات عوالم الإمكان
من غير ترتيب فلا متقدم ... فيه ولا متأخر بالآن
حتى إذا شاء المهيمن أن يرى ... ما كان معلوماً من الأكوان
فتح القدير عوالم الديوان ... بوجود روح ثم روح ثاني

Marfat.com

ثم الهباء كذا الهيولى ثم جسم قابل لعوالم الأفلاك والأركان
فأداره فلكاً عظيماً واسمه الـ ـعرش الكريم ومستوى الرحمن
يتلوه كرسيّ انقسام كلامه فتلوح من أقسامه القدمان
من بعده فلك البروج وبعده فلك الكواكب مصدر الأزمان
ثم النزول مع الخلاء لمركز ليقيم فيه قواعد البنيان
فأدار أرضاً ثم ماء فوقه كرة الهواء وعنصر النيران
من فوقه فلك الهلال وفوقه فلك يضاف لكاتب الديوان
من فوقه فلك لزهرة فوقه فلك الغزالة مصدر الملوان
من فوقه المريخ ثم المشتري ثم الذي يعزى إلى كيوان
ولكل جسم ما يشاكل طبعه خلق يسمى العالم النوراني
فهم الملائكة الكرام شعارهم حفظ الوجود من اسمه المحسان
فتحركت نحو الكمال فولدت عند التحرك عالم الشيطان
ثم المعادن والنبات وبعده جاءت لنا بعوالم الحيوان
والغاية القصوى ظهور جسومنا في عالم التركيب والأبدان
لما استوت وتعدلت أركانه نفخ الإله لطيفة الإنسان
وكساه صورته فعاد خليفة يعنو له الأملاك والثقلان
وبدورة الفلك المحيط وحكمه أبدى لنا في عالم الحدثان
في جوف هذا الأرض ماء اسودا نتناً لأهل الشرك والطغيان
يجري على متن الرياح وعندها ظلمات سخط القاهر الديان
دارت بصخرة مركز سلطانه الـ ـروح الإلهيّ العظيم الشان

فهذا ترتيب الوضع الذي أنشأ الله عليه العالم ابتداء. اعلم أن التفاضل في المعلومات على وجوه أهمها التأثير، فكل مؤثر أفضل من أكثر المؤثر فيه من حيث ذلك التأثير خاصة، وقد يكون المفضول أفضل منه من وجه آخر، وكذلك فضل العلة على معلولها، والشرط على مشروطه، والحقيقة على المحقق، والدليل على المدلول من حيث ما هو مدلول له لا من حيث عينه، وقد يكون الفضل بعموم التعلق على ما هو أخص تعلقاً منه كالعالم والقادر، ولما كان الوجود كله فاضلاً مفضولاً أدى ذلك إلى المساواة وأن يقول: لا فاضل ولا مفضول بل وجود شريف كامل تام لا نقص فيه ولا سيما وليس في المخلوقات على

Marfat.com

اختلاف ضروبها أمر إلا وهو مستند إلى حقيقة ونسبه إلهية، ولا تفاضل في الله لأن الأمر لا يفضل نفسه، فلا مفاضلة بين العالم من هذا الوجه وهو الذي يرجع إليه الأمر من قبل ومن بعد، وعليه عوّل أهل الجمع والوجود، بهذا سموا أهل الجمع لأنهم أهل عين واحدة كما قال الله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ ومن كشف الأمر على ما هو عليه علم ما ذكرناه في ترتيب العالم في هذا الباب فإنه متنوّع المساق ففي الخطبة ترتيب ليس في المنظوم وكذلك سائر ما ذكرناه في الباب.

وصـل

في ذكر ما في هذا المنزل من العلوم: فمن ذلك علم الاتصال الكوني والانفصال الإلهيّ والكوني. وفيه علم تنزيه الحق مع ثبوت النزول والمعية عما للنزول والمعية من الحركة والانتقال. وفيه علم الفرقان بين الكتب المنزلة من عند الله وإن كانت كلها كلام الله، ولماذا تكثرت وتعدّدت آياتها وسورها هل لكونها كلاماً أو لكونها متكلماً بها؟ وفيه علم افتراق الناس إلى مؤمن بكذا وغير مؤمن به. وفيه علم الملأ الأعلى. وفيه علم الآجال. وفيه علم حكمة التفضيل في العالم. وفيه علم انتشاء الفروع من أصل واحد. وفيه علم قول القائل:

وما على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وهذا هو علم الإنسان الكامل الجامع حقائق العالم وصورة الحق سبحانه وتعالى. وفيه علم الفرق بين المبدأ والمعاد وما معنى المعاد هل هو أمر وجودي أو نسبة مرتبة كوال يعزل ثم يرد إلى ولايته؟ وفيه علم السبب الذي لأجله أنكر من أنكر المعاد وما المعاد الذي أنكر وما صفة المنكر؟ وفيه علم نسبة الأشياء إلى الله نسبة واحدة فكيف سبقت الرحمة الغضب حتى عمت الرحمة كل شيء فلم يبق للغضب محل يظهر فيه. وفيه علم هداة الحق. وفيه علم إنشاء العالم من العالم ولماذا يرجع ما فيه من الزيادة والنقص فلا بدّ من العلم بكمال أو تمام به يتميز ما زاد عليه وما نقص عنه، وهل كل زيادة على التمام نقص أم لا؟ وفيه علم هل يوجد أمران متجاوران ليس بينهما وسط مثل الغيب والشهادة وكالنفي والإثبات ومثل قولنا: أنت ما أنت: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وفيه علم الأمر الذي يحفظ الله به المكلف من حيث عينه ومن حيث أفعاله. وفيه علم كمال العالم الكمال الذي لا يحتمل

Marfat.com

الزيادة فيه فلا يظهر فيه مما لم يظهر إلا ما خرج عنه فيعود عليه فيظهر فيه أمر لم يكن فيه وهو منه فما ظهر في العالم بعد تمامه إلا العالم فأمر الله واحدة فيه وهو المعبر عنه بالاستحالات، والاستحالات متنوّعة بحسب الحقائق كالماء يستحيل بخاراً، والملك يستحيل إنساناً بالصورة، وكذلك التجلي، فمن عرف ذلك عرف الأمر على ما هو عليه، والولد على شبه أبيه فإن الولد إذا خرج على شبه أبيه برأ الأم مما يتطرق إليها من الاحتمال إذا لم يكن الشبه، ومن هنا تعلم أنه لا خالق إلا الله، وقد نبه الشارع بحديث الصورة الكاملة الأمامية وفيه علم نفي الأسباب بإثباتها.

وفيه علم الأمر الذي دعا المشرك إلى إثبات الشريك. وفيه علم غيرة الحق على الرتبة الإلهية. وفيه علم ما يقول المتعلم من العالم إذا سأله العالم بفتح اللام. وفيه علم ما هو من القول حجة وما ليس بحجة فهل الحجة على الخصم عين القول خاصة أو ما يدل عليه القول أو في موطن يكون القول وفي موطن يكون ما يدل عليه القول؟ فإذا كان القول يعجز السامع فهو عين الحجة. وفيه علم الفضل بالعلم بين المخلوقين وأنه لا رتبة أشرف من رتبة العلم. وفيه علم أن الملائكة كلهم علماء بالله ليس فيهم من يجهل بخلاف الناس ولذلك قال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾ ثم قال في حق الناس ﴿وأولوا العالم﴾ وما أطلق مثل ما أطلق الملائكة وهو علم التوحيد هنا لا علم الوجود، فإن العالم كله عالم بالوجود لا بالتوحيد لا في الذات ولا في المرتبة، وإن كان المشرك قد جعل له الرتبة العليا مع الاشتراك في معنى الرتبة. وفيه علم ما لا يمكن لمخلوق جحده وهو افتقار الممكن إلى المرجح. وفيه علم ما يجوز نقضه من المواثيق والعهود وما لا يجوز. وفيه علم ما يسبق إلى الوهم من تكذيب شخص من الناس يدعي أنه موجود من غير أب ولا أم عند من يؤمن بوجود آدم عليه السلام وينكره في حق شخص ما قد أشبهه في الصورة ولا يتوقف في تكذيبه ولا في ردّ ما قاله وجاء به وهو ممكن في نفس الأمر ويقربه من يقول بحدوث العالم وبقدمه.

وفيه علم ما تقيده الملائكة من العلم إذ ادخلوا على أهل السعادة في منازلهم. وفيه علم فصل الدنيا من الآخرة داراً وحياة وهما دار واحدة وحياة واحدة. وفيه علم القلوب ولماذا ترجع نسبة الكون إليها هل إلى علمها باستحالة ثبوتها على أمر واحد زمانين لما علمت أن خالقها إذا تذكرت وفكرت أنه كل يوم في شان فتقطع عند ذلك أنها لا تبقى على حال واحد لأنها محل التصريف والتقليب. وفيه علم العلم الجامع والمفصل للمضارّ

Marfat.com

والمنافع، وهل الإنسان الجاهل يقاوم بقوّته قوّة كلام الله حتى لا يؤثر فيه أو قوّته على نفسه أن يستر ما أثر فيه كلام الله فلم يقاوم إلا نفسه لا كلام الله. وفيه علم انتظار الحق بإظهار الأمور ما حكم به علمه فيها من الترتيب في الإيجاد مع الجواز، وكيف يجتمع المحال والإمكان في أمر واحد فيحكم عليه بأنه محال بالدليل العقلي ممكن بالدليل العقلي وأدلة العقول لا تتعارض إلا في هذا الموطن. وفيه علم تلقين الحجة لإظهار الحق، وهل للحاكم إذا علم صدق أحد الخصمين في دعواه ويعلم أنه يبطل حقه لجهله بتحرير الدعوى هل له أن يعلمه كيف يدّعي حتى يثبت له الحق كما هو في نفس الأمر أو ليس له ذلك لا في حضور الخصم ولا في غيبته؟ وهذا مع علم الحاكم بصاحب الحق.

وفيه علم حجج الرسل عليهم السلام ليست عن نظر فكري وإنما هي عن تعليم إلهيّ. وفيه علم ما حظ الرسول من الرسالة. وفيه علم لا يعارض الحق الإلهيّ إلا الحق الإلهيّ فهو مقابلة المثلين لا مقابلة غير المثلين، وإن ظهرت المعارضة من جانب المخلوق فما ظهر الحق إلا على لسان المخلوق فإن الله ما كلم عباده على رفع الحجاب لأنه يقول لا معقب لحكمه وقد وقع في الدنيا المعقب فلا بد أن يكون المعقب الله لا غيره، فهو مثل النسخ في الشرائع هو الذي شرع وهو الذي رفع ما شرع بشرع آخر أنزله، فالناسخ والمنسوخ من الله، كذلك أمر العالم فيما جاء من الحق بالدلالة وفيما ردّ به ذلك الحق من غير دلالة فيعلم العالم بالله أنه من الحق فالحق يتلو بعضه بعضاً، فإن زمان دعوى الواحد ما هو زمان دعوى الآخر الرادّ له والمعارضة على الحقيقة إن لم يشتركا في الزمان فما هي معارضة فافهم. وفيه علم إنزال الحق العالم بالشيء منزلة نفسه منه في ذلك العلم ولهذا نقول: لا منزلة أشرف من العلم لأنه ينزلك منزلة الحق:

لقد حزت كل الطيب فيما لثمته ... وقد علم الأقوام من قد لثمته
وأن الذي في الكون من كل طيب ... من العقل والإحساس فيما طعمته

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل سر وسرين وثنائك عليك بما ليس لك وإجابة الحق إياك في ذلك لمعنى شرّفك به من حضرة محمدية

من حاز شطر الكون في خلقه ... وشطره الآخر في خلقه
فذاك عين الوقت في وقته ... وبدره الطالع في أفقه
فبدره يطلع من غربه ... وضوءه يغرب في شرقه
فكل مخلوق به هائم ... وكلنا نهلك في حقه

ورد في الخبر الصحيح في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**» وهو تعالى صانع العالم وأوجده على صورته، فالعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح، بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال، فليس في الإمكان أجمل ولا أبدع ولا أحسن من العالم، ولو أوجد ما أوجد إلى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لأن الحسن الإلهيّ والجمال قد حازه وظهر به فإنه كما قال تعالى: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ فهو جماله إذ لو نقص منه شيء لنزل عن درجة كمال خلقه فكان قبيحاً ﴿ثم هدى﴾ أي بين ذلك لنا بقوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾:

ولما رأينا الحق في صورة البشر ... علمنا بأن العقل فيه على خطر
فمن قيد الحق المبين بعقله ... ولم يطلق التقييد ما عنده خبر
إذا ما تجلّى لي على مثل صورتي ... تجليت في التنزيه عن سائر الصور
فإن قال ماذا قلت أنت ذكرت لي ... بأنك تعفو عن ظلوم إذا انتصر
وما أنت مثلي قل فلم حزت صورتي ... ورؤيتي إياكم كما يبصر القمر
فإن كنت مثلي فالتماثل حاكم ... على كل مثل كالذي يقتضي النظر
فكل شبيه للشبيه مشاكل ... على كل حال في القديم وفي البشر
لقد شرع الله السجود لسهونا ... بإرغام شيطان وجبر لما انكسر

Marfat.com

فمالك لم تسجد وأنت إمامنا ... فأنت جدير بالسجود كما ذكر
أتيناك نسعى فأثنيت مهرولاً ... وأين خطى الأقدام من خطوة البصر

ومنها أيضاً:

فممن فصلنا أو بمن قد وصلتنا ... وما هو إلا اللّه بالعين والأثر
فشكراً لما أخفى وشكراً لما بدا ... وحاز مزيد الخير عبد إذا شكر
وما هو إلا الحق يشكر نفسه ... ولكن حجاب القرب أرسل فاستتر

فالعالم كله جماله ذاتي وحسنه عين نفسه إذ صنعه صانعه عليه، ولهذا هام فيه العارفون وتحقق بمحبته المتحققون، ولهذا قلنا فيه في بعض عباراتنا أنه مرآة الحق، فما رأى العارفون فيه إلا صورة الحق وهو سبحانه الجميل، والجمال محبوب لذاته والهيبة له في قلوب الناظرين إليه ذاتية فأورث المحبة والهيبة، فإن الله ما كثر لنا الآيات في العالم وفي أنفسنا إذ نحن من العالم إلا لنصرف نظرنا إليه ذكراً وفكراً وعقلاً وإيماناً وعلماً وسمعاً وبصراً ونهى ولباً، وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به مشاهدة وعقلاً، فإن نظرنا فإليه، وإن سمعنا فمنه، وإن عقلنا فعنه، وإن فكرنا ففيه، وإن علمنا فإياه، وإن آمنا فبه، فهو المتجلي في كل وجه، والمطلوب من كل آية، والمنظور إليه بكل عين، والمعبود في كل معبود، والمقصود في الغيب والشهود، لا يفقده أحد من خلقه بفطرته وجبلته، فجميع العالم له مصل وإليه ساجد وبحمده مسبح، فالألسنة ناطقة، والقلوب به هائمة عاشقة، والألباب فيها حائرة، يروم العارفون أن يفصلوه من العالم فلا يقدرون، ويرومون أن يجعلوه عين العالم فلا يتحقق لهم ذلك فهم يعجزون، فتكل أفهامهم، وتتحير عقولهم، وتتناقض عنه في التعبير ألسنتهم، فيقولون في وقت هو، وفي وقت ما هو، وفي وقت هو ما هو، فلا تستقر لهم فيه قدم، ولا يتضح لهم إليه طريق أمم، لأنهم يشهدونه عين الآية والطريق، فتحول هذه المشاهدة بينهم وبين طلب غاية الطريق، إذ لا تسلك الطريق إلا إلى غاياتها والمقصود معهم وهو الرفيق فلا سالك ولا مسلوك فتذهب الإشارات وليست سواه وتطيح العبارات وما هي إلا إياه، فلا ينكر على العارف ما يهيم فيه من العالم وما يتوهمه من المعالم، ولولا أن هذا الأمر كما ذكرناه ما أحب نبيّ ولا رسول أهلاً ولا ولداً ولا آثر على أحد أحداً، وذلك لتفاضل الآيات وتقلب العالم هو عين الآيات، وليست غير شؤون الحق

Marfat.com

التي هو فيها، وقد رفع بعضها فوق بعض درجات، لأنه بتلك الصورة ظهر في أسمائه، فعلمنا تفاضل بعضها على بعض بالعموم والخصوص، فهو الغني عن العالمين وهو القائل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فأين الخالق من الغنى وأين القابض منه والمانع؟ وأين العالم في إحاطته من القادر والقاهر؟ فهل هذا كله إلا عين ما وقع في العالم، فما تصرّف رسول ولا عارف إلا فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وذلك لأن من الناس من في أذنه وقر، وعلى بصره غشاوة، وعلى قلبه قفل، وفي فكره حيرة، وفي علمه شبهة، وبسمعه صمم، ووالله ما هو هذا كله عند العارف إلا للقرب المفرط ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وأين الوسوسة من الإلهام؟ وأين اسم الإنسان من اسم العالم؟:

فمـــن ليلـــى ومـــن لبنـــى ... ومـــن هنـــد ومـــن بثنـــه
ومـــن قيـــس ومـــن بشـــر ... أليســـوا كلهـــم عينـــه
لقـــد أصبحـــت مشغـــوفـــاً ... بـــه إذا كـــان لـــي كـــونـــه
فكـــل الخلـــق محبـــوبـــي ... فـــأيـــن مهيمـــي أينـــه
فمـــن يبحـــث علـــى قـــولـــي ... يجـــد فـــي بينـــه بينـــه

وأما أهل الجمال العرضي والحب العرضي فظل زائل، وغرض مائل، وجدار مائل، بخلاف ما هو عند العلماء بالله، فإن الظل عند العالم بالله ساجد والعارض للوجود مستعد، والجدار لم يمل إلا عبادة ليظهر ما تحته من كنوز المعارف التي يستغني بها العارف الواقف، فخلق الله الغيرة في صورة الخضر فأقامه من انحنائه لما علم أن الأهلية ما وجدت في ذلك الوقت في رب المال، فيقع التصرّف فيه على غير وجهه ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ فلو ظهر اتخذ عبثاً وعاثت فيه الأيدي، فسبحان واضع الحكم وناصب الآيات ومظهر جمال الدلالات، ومن أجملها عيناً وأكملها كوناً عالم الخيال، وبه ضرب الله الأمثال وبين تعالى أنه المنفرد بعلمه فإنه قال ناهياً: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ وما جاء بهذه الآية إلا عندما ضرب لنا الأمثال منه فظهر للكون وهو مقدمته، ألا ترى الرؤيا وبعينها يدرك الخيال يرى ما يكون قبل كونه وما كان وما هو الوقت عليه وأي حضرة تجد فيها هذه الجمعية إلا حضرة الخيال؟ وكل من تعشق بأمر ما فما تعشق به إلا بعد أن حصله في خياله وجعل له في وهمه مثالاً وطبق محبوبه على مثاله، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان

Marfat.com

إذا فارقه من تعلق بصره به أو سمعه أو شيء من حواسه فارق التعلق به ونحن لا نجد الأمر كذلك، فدل على أن المحبوب عند المحب على مثال صورة وأنشأه في خياله فلزم مشاهدته فتضاعف وجده وتزايد حبه، وصار ذلك المثال الذي صوّره يحرّض مصوّره على طلب من صوّره على صورته، فإن ذلك الأصل هو روح هذا الخيال وبه بقاؤه وهو الذي يحفظه، وما اشتد حب المحب إلا في صنعته وفعله، فإن الصورة التي تعشق بها في خياله هي من صنعته، فما أحب إلا ما هو راجع إليه، فبنفسه تعلق وعلى فعله أثنى، فمن علم هذا علم حب الله عباده وأنه تعالى أشد حباً فيهم منهم فيه بل لا يحبونه عيناً وإنما يحبون إحسانه، فإن الإحسان هو مشهودهم، ومن أحبه عيناً فإنما أحب مثالاً صوّره في نفسه وتخيله وليس إلا المشبهة خاصة، فكل محب فلولا التشبيه ما أحبه، ولولا التخيل ما تعلق به، ولهذا جعله الشارع في قبلته ووسعه قلب عبده وجعله من القرب به كهو أو كبعض أجزائه، فمثل هؤلاء عبدوه ممثلاً وشاهدوه محصلاً.

وأما المنزهة فحائرة في عميا يخبطون فيها عشوى لا ظل في ظلمتها ولا ما يمنعهم الدليل من التشبيه وما ثم إيمان يفوق نوره نور الأدلة حتى يدرجها فيه فلا يزال المنزه غير قابض على شيء ولا محصل لأمر فهم أهل البت لأن هممهم متفرق والوهم منهم بعيد، فنقصهم من كمال معرفة الوجود حكم الأوهام فيهم، ولا حكم للأوهام إلا في الكمل من الرجال، ولهذا جاءت الشرائع في الله بما تحيله الأدلة، فمن تقوى نور إيمانه على نور عقله كما تقوى نور الشمس على نور غيره من الكواكب، فما أذهب عين أنوارها وإنما أدرجها في نوره، فالعالم مستنير كله بنور الشمس ونور الكواكب ولكنهم لا يبصرون إلا نور الشمس ولا يبصرون المجموع، كذلك الكامل من أهل الله إذا أدرج نور عقله في نور إيمانه صوب رأي المنزهة إذ ما تعدت ما كشفته لهمَ أنوارها وصوّب رأي المشبهة إذ ما تعدت ظاهر ما أعطاها نور إيمانها بما ضرب الله لها من المثل فعرفه الكامل عقلاً وإيماناً فحاز درجة الكمال كما حاز الخيال درجة الحس والمعنى فلطف المحسوس وكثف المعنى فكان له الاقتدار التام، ولذلك قال يعقوب لابنه: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ لما علم من علمهم بتأويل ما مثل الحق له في رؤياه، إذ ما كان ما رآه وما مثل له إلا عين إخوته وأبويه فأنشأ الخيال صور الإخوة كواكب وصور الأبوين شمساً وقمراً وكلهم لحم ودم وعروق وأعصاب، فانظر هذا النقلة من عالم السفل إلى عالم الأفلاك، ومن ظلمة هذا الهيكل إلى نور هذا الكوكب فقد لطف الكثيف ثم عمد إلى مرتبة التقدم وعلو المنزلة

Marfat.com

والمعاني المجردة فكساها صورة السجود المحسوس فكثف لطيفها والرؤيا واحدة، فلولا قوة هذه الحضرة ما جرى ما جرى، ولولا أنها في الوسط ما حكمت على الطرفين، فإن الوسط حاكم على الطرفين لأنه حد لهما، كما أن الآن عين الماضي والمستقبل، كما أن الإنسان الكامل جعل الله رتبته وسطاً بين كينونته مستوياً على عرشه وبين كينونته في قلبه الذي وسعه، فله نظر إليه في قلبه فيرى أنه نقطة الدائرة، وله نظر إليه في استوائه على عرشه فيرى أنه محيط الدائرة فهو بكل شيء محيط، فلا يظهر خط من النقطة إلا ونهايته إلى المحيط، ولا يظهر خط من المحيط من داخله إلا ونهايته إلى النقطة، وليست الخطوط سوى العالم فإنه بكل شيء محيط والكل في قبضته ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فالخلاء ما فرض بين النقطة والمحيط وهو الذي عمر العالم بعينه وكونه، وفيه ظهرت الاستحالات من نقطة إلى محيط، ومن محيط إلى نقطة، فما خرج عنه عزّ وجلّ شيء ولا ثم شيء خارج عن المحيط فيدخل في إحاطته بل الكل منه انبعث وإليه ينتهي ومنه بدأ وإليه يعود، فمحيطه أسماؤه ونقطته ذاته، فلهذا هو الواحد العدد والواحد الكثير، فما كل عين له ناظر إلا عين الإنسان، ولولا إنسان العين ما نظرت عين الإنسان، فبالإنسان نظر الإنسان فبالحق ظهر الحق:

فقلنـــا فيـــه حـــق   وقلنـــا فيـــه خلـــق
وقلنـــا فيـــه در   وقلنـــا فيـــه حـــق
فهـــو الملـــك والملـــك   وهـــو الفلـــك والفلـــك
فـــإذا مـــا هـــويتـــه   قـــال للحـــب هيـــت لـــك

أي حسنت هيئتي إذ هيت لك، إذ لولا حسن العالم ما علم حسن القديم ولا جماله، ولولا جمال الحق ما ظهر في العالم جمال، فالأمر دوري وبه دار الفلك، فدوران الفلك سعيه وما برح من مكانه فهو بكليته المنتقل الذي لم يفارق مكانه تنبيهاً من الله لعباده أو ضرب مثل أن الحق وإن أوجد العالم ووصف نفسه بما وصف ما زال في منزلة تنزيهه وتمييزه عن خلقه بذاته مع معينه بكل خلق من خلقه، بخلاف الخطوط فإنها متحركة من الوسط وإلى الوسط فهي مفارقة وقاطعة منازل وحركة الوسط لم تفارق منزلتها ولا تحركت في غيرها وهي أعجوبة المسائل التي حار فيها المجيب والسائل:

ألا أيهـــا الفلـــك الـــدائـــر   لمـــن أنـــت فـــي سيـــركـــم ســـائـــر

Marfat.com

إلينـا فنحـن بـأحشـائكـم إليـه فسيـركـم بـائـر
تعـالـى عـن الحـد فـي نفسـه وقـال هـو البـاطـن الظـاهـر
تـدور علينـا بـأنفـاسنـا وأنـت لنـا الحكـم القـاهـر
فشغلـك بـي شغـل شـاغـل وأنـت إذا مـا أنقضـى خـاسـر
فـإن كنـت فـي ذاك عـن أمـره فـأنـت بـه الـرابـح التـاجـر
ومـن فـوقكـم ثـم مـن[1] فـوقـه إلـه لـرتكقـم فـاطـر
تعيـن بـالفتـق فـي رتقكـم فعقلـك فـي صنعـه حـائـر
لـذاك تـدور ومـا تبـرحـن بمثـواك والمقبـل الغـابـر
فقـف فـأبـى الجبـر إلا السـرى وقـال أنـا الكـاسـر الجـابـر
سـتـرت عيـون النهـى فـانثنـت وقـد علمـت أننـي السـاتـر
فسبحـان مـن حكمـه حكمـة ومـن عينـه الـوارد الصـادر
فلـولاك مـا لاح فـي أفقـه بـدورتـه كـوكـب زاهـر

ولما خلق الله تعالى العالم واقتضت ذات العالم أن يستحيل بعضه البعضه بما ركبه الله عليه من الحقائق والاستعداد لقبول الاستحالة طلب بذاته العوارض الإمكانية التي تراها في العالم، فمن العالم من له قصد في ذلك الطلب وهو تعيين عارض خاص كقائم يطلب القعود ممن يعقل، ومنهم من يطلبه من غير قصد كالشجرة تطلب السقي من أجل الثمرة التي خلقت لها وطلبها لذلك ذاتي على مقدار معلوم إن زاد على ذلك كان حكمه حكم نقصانه في الهلاك، وما الماء بحكمها فلا بد من حافظ يحفظ عليها القدر المعلوم وليس إلا خالقها، وهذه الأمور العوارض التي تعرض لجوهر العالم منها ما يقال فيه صلاح ومنه ما يقال فيه فساد، ولكن في نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد لا صلاح فيه، فإنه يكون خلاف ما أريد له وجوده. وأما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم فإنه لذلك خلق العالم، وأما الأحوال فذاتية للمعاني فإنها أحكامها وليس لها وجود ولا هي معدومة كالأحمر لمن قامت به الحمرة، وهذا حكم لا يتصف بالخلق لأنه معقول لا عين له في الوجود العيني بل المعاني كلها التي أوجبت أحكامها لمن اتصف بها نسب عدمية لاعين لها في الوجود ولها الحكم والحال، ولا عين لحكمها ولا لحالها في الوجود، فصار

(١) الضمير في فوقه يعود على الفوق الأول، اهـ من خط المصنف.

Marfat.com

الحاكم والمحكوم به في الحقيقة أموراً عدمية مع أنها معقولة، فعلى الحقيقة لا أثر لموجود في موجود وإنما الأثر للمعدوم في الموجود وفي المعدوم، لأن الأثر للنسب كله وليست النسب إلا أموراً عدمية يظهر ذلك بالبديهة في أحكام المراتب، كمرتبة السلطنة ومرتبة السوقة في النوع الإنساني مثلاً، فيحكم السلطان في السوقة بما تريد رتبة السلطنة، وليس للسلطنة وجود عيني، وإذا كان الحكم للمراتب فالأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعية جسمية في نفسها إذا ظهرت لمن ظهرت له في صورة طبيعية جسدية في عالم التمثيل كالملك يتمثل بشراً سوياً، وكالتجلي الإلهي في الصور فهل تقبل تلك الصورة الظاهرة في عين الرائي حكم ما لتلك الصورة في التي هي له حقيقة كصورة الإنسان والحيوان فتحكم عليه بالتفكر وقيام الآلام واللذات به، فهل تلك الصورة التي ظهرت تشبه الحيوان أو الإنسان؟ أو ما كان تقبل هذا الحكم في نفس الأمر أو الرائي إذا لم يعلم أنها إنسان أو حيوان ما له أن يحكم عليها بما يحكم على من تلك الصورة عينه كيف الأمر في ذلك؟ فاعلم أن الملك على صورة تخالف البشر في نفسه وعينه وكما تخالف البشر فقد خالفه أيضاً البشر، مثل جبريل ظهر بصورة أعرابي بكلامه وحركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان هي في الصورة الممثلة كما هي في الإنسان أو هي من الصورة كما هي الصورة متخيلة أيضاً، ويتبع تلك الصورة جميع أحكامها من القوى القائمة بها في الإنسان كما قام بها الكلام والحركة والكيفيات الظاهرة فهو في الحقيقة إنسان خيالي أعني الملك في ذلك الزمان.

وله حكم تلك الصورة في نفس الأمر أيضاً على حد الصورة من كونها إنساناً خيالياً، فإذا ذهبت تلك الصورة ذهبت أحكامها لذهابها، وسبب ذلك أن جوهر العالم في الأصل واحد لا يتغير عن حقيقته، وأن كل صورة تظهر فيه فهي عارضة تستحيل في نفس الأمر في كل زمان فرد، والحق يوجد الأمثال على الدوام لأنه الخالق على الدوام، والممكنات في حال عدمها مهيأة لقبول الوجود، فمهما ظهرت صورة في ذلك الجوهر ظهرت بجميع أحكامها سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيلة فإن أحكامها تتبعها، كما قال الأعرابي لما سمع رسول الله ﷺ يصف الحق جل جلاله بالضحك قال: لا نعدم خيراً من رب يضحك إذ من شأن من يضحك أن يتوقع منه وجود الخير، فكما أتبع الصورة الضحك أتبعها وجود الخير منها، وهذا في الجناب الإلهي فكيف في جوهر العالم؟ ولا يهون مثل هذا عند عالم ولا يقبله متسع الخاطر إلا من عرف أن جوهر العالم هو النفس الرحماني

Marfat.com

الذي ظهرت فيه صور العالم، ومن لم يعلم ذلك فإنه يدركه في نفسه تكلف ومشقة في قبول ذلك في حق الحق، وحق كل ظاهر في صورة يعلم أنها ما هي له حقيقة فيتأول ويتعذر عليه في أوقات التأويل، فيؤمن ويسلم ولا يدري كيف الأمر، بخلاف العالم المحقق الذي قد أطلعه الله تعالى على ما هي الأمور عليه في أنفسها، فالعالم كله من حيث جوهره شريف لا تفاضل فيه، وأن الدودة والعقل الأول على السواء في فضل الجوهر، وما ظهرت المفاضلة إلا في الصور وهي أحكام المراتب، فشريف وأشرف، ووضيع وأوضع، ومن علم هذا هان عليه قبول جميع ما وردت به الشرائع من الأمور في حق الله والدار الآخرة، والأمور الغائبة التي لا تدركها العقول بأفكارها وليس لها مدرك إلا بالخبر، وليست الصور بشيء غير أعيان الممكنات، وليس جوهر العالم سوى ما ذكرنا فللإطلاق على العالم من حيث جوهره حكم لا يكون له من حيث صورته، وله حكم من حيث صورته لا يكون له من حيث جوهره، فمن الناس من علم ذلك على الكشف وهم أصحابنا والرسل والأنبياء والمقربون، ومن الناس من وجد ذلك في قوته وفي عقله ولم يعرف من أين جاء ولا كيف حصل له، فيشرك أهل الكشف في الحكم ولا يدري على التحقيق ما هو الأمر، وهم القائلون بالعلة، والقائلون بالدهر، والقائلون بالطبيعة، وما عدى هؤلاء فلا خبر عندهم بشيء من هذا الحكم، كما أن هؤلاء الطوائف لا علم لهم بما يعلمه أهل الله وإن اشتركا في هذا الحكم، فلو سألت علماء طائفة منهم ما أنكر لك عين ما أبانه أهل الله من ذلك وما حكم عليهم القول بذلك الحكم إلا ما عرفه أهل الله هم والقائلون بالعلة لا يشعرون، ألا ترى الشارع وهو المخبر عن الله ما وصف الحق بأمر فيه تفصيل إلا وهو صفة المحدث المخلوق مع قدم الموصوف به وهو الله ولا قدم للعقل في ذلك من حيث نظره وفكره، وسبب ذلك لا يعرف أصله ولا يعلم أنه صورته في جوهر العالم بل يتخيل أنه عين الجوهر، فإن أردت السلامة فاعبد رباً وصف نفسه بما وصف ونفى التشبيه وأثبت الحكم كما هو الأمر عليه لأن الجوهر ما هو عين الصورة فلا حكم للتشبيه عليه ولهذا قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ لعدم المشابهة فإن الحقائق ترمي بها ﴿وهو السميع البصير﴾ إثباتاً للصور لأنه فصل حي، فمن لم يعلم ربه من خبره عن نفسه ﴿فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ وأدنى درجته أن يكون مؤمناً بالخبر في صفاته كما آمن أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ وكلا الحكمين حق، نظراً عقلياً وقبولاً والله يقول: ﴿إنه بكل شيء محيط وعلى كل شيء حفيظ﴾ أتراه يحيط به وهو خارج عنه ويحفظ عليه وجوده من غير نسبة إليه فقد تداخلت الأمور واتحدت الأحكام وتميزت الأعيان، فقيل من وجه هذا ليس

Marfat.com

هذا عن زيد وعمرو، وقيل من وجه هذا عين هذا عن زيد وعمرو وأنهما إنسان، كذلك نقول في العالم من حيث جوهره ومن حيث صورته كما قال الله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو يعني هذا الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وحكم السمع ما هو حكم البصر ففصل ووصل وما انفصل ولا اتصل:

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ... ومن شاء فليعجز ومن شاء فلينظر
فمن علم العلم الذي قد علمته ... حقيق عليه أن يسرّ وأن يشكر
إذا ناله التقوى فكن فطناً بما ... يقول لمن يدري بذلك ويشعر
وما قال هذا القول للخلق باطلا ... ولكنه ذكرى لمن شاء فليذكر
هو الحيرة العميا لمن كان ذا عمى ... هو المنظر الأجلى لذي بصر يبصر
ولما ظهرنا في وجود عمائه ... علمنا وجود القرب فينا ولم نحصر

وصل إشارة وتنبيه

اعلم أن كل متلفظ من الناس بحديث فإنه لا يتلفظ به حتى يتخيله في نفسه ويقيمه صورة يعبر عنها لا بد له من ذلك، ولما كان الخيال لا يراد لنفسه وإنما يراد لبروزه إلى الوجود الحسي في عينه أي يظهر حكمه في الحس، فإن المتخيل قد يكون مرتبة وقد يكون ما يقبل الصورة الوجودية، كمن يتخيل أن يكون له ولد فيولد له ولد فيظهر في عينه شخصاً قائماً مثله، وقد يتخيل أن يكون ملكاً وهي رتبة فيكون ملكاً ولا عين للمملكة في الوجود وإنما هي نسبة، وإذا كان هذا وكان ما يتخيل يعبر كالرؤيا كذلك يعبر كل كلام ويتأول، فما في الكون كلام لا يتأول ولذلك قال: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ وكل كلام فإنه حادث عند السامع، فمن التأويل ما يكون إصابة لما أرداه المتكلم بحديثه، ومن التأويل ما يكون خطأ عن مراد المتكلم وإن كان التأويل إصابة في كل وجه سواء أخطأ مراد المتكلم أو أصاب فما من أمر إلا وهو يقبل التعبير عنه ولا يلزم في ذلك فهم السامع الذي لا يفهم ذلك الاصطلاح ولا تلك العبارة، فإن علوم الأذواق والكيفيات وإن قبلت لا تنقال ولكن لما كان القول بها والعبارة عنها لإفهام السامع لذلك قالوا ما ينقال ولا يلزم ما لا يفهم السامع المدرك له أن لا يصطلح مع نفسه على لفظ يدل به على ما ذاقه، ليكون له ذلك اللفظ منبهاً ومذكراً له إذا نسي ذلك في وقت آخر، وإن لم يفهم عنه لا ذوق له فيه، والتأويل عبارة عما يؤول إليه ذلك الحديث الذي حدث عنده في خياله، وما سمى الأخبار عن الأمور عبارة ولا

Marfat.com

التعبير في الرؤيا تعبيراً إلا لكون المخبر يعبر بما يتكلم به، أي يجوز بما يتكلم به من حضرة نفسه إلى نفس السامع، فهو ينقله من خيال إلى خيال، لأن السامع يتخيله على قدر فهمه، فقد يطابق الخيال خيال السامع مع خيال المتكلم وقد لا يطابق، فإذا طابق سمي فهماً عنه وإن لم يطابق فليس بفهم، ثم المحدث عنه قد يحدث عنه بلفظ يطابقه كما هو عليه في نفسه فحينئذ يسمى عبارة، وإن لم يطابقه كان لفظاً لا عبارة لأنه ما عبر به عن محل إلى محله السامع، وسواء نسب ذلك الكلام إلى من نسب، وإنما قصدنا بهذه الإشارة التنبيه على عظم رتبة الخيال وأنه الحاكم المطلق في المعلومات.

غير أن التعبير عن غير الرؤيا رباعي والتعبير عن الرؤيا ثلاثي أي في الرؤيا وهما من طريق المعنى على السواء، وعين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح وفي المستقبل مضموم ومخفف، وهو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي والمستقبل مفتوح العين في الماضي وتكسر في مستقبله، وإنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوة في العبارة لأنها أضعف في الخيال من الرؤيا، فإن المعبر في غير الرؤيا يعبر عن أمر متخيل في نفسه استحضره ابتداء وجعله كأنه يراه حساً فضعف عمن يعبر عن الخيال من غير فكر ولا استحضار كصاحب الرؤيا فإن الخيال هنالك أظهر له ما فيه من غير استحضار من الرائي، والمتيقظ ليس كذلك فهو ضعيف التخيل بسبب حجاب الحس فاحتاج إلى القوة فضعف التعبير عنه فقيل: عبر فلان عن كذا وكذا بكذا وكذا بتشديد عين الفعل، ألا ترى قولهم في عبور الوادي يقولون: عبرت النهر أعبره من غير تضعيف لأن النهر هنا غير مستحضر بل هو حاضر في الحس كما كان ذلك حاضراً في الخيال من غير استحضار فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضار من المشقة والاستعانة تؤذن بالتضعيف أبداً حيث ظهرت لأنه لا يطلب العون إلا من ليس في قوته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه، فكل ما لا يمكن الاستقلال به فإن العامل له لا بد أن يطلب العون والمعين على ذلك فافهم فإنه من هنا تعرف رتبة ما لا يمكن وجوده للموجد له إلا بمساعدة أمر آخر ما هو عين الموجد، فذلك الأمر الآخر معين له على إظهار ذلك الأمر، وهنا يظهر معنى قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ إذا أراد الحق إيصاله إلى أذن السامع بالأصوات والحروف أو الإيماء والإشارة فلا بد من الواسطة إذ يستحيل عليه تعالى قيام الحوادث به فافهم وعلى الله قصد السبيل.

وفي هذه المنزل من العلوم: علم ما يفتقر إليه ولا يتصل به. وفيه علم بيان الجمع أنه عين الفرق. وفيه علم الفرق بين علم الخبر وعلم النظر العقلي وعلم النظر الكشفي وهو

Marfat.com

الذي يحصل بإدراك الحواس. وفيه علم تنبيه الغافل بماذا ينبه ومراتب التنبيه. وفيه علم شرف العلم على شرف الرؤية فقد يرى الشخص شيئاً ولا يدري ما هو فيقصه على غيره فيعلمه ذلك الغير ما هو وإن لم يره فالعلم أتم من الرؤية لأن الرؤية طريق من طرق العلم يتوصل بالسلوك فيه من هو عليه إلى أمر خاص. وفيه علم ظهور الباطل في صورة الحق وهما على النقيض، ومن المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر من غير تناسب فهو مثله في النسبة لا مثله في العين، وهذا هو في صناعة النحو فعل المقاربة يقولون في ذلك: كاد النعام يطير، وكاد العروس يكون أميراً، والحق تعالى يظهر في عين الرائي السراب ماء وليس بماء، وهو عنده إذا جاء إليه الظمآن وكذلك المعطش إلى العلم بالله يأخذ في النظر في العلم به فيفيده تقييد تنزيه أو تشبيه، فإذا كشف الغطاء وهو حال وصول الظمآن إلى السراب لم يجده كما قيده فأنكره ووجد الله عنده غير مقيد بذلك التقييد الخاص بل له الإطلاق في التقييد فوفاه حسابه أي تقديره، فكأنه أراد صاحب هذا الحال أن يخرج الحق من التقييد فقال له الحق بقوله فوفاه حسابه لا يحصل لك في هذا المشهد إلا العلم بي أني مطلق في التقييد فأنا عين كل تقييد لأني أنا العالم كله مشهود ومعلوم، وهذا هو الكيد الإلهيّ من قوله: ﴿وأكيد كيداً﴾ ﴿ومكروا ومكر الله﴾.

وفيه علم ما هو مربوط بأجل لا يظهر حتى يبلغ الكتاب فيه أجله. وفيه علم قيمة المثل. وفيه علم تنزيه الأنبياء مما نسب إليهم المفسرون من الطامات مما لم يجىء في كتاب الله وهم يزعمون أنهم قد فسروا كلام الله فيما أخبر به عنهم، نسأل الله العصمة في القول والعمل، فلقد جاؤوا في ذلك بأكبر الكبائر كمسألة إبراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوا إليه من الشك وما نظروا في قول رسول الله ﷺ نحن أولى بالشك من إبراهيم فإن إبراهيم عليه السلام ما شك في إحياء الموتى ولكن لما علم أنّ لإحياء الموتى وجوهاً متعددة مختلفة لم يدر بأي وجه منها يكون يحيي الله به الموتى وهو مجبول على طلب العلم فعين الله له وجهاً من تلك الوجوه حتى سكن إليه قلبه فعلم كيف يحيي الله الموتى، وكذلك قصة يوسف ولوط وموسى وداود ومحمد عليهم السلام الإلهي، وكذلك ما نسبوه في قصة سليمان إلى الملكين، وكل ذلك نقل عن اليهود واستحلوا أعراض الأنبياء والملائكة بما ذكرته اليهود الذين جرحهم الله وملؤوا كتبهم في تفسير القرآن العزيز بذلك وما في ذلك نص في كتاب ولا سنة فالله يعصمنا وإياكم من غلطات الأفكار والأقوال والأفعال آمين بعزته وقوّته.

Marfat.com

وفيه علم من قام الدليل على عصمته فله أن يثني على نفسه بما أعلمه الله أنه عليه من الصفات المحمودة فإنها من أعظم النعم الإلهية على عبده والله يقول: ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدث﴾. وفيه علم التسليم والاعتصام. وفيه علم رتبة الخيال وأنه حق ما فيه شيء من الباطل إلا أن المعبر عنه يصيب ويخطىء بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن فإن المصيب من لم يتعد بالحقائق مراتبها. وفيه علم الأسماء وما عبد منها وما لم يعبد. وفيه علم معرفة منازل الموجودات. وفيه علم الستر والتجلي. وفيه علم المفاضلة في العلم. وفيه علم الشكر والشاكر. وفيه علم الآيات المعتادة وغير المعتادة. وفيه علم التبري والتنزيه وما هو تنزيه في حق الله عزّ وجلّ وهو تبري في حق المخلوق لا تنزيه. وفيه علم تقاسيم أهل الله وطبقاتهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر السادس والعشرون من الفتوح المكي بانتهاء الباب الثاني والسبعون وثلاثمائة.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفضل مرتبته على العالم بالعناية وبقاء العالم أبد الآبدين وإن انتقلت صورته وهو من الحضرة المحمدية

مقامات تنص على اتساق ... لأرواح منبأة كرام
أفوه بها ولا يدري جليسي ... لأن النور في عين الظلام
فلولا ظلمة ما كان نور ... فعين النقص يظهر بالتمام
اذا علم الإضافة من يراها ... تقيد بالقعود وبالقيام
يرى أن الوجود له انتهاء ... وأن البدء يظهر بالختام
فحال بين بدء وانقضاء ... وجود لا يزال مع الدوام

اعلم أيدك الله أن العالم كله كتاب مسطور في رق منشور وهو الوجود، فهو ظاهر مبسوط غير مطوي ليعلم ببسطه أنه مخلوق للرحمة، وبظهوره يعقل ويعلم ما فيه وما يدل عليه، وجعله كتاباً لضم حروفه بعضها إلى بعض وهو ترتيب العالم على الوجوه التي ذكرناها، وضم معانيه إلى حروفه مأخوذ من كتيبة الجيش، وإنما قلنا في بسطه أنه للرحمة لأنه منها نزل كما قال تعالى: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون﴾ وقال تعالى في ذلك: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ فأحكام الآيات فيه وتفصيلها لا يعرفه إلا من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وصورة الحكمة التي أعطاها الحكيم الخبير لأهل العناية علم مراتب الأمور وما تستحقه الموجودات والمعلومات من الحق الذي هو لها وهو إعطاء كل شيء خلقه إعطاء إلهياً ليعطي كل خلق حقه إعطاء كونياً بما آتانا الله، فنعلم بالقوّة ما يستحقه كل موجود في الحدود ونفصله بعد ذلك آيات بالفعل لمن يعقل كما أعطانيه الخبير الحكيم، فننزل الأمور

Marfat.com

منازلها ونعطيها حقها ولا نتعدى بها مرتبتها، فتفصيل الآيات والدلالات من المفصل إذا جعلها في أماكنها بهذا الشرط لأنه ما كل مفصل حكيم دليل على أنه قد أوتي الحكمة، وعلم أحكام الآيات ورحمته بالآيات والموجودات التي هي الكتاب الإلهيّ وليس إلا العالم دليل على علمه بمن أنزله وليس إلا الرحمن الرحيم، وخاتمة الأمر ليست سوى عين سوابقها وسوابقها الرحمن الرحيم، فمن هنا تعلم مراتب العالم ومآله أنه إلى الرحمة المطلقة، وإن تعب في الطريق وأدركه العناء والمشقة، فمن الناس من ينال الرحمة والراحة بنفس ما يدخل المنزل الذي وصل إليه وهم أهل الجنة، ومنهم من يبقى معه تعب الطريق ومشقته ونصبه بحسب مزاجه، وربما مرض واعتل زماناً ثم انتقل من دائه واستراح وهم أهل النار الذين هم أهلها ما هم الذين خرجوا منها إلى الجنة فمستهم النار بقدر خطاياهم مع كونهم أماتهم الله فيها إماتة، فإن أولئك ليست النار منزلاً لهم يعمرونه ويقيمون فيه مع أهليهم، وإنما النار لهؤلاء منهل من المناهل التي ينزلها المسافر في طريقه حتى يصل إلى منزله الذي فيه أهله، فهذا معنى الحكمة والتفصيل.

فإن الأمور أعني الممكنات متميزة في ذاتها في حال عدمها ويعلمها الله سبحانه وعلى ما هي عليه في نفسها ويراها ويأمرها بالتكوين وهو الوجود فتتكوّن عن أمره، فما عند الله إجمال كما أنه ليس في أعيان الممكنات إجمال بل الأمر كله في نفسه وفي علم الله مفصل، وإنما وقع الإجمال عندنا وفي حقنا وفينا ظهر، فمن كشف التفصيل في عين الإجمال علماً أو عيناً أو حقاً فذلك الذي أعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وليس إلا الرسل والورثة خاصة، وأما الحكماء أعني الفلاسفة فإن الحكمة عندهم عارية فإنهم لا يعلمون التفصيل في الإجمال، وصورة ذلك كما يراه صاحب هذا المقام الذي أعطاه الله الحكمة التي عنده عناية إلهية وهي عند الحق تعيين الأرواح الجزئية المنفوخة في الأجسام المسوّاة المعدلة من الطبيعة العنصرية من الروح الكل المضاف إليه، ولذلك ذكر أنه خلقها قبل الأجسام أي قدرها وعينها لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوّة في هذا الروح الكل المضاف إليه، فيظهر ذلك في التفصيل بالفعل عند النفخ، وذلك هو النفس الرحماني لصاحب الكشف، فيرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات وما يتضمنه من صور ما يصوّرها الكاتب أو الرسام وكل ذلك كتاب، فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة، فإذا جاء الكاتب والرسام أو الرسام دون الكاتب أو الكاتب دون الرسام بحسب ما يذكره صاحب الكشف فيكتب بذلك المداد ويرسم جميع ما ذكره هذا

Marfat.com

المكاشف بحيث لا يزيد على ذلك ولا ينقص، ولا يدرك ذلك هذا المسمى في عرف العقلاء حكماً، فهذا حظ أهل الكشف فهم الذين أعطاهم الله الحكمة وفصل الخطاب، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعطي كل ذي حق حقه، ولا نفعل ذلك حتى نعلم ما يستحقه كل ذي حق من الحق، وليس إلا بتبيين الحق لنا ذلك ولذلك أضافه إليه تعالى فقال: ﴿وآتيناه الحكمة﴾ ﴿ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ فما يعلمها إلا من أوتيها فهي هبة من الله تعالى كما وهبنا وجود أعياننا ولم نكن شيئاً وجودياً، فالعلم الإلهيّ هو الذي كان الله سبحانه معلمه بالإلهام والإلقاء وبإنزال الروح الأمين على قلبه، وهذا الكتاب من ذلك النمط عندنا، فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا عن إملاء إلهيّ وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني، هذا جملة الأمر، مع كوننا لسنا برسل مشرعين ولا أنبياء مكلفين بكسر اللام اسم فاعل، فإن رسالة التشريع نبوّة التكليف قد انقطعت عند رسول الله محمد ﷺ، فلا رسول بعده ﷺ ولا نبيّ يشرّع ولا يكلف، وإنما هو علم وحكمة وفهم عن الله فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله، وما خطه وكتبه في لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق فالتنزيل لا ينتهي بل هو دائم دنيا وآخرة:

الله أنشأ من طي وخولان ... جسمي فعدّلني خلقاً وسوّاني
وأنشأ الحق لي روحاً مطهرة ... فليس بنيان غيري مثل بنياني
إني لأعرف روحاً كان ينزل لي ... من فوق سبع سماوات بفرقان

نريد قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾:

وما أنا مدع في ذاك من نبأ من ... الإله ولكن جود إحسان
إن النبوّة بيت بيننا غلق ... وبينه موثق بقفل إيمان

وإنما قلنا ذلك لئلا يتوهم متوهم أني وأمثالي أدعي نبوة، لا والله ما بقي إلا ميراث وسلوك على مدرجة محمد رسول الله ﷺ خاصة، وإن كان للناس عامة ولنا ولأمثالنا خاصة من النبوة ما أبقى الله علينا منها مثل المبشرات ومكارم الأخلاق، ومثل حفظ القرآن إذا ما استظهره الإنسان، فإن هذا وأمثاله من أجزاء النبوة الموروثة، ولذلك كان أوّل إنسان أنشأه الله وهو آدم نبياً من مشى على مدرجته بعد ذلك فهو وارث لا بد من ذلك بهذه النشأة الترابية، وأما في المقام فآدم ومن دونه إنما هو وارث محمد ﷺ لأنه كان نبياً وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد موجوداً، فالنبوة لمحمد ﷺ ولا آدم والصورة الآدمية الطبيعية الإنسانية

Marfat.com

لآدم ولا صورة لمحمد ﷺ وعلى آدم وعلى جميع النبيين، فآدم أبو الأجسام الإنسانية، ومحمد ﷺ أبو الورثة من آدم إلى خاتم الأمر من الورثة، فكل شرع ظهر وكل علم إنما هو ميراث محمدي في كل زمان ورسول ونبيّ من آدم إلى يوم القيامة، ولهذا أوتي جوامع الكلم ومنها: ﴿علم الله آدم الأسماء كلها﴾ فظهر حكم الكل في الصورة الآدمية والصورة المحمدية، فهي في آدم أسماء وفي محمد ﷺ كلم، وكلمات الله سبحانه لا تنفد، وموجوداته من حيث جوهرها لا تبعد، وإن ذهبت صورها وتبدلت أحكامها فالعين لا تذهب ولا تتبدل بل وقع التبديل في العالم لما هو الحق عليه من التحول في الصور، فلو لم يظهر التبدل في العالم لم يكمل العالم فلم تبق حقيقة إلهية إلا وللعالم استناد إليها، على أن تحقيق الأمر عند أهل الكشف أن عين تبدل العالم هو عين التحول الإلهيّ في الصور، فعين كونه فيما شاء تجلى عين كونه ﴿فيما شاء ركبك﴾ ﴿فما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ فتلك على الحقيقة مشيئة الله لا مشيئتك وأنت تشاء بها، فالحياة لعين الجوهر، والموت لتبدل الصور، كل ذلك ﴿ليبلوكم﴾ بالتكليف ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ وإنما يبلوكم لتصح نسبة الاسم الخبير، فهو علم عن خبرة يعلم، ولا خبرة لإقامة حجة على من خلق فيه النزاع والإنكار، وهذا كله من تفصيل الآيات في الخطاب وفي الأعيان فهو ﴿الحكيم الخبير﴾ وهو ﴿العزيز الغفور﴾.

فلو كشف لكل أحد ما كشفه لبعض العالم لم يكن غفوراً ولا كان فضل لأحد على أحد، إذ لا فضل إلا بمزيد العلم كان بما كان، فالعالم كله فاضل مفضول فاشترك أعلى العلماء مع أنزلهم في علم الصنعة، فالعالم صنعة الله والعلم بصنعة الحياكة علم الحائك وهو صنعته وذلك في العموم أنزل العلوم وفي الخصوص علم الصنعة أرفع العلوم لأنه بالصنعة ظهر الحق في الوجود فهي أعظم دليل وأوضح سبيل وأقوم قيل ومن هنا ظهر خواص الله الأكابر في الحكم بصورة العامة فجهلت مرتبتهم فلا يعرفهم سواهم وما لهم مزية في العالم، بخلاف أصحاب الأحوال فإنهم متميزون في العموم مشار إليهم بالأصابع لما ظهر عليهم بالحال من خرق العوائد، وأهل الله اتقوا من ذلك لاشتراك غير الجنس معهم في ذلك، فأهل الله معلومون بالمقام مجهولون بالشهود لا يعرفون، كما أن الله الذي هو لأهله معلوم بالفطرة عند كل أحد مجهول عنده بالعقل والشهود، فلو تجلى له ما عرفه بل لم يزل متجلياً على الدوام لكنه غير معلوم إلا عند أهله وخاصته وهم أهل القرآن أهل الذكر الذين أمرنا الله أن نسألهم لأنهم ما يخبرون إلا عنه قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم

Marfat.com

لا تعلمون﴾ لأن أهل الذكر هم جلساء الحق، فما يخبر الذاكر الذي يشهد الله فيه أنه ذاكر له إلا عن جليسه فيخبر بالأمر على ما هو عليه وذلك هو العلم فإنه ﴿على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وهو ظهوره بصورته أي الذي أتى به من العلم عن الله فهو صفته التي بها تجلى هذا الشخص الذاكر، فعلى قدر ذكره يكون الحق دائم الجلوس معه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها في رسول الله ﷺ أنه كان يذكر الله على كل أحيانه، فأثبتت له المجالسة مع الله تعالى على الدوام، فإما علمت بذلك كشفاً، وإما أخبرها بذلك رسول الله ﷺ، وكان ذلك في جلوسه معه أنه ﴿يقص عليه من أنباء الرسل ما يثبت به فؤاده﴾ لما يرى من منازعة أمته إياه فيما جاء به عن الله، ولو لم يكن عنده بهذه المثابة وأمثالها لم يكن بينه وبين غيره من البشر فرقان فإنه تعالى معهم حيثما كانوا وأينما كانوا، فلا بد أن يكون مع الذاكرين له بمعية اختصاص، وما ثم إلا مزيد علم به يظهر الفضل، فكل ذاكر لا يزيد علماً في ذكره بمذكوره فليس بذاكر وإن ذكر بلسانه لأن الذاكر هو الذي يعمه الذكر كله فذلك هو جليس الحق، فلا بد من حصول الفائدة لأن العالم الكريم الذي لا يتصور فيه بخل لا بد أن يهب جليسه أمراً لم يكن عنده، إذ ليس هنالك بخل ينافي الجود فلم يبق إلا المحل القابل، ولا يجالس إلا ذو محل قابل فذلك هو جليس الحق، والعالم جليسهم الحق من حيث لا يشعرون، وغاية العامة إذا كانت مؤمنة أن تعلم أن الله معها، والفائدة إنما هي أن تكون أنت مع الله لا في أنه معك، فكذلك هو الأمر في نفسه، فمن كان مع الحق فلا بد أن يشهد الحق، ومن شهده فليس إلا وجود العلم عنده فهذه هي المنح الإلهية:

فالعلم أشرف ما يؤتيه من منح ... والكشف أعظم منهاج وأوضحه
فإن سألت إله الحق في طلب ... فسله كشفاً فإن الله يمنحه
وأدمن القرع أن الباب أغلقه ... دعوى الكيان وجود الله يفتحه

فكل علم لا يكون حصوله عن كشف بعد فتح الباب يعطيه الجود الإلهيّ ويبديه ويوضحه فهو شعور لا علم لأنه حصل من خلف الباب والباب مغلق وليس الباب سواك فأنت بحكم معناك ومغناك وذلك هو غلق الباب، فإنك تشعر أن خلف هذا الجسم والصورة الظاهرة معنى آخر لا تعلمه، وإن شعرت به فالصورة الظاهرة المصراع الواحد والنفس المصراع الآخر، فإذا فتحت الباب تميز المصراع من المصراع وبدا لك ما وراء الباب فذلك هو العلم فما رأيته إلا بالتفصيل لأنك فصلت ما بين المصراعين حتى تميز هذا فيك، فإن

Marfat.com

كان الباب عبارة عن حق وخلق وهو أنت وربك فالتبس عليك الأمر فلم يتميز عينك من ربك فلا تميزه ما لم يفتح الباب، فعين الفتح يعطيك المعرفة بالباب والفرق بين المصراعين فتعلم ذاتك وتعلم ربك وهو قوله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» فالشعور مع غلق الباب والعلم مع فتح الباب، فإذا رأيت العالم متهماً لما يزعم أنه به عالم فليس بعالم وذلك هو الشعور، وإن ارتفعت التهمة فيما علم فذلك هو العلم، ويعلم أنه قد فتح الباب له وأن الجود قد أبرز له ما وراء الباب، وكثير من الناس من يتخيل أن الشعور علم وليس كذلك، وإنما حظ الشعور من العلم أن تعلم أن خلف الباب أمراً ما على الجملة لا يعلم ما هو ولذلك قال تعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾ لقولهم: هو شاعر، ثم قال: ﴿وما ينبغي له إن هو﴾ يعني هذا الذي بعثناه به ﴿إلا ذكر﴾ أي أخذه عن مجالسة من الحق ﴿وقرآن مبين﴾ أي ظاهر مفصل في عين الجمع ما أخذه عن شعور، فإنه كل ما عينه صاحب الشعور في المشعور به فإنه حدس ولو وافق الأمر ويكون علماً فما هو فيه على بصيرة في ذلك، وليس ينبغي لعاقل أن يدعو إلى أمر حتى يكون من ذلك الأمر على بصيرة وهو أن يعلمه رؤية وكشفاً بحيث لا يشك فيه، وما اختصت بهذا المقام رسل الله بل هو لهم ولأتباعهم الورثة، ولا وارث إلا من كمل له الإتباع في القول والعمل والحال الباطن خاصة، فإن الوارث يجب عليه ستر الحال الظاهر، فإن إظهاره موقوف على الأمر الإلهيّ الواجب، فإنه في الدنيا فرع والأصل البطون، ولها احتجب الله في العموم في الدنيا عن عباده وفي الآخرة يتجلى عامة لعباده، فإذا تجلى لمن تجلى له على خصوصه كتجلية للجبل كذلك ما ظهر من الحال على الرسل من جهة الدلالة على صدقه ليشرع لهم والوارث داع لما قرره هذا الرسول وليس بمشرّع فلا يحتاج إلى ظهور الحال كما احتاج إليه المشرع.

فالوارث يحفظ بقاء الدعوة في الأمة عليها وما حظه إلا ذلك، حتى أن الوارث لو أتى بشرع ولا يأتي به ولكن لو فرضناه ما قبلته منه الأمة فلا فائدة لظهور الحال إذا لم يكن القبول كما كان للرسول فاعلم ذلك، فما أظهر الله عليهم من الأحوال فذلك إلى الله لا عن تعمل ولا قصد من العبد وهو المسمى كرامة في الأمة، فالذي يجهد فيه ولي الله وطالبه إنما هو فتح ذلك الباب ليكون من الله في أحواله عند نفسه على بصيرة لا أنه يظهر بذلك عند خلقه فهو على نور من ربه وثابت في مقامه لا يزلزله إلا هو، فكرامة مثل هذا النوع علمه بالله وما يتعلق به من التفصيل في أسمائه الحسنى وكلماته العليا فيعلم ما يلج في أرض طبيعته من بذر ما بذر الله فيها حين سواها وعدلها وما يخرج منها من العبارات عما فيها،

Marfat.com

والأفعال العملية الصناعية على مراتبها لأن الذي يخرج عن الأرض مختلف الأنواع وذلك زينة الأرض، فما يخرج عن أرض طبيعة الإنسان وجسده فهو زينة له من فصاحة في عبارة وأفعال صناعية محكمة، كما يعلم ما ينزل من سماء عقله بما ينظر فيه من شرعه في معرفة به وذلك هو التنزيل الإلهيّ على قلبه وما يعرج فيها من كلمه الطيب على براق العمل الصالح الذي يرفعه إلى الله كما قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وهو ما خرج من الأرض ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ وهو ما أخرجته الأرض أيضاً، فالذي ينزل من السماء هو الذي يلج في الأرض، والذي يخرج من الأرض وهو ما ظهر عن الذي ولج فيها هو الذي يعرج في السماء، فعين النازل هو عين الوالج، وعين الخارج هو عين العارج، فالأمر ذكر وأنثى ونكاح وولادة، فأعيان موجودة، وأحكام مشهودة وآجال محدودة، وأفعال مقصودة، منها ما هي مذمومة بالعرض وهي بالذات محمودة.

ثم اعلم أنّ التفصيل لا يظهر في الوجود إلا بالعمل فإن فصله العامل على تفصيله في الإجمال إجمال الحكمة فهو العمل الصالح، وإن فصله على غير ذلك بالنظر إلى تفصيل الإنسان فيه فذلك العمل غير الصالح، وأكثر ما يكون العمل غير الصالح في الذين يفصلون الأمور بالنظر العقلي لا بالإعلام الإلهي، فما فصل بالإعلام الإلهي فهو كله عمل صالح، وما فصل بالنظر العقلي فمنه صالح وغير صالح بالنسبة إلى تفصيله لا غير، والكل عمل صالح بالنسبة الى الله تعالى كما يقول إن النقص في الوجود من كمال الوجود وإن شئت قلت من كمال العالم إذا لو نقص النقص من العالم لكان ناقصاً فافهم.

واعلم أنه ما كنا نقول بالعمل غير الصالح ولا بالفساد أدباً مع العلم الإلهي وحقيقة، ولكن لما رأينا في الوضع الإلهيّ قد حذر الله من الفساد وقال: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ وقال: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا﴾ ورأينا في العرف بين العقلاء بل الناس أجمعين ذكر الفساد لذلك أقدمنا على ذكره، وإنما كنا نقول في ذلك بدل الفساد إظهار صورة وإزالة أخرى كما هو الأمر في نفسه من أجل تركيب خاص ونظام مزاج طبيعي، فأما قوله: ﴿ إن الله لا يحب المفسدين﴾ فالمراد به تغيير الحكم الإلهيّ لا تغيير العين ولا إبدال الصورة، وأما قوله: ﴿علواً في الأرض﴾ فهو أمر محقق لأن العلو لا تقبله الأرض ما دامت أرضاً لمن هي له أرض، وكل ما نراه عالياً شامخاً فيها فهو جبل ووتد ثقلها الله به ليسكن ميدها، فالجبال ليست أرضاً، فخلق الله الأرض مثل الكرة أجزاء ترابية وحجرية ضمّ الله بعضها إلى بعض، فلما خلق الله

Marfat.com

السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له مكاناً ولذلك مادت ولو بقيت الكرة ما مادت وما خلق الجبال، فخلق سبحانه الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلاً جعله لها كالمنطقة قيل أن عليه أطراف قبة السماء، وأن الزرقة التي ننسبها إلى السماء ونصفها بها فتلك اللونية لجرم السماء لبعدها عنك في الإدراك البصري كما ترى الجبال إذا بعدت عنك زرقاً وليست الزرقة لها إلا لبعدها عن نظر العين، كما ترى الجبل البعيد عن نظرك أسود فإذا جئته قد لا يكون كما أبصرته.

وقد بينا لك أن الألوان على قسمين: لون يقوم بجسم المتلوّن، ولون يحدث للبصر عند نظره إلى الجسم لأمر عارض يقوم بين الرائي والمرئي مثل هذا ومثل الألوان التي تحدث في المتلوّن باللون الحقيقي لهيئات تطرأ، فيراها الناظر على غير لونها القائم بها الذي يعرفه، وذلك مثل الشبهات في الأدلة فهي ألوان لا ألوان وحظها من الحقائق الإلهية ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وأنت لا أنت وكالعالم كله بالحقيقة هو خلق لا خلق أو حق لا حق، وكالخيال هو حس لا حس ومحسوس لا محسوس، أعني المتخيل والأرض منفعلة عن الماء المنفعل عن الهواء، فإن الهواء هو الأصل عندنا، ولذلك هو أقرب نسبة إلى العماء الذي هو نفس الرحمن، فجمع بين الحرارة والرطوبة، فمن حرارته ظهر ركن النار، ومن رطوبته ظهر ركن الماء، ومن جمود الماء كان الأرض، فالهواء ابن للنفس وهو العماء، والنار والماء ولدان للهواء، والأرض ولد الولد وهو ما جمد من الماء وما لم يجمد بقي ماء على أصله والأرض على ذلك الماء، وقد رأينا في نهر الفرات إذا جمد في الكوانين ببلاد الشمال يعود أرضاً تمشي عليه القوافل والناس والدواب والماء من تحت ذلك الجليد جار وذلك الماء على الهواء وهو الذي يمده برطوبته فيحفظ عليه عينه واستقراره عليه، فإن الهواء يجري الماء إذا تحرك، وإذا احتقن وسكن سكن الماء عليه فلا ينفذ الماء فيه، وقد رأينا ذلك في أنبوب القصب وأمثاله المنفوذ الثقب إذا ملأته ماء وسددت موضع الثقب الأعلى من الأنبوب لا يجري من أسفل الأنبوب شيء من الماء، فإذا أزلته جرى الماء فلم يعتمد ذلك الماء إلا على الهواء الساكن لسكونه وهو صورة تعم العالم كله، وإذا تموّج الهواء سمي ريحاً، والريح تنقل روائح ما تمر عليه من طيب وخبيث إلى المشام، وكذلك تنقل برودة الأشياء وحرارتها، ولذلك توصف الريح بأنها نمامة وتوصف بنقل الأخبار إلى السامعين، ولا يتلقى منها هذه الأمور التي تنم بها وتخبر عنها إلا قوّة السمع والشم إلى السامعين والشامين، وحركات الأجرام تحرك الهواء فتحدث له اسم الريح والهواء يحرك

Marfat.com

الأجرام وفيه تتحرك الأجرام، وأما الخرق فما هو إلا تفريغ أحياز عن أشياء وإشغالها بأشياء غير تلك الأشياء لأنه ما فيما عمره العالم خلاء وإنما هي استحالات صور، فصور تحدث الأمور وصور تذهب الأمور، والجوهر الذي ملأ الخلاء ثابت العين لا يستحيل إلى شيء ولا يستحيل إليه شيء.

وليس للأسماء الإلهية متعلق إلا أحداث هذه الصور واختلافها، وأما ذهابها فلنفسها، وأما ذهابها فلما تقتضيه ذات موجدها وهو علم لطيف، فإنه كلام حق من حق لكن الأفهام تختلف فيه، فإنه يقول للصور: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ فمعناه إن يشأ يشهدكم في كل زمان فرد الخلق الجديد الذي أخذ الله بأبصاركم عنه فإن الأمر هكذا هو في نفسه، والناس منه ليس إلا أهل الكشف الوجود. فإن قلت: فقد قلت ببقاء عين الجوهر. قلنا: ليس بقاؤه لعينه وإنما بقاؤه للصور التي تحدث فيه فلا يزال الافتقار منه إلى الله دائماً، فالجوهر فقره إلى الله للبقاء، والصور فقرها إلى الله لوجودها، فالكل في عين الفقر إلى الله ﴿والله هو الغني الحميد﴾ بالغنى أي المثنى عليه بصفة الغنى عن العالم.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم إضافة الأعمال إلى الخلق وهو مذهب بعض أهل النظر والخلاف في ذلك قد تقدم في هذ الكتاب وحكاية المذاهب فيه وأقوالهم. وفيه علم تعليم الحق عباده كيف يعاملونه بما يعاملونه به إذ لا تخلو نفس عن معاملة تقوم بها. وفيه علم التنبيه على حقيقة الإنسان. وفيه علم اختلاف العالم لماذا يرجع بالصورة وبالحكم. رفيه علم العناية ببعض المخلوقين وهي العناية الخاصة، وأما العناية العامة فهي الإيجاد له وفقر العالم كله إليه تعالى. وفيه علم تأثير الأعمال الخيرية في الأعمال غير الخيرية، وأعمال الشرّ في أعمال الخير، وأن القويّ من الأعمال يذهب بالأضعف، وأن العدم في الممكن أقوى من الوجود لأن الممكن أقرب نسبة إلى العدم منه إلى الوجود، ولذلك سبق بالترجيح على الوجود في الممكن، فالعدم حضرته لأنه الأسبق والوجود عارض له، ولهذا يكون الحق خلاقاً على الدوام، لأن العدم يحكم على صور الممكنات بالذهاب، والرجوع إليه رجوع ذاتي، فحكم العدم يتوجه على ما وجد من الصور، وحكم الإيجاد من واجب الوجود يعطي الوجود دائماً عين صورة بعد عين صورة، فالممكنات بين إعدام للعدم وبين إيجاد لواجب الوجود، وأما تعلق ذلك بالمشيئة الإلهية فإنه سر من أسرار الله نبه الله عليه في قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ من باب الإشارة إلى غوامض الأسرار لأولي الأفهام أنه عين كل منعوت بكل حكم من وجود أو عدم ووجوب وإمكان ومحال، فما ثم عين توصف بحكم

Marfat.com

إلا وهو ذلك العين، وهذه مسألة تضمنها هذا المنزل ولولا ذلك ما ذكرناها فإنه ما تقدم لها ذكر في هذا الكتاب ولن تراها في غيره إلا في الكتب المنزلة من عند الله كالقرآن وغيره، ومنها أخذناها بما رزقنا الله من الفهم في كلامه.

وفيه علم ما يمحو عبادة الصلاة من الأعمال التي نهى الشرع أن يعمل بها المكلف. وفيه علم تأثير المجاورة ولذلك أوصى الله تعالى بالجار، وقد أجرى الله على ألسنة العامة في أمثالهم أن يقولوا: الرفيق قبل الطريق وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أنت الصاحب في السفر**» فهو رفيقه «**والخليفة في الأهل**» فهو وكيله. ومن كمال امرأة فرعون قولها: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فقدمته على البيت وهو الذي جرى به المثل في قولهم: الجار قبل الدار وقال الله في تأثير الجوار: ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك﴾ وقال: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ ومن جاور مواضع التهم لا يلومن من نسبه إليها. وفيه علم الأمر الإلهي إذا لم ينفذ ما المانع لنفوذه وما هو الأمر الإلهي وهل له صيغة أم لا؟ وفيه علم مجازاة كل عامل دنيا وآخرة جازاه بذلك من جازاه من حق وخلق والكل جزاء الله فما في الكون إلا جزاء بالخير والشرّ. وفيه علم الفرق بين الفرق وبذلك سموا فرقاً وحكم الله الجامع والفارق وما يجتمع فيه العالم وما يفترق. وفيه علم السعادة والشقاوة وما ينقطع من ذلك وما لا ينقطع.

وفيه علم الدار الآخرة ما هي ولماذا اختصت باسم الحيوان والدنيا مثلها في هذه الصفة يدل على ذلك: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وفيه علم يعلم به أن الله لولا ما جعل المؤاخذة على الجرائم دلالة ما آخذ الله بها أحداً من خلقه جملة واحدة. وفيه علم امتياز الإمام والمأموم واختلاف مراتب الأئمة في الإمامة وكيف يكون السعيد إماماً للأشقياء وحكمه بالإمامة في الدنيا وحكمه بذلك في الآخرة، فأما في الآخرة فيعم الاتباع ولكن من الأتباع هناك ما لا يزول إلى مقر الحسنى، ومنه ما يأتيه امتناع إمامه في الدنيا فيصرف عن اتباعه في الأخرى لأن الإمام يسعد وليس ذلك المتبع المصروف من أهل السعادة فلا بد أن يحال بينه وبين إمامه. وفيه علم النصائح وممن تقبل وما حظ العقل من النصائح وما حظ الشرع منها. وفيه علم عموم ود الله ومحبته في صنعته ومصنوعاته، ولذلك عمهم بالرحمة والغفران لمن يعقل عن الله فإنه المؤمن، ومن شأن المؤمن أنه لا تخلص له معصية أصلاً لا يشوبها طاعة، كذلك الحق من كونه مؤمناً لا يمكن أن يخلص مع هذا الاسم شقاوة ما فيها رحمة هذا مما لا يتصور، فإن الرحمة بالعالم أصل ذاتي بالوجود، والشقاء أمر عارض لأن

Marfat.com

سببه عارض وهو مخالفة التكليف والتكليف عارض ولا بد من رفعه فترتفع العوارض لرفعه ولو بعد حين.

وفيه علم تغيير الحكم المشروع بتغيير الأحوال في المكلف. وفيه علم الموازين المعنوية التي توزن بها المعاني والمحسوسات وموازين الآخرة هل هي إقامة العدل بالحكم في العالم بحيث أن يعلم العالم كله أنه ما طرأ عليه جور في الحكم عليه بما حكم الله به عليه؟ أو هل هي محسوسة كالموازين المحسوسة في الدنيا لوزن الأشياء؟ وإذا كانت حاسة البصر تدرك الموازين في الآخرة المحسوسة عندها هل هي محسوسة كما يدركها الحس أو ممثلة كتمثل الأعمال فإن الأعمال أعراض وهي في الآخرة أشخاص فتعلم أنها ممثلة لأن الحقائق لا تنقلب وحقيقة من لا يقوم بنفسه مغايرة حقيقة من يقوم بنفسه فلا بد أن تكون ممثلة كما ورد في الخبر النبوي: «**إن الموت يؤتى به في صورة كبش أملح**» ولم يقل يؤتى به كبشاً أملح والموت عرض بل نسبة فلا بد أن تكون العبارة عنه كما وردت في الخبر النبوي.

وفيه علم ما هي الأولية في اليوم فإنه دائرة ولا بد للدائرة من ابتداء وانتهاء إلى ذلك الابتداء، فإن اليوم دورة واحدة للفلك الأطلس وقد انفصل بالليل والنهار بطلوع الشمس وغروبها، وأول اليوم الذي تعين بالأرض عند حركة الفلك كان بالحمل، ثم ظهر أول اليوم بطلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن لها وجود إلا في برج الحمل فإنه بيت شرفها فوجدت طالعة في برج الحمل فظهر أول اليوم والصبح آخر اليوم وما بينهما ليل ونهار وهما معلومان بالطلوع والغروب، ولذلك ما أخذ ﷻ من أخذه من الأمم إلا في آخر اليوم وذلك لاستيفاء الحركة كما يتربص بالعنين انقضاء فصول السنة، وحينئذ يفرق بينه وبين المرأة أعني زوجته لأن أسباب التأثير الإلهي المعتاد في الطبيعة قد مرت على العنين وما أثرت فيه، فدل أن العنة فيه لا تزول، فعدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل ففرق بينهما إذ كان النكاح للالتذاذ والتناسل معاً أو في حق طائفة أخرى لكذا وفي أخرى لكذا وفي حق أخرى للمجموع، وكذلك إذا انتهت دورة اليوم وقع الأخذ الإلهي في آخره.

وفيه علم تجسد الأرواح في صور الأجسام الطبيعية هل عين ذلك الروح هو عين الصورة التي ظهر فيها أو هل ذلك في عين الرائي كما ذكرناه في زرقة السماء أو هل الروح لتلك الصورة كالروح للجسم أعني النفس الناطقة وتلك الصورة صورة حقيقية لها وجود عيني لا في عين الناظر كسائر الصور الحقيقية، وهذه مسألة أغفلها كثير من الناس بل الناس كلهم فإنهم قنعوا بما ظهر لهم من صور الأرواح المجسدة فلو تروحنوا في نفوسهم وحكموا

Marfat.com

بالصور على أجسامهم وتبدلت أشكالهم وصورهم في عين من يراهم علموا عند ذلك تجسد الأرواح لماذا يرجع فإنه علم ذوق لا علم نظر فكري، وقد بينا أن كل صورة تجسدت في العالم فلا بد لها من روح مدبرة من الروح الكل المنفوخ منه في الصور، ومن علم أن الصورة المتجسدة في الأرواح إذا قتلت إن كانت حيواناً أو قطعت إن كانت نبتاً أنها تنتقل إلى البرزخ ولا بد كما ننتقل نحن بالموت وأنها إن أدركت بعد ذلك فإنما تدرك كما يدرك كل ميت من الحيوان إنسان وغير إنسان، فمن هنا أيضاً، إذا وقفت على علم هذا علمت صور الأرواح المتجسدة لماذا ترجع.

وفيه علم ما للضيف الوارد من الحق على من ورد عليه والأنفاس واردات الحق على العبد ولها حق وهي راجعة إلى من وردت منه، فلينظر بماذا يستقبلها إذا وردت وما يلزمه من الأدب معها في الأخذ لما ترد به وما يخلع عليها إذا انقلبت عنه راجعة إلى الحق. وفيه علم العادات وخرقها ودفع الشبه التي يراها الطبيعيون أنها تفعل لذاتها وما هي الطبيعة في الحقيقة ولمن ترجع الآثار الظاهرة في الكون. وفيه علم شرف الحيوان على الإنسان الحيواني وفيه علم الجبر في الاختيار. وفيه علم إدخال الحق نفسه مع الأكوان في السلوك والأحوال هل دخل معهم للحفظ أو دخل معهم لكونه العامل لما هم فيه أو دخل معهم صحبة وعناية بهم أو تقتضي ذاته ذلك الدخول معهم؟ وفيه علم العبيد والأحرار وما الأعمال التي تطلب الأجور وممن تطلب، فإن العامل ما يعمل إلا لنفسه فبماذا يستحق الأجرة من غيره.

وفيه علم أسباب التجارة التي هي مخصوصة بالحياة. وفيه علم خواص الأسماء الإلهية من حيث تركيب حروف ذلك الاسم حتى إذا ترجم بلسان آخر لم يكن له تلك الخاصية، فإنه لا فرق بين مزاج وحروف الكلمة إذا تركبت ومزاج أجسام المعدن أو النبات أو جسم الحيوان، فإن جسم الحيوان هو جسم نباتي أضيف إليه حس فقيل حيوان وفيه علم سبب إدخال الآلام واللذات على الحيوان الطبيعي وعين ما يتألم به حيوان يلتذ به حيوان آخر. وفيه علم تأثير الأضعف في الأقوى وأصل ذلك من تأثير النسب في الموجودات وهي أمور عدمية بل لا مؤثر إلا هي. وفيه علم من يعلم أنه لا يخبر إلا عن الله ويؤاخذ بما نسب ويهلك، وآخر يخبر عن نفسه وينجو، وآخر يخبر عن الله وينجو، فالهالك من يخبر عن عقد، والناجي من يخبر عن ذوق، فأهل الأذواق أهل الله والخاصة من أوليائه. وفيه علم الانقياد المنجي والانقياد المهلك. وفيه علم أشكال العالم وتشكله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل الرؤية والرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الربية وأن للكفار قدماً كما أن للمؤمنين قدماً وقدوم كل طائفة على قدمها وآتية بإمامها عدلاً وفضلاً من الحضرة المحمدية

من كان في ظلمة الأكوان كان له ... حكم العناية دون الخلق أجمعه
ونال كشف غطاء الحس من كتب ... وأبصر الكل مفتوناً بموضعه
يجري على السّنة البيضاء سيرته ... يشاهد الحق مربوطاً بمهيعه

اعلم أيدك الله بالشهود وجعلك من أهل الجمع والوجود أن الله تعالى لما جعل العرش محل أحدية الكلمة وهو الرحمن لا غيره وخلق الكرسي فانقسمت فيه الكلمة إلى أمرين، ليخلق من كل شيء زوجين، ليكون أحد الزوجين متصفاً بالعلو والآخر بالسفل، الواحد بالفعل والآخر بالانفعال، فظهرت الشفعية من الكرسي بالفعل، وكانت في الكلمة الواحدة بالقوّة، ليعلم أن الموجود الأوّل أنه وإن كان واحد العين من حيث ذاته فإن له حكم نسبة إلى ما ظهر من العالم عنه فهو ذات وجودية ونسبة، فهذا أصل شفعية العالم، ولا بد من رابط معقول بين الذات والنسبة حتى تقبل الذات هذه النسبة، فتظهر الفردية بمعقولية الرابط، فكانت الثلاثة أوّل الأفراد ولا رابع في الأصل، فالثلاثة أوّل الأفراد في العدد إلى ما لا يتناهى، والشفعية المعبر عنها بالاثنين أوّل الأزواج إلى ما لا يتناهى في العدد، فما من شفع إلا ويوتره واحد يكون بذلك فردية ذلك الشفع، وما من فرد إلا ويشفعه واحد يكون به شفعية ذلك الفرد، فالأمر الذي يشفع الفرد ويفرد الشفع هو الغني الذي له الحكم ولا يحكم عليه ولا يفتقر ويفتقر إليه فتدلت إلى الكرسي القدمان لما انقسمت فيه الكلمة الرحمانية فإن الكرسي نفسه به ظهرت قسمة الكلمة لأنه الثاني بعد العرش المحيط من صور الأجسام الظاهرة في الجوهر الأصل وهما شكلان في الجسم الكل الطبيعي، فتدلت إليه القدمان فاستقرت كل قدم في مكان ليس هو المكان الذي استقرت فيه الأخرى وهو منتهى استقرارهما، فسمى المكان الواحد جهنماً والآخر جنة، وليس بعدهما مكان تنتقل إليه

Marfat.com

هاتان القدمان، فهاتان القدمان لا يستمدان إلا من الأصل الذي منه ظهرت وهو الرحمن فلا يعطيان إلا الرحمة، فإن النهاية ترجع إلى الأصل بالحكم، غير أنه بين البدء والنهاية طريق ميز ذلك الطريق بين البداية والغاية، ولولا تلك الطريق ما كان بدء ولا غاية، فكان سفراً للأمر النازل بينهن والسفر مظنة التعب والشقاء، فهذا سبب ظهور ما ظهر في العالم دنيا وآخرة، وبرزخاً من الشقاء، وعند انتهاء الاستقرار يلقى عصا التسيار وتقع الراحة في دار القرار والبوار. فإن قلت: فكان ينبغي عند الحلول في الدار الواحدة المسماة ناراً أن توجد الراحة وليس الأمر كذلك. قلنا: صدقت ولكن فاتك نظر وذلك، أن المسافرين على نوعين: مسافر يكون سفره كإقامة بما هو فيه من الترفه من كونه مخدوماً حاصلة له جميع أغراضه في محفة محمول على أعناق الرجال محفوظ من تغير الأهواء فهذا مثله في الوصول إلى المنزل مثل أهل الجنة في الجنة، ومسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف المؤنة، إذا وصل إلى المنزل بقيت معه بقية التعب والمشقة زماناً حتى تذهب عنه ثم يجد الراحة، فهذا مثل من يتعذب ويشقى في النار التي هي منزله، ثم تعمه الرحمة التي وسعت كل شيء، ومسافر بينهما ليست له رفاهية صاحب الجنة ولا شظف صاحب النار فهو بين راحة وتعب، فهي الطائفة التي تخرج من النار بشفاعة الشافعين وبإخراج أرحم الراحمين وهم على طبقات، فلذلك يكون فيهم المتقدم والمتأخر بقدر ما يبقى معهم من التعب فنزول في النار شيئاً بعد شيء، فإذا انتهت مدته خرج إلى محل الراحة وهو الجنة إما بشفاعة شافع وإمّا بالإخراج العام وهو إخراج أرحم الراحمين، فالأنبياء والمؤمنون يشفعون في أهل الإيمان، وأهل الإيمان طائفتان: منهم المؤمن عن نظر وتحصيل دليل وهم الذين علموا الآيات والدلالات والمعجزات وهؤلاء هم الذين يشفع فيهم النبيون. ومنهم المؤمن تقليداً بما أعطاه أبواه إذ ربياه أو أهل الدار التي نشأ فيها، فهذا النوع يشفع فيهم المؤمنون كما أنهم أعطوهم الإيمان في الدنيا بالتربية. وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الأخلاق في الدنيا وإن لم يكن مؤمناً وما ثم شافع رابع، وبقي من يخرجه أرحم الراحمين وهم الذين ما عملوا خيراً قط لا من جهة الإيمان ولا بإتيان مكارم الأخلاق، غير أن العناية سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار، وبقي أهل هذه الدار الأخرى فيها فغلقت أبواب الدار وأطبقت ووقع اليأس من الخروج، فحينئذ تعم الرحمة أهلها لأنهم قد يئسوا من الخروج منها فإنهم كانوا يخافون منها الخروج لما رأوا إخراج أرحم الراحمين وهم قد جعلهم الله على مزاج يصلح لساكن تلك الدار ويتضرّر بالخروج منها كما قد بيناه، فلما

Marfat.com

يئسوا فرحوا فنعيمهم هذا القدر وهو أوّل نعيم يجدونه وحالهم فيها كما قدمناه بعد فراغ مدة الشقاء فيستعذبون العذاب فتزول الآلام ويبقى العذاب ولهذا سمي عذاباً لأن المآل إلى استعذابه لمن قام به، كما يستحلي الجرب من يحكه فإذا حكه من غير جرب وغير حاجة من يبوسة تطرأ على بعض بدنه تألم بالحك، هكذا الأمر يقتضيه حال المزاج الذي يعرض للإنسان فافهم نعيم كل دار تسعد إن شاء الله تعالى.

ألا ترى إلى صدق ما قلناه أن النار لا تزال متألمة لما فيها من النقص وعدم الامتلاء حتى يضع الجبار فيها قدمه وهي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي، والقدم الأخرى التي مستقرها الجنة قوله: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ فالاسم الرب مع هؤلاء والجبار مع الآخرين لأنها دار جلال وجبروت وهيبة، والجنة دار جمال وأنس وتنزل إلهيّ لطيف، فقدم الصدق إحدى قدمي الكرسي وهما قبضتان الواحدة للنار ولا يبالي والأخرى للجنة ولا يبالي لأنهما في المآل إلى الرحمة فلذلك لا يبالي فيهما، ولو كان الأمر كما يتوهمه من لا علم له من عدم المبالاة ما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الله نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد، فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ، إذ لو لم يكن له قدر ما عذب ولا استعد له، وقد قيل في أهل التقوى: ﴿إن الجنة أعدت للمتقين﴾ وقال في أهل الشقاء: ﴿وأعد لهم عذاباً أليماً﴾ فلولا المبالاة ما ظهر هذا الحكم، فللأمور والأحكام مواطن إذا عرفها أهلها لم يتعد بكل حكم موطنه وبهذا يعرف العالم من غير العالم، فالعالم لا يزال يتأدب مع الله ويعامله في كل موطن بما يريد الحق أن يعامله به في ذلك الموطن، ومن لا يعلم ليس كذلك، فالبقدمين أغنى وأفقر، وبهما أمات وأحيا، وبهما أهل وأقفر، وبهما ﴿خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ وبهما أذل وأعز وأعطى ومنع وأضرّ ونفع، ولولاهما ما وقع شيء في العالم مما وقع، ولولاهما ما ظهر في العالم شرك فإن القدمين اشتركتا في الحكم في العالم، فلكل واحدة منهما دار تحكم فيها، وأهل تحكم فيهم بما شاء الله من الحكم، وقد أومأنا إليه وإلى تفاصيله، فإن الأحكام كالحدود تتغير بتغير الموجب لها، فالمحدود في الافتراء يحد بحد لا يقام فيه إذا قتل بل يتولاه حد آخر خلاف هذا، والمفتري هو القاتل عينه فتغيرت الحدود عليه لتغير الموجب لها فافهم، فكذلك أحوال الأحكام الإلهية تتغير لتغير المواطن، فالعناية الكبرى التي لله بالعالم كون استوائه على العرش المحيط بالعالم باسمه الرحمن ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ ولذلك ﴿هو أرحم الراحمين﴾ لأن الرحماء في العالم لولا رحمته ما كانوا رحماء فرحمته أسبق.

Marfat.com

ولما كانت القدمان عبارة عن تقابل الأسماء الإلهية مثل: ﴿الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ ومثل ذلك ظهر عنها في العالم حكم ذلك في ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ والجلال والجمال، والقرب والبعد، والهيبة والأنس، والجمع والفرق، والستر والتجلي، والغيبة والحضور، والقبض والبسط، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، كما أن بالواحد كان لكل معلوم أحدية يمتاز بها من غيره، كما أن عن الفردية وهي الثلاثة ظهر حكم الطرفين والواسطة وهي البرزخ والشيء الذي هو بينهما كالحار والبارد والفاتر، وعن الفردية ظهرت الأفراد، وعن الاثنين ظهرت الأشفاع، ولا يخلو كل عدد أن يكون شفعاً أو وتراً إلى ما لا يتناهى التضعيف فيه والواحد يضعفه أبداً، فبقوة الواحد ظهر ما ظهر من الحكم في العدد ﴿والحكم لله الواحد القهار﴾ فلولا أنه سمى بالمتقابلين ما تسمى بالقهار لأنه من المحال أن يقاومه مخلوق أصلاً، فإذا ما هو قهار إلا من حيث أنه تسمى بالمتقابلين فلا يقاومه غيره فهو المعز المذل فيقع بين الاسمين حكم القاهر والمقهور بظهور أحد الحكمين في المحل، فلذلك هو الواحد من حيث أنه يسمى القهار من حيث أنه يسمى بالمتقابلين ولا بد من نفوذ حكم أحد الاسمين، فالنافذ الحكم هو القاهر والقهار من حيث أن أسماء التقابل له كثيرة، كما ذكرناها من المحيي والمميت والضارّ والنافع وما أشبه ذلك، ومن هاتين القدمين ظهر في النبوّة المبعوث وغير المبعوث، وفي المؤمنين المؤمن عن نظر وعن غير نظر فحكمهما سار في العالم، فقد بان لك الأمر، فلا ينهتك الستر كما يحكمك الشفع، كذا يحكمك الوتر.

وأما معرفة الحجاب والرؤية وهما من أحكام القدمين وإن كان حكم الرؤية باقياً إلا أن متعلقها الحجاب فهي ترى الحجاب فما زال حكمها فما ثم قاهر لها ولا مضاد إلا أن الرائي له عرض في متعلق خاص إذا لم تتعلق رؤيته به هناك يظهر حكم الحجاب فالغرض هو المقهور لا الرؤية، فمن أراد أن يزول عنه حكم القهر فليصحب الله بلا غرض ولا تشوف بل ينظر كل ما وقع في العالم وفي نفسه يجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضى، فلا يزال من هذه حاله مقيماً في النعيم الدائم لا يتصف بالذلة ولا بأنه مقهور فتدركه الآلام لذلك وعزيز صاحب هذا المقام وما رأيت له ذائقاً، لأنه يجهل الطريق إليه، فإن الإنسان لا يخلو نفساً واحداً عن طلب يقوم به لأمر ما، وإذا كانت حقيقة الإنسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولاً غير معين إلا من جهة واحدة وهو أن يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم في نفسه أو في غيره، فما وقعت عليه عينه أو تعلق به سمعه أو

Marfat.com

وجده في نفسه أو عامله به أحد فليكن ذلك عين مطلوبه المجهول قد عينه له الوقوع، فيكون قد وفى حقيقة كونه طالباً وتحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو في غيره، فإن اقتضى ذلك الواقع التغيير له تغير لطلب الحق منه التغير وهو طالب الواقع والتغير هو الواقع وليس بمقهور فيه بل هو ملتذ في تغييره كما هو ملتذ في الموت للتغير، وما ثم طريق إلى تحصيل هذا المقام إلا ما ذكرناه، فلا نقل كما قال من جهل الأمر فطلب المحال فقال: أريد أن لا أريد، وإنما الطلب الصحيح الذي تعطيه حقيقة الإنسان أن يقول: أريد ما تريد.

وأما طريقتها في العموم فسهل على أهل الله وذلك أن الإنسان لا يخلو من حاله يكون عليها ويقوم فيها عن إرادة منه وعن كره بأن يقام فيها من غير إرادة، ولا بد أن يحكم لتلك الحال حكم شرعي يتعلق بها فيقف عند حكم الشرع فيريد ما أراده الشرع فيتصف بالإرادة لما أراد الشرع خاصة فلا يبقى له غرض في مراد معين وكذلك من قال: إن العبد ينبغي أن يكون مع الله بغير إرادة لا يصح وإنما يصح لو قال: إن العبد من يكون متعلق إرادته ما يريد الحق به إذ لا يخلو عن إرادة، فمن طلب رؤية الحق عن أمر الحق فهو عبد ممتثل أمر سيده، ومن طلب رؤية الحق عن غير أمر الحق فلا بد أن يتألم إذا لم يقع له وجدان لما تعلقت به إرادته فهو الجاني على نفسه، فإن خالق الأشياء والمرادات والحوادث يحكم ولا يحكم عليه، فليكن العبد معه على ما يريده فإنه يحوز بهذا الراحة المعجلة في الدنيا، وقد ورد في الأخبار الإلهية: «يا عبدي أريد وتريد ولا يكون إلا ما أريد» فهذا تنبيه على دواء إذا استعمله الإنسان زال عنه الألم الذي ذكرناه، ولذلك ورد في الإلهيات عن كعب الأحبار أن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وهو موضع إرادة العبد وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم، وهذا أيضاً دواء وأما قوله تعالى: ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ فهو عزاء أفاد علماً ليثبت به العبد في القيامة حكماً فهو تلقين حجة ورحمة من الله وفضل.

واعلم أنه كل ما ينال بسعاية فليس فيه امتنان، والطلب سعاية والرؤية امتنان فلا يصح أن يطلب، فإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليست هي الرؤية على الحقيقة الحاصلة عن الطلب فإن مطلوبه من المرئي أن يراه إنما هو أن يراه على ما هو له وهو لا يتجلى له إلا في صورة علمه به لأنه إن لم يكن كذلك أنكره، فما تجلى له إلا في غير ما طلب فكانت الرؤية إحساناً، فإنه ما جاءه عين ما طلب وهو يتخيل أن ذلك عين ما طلب وليس هو، فإذا

Marfat.com

وقع له الالتذاذ بما رآه وتخيل أنه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب، فكان ذلك التجلي أيضاً امتناناً إلهياً أعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله، فإذا فهمت ما ذكرته لك علمت أن رؤية الله لا تكون بطلب ولا تنال جزاء كما تنال النعم بالجنان، وهذه مسألة ما في علمي أن أحداً نبه عليها من خلق الله إلا الله، مع أن رجال الله يعلمونها وما نبهوا عليها لتخيلهم أن هذه المسألة قريبة المأخذ سهلة المتناول أو وقوعها من المحال لا بد من أحد الحكمين، فإن الله ما سوى بين الخلق في العلم به فلا بد من التفاضل في ذلك بين عباد الله، فإن المعتزلي يمنع الرؤية، والأشعري يجوزها عقلاً ويثبتها شرعاً في مقتضى نظره، والفيلسوف ينفيها عقلاً إذ لا قدم له في الشرع والإيمان، وأهل الله يثبتونها كشفاً وذوقاً، ولو كان قبل الكشف ما كان فإن الكشف يرده لما أعطاه ما يبقيه على ما كان عليه إلا إن كان ممن يقول بما جاء به أهل الكشف فإنه لا يتغير عليه الحال إلا بقدر ما بين العلم ورؤية المعلوم، واعلم أن الله من حيث نفسه له أحدية الأحد، ومن حيث أسماؤه له أحدية الكثرة:

إنمـــا اللَّـــه إلـــه واحـــد ... ودليلـي قـل هـو اللَّـه أحـد
فـإذا مـا تهـت فـي أسمـائـه ... فاعلم أن التيه من أجل العدد
يـرجـع الكـل إليـه كلمـا ... قـرأ القـارىء أللَّـه الصمـد
لـم يلـد حقـاً ولـم يـولـد ولـم ... يـك كفـواً لـلإلـه مـن أحـد
فيحـار العقـل فيـه عنـدمـا ... يغلـب الـوهـم عليه بـالمـدد
ثـــم يـــأتيـــه مشـــداً أزل ... جـاء فـي الشـرع ويتلـوه أبـد
وبنـا كـان لـه الحكـم بـه ... فـإذا زلنـا فكـون ينفـرد

وهذا هو السبب الموجب لطلب تجليه تعالى في الصور المختلفة وتحوله فيها لاختلاف المعتقدات في العالم إلى هذه الكثرة، فكان أصل اختلاف المعتقدات في العالم هذه الكثرة في العين الواحدة، ولهذا وقع الإنكار من أهل الموقف عند ظهوره وقوله: ﴿أنا ربكم﴾ فلو تجلى لهم في الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها ما أنكره أحد، فبعد وقوع الإنكار تحول لهم في الصورة التي أخذ عليهم فيها الميثاق فأقرّوا به لأنهم عرفوه ولهم إدلال إقرارهم، وأما تجليه تعالى في الكثيب للرؤية فهنالك يتجلى في صور الاعتقادات لاختلافهم في ذلك في مراتبهم ولم يختلف في أخذ الميثاق فذلك هو التجلي العام للكثرة، وتجلي الكثيب هو المتجلي العام في الكثرة، والتجلي الذي يكون من الله لعبده وهو في ملكه

Marfat.com

هو التجلي الخاص الواحد للواحد، فرؤيتنا إياه في يوم المواقف في القيامة يخالف رؤيتنا إياه في أخذ الميثاق، ويخالف رؤيتنا إياه في الكثيب، ويخالف رؤيتنا إياه ونحن في ملكنا وفي قصورنا وأهلينا، فمنه كان الخلاف الذي حكم علينا به في القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ وقوله: ﴿إلا من رحم ربك﴾ فهم الذين عرفوه في الاختلاف فلم ينكروه فهم الذين أطلعهم الله على أحدية الكثرة وهؤلاء هم أهل الله وخاصته، فقد خالف المرحومون بهذا الأمر الذي اختصهم الله به من سواهم من الطوائف، قد خلوا بهذا النعت في حكم قوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ لأنهم خالفوا أولئك وخالفهم أولئك، فما أعطانا الاستثناء إلا ما ذكرناه، فكان سبحانه أوّل مسألة خلاف ظهر في العالم لأن كل موجود في العالم أوّل ما ينظر في سبب وجوده لأنه يعلم في نفسه أنه لم يكن ثم كان بحدوثه لنفسه، واختلفت فطرهم في ذلك فاختلفوا في السبب الموجب لظهورهم ما هو فلذلك كان الحق أوّل مسألة خلاف في العالم.

ولما كان أصل الخلاف في العالم في المعتقدات وكان السبب أيضاً وجود كل شيء من العالم على مزاج لا يكون للشيء الآخر لهذا كان مآل الجميع إلى الرحمة لأنه خلقهم وأظهرهم في العماء وهو نفس الرحمن، فهم كالحروف في نفس المتكلم في المخارج وهي مختلفة، كذلك اختلف العالم في المزاج والاعتقاد مع أحديته أنه عالم محدث، ألا تراه قد تسمى بالمدبر المفصل فقال عزّ وجلّ: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ وكل ما ذكرناه آنفاً هو تفصيل الآيات فيه وفينا ودلالة عليه وعلينا وكذلك نحن أدلة عليه وعلينا، فإن أعظم الدلالات وأوضحها دلالة الشيء على نفسه، والتدبر من الله عين التفكر في المفكرين منا، فبالتدبر تميز العالم بعضه من بعض ومن الله، وبالتفكر عرف العالم ذلك، ودليله الذي فكر فيه هو عين ما شاهده من نفسه ومن غيره ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم﴾ أن ذلك المرئي ﴿هو الحق﴾:

إن التدبر مثل الفكر في الحدث	وفي المهيمن تدبير بلا نظر
فأخلص الفكر إن الفكر مهلكة	به يفرق بين اللّه والبشر

فتحقق ما أوردناه في هذا الباب وما أبان الحق في هذا المنزل من علم الرؤية تنتفع بذلك في الدنيا إن كنت من أهل الشهود والجمع والوجود وفي الآخرة وتنتظم في سلك من استثنى الله كقوله: ﴿إلا من رحم ربك﴾ فإن فهم العامة فيه خلاف فهم خاصة الله وأهله وهم

Marfat.com

أهل الذكر لأنهم فهموه على مراد الله فيه أعطاهم ذلك الأهلية، فثم عين تجمع وعين تفرق في عين واحدة سواء ذلك في جانب الحق أو جانب الخلق ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

وفي هذا المنزل من العلوم علم أصناف الكتب المنزلة والعلم بكل واحد منها بحسب الاسم الدال عليه، فمن هناك تعرف رتبة ذلك الكتاب وإن كان كل اسم لكتاب صالحاً لكل كتاب لأنه اسم صفة فيه ولكن ما اختص بهذا الاسم وحده على التعيين إلا لكونه هو فيه أتم حكماً من غيره من الأسماء كقوله عليه السلام: «**أقضاكم عليّ وأفرضكم زيد وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**» وقد ذكرنا الكتب وأسماءها في هذا الكتاب أعني طرفاً من ذلك في منزل القرآن، وفي كتاب مواقع النجوم في عضو اللسان، فإن الله تعالى لما أشار إلينا في القرآن العزيز إلى ما أنزله علينا تارة أوقع الإشارة إلى عين الكتاب فقال: ﴿ذلك الكتاب﴾ وتارة أشار إلى آياته وقال: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ فتارة ترك الإشارة وذكر الكتاب من غير إشارة ولكل حكم من هذه الأحكام فهم منا يخصه لا بد من ذلك. وفيه علم الفرق بين السحر والمعجزة. وفيه علم ما للناس عند الله من حيث ما قام بهم من الصفات فيعلم من ذلك منزلته من ربه فإن الله ينزل على عبده منه حيث أنزل العبد ربه من نفسه، فالعبد أنزل نفسه من ربه فلا يلومن إلا نفسه إذا رأى منزلة غيره تفوق رفعة منزلته هذا هو الخسران المبين حيث كان متمكناً من ذلك فلم يفعل، ولذلك كان يوم القيامة يقال فيه يوم التغابن فإنه يوم كشف الغطاء وتتبين الأمور الواقعة في الدنيا ما أثمرت هنالك فيقول الكافر وهو الجاهل: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ لعلمه أنه كان متمكناً من ذلك فلم يفعل فعذابه ندمه وما غبن فيه نفسه أشد عليه من أسباب العذاب من خارج وهذا هو العذاب الأكبر.

وفيه علم الاستدلال على الله بماذا يكون هل بالله أو بالعالم أو بما فيه من النسب؟ وفيه علم فائدة اختلاف الأنوار حتى كان منها الكاشف ومنها المحرق. وفيه علم مقادير الحركات الزمانية وحكم اسم الدهر عليها وهو اسم من أسماء الله تعالى. وفيه علم اختلاف الآيات لاختلاف صفات الناظرين فيها. وفيه علم ما يذم من الغفلة وما يحمد. وفيه علم الأسباب الموجبة لما يؤول إليه من أثرت فيه في الآخرة. وفيه علم ما تكلم به أوّل إنسان في نشئه وهو ﴿الحمد لله﴾ وهو آخر دعواهم ﴿أن الحمد لله﴾ فبدأ العالم بالثناء وختم بالثناء فأين الشقاء المسرمد حاشا الله أن يسبق غضبه رحمته فهو الصادق أو يخصص اتساع رحمته بعدما أعطاها مرتبة العموم حكاية في هذا: اجتمع سهل بن عبدالله بإبليس فقال له إبليس في

Marfat.com

مناظرته إياه: إن الله تعالى يقول: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وكل تعطي العموم وشيء أنكر النكرات فأنا لا أقطع يأسي من رحمة الله، قال سهل: فبقيت حائراً ثم أني تنبهت في زعمي إلى تقييدها فقلت له: يا إبليس إن الله قيدها بقوله: ﴿فسأكتبها﴾ قال فقال لي: يا سهل التقييد صفتك لا صفته، فلم أجد جواباً له على ذلك.

وفيه علم ما يحمد من التأني والتثبط وما يذم، وعلم ما يحمد من العجلة في الأمور وما يذم. وفيه علم الرجوع إلى الله عن القهر إذا رجع مثله إليه بالإحسان وهل يستوي الرجوعان أم لا يستويان؟ وهذه مسألة حار فيها أهل الله أعني في رجوع الاضطرار ورجوع الاختيار، إذ كان في الاختيار رائحة ربوبية والاضطرار كله عبودية، فهذا سبب الخلاف في أي الرجوعين أتم في حق الإنسان. وفيه علم المحاضرات والمناظرات في مجالس العلماء بينهم وأن ذلك كله من محاضرات الأسماء الإلهية بعضها مع بعض، ثم ظهر ذلك في الملأ الأعلى إذ يختصمون مع شغلهم بالله، وأنهم عليهم السلام في تسبيحهم لا يفترون ولا يسأمون فهل خصومتهم من تسبيحهم كما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه مع كونه كان يتحدث مع الأعراب في مجالستهم ومع أهله فهل كل ذلك هو ذكر الله أم لا؟ وأما اختلاف من خلق من الطبائع فغير منكور لأن الطبائع متضادة فكل أحد يدرك ذلك ولا ينكر المنازعة في عالم الطبيعة وينكرونها فيما فوق الطبيعة، وأما أهل الله فلا ينكرون النزاع في الوجود أصلاً لعلمهم بالأسماء الإلهية وأنها على صورة العالم بل الله أوجد العالم على صورتها لأنها الأصل، وفيها المقابل والمخالف والموافق والمساعد.

وفيه علم الفرق بين من كان معلمه الله ومن كان معلمه نظره الفكري ومن كان معلمه مخلوق مثله، فأما صاحب نظر فيلحق بمعلمه، وأما صاحب إلقاء إلهيّ فيلحق بمعلمه ولا سيما في العلم الإلهيّ الذي لا يعلم في الحقيقة إلا بإعلامه فإنه يعز أن يدرك بالإعلام الإلهيّ فكيف بالنظر الفكري؟ ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن التفكر في ذات الله، وقد غفل الناس عن هذا القدر فما منهم من سلم من التفكر فيها والحكم عليها من حيث الفكر، وليس لأبي حامد الغزالي عند نازلة بحمد الله أكبر من هذه، فإنه تكلم في ذات الله من حيث النظر الفكري في المضنون به على غير أهله وفي غيره ولذلك أخطأ في كل ما قاله وما أصاب، وجاء أبو حامد وأمثاله في ذلك بأقصى غايات الجهل وبأبلغ مناقضة لما أعلمنا الله به من ذلك واحتاجوا لما أعطاهم الفكر خلاف ما وقع به الإعلام الإلهيّ إلى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على جانب إعلام الله عن نفسه ما ينبغي أن ينسب إليه، وكيف ينبغي أن ينسب

Marfat.com

إليه تعالى؟ فما رأيت أحداً وقف موقف أدب في ذلك إلا خاض فيه على عماية إلا القليل من أهل الله لما سمعوا ما جاءت به رسله صلوات الله عليهم فيما وصف به نفسه وكلوا علم ذلك إليه ولم يتأوّلوا حتى أعطاهم الله الفهم فيه بإعلام آخر أنزله في قلوبهم فكانت المسألة منه تعالى وشرحها منها تعالى فعرفوه به لا بنظرهم، فالله يجعلنا من الأدباء الأمناء والأتقياء الأبرياء الأخفياء الذين اصطفاهم الحق لنفسه وخبأهم في خزائن العادات في أحوالهم.

وفيه علم قول المبلغ عن الله تعالى قولاً بلغه عن الله لو قاله عن نفسه على مجرى العرف فيه لكان راداً على نفسه بما ادعاه أنه جاء به من عند الله، فلما قاله عن أمر الله عرف بالأمر الإلهيّ معنى ذلك وهو قول الإنسان إذا أمر بالخير أحداً من خلق الله من سلطان أو غيره فيجني عليه ذلك الأمر بالخير ممن أمره به ضرراً في نفسه إما نفسياً وإما حسياً أو المجموع، فإن الراد له والضار عليه استهانة بالله وهو أشد ما يمشي على الداعي إلى الله لأنه على بصيرة من الله فيما دعا إليه من الخير فيقول عند ذلك: ليتني ما دعوته إلى شيء من هذا لما طرأ عليه من الضرر في ذلك فهي مزلة العارفين إذا قالوا مثل ذلك، فإن الله يقول: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فإذا قالها العبد عن أمر الله مثل قوله تعالى إذ قال لنبيه عليه السلام: ﴿قل﴾ فأمره ﴿لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ ولكنه شاء فتلوته عليكم وأدراكم به يقول فهمكم إياه فعلمتم أنه الحق كما قال: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ فإذا قالها الوارث أو من قالها على هذا الحد فهو معرف معلم ما هو الأمر عليه ولهذا أمر الله بقول مثل هذا، وكثير ما يقع من الناس العتب على أهل الله إذا أمروا بخير يعقبهم ذلك ضرراً في أنفسهم محسوساً، وذلك لا يقع من مؤمن ولا من قائل عن كشف، فإن الرسول عليه السلام قيل له ﴿ما عليك إلا البلاغ﴾ وقيل له: ﴿بلغ ما أنزل إليك﴾ وكذلك يجب على الوارث، فكيف يصح منه الندم على فعل ما يجب عليه فعله لضرر قام به أو شفقة على من لم يسمع حيث زاد في شقائه لما أعلمه حين لم يصغ إلى ذلك؟ وهذا كله حديث نفس والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فلا يصرفنك عن ذلك صارف، ولقد رأيت قوماً ممن يدعي أنه من أهل هذا الشأن إذا ردّ عليهم في وجوههم ما جاؤوا به عن الحق انقبضوا وقالوا: فضولنا أدّانا إلى ذلك، ولو شاء الله ما تكلمنا بشيء من هذا مع أمثال هؤلاء ونحن جنينا على أنفسنا وقد تبنا وما نرجع نقول مثل هذا القول عند أمثال هؤلاء ويظهرون الندم على ذلك، وهذا كله جهل منهم بالأمر ودليل قاطع على أنه ليس بمخبر عن الله ولا أوصل شيئاً من ذلك عن إذن إلهي في ذلك، فإن

Marfat.com

المخبر عن الله لا يرى في باطنه إلا النور الساطع سواء قبل قوله أو ردّ أو أوذي، والمتكلم عن نفسه وإن قال الحق أعقبه إذا ردّ عليه ندم وضيق وحرج في نفسه وجعل كلامه فضولاً فردّ الحق الواجب فضولاً فهذا جهل على جهل، فالنصيحة لعباد الله واجبة على كل مؤمن بالله، ولا يبالي ما يطرأ عليه من الذي ينصحه من الضرر فإن الله يقول في الورثة: ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ وهذا القول عطف على قوله: ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ ذكر ذلك في معرض الثناء عليهم، وذم الذين لم يصغوا إلى ما بلغ الرسول ولا الوارث إليهم، وأية فرحة أعظم ممن يفرح بثناء الله عليه ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾.

وفيه علم الصفات التي يتميز بها أهل الاستحقاق حتى يوفيهم حقوقهم من تعين ذلك عليه، ومن الحقوق من يقتضي الثناء الجميل على من لا يوفيه حقه من ذلك كالمجرم المستحق للعذاب بإجرامه فيعفي عنه فهذا حق قد أبطل وهو محمود، كما أن الغيبة حق وهي مذمومة، ومن عرف هذا عرف الحق ما هو وفرق بينه وبين الصدق، وعلم عند ذلك أن الغيبة ليست بحق وأنها صدق، ولهذا يسأل الصادق عن صدقه ولا يسأل ذو الحق إذا قام به، فالغيبة والنميمة وأشباههما صدق لا حق، إذ الحق ما وجب والصدق ما أخبر به على الوجه الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقاً وقد لا يجب ويكون صدقاً لا حقاً، فلهذا يسأل الصادق عن صدقه إن كان وجب عليه نجا وإن كان لم يجب عليه بل منع من ذلك هلك فيه، فمن علم الفرق بين الحق والصدق تعين عليه أن يتكلم في الاستحقاق. وفيه علم ما ينتج من ذل لغير الله على إنزاله منه منزلة ربه جهلاً منه به فإن ذل للصفة من غير اعتبار المحل كان له في ذلك الذل حكم آخر.

وفيه علم ما يحكم على الله ﴿وهو خير الحاكمين﴾ ومن هنا تعلم أن صفاته لو كانت زائدة على ذاته كما يقوله المتكلم من الأشاعرة لحكم على الذات ما هو زائد عليها ولا هو عينها، وهذه مسألة زلت فيها أقدام كثيرين من العلماء وأضلهم فيها قياس الشاهد على الغائب أو طرد الدلالة شاهداً وغائباً وهذا غاية الغلط، فإن الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير أن يعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك، فلا تطرد الدلالة في نسبة أمر إلى شيء من غير أن تعرف حقيقة ذلك المنسوب إليه. وفيه علم أن الله لا يجوز لأحد من المخلوقين التحكم عليه ولو بلغ من المنزلة ما بلغ إلى أن يأمره بذلك فيحكم عليه بأمره فيما يجوز له أن يوجبه على نفسه إن كان من العالم بخلاف الحق

Marfat.com

فإن المكلف تحت الحجر، فلو أوجب على نفسه فعل ما حرم عليه فعله لم يجز له ذلك وكان كفارة ما أوجبه كفارة يمين فلم يخل عن عقوبة وإن لم يفعل ما أوجبه إذ لم يجز له ذلك، ولا كفارة على من أوجب على نفسه فعل ما أبيح له فعله ولا مندوحة له إلا أن يفعله ولا بد. وفيه علم المكر الخفي وتعجيل الجزاء عليه. وفيه علم موجب الاضطرار في الاختيار وما ينفع الاضطرار. وفيه علم الأسباب التي تنسي العالم بأمر ما يقتضيه حكم ذلك العلم من العمل وهي كثيرة.

وفيه علم الحسرة وهو أن أحداً لا يؤاخذه على ما جناه سوى ما جناه فهو الذي آخذ نفسه فلا يلومن إلا نفسه ومن اتقى مثل هذا ﴿فقد فاز فوزاً عظيما﴾ وبهذا تقوم الحجة لله على خلقه، وأنه إذا تكرم عليهم بعدم تسليطهم عليهم وعفا وغفر وجب له الثناء بصفة الكرم والإحسان. وفيه علم دعوة الله عباده لماذا يدعوهم هل إلى عمل ما كلفهم أو إلى ما ينتجه عمل ما كلفهم في الدار الآخرة، وأن الله ما كلف عباده ولا دعاهم إلى تكليف قط بغير واسطة، فإنه بالذات لا يدعو إلى ما فيه مشقة لهذا اتخذ الرسل عليهم الصلاة والسلام وقال جل ثناؤه: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾. وفيه علم الجزاء الوفاق وإذا أعطى ما هو خارج عن الجزاء فذلك من الاسم الواهب والوهاب. وفيه علم العذاب المتخيل. وفيه علم تذكر العالم ما كان نسيه إذ كان لم يعمل به فإن العالم بالعلم هو المنشىء صورته فمن المحال أن ينساه. وفيه علم حسن التعليم إذ ما كل معلم يحسن التعليم. وفيه علم التأسي بالله كيف يكون وهو المطلق في أفعاله وأنت المقيد. وفيه علم البحث والحث على العمل بالأولى والأوجب. وفيه علم الفرق بين العلم والظن أعني غلبة الظن. وفيه علم العصمة والاعتصام.

وفيه علم ما يقال للمعاند إذا لم يرجع إلى الحق وهو ما يرجع إلى علم الإنصاف. وفيه علم ما يعلم به أن أفعال العباد أفعال الحق لكن تضاف إلى العباد بوجه وإلى الحق بوجه، فإن الإضافة في اللسان في اصطلاح النحاة محضة وغير محضة، ومن الأفعال ما هي محضة لله إذا أضيفت إليه، ومنها غير محضة لما فيها من الاشتراك فلم تخلص، فالعبودية لله خالصة ومأمور بتخليصها كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وهو ما تعبدهم به، وقوله: ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ وهو ما تعبده به في هذا الموضع، وقوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ كلمة تحقيق، فإن الناس لا يملكون شيئاً حتى يكون من يأخذ منهم بغير وجه حق غاصباً فكل ما يقال فيه أنه ملك لهم فهو ملك لله

Marfat.com

ومن ذلك أعمالهم، ثم قال: ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ فكنى سبحانه عن نفسه بأنفسهم لما وقع الظلم في العالم وقيل به فكأنه قال: ولكن نفسه يظلم إن كان هذا ظلماً ولا بد والمالك لا يظلم نفسه في ملكه، فلو كان ما عند الناس ملك لهم ما حجر الله عليهم التصرّف فيه ولا حد لهم فيه حدوداً متنوعة، فهذا يدلك على أن أفعال المكلف ما هي له وإنما هي لله، فالظلم إلى الحقيقة في الناس دعواهم فيما ليس لهم أنه لهم فما عاقبهم الله إلا على الدعوى الكاذبة.

وفيه علم إدراج الكثير في القليل حتى يقال فيه أنه قليل وهو كثير في نفس الأمر. وفيه علم الآجال في الأشياء ومعنى قوله: ﴿لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون﴾ على تلك الساعة. وفيه علم من ادّعي عليه بدعوى كاذبة يعلم المدعى عليه أن المدعي كاذب ولم يقم له بينة فوجب عليه اليمين فهو مأمور من الله بأن يحلف وليس له أن يرد اليمين على المدعي ولا أن ينكل عن اليمين فيعطيه ما ادّعى عليه فيكون معيناً له على ظلمه لنفسه وأنه في اليمين قد أحرز نفس صاحبه أن يتصرّف فيما ظلمه فيه بما ادعاه فيستصحبه الإثم ما دام يتصرّف فيه واليمين مانعة من ذلك ولم يبق على المدعي من الإثم إلا إثم اليمين خاصة فإن إثم كذبه في دعواه أزاله الحلف وعاد وبال الحلف الكاذب عليه، فهو بمنزلة لو حلف كاذباً فيعود عليه إثم من حلف لو كان في يمينه كاذباً كرجل ادّعى على رجل مثلاً بمائة دينار وهو كاذب في دعواه ولم تقم له بينة تصدق دعواه فأوجب الحاكم اليمين على المدعى عليه فإن ردّ المدعى عليه اليمين على المدعي وكان الحاكم ممن يرى ذلك وإن كان لا يجوز عندنا فهذا المدعى عليه ما نصح المدعي وهو مأمور بالنصيحة، فإن حلف المدعي بحكم القاضي فإن عليه إثم الحلف الفاجرة وعلى المدعى عليه إثم ظلمه للحالف فإنه الذي جعله يحلف وليس على الحاكم إثم فإنه مجتهد فغايته أن يكون مخطئاً في اجتهاده فله أجر، فإن قام المدعى عليه فأعطى المدعي ما ادّعاه عليه تضاعف الإثم على المدعى عليه لأنه مكنه من التصرّف في مال لا يحل له التصرّف فيه ولا يزال الإثم على المدعي ما دام يتصرّف في ذلك المال وفيما ينتجه ذلك المال ولا يزال الإثم على المدعى عليه كذلك من حيث أنه أعان أخاه على الظلم ولم يكن ينبغي له ذلك، ومن حيث أنه عصى أمر الله بترك اليمين فإن الله أوجب اليمين عليه، فلو حلف عمل بما أوجب الله عليه فكان مأجوراً ونوى تخليص المدعي من التصرّف في الظلم فله أجر ذلك ولم يبق على المدعي بيمين المدعى عليه إلا إثم يمينه خاصة، فعلى المدعي إثم يمين كاذبة وهي اليمين الغموس، وهذه مسألة في الشرع لطيفة لا ينظر إليها

Marfat.com

بهذا النظر إلا من استبرأ لدينه وكان من أهل الله فإنه يحب للناس ما يحب لنفسه، فلا يعين أخاه على ظلم نفسه إذا أراد ذلك.

وفيه علم ما يذم من القدح وما يحمد. وفيه علم المراقبة والحضور وأنهما من أبواب العصمة والحفظ الإلهيّ وتحصيل العلم النافع. وفيه علم صفات أهل البشرى وأنواع المبشرات وحيث يكون وما يسوء منها وما يسر. وفيه علم ما يظهر على من اعتز بالله من العزة والوقاية والحماية الإلهية. وفيه علم من لم يعمل بما سمع مما يجب عليه العمل به ما سببه الذي منعه من ذلك، وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الله قد تفضل عليه أو يكون حكمه من علم فلم يعمل فعاقبه الله فيكون الله قد عدل فيه فإنه يقول: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا﴾ فإنهم سمعوا حقيقة وفهموا فإنه خاطبهم بلسانهم فقال تعالى: ﴿وهم لا يسمعون﴾ أي حكمهم حكم من لم يسمع عندنا مع كونهم سمعوا وما قال تعالى بماذا يحكم فيهم وإن كان غالب الأمر من قرائن الأحوال العقوبة، ولكن الإمكان لا يرتفع في نفس الأمر لما يعرف من فضل الله وتجاوزه عن سيئات أمثال هؤلاء فافهم.

وفيه علم ما يعطي الله المتوكل في قلبه إذا توكل على الله حق توكله. وفيه علم الخلافة الإلهية. وفيه علم أسباب الطبع على القلوب المؤدي إلى الشقاء. وفيه علم طلب إقامة البينة من المدعي ويتضمن هذا العلم قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ ولم يقل حتى نبعث شخصاً فلا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه إليه فلا بد من إقامة الدلالة البينة الظاهرة عند كل شخص شخص ممن بعث إليهم فإنه رب آية يكون فيها من الغموض أو الاحتمال بحيث أن لا يدرك بعض الناس دلالتها، فلا بد أن يكون للدليل من الوضوح عند كل من أقيم عليه حتى يثبت عنده أنه رسول، وحينئذ إن جحد بعد ما تيقن تعينت المؤاخذة، ففي هذه الآية رحمة عظيمة لما هو الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي إلى اختلاف النظر، وما فعل الله ذلك إلا رحمة بعباده لمن علم شمول الرحمة الإلهية التي أخبر الله تعالى أنها وسعت كل شيء.

وفيه علم ما ينتجه الكرم وما ينتجه البخل. وفيه علم رفع الأشكال في التلفظ بالإيمان حتى يعلم السامعون بأنه مؤمن علماً لا يشكون فيه وهو المعبر عنه بالنصوص، فإن الظاهر وإن كان ما يعلم بأوّل البديهة في الوضع ولكن يتطرق إليه الاحتمال. وفيه علم من اعتنى الله به من عباده. وفيه علم الخذلان وأهله. وفيه علم ما يرجع إليه صاحب الحق إذا رد في وجهه. وفيه علم أنواع الصبر في الصابرين والشكر في الشاكرين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالم الحقائق والامتزاج
وهو من الحضرة المحمدية

كيف التبري وما في الكون إلا هو ... فكـل كـون أراه أنـت معنـاه
وقـد أتـى بـالتبـري فـي شـريعتـه ... فحيـر العقـل شـرع كـان يهـواه
أدنـاه منـه ولا عيـن تغـايـره ... فمـن دنـا ثـم بعـد القـرب أقصـاه
اللّـه مـولـى جميـع الخلـق كلهـم ... ولـم يخـب أحـد اللّـه مـولاه

اعلم أيدك الله أن رسول الله ﷺ قال: «مولى القوم منهم» والخيال من موالي النفس الناطقة فهي منها بمنزلة المولى من السيد، وللمولى في السيد نوع من أنواع التحكم من أجل الملكية فإنه به وبأمثاله من الموالي يصح كون السيد مالكاً وملكاً، فلما لم يصح للسيد هذه المنزلة إلا بالمولى كان له بذلك يد هي التي تعطيه بعض التحكم في السيد وما له فيه من التحكم إلا أنه يصورها في أي صورة شاء وإن كانت النفس على صورة في نفسها ولكن لا يتركها هذا الخيال عند المتخيل إلا على حسب ما يريده من الصور في تخيله، وليس للخيال قوّة تخرجه عن درجة المحسوسات لأنه ما تولد ولا ظهر عينه إلا من الحس، فكل تصرّف يتصرّفه في المعدومات والموجودات ومما له عين في الوجود أو لا عين له فإنه يصوره في صورة محسوس له عين في الوجود، أو يصور صورة ما لها بالمجموع عين في الوجود، ولكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة لا يمكن له أن يصورها إلا على هذا الحد، فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام الذي لا إطلاق يشبهه فإن له التصرّف العام في الواجب والمحال والجائز وما ثم من له حكم هذا الإطلاق، وهذا هو تصرّف الحق في المعلومات بوساطة هذه القوّة، كما أن له التقييد الخاص المنحصر، فلا يقدر أن يصوّر أمراً من الأمور إلا في صورة حسية كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن، لكن لا بد من أجزاء الصورة المتخيلة أن تكون كلها كما ذكرنا موجودة في المحسوسات أي قد أخذها من الحس حين أدركها متفرقة لكن المجموع قد لا يكون في الوجود.

Marfat.com

واعلم أن الحق لم يزل في الدنيا متجلياً للقلوب دائماً فتتنوع الخواطر في الإنسان عن التجلي الإلهيّ من حيث لا يشعر بذلك إلا أهل الله، كما أنهم يعلمون أن اختلاف الصور الظاهرة في الدنيا والآخرة في جميع الموجودات كلها ليس غيره تنوعه فهو الظاهر إذ هو عين كل شيء وفي الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتاً، فإنه عين ظاهر صورته في الدنيا والتبدل فيه خفي، وهو خلقه الجديد في كل زمان الذي هم فيه في لبس، وفي الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا ويكون التجلي الإلهي له دائماً بالفعل فيتنوع ظاهره في الآخرة كما كان يتنوع باطنه في الدنيا في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهيّ فينصبغ بها انصباغاً فذلك هو التضاهي الإلهيّ الخيالي، غير أنه في الآخرة ظاهر وفي الدنيا باطن، فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة وللحق، وذلك هو المعبر عنهما بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فلم يزل ولا يزال، وإنما سمي ذلك خيالاً لأنا نعرف أن ذلك راجع إلى الناظر لا إلى الشيء في نفسه، فالشيء في نفسه ثابت على حقيقته لا يتبدل لأن الحقائق لا تتبدل ويظهر إلى الناظر في صور متنوعة، وذلك التنوع حقيقة أيضاً لا تتبدل عن تنوعها، فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة بل حقيقتها الثبوت على التنوع، فكل ظاهر في العالم صورة ممثلة كيانية مضاهية لصورة إلهية لأنه لا يتجلى للعالم إلا بما يناسب العالم في عين جوهر ثابت، كما أن الإنسان من حيث جوهره ثابت أيضاً، فترى الثابت بالثابت وهو الغيب منك ومنه، وترى الظاهر بالظاهر وهو المشهود والشاهد والشهادة منك ومنه فكذا تدركه وكذا تدرك ذاتك، غير أنك معروف في كل صورة أنك أنت لا غيرك، كما تعلم أن زيداً في تنوعه في كيفياته من خجل ووجل ومرض وعافية ورضى وغضب وكل ما يتقلب فيه من الأحوال أنه زيد لا غيره كذلك الأمر فنقول: قد تغير فلان من حال إلى حال، ومن صورة إلى صورة، ولولا ما هو الأمر على هذا لكان إذا تبدل الحال عليه لم نعرفه وقلنا بعدمه، فعلمنا أن ثم عينين كما قال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ فعين يدرك به من يتحول وعين يدرك به التحول وهما طريقان مختلفان قد أبانهما الله لذي عينين وهو قوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ أي بينا له الطريقين كما قال الشاعر:

نجداً على أنه طريق تقطعه للظبا عيون

فجعل قطع الطريق للعيون، فكل عين لها طريق، فاعلم من رأيت وما رأيت ولهذا صح ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فالعين التي أدركت بها أن الرمي لله غير العين

Marfat.com

التي أدركت بها أن الرمي لمحمد ﷺ فتعلم أن لك عينين إن كنت صاحب علم فتعلم قطعاً أن الرامي هو الله في صورة محمدية جسدية وليس التمثل والتخيل غير هذا فالله قد نبهك وأنت لا تتنبه، وهذه هي الآيات التي جعلها الله لقوم يعقلون عنه ويتفكرون فيها، وذكرى لمن كان له قلب يتقلب فألقى السمع لما قيل له وعرف به وهو شهيد لتقبله في نفسه، فيعلم أن الأمر كذلك، وهؤلاء هم أولو الألباب، فإن اللب يحجبه صورة القشر، فلا يعلم اللب إلا من علم أن ثم لباً ولولا ذلك ما كسر القشر فقد امتزج الأمر وما اختلطت الحقائق، وبذلك يميز الفاضل من المفضول، فيتنعم العالم بعلمه به وينعم الجاهل بجهله به ولا يعلم أنه جاهل به لأنه لا يعلم أن الأمر الذي هو على خلاف ما يعلمه أنه على خلاف ما يعلمه بل يقول ما ثم إلا هذا، ولو علم أن ثم خلاف ما يعلمه وما أدركه لتنغص كما يتنغص في الدنيا كل متنغص لما فاته مما يقتضيه مقامه من التاجر في تجارته والفقيه في فقهه وكل عالم في طوره، فتحقيق قوله عموماً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ إنما ذلك في الآخرة بخلاف الدنيا فإنه لا يعلم في الدنيا بل هو في الكثير من غير عموم، فإن الإنسان لا يفرح بما عنده من العلم بما هو به متصور قبل حصوله فإنه منتظر إياه فهو في ألم، فإذا حصل عنده أيضاً لم يفرح به، ومآل الكل في الآخرة بعد انقضاء مدة المؤاخذة إلى الفرح بما عنده وبما هو عليه، وهذا المنزل هو منزل خلق الله آدم على صورته ومن جعل على صورة أمر ما فكان ذلك الأمر هو عين هذه الصورة فهو هو لا هو وبهذا صح ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فكل ما يظهر من تلك الصورة فأصله ممن هي عليه فلا يصح له أن يبقى عن كل ما يظهر منها ولهذا جاء: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ يعني الذي هو عليه العالم بأسره، ولهذا وصف الحق نفسه على ألسنة رسله بما وصف به العالم كله قدماً بقدم ما اختل شيء من ذلك ولا أخل به:

فعين الخلق عين الحق فيه ... فلا تنكر فإن الكون عينه
فإن فرّقت فالفرقان باد ... وإن لم فاعتبر فالبين بينه

ولما قال أنه جعلك على الصورة علم أنه لا بد لك من الدعوى بالملك لما أنت عليه كما أنه ذو ملك وليس لك ملك أقرب من نفسك وهي التي تدعي الملك لأنها على صورة من له الملك فعمد إليها من كونها مؤمنة من اسمه المؤمن فاشترى من المؤمن نفسه فبقي المؤمن لا نفس له كسائر الحيوان فلم يبق من يدعي ملكاً فصار الملك لله الواحد القهار

Marfat.com

وزال الاشتراك، فالمؤمن لا نفس له فلا دعوى له في الملك، فكل مؤمن ادعى ملكاً حقيقة فليس بمؤمن فإن المؤمن من باع نفسه فما بقي له من يدعي لأن نفسه كانت صاحبة الدعوى لكونها على صورة من له الدعوى بالملك حقيقة وهو الله تعالى، فاحفظ نفسك يا أخي من دعوى تسلب عنك الإيمان فإياك أن تحامي عن نفسك التي كانت لك، وإذا عزمت على أن تحامي عنها فحام عنها بحضور وعلم على أنها نفس الحق لا نفسك، ومن هناك يجازيك ربك فإنك صادق ومؤثر ودرجة الإيثار قد علمت ما تقتضيه عند الله من الرفعة فاعمل على ذلك، فإذا علمت هذا فاعلم أن للإنسان وجهين: وجهاً إلى ذاته ووجهاً إلى ربه، ومع أي وجه توجهت إليه غبت عن الآخر، غير أن هنا لطيفة أنبهك عليها وذلك أنك إذا توجهت إلى مشاهدة وجهك غبت عن وجه ربك ذي الجلال والإكرام ووجهك هالك فإذا انقلبت إليه فني عنك وجهك فصرت غريباً في الحضرة تستوحش فيها وتطلب وجهك الذي كنت تأنس به فلا تجده، وإن توجهت إلى وجه ربك وتركت وجهك أقبل عليك ولم يكن لك مؤنس سواه ولا مشهود إلا إياه فإذا انقلبت إليه الانقلاب الخاص الذي لا بد لكل إنسان منه وجدت من كان لك قبل هذا الانقلاب أنيساً وجليساً وصاحباً ففرحت بلقائه وعاد الأنس أعظم وتتذكر الأنس الماضي فتزيد أنساً إلى أنس وترى عنده وجه ذاتك ولا تفقده فتجمع بين الوجهين في صورة واحدة فيتحد الأنس لاتحاد الوجهين فيعظم الابتهاج والسرور، وهذه حالة برزخية بين حالتين لكونها جمعت بين الطرفين، فمن جمع بينهما في الدنيا حرم ذلك في الآخرة كالمنافق فإنه برزخ بين المؤمن والكافر فإذا انقلب تخلص إلى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للإيمان، فلو تخلص هنا إلى الإيمان ولم يكن برزخاً كان إذاً انقلب إلى الله كما ذكرناه من جمعه بين الطرفين، فاحذر هنا من صفة النفاق فإنها مهلكة ولها في سوق الآخرة نفاق اقتضى ذلك الموطن، وما أخذ المنافق هنا إلا لأمر دقيق لا يشعر به كثير من المؤمنين العلماء وقد نبه الله عليه ﴿لمن ألقى السمع وهو شهيد﴾ وذلك أن المنافقين هنا ﴿إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ لو قالوا ذلك حقيقة لسعدوا ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ لو قالوا ذلك وسكتوا ما أثر فيهم الذم الواقع وإنما زادوا ﴿إنما نحن مستهزؤون﴾ فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين، فما أخذوا إلا بما أقروا به، وإلا لو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا.

ألا ترى الله لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته إياهم كيف قال: ﴿الله يستهزىء بهم﴾ فما أخذهم بقولهم: ﴿إنا معكم﴾ وإنما أخذهم بما زادوا به على النفاق وهو قولهم: ﴿إنما

Marfat.com

نحن مستهزؤون﴾ وما عرّفك الله بالجزاء الذي جازى به المنافق إلا لتعلم من أين أخذ من أخذ حتى تكون أنت تجتنب موارد الهلاك، وقد قال عليه السلام: «إن مداراة الناس صدقة» فالمنافق يداري الطرفين مداراة حقيقية ولا يزيد على المداراة فإنه يجني ثمرة الزائد كان ما كان فتفطن فقد نبهتك على سر عظيم من أسرار القرآن وهو واضح ووضوحه أخفاه، وانظر في صورة كل منافق تجده ما أخذ إلا بما زاد على النفاق وبذلك قامت عليه الحجة، ولو لم يكن كذلك لحشر على الأعراف مع أصحاب الأعراف وكان حاله حال أصحاب الأعراف ﴿ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ فالمؤمن المداري منافق وهو ناج فاعل خير فإنه إذا انفرد مع أحد الوجهين أظهر له الاتحاد به ولم يتعرض إلى ذكر الوجه الآخر الذي ليس بحاضر معه، فإذا انقلب إلى الوجه الآخر كان معه أيضاً بهذه المثابة والباطن في الحالتين مع الله، فإن المقام الإلهيّ هذه صورته فإنه لعباده بالصورتين فنزه نفسه وشبه فالمؤمن الكامل بهذه المثابة وهذا عين الكمال، فاحذر من الزيادة على ما ذكرته لك وكن متخلقاً بأخلاق الله وقد قال تعالى لنبيه ﷺ ممتناً عليه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ واللين خفض الجناح والمداراة والسياسة.

ألا ترى إلى الحق تعالى يرزق الكافر على كفره ويمهل له في المؤاخذة عليه، وقال عزّ وجلّ لموسى وهارون في حق فرعون ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ وهذه عين المداراة فإنه يتخيل في ذلك أنك معه، ومن هذا المقام لما ذقته واتحدت به، اتفق لي أني صحبت الملوك والسلاطين وما قضيت لأحد من خلق الله عند واحد منهم حاجة إلا من هذا المقام، وما ردني أحد من الملوك في حاجة التمستها منه لأحد من خلق الله وذلك أني كنت إذا أردت أن أقضي عنده حاجة أحد أبسط له بساطاً استدرجه فيه حتى يكون الملك هو الذي يسأل ويطلب قضاء تلك الحاجة مسارعاً على الفور بطيب نفس وحرص لما يرى له فيها من المنفعة، فكنت أقضي للسلطان حاجة بأن أقبل منه قضاء حاجة ذلك الإنسان، ولقد كلمت الملك الظاهر بأمر الله صاحب حلب في حوائج كثيرة فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة للناس، ولو كان عندي في ذلك اليوم أكثر من هذا قضاه طيب النفس راغباً، وإذا حصل للإنسان هذه القوة انتفع به الناس عند الملوك، فما في العالم أمر مذموم على الإطلاق ولا محمود على الإطلاق، فإن الوجوه وقرائن الأحوال تقيده فإن الأصل التقييد لا الإطلاق، فإن الوجود مقيد بالضرورة ولذلك يدل على الدليل على أن كل ما دخل في الوجود فإنه متناه، فالإطلاق الصحيح إنما يرجع لمن في قوته أن يتقيد بكل صورة ولا

Marfat.com

يطرأ عليه ضرر من ذلك التقييد وليس هذا إلا لمن تحقق بالمداراة وهو إلا معه والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهي أشرف الحالات لمن عرف ميزانها وتحقق بها وهو واحد وأين ذاك الواحد؟ :

إلا أن النفـــاق هــــو النفـــاق إليـــه إذا تحققـــت المســـاق
فكـن فيـه تكـن بـالحق صـرفـاً وتحمـــده إذ شـــد الـــوثـــاق
إذا مـــا كنـــت معتمـــد الشـــيء فـــأنـــت لـــه إذا فكـــرت ســـاق
على العمد الذي قد غاب عنا إذا مـــا كنـــت تعتمـــد الطبـــاق
فكـن ذاك العمـاد تكـن إمـامـاً فيظهـر عنـدك الـديـن الـوفـاق

فتدبر القرآن من كونه فرقاناً وقرآناً، فللقرآن موطن وللفرقان موطن، فقم في كل موطن باستحقاقه تحمدك المواطن، والمواطن شهداء عدل عند الله فإنها لا تشهد إلا بصدق وقد نصحتك فاعمل والله الموفق.

قلنا: وفي هذا المنزل من العلوم علم دقيق خفي لا يشعر به لخفائه مع ظهوره، فإن العلماء بالله قد علموا شمول الرحمة والمؤمنون قد علموا اتساعها، ثم يرونها مع الشمول والاتساع ما لها صورة في بعض المواطن ومع كونها ما لها صورة ظاهرة في بعض المواطن، فإن الحكم لها في ذلك الموطن الذي ما لها فيه صورة ولا يكون لها حكم إلا بوجودها ولكن هو خفي لبطونها جلي لظهور حكمها، وأكثر ما يظهر ذلك في صنعة الطب وإقامة الحدود فالله يقول في إقامة الحدود في حد الزاني والزانية ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ فهذا عين انتزاع الرحمة بهم وإقامة الحدود من حكم الرحمة وما لها عين ظاهرة، وكالطب إذا قطع الطبيب رجل صاحب الأكلة فإن رحمه في هذا الموطن ولم يقطع رجله هلك، فحكم الرحمة حكم بقطع رجله ولا عين لها، فللرحمة موطن تظهر فيه بصورتها ولها موطن تظهر فيه بحكمها، فيتخيل أنها قد انتزعت من ذلك المحل وليس كذلك، وفي الأحكام الشرعية في هذه المسألة خفاء إلا لمن نور الله بصيرته، فإن القاتل ظلماً قد نزع الله الرحمة من قلبه في حق المقتول وهو تحت حكم الرحمة في قتله ظلماً وبقي حكمها في القاتل، فإما أن يقاد منه وإما أن يموت فيكون في المشيئة، وإن كان القاتل كافراً فإما أن يسلم فتظهر فيه الرحمة بصورتها، وحيثما كانت الرحمة بالصورة كانت بالحكم، وقد تكون بالحكم ولا تكون بالصورة.

Marfat.com

وفيه علم غريب وهو علم تقييد الحق بانتزاح الكون عنه مع كونه في قبضته وتحت سلطانه وملكه. وفيه علم السياسة في الدعوة إلى الله فإن صورتها من الداعي تختلف باختلاف صورة المدعوّ فثم دعاء بصفة غلظة وقهر، وثم دعاء بصفة لين وعطف. وفيه علم عموم العهد الإلهيّ الذي أخذه على بني آدم. وفيه علم الجولان في الملكوت حساً وخيالاً وعقلاً بثلث النشأة الإلهية فإن النشأة الإنسانية لما أنشئت ممتزجة من الأخلاط أشبهت السنة في فصولها، وليس كمال الزمان إلا بفصول السنة ثم يعود الدور، فالإنسان من حيث أخلاطه سنة، فهو عين الدهر الذي هو الزمان فله جولان في الملكوت بأحد ثلاثة أمور أو بكلها أو ببعضها، فإما أن يجول بحسه وهو الكشف، وإما أن يجول بعقله وهو حال فكره وتفكره، وإما أن يجول بخياله، والسنة اثنا عشر شهراً، فلكل حقيقة من هذه النشأة المشبهة بالسنة ثلث السنة فلها التثليث في التربيع ولها التربيع في التثليث، فأما تثليثها في التربيع فهو ما ذكوناه من تقسيمها على ثلاثة: من حس وخيال وعقل في تربيع أخلاطها، وأما تربيعها في التثليث فإن حكم الأخلاط بكمالها في كل قسم من الأقسام الثلاثة وهي أربعة فلتربيعها حكم في الحس وحكم في الخيال وحكم في العقل، ولا يشعر بذلك إلا أهل الحضور الناظرون الآيات في أنفسهم.

وفيه علم جهل الإنسان عند مسابقته لله وحجتنا قوله تعالى: «بادرني عبدي بنفسه فيمن قتل نفسه» والقول بهذا السياق هو قول أهل النظر في التشبه بالإله جهد الطاقة وأن ذلك إذا وجد هو الكمال، وهذا عندنا هو عين الجهل أن يسابق الحق فيما هو له بما هو لي فإنه من المحال أن تسابقه بما هو له فإن الشيء لا يسابق نفسه، ومن المحال أن تسابقه بما هو لي فإنه ما ثم غاية يسابق إليها، فيكون عمل في غير معمل وطمع في غير مطمع، ومن كان في هذه الحال فلا خفاء بجهله لو عقل نفسه. وفيه علم الإعلام الإلهي في المادة الإلهية بماذا يكون وماذا يقع في أسماع السامعين من ذلك الإعلام هل يقع في كل سمع على حد واحد أو يختلف تعلق السمع عند ذلك الإعلام؟ وفيه علم المعاملة مع الخلق على اختلاف أصنافهم بما يسرهم منك لا بما يسوءهم وهو علم عزيز صعب التناول دقيق الوزن مجهول الميزان يحتاج صاحبه إلى كشف وحينئذ يحصل له. وفيه علم ما حكم أصحاب الآجال إذا انتهت آجالهم هل يؤخرون بعد ذلك الانتهاء إلى أجل مسمى أو لا يكون لهم أيضاً ينتهون إليه؟.

وفيه علم ما يمكن أن يصح من الشروط وما لا يمكن أن يصح منها. وفيه علم إعطاء

Marfat.com

الأمان ولمن ينبغي أن يعطى فلا بد من علم الأحوال لهذا المتحكم. وفيه علم تنوع الناس في أخلاقهم وما هو المحمود من ذلك وما هو المذموم منها. وفيه علم علم الملائكة بالله الذي لا يعلمه أحد من البشر حتى يتجرد عن بشريته ويتجرد عن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى بما فيه إلا الروح المنفوخ، فحينئذ يتخلص إلى العلم بالله من حيث تعلمه الملائكة فيقوم في عبادته ربه مقام الملائكة في عبادتهم لله وهي العلامة، فيمن ادّعى أنه يعلم الله بصورة ما تعلمه الملائكة، فمن ادّعى ذلك من غير هذه العلامة فدعواه زور وبهتان، فإن للملائكة علماً بالله تعالى يعم الصنف وعلماً خالصاً لكل ملك بالله لا يكون لغيره فنحن ما نطالبه في دعواه إلا بالعلم العام، وهذه العلامة معلومة عندنا ذوقاً لا نذكرها لأحد لئلا يظهر بها في وقت وهو كاذب في دعواه غير متحقق فلهذا أمرنا وأمثالنا بستر هذا وأمثاله. وفيه علم دلالات العلماء بالله على طبقاتهم فإنهم على طبقات في العلم بالله تعالى. وفيه علم إزالة العلل وأمراض النفوس. وفيه علم آداب الدخول على الله. وفيه علم صفات من يدعي أنه جليس الله جلوس شهود لا جلوس ذكر، فإن الذاكرين أيضاً جلساء الله وهم على الحقيقة جلساء الله من حيث الاسم الذي يذكرونه به، وهذه مسألة لا يعرفها كثير من الناس. وفيه علم ما تعطيه رحمة الرضا ورحمة الفضل وأنواع الرحموتيات.

وفيه علم إقامة النعيم هل لذلك النعيم الدوام أو يتخلله حال لا نعيم فيه ولا غير ذلك؟ وفيه علم تفاصيل الأجور عندِ الله عزّ وجلّ وبماذا تتميز. وفيه علم الحب الإلهيّ المندرج في كل حب وما مقام من شاهد ذلك وعلمه؟ وهل يستوي من لا علم له بذلك مع العالم به أم لا؟ وفيه علم المعتمدات وما يجب منها وما لا يجب. وفيه علم السكائن جمع سكينة هل يجمعها أمر واحد كالإنسانية في أشخاصها أو هي متنوعة كل سكينة من نوع ليس هو عين السكينة الأخرى. وفيه علم تنوع الرجوع الإلهيّ لتنوع حال المرجوع إليه أيضاً. وفيه علم درجات الأغنياء بالله في غناهم بالله جلّ ثناؤه. وفيه علم ما السبب الموجب للطبيعة أن تستخبث وتتقذر وما يكون منها وهي عينه وهل لها في العلم الإلهيّ أصل ترجع إليه مثل ما يذم من أفعال العباد وسفساف الأخلاق مع العلم بأن ذلك صورة من الصور التي تكون مجلى وفيه علم من العلوم الإلهية في تفضيل بعض النسب الإلهية على بعض وإن رفع العالم بعضه على بعض ينتج من هذا الأصل فإنه من المحال أن يكون في العالم شيء ليس له مستند إلى أمر إلهيّ يكون نعتاً للحق تعالى كان ما كان. وفيه علم ما ينبغي أن يضاف إلى الله وما لا ينبغي أن يضاف. وفيه علم سريان الربوبية في العالم حتى عبد من عبد من دون الله

Marfat.com

تعالى. وفيه علم ما ينبغي أن يدخر من العلوم وما ينبغي أن لا يفشى وما ينبغي أن لا يدخر وما ينبغي أن يفشي.

وفيه علم ما اصطفاه الله من الزمان من ساعاته وأيامه ولياليه وشهوره، وهو علم تفاضل الدهر في نفسه وما أصل الدهر وما السبب لتسمية الله باسم الدهر وهو اسم أزلي له ولا دهر، وهل سمي الزمان دهراً لأجل هذا الاسم أو تسمى الله بهذا الاسم لعلمه أنه يخلق أمراً يقال له الدهر فإنه لم يزل خالقاً ولا يزال خالقاً، وهل ينتهي حكم الزمان في العالم أو لا ينتهي؟ وما حظ حركات الأفلاك من الزمان؟ وفيه علم من دعي إلى سعادته فتلكأ عن الإجابة مع علمه بأنه دعي إلى حق. وفيه علم أسباب النصر الإلهي. وفيه علم محبة الحق. وفيه علم ما السبب الداعي إلى المباهتة مع علمه أنه مباهت مع علمه أنه مسؤول عن ذلك والغلبة للأقوى وللحق القوّة والهوى يغالبه وقد يظهر عليه فهل ظهوره عليه بما له نصيب من الحق فلا يظهر على الحق إلا الحق. وفيه علم ابتلاء الإمام أصحابه لإقامة الحجة عليهم لا ليستفيد علماً بذلك. وفيه علم ما يقال عند كل حال يتقلب على العبد أو يتقلب العبد فيه. وفيه علم الدوائر المهلكة ما هي وأسبابها الموجبة لآثارها في الكون. وفيه علم ما السبب الذي يمنع من قبول العمل الخالص حتى يعمل العامل في غير معمل. وفيه علم قسمة النعم على العباد وهي في أيدي العباد وما لهم منها سوى الاختزان في نفس الأمر وهم مسؤولون عنها.

وفيه علم الإصغاء لكل قائل وما فائدته إذا لم يؤثر في السامع، فإن كان سريع الانفعال لما يسمع فيجب عليه عقلاً أن لا يصغي لقائل شرّ. وفيه علم اختلاف الأسماء على الله عند الطوائف والمقصود واحد. وفيه علم ما السبب في معاداة أشخاص النوع الواحد وموالاة الأنواع وإن عمها جنس واحد. وفيه علم القدر وما مستنده من النعت الإلهيّ وهل هو عين الاستدراج أو غيره؟ وفيه علم أسباب الطرد الإلهيّ والكل في قبضته فممن يكون الطرد وإلى أين؟ وما معنى قولهم: البعد من الله؟ وفيه علم إنزال المنازل في القوالب لأيّ معنى تنزل في الصور ولا تنزل معاني كما هي في نفس الأمر. وفيه علم أسباب رفع الحرج في حق من ارتفع عنه فإنه محال رفعه عن العالم إذ لو ارتفع لزال العالم عن درجة الكمال وهو كامل بالمرتبة، وإن قبل الزيادة بأشخاص الأنواع فلا يتصف بالنقص من أجلها. وفيه علم ما لا يكفر من الإيمان المعقودة إذا حنث صاحبها في صورة الأمر وهي مسألة ينكرها الفقهاء ويفتون بخلافها. وفيه علم ما يعد من مذام الأخلاق وهو من مكارمها عند الله وفيه

Marfat.com

علم مخالفة الحق عبده المقرب فيما يريده منه مثل قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وأمثاله. وفيه علم حكم من خرج عن الجماعة أو أخرج يداً من طاعة إمام بعد عقد بيعته وثبوتها. وفيه علم السابق واللاحق. وفيه علم الشر والخير وحكم الإيمان. وفيه علم النفوس الجزئية. وفيه علم صفات المقربين. وفيه علم الضلال والهدى. وفيه علم إقامة الواحد مقام الجمع. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكمية ومقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض، وهذا المنزل يتضمن ألف مقام محمدي

إن المغانم نار الحق تأكلها ... فمن يكن بدلاً منها فقد عصما
منها فليس لها عليه سلطنة ... فذاك نائبه في الخلق قد حكما
وما مضى فهو منسوخ بعامله ... يوم القيامة بالنسخ الذي رسما
فالكل ينعم ملتذ بمنزله ... أهل الجنان وأهل النار والقدما
من لم يكن حظه علماً ومعرفة ... فما تقدم في شأو الهوى قدما
اللّه يرزقنا من علم رحمته ... حظاً يبلغنا منازل العلما

اعلم أن الله تعالى قد أبان لعباده في هذا المنزل أن له فيه حظاً وافراً من حظوظ عباده، ومن أجل هذا قال رسول الله ﷺ: «حق الله أحق بالقضاء» يعني من حق المخلوق، وقال في القرآن العزيز: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ فقدم الوصية على الدين، والوصية حق الله لأنه الذي أوجبها علينا حين أوجبها الموصي في المال الذي له فيه تصرف، والفقهاء يقدمون الدين على الوصية خلافاً لما ورد به حكم الله إلا بعض أهل الظاهر فإنهم يقدمون الوصية على الدين وبه أقول، وجعل الله الحظ الذي له في الصلاة على النصف وهو دون هذا الحظ الآخر فقال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» فساوى سبحانه في هذه القسمة بين الله وبين عبده إذا صلى. وقال في حظه في المغنم: «أن له الخمس وحده من المغنم» وما بقي وهو أربعة أخماس تقسم على خمسة فلكل صنف من الحظ دون ما لله فحظ الله في هذا المقسوم أكثر من حظه في الصلاة بالنسبة إلى هذا الحال بينه وبين عبيده، وإلا فحظ النصف أعظم من حظ الخمس، فقسم الصلاة أكثر من قسم المغنم، وبالنظر في عين الموطن والقسمة الخاصة فحظه في المغنم بالنظر إلى ما بقي من الأصناف المقسوم عليهم أعظم، فأنزل الحق نفسه من عباده منزلة أنفسهم وعاملهم بما يتعاملون به. وفي موطن آخر يقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى المماثلة. وفي

Marfat.com

موضع آخر يقول المترجم عنه: أن الله خلق آدم على صورته، ثم أنه جعل الإنسان محل ظهور الأسماء فيه وأطلقها عليه، فللعبد التمسية بكل اسم تسمى به الحق، وإن اختلفت النسب فمعقولية مدلول الاسم واحدة لا تتغير.

ثم أنه جعل بعضهم خليفة عنه في أرضه وجعل له الحكم في خلقه وشرع له ما يحكم به وأعطاه الأحدية فشرع أنه من نازعه في رتبته قتل المنازع فقال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» وجعل بيده التصرف في بيت المال وصرف له النظر عموماً وأمرنا بالطاعة له سواء جار علينا أو عدل فينا فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ وهم الخلفاء ومن استخلفه الإمام من النواب فإن الله قد جعل له أن يستخلف كما استخلفه الله فبأيديهم العطاء والمنع والعقوبة والعفو كل ذلك على الميزان المشروع فلهم التولية والعزل، كما أن الحق بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه، وذلك الميزان هو الذي أنزله إلى الأرض بقوله: ﴿**ووضع الميزان**﴾ ثم قال: إنه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار، كذلك الخليفة ترفع إليه أعمال الرعية يرفعها إليه عماله وجباته فيقبل منها ما شاء ويردّ منها ما شاء، فكل ما ذكره الحق لنفسه من التصرف في خلقه ولم يعينه جعل للإمام أن يتصرف به في عباده.

ثم أن الله جعل له أعداء ينازعونه في ألوهيته كفرعون وأمثاله، كذلك جعل الله للخلفاء منازعين في رتبتهم، وجعل له أن يقاتلهم ويقتلهم إذا ظفر بمن ظفر منهم كما يفعل سبحانه مع المشركين، ومدة إقامتهم كمدة إمهال الله إياهم وأخذ الخليفة وظفره بهم كزمان الموت لهؤلاء، حتى لو قابلت النسختين ما اختلفتا في حرف واحد في الحكم، وكما أن الحق يحكم بسابق علمه في خلقه يحكم الخليفة بغلبة ظنه لأن الخليفة ليست له مرتبة العلم بكل ما يجري في ملكه ولا يعلم المحق من المبطل، وإنما هو بحسب ما تقوله البينة كما يفعله الله مع خلقه مع علمه يقيم على خلقه يوم القيامة الشهود فلا يعاقبهم إلا بعد إقامة البينة عليهم مع علمه وبهذا قال من قال أنه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه، أما في العالم فللتهمة بما له من الغرض، وأما في جانب الحق فلإقامة الحجة على المحكوم عليه حتى لا يأخذه في الآخرة إلا بما شرع له من الحكم به في الدنيا على لسان رسوله ﷺ، ولهذا يقول الرسول لربه عن أمر ربه: ﴿**رب احكم بالحق**﴾ يعني بالحق الذي بعثتني به وشرعت لي أن أحكم به فيهم، فإذا علمت أن الحق أنزل نفسه في خلقه منزلته وجعل مجلاه الأتم في الخليفة الإمام ثم قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» فعمت الإمامة جميع الخلق

Marfat.com

فحصل لكل شخص منهم مرتبة الإمامة فله من الحق هذا القدر ويتصرف بقدر ما ملكه الله من التصرف فيه، فما ثم إنسان إلا وهو على صورة الحق، غير أنه في الإمام الأكبر مجلاه أظهر وأمره أعظم وطاعته أبلغ.

واعلم أن الله تعالى لما شرع لعباده ما شرع قسم ما شرعه إلى فرض أوجبه على المكلفين من عباده وهو على قسمين: فرض أوجبه عليهم ابتداء من عنده كالصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة وما أشبه ذلك مما أوجبه عليهم من عند نفسه، وفرض آخر أوجبوه على أنفسهم ولم يكن ذلك فأوجبه الله عليهم ليؤجروا عليه أجر الواجب الإلهيّ، وليحقق الله عندنا أن الإنسان على صورته، فإن الله أوجب على نفسه نصر المؤمنين والرحمة وأمثال ذلك هذا في حق العلماء بالله وفي حق قوم أوجبه عليهم عقوبة لهم حين أوجبوه على أنفسهم كالنذر، وزاحموا الربوبية في الإيجاب على نفسه فأوجبه عليهم ليعرفهم أنهم ليس لهم أن يوجبوا على أنفسهم فيعرفون بذلك مقدارهم، فالحق تعالى لو لم يفعل ما أوجب على نفسه فعله لما تعلق به ذم ولا لوم في ذلك لأن رتبته تقضي بأنه الفعال لما يريد، ولهذا ما يتعلق بإيجابه على نفسه حد الواجب، والعبد لما أوجب الله عليه ما أوجبه على نفسه تعلق به إذا لم يقم بصورة ما أوجبه على نفسه حد الواجب كالواجب الأصلي إذا لم يقم به يعاقب فأجره عظيم والعقوبة عليه عظيمة فيمن لم يقم به فجزاؤه عظيم في الواجبين معاً، ثم ما جاء من الأفعال زائداً على صور الواجبات سمى ذلك نافلة أي زائداً على الواجب، فإن لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض لم يكن نافلة وكان ذلك عملاً مستقلاً له مرتبة في الأجر ليست للنوافل، ثم مزج النشأة كما مزج نشأة المكلف فجعل في نشأة الفرائض سنناً وهي زوائد على الفرائض، وجعل في النوافل التي تطوّع العبد بها من نفسه من غير وجوب الفرائض في نشأة النوافل، ولهذا إذا لم يجيء بالفرائض يوم القيامة تامة يقول الله: «كملوا لعبدي فريضته من تطوعه» فما نقص من الفرض الواجب كمل من الفرض الذي في النوافل، وما نقص من سنن الفرض الواجب كمل من سنن النوافل، ألحق كل شيء بمثله.

قال لي بعض الأرواح: فلم سميت الغنائم أنفالاً؟ قلنا: لا شك ولا خفاء عند كل مؤمن عالم بالشرع أن الله ما جعل القتال للمؤمن إلا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى لتتميز الكلمتان كما تميزت القدمان، فإنه خلق من كل شيء زوجين ذاتاً وحكماً، وعرفتنا التراجمة عن الله وهم رسل الله أن الله تعالى من وقت شرع الجهاد والقتال

Marfat.com

والسبي أعطى المغانم للنار طعمة أطعمها إياها وأوجبها لها، وكان من طاعتها لربها أنها لا تتناول إلا ما أحل الله لها تناوله، وكان قد حرم الله عليها أكل المغنم إذا وقع فيه غلول من المجاهدين فكانت لا تأكل المغنم إذا غل فيه حتى يرد إليه ما كان أخذ منه ليخلص العمل للمجاهد، فلما جاء الشرع المحمدي زاد الله المغانم لأمة محمد ﷺ طعمة على ما أطعمهم من غير ذلك، فكانت تلك الطعمة التي أخذناها من النار نافلة لهذه الأمة وما أعطاها إياهم لكونهم جاهدوا، إذ لو كان ذلك حقاً لهم على الجهاد ما وقعت لأحد لم يجاهد معهم فيها الشركة فما هي فريضة للمجاهدين وإنما هي طعمة أطعمها الله من ذكر، وجعل لنفسه نصيباً لكونه نصرهم فله نصيب في الجهاد، فلما كان السبب لكون الله جعل لنفسه فيها نصيباً لنصرته دين الله اندرج في نصيب الله كل من نصر دين الله وهم الغزاة، فليس لهم إذا اعتبرت الآية إلا الخمس من المغنم ثم تبقى أربعة أخماس فتقسم مخمسة أيضاً واحد الخمسة لرسول الله ﷺ وبعد الرسول إذا فقد لخليفة الزمان، والخمس الثاني لأهل البيت قرابة رسول الله ﷺ، والخمس الثالث لليتامى، والخمس الرابع للمساكين، والخمس الخامس لابن السبيل.

وقد ورد عن بعض العلماء وأظنه ابن أبي ليلى أن الحظ الذي هو الخمس من الأصل كان رسول الله ﷺ يقبضه ويخرجه للكعبة ويقول: هذا لله ثم يقسم ما بقي، فلما كانت هذه الطعمة للنار نقلها الله لهذه الأمة كما جعل في مال الإنسان الزكاة حقاً لأصناف مذكورين، فأوجب على أصحاب الأموال على وجه مخصوص إخراجها، وأوجب على الإمام أخذها، ولم يوجب على الأصناف أخذها فهم مخيرون في أخذ حقهم وفي تركه كسائر الحقوق، فمن أخذها منهم أخذ حقه، ومن ترك أخذها ترك حقه وله ذلك، واعلم أن الإمام هو المطلوب بعلم هذه التقاسيم والقيام بها:

ما كل من حاز الجمال بيوسف أن الجميل هو الإمام المنصف
إن كنت تدرك ما تريد وتشتهي أنت المحبب والمبرأ يوسف

فإن غلب على ظن الإمام أن المذكورين في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ الآية والتي في سورة الحشر التي فيها ذكر الأصناف حظهم من المغنم الخمس خاصة يقسم فيهم هكذا وما بقي فلبيت مال المسلمين يتصرف فيه الإمام بما يراه، فإن شاء أعطاه المجاهدين على ما يريده من العدل والسواء في القسمة أو بالمفاضلة كما يفعل فيما بقي من المال

Marfat.com

الموروث بعد أخذ أهل الأنصباء ما عين الحق لهم، أو أراد هذا الإمام أن يعود بما بقي على أولي الأرحام من أهل الميت فيعطي أصحاب الأنصباء زائداً على أنصبائهم من كونهم أولي أرحام الميت، وإن غلب على ظن الإمام أن الخمس الأصلي لله وحده وما بقي فلمن سمى الله تعالى وقد جعل الله للمجاهدين في سبيل الله نصيباً في الصدقات وما جعل لهم في المغنم إلا ما نفله به الإمام قبل القسمة أو ما أعطاه له بقوله: من قتل قتيلاً فله سلبه، وإنما عرض الكلام في مثل هذا في المنزل لما فيه من الحظ المنسوب إلى الله خاصة فما غرضنا ما هو الحكم في المغانم وقسمتها في علم الرسوم، وإنما المغانم عندنا في هذا الطريق ما حصل للإنسان من العلوم الإلهية التي أعطانا الله إياها عن مجاهدة وجهاد نفس، كما أنه للمؤمن تجارة في نفس إيمانه وهي التجارة المنجية من العذاب الأليم، فكل علم حصل عن جهاد فهو مغنم ويقسم على ما يقسم عليه المغانم، فالنصيب الذي لله تعالى منه ما تعلق به الإخلاص، والذي لرسول الله منه الإيمان به والذي لذي القربى منه المودة فيهم، والذي لليتامى منه هو ما حصل من العلم قبل بلوغ العامل إلى الغاية.

وصــل

والغاية حدها الذي يغنيه عن إضافة العمل إليه، فإن الصبي قبل البلوغ حركته وأفعاله إليه فإذا بلغ رجع حكم الأفعال منه إلى الله بعد ما كانت إليه، والنبي ﷺ يقول: «**لا يتم بعد حلم**» فكل ما حصل له قبل البلوغ فهو حقه الذي له من نفسه إذ عينه الله له، والذي للمساكين فهو الحظ الذي حصل لهم بالعجز وعدم القدرة وسلب القوة فإن الله هو ذو القوة المتين. والذي لابن السبيل فهو الحظ الذي له من حيث أنه ابن للطريق إلى الله فإن النبي ﷺ يقول: «**إن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة وهم أبناء السبيل ولا تكونوا من أبناء الدنيا**» فأما صورة الإخلاص في العمل فهو أن تقف كشفاً على أن العامل لذلك العمل هو الله كما هو في نفس الأمر أي عمل كان ذلك العمل مذموماً أو محموداً أو ما كان، فذلك هو حكم الله تعالى فيه ما هو عين العمل، وصح في الخبر أن الله تعالى يقول: «**من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**» فنكر العمل وما خص عملاً من عمل، والضمير في فيه يعود على العمل، والضمير في منه يعود على الغير الذي هو الشريك، وضمير هو يعود على المشرّك، فإن الله لا يتبرأ من العمل فإنه العامل بلا شك، وإنما يتبرأ من الشريك لأنه عدم. والله وجود فالله بريء من العدم فإنه لا يلحقه عدم ولا

Marfat.com

يتصف به فإنه واجب الوجود لذاته فالبراءة صحيحة وكذلك في قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ فهو أيضاً تبرأ من الشريك لأن الشريك ليس ثم فهو عدم لأنه قال: ﴿من المشركين﴾ فهو أيضاً تبرأ من الشريك، فإخلاص العمل لله هو نصيب الله من العمل لأن الصورة الظاهرة في العمل إنما هي في الشخص الذي أظهر الله فيه عمله، فيلتبس الأمر للصورة الظاهرة والصورة الظاهرة لا تشك أن العمل بالشهود ظاهر منها فهي إضافة صحيحة فلهذا نقول أنه عين كل شيء من اسمه الظاهر، وهنا دليل خفي وذلك أن البصر لا يقع إلا على آلة وهي مصرفة لأمر آخر لا يقع الحس الظاهر عليه بدليل الموت ووجود الآلة وسلب العمل فإذن الآلة ما هي العامل والحس ما أدرك إلا الآلة، فكما علم الحاكم أن وراء المحسوس أمراً هو العامل بهذه الآلة والمصرف لها المعبر عنه عند علماء النظر العقلي بالنفس العاقلة الناطقة والحيوانية، فقد انتقلوا إلى معنى ليس هو من مدركات الحس، فكذلك إدراك أهل الكشف والشهود في الجمع والوجود في النفس الناطقة ما أدرك أهل النظر في الآلة المحسوسة سواء فعرفوا أن وراء النفس الناطقة هو العامل وهو مسمى الله، والنفس في هذ العمل كالآلة المحسوسة سواء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي، ومتى لم يدرك هذا الإدراك فلا يتصف عندنا بأنه أخلص في عمله جملة واحدة مع ثبوت الآلات وتصرفها لظهور صورة العمل من العامل، فالعالم كله آلات الحق فيما يصدر عنه من الأفعال لقوم يعلمون، وقال رسول الله ﷺ فيما صح عنه: «**أتدرون ما حق الله على العباد؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم قال: أتدرون ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة**» فنكر ﷺ بقوله شيئاً ليدخل فيه جميع الأشياء وهو قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ فنكر أحداً فدخل تحته كل شيء له أحدية وما ثم شيء إلا وله أحدية، وذكر لقاء الله ليدل على حالة الرضى من غير احتمال كما ذكره رسول الله ﷺ وذلك في الجنة فإنها دار الرضوان، فما كل من لقي الله سعيد، فالمواطن لها الحكم في ذلك بما جعل الله فيها، وكذلك قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ فجعل الذي يصيبه منا التقوى. فقد أعلم الحق عباده بنصيبه مما هم عليه وفيه في كل شيء وعهد إلى عباده ذلك فقال: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ فحظه منكم أن تفوا له تعالى بما عاهدكم عليه وهو قوله ﷺ في الصلوات الخمس: «**فمن أتى بهن لم يضيع من حقهن شيئاً كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة**».

Marfat.com

والصلاة مناجاة الله على القسمة التي شرع بينه تعالى وبين عباده، فمن أعطاه قسمه منها وأخذ منها قسمه فقد أعطاه حقه ونصيبه، فإذا كان الله تعالى مع اتصافه بالغنى عن العالمين قد جعل له فيما يكون للعالم ويفتقر إليه نصيباً يأخذه وقسماً عينه فما ظنك بمن أصله الفقر والمسكنة في ظهور عينه لا في عينه ووجوده وما هو فيه، وإنما قلنا لا في عينه لأن أعيانها لأنفسها ما هي بجعل جاعل، وإنما الأحوال التي تتصرف عليها من وجود وعدم وغير ذلك فيها يقع الفقر إلى من يظهر حكمها في هذه العين فاعلم ذلك، فمن طلب حقه واستقصاه فلا يلام، ولكن لما شرع لنا في بعض الحقوق أنا إذا تركناها كان أعظم لنا وجعل ذلك من مكارم الأخلاق وناط به ما في ذلك من الأجر منه تعالى وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ ومن طلب حقه وهو قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ كان له ذلك، فكذلك يفعل مع عباده فيما ضيعوه من حقه وحقوقه يعفو ويصفح ويصلح فيكون المآل إلى رحمة الله في الدارين فتعمهم الرحمة حيث كانوا ولكن لا يستوون فيها، قال تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ كما لم يسوّ تعالى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون. فالكامل من العباد من لم يترك لله عليه ولا عنده حقاً إلا وفاه إياه في كل شيء له فيه نصيب أعطاه نصيبه على حد ما شرع له، فإذا وفاه ردّ عليه جميع ما ذكر أنه له بالشرع، فإذا وفى الله له بعهده فيأخذه منه امتناناً وابتداء فضل لا جزاء، ولا يكون هذا إلا من العلماء بالله الذين يعلمون الأمر على ما هو عليه، وهم أفراد من الخلق لا يعلمهم إلا هو، فقد نبهتك على أكمل الطرق في نيل السعادة التي ما فوقها سعادة، ومع هذا يا أخي وبعده فالأمر عظيم، والخطب جسيم، والإشكال فيه أعظم، ولهذا جعل أهل الله الغاية في الحيرة وهو العجز، وهذا القدر كاف في العلم بأن لله حقاً ونصيباً عند عباده يطلبه منهم بحكم الاستحقاق، ويطلب منهم أيضاً حقوق الغير بحكم الوكالة كما قال ويأخذ الصدقات بحكم الوكالة فيربيها ويثمرها، فهو وكيل في حق قوم تبرعاً من نفسه رحمة بهم وإن لم يوكلوه، وفي حق قوم وكيل يجعلهم كما أمرهم أن يتخذوه وكيلاً، وإلا فليس للعبد من الجرأة أن يوكل سيده، فلما تبرع بذلك لعباده ونزل إليهم عن كبريائه بلطفه الخفي اتخذوه وكيلاً وأورثهم هذا النزول إدلالاً.

وأما حديث: «ما يقبل الله من صلاة عبده إلا ما عقل» يريد أنه يعضد أداء حق الله تعالى فيما تعين عليه وجعل أكثره النصف وهو الحد الذي عينه له من صلاة عبده وأقله

Marfat.com

العشر فقال: عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها، وما ذكر النصف إلا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعممناه في جميع أفعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الأعمال به، فأما ما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام: القسم الأوّل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. الثاني: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. الثالث: ﴿الرحمن الرحيم﴾. الرابع: ﴿ملك يوم الدين﴾. الخامس: ﴿إياك نعبد﴾. السادس: ﴿وإياك نستعين﴾. السابع: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. الثامن: ﴿صراط الذين أنعمت عليه﴾. التاسع: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾. فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه الأقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكر الله في القبول من العشر إلى النصف، فمن رأى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية منها ولا يفصلها عنها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فإن حكم الله في الأشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده، ومن أداه اجتهاده إلى الفصل ففصل البسملة عن الفاتحة وأن البسملة ليست آية منها جعل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فإنها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله، وتكرارها في السور مثل تكرار ما يكرر في القرآن من سائر الكلمات، وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفاً من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي، فهذا معنى قوله ﷺ العام أنه لا يقبل إلا ما عقل منها، فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة، ومن انتقص منها شيئاً في صلاته جبرت له من قراءته الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل، فإن لم تف قراءتها في النوافل بما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكملت له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وإن كان في جميع أفعاله في صلاة فإنه قد يكون من الذين هم على صلاتهم دائمون وهم الذاكرون الله في كل أحيانهم، فهم يناجونه في جميع الأحوال كلها، فحظ الله من جميع ما كلف عباده به ما فرض عليهم، ونصيب العباد من الله ما أوجبه الحق لهم على نفسه، والنافلة للنافلة في كل ذلك.

وأما حظ الرسول ﷺ من هذه المسألة بتصديقه والإيمان به وبما جاء به فمما يحققه الإيمان أن خير الأزمان زمان الصلاة والآذان وخير الشفاعة والكلام ما أذن فيهما الرحمن، هذا مما جاء به رسول الحق إلينا ووفدته مقبلاً علينا، فتدلى حين تجلى وما أصعقه بل أيقظه من تجلى ليتجلى فأقبل وما أعرض وتولى، فأما التصديق به فلخبر الحق بأنه رسول منه إلينا وهو الوجيه المقرب، وأما الإيمان مما جاء به فلإخباره عن الحق، ففرق بين أخبار الحق

Marfat.com

في الإيمان به وبين أخباره عن الحق فيما جاء به، فلا يؤمن به إلا من خاطبه الحق في سره وإن لم يشعر به المخاطب ولا يعرف من كلمه وإنما يجد التصديق به في قلبه، وأهل الكشف والحضور يعرفون عن سماع بآذان وقلوب كلام الحق بأن هذا رسول من عنده فيؤمنون به على بصيرة ولا يؤمن بما جاء به هذا الرسول إلا من خاطبه الرسول في سره وإن لم يشعر به المخاطب ولا يعرف من كلمه، وإنما يجد التصديق بما جاء به في قلبه، وأهل الكشف والحضور يعرفون عن سماع بقلوب وآذان وأبصار كلام الرسول بأن هذا جاء من عند الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فيؤمنون به على بصيرة، وإنما قلنا فيما جاء به الرسول وأبصار ولم نقل ذلك في سماع كلام الحق لأن الرسول إذا رأيناه فقد رأيناه والحق تعالى ليس كذلك إذا رأيناه فما رأيناه إلا منزلتنا وصورتنا منه، فلهذا لم نقل في تصديق خبره إذا كلمنا وأبصار، وما جئنا بالقلوب والآذان إلا لمجرد الخبر خاصة لا لكون الحق تكلم به، فإن إدراك القلوب والآذان والأبصار للحق على السواء ما أدرك واحد من العالم أي إدراك كان من هذا وغيره إلا منزلته من الحق وصورته خاصة فما أدركه، فذكرنا القلوب من كونها سامعة والآذان للخبر خاصة تنبيهاً على ما ذكرناه وبيناه.

فإذا علمت هذا فقد وفيت الله والرسول، ما تعين عليك من الحق أن تؤديه لله ولرسوله، فإن هذه المسألة غلط فيها جماعة من أهل الله إذ لم يخبروا بها عن الله فكيف علماء الرسوم؟ فمن تكلم فيها من طريق الإيمان فلا يتكلم فيها إلا بما تكلمنا به فإنه يتكلم عن ذوق، ولهذا ترى شخصين بل ثلاثة أشخاص يشهدون المعجزة على يدي الرسول الذي أبرزها الحق في معرض الدلالة على صدقه فيما جاء به والتصديق به نفسه فشخص من الثلاثة يتيقن أنه الحق وجحده، والشخص الثاني لم تقم عنده تلك الدلالة دلالة لجهله بموضع الدلالة منها، والثالث آمن وصدق والمجلس واحد والنظر بالبصر واحد والإدراك في الظاهر واحد، فعلمنا أن الذي آمن وصدق لولا تجلي الحق لقلبه وتعريفه إياه بغير واسطة ما آمن به ولا صدق وكان مثل صاحبه، وكذلك في إيمانه بما جاء به لولا تجلى الرسول بقلبه وتعريفه إياه بغير واسطة ما آمن بما جاء به ولا صدق وإن لم يشعر المؤمن ولا يدري كيف آمن فما كل مؤمن يعرف من أين حصل له الإيمان، ولا سيما وقد رأينا وبلغ إلينا أن بعض من آمن برسول الله عندما رآه وسمع دعوته ولم ير له معجزة ولا دلالة بل وجد في نفسه أنه صادق في دعواه فآمن به من حينه وما تلكأ ولا تلعثم، فما كان إلا مما ذكرناه من التجلي لقلبه ولا يشعر أن ذلك عن تجل، وبهذا القدر زاد أهل الكشف على غيرهم من

Marfat.com

المؤمنين، ولولا كشفهم للأمور ما فصلوها إلى كذا وإلى كذا، فحظ الرسول أن يلحقه بربه في نفسه وفيما جاء به من عنده.

وأما حظ اليتامى من هذا العلم فإنه على الحقيقة أوان بلوغ الخروج عن الدعوى فيما كان ذلك، فحظك قبل مجيء هذا الزمان أن تضاف أفعالك لك، ولا يعترض عليك ولا تسلب عنك ولا تحجير عليك، فإذا بلغ أوان الحلم صرت محجوراً عليك، ووقع التقييد في جميع حركاتك، وتوجهت عليها أحكام الحق لأنها أفعاله ظهرت فيك، ولولا ما ظهرت فيك ما تعلق بها هذا الخطاب ولا هذا التحكيم، ومعنى ظهرت فيك هو عين دعواك أن الأفعال لك، فأراد الحق بالتحجير بما كلفك أن يعرفك بأن هذه الأفعال لو كانت لك ملكاً محققاً ما جاز لي أن أتصرف فيما لك وليس لي، وسبب ذلك أن أوان بلوغ العقل قد حل واستحكام العقل والنظر قد حصل، فكان ينبغي لك بما أعطاك الله من العقل أن ترى أفعالك التي أنت محل لظهورها منك لله تعالى ليست لك، فلو حصل لك هذا ابتداء ما كلفك ولا حجرها عليك في هذه الدار، ألا ترى من لم يستحكم عقله ما حجر عليه ولا كلفه وهو المجنون الذي ستر عنه عقله أن يكون له حكم فيه، وكذلك النائم وكل من لم يتصف بالعقل.

ولما وصل في هذه الدار إلى الحد الذي أوجب عليه التكليف بقيام هذه الصفة إذا كشف عنه الغطاء في هذه الدار لم يرتفع عنه التحجير ولا خطاب الشرع لحكم الدار لا لحكم الحال، لأنه كان يعطي القياس ارتفاع التحجير عمن هو بهذه الصفة، ولكن لا بد للدار من حكم كما يفعل بأطفال المشركين والكفار نلحقهم بآبائهم للدار، وإن علمنا أنهم على الفطرة وما أشركوا ولا كفروا فللدار حكم، فإذا جاء وعد الآخرة وانتقلنا إليها خرجنا عن حكم الدار فارتفع عنا حكم التكليف في دار الرضوان وأختها، كذلك من أطلعه الله هنا في هذه الدار على سعادته وأطلع آخر على شقاوته لم تسقط هذه المطالعة عنهما التحجير ولا التكليف، لأن أصل وضع النواميس في هذه الدار إنما هو لمصلحة الدنيا والآخرة، فمن المحال رفع التحجير ما دامت الدنيا ودام من فيها، فلولا هذا لكان من كشف عنه الغطاء ارتفع عنه التحجير لأنه لا يرى فاعلاً إلا الله والشيء لا يحجر على نفسه، وإن أوجب على نفسه ما أوجب فذلك تأنيس لنا فيما نوجبه على أنفسنا لنا، فإن أوجبناه له أوجبه علينا لنتميز فنعصي بتركه، ولو ترك الحق ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم، فإن هذا الحكم لا يتعلق بمن تعلق به إلا من حيث أن الغير أوجبه، فلولا ما أوجبه الحق علينا حين

Marfat.com

أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة إذا تركناه، فإذا وفى به من لم يوجبه عليه غيره فمنة منه وفضل ومكارم أخلاق. فإن قلت: هذا إذا كان في الخير فإن كان شرّاً قلنا: ما ثم إلا خير والخير على قسمين: خير محض وهو الذي لا شرّ فيه، وخير ممتزج وهو الذي فيه ضرب من الشر كما بيناه من شرب الدواء المكره وكالمؤمن إذا عصى وأطاع، فإن المؤمن لا تخلص له معصية دون طاعة أصلاً فإن الإيمان بكونها معصية طاعة.

وفي هذا تنبيه لمن كان له قلب فيرجع الأمر في الآخرة إلى الأمر الذي كان عليه اليتيم قبل البلوغ. وإنما قلنا في اليتيم وكل صبي دون البلوغ كذلك مع كونه ليس بيتيم لأن اليتيم في تدبير وليه والولي الله لأنه ولي المؤمنين، وغير اليتيم في تدبير أبيه فلا ينظر إليه مع وجود أبيه لأن الفرع يستمد من أصله الأقرب، ألا ترى الثمرة لا تعرف لها أصلاً إلا فرع الشجرة لأنها من الفرع تستمد والفرع يعرف الأصل الذي تجهله الثمرة، واليتيم قد علم أن أباه قد اندرج فانكسر قلبه ولم يكن له أصل يدل عليه، فعرفه العلماء بالله أنه ليس له إلا من كان لأبيه وهو الله فيرجع إلى الله في أموره، فلما كان حال اليتيم مع الله في نفسه بهذه المثابة جعل الله له حظاً في المغنم ليتوفر عليه ما هو له وهو ما يرى الصبي من إضافة الأفعال إليه وعدم التحجير عليه فيها، فمن يمسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وليس ذلك لغير اليتيم، وحكم المسكين حكم اليتيم من عدم الناصر الظاهر فقوى الله ضعفه أي زاده الله ضعفاً إلى ضعفه، فإن المخلوق ضعيف بحكم الأصالة، فإذا زاده الله ضعفاً إلى ضعفه كان مسكيناً فما تكون له صولة، فإن صال وهو مسكين فقد أبغضه الله فإنه ظهر منه ما يخالف حاله، فقد كلف نفسه ما لا يقتضيه مقامه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ملك كذاب، وشيخ زان، وعائل مستكبر**» أي قد بالغ في التكبر، كما أن المسكين قد بالغ الله فيه بالضعف، فإنه من كونه مسكيناً صاحب ضعفين: ضعف الأصل وضعف الفقر، فلا يقدر يرفع رأسه لهذا الضعف، بخلاف رب المال فإنه يجد في نفسه قوّة المال، وبهذا سمى المال مالاً لأنه يميل بصاحبه ولا بد إما إلى خير وإما إلى شر لا يتركه في حال اعتدال، فالمسكين من سكن تحت مجاري الأقدار، ونظر إلى ما يأتي به حكم الله في الليل والنهار، واطمأن بما أجرى الله به وعليه، وعلم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه وأنه الفعال لما يريد، وتحقق بأن قسمه من الله ما هو عليه في الحال فجبر الله كسره بقوله: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**» فإنك إذا جئت لمن انكسر قلبه ما تجد عنده جليساً إلا الله حالاً وقولاً فجعل له حظاً عليه في المغنم، وإن لم يكن له فيه

Marfat.com

تعمل فخدمه غيره ونال هو الراحة بما أوصل الله إليه من ذلك مما جهد فيه الغير. وتعب كالمؤمن الذي لا علم له وهو من أهل الجنة، فيرى منازل العلماء بالله وهو في الموقف فيتحسر ويندم فيعمد الله إلى من هو من أهل النار من العلماء فيخلع عنه ثوب علمه ويكسوه هذا المؤمن ليرقى به في منزلة ذلك العلم من الجنة لأنه لكل علم منزلة في الجنان لا ينزل فيها إلا من قام به ذلك العلم لأن العلم يطلب منزلته من الجنان، والعالم الذي كان له هذا العلم هو من أهل النار الذين هم أهلها، والعلم لا يقوم بنفسه فينزل بنفسه في تلك المنزلة، فلا بد له من محل يقوم به فيخلعه الله على هذا المؤمن السعيد الذي لا علم له فيرقى به العلم إلى منزلته فما أعظمها من حسرة، ولكن بقي عليك أن تعرف أي علم يسلبه هذا الذي هو من أهل النار، وذلك أنه إذا كان على علم في نفس الأمر إلا أنه قد دخلت عليه في الدنيا شبهة، فأما حيرته فهو في محل النظر، وأما إزالته عنه مع علمه بما كان عليه غير أنه اعتقد فيه في الدنيا أنه جهل فإذا كان في الآخرة علم أنه علم فذلك العلم هو الذي يسلب ويخلع على هذا الذي ليس بعالم وهو من أهل الجنة، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فإن الله لا يبقي في الدنيا عند الموت عند أهل النار الذين هم أهلها سوى العلم الذي يليق أن يكون عليه أهل النار.

وما عدا ذلك من العلوم التي لا تصلح أن تكون إلا لأهل الجنة يدخل الله بها على العالم به في الدنيا أو عند الاحتضار شبهة يخطرها له تزيله عن العلم أو تحيره ثم يموت على ذلك وكان ذلك في نفس الأمر علماً، فهذا الصنف من العلم هو الذي يخلع على أهل الجنان إذا لم يتقدم لهم علم به في الدنيا ويطمع فيه من قد كان علمه من أهل النار، فيقام عليه الحجة بأنه مات على شبهة فهذا حظ المسكين من المغنم، فإن ذلك الذي سلب عنه في الدنيا بالشبهة جاهد نفسه وتعب، فلما غنم ودخلت الشبهة كان حظ المسكين ذلك العلم.

وأما ابن السبيل فأبناء السبيل هم أعلى الطوائف عند الله فإن الابن لا يقدر أن ينتفي عن أبيه، وإنما سمي ابن السبيل لأنه علم أن المنزل محال وأن الاستقرار على أمر واحد محال لا في حق نفسه ولا في حق تجلي ربه بل ولا في حق ربه لأنه في شأن خلقه والأمر فيهم جديد دائماً أبداً، ومن لم يستقر به قدم فلا بد أن يكون ماشياً أي متحركاً، ولا يتحرك إلا في طريق وهي السبيل والمشي له دائماً دنيا وآخرة فهو ابن السبيل دنيا وآخرة. ولما كان متفرغاً لسبيله مشغولاً به مسافراً فيه والمسافر لا بد له من زاد فجعل الله له نصيباً من المغنم

Marfat.com

فالحق يغذيه بما ليس له فيه تعمل، وقد يكون ابن السبيل في هذه الآية عين المجاهد، ويكون السبيل من أجل الألف واللام اللتين للعهد والتعريف سبيل الله التي قالها الله فيها: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله﴾ يعني الشهداء الذين قتلوا في الجهاد فيكون أيضاً حظ المجاهد من المغنم القدر الذي عين الله لابن السبيل وهو معروف سوى ما له في الصدقات فاعلم ذلك فإنه تنبيه حسن ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل الله على عبده يوم الفرقان﴾ ففرق بما أعلمه الله بين القبضتين بالكلمتين اللتين ظهرتا في الكرسي بالقدمين، إذ كان أهل الله وهم أبناء الآخرة أبناء السبيل بالعدوة الدنيا إلى الله بمحصل القربة والمكانة الزلفى من الله وهم بالعدوة القصوى عن الله، وهم أبناء الحياة الدنيا وأبناء سبيلها، والركب أسفل منكم فجعل السفل لهم إذ كانت ﴿كلمة الذين كفروا السفلى﴾ ومن كان أسفل منك فأنت أعلى منه لأنكم أهل الله الذين لهم السعادة إذ كانت ﴿كلمة الله هي العليا﴾ وكل هذا بحكم الله وقضائه لا ليد تقدمت بل لعناية إلهية سبقت، يقول الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾:

ألا أن أهـل اللّـه بـالعـدوة الـدنيـا كما أن أهل الشرك بالعدوة القصوى
فـإن الـذي أقصـاه يمتـاز بـالسفلى وإن الـذي أدنـاه قـد فـاز بـالعليـا
ألا تلحظـن الـركـب أسفـل منهـم فكـل فـريـق مـن مكـانتـه أدنـى

ولما رأينا أن الله قد اختص بالخمس في مثل هذا الموطن وفي قسمة هذا النوع الذي هو المغنم، علمنا أن الله ما راعى من الأقسام التي تعتبر في العالم إلا مراعاة الجيش عند اللقاء من كونه عزّ وجلّ ملكاً قاهراً حيث أثبت له أعداء ينازعونه، وتقسيم الجيش عند اللقاء على خمسة أقسام: قلب وهو موضع الإمام وهو الذي اصطفاه الله من نشأة عبده حين قال: «وسعني قلب عبدي» وما بقي فميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، فلهذا كان الخمس لله والأربعة الأخماس الباقية لمن بقي، فإن العدو الذي نصبه الله أخبر الله عنه أنه يأتي من بين أيدينا ومن خلفنا فنلقاه بالمقدمة والساقة وعن أيماننا فنلقاه بالميمنة وعن شمائلنا فنلقاه بالميسرة، وليس للعدو غرض إلا في القلب ليزيل ملك الجيش من القلب ما له غرض إلا في هذا، فذب الله عن قلب العبد الذي هو موضع نظره الذي وسعه بهؤلاء الذين رتبهم في هذه الأماكن التي يدخل العدو منها فعليه يقاتل هذا الجيش وهو قوله ﷺ إن الذي يقاتل في سبيل الله هو الذي يقاتل لتكون ﴿كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى﴾ وهم الأعداء فهو يمدهم من القلب في الباطن وهم يذبون عنه من الظاهر من الجهات التي يطلب

Marfat.com

العدو الفرصة فيها، فمن هنا كان له الخمس من المغنم الذي نص عليه أنه نصيبه لأنه ناصر المؤمنين على أعدائه، والجيش ناصر دينه ذلك بأن الله: ﴿مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ فما لهم قلب ينصرهم:

إن للَّـــه نصيبـــاً وافـــرا ... هو خمس الفيء من غير مزيد
فلـــه القلـــب الـــذي يعمـــره ... وهـــو العـــرش الإلهـــيّ المجيـــد
والـــذي يبقـــى فقـــد قسمـــه ... اختصاصاً منه في بعض العبيد
فـــالـــذي حـــاز الـــذي سطـــره ... قلمي فاز بما يعطي الـوجـود
فـــرســـول أو ولـــيّ وارث ... مـا لـه فـي علمنـا غيـر الشهـود
والـــذي يعلمـــه اللَّـــه فمـــا ... لـــي علـــم فيـــه إلا أن يجـــود

وفي هذا المنزل: علم هل يتعلق العلم الواحد بجميع المعلومات أو لكل معلوم علم أو يختلف بالنسبة إلى العالم؟ وما هو العلم هل هو ذات العالم أو صفة قائمة به أو نسبة ما هي ذات العالم ولا صفته؟ وفيه علم ما يؤدي إليه المناسبات بين الأشياء من التألف والاجتماع. وفيه علم من عمل بعملك فهو منك. وفيه علم الاستناد وحماية المستند ومشاركته في المشقة وترك ما يرى تركه وإن كان محبوباً لك والإيمان الذي لا يزلزله شيء. وفيه علم ما توجبه مكارم الأخلاق على من قامت به وعلم المقامات وما يختص بهذا المنزل منها. وفيه علم الكثير والقليل ومن هو كثير بالقوّة وكثير بالعدد وكذلك في القلة. وفيه علم فيه مزلة قدم وهو أنه يعطيك أن تكون مع كل من يريد منك أمراً ما أن تكون له بما يريد منك وإنما هو مزلة قدم لاختلاف الأغراض وتقييد المؤمن بما قلده من الحكم الذي قيده. وفيه علم ما ينبغي أن يستعد له مما لا يستعد له. وفيه علم معاملة من تجهل أمره كيف تعامله. وفيه علم يعلم به أنه ما يقابلك من العالم ولا من الحق إلا صفتك. وفيه علم إلحاق الرؤوس بالأذناب في الحكم وهو الحال الذي يستوي فيه الرئيس والمرؤوس كالنوع الوسط الذي هو نوع لما فوقه وجنس لما تحته. وفيه علم التحريش ثم التبري منه هل ينفع ذلك التبري أم لا ينفع؟ وفيه علم إدراك الخيال في صورة المحسوس في اليقظة وما ثم شيء محسوس مخيل من خارج ولا من داخل بل هو كالسراب تراه ماء، وكالصغير في السراب تراه كبيراً، وكالجبل الأبيض تراه على البعد أسود، فهذا خارج عن الحس والخيال.

وفيه علم السبب الذي يدعو الإنسان إلى أن يدعو على نفسه بالهلاك ويطلب العلامة

Marfat.com

في نفسه بما يرديه. وفيه علم ما يتوهم أنه قادر عليه وليس بقادر عليه ولماذا يرجع الإعجاز؟ هل يرجع لأمر لا يقدر مخلوق عليه أو لأمر كان يقدر عليه ثم صرف عنه؟ وفيه علم ما تنتجه التقوى في المتقي. وفيه علم الفرق بين الرسول ﷺ وبين المؤمنين. وفيه علم ما يريده المخاطب من المخاطب إذا كلمه. وفيه علم ما يظهر أنه لله وهو للكون ويظهر أنه للكون وهو لله. وفيه علم الجهات والإحاطة والسكون والحركة. وفيه علم المنافع الأخروية. وفيه علم السبب الذي يوجب الأمان في موطن الخوف هل يصح ذلك أم لا؟ وما معنى الموطن هل هو الحال في الشخص فيكون موطنه حاله أو الموطن خارج عن الحال؟ وفيه علم الأسباب الموجبة لوجود الأوهام الحاكمة في النفوس وهي صور من صور التجلي الإلهيّ. وفيه علم ما يحمد من السؤال وما يكره. وفيه علم الصلاح ومراعاة الأصلح وعلى من يجب ذلك. وفيه علم الوعد والوعيد ومع من يجب القتال شرعاً إذا تراءى الجمعان وصفّ الناس للقتال. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل سجود القيومية والصدق والمجد واللؤلؤة والسور

إذا وضع الميزان في قبة العدل ... وجاء إله الحق للحكم والفصل
يقوم لنا شكل بديع مثلث ... فضلعان في مثل وضلع بلا مثل
ولا بد من ترجيحه لبقائه ... فلا بد من أمر يؤيد بالفضل
فيذهب حكم الميل عند استوائه ... ويرجح ميزان السعادة بالثقل

اعلم أيدك الله أنه ثبت شرعاً وعقلاً أنه تعالى سبحانه أحديّ المرتبة فلا إله إلا هو الله وحده لا شريك له في الملك والملك كل ما سوى الله وأما أن يكون له تعالى ولي فما هو مثل الشريك في الملك فإن ذلك منفي على الإطلاق لأنه في نفس الأمر منفي العين، وأما الوليّ فموجود العين فهو ينصر الله ابتغاء القربة إليه والتحبب عسى يصطفيه ويدنيه لا لذل ناله فينصره على من أذله أو ينصره لضعفه تعالى الله، قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله﴾ وقال: ﴿وهو خير الناصرين﴾ فما قال ﴿إن تنصروا الله﴾ إلا ولا بد من وقوع هذا النصر ولكن كما ذكرنا وهو قوله تعالى: ﴿ولم يكن له وليّ من الذل﴾ أي ناصر من أجل الذل ﴿وكبره تكبيرا﴾ عن هذين الوصفين، كما أنه تعالى بدليل العقل والشرع أحدي الكثرة بأسمائه الحسنى أو صفاته أو نسبه وهو بالشرع خاصة أحدي الكثرة في ذاته بما أخبر به عن نفسه بقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ﴿ولما خلقت بيدي﴾ ﴿وتجري بأعيننا﴾ والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ وكلتا يدي ربي يمين مباركة. وهذه كلها وأمثالها أخبار عن الذات أخبر الله بها عن نفسه والأدلة العقلية تحيل ذلك، فإن كان السامع صاحب النظر العقلي مؤمناً تكلف التأويل في ذلك لوقوفه مع عقله، وإن كان السامع منور الباطن بالإيمان آمن بذلك على علم الله فيه مع معقول المعنى الوارد المتلفظ به من يد وأصبع وعين وغير ذلك، ولكن يجهل النسبة إلى أن يكشف الله له عن بصيرته فيدرك المراد من تلك العبارة كشفاً فإن الله ﴿ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه﴾ أي بما تواطؤوا عليه من التعبير عن المعاني التي يريد المتكلم أن يوصل مراده فيما يريد منها إلى السامع، فالمعنى

Marfat.com

لا يتغير البتة عن دلالة ذلك اللفظ عليه وإن جهل كيف ينسب فلا يقدح ذلك في المعقول من معنى تلك العبارة:

واحـد وهـو كثيـر عجـب وهـو للحـاصـل فيه مـذهـب
إنمـا العلـم لمـن حصلـه بطـريـق الـذوق فهـو المشـرب
أيهـا الطـالـب كنـزاً إنـه عيـن مـا جئـت بـه مـا تطلـب

واعلم أيدك الله أنه من المحال أن يكون في المعلومات أمر لا يكون له حكم ذلك الحكم ما هو عين ذاته بل هو معقول آخر، فلا واحد في نفس الأمر في عينه لا يكون واحداً لكثرة فما ثم إلا مركب أدنى نسبة التركيب إليه أن يكون عينه وما يحكم به على عينه فالوحدة التي لا كثرة فيها محال.

واعلم أن التركيب الذاتي الواجب للمركب الواجب الوجود لنفسه لا يقدح فيه القدح الذي يتوهمه النظار، فإن ذلك في التركيب الإمكاني في الممكنات بالنظر إلى اختلاف التركيبات الإمكانية، فيطلب التركيب الخاص في هذا المركب مخصصاً بخلاف الأمر الذي يستحقه الشيء لنفسه كما يقول في الشيء الذي يقبل الأشكال لنفسه لا تقول إن ذلك له بجعل جاعل أعني قبول الأشكال، وإنما الذي يكون له بالمخصص كون شكل خاص دون غيره مع إمكان قيام شكل آخر به فلا بد من مخصص لا قابل للأشكال فإن ذلك لنفسه، فالتركيب الذاتي الذي يقتضيه الواجب الوجود لنفسه خارج عن هذا الحكم لأنه مجهول الماهية عند النظار، فنسبة التركيب إليه مجهولة مع معقولية التركيب، ومعنى التركيب كونه كثيراً في ذاته كما لم يقدح فيه كونه له صفات قديمة عند مثبتي الصفات من النظار كالأشاعرة، وما وجدنا عقلاً يقيم دليلاً قط على أنه تعالى لا يحكم عليه بأمر فغاية من غاص في النظر العقلي واشتهر من العلماء أنه عقل صرف لا حظ له في الإيمان أنه حكم عليه بأنه علة فما خلص التوحيد له في ذاته حين حكم عليه بالعلية، وأما غيرهم من النظار فحكموا عليه بالنسب، وأن ثم أمراً يسمى القائلية والقادرية بهما حكمنا حكماً عليه أنه قائل وقادر، وأما غير هؤلاء من النظار فحكموا عليه بأن له صفات زائدة على ذاته قديمة أزلية قائمة بذاته تسمى حياة وعلماً وقدرة وإرادة وكلاماً وسمعاً وبصراً بها، يقال فيه أنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير، وجميع الأسماء من حيث معانيها أعني الأسماء الإلهيّة تندرج تحت هذه الصفات الأزلية القديمة القائمة بذات الحق.

ومن النظار من جعل لكل اسم إلهيّ معنى معقولاً يعقل منه أن ذلك المعنى قائم بذات

Marfat.com

الحق قديم أزليّ ولو كان ما كان وبلغ ما بلغ من الأعداد. وروينا عن أبي بكر القاضي الباقلاني أنه يقول بهذا، غير أنهم اتفقوا بالنظر العقلي على أن الحوادث لا تقوم به، فما أخلوا ذاته عن حكم إما بنسب وإما بصفات وإما بمعاني أسماء، ثم جاء الشرع وهو ما ترجمه الرسول ﷺ وقال: إنه كلام الله وأقام الدلالة على صدقه أنه من عند الله وأخبر أنه في كل ما ينطق عن الله ما ينطق عن الهوى ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ ينزل به الروح الأمين على قلبه أو يلهمه الله إلهاماً في نفسه بأنه تعالى على كذا وكذا من أمور وصف بها نفسه وذكر عن ذاته أنها على ما أخبر بعبارات تعلم في العرف بالتواطىء معانيها لا نشك في ذلك بأي لسان أرسل ذلك الرسول، وأضاف تلك المعاني إلى نفسه وذاته أنه عليها من يدين وأصبعين ويمين وأعين ومعية وضحك وفرح وتعجب وتبشبش وإتيان ومجيء واستواء ونزول وبصر وعلم وكلام وصوت، وأمثال ذلك من هرولة وحد ومقدار ورضى وغضب لأسباب حادثة من العبيد المكلفين فعلوها أغضبوا بها ربهم فقبل الغضب ووصف نفسه به ووصف نفسه بأن العبد إذا تصدق مثلاً يطفىء بصدقته غضب الله عليه، وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة إلى الله يجب الإيمان به على كل إنسان خوطب أو كلف به من عند الله، وهذا كله خارج عن الدلالة العقلية إلا أن يتأول فحينئذ يقبله العقل فقبوله بالإيمان أولى لأنه حكم حكم به الحق على نفسه أنه كذا مع أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عنا العلم بوجه النسبة إليه ما نفى الحكم بذلك عن نفسه، وحكمه سبحانه بأمر على نفسه أولى بنا أن نقبله منه من حكم حكم به مخلوق وهو العقل عليه، فما أعمى من اتبع عقله في حكمه بما حكم به على ربه، ولم يتبع ما حكم به الرب على نفسه، وأي عمى أشد من هذا ولاسيما والمترجم عن الله تعالى وهو الرسول ﷺ قد نهى المكلفين أصحاب العقول أن يفكروا في ذات الله وأن يصفوها بنعت ليس في إخبار الله عن نفسه، فعكسوا القضية وفكروا في ذات الله وحكموا بما حكموا به على ذاته تعالى، ولما جاء إخباره إلينا بما هو عليه في ذاته أنكروا ذلك بعقولهم وردّوه وكذبوا الرسل، ومن صدقهم من هؤلاء جعلوا ذلك سياسة من حكيم عاقل لمصلحة الوقت وتوفر الدواعي بالجمعية على إله هذه صفته تقريراً في النفوس القاصرة، فإذا قرّروا ذلك ظهروا للناس في العامة بالارتباط بتلك الصفات مثل ما هي العامة عليه، وفي أنفسهم خلاف ما ظهروا به، وأما من أعطاه نظره وجود الرسول وصدقه فيما أخبر فغايته التأويل حتى لا يخرج عن حكم عقله على ربه فيما أخبر به عن نفسه، فكأنه في تصديقه مكذب.

Marfat.com

وأما أهل السلامة الذين لا نور عندهم إلا نور الإيمان سلموا ذلك إلى الله على علم الله فيه مع الإيمان والتحقيق لما تعطيه تلك العبارات من المعاني بالتواطىء عليها في ذلك اللسان المبعوث به هذا الرسول. وأما أهل الكشف والوجود فآمنوا كما آمن هؤلاء ثم اتقوا الله فيما حد لهم وشرع فجعل لهم فرقاناً فرّقوا به بين نسبة هذه الأحكام إلى الله ونسبتها إلى المخلوق فعرفوا معانيها عن عيان وعلم ضروريّ وإلى هنا انتهوا، فانظر في تفاوت العقول في الأمر الواحد واختلاف الطرق فيما لمن كان له عقل سليم ﴿وألقى السمع﴾ لخطاب الحق ﴿وهو شهيد﴾ لمواقع الخطاب الإلهيّ على الشهود والكشف، فإذا تقرّر ما ذكرناه وكان الأمر على ما شرحناه وبيناه فاعلم أن الله ﴿هو الظاهر﴾ الذي تشهده العيون ﴿والباطن﴾ الذي تشهده العقول، فكما أنه ما ثم في المعلومات غيب عنه جملة واحدة بل كل شيء له مشهود كذلك ما هو غيب لخلقه لا في حال عدمهم ولا في حال وجودهم، بل هو مشهود لهم بنعت الظهور والبطون للبصائر والأبصار، غير أنه لا يلزم من الشهود العلم بأنه هو ذلك المطلوب إلا بإعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد أنه هو مثل ما يجد النائم إذا رأى صورة الرسول أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه من غير سبب ظاهر أن ذلك المرئي هو الرسول إن كان الرسول أو الحق إن كان الحق، وذلك الوجدان حق في نفسه مطابق لما هو الأمر عليه فيما رآه، هكذا يكون العلم بالله فلا يدرك إلا هكذا لا بتفكر ولا بنظر حتى لا يدخل تحت حكم مخلوق، وإذا كان الأمر بهذه المثابة وأخبر عن نفسه أنه يتحوّل في الصور مع ثبوت هذه الأحكام حكمنا عليه بما يحكم به على الصور التي يتجلى فيها لعباده كانت ما كانت فليس ثم غيره ولا سيما في الموطن الذي يعلم من حقيقته أنه لا يمكن فيه دعوى في الألوهية إلا لله فلا نضرب له مثلاً:

فـإنـه عيـن المثـل   سبحـانـه عـزّ وجـلّ
وكلنـــا منـــه إذا   حققتـه علـى وجـل
إلا الـــذي بشـــره   بـالأمـن منـه وبجـل

ففعل ما يقتضيه الموطن، فإن العالم بالأمور لا يزيد في الظهور على حكم ما يقضي به الوقت، ولذلك قالت الطائفة في الصوفي أنه ابن وقته، وهذا حكم الكمل من الرجال كما يقول رسول الله ﷺ وهو الرؤوف الرحيم في حق طائفة يوم القيامة: «سحقاً سحقاً» فإذا زال ذلك الحال تلطف في المسألة وشفع فيمن هوت به الريح وهو قوّة حكم هوى النفس

Marfat.com

في مكان سحيق، فيقوم الحق في الحال الواحد بصفة الغضب والرضى والرحمة والعذاب لحكم الظاهر والباطن والمعز والمذل فكأنه برزخ بين صفتيه، فإنه ذو قبضتين ويدين لكل يد حكم وفي كل قبضة قوم مثل الكتابين اللذين خرج بهما رسول الله ﷺ على أصحابه وأخبرهم أن في أحدهما أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وقبائلهم من حين خلق الله الناس إلى يوم القيامة، ولو كتب هذا بالكتابة المعهودة ما وسعت الأوراق مدينة فكيف أن يحيط بذلك كتابان في يدي الرسول ﷺ؟ فهذا من علم إدخال الواسع في الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع، فمن شاهد هذه الأمور مشاهدة وحصلت له ذوقاً فذلك هو العالم بالله وبما هو الأمر عليه في نفسه وعينه، فإن الصحيح أن الشيء لا يدرك إلا بنفسه، وليس له دليل قاطع عليه سوى نفسه والبصر له الشهود والعقل له القبول.

وأما من طلب معرفة الأمور بالدلائل الغريبة التي ليست عين المطلوب فمن المحال أن يحصل على طائل ولا تظفر يداه إلا بالخيبة فأما المقربون فهم بين يدي الله في مقابلة الذات الموصوفة باليدين فإنهم لتنفيذ الأوامر الإلهيّة في الخلق في كل دار، وأما أهل اليمين فليس لهم هذا التصريف بل هم أهل سلامة وبراءة لما كانوا عليه وهم عليه من قوّة الحكم على نفوسهم وقمعهم هواهم باتباع الحق. وأما أهل اليد الأخرى الذين قيل فيهم أنهم أصحاب الشمال فنكسوا رؤوسهم، ومنهم المقنع رأسه الذي لا يرتدّ إليه طرفه بهتاً لعظيم ما يرى فلا يرى طائفة من هؤلاء الثلاثة إلا ما يعطيه مقامها ومنزلها ومكانها فتشهد كل طائفة من الله خلاف ما تشهده الأخرى والحق واحد، فلولا ما هو الأمر واحد الكثرة لما اختلف شهودهم، فلولا الكثرة في الواحد لما كان الأمر إلا واحداً لا يقبل القسمة وقد قبل القسمة فالأصل كهو، وهذا سبب وجود الدارين في الآخرة والكفتين في الميزان والرحمة المقيدة بالوجوب والمطلقة بالامتنان وتفاضل المراتب في الدرجات في الجنان والدركات في النار:

فليس إلا الواحد الكثير ... بمثل هذا تشهد الأمور
فانظر إذا ما جاءك الغرور ... حقاً بلا شك له النذير
وكل ما تقوله فزور ... تضيق من سماعه الصدور

فإذا تجلى الحق في صفة الجبروت لمن تجلى من عباده فإن كان المتجلى له ليس له مدبر غير الله كجبل موسى تدكدك لتجليه فإنه ما فيه غير نفسه، وإن كان له مدبر قد جعله الله له كتدبير النفوس الناطقة أبدانها لم تتدكدك أجسامها لكن أرواحها حكم فيها ذلك التجلي

Marfat.com

حكمه في الجبل، فبعد أن كان قائماً بتدبير الجسد زال عن قيامه فظهر حكم الصعق في جسد موسى وما هو إلا إزالة قيام المدبر له خاصة كما زال الجبل عن وتديته فثبت في نفسه ولم يثبت غيره، فإن الجبل ما وضعه الله إلا ليسكن به ميد الأرض فزال حكمه إذ زالت جبليته كما زال تدبير الروح لجسد صاحب الصعق إذ زال قيامه به فأفاق موسى بعد صعقه ولم يرجع الجبل إلى وتديته لأنه لم يكن هناك من يطلبه لوجود العوض وهو غيره من الجبال، وهذا الجسد الخاص ما له مدبر مخلوق سوى هذا الروح، فطلب الجسم من الله بالحال مدبره فردّه الله إليه فأفاق، فالنشأة الطبيعية تحفظ التدبير على روحها المدبر لها لأنها لا غنى لها عن مدبر يدبرها، والأرض لا تحفظ وتدية جبل عليه معين لاستغنائها عنه بأمثاله لكن لا غنى لها عن المجموع إذا طلب السكون، فهذا سبب علة إفاقة موسى وعدم رجوع الوتدية للجبل، فالجبال مخلوقة بالأصالة بصفة الرحمة واللطف والتنزل فظهرت ابتداء بصورة القهر حيث سكنت ميد الأرض فكانت رحمتها في القهر فلا تعرف التواضع فإنها ما كانت أرضاً ثم صارت جبالاً، فأوّل جبل أنزله الله عن قهره وجبروته بالحجاب الذي كان الحق احتجب عنه حجاب شهود لا حجاب علم جبل موسى بالتدكدك فصار أرضاً بعدما كان جبلاً فهو أوّل جبل عرف نفسه، ثم بعد ذلك في القيامة تصير الجبال ﴿دكادكاً﴾ لتجلي الحق إذا كانت ﴿كالعهن المنفوش﴾ فمد الأرض إنما هو مزيد امتداد الجبال وتصييرها أرضاً، فما كان منها في العلوّ في الجوّ إذا انبسط زاد في بسط الأرض ولهذا جاء الخبر: «إن الله يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم» فشبه مدها بمد الأديم، وإذا مد الإنسان الأديم فإنه يطول من غير أن يزيد فيه شيء لم يكن في عينه وإنما كان فيه تقبض ونتوء، فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الأرض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها إلى القاع منها كما يكون في الجلد سواء، فلا ترى في الأرض عوجاً ولا أمتاً، فيأخذ البصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق بعضهم بعضاً فيشهدوا حكم الله بالفصل والقضاء في عباده لوجود الصفتين وحكم القدمين من الظاهر والباطن:

فلولا ظهور الحق ما كان إنسان ... ولولا بطون الحق ما قام برهان
فما ثم إلا واجب ثم واجب ... إذا علمت الأمر ما ثم إمكان
فما أكمل في الكون من عين ذاته ... وهذا الذي سماه في الكون إنسان
وما ثم مقصود سواه فإنه ... هو الحق لا يحجبك خلد ونيران

Marfat.com

فإن الذي أبداه أعلم أنه ... له غضب بيديه وقتاً ورضوان
فلا بد من دارين دار كرامة ... ودار عذاب فيه للعقل تبيان
وهذا الذي جئنا به في كلامنا ... هو الحق إن فكرت ما فيه بهتان

وكيف لا تعرف هذا من نفس ما نطقت به وترجمت عنه :

وقد علمت بأن الحق أيدني ... فيما أفوه به عنه وقيدني
به فلا تبرح الأرواح تنزل بي ... على الدوام وتهواني فتقصدني
وذاك أن لنا عيناً مكملة ... بها يرى نفسه من كان يشهدني
لذاك أوجدني ربي وخصصني ... فكل ما فيه منه حين يوجدني
وانظر إليّ ترى في صورتي عجباً ... في كل حال إله الحق يسعدني
إذا هممت بأمر لا يقاومه ... أمر وجدت إلهي فيه يعضدني
فكل عقل يرى ربي يوحده ... والحق حين يراني بي يوحدني
فالله يعلم ما في الغيب من عجب ... وبالوصول إليه الحق يفردني

وفي هذا المنزل من العلوم ما في الكتب الأربعة وهي: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وفيه علم ما سبب إنزال الكتب وما نزل إلا كلام على الرسل وكتب عن الرسل في الكتب وإنما نزل كتابة إلى السماء الدنيا فيما نقل وذلك ليلة القدر موافقة ليلة النصف من شعبان، ثم نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ منجماً في ثلاث وعشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف. وفيه علم تسمية الترجمة إنزالاً وتنزيلاً. وفيه علم من كشف عنه الغطاء حتى شاهد الأمر على ما هو عليه هل هو مخاطب بالآداب السمعية أو يقتضي ذلك المقام الذهول وذهاب عقل التكليف فيبقى بلا رسم مع المهيمين من الملائكة. وفيه علم الوصايا والآداب وأحوال المخاطبين والمطرفين. وفيه علم حفظ الجوار على الجار وهل الجار إذا انتهك حرمة جاره هل يجازيه جاره بمثل ما أتى به أو يكون مخاطباً بحفظ الجوار ولا يجازيه بالإساءة على إساءته. وفيه علم حال الموصوف بأنه يأمر بمكارم الأخلاق ومنها العفو والصفح وتفريج الكرب بضمان التبعات لما هو عليه من الغنى في الأداء عنه ثم بعد ذلك يعاقب والعفو مندوب إليه والضمان أيضاً مندوب إليه فبأي صفة تكون العقوبة ممن هذا نعته. وفيه علم الفرق بين الأمر وصفته. وفيه علم ما حرّم من الزينة وما أبيح منها وما حظر منها وموطن كل زينة. وفيه علم الفرق بين الخبيث والطيب. وفيه علم مرجع الدرك في الدار الآخرة على من يكون إذا كان في ضمنه شخصان الواحد مفلس والآخر موسر.

Marfat.com

وفيه علم الثناء وتفاصيله بالأحوال. وفيه علم مخاطبة الموتى بعضهم بعضاً في حال موتهم وهل حالهم بعد الموت مثل حالهم قبل الإيجاد أم لا؟ وفيه علم الموت وماهيته. وفيه علم الفصل بين القبضتين. وفيه علم التكليف يوم القيامة وقبل دخول الجنة. وفيه علم العلامات في السعداء والأشقياء ومن لا علامة له لأيّ فريق يكون. وفيه علم من حلف على شيء أكذبه الله وقد ورد: «من يتألى على الله يكذبه». وفيه علم ما السبب الموجب للمنعوت بالكرم إذا سأله المضطر المحروم وهو قادر على مواساته وبذله ما سأله بذله فلم يفعل وبماذا يعتذر وما صفة هذا السائل المحروم. وفيه علم أولاد الليل والنهار بماذا يفرق بينهم. وفيه علم سباحة عالم الأنوار. وفيه علم قيام العبد بالصفتين المتضادتين وهو محمود عند الله عزّ وجلّ في الحالين. وفيه علم كون الرحمة قد وسعت كل شيء ثم وصفت بالقرب من بعض الأشخاص لصفات قامت به فهل هي هذه الرحمة التي وسعت كل شيء أو رحمة أخرى؟ وفيه علم من أسعده الله على كره منه في السعادة وهو في علم الله سعيد. وفيه علم قول الأعمى للبصير: ما لك أعمى لا تبصر شيئاً أما تراني أبصر الظلمة وأنت لا تراها وتزعم أنك تبصر؟.

وفيه علم الاعتبار وعلم الإمكان والممكنات وعلم السيميا وعلم الورث والوارثين وعلم الدلالات على الوقائع وعلم التشبيه وعلم الغيرة. وفيه علم الشوق والاشتياق. وفيه علم التوبة ما هي وتقاسيمها والتائبين. وفيه علم كل شيء. وفيه علم الذوق. وفيه علم تأثير الأحوال. وفيه علم التقييد والإطلاق، وفيه علم رفع الأثقال. وفيه علم الاختصاص. وفيه علم تقاسيم العلوم وفيه علم المراتب. وفيه علم تبديل الشرائع ونسخ بعضها بعضاً. وفيه علم الخلف والخلف بسكون اللام وفتحها. وفيه علم التهويل والتخويف من غير إيقاع ما يخوف به. وفيه علم العهود والمواثيق البرزخية. وفيه علم التسليم. وفيه علم الاستدراج وإظهار البعد في عين القرب وما صفة من يعرف ذلك. وفيه علم أوقات الموقتات. وفيه علم ما يعطيه العلم الذي يقتضي العمل من العمل فإنه من المحال أن يكون علم يعطي العمل قيامه بصاحبه ولا يعمل ولا يجوز ذلك كثير من الناس وهم فيه على غلط فالعلم يقتضي العمل ولا بد. وفيه علم الشركة في الأسماء وما يؤثر. وفيه علم العجز وحيث ينفع ويكون دليلاً. وفيه علم منافع الأعضاء. وفيه علم ما يدفع به الخاطر الشيطاني والنفسي من الإنسان. وفيه علم مراتب السجود في الساجدين وما الذين أسجدهم؟ وما السجود الذي لا رفع بعده لمن سجده؟ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل الأمة البهيمية والإحصار والثلاثة الأسرار العلوية وتقدم المتأخر وتأخر المتقدم من الحضرة الإلهية

يطير العارفون إلى المسمى ... بأجنحة الملائكة الكرام
إلى ذات الذوات بغير نعت ... فترجعهم بأرواح الأسامي
فتكمل ذاتهم من كل وجه ... من الحال المنزه والمقام
وشاهد حالهم يبدو فيقضي ... فكلهم إمام عن إمام

اعلم أيدنا الله وإياك أن البهائم أمم من جملة الامم لهم تسبيحات تخص كل جنس وصلاة مثل ما لغيرها من المخلوقات، فتسبيحهم ما يعلمونه من تنزيه خالقهم فلهم نصيب في ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأما صلاتهم فلهم مع الحق مناجاة خاصة قال تعالى: ﴿والطير صافات﴾ ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك﴾ وهي ما شرع الله لها من السبل أن تسلكها ذللاً، فكل شيء من المخلوقات له كلام يخصه يعلمه الله ويسمعه من فتح الله سمعه لإدراكه، وجميع ما يظهر من الحيوان من الحركات والصنائع التي لا تظهر إلا من ذي عقل وفكر وروية وما يرى في ذلك من الأوزان تدل على أن لهم علماً في أنفسهم بذلك كله، ثم يرون منهم أموراً تدل على أنهم ما لهم ما للإنسان من التدبير العام، فتعارضت عند الناظرين في أمرهم الأمور فانبهم أمرهم عليهم وربما سموا لذلك بهائم من إبهام الأمر إلا عندنا فإنه أوضح من كل واضح، وما أتى على من أتى عليه إلا من عدم الكشف لذلك فلا يعرفون من المخلوقات إلا قدر ما يشاهدونه منهم، وكذلك من ألحقهم بدرجة المعارف والعلم بالله وبما أهلهم الله له ما ألحقهم بذلك إلا من كون الله كشف له عن أمرهم وأحوالهم، أو مؤمن صادق الإيمان قد بلغه عن الله في كتاب أو سنة أمرهم، وساعدنا على هذا القول شيخنا وإمامنا المتقدم حجة الله على المحققين الذي يقول فيه أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب إذا حكى عنه قولاً قال عالمنا سهل بن عبدالله،

Marfat.com

التستري الذي رأى قلبه يسجد وهو صغير فلم يرفع واستظهر القرآن وهو ابن ست سنين ولما دخلت الخلوة على ذكره فتح لي به من ليلتي تلك الفتح الخاص بذلك الذكر فانكشف لي بنوره ما كان عندي غيباً ثم أفل ذلك النور المكاشف به فقلت: هذا مشهد خليلي فعلمت أني وارث من تلك الساعة لملة أمر الله رسوله وأمرنا باتباعها وذلك قوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ وتحققت أبوته وبنوّتي، وقد كان شيخنا صالح البربري بإشبيلية قد قال لي: يا ولدي إياك أن تذوق الخل بعد العسل فعلمت مراده، وكان من أكبر من رأيته من المنقطعين إلى الله تعالى بل المقتطعين ما رأيت على قدمه مثله فجئت الشيخ بكرة وقلت له ما كان في منظوم نظمته إلهي لا عن روية ولا تعمل قال أبو العباس بن العريف الصنهاجي:

وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي إلينا نثره ونظامه

وكان النظم الذي عملته في حالي:

كان مثل الخل من بعد العسل ... فمضى المصباح عني وأفل
وبدت ظلمة ليل حالك ... أورثت في القلب أسباب العلل
قلت ربي قال لبيك فما ... تبتغيه قلت نوراً بعمل
علم الحق الذي قد قلته ... قال باب مغلق قلت أجل
قلت هب لي نورك الخالص لي ... فبدا النور بلا ضرب مثل
في سمائي ثم أرضي ثم ما ... بين هذين إلى غير أجل
والذي يفهم قولي قد درى ... أنني الأمر الذي منه نزل

فسر الشيخ بهذا النفس وقال: هذا من تجلي الغلس، قلت له: صدقت كذلك كان، قال: الحمد لله المنعم على كل حال لو علم الناس النعمة السارية في الأحوال ما فرّقوا بين السراء والضراء واتحد الحمد، قلت له: بل توحد، فقال: صدقت يا ولدي وأخطأ الشيخ فقبلت يده وقبل رأسي:

إذا الصادق الداعي أتاك مبيناً ... فألق إليه السمع إن كنت مؤمنا
وقلت رسول الله أنت وسيلتي ... إلى مسعدي سراً أقول ومعلنا
ولست بإيماني به متردّداً ... فإني علمت الأمر علماً مبينا

Marfat.com

بكشف أتاني من إلهي بمشهد | يكون لنا يوم القيامة موطنا
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليدع | فما ثم إلا الله فالعلم علمنا
إذا قلت يا اللّه لبى من الحشا | فإن قلت من هذا يقول أنا أنا
أنا الواهب المحسان في كل حالة | وذلك نعت لا يكون لغيرنا
وما ثم غير بل أقول بما أتت | به رسلنا فالقول منا بنا لنا
وليس رسولي غير نعتي ولا الذي | أخاطبه غيري فعينك عيننا

فكل شيء في العالم يقال فيه عند أهل النظر، وفي العامة أنه ليس بحي ولا حيوان فإنه الله عندنا قد فطره لما خلقه على المعرفة به والعلم وهو حي ناطق بتسبيح ربه يدركه المؤمن بإيمانه ويدركه أهل الكشف عيناً. وأما الحيوان ففطره الله على العلم به تعالى ونطقه بتسبيحه وجعل له شهوة لم تكن لغيره من المخلوقات ممن تقدم ذكره آنفاً، وفطر الملائكة على المعرفة والإرادة لا الشهوة، وأمرهم وأخبر أنهم لا يعصونه لما خلق لهم من الإرادة، ولولا الإرادة ما أثنى عليهم بأنهم لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون، وفطر الجن والإنس على المعرفة والشهوة وهو تعلق خاص في الإرادة لأن الشهوة إرادة طبيعية، فليس للإنس والجن إرادة إلهية كما للملائكة بل إرادة طبيعية تسمى شهوة وفطرهما على العقل لا لاكتساب علم، ولكن جعله الله آلة للإنس والجن ليردعوا به الشهوة في هذه الدار خاصة لا في الدار الآخرة، ولذلك قال في الدار الآخرة لأهل الجنان: ﴿ولكن فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ إعلاماً لنا بأن النشأة الآخرة التي ينشئنا فيها طبيعية مثل نشأة الدنيا، لأن الشهوة لا تكون إلا في النفوس الطبيعية، والنفوس الطبيعية ما لها نصيب في الإرادة، فإذا استفاد الإنسان أو الجان علماً من غير كشف، فإن ذلك مما جعل الله فيه من قوة الفكر، فكل ما أعطاه الفكر للنفس الناطقة وكان علماً في نفس الأمر فهو من الفكر بالموافقة، فالعلوم التي في الإنسان إنما هي بالفطرة والضرورة والإلهام، والكشف الذي يكون له إنما يكشف له عن العلم الذي فطره الله عليه فيرى معلومه، وأما بالفكر فمحال الوصول به إلى العلم. فإن قيل: من أين علمت هذا وما هو من مدركات الحس فلم يبق إلا النظر؟ قلنا: ليس كما نقول بل بقي الإلهام والإعلام الإلهي فتتلقاه النفس الناطقة من ربها كشفاً وذوقاً من الوجه الخاص التي لها ولكل موجود سوى الله، فالفكر الصحيح لا يزيد على الإمكان وما يعطى إلا هو، وهذا من علم الله وإعلامه لم يدرك ذلك بالفكر. كان ابن عطاء راكباً على جمل فغاصت رجل الجمل فقال

Marfat.com

ابن عطاء: جل الله فقال الجمل: جل الله يزيد عن إجلالك، فكان الجمل أعلم بالله من ابن عطاء فاستحى ابن عطاء، فهذا من علم البهائم بالله.

وأما رسول الله ﷺ فإنه ذكر في الصحيح: «أن بقرة في زمن بني إسرائيل حمل عليها صاحبها فقالت: ما خلقت لهذا وإنما خلقت للحرث، فقالت الصحابة: أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وذلك أن الروح الأمين أخبره، فلو عاينها رسول الله ﷺ لما قال آمنت فهذه بقرة من أصناف الحيوان قد علمت ما خلقت له والإنس والجن خلقوا ليعبدوا الله وما علموا ذلك إلا بتعريف الله على لسان الرسول وهو في فطرتهم ولكن ما كشف لهم عما هم عليه. ومر بعض أهل الله على رجل راكب على حمار وهو يضرب رأس الحمار حتى يسرع في المشي فقال له الرجل: لم تضرب على رأس الحمار؟ فقال له الحمار: دعه فإنه على رأسه يضرب، فهذا حمار قد علم ما تؤول إليه الأمور بالفطرة لا بالفكرة. فانظر يا محجوب أين مرتبتك من مرتبة البهائم؟ البهائم تعرفك وتعرف ما يؤول إليه أمرك وتعرف ما خلقت له وأنت جهلت هذا كله.

ومع هذا فالبهائم في الحيرة في الله وهم مفطورون عليها فإنها المقام الذي يصل إليه أهل النظر الصحيح في الله وأهل التجلي ولذلك قال الله فيمن لم يعرف الله: ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ يعني في الضلال الذي هو الحيرة ثم قال: ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ والسبيل الطريق ﴿فزادوا ضلالا﴾ أي حيرة في الطريق التي يطلبونها للوصول إلى معرفة ربهم من طريق أفكارهم، فهذه حيرة زائدة على الحيرة في الله. وكذلك قال فيهم حيثما قال إنما جعل الزيادة في السبيل، وليس إلا الفكر والتفكر فيما منع التفكر فيه وهو النظر في ذات الله فقال: ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ وهو حال الجهل بالله كما هو في نفس الأمر من حيث الذات ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ كما هو في الدنيا ثم زاد فقال: ﴿وأضل سبيلا﴾ وهو الطريق، ولذلك قال عمرو بن عثمان المكي في صفة المعرفة والعارفين: وكما هم اليوم كذلك يكونون غداً، فاعلم إن كنت تفهم تشبيه الله أهل الضلال بالأنعام أنه تعالى ما شبههم بالأنعام نقصاً بالأنعام وإنما وقع التشبيه في الحيرة لا في المحار فيه فلأشد حيرة في الله من العلماء بالله، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «زدني فيك تحيراً» لما علم من علو مقام الحيرة لأهل التجلي لاختلاف الصور، وتصديق هذا الحديث قوله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقد علمنا ما أثنى الله به على نفسه من بسط يديه بالإنفاق

Marfat.com

وفرحه بتوبة عبده وغير ذلك من أمثاله، ومن ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وقول رسول الله ﷺ: «**لو يعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً**».

فانظر في تنبيهه ﷺ على حسن استعدادهم وسوء استعدادنا حتى أنه من كان بهذه المثابة من الفكرة في الموت فغايته أن يحصل له استعداد البهائم وهو ثناء على من حصل في هذا المقام وارتفاع في حقه، وكيف ينظر البهائم دون الإنسان في الاحتقار وغاية الثناء عليك من الله أن تشاركها في صفتها فاشحذ فؤادك ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فإن لله في خلقه أسراراً ولذلك خلقكم أطواراً.

واعلم أن البهائم وإن كانت مسخرة مذللة من الله للإنسان فلا تغفل عن كونك مسخراً لها بما تقوم به من النظر في مصالحها في سقيها وعلفها وما يصلح لها من تنظيف أماكنها ومباشرة القاذورات والأزبال من أجلها ووقايتها من الحر والبرد المؤذيات لها، فهذا وأمثاله من كون الحق سخرك لها وجعل في نفسك الحاجة إليها فإنها التي تحمل أثقالك إلى بلد لم تكن تبلغه إلا بنصف ذاتك وهو شق الأنفس أي ما كنت تصل إليه إلا بالوهم والتخيل لا بالحس إلا بوساطة هذه المراكب فلا فضل لك عليها بالتسخير فإن الله أحوجك إليها أكثر مما أحوجها إليك، ألا ترى إلى غضب رسول الله ﷺ حين سئل عن ضالة الإبل كيف؟ قال: ما لك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها فما جعل لها إليك حاجة وجعل فيك الحاجة إليها وجميع البهائم تفر منك ممن لها آلة الفرار، وما هذا إلا لاستغنائها عنك وما جبلت عليه من العلم بأنك ضار لها ثم طلبك لها وبذل مجهودك في تحصيل شيء منها دليل على افتقارك إليها، فبالله من تكون البهائم أغنى منه كيف يحصل في نفسه أنه أفضل منها؟ صدق القائل: ما هلك أمرؤ عرف قدره، فوالله ما يعرف الأمور إلا من شهدها ذوقاً وعاينها كشفاً:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

ما وصل إليك خبر الفيل وحبسه وامتناعه من القدوم على خراب بيت الله؟ ما بلغك ما فعلت الطير بأصحاب الفيل وما رمتهم به من الحجارة التي لها خاصية في القتل دون غيرها من الأحجار؟ أترى يصدر ذلك منها من غير وحي إلهي إليها بذلك؟ فكم من فيل كان في العالم وكم من أصحاب غزاة كانوا في العالم لما ظهر مثل هذا الأمر في هؤلاء وما ظهر في غيرهم؟ وهل يوحي الله إلى من لا يعقل عنه؟ وهل قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا

Marfat.com

بلسان قومه ليبين لهم﴾ هل ذلك إلا ليفهموا لتقوم عليهم الحجة إذا خالفوا أو يعملوا بما فهموا فيسعدوا؟ هل سمعت في النبوة الأولى والثانية قط أن حيواناً أو شيئاً من غير الحيوان عصى أمر الله أو لم يقبل وحي الله؟ أين أنت من فرار الحجر بثوب موسى عليه السلام حتى بدت لقومه سوأته ليعلموا كذبهم فيما نسبوه إليه وبرأه الله مما قالوا؟ أترى فرار الحجر هل كان عن غير أمر الله إياه بذلك؟ أترى إباية السموات والأرض والجبال عن حمل الأمانة وإشفاقهم منها عن غير علم بقدر الأمانة؟ وما يؤول إليه أمر من حملها فلم يحفظ حق الله فيها وعلمهم بالفرق بين العرض والأمر، فلما كان عرض تخيير احتاطوا لأنفسهم وطلبوا السلامة، ولما أمرهم الحق تعالى بالإتيان فقال للسماء والأرض: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ طاعة لأمر الله وحذراً أن يؤتى بهما على كره، أترى لو نزل القرآن على جبل فخشع وتصدع من خشية الله أترى ذلك منه عن غير علم بقدر ما أنزل الله عليه؟ وما خاطب به من التخويفات التي تذوب لها صم الجبال الشامخات، كم بين الله ورسوله لنا ما هي المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه ولا نؤمن ولا نسمع ونتناول ما ليس الأمر عليه لنكون من المؤمنين ونحن على الحقيقة من المكذبين، ورجحنا حسناً على الإيمان بما عرّفنا به ربنا لما لم نشاهد ذلك مشاهدة عين.

واعلم أنه من علم أن الموجودات كلها ما منها إلا من هو حي ناطق أو حيوان ناطق المسمى جماداً أو نباتاً أو ميتاً لأنه ما من شيء من قائم بنفسه وغير قائم بنفسه إلا وهو مسبح ربه بحمده، وهذا نعت لا يكون إلا لمن هو موصوف بأنه حي، ومن كان مشهده هذا من الموجودات استحى كل الحياء في خلوته التي تسمى جلوة في العامة كما يستحي في جلوته فإنه في جلوة أبداً لأنه لا يخلو عن مكان يقله وسماء تظله، ولو لم يكن في مكان لاستحى من أعضائه ورعية بدنه فإنه لا يفعل ما يفعل إلا بها فإنها آلاته وأنه لا بد أن تستشهد فتشهد ولا يستشهد الله إلا عدلاً، فصاحب هذه الحال لا يصح أن يكون في خلوة أبداً، ومن كان هذا حاله فقد لحق بدرجة البهائم، والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ قد ذكر عنه في الصحيح أنه قال: «**إن للميت جؤاراً وأن السعيد منهم يقول: قدموني قدموني يعني إلى قبره وأن الشقي منهم يقول: إلى أين تذهبون بي؟**» وأخبر ﷺ أن كل شيء يسمع ذلك منه إلا الإنس والجن فدخل تحت قوله: كل شيء مما يمر عليه ذلك الميت من جماد ونبات وحيوان. «**وثبت أن رسول الله ﷺ كان راكباً على بغلة فمر على قبر دائر فنفرت البغلة فقال: إنها رأت صاحب هذا القبر يعذب في قبره فلذلك نفرت**» وقال في ناقته لما هاجر ودخل

Marfat.com

المدينة ترك زمامها فأراد بعض الصحابة أن يمسكها فقال: «دعوها فإنها مأمورة» ولا يؤمر إلا من يعقل الأمر حتى بركت بنفسها بفناء دار أبي أيوب الأنصاري فنزل به.

وقال في الصحيح: إن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس، وهذا كله متباين لكل شيء، ولا يشهد هذا من الإنس والجن إلا أفراد من أفراد هذين النوعين، فإن الجن يجتمعون مع الإنس في الحد، فإن الجن حيوان ناطق، إلا أنه اختص بها الاسم لاستتاره عن أبصار الإنس غالباً فهم مع الإنس كالظاهر من الإنسان وحده مع باطنه ولذلك قال تعالى في غير هذين النوعين: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ والأمثال هم الذين يشتركون في صفات النفس فكلهم حيوان ناطق، ثم قال تعالى فيهم: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ يعني كما تحشرون أنتم، وهو قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ للشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا فيأخذ للجماء من القرناء كما ورد، وهذا دليل على أنهم مخاطبون مكلفون من عند الله من حيث لا نعلم، قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ فذكر الأمة والنذير وهم من جملة الأمم ونذيرهم قد يكون لكل واحد منهم نذير في ذاته، وقد يكون للنوع من جنسه لا بد من ذلك من حيث لا يعلمه ولا يشهده إلا من أشهده الله ذلك كما قال في الشيطان أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، وذكر أنهم يوحون إلى أوليائهم ليجادلونا ويظن المجادل الذي هو ولي الشيطان أن ذلك من نفسه ومن نظره وعلمه وهو من وحي الشيطان إليه، يعرف ذلك أهل الكشف عيناً ويسمعونه بآذانهم كما يسمعون كل صوت، وما من حيوان إلا ويشهد ذلك، ولذلك أخرسهم الله عن تبليغ ما يشهدونه إلينا، فهم أمناء بصورة الحال في حقنا، ولا يكشف الله لأحد من النوع الإنساني ما يكشفه للبهائم مما ذكرناه إلا إذا رزقه الله الأمانة وهي أن يستر عن غيره ما يراه من ذلك إلا بوحي من الله بالتعريف، فإن الله ما أخذ بأبصار الإنس وبأسماعهم في الأكثر وبالفهم في أصوات هبوب الرياح وخرير المياه وكل مصوت إلا ليكون ذلك مستوراً، فإذا أفشاه هذا المكاشف فقد أبطل حكمة الوضع إلا أن يوحى إليه بالكشف عن بعض ذلك فحينئذ يعذر في الإفشاء بذلك القدر.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم ثناء الرحماء وعلم من أظهر الشريك وهو لا يعتقده كما أنه من الموحدين من ينفي الشريك وهو يعتقده وهو الذي يرى أن من الأسباب من يفعل الشيء لذاته، والموحد في الأفعال يرى أنه لا فاعل إلا الله كمن يقول: إذا اجتمع الزاج والعفص وارتفعت الموانع الطبيعية فإنه لا بد من السواد الذي هو المداد مع كونه موحداً

Marfat.com

والموحد من يرى إيجاد السواد لله كالأشاعرة وأمثالهم، وأن الإمكان يقضي أن يكون اجتماعهما مع ارتفاع الموانع الطبيعية، ولا يكون سواد إلا إن خلق الله ذلك اللون فيه هذا في الطبعيين، وأما في المتكلمين الموحدين فإنهم يقولون: إن الناظر إذا عثر على وجه الدليل فإن المدلول يحصل ضرورة مع تفريقهم بين وجه الدليل والمدلول، وهذا لا يصح عند السليم العقل فإنه يحصل وجه الدليل ولا يحصل المدلول ولا يتمكن لهم أن يقولوا: إن وجه الدليل هو عبارة عن حصول المدلول فإنهم يفرقون بين وجه الدليل والمدلول، فلو زادوا مع ضرورة عادة لا عقلاً لم يعترض عليهم، فإنه لا فرق بين وجه الدليل والرؤية في الرائي بل الرؤية أتم، ونحن لعلم بالإيمان أن الله قد أخذ بأبصارنا مع وجود الرؤية فينا عن كثير من المبصرات لغيرنا فلم يحصل المرئي ضرورة مع وجود الرؤية وارتفاع الموانع التي تقدح في هذه النشأة الطبيعية، فيرى الإنسان الواحد ما لا يراه الآخر مع حضور المرئي لهما واجتماعهما في سلامة حاسة البصر، فهذا حجاب إلهي ليس للطبيعية ولا للكون فيه أثر وهذا كثير، فكم من مشرك في الظاهر موحد في الباطن وبالعكس.

وفيه علم الآجال ما يعلم منها وما لا يعلم. وفيه علم كينونية الله في أينينات مختلفات بذاته ومثل ذلك مثل البياض في كل أبيض، إن فهمت فإن الله تعالى ما ذكر عن نفسه حكماً فيه لا يكون له مثل في الموجودات لأنه لو ذكر مثل هذا لم تحصل فائدة التعريف غير أنه يدق على بعض الأفهام، فمن ظهر له الموجود الذي له عين ذلك الحكم علمنا أنه المخاطب من الله بذلك الحكم لا غيره كما قال تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فبعض الناس قد علم ما أراد بالكبر هنا وبعضهم لا يعرف ذلك، فالذي عرف ذلك هو المخاطب بهذه الآية وهكذا في كل خطاب حتى في: ﴿ليس كمثله شيء﴾ خاطب به من يعلم نفي المثلية في الأشياء. وفيه علم عموم تعلق العلم الإلهيّ بالمعلومات، ومن علم منا حصر المعلومات في واجب ومحال وممكن في نفس الأمر قد عم من وجه كلي وبقي الفصل بين العلماء في نفس الأمر المحكوم عليها بأحد هذه الأحكام. وفيه علم ما يأتي من الممكنات وهي كلها آيات فيعرض عن النظر في كونها آية من يعرض ما السبب في إعراض واحد وعدم إعراض آخر في ذلك. وفيه علم من يشكك نفسه فيما قد تبين له ما السبب الذي يدعوه إلى ذلك التشكيك.

وفيه علم من أي حقيقة إلهية خلق الله الالتباس في العالم هل كان ذلك لكونه يتجلى لعباده في صور مختلفة تعرف وتنكر مع أنه تعالى في نفسه على حقيقة لا تتبدل ولا يكون

Marfat.com

التجلي إلا هكذا، فما في العالم إلا التباس وذلك لكون الشارع قد أخبر أن المؤمن يظهر بصورة الكافر وهو سعيد، والكافر يظهر بصورة المؤمن وهو شقي، فلا يقطع على أحد بسعادة ولا بشقاء لالتباس الأمر علينا فهذا عندنا ليس بالتباس، وإنما الالتباس أن نقطع بالشقاء على السعيد وبالسعادة على الشقي، حينئذ يكون الأمر قد التبس علينا، وأما إذا لم نقطع فما التبس علينا شيء. وفيه علم أن الحكم للرحمة يوم القيامة. وأن العدل من الرحمة، ويوم القيامة يوم العدل في القضاء، وإنما تأتي الرحمة في القيامة ليشهد الأمر حتى إذا انتهى حكم العدل وانقضت مدته في المحكوم عليه تولت الرحمة الحكم فيه إلى غير نهاية. وفيه علم ما هو لله وما هو للخلق، وأعني بما هو لله أنه مخلص. وفيه علم الوصف الخاص بالله الذي لا يشركه فيه من ليس بإله.

وفيه علم لم تعددت الأسماء الإلهية باختلاف معانيها؟ فهل هي أسماء لما تحتها من المعاني أو هي أسماء لمن نسبت إليه تلك المعاني؟ وهل تلك المعاني أمور وجودية أو نسب لاَ وجود لها؟ وفيه علم الإنصاف والعدل في القضايا والحكومات. وفيه علم ما يغني من الاستحقاق بعد انقضاء مدّة حكمه وما معنى الفلاح في نفيه عن المستحق بالعقوبة؟ وفيه علم جحد المشرك الشريك هل له في ذلك وجه إلى الصدق أو هو كاذب من كل وجه؟ وذلك أن القائل في الحقيقة ليس غير الله، فلا بدّ أن يكون له وجه إلى الصدق، من هناك ينسب أنه قول الله، وإن ظهر على لسان المخلوق فإن الله قاله على لسان عبده. وقد ورد عن الرسول ﷺ في الصحيح: «**أن الله يقول على لسان عبده ونطق القرآن بذلك**» فعين كلام الترجمان هو كلام المترجم عنه. وفيه علم ما تعطيه الأحوال فيمن قامت به من الأحكام.

وفيه علم ما ينتجه القطع بوقوع أحد الممكنين من غير دليل. وفيه علم ما يسخطه العارف الذي له الكشف من فعل الحق مما لا يسخطه والسخط من عمل الباطن حتى لو لم يقم به سخط في باطنه، وأظهر السخط كان حاله إلى النفاق أقرب من حاله إلى الإيمان. وفيه علم الحث على النفاق هل يناقض التسليم، وإذا اجتمع صاحب تسليم وصاحب مداراة أيّ الرجلين أعلم؟ وفيه علم السبب المانع للسامع إذا نودي ولم يجب هل يقال أنه سمع أو يقال فيه أنه لم يسمع. وفيه علم الظلمة وهو العمى والضلال وهو الحيرة.

وفيه علم عموم الحشر لكل ما ضمنته الدار الدنيا من معدن ونبات وحيوان وإنس وجان وسماء وأرض. وفيه علم السبب الذي يدعو إلى توحيد الحق سبحانه ولا يتمكن معه إشراك وهل له حكم البقاء فيبقى حكم التوحيد أو لا بقاء له أو يبقى في حق قوم دون قوم؟

Marfat.com

وفيه علم عموم الإيمان ولهذا يكون المآل إلى الرحمة التي لا يرحم الله إلا المؤمنين فإنه من الرحمة حكم عموم الإيمان. وفيه علم البوادة والهجوم وله باب في الأحوال من هذا الكتاب. وفيه علم من تكلف العلم وليس بعالم فصادف العلم هل يقال فيه أنه عالم أم لا؟ وفيه علم الحب لله والبغض لله هل للذي بغض لله وجه يحب فيه لله كما له من الله وجه يرزقه به على بغضه فيه؟ وفيه علم فائدة التفصيل في المجمل. وفيه علم فطرة الإنسان على العجلة في الأشياء إذا كان متمكناً منها. وفيه علم الغيوب وما يعلم منها وما لا يعلم منها، والأسباب المجهولة مسبباتها من حيث أنها لهذه الأسباب مع العلم بها وبأسبابها لا من حيث أنها أسباب لها. وفيه علم الله شخصيات العالم. وفيه علم الوفاة والبعث في الدنيا وعلم الوفاة التي يكون البعث منها في الآخرة والانتقال إلى البرزخ في الموتتين.

وفيه علم مراتب الأرواح الملكية في عباداتهم. وفيه علم عموم نجاة العالم المشرك وغير المشرك وهو علم غريب منصوص عليه في القرآن ولا يشعر به. وفيه علم السبب الموجب لترك الفعل من القادر عليه. وفيه علم لكل اسم مسمى ولا يلزم من ذلك وجود المسمى في عينه وأيّ مرتبة تعم جميع المعلومات بالوجود سواء كان المعلوم محال الوجود أو لا يكون. وفيه علم ما يكون من الجزاء برزخاً فينتج العمل به جزاء آخر. وفيه علم الردة لماذا ترجع وما هو إلا سلوك إلى أمام كما نقول: رجعت الشمس في زيادة النهار ونقصه وما عندها رجوع بل هي على طريقها فهل هو كالنسخ في الأشياء وهو انتهاء مدّة الحكم وابتداء مدة حكم آخر والطريق واحدة لم يكن في السالك عليها رجوع عنها. وفيه علم النفخ واختلاف أحكامه مع أحدية عينه. وفيه علم المشاهدة والفرق بينها وبين علم النظر. وفيه علم الاستدلال. وفيه علم لكل علم رجال ولكل مقام مقال وإن كان لا ينقال فمقالة حال. وفيه علم من تشبه بمن لا يقبل التشبيه به ما الذي دعاه إلى ذلك. وفيه علم الإعادة أنها على صورة الابتداء وإن لم تكن كذلك فليست بإعادة. وفيه علم هل يكون الشيء محلاً لضده أم لا؟ وفيه علم إيضاح المبهمات.

وفيه علم حكم الليل والنهار ونسبة الولوج والغشيان والتكوير إليهما وكونهما جديدين وملوين. وفيه علم إخراج الكثير من الواحد وكيف لا يصح ذلك إلا بالتدريج على التركيب الطبيعي الذي لا يتركب إلا بالواحد. وفيه علم ما معنى الاستحالات في الأشياء. وفيه علم الأحكام هل يصح كل حكم على من توجه عليه أو منها ما يصح ومنها ما لا يصح والحاكم الله، فكيف يكون في الوجود حكم لا يصح على المحكوم عليه؟ وفي هذه المسألة

Marfat.com

غموض من كون الحكم بالشريك قد ظهر في الوجود وهو حكم باطل إذا نسب إلى الله إذ هو تعالى لا شريك له في ملكه. وفيه علم اتساع المقالة في الله وأنه الإمهال الإلهيّ لا إهمال. وفيه علم ما تؤثر التسمية وما يؤثر تركها. وفيه علم ما تضمنته هذه الأبيات وهي:

الجهل موت ولكن ليس يعلمه ... إلا الذي حييت بالعلم أنفاسه
لا يعرف الحل في عقد ربطت به ... إلا الذي قويت بالفتل أمراسه
وما حللت ولكن أنت تزعمه ... ومن تخيل هذا صح إبلاسه
من يضلل اللّه لا هادي يبصره ... وهو الذي في غناه صح إفلاسه

وفيه علم ما يقع فيه التضعيف. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والسبعون وثلثمائة

في معرفة منزل الحل والعقد والإكرام والإهانة ونشأة الدعاء في صورة الإخبار وهو منزل محمدي

صحاف من اللجين ومن جوهر وعين
أتتنا بها كرام عليها ستور صون
فلما بدت إلينا أكلنا من كل لون
فمنها علوم نعت ومنها علوم كون
ومنها علوم حال ومنها علوم عين
فمن قائل بوصل ومن قائل ببين
فسبحان من تعالى بتشبيه كل عين
فما كونه سواه وما كونه بكوني

اعلم أن الاثني عشر منتهى البسائط من الأعداد أصابع وعقد، فالأصابع منها تسعة والعقد ثلاث فالمجموع اثنا عشر، ولكل واحد من هؤلاء الاثني عشر حكم ليس للآخر، ومشهد إلهي لا يكون لسواه، ولكل واحد من هذا العدد رجل من عباد الله له حكم ذلك العدد، فالواحد منهم ليس من العدد، ولهذا كان وتر رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة لأن الواحد ليس من العدد، ولو كان الواحد من العدد ما صحت الوترية جملة واحدة لا في العدد ولا في المعدود، فكان وتر رسول الله ﷺ إحدى عشرة ركعة كل ركعة منها نشأة رجل من أمته يكون قلب ذلك الرجل على صورة قلب النبي ﷺ في تلك الركعة. وأما الثاني عشر فهو الجامع للأحد عشر والرجل الذي له مقام الاثني عشر حق كله في الظاهر والباطن يعلم ولا يعلم وهو الواحد الأوّل فإن أوّل العدد من الاثنين، فإذا انتهيت إلى الاثني عشر فإنما هي نهايتك إلى أحد عشر من العدد فإن الواحد الأوّل ليس منه، ولا يصح وجود الاثني عشر إلا بالواحد الأوّل مع كونه ليس من العدد وله هذا الحكم فهو في الاثني عشر لا هو كما يقول: أنت لا أنت، وهؤلاء الإثني عشر هم الذين يستخرجون كنوز المعارف التي اكتنزت

Marfat.com

في صور العالم، فللعالم علم الصور من العالم ولهؤلاء علم ما تحوي عليه هذه الصور وهو الكنز الذي فيها فيستخرجونه بالواحد الأوّل، فهم أعلم الناس بالتوحيد والعبادة، ولهم المناجاة الدائمة مع الله الذاتية المستصحبة استصحاب الواحد للأعداء مثل قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أي ليس لكم وجود معين دون الواحد، فبالواحد تظهر أعيان الأعداد فهو مظهرها ومغنيها، فالألف نعته إذ بالألف وقعت ألفة الواحد بمراتب العدد لظهوره فهو الأوّل والآخر، وإذا ضربت الواحد في نفسه لم يظهر في الخارج بعد الضرب سوى نفسه، وفي أي شيء ضربت الواحد لم يتضاعف ذلك الشيء ولا زاد، فإن الواحد الذي ضربته في تلك الكثرة إنما ضربته في أحديتها فلهذا لم يظهر فيها زيادة فإن الواحد لا يقبل الزائد في نفسه ولا فيما يضرب فيه فلا يتضاعف فهو واحد حيث كان، فتقول واحد في مائة ألف بمائة ألف وواحد في اثنين باثنين وواحد في عشرة بعشرة لا يزيد منه في العدد المضروب شيء أصلاً، لأن مقام الواحد يتعالى أن يحل في شيء أو يحل فيه شيء، وسواء كان من العدد الصحيح أو المكسور لا فرق فهو أعني الواحد يترك الحقائق على ما هي عليه لا تتغير عن ذاتها إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق في نفسه وتغير الحقائق محال، ولم يكن يثبت علم أصلاً لا حقاً ولا خلقاً، فثبت أن الحقائق لا تنقلب أصلاً ولهذا يعتمد على ما يعتمد عليه وهو المسمى علماً.

فلنذكر كل رجل من هؤلاء الأحد عشر الذين انتشوا من وتر رسول الله ﷺ، بل هذه الصور ربما جعلت رسول الله ﷺ يوتر بإحدى عشرة ركعة في الصورة الظاهرة، وهذه الصور منه ﷺ في الباطن فإنه كان نبياً وآدم بين الماء والطين فأنشأها لما كانت هذه صفته، فلما ظهر ﷺ بجسده استصحبته تلك الصور المعنوية فأقامات جسده ليلاً لمناسبة الغيب فحكمت على ظاهره بإحدى عشرة ركعة كان يوتر بها فكانت وتره فهي الحاكمة المحكومة له، فمنه ﷺ انتشؤوا، وفيه ﷺ ظهروا، وعليه حكموا بوجهين مختلفين. فمن ذلك صورة الركعة الأولى انتشأ منها رجل من رجال الله يدعى بعبد الكبير من حيث الصفة لا أنه اسم له وهو نشأة روحانية معقولة إذا تجسدت كانت في صورة إنسان صفته ما يدعى به وهكذا هي كل صورة من صور هؤلاء الإثني عشر.

واعلم أن المفاضلة في الأسماء الإلهية مثل أعلى وأجل في قول رسول الله ﷺ حين قال المشركون في رجزهم: أعل هبل أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ قولوا فقالوا: يا

Marfat.com

رسول الله وما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل، وهم يسلمون هذا القدر فإنهم القائلون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فهو عندهم أعلى وأجل، فلو صدقوا رسول الله ﷺ في أنه رسول من عند الله الذي يطلبون التقرب إليه بعبادة هؤلاء الآلهة فما سموهم آلهة إلا لكونهم جعلوهم معبودين لهم لأن الإله هو المعبود والآلهة العبادة. وقد قرىء ﴿ويذرك وآلهتك﴾ أي وعبادتك، وإذا قال: ﴿وآلهتك﴾ يقول: والمعبودين الذين نعبدهم فلما نسبوا الألوهية لهؤلاء الذين عبدوهم ونسبتها إلى الله أتم وأعظم عندهم باعترافهم لذلك قال رسول الله ﷺ ببنية المفاضلة في ذلك يقول لهم أي هذا قولكم واعتقادكم ولهذا جاء في التكبير في الصلاة لفظة الله أكبر ببنية المفاضلة لا أن الحجارة أفضل ولا ما نحتوه ولا ما نسبوا إليه الألوهية من كوكب وغيره، وإنما وقعت المفاضلة في المناسبة لا في الأعيان لأنه لا مفاضلة في الأعيان لأنه ليس بين العبد والسيد ولا الرب والمربوب ولا الخالق والمخلوق مفاضلة، فإن تحققت ما أومأنا إليه في نشء هذه الصورة علمت ما آل المشرك بعد المؤاخذة نشء صورة الركعة الثانية من الوتر، انتشأ منها رجل من رجال الله تعالى يقال له عبد المجيب، واعلم أن الإجابة فرع عن السؤال، فهذا عبد مؤثر بسؤاله ودعائه في سيده مؤثر فيه الإجابة لعبده، فإن الله قد أثبت لنفسه عزّ وجلّ على لسان رسوله ﷺ أن العبد يرضي الله فيرضى، ويغضب الله فيغضب، ويسخط الله فيسخط، ويضحك الله فيضحك، وما أشبه ذلك مما ورد في الكتاب والسنة، والحق تعالى يؤثر في العبد السؤال ليجيب، والفعل المسخط للحق ليسخط، وذلك لتعلم أن الأمر دوري كروي، وأن منتهى الدائرة يرجع لنقطة ابتدائها فينعطف الآخر على الأوّل ليكون هو الأوّل والآخر فما أرضاه إلا هو ولا أسخطه إلا هو لأنه يتعالى أن يكون مؤثراً لغيره فافهم.

وليس لله حكم في العالم إلا ما ذكرناه، ألا تراه يقول: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ ولا شغل له إلا بنا فمنا يفرغ لنا فلو زلنا لكان ولم يكن وجوداً وتقديراً ولا يعقل الأمر إلا هكذا ولبطلت الإضافات ولا تبطل لأنها لنفسها هي إضافات فلا يعقل الرب إلا مضافاً، ولذلك ما جاء في القرآن قط مطلقاً من غير إضافة، وإن اختلفت إضافاته فتارة يضاف إلى أسماء الضمائر، وتارة يضاف إلى الأعيان، وتارة يضاف إلى الأحوال، وإن لم تعقل معرفتك بربك هكذا وإلا فما عرفت ربك أصلاً، وإنما عرفت بالتقسيم العقلي أن حكم الواجب الوجود لذاته أن يكون كذا، وهل ثم واجب وجود لذاته أم لا؟ فلا تعرفه إلا بك وما لم تعرفه إلا بك، فلا بدّ أن يكون العلم به موقوفاً على علمك بك، فوجودك موقوف

Marfat.com

على وجوده، والعلم بربوبيته عليك موقوف على العلم بك، فله الأصل في الوجود ولك حكم الفرع في الوجود، وأنت الأصل في العلم به، وله حكم الفرع في العلم.

نشء صورة الركعة الثالثة من الوتر انتشأ منها رجل من رجال الله يدعى عبد الحميد، اعلم أن الثناء على الله على نوعين: مطلق ومقيد فالمطلق لا يكون إلا مع العجز مثل قوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» قال قائلهم:

إذا نحـــن أثنينـــا عليـــك بصـــالـــح   فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني

ولا يمكن أن يحيط مخلوق بما يجب لله تعالى من الثناء عليه، لأنه لا يمكن أن يدخل في الوجود جميع الممكنات، ولكل ممكن وجه خاص إلى الله منه يوجده الله، ومنه يعرفه ذلك الممكن، ومنه يثني عليه الثناء الذي لا يعرفه إلا صاحب ذلك الوجه لا يمكن أن يعلمه غيره ولا يدل عليه بلفظ ولا إشارة، فهذا مطلق الثناء على الله بكل لسان مما كان ويكون، ولهذا ثواب قول القائل: سبحان الله عدد خلقه لا يتصور وقوعه في الوجود لكن لا يزال يوجد ثوابه حالاً بعد حال على الدوام إلى ما لا يتناهى. ولهذا أيضاً جاء به الشرع مثلثاً أن يقول العبد ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس، والثواب المتخيل، والثواب المعنوي، فينعم حساً وخيالاً وعقلاً، كما يذكر حساً وخيالاً وعقلاً، كما يعبد حساً وخيالاً وعقلاً. وكذلك ذكر العبد مداد الكلمات الإلهية، وكذلك زنة عرشه إذا كان العرش العالم كله بمحدّده، وكذلك رضى نفسه فيما يفعله أهل الجنة وأهل النار، فإنهم ما يفعلون ولا يتصرفون إلا في المراضي الإلهية لأن الموطن يعطيهم ذلك بخلاف موطن الدنيا والتكليف فإنهم يتصرفون في موطن الدنيا بما يرضي الله وبما يسخطه، وإنما كان ذلك لكون النار جعلها الله دار من سخط عليه، فلا بد أن يتحرك أهلها فيما يسخط الله في دار الدنيا، فإذا سكنوا دار النار وعمروها لا يمكن أن يتحركوا إلا في مرضاة الله، ولهذا يكون المآل لأهلها إلى حكم الرحمة التي وسعت كل شيء وإن كانت دار شقاء كما يقول في الرسول الذي انتهت رسالته وفرغ منها وانقلب إلى الله أنه رسول الله، وإن كان في ذلك الحال ليس برسول كذلك نقول في دار الشقاء أنها دار الشقاء وإن كان أهلها فيها قد زال عنهم الشقاء.

وأما الثناء المقيد فالحكماء بقيدونه بصفة التنزيه لا غير، وإن أثنوا عليه بصفة الفعل فبحكم الكل أو الأصالة لا بحكم الشخص، وما عدا الحكماء فيقيدون الثناء على الله بصفة

Marfat.com

الفعل وصفة التنزيه معاً، وهؤلاء هم الكمل لأنهم شاركوا الحكماء فيما علموا وزادوا عليهم بما جهله الحكماء ولم يعلموه لقصور هممهم للشبهة التي قامت لهم وحكمت عليهم بأنه تعالى ما صدر عنه إلا الواحد المشار إليه فقط، وبأنه تعالى لا يجوز عليه ما نعت به نفسه في كتابه إذ لم يثبت عندهم في نظرهم كتاب منزل ولا شخص مرسل على الوجه الذي هو الأمر في نفسه، وعند أهل الكشف والإيمان انصرف، وبعض عقول النظار مثل المتكلمين وغيرهم ممن يقول بذلك من جهة النظر العقلي، وقد سرى في العالم كله حكم صور هذه الركعات الوترية النبوية من وقت كونه نبياً ﷺ وآدم بين الماء والطين إلى يوم القيامة.

نشء صورة الركعة الرابعة من الوتر انتشأ منها رجل من رجال الله يدعى عبد الرحمن. اعلم أن الرحمة الإلهية التي أوجد الله في عباده ليتراحموا بها مخلوقة من الرحمة الذاتية التي أوجد الله بها العالم حين أحب أن يعرف وبها كتب على نفسه الرحمة، وهذه الرحمة المكتوبة منفعلة عن الرحمة الذاتية، والرحمة الامتنانية هي التي وسعت كل شيء، فرحمة الشيء لنفسه تمدها الرحمة الذاتية وتنظر إليها وفيها يقع الشهود من كل رحيم بنفسه، فإن الله قد وصف نفسه بالحب وشدة الشوق إلى لقاء أحبابه، فما لقيهم إلا بحكم هذه الرحمة التي يشهدها صاحب هذه الرحمة وهي الرحمة التي كتبها على نفسه لا مشهد لها في الرحمة الذاتية ولا الامتنانية. وأما رحمة الراحم بمن أساء إليه وما يقتضيه شمول الإنعام الإلهي والاتساع الجودي فلا مشهد لها إلا رحمة الامتنان وهي الرحمة التي يترجاها إبليس فمن دونه لا مشهد لهؤلاء في الرحمة المكتوبة ولا في الرحمة الذاتية، وبهذا كان الله والرحمن دون غير الرحمن من الأسماء له الأسماء الحسنى، فجميع الأسماء دلائل على الاسم الرحمن وعلى الاسم الله ﴿ولكن أكثر الناس لا يشعرون﴾.

وما رأيت أحداً من أهل الله نبه على تثليث الرحمة بهذا التقسيم فإنه تقسيم غريب كما هو في نفس الأمر، فما علمناه إلا من الكشف، وما أدري لماذا ترك التعبير عنه أصحابنا مع ظني بأن الله قد كشف لهم عن هذا. وأما النبوّات فقد علمت أنهم وقفوا على ذلك وقوف عين، ومن نور مشكاتهم عرفناه لأن الله رزقنا الاتباع الإلهي والاتباع النبوي، فأما الاتباع الإلهي فهو قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فالله في هذه المعية يتبع العبد حيث كان، فنحن أيضاً نتبعه تعالى حيث ظهر بالحكم، فنحن وقوف حتى يظهر بأمر يعطي ذلك الأمر حكماً خاصاً في الوجود فنتبعه فيه ولا نظهر في العامة بخلافه كسكوتنا عن التعريف به أنه

Marfat.com

هو إذا تجلى في صورة ينكر فيها مع معرفتنا به فهو المقدم بالتجلي وحكم الإنكار، فنحن نتبعه بالسكوت وإن لم ننكر ولا نقر فهذا هو الاتباع الإلهي.

وأما الاتباع النبوي الذي رزقنا الله فهو قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ ثم أنه اتبعنا وتأسى بنا في صلاته إذا صلى بالجماعة فيكون فيها الضعيف والمريض وذو الحاجة فيصلي بصلاتهم فهو ﷺ المتبع والمتبع اسم مفعول واسم فاعل، ثم أمرنا أن نصلي إذا كنا أئمة بصلاة الأضعف فاتبعنا الرحمن بما ذكرناه فنحن التابعون، واتبعنا الرحمن بما تعطيه حقائقنا من الاحتياج والفاقة فيمشي بما نحن عليه فنحن المتبوعون، فانظر ماذا تعطي حقائق السيادة في العبيد وحقائق العبادة والعبودية في السيادة فهذا الرجل هذه صفته في العالم، وبهذه الركعة الرابعة ظهرت أحكام الأسماء الأربعة الإلهية، وأحكام الطبيعة في النشأة الطبيعية، وأحكام العناصر في المولدات الثلاثة التي لها هذه الرحمات الثلاثة، وأحكام الأخلاط في النشأة الحيوانية فلهذا الرجل المهيمنية على هذه كلها.

نشء صورة الركعة الخامسة من الوتر انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له عبد المعطي، فتارة يكون عطاؤه وهباً فيكون المعطي عبد الوهاب وتارة يكون عطاؤه إنعاماً فيكون عبد المنعم، وتارة يكون عطاؤه كرماً فيكون المعطي عبد الكريم، وتارة يكون عطاؤه جوداً فيكون المعطي عبد الجواد، وتارة يكون عطاؤه سخاء فيكون المعطي عبد المقيت وعبد السخي، وتارة يكون عطاؤه إيثاراً فيكون المعطي عبد الغني وهذا العطاء أغمض الإعطاءات وأصعبها تصوراً بل يمنعها الجميع إلا نحن، وما رأينا أحداً أثبت هذا العطاء في الإلهيات وما يثبته إلا من علم معنى اسمه الغني تعالى، وذلك أنه قد ثبت في الصحيح أن العبد يصل إلى مقام يكون الحق من حيث هويته جميع قواه في قوله: «كنت سمعه وبصره ويده» وغير ذلك من أعضائه وقواه الحديث، وهو سبحانه الغني لذاته الغنا الذي لا يمكن إزالته عنه، فإذا قام العبد في هذا المقام فقد أعطاه صفة الغنا عنه وعن كل شيء لأن هويته هي أعيان قوى هذا العبد، وليس ذلك في تقاسيم العطاء إلا للإيثار، فقد آثر عبده بما هو لهويته قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ بل بهم خصاصة. ولما كان عطاء الإيثار فضلاً يرجع على المعطي كان الحق أولى بصفة الفضل، فعطاء الإيثار أحق في حق الحق وأتم في حق العبد، وهذا من علوم الأسرار التي لا يمكن بسط التعريف فيها إلا بالإيماء لأهلها أشجعهم للعمل عليها فإنهم في غاية من الخوف لقبولها فكيف للاتصاف بها وباقي الأسماء هينة الخطب؟.

Marfat.com

نشء صورة الركعة السادسة من الوتر: انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له عبد المؤمن. اعلم أن الإيمان إذا كان نعتاً إلهياً فهو ما يظهر من الدلالات كلها على وجه صحة ما يدعيه المدعي أي مدع كان على ما كان من غير تعيين بشرط أن يكون دليلاً في نفس الأمر كما يشهد له الحس إن كان الدليل محسوساً حتى لو أعطى العلم الضروري بصدق هذه الدعوى في نفس الحاكم لكان ذلك العلم الضروري عين الدليل على صدق دعوى هذا المدعي فيناصب هذه الدلالات هو المصدق لصاحب هذه الدعوى، فإذا صدقه من صدقه وحصل العلم بذلك في نفس من حصل عنده كان ذلك الشخص الحاصل عنده هذا الدليل مصدقاً لصاحب هذه الدعوى وعاد التصديق كونياً أي في الخلق كما هو في الحق، فكان صاحب الدعوى بين مصدقين محصوراً من أي جهة التفت لم يجد إلا مصدقاً بما جاء به في دعواه، فأعطاه هذا الحال الأمان في نفسه من تكذيبه من هذين الطرفين، ولو جحد الكون فإنه متيقن في نفسه صدق هذا المدعي وليس المراد إلا ذلك أعني حصول العلم بصدقه، فبصورة هذه الركعة سرى التصديق في عالم الإنس والجان في بواطنهم، وذلك حين وقعت منه هذه الركعة في باطن الأمر إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين فلم يزل تسري روحاً مجرداً في كل مصدق حتى ركعها ﷺ بصورة جسمه فتجسدت، وليس ذلك الروح من فعله صورة جسدية لأنها من حركات محسوسة فكان فعلها أقوى عندنا للجمع بين الصورتين، كما كان تأثيره ﷺ بظهور جسمه أقوى في بعثه منه إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين فإنه نسخ بصورة بعثته جميع الشرائع كلها ولم يبق لشريعة حكم سوى ما أبقى هو منها من حيث هي شرع له لا من حيث ما هي شرع فقط.

نشء صورة الركعة السابعة من الوتر: انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له عبد الرحيم. اعلم أن الرحمة في عين القادر على إظهار حكمها تعود عذاباً أليماً على من قامت به لأنها من ذاتها تطلب التعدي إلى المرحوم وإظهار أثرها بالفعل فيه، فإذا قامت بالقادر على تنفيذها في المرحوم كان لها أثران: أثر في الراحم وهو ما زال عنه من الألم بحصول أثرها في المرحوم، فالراحم مرحوم بها من حيث قدرته على تنفيذها والذي نفذت فيه مرحوم أيضاً بها وبقدرة الراحم على تنفيذها فأثرها فيه من وجهين، والأثر إزالة ما أدى الراحم لتعلق الرحمة بذلك المرحوم، فما كل رحمة تكون نعيماً إلا إذا كان الراحم قادراً على تنفيذها، فللرحمة تجل في صورة العذاب في حق الراحم الذي نفيت عنه الاقتدار ولها تجل في صورة النعيم في حق الراحم والمرحوم إذا كانت في قادر على تنفيذها فقد قبلت

Marfat.com

الصورتين المتقابلتين، وهذا من أعجب الأمور أن الرحمة تنتج ألماً وعذاباً، فلو لم تقم الرحمة به لم يتصف بالألم هذا الذي لا اقتدار له، ثم الذي في المسألة من العجب العجاب أن الرحمة القائمة بالموصوف بنفوذ الاقتدار قد يكون له مانع من تنفيذها من ذاته فيقوم به ألم الكراهة، وذلك حكم ذلك المانع من كونه متصفاً بالاقتدار على تنفيذها، وهذه المسألة من أصعب المسائل في العلم الإلهي، وظهر حكم ذلك في الصحيح من الأخبار الإلهية عن نفسه تعالى عزّ وجلّ حيث قال: «ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي وهو الذي جعله يكره الموت» ودل على أن لقاءه تعالى لا يكون إلا بالموت وهو الخروج عن الحس المطلق إلى الحس المشترك كما نراه في النوم لكون النوم ضرباً من ضروب الموت، فإنه وفاة وانتقال من عالم الحس إلى عالم الخيال والحس المشترك فيرى النائم ربه في نومه كما يراه الميت بعد موته، غير أن رؤية الميت ولقاءه ربه لا رجعة بعد رؤيته عنه، والنائم يستيقظ مرسلاً إلى الأجل المسمى، فإن كان اللقاء عن فناء لا عن نوم ثم رد إلى حال البقاء فحكمه حكم الميت إذا بعث يوم القيامة لا يقع له حجاب عنه فهذا الفارق بين النائم والفاني، ولذلك قال عمرو بن عثمان المكي في صفة العارفين: أنهم كما هم اليوم كذلك يكونون غداً إن شاء الله تعالى، فلم ير أعجب من حكم الرحمة، ألا ترى الطبيب تقوم به الرحمة بصاحب الأكلة ولا قدر على تنفيذها فيه إلا بإيلامه، فعلى قدر رحمة ذلك الطبيب بصاحب هذه العلة يكون ألمه في نفسه لعدم إنفاذها فيه من غير إيلامه، فلولا رحمته به ما تألم ألا ترى المستشفي كيف لا يجد ألماً بل يجد لذة، فتدبر ما ذكرته لك في العلم الإلهي، ولقد رأيته في الكشف الصحيح والمشهد الصريح ورسول الله ﷺ معي وقد أمر تعالى بقتل الدجال لدعواه الألوهية وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله وأنه ما بيده في ذلك من شيء، فبكاؤه مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع، فما في العلم الإلهي حيرة أعظم من هذه الحيرة، ولولا عظمها ما وصف الحق نفسه بالتردد والتردد حيرة فافهم.

نشء صورة الركعة الثامنة من الوتر، انتشأ منها رجل من رجال الله تعالى يقال له عبد الملك. اعلم أن الملك الذي أحدث هذه الحقيقة التي تسمى ملكاً فإذا تسمى بها العبد واتصف الحق بالملك لم يتصف به اتصاف المخلوق، فإن المخلوق ملك على الإطلاق والحق ملك الملك لا ملك على الإطلاق، فإنه لا يكون ملكاً للعبد حتى تظهر عند العبد عبوديته له تعالى ويظهر عنده كونه ملكاً لمليكه وهو الله تعالى، وإنما قلنا هذا لأجل طائفة

Marfat.com

أعطاها نظرها إلى الله أن الله لا يعلم الجزء على التعيين، وإنما يعلم الكل الذي يتضمن الجزء، بخلاف أهل الحق أهل الكشف والوجود، ولهذا كان له اسم الملك والملك أي هذا الوصف ظهر عن شدة لكون أصحاب هذا النظر العقلي لا يثبتونه، فلما لم تجتمع عليه العقول وقعت فيه المنازعة فاستخلصه الحق ملكاً أي عن شدة، واستخلص العبد العارف الحق ملكاً له أي عن شدة لأجل المنازع فسماه ملك الملك ليفرق بينه وبين كونه المخلوق ملكاً لله فيتصف المخلوق بالعبودية لله في كونه ملكاً له ويتصف الحق بملك الملك ولا يتصف بالعبودية له وإن كان في الحق تأثير من الخلق كما تقدم، ومع هذا فلا يتصف بالعبودية لأن ذلك ليس عن ذلة لأنه تعالى الأصل في ذلك التأثير فما عاد عليه إلا ما كان منه بخلاف الخلق، فإن المخلوق يعود عليه ما كان منه ويقوم به ما لم يكن منه ابتداء من الحق فاعلم ذلك.

نشء صورة الركعة التاسعة من الوتر، انتشأ منها صورة رجل من رجال الله يقال له عبد الهادي. اعلم أن الهداية أثر إلهي في قوله: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ وأثر كوني في قوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ ويعود معناه إلى الأول فإن الهادي الكوني لا يكون إلا رسولاً من عند الله فهو مبلغ لا هاد، معناه لا موفق لكنه هاد بمعنى مبين، قال تعالى في البيان الذي لهم والتبيان الذي أوجبه عليهم الله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وقال في الهداية التي هي التوفيق: ﴿ليس عليك هداهم﴾ أي ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك بتبيانه ﴿ولكن الله يهدي﴾ أي يوفق ﴿من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بالقابلين التوفيق فإنه على مزاج خاص أوجدهم عليه، فهؤلاء الهداة هم هداة البيان لا هداة التوفيق وللهادي الذي هو الله الإبانة والتوفيق، وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة، وإنما قلنا ذلك واستشهدنا بما استشهدنا به لما تقرر عند من لا علم له بالحقائق أن العبد إذا صدق فيما يبلغه عن الله في بيانه أثر ذلك في نفوس السامعين وليس كما زعموا فإنه لا أقرب إلى الله ومن الله ولا أصدق في التبليغ عن الله ولا أحب في القبول فيما جاء به من عند الله من الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ومع هذا فما عمّ القبول من السامعين بل قال الرسول الصادق في التبليغ ﴿وما يزيدهم دعائي إلا فرارا﴾ فلما لم يعم مع تحققنا هذه الهمة علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة في المدعو، والذي قبل من السامعين ما قبل من أثر همة الداعي الذي هو المبلغ، وإنما قبل من حيث ما وهبه الله في خلقه من مزاج يقتضي له قبول هذا وأمثاله، وهذا المزاج الخاص لا يعلمه إلا الله الذي خلقهم عليه وهو قوله تعالى:

Marfat.com

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فلا تقل بعد هذا إذا حضرت مجلس مذكر داع إلى الله فلم تجد أثراً لكلامه فيك إن هذا من عدم صدق المذكر لا بل هو العيب منك من ذاتك حيث ما فطرك الله في ذلك الوقت على القبول، فإن المنصف ينظر فيما جاء به هذا الداعي المذكر، فإن كان حقاً ولم يقبله فيعلم على القطع أن العيب من السامع لا من المذكر، فإذا حضر في مجلس مذكر آخر وجاء بذلك الذكر عينه وأثر فيه فيقول السامع بجهله صدق هذا المذكر فإن كلامه أثر في قلبي والعيب منك وأنت لا تدري فلتعلم أن ذلك التأثير لم يكن لقبولك الحق فإنه حق في المذكرين في نفس الأمر، وإنما وقع التأثير فيك في هذا المجلس دون ذلك لنسبة بينك وبين هذا المذكر أو بينك وبين الزمان فأثر فيك هذا الذكر والأثر لم يكن للمذكر إذ قد كان الذكر ولا أثر له فيك، وإنما أثرت المناسبة التي بينتها لك الزمانية أو النسبة التي بينك وبين هذا المذكر وربما أثر لاعتقادك فيه ولم يكن لك اعتقاد في ذلك الآخر فما أثر فيك سواك أو ما أشبه ذلك، ولهذا قلنا في تفسير الهداية الإلهية بالتوفيق والبيان، فقولنا بالتوفيق أي بموافقة النسبة بين السامع والمذكر لا بالبيان فإن البيان فرضناه واقعاً في الحالتين من المذكرين ولم يقع القبول إلا في إحدى الحالين فاعلم ذلك وتحققه ترشد إن شاء الله. وأقل فائدة في هذه المسألة سلامة المذكر من تهمتك إياه بعدم الصدق في تذكيره ورده وردك الحق، فإن السليم العقل يؤثر فيه الحق جاء على يدي من جاء ولو جاء على لسان مشرك بالله عدو لله كاذب على الله ممقوت عند الله لكن الذي جاء هو به حق فيقبله العاقل من حيث ما هو حق لا من حيث المحل الذي ظهر به، وبهذا يتميز طالب الحق من غيره.

نشء صورة الركعة العاشرة من الوتر. انتشأ منها رجل من رجال الله يقال له عبد ربه. اعلم أن الربوبية نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر فهي موقوفة على اثنين ولا يلزم أن لا يكونا متباينين، فقد يكونان متباينين وقد يكونان غير متباينين، فما لك بلا ملك لا يكون وجوداً وتقديراً ومليك بلا ملك لا يكون كذلك، والرب بلا مربوب لا يصح وجوداً وتقديراً وهكذا كل متضايفين، فنسبة العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضايفين من الطرفين، فالعالم يطلب تلك الأسماء الإلهية وتلك الأسماء الإلهية تطلب العالم كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت والقاهر والمعز والمذل إلى أمثال هذه الأسماء، وثم أسماء إلهية لا تطلب العالم ولكن يستروح منها نفس من أنفاس العالم من غير تفصيل كما يفصل بين هذه الأسماء التي ذكرناها آنفاً، فأسماء الاسترواح كالغني والعزيز والقدوس وأمثال هذه الأسماء وما وجدنا لله أسماء

Marfat.com

تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات فإنه ما ثم اسم إلا على أحد أمرين: إما ما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد، وإما ما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق عنها غير ذلك ما أعطانا الله، فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله أصلاً إلا إن كان ذلك في علمه أو ما استأثر الله به في غيبه مما لم يبده لنا، وسبب ذلك لأنه تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه، فمن المحال أن يكون فيها اسم علمي أصلاً لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها، وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها، والمعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الأسماء فللّه الأسماء الحسنى وليست إلا المعاني لا هذه الألفاظ، فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحاً فافهم ذلك.

نشء صورة الركعة الإحدى عشرة من الوتر. انتشأ منها صورة رجل من رجال الله يقال له عبد الفرد. اعلم أن الفردية لا يعقلها المنصف إلا بتعقل أمر آخر عنه انفرد هذا المسمى فرداً بنعت لا يكون فيمن انفرد عنه، إذ لو كان فيه ما صح له أن ينفرد به فلم يكن ينطلق عليه اسم الفرد، فلا بد من ذلك الذي انفرد عنه أن يكون معقولاً وليس إلا الشفع، والأمر الذي انفرد به الفرد إنما هو التشبيه بالأحدية وأول الأفراد الثلاثة فالواحد ليس بفرد فإن الله وصف بالكفر من قال: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ فلو قال ثالث اثنين لما كان كافراً فإنه تعالى ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة بالغاً ما بلغ وهو قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فمن كان في أحديته فهو تعالى ثاني واحده، ومن كان في تثنيته فهو ثالث اثنينيته، ومن كان في تثليثه فهو تعالى رابع ثلاثة بالغاً ما بلغ، فهو مع المخلوقين حيث كانوا فالخالق لا يفارقهم لأن مستند الخلق إنما هو للاسم الخالق استناداً صحيحاً لا شك فيه، وإن كان هذا الاسم يستدعي عدة معان فهو يطلبها أعني الاسم الخالق بذاته لكل معنى منها أثر في المخلوق لا في الخالق، فالخالق لهذه المعاني كالجامع خاصة وأثرها في المخلوق لا فيه، فالحق لا ينفرد في الأربعة بالرابع وإنما ينفرد في الأربعة بالخامس لأنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو كان عين الرابع من الأربعة لكان مثلها، وكل واحد من الأربعة عين الرابع للأربعة من غير تخصيص، ولو كان هذا لكان الواحد من الأربعة يربع الحق بوجوده وليس الأمر كذلك وهكذا في كل عدد، فمتى فرضت عدداً فاجعل الحق الواحد الذي يكون بعد ذلك العدد

Marfat.com

اللاصق به ولا بد فإنه يتضمنه، فالخامس للأربعة يتضمن الأربعة ولا تتضمنه فهو يخمسها وهي لا تخمسه فإنها أربعة لنفسها وهكذا في كل عدد، وإنما كان هذا لحفظ العدد على المعدودات والحفظ لا يكون إلا لله وليس الله سوى الوحد فلا بد أن يكون الواحد أبداً له حفظ ما دونه من شفع ووتر، فهو يوتر الشفع ويشفع الوتر فيقال رابع ثلاثة وخامس أربعة، ولا يقال فيه خامس خمسة ولا رابع أربعة ولا عاشر عشرة، فالحكماء يقولون في الفردية أنها الوتر من كل عدد من الثلاثة فصاعداً في كل وتر منها كالخامس والسابع والتاسع، فبين كل فردين مقام شفعية وبين كل شفعين مقام فردية هذا عند الحكماء وعندنا ليس كذلك فإن الفردية تكون للواحد الذي يشفع الوتر وللواحد الذي يوتر الشفع الذي هو عند الحكماء فرد، ولولا ذلك ما صح أن تقول في فردية الحق أنه رابع ثلاثة وسادس خمسة وأدنى من ذلك وأكثر وهو فرد في كل نسبة، فتارة ينفرد بتشفيع الوتر وتارة بإيتار الشفع وهو قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ فما بين في فرديته بالذكر المعين إلا فردية تشفيع الوتر الذي لا يقول به الحكماء في اصطلاح الفردية، ثم قل في العام: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ سواء كان عددهم وتراً أو شفعاً، فإن الله لا يكون واحداً من شفعيتهم ولا واحداً من وتريتهم، بل هو الرقيب عليهم الحفيظ الذي هو من ورائهم محيط، فمتى انتقل الخلق إلى المرتبة التي كانت للحق انتقل الحق إلى المرتبة التي تليها لا يمكن له الوقوف في تلك المرتبة التي كانت فيها عند انتقال الخلق إليها، فانظر في هذا السر الإلهيّ ما أدقه وما أعظمه في التنزيه الذي لا يصح للخلق مع الحق فيه مشاركة، فالخلق أبداً يطلب أن يلحق بالحق ولا يقدر على ذلك لانتقال الحق عن تلك المرتبة، ولهذا كان العدد لا يتناهى، فإنه لو تناهى للحق الخلق الحق ولا يكون ذلك أبداً فالخلق خلق لنفسه والحق حق لنفسه، ومثال ذلك أن يكون جماعة من ثلاثة في نجوى بينهم قد جمعهم مجلس فالله بلا شك رابع تلك الجماعة فإن رابعهم إنسان آخر فجاء وجلس إليهم انتقل الحق من المرتبة الرابعة بمجرد مجيء ذلك الرجل أو الشخص الذي ربعهم إلى المرتبة الخامسة، فإن أطالوا الجلوس بحيث أن جاء من خمس القوم انتقل الحق إلى المرتبة السادسة فيكون سادس خمسة وهو سادس الجماعة أعني هذه الجماعة بعد ما كان خامس الجماعة التي خمسها ذلك الواحد فاعلم فقد نبهتك على علم عظيم تشكرني عليه عند الله، فإني أرجو من الله أن ينفعني بمن علم مني ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله

Marfat.com

الذي تجده فيما تقدم من كتب المؤلفين في هذا الفن، وهذا كله نقطة من كلمة من القرآن العزيز، فما عندنا من الله إلا الفهم فيه من الله وهو الوحي الإلهيّ الذي أبقاه الحق علينا، فهذا الذي ذكرناه كان وتر رسول الله ﷺ من صلاة الليل. وأما تمام الاثنتي عشرة فذلك المسمى المهيمن الخارج عن نشء صورة الوتر القوي وهو الواحد الأوّل وليس إلا الله فهو المنشىء سبحانه وتعالى في كبريائه الواحد الأحد الذي ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

وصل

والرجل الذي كمل به الإثني عشر كما كمل الشهور برمضان ما كملها إلا باسم من أسمائه وهو رمضان عزّ وجلّ فبه كمل كل شيء، فكمال الأربعة بالخامس إذا كان الله خامس أربعة فإنه الذي يحفظ عليها أربعتها فإذا جاء من جنسها من يخمسها ذهبت الأربعة وكان الله سادس الخمسة يحفظ عليها خمستها لأنه الحفيظ، فانظر ما أعجب هذا الأمر، ومن هنا صح الفرار الموجود والانتقال من حال إلى حال فإن الله ينتقل في مراتب الأعداد لما ذكرناه، واسم هذا الرجل الذي كمل الله به الإثني عشر عبدالله وإنما سمى عبدالله لأن الله يتجلى له بحقيقة كل اسم من أسمائه وهو قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ فإذا دعوته باسم منها تجلى مجيباً لك في عين ذلك الاسم كصوم شهر رمضان فإن صومه واجب في الاثني عشر شهراً، فكل صوم في شهر من الشهور الأحد عشر إنما هو تشبيه بصوم يوم من أيام شهر رمضان لأنه نافلة والواجب ليس إلا رمضان بالوجوب الإلهيّ الابتدائي، وإنما قلنا الابتدائي من أجل النذر بالصوم الذي أوجبه الله عليك بإيجابك إياه على نفسك عقوبة لك وليثيبك به إذا أديته ثواب الواجب، لكن الفرق بينه وبين الواجب المبتدأ أن الواجب المبتدأ تقضيه إذا مضى زمان إيجابه، والواجب الكوني لو نسيته أو مرضت فلم تقدر على أدائه ومضى زمانه لم تقضه، فهذا هو الفرق بين الواجب الإلهيّ والواجب الكونيّ، فمن عرف ما ذكرناه من أمر هذه الاثني عشر فقد حصل على كنوز إلهية كما قيل في الفاتحة أن الله أعطاها نبيه محمداً ﷺ خاصة دون غيره من الرسل من كنز من كنوز العرش لم توجد في كتاب منزل من عند الله ولا صحيفة إلا في القرآن خاصة وبهذا سمي قرآناً لأنه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل، ففيه كل ما في الكتب كلها المنزلة، وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة.

Marfat.com

وفي هذا المنزل من العلوم علم الحل والعقد وفيه علم الحلال والحرام. وفيه علم ما يجمع الكافر والمؤمن ويؤلف بينهما. وفيه علم إلحاق البهائم بالإنسان في حكم ما من أحكام الشرائع. وفيه علم متعلق الكمال ببعض الأشخاص وما فيه وعلم التقديس وأسبابه وأنواعه. وفيه علم الآلاء والمنن الإلهية. وفيه علم المواثيق والعهود. وفيه علم نشء صور العبادات البدنية. وفيه علم التعظيم الكونيّ. وفيه علم المداينات الإلهية. وفيه علم الإيمان. وفيه علم الأبدال. وفيه علم الداء الإلهيّ. وفيه علم التعريف. وفيه علم إقامة البراهين على الدعاوى. وفيه علم أصحاب الفترات ما حكمهم عند الله. وفيه علم ما يخص الملك والسوقة. وفيه علم النيابة في النداء. وفيه علم الردّ والقبول. وفيه علم التفويض والتسليم في النفوس. وفيه علم الستر وردّ الأشياء إلى أصولها. وفيه علم إقامة الواحد مقام الجميع في أي موطن يكون.

وفيه علم الموافقة والخلاف. وفيه علم مؤاخذة المجبور. وفيه علم السماع. وفيه علم النور المعنوي والهدى. وفيه علم الأمثال. وفيه علم الاتباع والأتباع. وفيه علم الشهادات. وفيه علم المعاد وحكمه. وفيه علم الخوف والحذر. وفيه علم التجانس بين الأشياء. وفيه علم الحب وشرفه وأصناف المحبين. وفيه علم خلع العذار فيه. وفيه علم الاختصاص. وفيه علم نسخ البواطن في العموم والخصوص. وفيه علم تشبيه الحق بالخلق وما يجوز من ذلك وما لا يجوز ومتعلقه السمع ليس للعقل فيه دخول بما هو ناظر فيه. وفيه علم الوهب والكسب. وفيه علم ما يجب على الرسول. وفيه علم من سمى الله بغير اسمه ما حكمه في التوحيد. وفيه علم مراتب الضلال والإضلال والتفاوت في ذلك. وفيه علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه علم تأثير الخلق في الحق. وفيه علم ما شقي به أهل الكتب. وفيه علم رفع الحرج ومراتب المتقين. وفيه علم الاختيار. وفيه علم شرف الأماكن بعضها على بعض لماذا يرجع. وفيه علم تحكم الأدنى على الأعلى. وفيه علم إضافة الأشياء إلى أصولها. وفيه علم التعريض بالخير. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثمانون وثلثمائة

في معرفة منزل العلماء ورثة الأنبياء من المقام المحمدي

مـا قـرّ العيـن إلا قـرّه النفـس ... فانظر إلى كل معنى دس في الحس
تجـده يـا سيـدي إن كنـت ذا نظـر ... في الفصل والنوع بالأحكام والجنس
فليـس تشهـد عينـي غيـرهـا أبـداً ... والناس من ذاك في شك وفي لبس
الطيـب والمـرأة الحسنـا قـد اشتـركـا ... مع المناجاة في المعنى وفي النفس
ففـي الصـلاة وجـودي والنسـاء لنـا ... عرش وفي الطيب أنفاس من الأنس

قال رسول الله ﷺ: «**حبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة**» وقال ﷺ: «**إن ربكم واحد وإن أباكم واحد فلا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لأعجميّ على عربيّ إلا بالتقوى ثم تلا:** ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾» يريد بالأب آدم ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني نفس آدم يخاطب ما تفرع منه فاعلم أن الورث على نوعين: معنوي ومحسوس، فالمحسوس منه ما يتعلق بالألفاظ والأفعال وما يظهر من الأحوال، فأما الأفعال فإن ينظر الوارث إلى ما كان رسول الله ﷺ يفعله مما أبيح للوارث أن يفعله اقتداء به لا مما هو مختص به عليه السلام مخلص له في نفسه ومع ربه وفي عشرته لأهله وولده وقرابته وأصحابه وجميع العالم، ويتبع الوارث ذلك كله في الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ الموضحة لما كان عليه في أفعاله من صحيحها وسقيمها فيأتيها كلها على حدّ ما وردت لا يزيد عليها ولا ينقص منها، وإن اختلفت فيها الروايات فليعمل بكل رواية وقتاً بهذه وقتاً بهذه ولو مرّة واحدة ويدوم على الرواية التي ثبتت ولا يخل بما روي من ذلك وإن لم يثبت من جهة الطريق فلا يبالي إلا إن تعلق بتحليل أو تحريم فيغلب الحرمة في حق نفسه فهو أولى به فإنه من أولي العزم، وما عدا التحليل أو التحريم فليفعل بكل رواية، وإذا أفتى إن كان من أهل الفتيا وتتدارض الأدلة السمعية بالحكم من كل وجه ويجهل التاريخ ولا يقدر على الجمع فيفتي بما هو أقرب لرفع الحرج ويعمل هو في حق نفسه بالأشد فإنه في حقه الأشد وهذا من الورث اللفظي فإنه المفتي به فيصلي صلاة

Marfat.com

رسول الله ﷺ في ليله ونهاره وعلى كيفيتها في أحوالها وكمياتها في أعدادها ويصوم كذلك، ويعامل أهله من مزاح وجد كذلك، ويكون على أخلاقه في مأكله ومشربه وما يأكل وما يشرب كأحمد بن حنبل فإنه كان بهذه المثابة، روينا عنه أنه ما أكل البطيخ حتى مات، وكان يقال له في ذلك فيقول: ما بلغني كيف كان يأكله رسول الله ﷺ، وكل ما كان من فعل لم يجد فيه حديثاً يبين فيه أن رسول الله ﷺ فعله بكيفية خاصة وإن كان من الكميات بكمية خاصة، ولكن ورد فيه حديث فاعمل به كصومه ﷺ كان يصوم حتى نقول أنه لا يفطر ويفطر حتى نقول أنه لا يصوم، ولم يوقت الراوي فيه توقيتاً فصم أنت كذلك وأفطر كذلك، وأكثر من صوم شعبان ولا تتم صوم شهر قط بوجه من الوجوه إلا شهر رمضان، وكل صوم أو فعل مور به وإن لم يرو فيه فعله فاعمل به لأمره، وهذا معنى قول الله: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله﴾ وما رأينا أحداً ممن رأيناه أو سمعنا عنه عمل على هذا القدم إلا رجل كبير باليمن يقال له الحداد رآه الشيخ ربيع بن محمود المارديني الحطاب وأخبر أنه كان على هذا الحال من الاقتداء، أخبرني بذلك صاحبي الخادم عبدالله بدر الحبشي عن الشيخ ربيع فلتتبعه في كل شيء لأن الله يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ ما لم يخصص شيئاً من ذلك بنهي عن فعله. وقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال في الحج: «خذوا عني مناسككم» وإذا حججت فإن قدرت على الهدي فادخل به محرماً بالحج أو العمرة، وإن حججت مرة أخرى فادخل أيضاً إن قدرت على الهدي محرماً بالحج وإن لم تجد هديا فاحذر أن تدخل محرماً بالحج لكن ادخل متمتعاً بعمرة مفردة، فإذا طفت وسعيت فحل من إحرامك الحل كله ثم بعد ذلك أحرم بالحج وأنسك نسيكة كما أمرت، واعزم على أن لا تخل بشيء من أفعاله، وما ظهر من أحواله مما أبيح لك من ذلك، والتزم آدابه كلها جهد الاستطاعة لا تترك شيئاً من ذلك إذا ورد مما أنت مستطيع عليه فإن الله ما كلفك إلا وسعك فابذله ولا تترك منه شيئاً، فإن النتيجة لذلك عظيمة لا يقدر قدرها وهي محبة الله إياك، وقد علمت حكم الحب في المحب.

وأما الورث المعنوي فما يتعلق بباطن الأحوال من تطهير النفس من مذام الأخلاق وتحليتها بمكارم الأخلاق وما كان عليه ﷺ من ذكر ربه على كل أحيانه وليس إلا الحضور والمراقبة لآثاره سبحانه في قلبك وفي العالم، فلا يقع في عينك ولا يحصل في سمعك ولا يتعلق بشيء قوّة من قواك إلا ولك في ذلك نظر واعتبار إلهي تعلم موقع الحكمة الإلهية في ذلك، فهكذا كان حال رسول الله ﷺ فيما روت عنه عائشة، وكذلك إن كنت من أهل

Marfat.com

الاجتهاد في الاستنباط للأحكام الشرعية فأنت وارث نبوّة شرعية فإنه تعالى قد شرع لك في تقرير ما أدّى إليه اجتهادك ودليلك من الحكم أن تشرعه لنفسك وتفتي به غيرك إذا سئلت وإن لم تسئل فلا، فإن ذلك أيضاً من الشرع الذي أذن الله لك فيه ما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله.

واعلم أن الاجتهاد ما هو في أن تحدث حكماً هذا غلط، وإنما الاجتهاد المشروع في طلب الدليل من كتاب أو سنة أو إجماع وفهم عربي على إثبات حكم في تلك المسألة بذلك الدليل الذي اجتهدت في تحصيله، والعلم به في زعمك هذا هو الاجتهاد فإن الله تعالى ورسوله ما ترك شيئاً إلا وقد نص عليه ولم يتركه مهملاً فإن الله تعالى يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وبعد ثبوت الكمال فلا يقبل الزيادة فإن الزيادة في الدين نقص من الدين وذلك هو الشرع الذي لم يأذن به الله، ومن الورث المعنوي ما يفتح عليك به من الفهم في الكتاب وفي حركات العالم كله. وأما الوارث الإلهي فهو ما يحصل لك في ذاتك من صور التجلي الإلهي عندما يتجلى لك فيها فإنك لا تراه إلا به، فإن الحق بصرك في ذلك الموطن ولا يتكرر عليك صورة تجل فقد انتقل عنها وحصل لك نظيرها في ذاتك وفي ملكك، ولذلك تقول في الآخرة عموماً للشيء إذا أردته كن فيكون وفي الدنيا خصوصاً، فالحق لك في الدنيا محل تكوينك فإنه يتنوع لتنوعك وفي الآخرة تتنوع لتنوعه، فهو في الدنيا يلبس صورتك وأنت في الآخرة تلبس صورته فانظر ما أعجب هذا الأمر، وكذلك لك في الميراث الإلهي في مراتب العدد فقد يكون الحق رابع ثلاثة، فإذا جئت أنت وانضممت إلى الثلاثة فربعتهم لا يكون ذلك لك حتى ينتقل الحق إلى مرتبة الخمسة فيكون خامس أربعة بعد ما قد كان رابع ثلاثة فأخلى لك المرتبة فورثتها، وكذلك في كل جماعة تنضم إليها هذا حكم الميراث في الدنيا. وأما في ميراث الخصوص وفي الآخرة فإنه رابع أربعة في حال كونك أنت رابع تلك الأربعة فإنك في الدنيا في الخصوص جئت بصورة حق وفي الآخرة كذلك أنت صورة حق ولهذا كفر أي ستر من قال: إن الله ثالث ثلاثة فستر نفسه بربه لأنه هو عين ثالث ثلاثة، ورأى نفسه حقاً لا خلقاً إلا من حيث الصورة الجسدية لا من حيث ما هي به موصوفة فهو حق في خلق، فستر خلقه بما شهده من الحق القائم به المنصوص عليه في العموم بأنه جميع قوى عبده وصفاته إذا كان من أهل الخصوص فقال عن نفسه: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ ثم بين الحق تعالى عقيب هذا القول فقال: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ وهو الذي ثلث الثلاثة فالاثنان من العامة والذي ثلثهم بخلقه هو الثالث خلقاً بخلقه.

Marfat.com

ثم أنه قد علم أن الحق جميع قواه وأشهده الحق أنه مع الاثنين مثل ما هو معه إلا أنه حجب عنهم علم ذلك فقالوا بالخلق دون حق فقال هذا الخاص إن الله ثالث ثلاثة لأنه شاهده فيهما كما شاهده في نفسه وهم لا يشعرون، فرأى أن الحق جمعهم في صور ثلاثة فصح قول القائل أنه ثالث ثلاثة في الوجهين في الخلق والحق وصح ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ لأنه عين كل واحد من الثلاثة ليس غيره فهو واحد وهو ثلاثة، فهذا من الورث الإلهي النبوي، فإنه ما حصل لنا هذا الشهود إلا بالاقتداء والاتباع النبوي، فلما علمنا ورثناه ﷺ ولا يصح ميراث لأحد إلا بعد انتقال الموروث إلى البرزخ، وما حصل لك من غير انتقال فليس بورث وإنما ذلك وهب وأعطية ومنحة أنت فيها نائب وخليفة لا وارث، فأنت من حيث العلم وارث وأنت من حيث الشهود عينه لا وارث، ألا ترى في قوله ﷺ: «إن ربكم واحد كما أن أباكم واحد» وليس أبوك إلا من أنت عنه فإن عرفت عمن أنت عرفت أباك، وما ذكر النبي ﷺ أن أبوينا اثنان كما وقع في الظاهر فإنا عن آدم وحواء مثل قوله: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ ولكن لما كانت حواء عين آدم لأنها عين ضلعه فما كان إلا أب واحد في صورتين مختلفتين كما هو التجلي، فعين حواء عين آدم انفصال اليمين عن الشمال وهو عين زيد، كذلك انفصال حواء عن آدم فهي عين آدم، فما ثم إلا أب واحد فما صدرنا إلا عن واحد، كما أن العالم كله ما صدر إلا عن إله واحد، فالعين واحدة كثيرة نسب إن لم يكن الأمر كذلك، وإلا فما كان يظهر لنا وجود ولا لنا وجود عين ولا لنا إيجاد حكم، فكما أوجدنا عيناً أوجدنا الحكم له ﴿جزاء وفاقاً﴾ إن تفطنت فهو لنا موجد عين ونحن له موجد رب:

فلولا الحق ما كان الوجود ... ولولا الكون ما كان الإله
جـزاء قـد أراد الحـق منـه ... سؤال السائلين بمن وما هو
فما هو في العموم بغير شك ... وأما في الخصوص فهو وما هو

ثم ما زال التوالد والتناسل في كل نوع نوع من المولدات كلها في الدنيا ما دامت في الدنيا وفي الآخرة إلى ما لا يتناهى، وإن تنوعت أحوال التوالد كما ظهر ذلك في الدنيا في حواء وعيسى وبني آدم، وأما في آدم فباليدين وبالأركان، وفي النبات متنوع أيضاً في غراسه وبزوره، وكذلك في المعادن، فانظر ما أحكم حكمة الله في خلقه. ولما اطلعنا على الوجه الخاص الذي لكل موجود لم يتمكن لنا أن نضيف التوالد لنا جملة واحدة بل أضفنا كل ما

Marfat.com

ظهر في الكون إليه وهو قوله تعالى: ﴿وما أمرنا﴾ ونحن أمره ﴿إلا واحدة﴾ فما ثم موجد إلا الله تعالى عل كل وجه علم ذلك من علمه وجهله من جهله، كما يقول الطبيعيون في الموجودات الطبيعية بأحدية الطبيعة، فكل ما ظهر من الموجودات الطبيعية قالوا هذا عن الطبيعة فوحدوا الأمر كما وحدنا الإله في خلقه فلم يكن إلا الله وهو الذي سموه أولئك طبيعة ولا علم لهم كما سمته الدهرية بالدهر ولا علم لهم إلا أن الله تسمى لنا بالدهر وما تسمى بالطبيعة لأن الطبيعة ليست بغير لمن وجد عنها عيناً، فهي عين كل موجود طبيعي.

ولما كان الحق له هذا الحكم وظهر به عند الخواص من عباده وعلمنا أن الاسم دلالة على المسمى فرأينا الاسم وإن دل فهو أجنبي فعلمنا أن حكم الطبيعة يخالف حكم الدهر فإن الدهر ما هو عين الكوائن، ورأينا الطبيعة عين الكوائن الطبيعية، ورأينا أن الحق له تنزيه ينفصل به عنا انفصال الدهر عما يكون فيه، فتسمى تعالى بالدهر تنزيهاً وما تسمى بالطبيعة لكون الأمر ما هو غيره بل هو عينه، والمسمى لا يسمي نفسه لنفسه فلا يسمى بالطبيعة وإنما يسمي نفسه لغيره حتى إذا ذكره عرف أنه يذكره وإذا ذكر عرفه فهذا أصل وضع الأسماء:

فما ثم إلا اللّه لا شيء غيره ... وما ثم إلا اثنان واللّه ثالث
قد أنتجه العلم الذي قاله لنا ... فإني لعلمي بالحقيقة حارث

أعني قوله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» فقدم معرفة الإنسان نفسه لأنه عين الدليل، ولا بد أن يكون العلم بالدليل مقدماً على العلم بالمدلول والدليل نحن ونحن في مقام الشفعية، فلذلك عبرنا بالاثنين لوجود الشفع، فنتج لنا النظر فينا وجود الحق وأحديته، فهو ثالث اثنين كما هو رابع ثلاثة فلذلك قلنا: والله ثالث لهذين الاثنين، وأنا حارث أي كاسب لهذا العلم بالنظر ثم أن للحق ورثاً منا كما قال: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ عيناً وحكماً فأما في العين فقوله: ﴿وإلينا ترجعون﴾ فإن الأمور ترجع إلى أصولها كما ينعطف آخر الدائرة على أولها، فمن أوّل ما تبتدىء بالدائرة إنما يطلب بذلك الرجوع إلى أصلها وهو بدؤها فإليه تنتهي، فنحن لا نعلم شيئاً إلا به، فورث منا هذه الصفة فقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ كما نظرنا نحن حتى علمنا فما خلص لنا هذا الوصف من غير مشاركة، فعلمنا أن علمنا عن النظر والاستدلال بما علمناه أنه هو العالم به من حيث إن نظرنا لم يكن بنا لأنه قال: إنه عين صفتنا التي بها ننظر ونبصر ونسمع ونبطش، وهذا كله هو علم الأنبياء الذين ورثناهم لأنهم ما ورثونا إلا العلم على الحقيقة وهو أشرف ما يورث.

Marfat.com

ثم انظر في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» فعم بالألف واللام فيهما كل عالم وكل مخبر، ولا شك أن كل مخبر فإنه متصوّر لما يخبر به وكل سامع ذلك الخبر فقد علمه أي علم ما تصوّره ذلك المخبر سواء كان كذباً ذلك الخبر أو صدقاً فهو ورث بلا شك ألا تراه ﷺ قد قال: «من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» لأنه قد ورث منه الكذب وصار حكمه حكم الكاذب، كما صار حكم الوارث في المال حكم من مات عنه وخلفه، ولما عمم بالألف واللام العلماء دخل فيه قوله: ﴿حتى نعلم﴾ ولما عمم بالألف واللام الأنبياء دخل فيه كل مخبر بنطق أو بحال لأنه من ظهر لعينك بعد أن لم يكن ظاهراً فقد أخبرك بظهوره.أنه ظهر لك حتى لو قال لك قد ظهرت لك لم يفدك علماً بظهوره وإنما أفادك علماً بقوله لك أي من أجلك ظهر لعينك، فالمفهوم الأوّل القرب الظاهر النازل منزلة النص عند أهل الظاهر أن العلماء ورثة الأنبياء الذين هم المخبرون عن الله، وبالمفهوم الثاني الذي لا يقدح فيه المفهوم الأوّل أن العلماء ورثة المخبرين بما أخبروا به كانوا من كانوا، لكن العلم الموروث من الأنبياء عليهم السلام ليس هو العلم الذي يستقل بإدراكه العقول والحواس دون الأخبار فإن ذلك لا يكون وراثة، وإنما الذي يرثه العلماء من الأنبياء ما لا تستقل العقول من حيث نظرها بإدراكه، وأما ما ورثته من الأنبياء من العلم الإلهيّ فهو ما تحيله العقول بأدلتها وأما ما تجوزه العقول فتعين لها الأنبياء أحد الجائزين مثل قول إبراهيم: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾.

وأما العلم الذي ترثه من الأنبياء عليهم السلام من علم الأكوان فعلم الآخرة ومآل العالم لأن ذلك كله من قبيل الإمكان فالأنبياء تعين عن الله أن بعض الممكنات على التعيين هو الواقع فيعلمه العالم فذلك ورث نبويّ لم يكن يعلمه قبل إخبار هذا النبيّ به، وما عدا هذا فما هو علم موروث إلا في حق العامي الذي ما وفى عقله حقه، فتلقى من النبيّ علماً بما لو نظر فيه بعقله أدركه كتوحيد الله ووجوده، وبعض ما يتعلق به من حكم الأوصاف والأسماء فيكون ذلك في حق من لم يعلمه إلا من طريق النبي علم موروث. وإنما قلنا فيه أنه علم لأن الأنبياء لا تخبر إلا بما هو الأمر عليه في نفسه، فإنهم معصومون في أخبارهم عن الله أن يقولوا ما ليس هو الأمر عليه في نفسه بخلاف غير الأنبياء من المخبرين من عالم وغير عالم، فإن العالم قد يتخير فيما ليس بدليل أنه دليل فيخبر بما أعطاه ذلك الدليل ثم يرجع عنه بعد ذلك، فلهذا لا ينزل في درجة العلم منزلة النبيّ ﷺ، وقد يخبر بالعلم على ما هو عليه في نفس الأمر، ولكن لا يتعين على الحقيقة لما ذكرناه من دخول الاحتمال فيه،

Marfat.com

وكذلك غير العالم من العوام فقد يصادفون العلم وقد لا يصادفونه في أخبارهم والنبي ﷺ ليس كذلك، فإذا أخبر عن أمر من جهة الله فهو كما أخبر فالمحصل له عالم بلا شك، كما أن ذلك الخبر علم بلا شك، فلذلك قيد ﷺ أن العلماء هم ورثة الأنبياء لأنهم إذا قبلوا ما قاله الرسول فقد علموا الأمر على ما هو عليه، ومن وراثته ﷺ حب النساء والطيب وجعلت قرة عينه في الصلاة، ولكن إذا كان ذلك في الإنسان محبباً إليه حينئذ يكون وارثاً، وأما إن أحب ذلك من غير تحبب فليس بوارث، فإن العبد لما كان مخلوقاً لله لا لغيره كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فما خلقهم إلا لعبادته، وقال لموسى في الاثنتي عشرة كلمة: «يا ابن آدم خلقتك من أجلي» الحديث.

ثم أن الله في ثاني حال من العبد حبب إليه أمراً مّا أكثر من غيره وبقي الكلام فيمن حببه إليه هل حببه إليه طبع أو طمع أو حذر أو حببه إليه الله؟ فإن النبي ﷺ قال: «حبب إليّ» ولم يقل من حببه، كما قال الله في حق المؤمنين: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ والنبي ﷺ ما عدل إلى قوله حبب ولم يذكر من حببه إلا لمعنى لا يمكن إظهاره لضعف النفوس القابلة، فالعارفون بالمواطن يعلمون من حيث ما ذكره الله والنساء والطيب وجعل قرة العين في الصلاة لأنه مصل على شهود من وقف يناجيه بين يديه من حضرة التمثيل وموطنه لأن فيه خطاباً ورداً وقبولاً ولا يكون ذلك إلا في شهود التمثيل فإنه في موطن يجمع بين الشهود والكلام.

ولما كانت المناسبات تقتضي ميل المناسب إلى المناسب كان الذي حبب عين المناسب والمناسبة قد تكون ذاتية وعرضية، ولما كان النساء محل التكوين وكان الإنسان بالصورة يقتضي أن يكون فعالاً ولا بد له من محل يفعل فيه ويريد لكماله أن لا يصدر عنه إلا الكمال كما كان في الأصل الذي أعطى كل شيء خلقه وهو كمال ذلك الشيء ولا أكمل من وجود الإنسان، ولا يكون ذلك إلا في النساء اللاتي جعلهن الله محلاً والمرأة جزء من الرجل بالانفعال الذي انفعلت عنه فحبب إلى الكامل النساء، ولما كانت المرأة كما ذكرت عين ضلع الرجل فما كان محل تكوين ما كون فيها إلا نفسه فما ظهر عنه مثله إلا في عينه ونفسه فانظر ما أعجب هذا الأمر، فمن حصل له مثل هذا العلم فقد ورث النبي عليه الصلاة والسلام في هذا التحبب بهذا الوجه، وأما الطيب فإنه من الأنفاس والأنفاس رحمانية فإن رسول الله ﷺ يقول: «إني لأجد نفس الرحمن» فأضافه إلى الرحمن والله يقول: ﴿والطيبون للطيبات والطيبات للطيبين﴾ ومن أسمائه تعالى الطيب، فعلمنا أن النفس الطيب لا يكون

Marfat.com

إلا من الاسم الطيب، وما ثم اسم أطيب للكون من الرحمن فإنه مبالغة في الرحمة العامة التي تعم الكون أجمعه، فمن حصل له الطيب في كل شيء وإن أدركه من أدركه خبيثاً بالطبع فإنه بالنعت الإلهيّ طيب وقد ذقنا ذلك بمكة فهو وارث على الحقيقة، وما حبب إليه الصلاة إلا لما فيها من الجمع بين الشهود والكلام بقوله: «جعلت قرة عيني في الصلاة» وما تعرض لسمعه ولا للكلام لأن ذلك معروف في العموم أن الصلاة مناجاة بقوله: يقول العبد كذا فيقول الله كذا، وأنها منقسمة بين الله وبين عبده المصلي نصفين كما ورد في الحديث، وما كانت الصلاة كبيرة إلا على غير المشاهد وعلى من لم يسمع قول الحق مجيباً لما يقوله العبد في صلاته، ثم نيابته في قوله: سمع الله لمن حمده من أتم المقامات، فإن الله ما عظم الإنسان الكامل على من عظمه إلا بالخلافة، ولما كان مقامه عظيماً لذلك وقع الطعن فيه ممن وقع لعظيم المرتبة، وما علم الطاعن ما أودع الله في النشأة الإنسانية من الكمال الإلهيّ، فلو تقدّم لذلك الطاعن العلم ما طعن، فلما كانت الخلافة وهي النيابة عن الحق بهذه المنزلة وكان المصلي نائباً في سمع الله لمن حمده الذي لا يكون إلا في الصلاة كانت مرتبة الصلاة عظيمة فحببت إليه ﷺ، فمن رأيته يحب الصلاة على هذا الحد فهو وارث، ومن رأيته يحبها لغير هذا الشهود فليس بوارث.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم صدور الكثير من الواحد أعني أحدية الكثرة لا أحدية الواحد. وعلم النكاح الإلهيّ والكوني. وعلم النتائج والمقدمات. وعلم مفاضلة النكاح لأنه قد يراد لمجرّد الالتذاذ، وقد يراد للتناسل، وقد يراد لهما. وعلم الوصايا. وعلم التقاسيم. وعلم المبادرة خوف الفوت. وعلم الخلطاء. وعلم الهبات. وعلم ما يعتبر من طيب النفوس. وعلم التصرّف بالمعروف وما هو المعروف. وعلم الأمانات. وعلم الحظوظ. وعلم الحقوق. وعلم مَا ينبغي أن يقدم وما ينبغي أن يؤخر. وعلم الحدود. وعلم الطاعة والمعصية. وعلم الشهادات والأقضية. وعلم العشائر وهي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العشرة ولهذا سمي الزوج بالعشير لأن اجتماع الزوجين كان عن عقد والمعاشرة الصحبة، فالعشائر الأصحاب والمرء على دين خليله فقد عقد معه على ما هو عليه وحينئذ يكون قد عاشره قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي صاحبوهنّ بما يعرف أنه يدوم بينكما الصحبة به والمعاشرة. وعلم العزة والمنع. وعلم صنوف التجارات. وعلم فضل الرجل على المرأة بماذا كان وما الكمال الذي تشارك فيه المرأة الرجل. وعلم أصحاب الحقوق. وعلم التقديس. وعلم العناية الإلهية. وعلم مراتب

Marfat.com

الخلفاء. وعلم ما حقيقة الإيمان. وعلم المعيبات. وعلم ما يرغب فيه ويتمنى تحصيله. وعلم الموت. وعلم ما هو لله وللخلق. وعلم الفرق بين نصيب الحسنة ونصيب السيئة. وعلم التوقيت وما يوقت مما لا يدخله التوقيت. وعلم حرمة المؤمن ومكانته. وعلم الهجرة. وعلم إيمان الإيمان. وعلم الرفق. وعلم السر والجهر. وعلم ما يجتمع فيه الملك مع الكامل من البشر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو على ما نقول وكيل.

Marfat.com

الباب الأحد والثمانون وثلثمائة

في معرفة منزل التوحيد والجمع، وهو يحتوي على خمسة آلاف مقام رفرفي وهو من الحضرة المحمدية، وأكمل مشاهده من شاهده في نصف الشهر أو في آخره

يا مريم ابنة عمران التي خلقت ... فرشاً كريماً لروح جل من روح
تحصنت فأتاها الروح يمنحها ... من فوق سبع سموات من اللوح
أهدى لها هبة عليا مشرفة ... أسنى وأشرق فينا من سنا يوح
تحيى وليس لها سيف تميت به ... تدعى إذا دعيت باللطف بالروح

نعني بالهبة عيسى روح الله من قول جبريل لمريم: ﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾ ورد في الخبر أنه قيل لرسول الله ﷺ: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» وقد ذكرنا فيما تقدم حديث العماء وأن فيه انفتحت صور العالم، والذي يقوم عليه الدليل أن كل شيء سوى الله حادث ولم يكن ثم كان فينفي الدليل كون ما سوى الله في كينونة الحق الواجب الوجود لذاته، فدوام الإيجاد لله تعالى ودوام الانفعال للممكنات والممكنات هي العالم فلا يزال التكوين على الدوام والأعيان تظهر على الدوام، فلا يزال امتداد الخلا إلى غير نهاية لأن أعيان الممكنات توجد إلى غير نهاية ولا تعمر بأعيانها إلا الخلا، وقولنا فيما تقدم أن العالم ما عمر سوى الخلا نريد أنه ما يمكن أن يعمر ملا لأن الملا هو العامر فلا يعمر في ملا، وما ثم إلا ملا، أو خلافاً لعالم في تجديد أبداً، فالآخرة لا نهاية لها، ولولا نحن لما قيل دنيا ولا آخرة، وإنما كان يقال ممكنات وجدت وتوجد كما هو الأمر، فلما عمرنا نحن من الممكنات المخلوقة أماكن معينة إلى أجل مسمى من حين ظهرت أعياننا ونحن صور من صور العالم سمينا ذلك الموطن الدار الدنيا أي الدار القريبة التي عمرناها في أوّل وجودنا لأعياننا، وقد كان العالم ولم نكن نحن، مع أن الله تعالى جعل لنا في عمارة الدار الدنيا آجالاً ننتهي إليها، ثم ننتقل إلى موطن آخر يسمى آخرة فيها ما في هذه الدار الدنيا ولكن متميز بالدار كما هو هنا متميز بالحال، ولم يجعل لإقامتنا في تلك الدار الآخرة أجلاً تنتهي إليه مدة إقامتنا، وجعل تلك

Marfat.com

الدار محلاً للتكوين دائماً أبداً إلى غير نهاية، وبدل الصفة على الدار الدنيا فصارت بهذا التبديل آخرة والعين باقية، وبقي من لا علم له من الله بالأمور في حيرة، فعلى الحقيقة ما ثم حيرة في حق العلماء بالله وبنسبة العالم إلى الله فالعلماء في فرحة أبداً ومن عداهم في ظلم الحيرة تائهون دنيا وآخرة، ولولا تجديد الخلق مع الأنفاس لوقع الملل في الأعيان لأن الطبيعة تقتضي الملل، وهذا الاقتضاء هو الذي حكم بتجديد الأعيان ولذلك قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى: «إن الله لا يمل حتى تملوا» فعين ملل العالم هو ملل الحق، ولا يمل من العالم إلا من لا كشف له ولا يشهد تجديد العالم مع الأنفاس على الدوام ولا يشهد الله خلاقاً على الدوام، والملل لا يقع إلا بالاستصحاب.

فإن قلت: فالدوام على تجديد الخلق استصحاب والملل ما وقع مع وجود الاستصحاب قلنا: الأحكام الذاتية لا يمكن فيها تبدل والخلاق لذاته يخلق والعالم لذاته ينفعل فلا يصح وجود الملل، فالتقليب في النعيم الجديد لا يقتضي الملل في المتقلب فيه لأنه شهود ما لم يشهد بفرح وابتهاج وسرور ولهذا قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وجد ويوجد إلى غير نهاية، فإن الرحمة حكم لا عين، فلو كانت عيناً وجودياً لانتهت وضاقت عن حصول ما لا يتناهى فيها، وإنما هي حكم يحدث في الموجودات بحدوث أعيان الموجودات من الرحمن الرحيم ﴿والراسخون في العلم﴾ يعني في العلم بالله ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ الرحمة والمرحوم ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ وهم الغواصون الذين يستخرجون لب الأمور إلى الشهادة العينية، بعدما كان يستر ذلك اللب القشر الظاهر الذي كان به صونه، وهذا يحوي على تسعة آلاف مقام، هكذا وقع الأخبار من أهل الكشف والوجود، منها ألف مقام لطائفة خاصة ولطائفة أخرى ثلاثة آلاف مقام ولطائفة ثالثة خمسة آلاف مقام، فأرفع الطوائف الطائفة التي لها ألف مقام، وتليها في الرفعة الطائفة التي لها ثلاثة آلاف مقام، وتليها الطائفة التي لها خمسة آلاف مقام في الرفعة، وأعلى الطوائف من لا مقام له، وذلك لأن المقامات حاكمة على من كان فيها، ولا شك أن أعلى الطوائف من له الحكم لا من يحكم عليه وهم الإلهيون لكون الحق عينهم ﴿وهو أحكم الحاكمين﴾ وليس ذلك لأحد من الناس إلا للمحمديين خاصة عناية إلهية سبقت لهم كما قال تعالى في أمثالهم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعني النار فإن النار من جملة هذه المقامات فهم على الحقيقة عن المقامات مبعدون، فأصحاب المقامات هم الذين قد انحصرت هممهم إلى غايات ونهايات، فإذا

Marfat.com

وصلوا إلى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها لهم بدايات إلى هذه الغايات الأخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ولا يزال لهم هذا الأمر دائماً.

وأما المحمدي فما له هذا الحكم ولا هذا الحصر، فاتساعه اتساع الحق وليس للحق غاية في نفسه ينتهي إليها وجوده والحق مشهود المحمدي فلا غاية له في شهوده، وما سوى المحمدي فإنه مشاهداً مكانه، فما من حاله يقام فيها ولا مقام إلا ويجوز عنده انقضاؤه وتبدل الحال عليه أو إعدامه، ويرى أن ذلك من غاية المعرفة بالله حيث وفى الحكم حقه بالنظر إلى نفسه وإلى ربه، وعيسى عليه الصلاة والسلام محمدي ولهذا ينزل في آخر الزمان وبه يختم الله الولاية الكبرى وهو روح الله وكلمته وكلمات الحق لا تنفد، فليس للمحمدي غاية في خاطره ينتهي إليها. فاعلم أن هذه المقامات المذكورة لا تدرك إلا بعين الخيال إذا شوهدت، فإن صورها إذا مثلها الله فيما شاء أن يمثلها متخيلة فتراها أشخاصاً رأي العين كما ترى المحسوسات بالعين وكما ترى المعاني بعين البصيرة، فإن الله إذا قلل الكثير وهو كثير في نفس الأمر أو كثر القليل وهو قليل في نفس الأمر فما تراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس وهو البصر نفسه في الحالين كما قال تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم﴾ وقال: ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ وما كانوا مثليهم في الحس، فلو لم تراهم بعين الخيال لكان ما رأيت من العدد كذباً ولكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إياك، وإذا كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال كانت الكثرة في القليل حقاً والقلة في الكثرة حقاً لأنه حق في الخيال وليس بحق في الحس، كما أراك اللبن في الخيال فشربته ولم يكن ذلك اللبن سوى عين العلم فما رأيته لبناً وهو علم إلا بعين الخيال، ورأيت تلقينك ذلك العلم ممن تلقنته في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال والعلم ليس بلبن والتلقين ليس بشرب وقد رأيته كذلك، فلو رأيته بعين الحس لكان كذباً لأنك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه فما رأيته إلا بعين الخيال في حال يقظتك، وإن كنت لا تشعر أنت بذلك فكذلك هو في نفس الأمر لأن الله صادق فيما يعلمه وهو في الخيال صدق كما رأيته، وكذلك تلقيك العلوم من الله بالضربة باليد فعلم الضروب بتلك الضربة علم الأولين والآخرين، والعلم لا يحصل إلا بالتعليم بالخطاب من المعلم أو بخلق في النفس ضرورة وقد حصل في حضرة الخيال بالضرب فلا بد أن يكون الضرب مخيلاً والمضروب في عينه مخيلاً إن كان في نوم أو يقظة لصدق الذي يرى ذلك وهو الله كما قال

Marfat.com

تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ولم تسع في نفس الأمر، وهكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في نفسه ما تراه إلا بعين الخيال حتى يكون صدقاً، ولهذا يعبر كل ما وقع من ذلك أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة فلا تغفل عن مثل هذا العلم وفرّق بين الأعين.

واعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوّة إلهية يعطيها الله من شاء من عباده فتعرّض لتحصيلها من الله فإنك مخبر بما رأيت أنك رأيته بحسك ولم يكن الأمر كذلك فتحرّز في العبارة فيما تراه كما يفعله المصنف، ألا ترى الصحابة لو وفوا النظر الصحيح حقه وأعطوا المراتب حقها لم يقولوا في جبريل عليه السلام أنه دحية الكلبي ولقالوا إن لم يكن روحانياً تجسد وإلا فهو دحية الكلبي أدركناه بالعين الحسي فلم يحرروا ولا أعطوا الأمر الإلهيّ حقه فهم الصادقون الذين ما صدقوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: هو جبريل فحينئذ عرفوا ما رأوا وبماذا رأوا كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم حين جاء يعلم الناس دينهم فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من السائل؟ فقالوا الله ورسوله أعلم لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم فقال لهم: هذا جبريل**» فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية فقولهم الله ورسوله أعلم يحتمل أنهم أرادوا احتمال المعنى أو الصورة الروحية أو يكون إنساناً في نفس الأمر، وإن كان هذا الحديث أولاً فما جهلوا أنه إنسان ولكن جهلوا اسمه ولمن ينتسب من قبائل العرب، فلا يعرف الرائي أنه أدرك ما أدركه بعين الخيال ما لم يعلم المدرك ما هو وما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحس، فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية، وإن لم يتمكن فيه أنزل بعض الأمور غير منزلتها، فإذا أعطاه الله قوّة التفصيل أبان له عن الأمور إذا رآها بأي عين رآها فيعلم ما هي إذا علم العين التي رآها به من نفسه، فآكد ما على أهل علم الله هذا العلم، وكثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه، ولولا علمه بنومه فيما يراه أنه رآه في حال نومه ما قال إنه خيال، فكم يرى في حال اليقظة مثل هذا ويقول إنه رأى محسوساً بحسه، ألا تراه ﷺ في صدق رؤياه أنه ما يجري على نفسه حال في جسده إلا ويظهر ذلك له في صورة مجسدة إذا هو نام فيحكم على محسوسه بما علمه من صورة متخيلة فقيل له في الوضوء عندما نام ونفخ فلم يتوضأ وصلى بالوضوء الذي نام عليه: «**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**» يقول إنه لما انقلب إلى عالم الخيال ورأى صورته هناك وهو قد نام على طهارة ما رأى أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء، فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه،

Marfat.com

ولهذا نقول في النوم أنه سبب للحدث وما هو حدث، فمن حصل له هذا المقام وكان بهذه الصفة ونام على طهارة ورأى نفسه في النوم فلينظر في تلك الصورة المرئية التي هي عينه فإن أحس بحدث فما يقوم بها حدث حتى يحدث بجسده النائم أي يكون منه ما ينقض الوضوء إما بعين ذلك الحدوث وإما أن يكون صورة تعريف بأنه أحدث فيتوضأ إذا قام من نومه، فإن من الإحداث في النوم ما يكون له أثر في الجسد النائم، كالاحتلام في بعض الأوقات وكالذي يرى أنه يبول فيبول في فراشه فيستيقظ فيجد في الحس قد وقع ما رآه في النوم وقد لا يجد لذلك أثراً فيكون تنبيهاً له أنه أحدث، هذا يطرأ للعلماء بهذه الصفة.

وقد كان مثل هذا للشيخ الضرير أبي الربيع المالقيّ شيخ أبي عبدالله القرشيّ بمصر فكان يوم الاثنين خاصة إذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه، وهذا باب واسع المجال وهو عند علماء الرسوم غير معتبر ولا عند الحكماء الذين يزعمون أنهم قد علموا الحكمة وقد نقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب ولا قدر لها عندهم فلا يعرف قدرها ولا قوّة سلطانها إلا الله ثم أهله من نبيّ أو وليّ مختص غير هذين، فلا يعرف قدر هذه المرتبة والعلم بها أوّل مقامات النبوة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وجلس مجلسه بين أصحابه يقول لهم: «هل فيكم من رأى رؤيا؟» وذلك ليرى ما أحدث الله البارحة في العالم أو ما يحدثه في المستقبل، وقد أوحى به إلى هذا الرائي في منامه إما صريح وحي وإما وحي في صورة يعلمها الرائي ولا يعلم ما أريد بها فيعبرها رسول الله ﷺ لما أراد الله بها، فهذا كان من اعتنائه ﷺ بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء، وما أحسن تنبيه الله أولي الألباب من عباده وأهل الاعتبار إذ قال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ فمن الأرحام ما يكون خيالاً فيصور فيه المتخيلات كيف يشاء عن نكاح معنوي وحمل معنوي يفتح الله في ذلك الرحم المعاني في أي صورة مّا شاء ركبها، فيريك الإسلام فيه والقرآن سمناً وعسلاً والقيد ثبات في الدين والدين قميصاً سابغاً وقصيراً درعاً ومجولاً ونقياً ودنساً على حسب ما يكون الرائي أو من يرى له عليه من الدين.

ولقد رأيت لقاضي دمشق عندما ولي القضاء بدمشق وهو شمس الدين أحمد بن مهذب الدين خليل الجوني وفقه الله وسدده بملائكته وعصمه في أحكامه وقائل يقول له في النوم: إن الله قد خلع عليك ثوباً نقياً سابغاً فلا تدنسه ولا تقلصه واستيقظت وذكرتها له، فالله يجعله ممن حفظ الوصية الإلهية، فالخيال من جملة الأرحام التي تظهر فيها الصور، وهذه الحضرة الخيالية لما قبلت المعاني صوراً قال الله فيها: ﴿زين للناس حب الشهوات

Marfat.com

من النساء﴾ أي في النساء فصور الحب صورة زينها لمن شاء من عباده فأحبها بنفسها ما أحبها بغيرها لأنه تعالى ما زين له إلا حب الشهوة فيما ذكره فالحب المطلق زين له ثم علقه بالشهوة فيما ذكره وعلقه لمن شاء في الشهوة أيضاً في أمر آخر، وإنما ذكر الشهوة لأنها صورة طبيعية فإن الخيال حصرته الطبيعة ثم يحكم الخيال عليها فيجسدها إذا شاء، فهذا فرع يحكم على أصله لأنه فرع كريم ما أوجد الله أعظم منه منزلة ولا أعم حكماً يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات من محال وغيره، فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجوداً من الخيال، فبه ظهرت القدرة الإلهية والاقتدار الإلهيّ، وبه كتب على نفسه الرحمة وأمثال ذلك، وأوجب عموماً وهو حضرة المجلى الإلهيّ في القيامة وفي الاعتقادات فهو أعظم شعائر الله على الله، ومن قوة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء مع كونهم لا يعلمون ما قالوه ولا يوفونه حقه وذلك أن الخيال وإن كان من الطبيعة فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله به من القوة الإلهية، فإذا أراد الإنسان أن ينجب ولده فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآه عليها المصور ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة، وإذا صوّرها المصوّر فليصوّرها على صورة حسن علمه وأخلاقه، وإن كانت صورته المحسوسة قبيحة المنظر فلا يصوّرها إلا حسنة المنظر بقدر حسن علمه وأخلاقه كأنه يجسد تلك المعاني ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع ويستفرغان في النظر إلى حسنها، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه من تلك الصورة في النفس فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد حتى أنه إن لم يخرج كذلك فلأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعرون، وتعبر عنه العامّة بتوحم المرأة، وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد وصورة ما تخيلته الأم حتى في الحس الظاهر في الصورة أو في القبح، وهم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأساً في اقتناء العلوم الإلهية لأنهم لجهلهم يطمعون في غير مطمع وهو التجرّد عن الموادّ، وذلك لا يكون أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهو أمر أعني التجرّد عن الموادّ يعقل ولا يشهد، وليس لأهل النظر غلط أعظم من هذا ولا يشعرون بغلطهم ويتخيلون أنهم في

Marfat.com

الحاصل وهم في الفائت فيقطعون أعمارهم في تحصيل ما ليس يحصل لهم، ولهذا لا يسلم عقل من حكم وهم ولا خيال وهو في عالم الملائكة والأرواح إمكان فلا يسلم روح ولا عالم بالله من إمكان يقع له في كل ما يشهده لأن كل ما سوى الله حقيقته من ذاته الإمكان والشيء لا يزول عن حكم نفسه، فلا يرى ما يراه من قديم ومحدث إلا بنفسه فيصحبه الإمكان دائماً ولا يشعر به إلا من علم الأمر على ما هو عليه فيعقل التجريد وهماً ولا يقدر عليه في نفسه لأنه ليس ثم، وهنا زلت أقدام الكثيرين إلا أهل الله الخاصة فإنهم علموا ذلك بإعلام الله.

ألا ترى إلى زكريا عليه السلام لما دخل على مريم المحراب وهي بتول محرّرة وقد علم زكريا ذلك ورأى عندها رزقاً آتاها الله فطلب من الله عند ذلك أن يهبه ولداً حين تعشق بحالها فقال: ﴿رب هب لي من لدنك﴾ يقول من عندك عندية رحمة ولين وعطف ﴿ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ ومريم في خياله من حيث مرتبتها وما أعطاها الله من الاختصاص بالعناية الإلهية ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ لأنه دخل عليها المحراب عندما وجد عندها الرزق ﴿أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً﴾ وهو الكمال لأن مريم كملت فكمل يحيى بالنبوّة ﴿وحصوراً﴾ وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما اقتطع مريم عن مباشرة الرجال وهي البتول، فكان يحيى عليه السلام زير نساء كما كانت حنة مريماً لأن المريم المنقطعة من الرجال واسمها حنة ومريم لقب لها وصفت به لما ذكرناه آنفاً، فانظر ما أثر سلطان الخيال من زكريا في ابنه يحيى عليهما السلام حين استفرغت قوّة زكريا في حسن حال مريم عليها السلام لما أعطاها الله من المنزلة ﴿ونبياً من الصالحين﴾ فما عصى الله قط وهو طلب الأنبياء كلهم أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين، وهم الذين لم يقع منهم معصية قط كبيرة ولا صغيرة، وما رأيت أعجب من حال زكريا عليه السلام وما رأيت من ظهر فيه سلطان الإنسانية مثله، هو الذي يقول: ﴿هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾ فما سأل حتى تصوّر الوقوع ولا بقوله: ﴿رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر﴾ فأين هذه الحالة من تلك الحالة فإن لم يكن ثم قرينة حال جعلته أن يقول مثل هذا حتى يقال له في الوحي: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ فيكون قصده إعلام الله بذلك حتى يعلم غيره أن الله يفعل ما يشاء في المعتاد أن يخرقه كما وقع، وإن كان ذلك القول من نفسه فقد أعطته الإنسانية قوّتها، فإن الإنسان بذاته كما ذكره الله في كتابه، فما ذكره الله في موضع إلا وذكر عند ذكره صفة نقص تدل على خلاف ما خلق له،

Marfat.com

لأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وهو أنه خلقه تعالى ثم ردّه إلى أسفل سافلين ليكون له الرقيّ إلى ما خلقه الله له ليقع الثناء عليه بما ظهر منه من رقيه، فمن الناس من بقي في أسفل سافلين الذي ردّ إليه وإنما ردّ إليه لأنه منه خلق ولولا ذلك ما صح ردّه، وليس أريد بأسفل سافلين إلا حكم الطبيعة التي منه نشأ عندما أنشأ الله صورة جسده وروحه المدبرة له فردّه إلى أصل ما خلقه منه فلم ينظر ابتداء إلا إلى طبيعته وما يصلح جسده، وأين هو من قوله بلى عن معرفة صحيحة.

واعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا يكون الحق محل تكوين العبد، فلا يخطر له خاطر في أمر ما إلا والحق يكوّنه في هذه الحضرة، كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما يشاء منها فمشيئة العبد في هذه الحضرة من مشيئة الحق، فإن العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله، فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا ويقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس، وأما في الخيال فكمشيئة الحق في النفوذ فالحق مع العبد في هذه الحضرة على كل ما يشاؤه العبد، كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة، فلذلك يتكوّن عن مشيئته كل شيء إذا اشتهاه، فالحق في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا وفي شهوته في الآخرة لا في الدنيا حساً، فالحق تابع في هذه في الحضرة وفي الآخرة لشهوة العبد، كما هو العبد في مشيئته تحت مشيئة الحق، فما للحق شأن إلا مراقبة العبد ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا وكذلك في الآخرة، والعبد تبع للحق في صور التجلي، فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبغ بها فهو يتحوّل في الصور لتحوّل الحق، والحق يتحوّل في الإيجاد لتحوّل مشيئة العبد في هذه الحضرة الخيالية في الدنيا خاصة وفي الآخرة في الجنة عموماً.

ولما خلق الله همماً فعالة في الوجود في الحس وهمماً غير فعالة في الوجود في الحس ظهر بذلك التفاضل في الهمم كما ظهر التفاضل في جميع الأشياء حتى في الأسماء الإلهية، والهمم الفعالة في الدنيا قد تفعل في همم غير أصحابها وقد لا تفعل مثل قوله فيما لا تفعل: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ فبعض الهمم الفعالة والمنفعلة قد لا تنفعل لهمة فعالة فيريد منه أن يريد أمراً ما فلا يريده من يريد منه أن يريده لأن الهمم تتقابل للجنسية فلهذا قد لا تؤثر فيها، فإذا تعلقت بغير الجنس أثرت كل همة فعالة ولا بد، وأما في جنسها أعني في الهمم فقد تنفعل لها بعض الهمم وقد لا تنفعل، وقد ظهر ذلك في الرسل عليهم السلام وأتباعهم يريد الرسول من شخص أن يريد الإسلام فيريده فيسلم ويريد من آخر أن

Marfat.com

يريد الإسلام فلا يريده، فلو تعلقت همة الرسول بتحريك الألسنة بالشهادة بالتوحيد من غير إرادة الناطق بها لوقعت عموماً ولكن لا تنفع صاحبها، وإن كانت تنفع للسانه فإن لسانه ما عصى الله قط من حيث نفسه وإنما وقعت فيه المخالفة لا منه من حركة المريد تحريكه فهو مجبور حيث لم يعط الدفع عن نفسه لكونه من آلات النفس فهو طائع من ذاته، ولو فتح الله سمع صاحبه لنطق اللسان الذاتي إذا جعلته النفس يتلفظ بمخالفة ما أراد الشرع أن يتلفظ به لبهت، فلهذا قلنا إن المخالفة ظهرت فيه للجبر لا منه فإنه طائع بالذات شاهد عدل على محرّكه كما ورد: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون بها﴾ وكذلك كل جارحة مصرفة من سمع وبصر وفؤاد وجلد وعصب وفرج ونفس وحركة:

وفي عماية عما هم عليه لـه
والناس في غفلة عما يراد بهم

فالإنسان سعيد من حيث نشأته الطبيعية، ومن حيث نشأة نفسه الناطقة بانفراد كل نشأة عن صاحبتها، وبالمجموع ظهرت المخالفة وما عين المخالفة إلا التكليف، فإذا ارتفع التكليف حيث ارتفع ارتفع الحكم بالمخالفة ولم يبق إلا موافقة دائمة وطاعة ممكن لواجب مستمرّة، كما هو في نفس الأمر في وقت المخالفة مطيع للمشيئة مخالف لأمر الواسطة للحسد الذي في الجنس.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم توحيد الحق وتصديق المخبرين عن الحق وهم التراجمة السفراء من بشر وملك وخاطر. وعلم الفرقان بالعلم بما تميزت به الأشياء وهذا هو علم التوحيد العام الذي يسري في كل واحد واحد من العالم. وعلم الكشف الإلهيّ. وفيه علم التناسل الذي لا ينقطع دنيا ولا آخرة. وفيه علم الحضرة التي وقع فيها التشبيه بين الأشياء والاشتراك في الصورة. وفيه علم ما ينفرد به الحق من العلم دون الخلق مما لا يعلمه الخلق إلا بإعلام الله. وفيه علم الميل والاستقامة. وفيه علم الجمع للتفصيل. وفيه علم العوائد لماذا ترجع وما ثم تكرار والإعادة تكرار فالأمر مشكل وسبب إشكاله ذكر الحق للعادة والإعادة والكشف يعطي عدم الإعادة في الكون لا الإعادة في نشء الآخرة فإن تلك الإعادة حكم إلهي في حق أمر ما مخصوص بمنزلة من خرج من دار ثم عاد إليها فالدار الدار والخارج الداخل، وما ثم إلا انتقال في أحوال لا ظهور أعيان مع صحة إطلاقها أن الخارج من الدار عاد إلى داره فعلمنا متعلق الإعادة. وفيه علم المفاضلة بالدار. وفيه علم نعوت أهل الله. وفيه علم ما يشترك فيه الحق والعالم العالم بالله وما ثم إلا عالم بالله غير أنه من

Marfat.com

العلماء من يعلم أنه عالم بالله، ومن الناس من لا يعلم أنه عالم بالله وهو على علم بمن يشهد ويعاين ولا يعلم أنه الحق، فلو سألته هل تعلم الله؟ قال لا، فلو سألته فيما شهده هل تعلم هذا الذي شهدته من حيث ما هو مشهود لك؟ يقول: نعم، يقال له: فمن هو؟ يقول: هذا الذي أشهده، فيقال له: فمن يقال له؟ يقول لا أدري، فإذا قيل له: هو كذا أي هو فلان بالاسم الذي يعرفه به ولكن ما عرف أن هذا المشهود هو مسمى ذلك الاسم فما جهل إلا حمل هذا الاسم على هذا المشهود، فقد كان موصوفاً بعلم الاسم وموصوفاً بعلم المشهود من حيث ما هو مشهود له، وما استفاد إلا كون هذا المشهود مسمى ذلك الاسم المعلوم.

وفيه علم انقياد الخلق للحق وأنه نتيجة عن انقياد الحق للخلق لطلب الممكن الواجب فانقاد له الواجب فيما طلبه فأوجده ولم يك شيئاً. وفيه علم سبب الاختلاف الواقع في العالم مع العلم بما يوجب رفع الاختلاف فما الذي حكم على العلم مع قوّة سلطانه؟ وفيه علم الاغترار وما سببه الذي أظهره. وفيه علم ما هو العمل والكسب والفرق بين الكسب والاكتساب لأن الله ميز الكسب من الاكتساب باللام وبعلى فقال: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾. وفيه علم الاختيار الإلهيّ. وفيه علم متى يستند إلى الضد فيكون الضد رحمة لضده مع أنه عدوّ له بالطبع. وفيه علم التحجير عن الخوض في الله. وفيه علم الإحاطة بالأعمال إحاطة مشاهد لا إحاطة تلبس وفي أي خزانة ادخرت إلى وقت شهودها وما حكمها بعد شهودها في نفسها وفيما يعود منها على العامل لها. وفيه علم ما الحضرة التي تقلب الحقائق ولا تقلب نفسها وهي من جملة الحقائق. وفيه علم المناسبات. وفيه علم ما يرجع إليه في الحكم مما لا يتصف بالقول ومع ذلك فله الفصل في بعض القضايا وهو الاقتراع وأمثاله. وفيه علم الغاية التي تطلبها الرسل من الله في هذه الدار. وفيه علم النيابة الإلهية في التكوين. وفيه عمل غريب متعلق بالمحبة وهو الزهد في المحبوب من أجل المحبوب مع اتصافه بالحب في المزهود فيه وبقاء ذلك الوصف عليه. وفيه علم الاعتصام. وفيه علم البياض والسواد ولبعض أهل الطريق تأليف فيه سماه البياض والسواد.

وفيه علم فضل الأمم بعضهم على بعض وفضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم وهل من أمة محمد ﷺ من كان قبل بعثته فرآه في كشفه وآمن به واتبعه في قدر ما كشف له منه؟ وهل يحشر من هذه صفته في أمته أو يحشر أمة وحده أو كان صاحب هذا الكشف متبعاً لشرع نبيّ خاص كعيسى أو موسى أو من كان من الرسل عليهم السلام فرأى مشاهدة أن

Marfat.com

الشرع الذي جاء به ذلك النبيّ الخاص الذي هذا متبعه أنه نائب فيه عن محمد ﷺ وأن ذلك شرعه فاتبعه على أنه شرع محمد ﷺ وأن ذلك الرسول مبلغ عنه ما ظهر به من الشرع، فهل يحشر مثل هذا في أمة محمد ﷺ أو يكون من أمة ذلك النبيّ؟ ثم أنه إذا اتفق أن يحشر في أمة ذلك الرسول ثم دخل الجنة ونال منزلته هل ينالها في منازل هذه الأمة المحمدية، أو لا ينزل منها إلا في منازل أتباع ذلك الرسول وأمته؟ وله في منازل ذلك الرسول مع أمته منازل من حيث ما هو متبع وله منازل مع الأمة المحمدية من حيثما اتبعه بما أعطاه الكشف الذي ذكرناه آنفاً.

وفيه علم الصحبة ومن يصحبك بالصفة، ومن يصحبك بالوجه، ومن يصحبك لك، ومن يصحبك لنفسه، ومن يصحبك لله، ومن أولى بالصحبة، ومن يصحب الله، ومن له مقام أن يصحب ولا يصحب أحداً، والفرق بين الصحبة والمصاحبة. وفيه علم المقامات والأحوال. وفيه علم نعم وبئس. وفيه علم الجزاء في الدنيا. وفيه علم اتصاف العالم بالاستفادة فيما هو به عالم. وفيه علم أصناف المقربين ودرجاتهم في القربة من كل أمة. وفيه علم من يريد الله ومن يريد غير الله وما متعلق الإرادة؟ وهل يصدق من يقول أنه يريد الله أو لا يصدق؟ وفيه علم الالتباس في الموت ومن اتصف بالضدين. وفيه علم الاستدراج. وفيه علم ما يقبله الحق من النعوت ولا ينبغي أن تنسب إليه لكونها في العرف والشرع صفة نقص في الجناب الإلهيّ وهي شرف ورفعة في المحدث. وفيه علم فنون من العلوم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والثمانون وثلثمائة

في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية موسوية لزومية

علم البرازخ علم ليس يدركه ... إلا الذي جمع الأطراف والوسطا
له النفوذ به في كل نازلة ... كونية فبه في العالمين سطا
فإن أراد بشخص نقمة قبضا ... وإن أراد بشخص نعمة بسطا
إن أقسط الخلق في ميزان رحمته ... في العالمين تراه فيه قد قسطا

اعلم أنه لما كانت الخواتم أعيان السوابق علمنا أن الوجود في الصور دائرة انعطف أبدها على أزلها، فلم يعقل إله إلا وعقل المألوه، ولا عقل رب إلا وعقل المربوب، ولكل معقول رتبة ليست عين الأخرى، كما نعلم أن بين الخاتمة والسابقة تميزاً معقولاً به، يقال عن الواحدة سابقة، وعن الأخرى خاتمة. وإنما قلنا أن الخاتمة عين السابقة إنما ذلك في الحكم على المحكوم عليه، وبالمحكوم عليه تبينت الخاتمة من السابقة. واعلم أن الأعراس على قسمين: عرس لعقد وعرس لعقد ودخول، وعرس بدخول ولا عقد، والعقد عبارة عما يقع عليه رضى الزوجين، والدخول وطء لوجود لذة أو لإيجاد عين، ودخول بلا عقد عرس الإماء، ولما لم يكن في الأنكحة أفضل من نكاح الهبة لأنه لا عن عوض كالاسم الواهب الذي يعطي لينعم اختص به لفضله أفضل الخلق وهو محمد ﷺ: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ وكل نكاح خارج عما ذكرناه فهو سفاح لا نكاح، أي هو بمنزلة الشيء السائل الذي لا ثبات له لأنه لا عقد فيه ولا رباط ولا وثاق.

ثم نرجع ونقول: فأما الخواتم فتعينها الآجال، ولولا ذلك ما كان لشيء خاتمة لأن الخاتمة انتهاء في الموصوف بها ولكل خاتمة سابقة ولا ينعكس، فمن نظر إلى دوام تنزل الأمر الإلهيّ واسترساله قال ما ثم خاتمة، ومن نظر إلى الفصل بين الأشياء في التنزل قال بالخواتم في الأشياء لكون الفصول تبينها مثال ذلك ولكن كل هذا في عالم الانقسام

Marfat.com

والتركيب، فإذا نظرت في القرآن مثلاً بين الكلمتين والآيتين والسورتين فتقول عند وجود الفصل المميز بين الأمرين، فإن وقع بين كلمتين فخاتمة الأولى حرف معين، وإن كان آيتان فخاتمة الأولى كلمة معينة، وإن كان سورتان فخاتمة الأولى آية معينة، وإن كان أمر حادث قيل أجله كذا في الدنيا لأن كل ما في الدنيا يجري إلى أجل مسمى فتنتهي فيه المدة بالأجل، فخاتمة ذلك الشيء ما ينتهي إليه حكمه، فانتهاء الأنفاس في الحيوان آخر نفس يكون منه عند انتقاله إلى البرزخ، ثم تنتهي المدة في البرزخ إلى الفصل بينه وبين البعث، ثم تنتهي المدة في القيامة إلى الفصل بينها وبين دخول الدارين، ثم تنتهي المدة في النار في حق من هو فيها من أهل الجنة إلى الفصل الذي بين الإقامة فيها والخروج منها بالشفاعة والمنة، ثم تنتهي المدة في عذاب أهل النار الذين لا يخرجون منها إلى الفصل بين حال العذاب وبين حصول حكم الرحمة التي وسعت كل شيء، فهم يتنعمون في النار باختلاف أمزجتهم كما قد ذكرناه، ثم لا يبقى بعد ذلك أجل ظاهر بالمدة ولكن آجال خفية دقيقة، وذلك أن المحدث الدائم العين من شأنه تقلب الأحوال عليه ليلزمه الافتقار إلى دوام الوجود له دائماً فلا تفارق أحواله الآجال، فلا يزال في أحواله بين سابقة وخاتمة.

وأما الإيمان فسابقته لا إله إلا الله، وخاتمته إماطة الأذى عن الطريق، فعبر الشارع عن السابقة بالأعلى وعن الخاتمة بالأدون، فلا أعلى في الإيمان من التوحيد، ولا أدنى فيه من إماطة الأذى عن الطريق ومن ذلك طريق التوحيد، فإن الأذى الذي في طريقه الشرك الجلي والخفي، فالخفي الأسباب وهي بين خفي وأخفى، فالأخفى الأسباب الباطنة، والخفي الأسباب الظاهرة، والجلي نسبة الألوهة إلى المحدثات فيميط الموحد، هذه كلها عن قلبه وقلب غيره فإنها أذى في طريق التوحيد، وكل أذى في طريق من طرق الإيمان بحسب الصفة التي تسمى إيماناً فما يضادها يسمى أذى في طريقها، فالذي يزال به الأذى من تلك الصفة المعينة هو خاتمة تلك الصفة كان ما كان، ولا خاتمة لحكم الله في عباده بالجملة والإطلاق ولا سابقة، فإن العدم الذي للممكن المتقدم على وجوده لم يزل مرجحاً له بفرض الوجود الإمكاني له فلا سابقة له، وهو علم دقيق خفي تصوره سهل ممتنع لأنه سريع التفلت من الذهن عند التصور، فليس الحدوث للممكن إلا من حيث وجوده خاصة عند جميع النظار وعندنا ليس كذلك، وإنما الحدوث عندنا في حقه كون عدمه ووجوده لم يزل مرجحاً على كل حال لأنه ممكن لذاته، وإن كان بعض النظار قد قال حدوثه ليس سوى إمكانه ولكن ما بين هذا البيان الذي بينته في ذلك يتطرق الاحتمال إلى كلام هذا الحاكم فإنه

Marfat.com

يحتمل أن يكون عنده من أسماء الترادف، فيكون كونه يسمى حادثاً كونه يسمى ممكناً، ويحتمل أن يريد ما أردناه من كون العدم الذي يحكم عليه به أنه لذاته هو عندنا مرجح لم يزل، فإن توسعنا في العبارة مع النظار لم نقل أن عدم الممكن لنفسه لأنه لو كان العدم له صفة نفس لاستحال وجوده كما يستحيل وجود المحال، ولكن كما نقول تقدم العدم له على الوجود لذاته لا العدم وبينهما فرقان عظيم، ولكن ليس مذهبنا فيه إلا أن عدمه لم يزل مرجحاً، فوجود الممكن له سابقة لكونه لم يكن ثم كان ولكن من حيث عينه إذا كان قائماً بنفسه لا من حيث صورته، فلا خاتمة له في عينه، وله الخواتم في صورته بالأمثال والأضداد، فكل حادث سوى الأعيان القائمة بأنفسها فله سابقة وخاتمة، لكن سابقته عين خاتمته، لأنه ليس له في كونه غير زمان كونه خاصة ثم ينعدم لنفسه، وإنما تتميز السابقة فيه من الخاتمة بالحكم فتحكم عليه بالوجود في السابقة وبالعدم في الخاتمة، وفي عين سابقته عين خاتمته، لأنه ليس له وجود في الزمان الثاني من زمان وجوده فافهم واعلم أن السالك إذا وصل إلى الباب الذي يصل إليه كل سالك بالاكتساب فآخر قدم في السلوك هو خاتمة السالكين، ثم يفتح الباب وتخرج العطايا والمواهب الإلهية بحكم العناية والاختصاص لا بحكم الاكتساب، وهذا الباب الإلهي قبول كله لا رد فيه البتة، بخلاف أبواب المحدثات وفيه أقول:

كـل بـاب إذا وصلـت إليـه ... أمكـن الـرد والقبـول جميعـا
غيـر بـاب الإلـه فهـو قبـول ... للـذي جـاءه سميعـاً مطيعـا
والـذي رد إذ تخيـل فيـه ... أنـه البـاب خـرّ ثـم صـريعـا
فينـاديـه ربـه ليـس بـابـي ... إن بـابـي لمـن يـريـد خشـوعـا
لـو تفطنـت حيـن جئـت إليـه ... كنـت عـاينـت فيـك أمـراً بـديعـا
أنـت مـا أنـت لسـت أنـت سـوانـا ... فـاسكـب إن شئـت للفـراق دمـوعـا

ولما وصلت في جماعة الواصلين من أهل زماني إلى هذا الباب الإلهيّ وجدته مفتوحاً ما عليه حاجب ولا بواب، فوقفت عنده إلى أن خلع عليّ خلعة الوراثة النبوية ورأيت خوخة مغلقة فأردت قرعها فقيل لي: لا تقرع فإنها لا تفتح، فقلت: فلأي شيء وضعت؟ قيل لي: هذه الخوخة التي اختص بها الأنبياء والرسل عليهم السلام ولما كمل الدين أغلقت، ومن هذا الباب كانت تخلع على الأنبياء خلع الشرائع. ثم أني التفت في

Marfat.com

الباب فرأيته جسماً شفافاً يكشف ما وراءه، فرأيت ذلك الكشف عين الفهم الذي للورثة في الشرائع وما يؤدّي إليه اجتهاد المجتهدينْ في الأحكام، فلازمت تلك الخوخة والنظر فيما وراء ذلك الباب فجليت لي من خلفه صور المعلومات على ما هي عليه، فذلك عين الفتح الذي يجده العلماء في بواطنهم ولا يعلمون من أين حصل لهم إلا أن كوشفوا على ما كشف لنا، فالنبوّة العامة لا تشريع معها، والنبوّة الخاصة التي بابها تلك الخوخة هي نبوّة الشرائع فبابها مغلق والعلم بما فيها محقق فلا رسول ولا نبيّ، فشكرت الله على ما منح من المنن في السر والعلن، فلما اطلعت من الباب الأوّل الذي يصل إليه السالكون الذي منه تخرج الخلع إليهم رأيت منه شكر الشاكرين كالصور التي تجلت لنا خلف الخوخة والظاهر من الشكر كالخوخة، فلم أر شاكراً إلا لواحد من خلف الكلمات الظاهرة، فلم أجد في تلك الحالة مساعد إلي على الشكر، فقلت أخاطب ربي تعالى عزّ وجلّ:

إذا رمت شكراً لم أجد لك شاكراً ... وإن أنا لم أشكر أكون كفورا
سترت عقول الخلق بالسبب الذي ... وضعت فلم آنس عليك غيورا
وقد بلغت عنك التراجم غيرة ... أمرت بها عبداً بتلك خبيرا
لذلك لم تشهد ولم تك ظاهراً ... ولو كنت مشهوداً لكنت غفورا
وقد قلت بالتلبيس في الملك الذي ... بعثت شخيصاً للأنام بصيرا
وكيف لنا بالعلم والأمر لم يزل ... على حالة الإمكان منك ظهيرا

فكان محمد ﷺ عين سابقة النبوّة البشرية بقوله معرفاً إيانا «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» وهو عين خاتم النبيين بقوله تعالى: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ لما ادّعى فيه أنه أبو زيد نفى الله تعالى عنه أن يكون أبا لأحد من رجالنا لرفع المناسبة وتمييز المرتبة، ألا تراه ﷺ ما عاش له ولد ذكر من ظهره تشريفاً له لكونه سبق في علم الله أنه خاتم النبيين، وقال ﷺ: «**إن الرسالة يعني البعثة إلى الناس بالتشريع لهم والنبوّة قد انقطعت أي ما بقي من يشرع له من عند الله حكم يكون عليه ليس هو شرعنا الذي جئنا به فلا رسول بعدي يأتي بشرع يخالف شرعي إلى الناس، ولا نبي يكون على شرع ينفرد به من عند ربه يكون عليه**» فصرح أنه خاتم نبوّة التشريع، ولو أراد غير ما ذكرناه لكان معارضاً لقوله أن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً يؤمنا بنا أي بالشرع الذي نحن عليه ولا نشك فيه أنه رسول ونبي، فعلمنا أنه ﷺ أراد أنه لا شرع بعده ينسخ شرعه، ودخل بهذا القول كل إنسان في

Marfat.com

العالم من زمان بعثته إلى يوم القيامة في أمته، فالخضر وإلياس وعيسى من أمة محمد ﷺ الظاهرة، ومن آدم إلى زمان بعثة رسول الله ﷺ من أمته الباطنة فهو النبيّ بالسابقة وهو النبيّ بالخاتمة، فظهر في رسول الله ﷺ أن السابقة عين الخاتمة في النبوّة.

وأما خاتمية عيسى عليه السلام فله ختام دورة الملك فهو آخر رسول ظهر وظهر بصورة آدم في نشئه حيث لم يكن عن أب بشري ولم يشبه الأبناء أعني ذرية آدم في النشء، فإنه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد، فإنه لم ينتقل في أطوار النشأة الطبيعية بمرور الأزمان المعتادة، بل كان انتقاله يشبه البعث أعني إحياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير، فإنه داخل تحت عموم قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ في التناسل والتنقل في الأطوار. ثم أن عيسى إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان أعطاه ختم الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبيّ تشريفاً لمحمد ﷺ حيث لم يختم الله الولاية العامة في كل أمة إلا برسول تابع إياه ﷺ، وحينئذ فله ختم دورة الملك وختم الولاية أعني الولاية العامة فهو من الخواتم في العالم، وأما خاتم الولاية المحمدية وهو الختم الخاص لولاية أمة محمد الظاهرة فيدخل في حكم ختميته عيسى عليه السلام وغيره كإلياس والخضر وكل وليّ لله تعالى من ظاهر الأمة، فعيسى عليه السلام وإن كان ختماً فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمدي، وعلمت حديث هذا الخاتم المحمدي بفاس من بلاد المغرب سنة أربع وتسعين وخمسمائة عرفني به الحق وأعطاني علامته ولا أسميه ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ولهذا يشعر به إجمالاً ولا يعلم به تفصيلاً إلا من أعلمه الله به أو من صدقه إن عرفه بنفسه في دعواه ذلك، فلذلك عرف بأنه شعرة من الشعور، ومثال الشعور أن ترى باباً مغلقاً على بيت، أو صندوقاً مغلقاً فتحس فيه بحركة تؤذن أن في ذلك البيت حيواناً ولكن لا يعلم أي نوع هو من أنواع الحيوان، أو يشعر أنه إنسان ولا يعرف له عيناً فيفصله من غيره، كما نعلم بثقل الصندوق أنه يحتوي على شيء أثقله لا يعلم ما هو عين ذلك الشيء المختزن في ذلك الصندوق، فمثل هذا يسمى شعوراً لهذ الخفاء.

وأما ختم الأسماء الإلهية فهو عين سابقتها وهو الهو وهو مثل قوله: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ فبدأ بهو وأتى بالاسم الله المحيط بجميع الأسماء التي تأتي مفصلة ثم بالنفي، فنفى أن تكون هذه المرتبة لغيره ثم أوجبها لنفسه بقوله: ﴿إلا هو﴾ فبدأ بهو وختم بهو، فكل ما جاء من تفصيل أعيان الأسماء الإلهية فقد دخل تحت الاسم الله الآتي بعد قوله هو،

Marfat.com

فإن كلمة هو أعم من كلمة الله فإنها تدل على الله وعلى كل غائب وكل من له هوية وما ثم إلا من له هوية، سواء كان المعلوم أو المذكور موجوداً أو معدوماً، وأما الخواتم التي على القلوب فهي خواتم الغيرة الإلهية، فما ختم بها إلا الاسم الغيور وهو قوله ﷺ في الله أنه أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش وجعل الفواحش ظاهرة وباطنة فقال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ فختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق فتكون نعتاً له، فما من أحد يجد في قلبه أنه رب إله بل يعلم كل أحد من نفسه أنه فقير محتاج ذليل قال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فلا يدخله كبرياء إلهي أصلاً، فجعل البواطن كلها في كل فرد فرد مختوماً عليه أن لا يدخلها تأله، ولم يعصم الألسنة أن تتلفظ بالدعوى بالألوهة، ولا عصم النفوس أن تعتقد الألوهة في غيرها بل هي معصومة أن تعتقدها في نفسها لا في أمثالها لأنه ما كل أحد عالم بالأمور على ما هي عليه، ولا يعلم كل أحد أن الأمثال كلها حكمها في الماهية واحد، فهذه الخواتم قد انحصرت في تفصيل ما ذكرناه من أنواعها.

وأما الأعراس الإلهية على تفصيل ما ذكرناه في أول الباب فهي مشتقة من التعريس وهو نزول المسافر في منزلة معلومة في سفره والأسفار معنوية وحسية، فالسفر المحسوس معلوم، والسفر المعنوي ما يظهر للقلب من المعاني دائماً أبداً على التتالي والتتابع، فإذا مرت بهذا القلب عرست به فكان منزلاً لتعريسها، وإنما عرست به لتفيده حقيقة ما جاءت به، وإنما نسبت إلى الله لأن الله هو الذي أسفرها وأظهر لهذا القلب وجعله منزلاً لها تعرس فيه وهي الشؤون التي قال الحق عن نفسه أنه فيها جل جلاله في كل يوم، فالعالم في سفر على الدوام دنيا وآخرة لأن الحق في شؤون الخلق على الدوام دنيا وآخرة، والقلوب محل لتعريس هذه المعاني التي يسفرها الحق لقلوب عباده، فتعرس فيها ليطلعه الله على ما أراد أن يعلمه ذلك القلب، فما من نفس إلا وللقلب خاطر إلهي قد نزل به على أي طريق سلك، لكن بعض القلوب تعرف من عرس بها من الخواطر وقد لا تعرف من أي طريق جاء لأنها ما شعرت به حتى نزل ذلك الخاطر بالقلب، وبعض الناس لهم استشراف على أفواه السكك التي تأتي عليها هذه الخواطر التي تنزل بهذا القلب وتعرف كل طريق وتميزه عن صاحبه، فإذا أقبل الخاطر عرف من أي طريق أقبل، فإذا نزل به يقابله من الكرامة به على قدر ما يعرفه فإنه لكل طريق حكم ليس للطريق الآخر، وهذا كله أعني الذي ذكرناه من المراعاة إنما ذلك في زمان التكليف فإنه الذي وضع الطريق وأوجب الأحكام، فإذا ارتفع التكليف

Marfat.com

في النشأة الآخرة توحدت الطرق فلم يكن غير طريق واحدة فلا يحتاج في النازل عليه من الله المعرس بقلبه إلى تمييز أصلاً فإنه ما ثم عمن يتميز لأحدية الطريق فلا يكون العرس بالعقد وبما فصلناه في ذلك في أوّل الباب إلا في زمان التكليف وهو زمان الحياة الدنيا في أول وجوب التكليف فاعلم ذلك.

فإذا كان الحق منزل تعريسنا وهو ما ذكر عن نفسه أن العبد يتحرك بحركة يضحك بها ربه، ويتعجب منها ربه، ويتبشبش له من أجلها ربه، ويفرح بها ربه، ويرضى بها ربه، ويسخط بها ربه، ويغضب بها ربه، فلما قال هذا عن نفسه وعين هذه الحركات وأمثالها حتى عرفناها من كتابه على لسان رسوله ﷺ وعرفنا أن العبد عنده بحسب ما أنزل به من هذه الحركات الموجبة لهذه الأحكام التي وصف الحق بها نفسه أنه يظهر بها إذا أتى بها العبد وهذا حكم أثبته الحق ونفاه دليل العقل، فعرفنا أن العقل قاصر عما ينبغي لله عزّ وجلّ وأنه لو ألزم نفسه الإنصاف للزم حكم الإيمان والتلقي، وجعل النظر والاستدلال في الموضع الذي جعله الله ولا يعدل به عن طريقه الذي جعله الله له وهو الطريق الموصل إلى كونه إلهاً واحداً لا شريك له في ألوهيته ولا يتعرض لها لما هو عليه في نفسه. وأما استدلاله القاصر الذي يريد أن يحكم به على ربه بقوله أنه ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث بتقسيمه في ذلك، فإذا سلمناه لم يقدح فيما نريده فإنا نقول له: من قال لك أن الحق بهذه المثابة وهو قولك كل ما لا يخلو عن الحوادث في نفسه فمن قال لك أن هذه في الموجودات منحصرة إنما ذلك حكم فيما لا يخلو عن الحوادث لا فيمن يخلو عن الحوادث. وأما تقسيمك الآخر على هذا الجواب وهو قولك أنه إذا خلا عنها ثم قبلها فلا يخلو إما أن يقبلها لنفسه أو لأمر آخر ما هو نفسه، فإن قبلها لنفسه فلا يخلو عنها، وإذا لم يخل عنها فهو حادث مثلها. ونقول له: أما الحوات كلها فيستحيل دخولها في الوجود لأنها لا تتناهى وأنت تعلم أن الذي يقبل الحوادث قد كان خلياً عنها أي عن حادث معين مع وجود نفسه ثم قبل ذلك الحادث لنفسه لأنه لولا ما هو على صفة يقبله ما قبله فقد عرا وخلا عن ذلك الحادث بعينه مع وجود نفسه، فما من حادث تفرضه إلا ويعقل وجود نفس القابل له وذلك الحادث غير موجود وإن لم يخل عن الحوادث فلا يلزم أن يكون حادثاً مثلها مع قبوله لها لنفسه، فالحق قد أخبر عن نفسه أنه يجيب عبده إذا سأله، ويرضى عنه إذا أرضاه، ويفرح بتوبة عبده إذا تاب، فانظر يا عقل لمن تنازع؟ ومن المحال أن نصدقك ونكذب ربك ونأخذ عنك الحكم عليه وأنت عبد مثلي ونترك الأخذ عن الله وهو أعلم بنفسه فهو الذي نعت نفسه بهذا كله،

Marfat.com

ونعلم حقيقة هذا كله بحده وماهيته، ولكن نجهل النسبة إلى الله في ذلك لجهلنا بذاته، وقد منعنا وحذرنا وحجر علينا التفكر في ذاته، وأنت يا عقل بنظرك تريد أن تعلم حقيقة ذات خالقك لا تسبح في غير ميدانك ولا تتعد في نظرك معرفة المرتبة، لا تتعرض للذات جملة واحدة فإن الله قد أبان لنا أنه محل أو منزل لتعريس حركات عباده في أسفارهم بأحوالهم فتفطن إن كنت ذا عقل سليم.

ثم أنه ما يلزم إذا كان الأمر عندك قد حدث أن يكون ذلك الأمر حادثاً في نفسه لا عقلاً ولا عرفاً ولا شرعاً فإنك تقول: قد حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندكم لا حدوثه في نفسه في ذلك الوقت بل قد كانت عينه موجودة منذ خمسين سنة ومع هذا فلا يحتاج إليه لبيانه وظهوره، فمن أراد الدخول على الله فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه فإن الله لا يقبل التقييد والعقل تقييد بل له التجلي في كل صورة، كما له أن يركبك في أي صورة شاء، فالحمد لله الذي ركبنا في الصورة التي لم تقيده سبحانه بصورة معينة ولا حصرته فيها بل جعلت له ما هو له بتعريفه أن له وهو تحوله في الصورة، فما قدر الله حق قدره إلا الله، ومن وقف مع الله فيما وصف به نفسه لم يدخله تحت حكم عقله من حيث نفسه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

واعلم أن مسمى النكاح قد يكون عقد الوطء، وقد يكون عقداً ووطأً معاً، وقد يكون وطأً ويكون نفس الوطء عين العقد، لأن الوطء لا يصح إلا بعقد الزوجين، ومنه إلهي وروحاني وطبيعي، وقد يكون مراداً للتناسل أعني للولادة، وقد يكون لمجرّد الالتذاذ، فأما الإلهيّ فهو توجه الحق على الممكن في حضرة الإمكان بالإرادة الحبية ليكون معها الابتهاج، فإذا توجه الحق عليه بما ذكرناه أظهر من هذا الممكن التكوين، فكان الذي يولد عن هذا الاجتماع الوجود للممكن، فعين الممكن هو المسمى أهلاً، والتوجه الإرادي الحبي نكاحاً والإنتاج إيجاداً في عين ذلك الممكن ووجوداً إن شئت، والأعراس الفرح الذي يقوم بالأسماء الحسنى لما في هذا النكاح من الإيجاد الظاهر في أعيان الممكنات لظهور آثار الأسماء فيه إذ لا يصح لها أثر في نفسها ولا في مسماها، وإنما أثرها وسلطانها في عين الممكن لما فيه من الافتقار والحاجة إلى ما بيد الأسماء فيظهر سلطانها فيه، فلهذا نسبنا الفرح والسرور وإقامة الأعراس إليها، وهذا النكاح مستمر دائم الوجود لا يصح فيه انقطاع، والطلاق لهذا العقد النكاحي لا يقع في الأعيان القابلة للأعراض والصور، وإنما يقع في الصور والأعراض وهو عدمها لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها وهو خلع

Marfat.com

لأنه ردّ الوجود الذي أعطاها عليه لأنه بمنزلة الصداق لعين هذا الممكن الخاص. فإن قلت: فالحق لا يتصف بالوجود الحادث فمن قبل هذا المردود وأين خزانته ولا بدّ له من محل. قلنا: تجلى الحق في الصور وتحوله الذي جاء به الشرع إلينا ورأيناه كشفاً عموماً وخصوصاً هو عين ما ردته الممكنات الصورية والعرضية من الوجود حين انعدمت، فالحق له نسبتان في الوجود: نسبة الوجود النفسي الواجب له ونسبة الوجود الصوري وهو الذي يتجلى فيه لخلقه، إذ من المحال أن يتجلى في الوجود النفسي الواجب له لأنه عين لنا ندركه بها إذ نحن في حال عدمنا ووجودنا مرجحين لم يزل عنا حكم الإمكان فلا نراه إلا بنا أي من حيث تعطيه حقائقنا، فلا بدّ أن يكون تجليه في الوجود الصوري وهو الذي يقبل التحوّل والتبدّل، فتارة يوصف به الممكن الذي يختلع به وتارة يظهر به الحق في تجليه، فانظر يا ولي في هذا الموطن فإنه موطن خفي جداً.

ولولا لسان الشرع الذي أومأ إليه ونبه عليه ما أفصحنا عنه لأهل طريقنا، فإن الكثير من أهل طريق الله وإن شهدوا تجلي الحق لكن لا معرفة لهم بذلك ولا بما رأوه ولا صورة ما هو الأمر عليه، ومن علم ما قررنا من بيان قصد الشرع فيه علم كيف صدور العالم، وما هو العالم، وما يبقى عينه من العالم وما يفنى منه وما يرثه الحق من العالم، فإنه القائل: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ وما ورث على الحقيقة إلا الوجود الذي يتجلى فيه لمن ظهر من خلقه الذي اختلعت فيه صور الممكنات وأعراضها، لأن الوارث لا يكون مع وجود الموروث عنه وبقائه، وإنما يكون بعد انتقاله وعدمه من هذا الموطن وهو إتصافه بالعدم وليس ذلك إلا للصورة والأعراض فهو وارث على الدوام، والاختلاع واقع على الدوام، والقبول حاصل على الدوام، والنكاح لازم على الدوام، وهذا معنى الديمومة المنسوبة إلى الحق، فهو تعالى يعمل مع كونه لم يزل موجداً للعالم ولم يزل العالم محدثاً، فالعالم له حكم الحدوث في عين القدم، فلا يعقل له طرف ينتهي إليه لأنه من ذاته لم يزل تحت حكم الترجيح الإلهي له إما بالعدم أو بالوجود.

وإذا تقرّر هذا في النسبة الإلهية فلنذكر حكم النسبة الروحانية في هذه المسألة، وذلك أن الوجود الذي ذكرناه في النسبة الإلهية هو الوجه الخاص الذي لكل ممكن من الله، سواء كان هناك سبب وضعي أو لم يكن، فللّه الإيجاد على كل حال وبكل وجه علواً وسفلاً. وأما النكاح الروحاني فحضرته الطبيعة وهي الأهل الأصلي في النكاح الإلهي، فإذا

Marfat.com

ولدت في النكاح الأوّل صورة من الصور كانت تلك الصورة أهلاً لهذا الروح الكل فأنكحه الحق إياها فبنى بها فلما واقعها ظهر عن ذلك الوقاع ولد وهو الروح الجزئي فحييت به تلك الصورة وصار هذا الولد يقوم بها ويدبرها ويسعى عليها ويسافر ويقتحم الأخطار ليكتسب ما يجود به عليها حساً ومعنى أي من الأرزاق المحسوسة والمعنوية، والعرس الذي يكون لهذا النكاح الروحاني إنما تقيمه القوى التي لا ظهور لها إلا في هذه الصورة الطبيعية بوجود هذا النكاح، فيقع لها الالتذاذ والفرح بما يحصل لها من الأثر بوجود هذا البناء. وأما النكاح الطبيعي فهو ما تطلبه هذه الأرواح الجزئية المدبرة لهذه الصور من اجتماع الصورتين الطبيعية بالالتحام والابتناء المسمى في عالم الحس نكاحاً، فيتولد عن هذا النكاح أمثال الزوجين من كل حيوان ونبات فيظهر إنسان من إنسانين وفرس من فرسين، وقد يقع الالتحام من غير المثلين، فيتولد بينهما شكل غريب ما يشبه عين واحد من الزوجين كالبغل بين الحمار والفرس، وكل مولد بين شكلين مختلفين لا يولد أبداً فإنه عقيم فهو الذي يولد ولا يلد، فنكاح مثل هذا النوع ليس لولادة ولكن لمجرد الشهوة والالتذاذ، فيشبه النكاح الأول هذا النكاح الذي خرج عنه غير جنس الزوجين من كونه نكاحاً في غير الجنس، فيتولد بينهما الشكل الغريب ما يشبه واحداً منهما أعني من الزوجين فافهم.

وتلقيح الشجر بالرياح اللواقح من النكاح الطبيعي، وأما الريح العقيم فيشبه نكاحها نكاح الشكل الغريب الذي لا يتولد عنه شيء وأعراس هذا النكاح الطبيعي ما هو المشهود في العرف المسمى عرساً في الشاهد من الولائم والضرب بالدفوف، وأما ما يتولد من النكاح الطبيعي في الشجر فهو ما يعطيه من الثمر عند هذ الحمل، وصورة وقع نكاح الأشجار زمان جري الماء في العود وهو عند طلوع السعود فهو نكاح سعيد في طالع سعيد، وما قبل ذلك فهو زمان خطبة ورسل تمشي بين الزوجين الرجل والمرأة ووقوع الولادة على قدر زمان حمل هذين النوعين من الشجر، فمنه ما يولد في الربيع ومنه ما يولد في الصيف كما يكون حمل الحيوان يختلف زمانه باختلاف طبيعته، فإنه لا يقبل من تأثير الزمان فيه إلا بقدر ما يعطيه مزاجه وطبعه، فإذا نكح الجوّ الأرض وأنزل الماء ودبرته في رحمها آثار الأنوار الفلكية ضحكت الأرض بالأزهار وأنبتت من كل زوج بهيج وإنما كان زوجاً من أجل ما يطلبه من النكاح إذ لا يكون إلا بين الزوجين، فعين عرسه هو ما تبرز من الأزهار، والمخلقة في النبات هو ما سلم من الجوائح وغير المخلقة ما نزلت به الجائحة ﴿والله على كل شيء قدير﴾.

Marfat.com

فهذا قد ذكرنا طرفاً من الخواتم والأعراس مجملاً من غير تفصيل لكن حصرنا الأمهات في ذلك. وأما الأسرار الأعجمية فإنما سميناها أعجمية لأن العربية من الأسرار هي التي يدركها عين الفهم صوراً كالآيات المحكمات في الكتب المنزلة، والأسرار الأعجمية ما تدرك بالتعريف لا بالتأويل، وهي كالآيات المتشابهات في الكتب المنزلة فلا يعلم تأويلها إلا الله أو من أعلمه الله ليس للفكر في العلم بها دخول ولا له فيها قدم، وما يتبع استخراج السر فيها إلا الذي ذكره الله تعالى وهو الذي في قلبه زيغ أي ميل عن الحق باتباعه ما قد ذكر الله فيه أنه لا يعلم تأويله إلا الله، فمن أراد أن يعلم ذلك فلا يخض في تلك الأسرار وليتعمل في الطريق الموصلة إلى الله وهو العمل بما شرع الله له بالتقوى فإنه قال تعالى أنه ينتج لصاحبه علم الفرقان فإذا عمل به تولى الله تعليمه تلك الأسرار الأعجمية فإذا أنالها إياه صارت في حقه عربية، فيعلم ما أراد الله بها ويزول عنه فيها حكم التشابه الذي كانت توصف به قبل العلم بها لأن الله جلاها متشابهة لها طرفان في الشبه، فلا يدري صاحب النظر ما أراد منزلها بها في ذلك التشابه فإنه لا بد من تخليصه إلى أحد الطرفين من وجه خاص وإن جمعت بين الطرفين فلكل طرف منهما ما ليس للآخر من ذلك المخلوق أو من ذلك المنزل إن كان من صور كلام الله، فالمنزل كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وكقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وكقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وكقوله: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ وكقوله: ﴿فهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ وكقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ وأمثال هذا في الكتب المنزلة.

وأما أخبار الرسل المترجمين عن الحق ما أوحى به على ألسنتهم إلينا فلا تحصى كثرة من الأمور المتشابهة فلا يتبع ذلك بعد التعريف إلا من في قلبه زيغ. وأما من يتبع الطرق الموصلة إلى الكشف عنها فما هو من أهل الزيغ بل هو من أهل الاستقامة، فالمحمدي هو المحكم من الآيات لأنه عربي والمتشابه موسوي لأنه أعجمي، فالعجمية عند أهل العجمية عربية، والعربية عند الأعاجم عجمة، وفي الألفاظ هي مستورة بالاصطلاح، وما ثم عجمة إلا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة. وأما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها، فمن ادّعى علم المعاني وقال بالشبه فلا علم له أصلاً بما ادعاه أنه علمه من ذلك فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ لأنها بسائط لا تركيب فيها، ولولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود، وفي هذا المنزل من العلوم ما لا يحصى كثرة إن ذكرناها طال الأمر

Marfat.com

فيها، ولهذا المنزل السيادة على كل منزل من منازل الجمع والوجود، وقد ذكرنا حصر هذه المنازل في هذا الكتاب فيما تقدم في هذا الباب، فاعلم أن هذا المنزل هو منزل البرزخ الحقيقي، فإن البرزخ يتوسع فيه الناس وما هو كما يظنون بما هو كما عرفنا الله به في كتابه في قوله في البحرين: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ فحقيقة البرزخ أن لا يكون فيه برزخ وهو الذي يلتقي ما بينهما بذاته، فإن التقى الواحد منهما بوجه غير الوجه الذي يلقى به الآخر فلا بد أن يكون بين الوجهين في نفسه برزخ يفرق بين الوجهين حتى لا يلتقيان فإذاً ليس ببرزخ، فإذا كان عين الوجه الذي يلتقي به أحد الأمرين الذي هو بينهما عين الوجه الذي يلتقي به الآخر فذلك هو البرزخ الحقيقي فيكون بذاته عين كل ما يلتقي به فيظهر الفصل بين الأشياء والفاصل واحد العين، وإذا علمت هذا علمت البرزخ ما هو ومثاله بياض كل أبيض هو في كل أبيض بذاته ما هو في أبيض ما بوجه منه ولا في أبيض آخر بوجه آخر بل هو بعينه في كل أبيض، وقد تميز الأبيضان أحدهما عن الآخر وما قابلهما البياض إلا بذاته، فعين البياض واحد في الأمرين، والأمر أن ما هو كل واحد عين الآخر فهذا مثال البرزخ الحقيقي، وكذلك الإنسانية في كل إنسان بذاتها، فالواحد هو البرزخ الحقيقي وما ينقسم لا يكون واحداً والواحد يقسم ولا يقسم أي ولا ينقسم في نفسه فإنه إن قبل القسمة في عينه فليس بواحد، وإذا لم يكن واحداً لم يقابل كل شيء في الأمرين اللذين يكون بينهما بذاته، والواحد معلوم أنه ثم واحد بلا شك، والبرزخ يعلم ولا يدرك ويعقل ولا يشهد.

ثم إن الناس جعلوا كل شيء بين شيئين برزخاً توسعاً وإن كان ذلك الشيء المسمى عندهم برزخاً جسماً كبيراً أو صغيراً، لكنه لما منع أن يلتقي الأمران اللذان هو بينهما سموه برزخاً، فالجوهران اللذان يتجاوران ولا ينقسم كل واحد منهما عقلاً ولا حساً لا بد من برزخ يكون بينهما، وتجاور الجوهرين تجاور أحيازهما وليس بين أحيازهما حيز ثالث ليس فيه جوهر، وبين الحيزين والجوهرين برزخ معقول بلا شك هو المانع أن يكون عين كل جوهر عين الآخر وعين كل حيز عين الآخر فهو قد قابل كل جوهر وكل حيز بذاته، من عرف هذا عرف حكم الشارع إذ قال إن الله خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء مع حصول النجاسة فيه بلا شك. ولكن لما كانت النجاسة متميزة عن الماء بقي الماء طاهراً على أصله إلا أنه يعسر إزالة النجاسة منه، فما أباح الشارع من استعمال الماء الذي فيه النجاسة استعملناه، ولما منع من ذلك امتنعنا منه لأمر الشرع، مع عقلنا أن النجاسة في الماء وعقلنا أن الماء طهور في ذاته لا ينجسه شيء، فما منعنا الشارع من استعمال الماء الذي فيه

Marfat.com

النجاسة لكونه نجساً أو تنجس، وإنما منعنا من استعمال الشيء النجس لكوننا لا نقدر على فصل أجزائه من أجزاء الماء الطاهر، فبين النجاسة والماء برزخ مانع لا يلتقيان لأجله ولو التقيا لتنجس الماء فاعلم ذلك.

ألا ترى الصور التي في سوق الجنة كلها برازخ تأتي أهل الجنة إلى هذا السوق من أجل هذه الصور وهي التي تتقلب فيها أعيان أهل الجنة، فإذا دخلوا هذا السوق فمن اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة يشتريها من السوق فقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فعين شهوته فيها التبس بها ودخل فيها وحازها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة، ومن لا يشتهيها بعينه واقف ينظر إلى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة وانصرف بها إلى أهله والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الأمر الذي نص عليه الشرع ووجب به الإيمان إلا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ، وتجلى الحق في صور متعددة يتحوّل فيهن من صورة إلى صورة والعين واحدة فيشهد بصراً تحوّله في صور ويعلم عقلاً أنها ما تحوّلت قط فكل قوّة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها والحق في نفسه صدق العقل في حكمه وصدق البصر في حكمه ثم له علم بنفسه ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما حكم به شهود البصر عليه ولا هو غير هذين، بل هو عين ما حكما به، وهو ما علمه الحق من نفسه مما لم يعلمه هذان الحاكمان، فسبحان العليم القدير قدر وقضى وحكم وأمضى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ في كل معبود وأين أبين من تحوّله في صور المعبودات ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ثم شرع لنا أن لا نعبده في شيء منها وإن علمنا أنه عينها وعصى من عبده في تلك الصور وجعله مشركاً وحرم على نفسه المغفرة فوجبت المؤاخذة في المشرك ولا بد ثم بعد ذلك ترتفع المؤاخذة وما ارتفعت إلا لجهله بصورة ما عنده في الشريك ينفي تلك الصفة في الآخرة عن الشريك فلذلك عوقب ولذلك شملته الرحمة بعد العقوبة وإن لم يخرج من النار والعالم منا هنا بصورة ما عبده المشرك ما تزحزح عن علمه في الدنيا ولا في الآخرة لأنه لم تقع عينه في الدنيا ولا تعلق علمه إلا على المعبود في تلك الصورة، والمشرك لم يكن حاله كذلك وإنما كان حاله شهوداً لصورة فرجع المشرك عنها في الآخرة ولم يرجع العالم فلو رجع لكان من الجاحدين فلا يصح له أن يرجع:

فالشرك باق ولكن ليس يعلمه إلا الذي شاهد الأعيان والصورا

Marfat.com

فمن يقول بتوحيد أصاب ومن يقول بالشرك فيه صدق الخبرا
إن الشريك لمعدوم وليس له في عين عابده عين ولا أثرا

وفي هذا المنزل من العلوم علم لا يعلمه نبي ولا ولي كان قبل هذه الأمة اختص بعلمه هذا الرسول محمد ﷺ وهذه الأمة المحمدية، فالكامل من هذه الأمّة حصل له هذا المقام ظاهراً وباطناً، وغير الكامل حصل له ظاهراً أو باطناً ولم يكمل له ولكن شمله لكونه من الأمة أمة محمد ﷺ ولا يكاثر من أمّته إلا بالمؤمنين منهم صغيراً كان المؤمن أو كبيراً، فإن الذرية تابعة للآباء في الإيمان ولا يتبعونهم في الكفر إن كان الآباء كفاراً ولكن تعزل كفار كل أمة بمعزل عن كفار الأمّة الأخرى، فإن العقوبة تعظم بعظم من كفر به هذا هو المعهود، إلا كفار هذه الأمة فإنهم أخف الناس عذاباً لكون من كفرت برسالته التي أرسله الله بها رحمة للعالمين، وقد أبان الله ذلك في الدنيا وجعله عنوان حكم الآخرة وذلك أن رسول الله محمداً ﷺ لما اشتد قيامه في الله وغيرته على الحق في قصة رعل وذكوان وعصية جعل يدعو عليهم في كل صلاة شهراً كاملاً وهو القنوت فأوحى الله تعالى إليه في ذلك لما علم من إجابته إياه إذا دعاه في أمر فنهاه عن الدعاء عليهم إبقاء لهم ورحمة بهم فقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أي لترحمهم فإنه مرسل إلى جميع الناس كافة ليرحمهم بأنواع وجوه الرحمة، ومن وجوه الرحمة أن يدعو لهم بالتوفيق والهداية وقد صح عنه ﷺ أنه كان يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» ونهى عن الدعاء عليهم، فإذا كان من أشرك به يعتب رسوله ﷺ في الدعاء عليهم فكيف يكون فعله فيهم إذا تولى سبحانه الحكم فيهم بنفسه وقد علمنا أنه تعالى ما ندبنا إلى خلق كريم إلا كان هو أولى به، فمن هنا يعلم ما حكمه في المشركين يوم القيامة من أمة محمد ﷺ وإن أخذهم الله بالشرك في الآخرة إذ لا بد من المؤاخذة، ولكن مؤاخذته إياهم فيها لطف إلهي لا يستوي فيه مشرك غير هذه الأمة بمشركها أعرف ذلك اللطف ولا أصرح به كما ذكر ﷺ فيمن أصابتهم النار من هذه الأمة بذنوبهم بل من الأمم: «أن الله يميتهم فيها إماتة» الحديث وقد مر في هذا الكتاب خرجه مسلم في صحيحه، وقد رميت بك على الطريق لتعلم حكم الله في هذه الأمة المحمدية مؤمنها والكافر بها، فإن كفر الكافر منها لا يخرجه عن الدعوة فله أو عليه حكمها ولا بد فهم خير أمة أخرجت للناس المؤمن منهم بإيمانه والكافر منهم بكفره هما خير من كل مؤمن من غير هذه الأمة وكافر، وهذا الذي ذكرناه في هذا المنزل بالنظر إلى ما يحويه من العلوم جزء من ألف جزء بل من آلاف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثالث والثمانون وثلثمائة

في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية

إن العظيم إذا عظمته نزلا وإن تعاظمت جلت ذاته فعلا
فهو الذي أبطل الأكوان أجمعها من باب غيرته وهو الذي فعلا
وليس يدرك ما قلنا سوى رجل قد جاوز الملأ العلويّ والرسلا
وهام فيمن يظن الخلق أجمعه تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول اللّه أحمدنا رب الوسيلة في أوصافه كملا

اعلم أن لهذا المنزل أربعة عشر حكماً: الأوّل يختص بصاحب الزمان والثاني والثالث يختص بالإمامين. والرابع والخامس والسادس والسابع يختص بالأوتاد. والثامن والتاسع والعاشر والأحد عشر والاثنا عشر والثالث عشر والرابع عشر يختص بالأبدال، وبهذه الأحكام يحفظ الله عالم الدنيا، فمن علم هذا المنزل علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة، كما أنه بالأبدال تنحفظ الأقاليم وبالأوتاد ينحفظ الجنوب والشمال والمغرب والمشرق، وبالإمامين ينحفظ عالم الغيب الذي في عالم الدنيا وعالم الشهادة وهو ما أدركه الحس، وبالقطب ينحفظ جميع هؤلاء فإنه الذي يدور عليه أمر عالم الكون والفساد، وهؤلاء على قلب أربعة عشر نبياً وهم آدم، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وهود، وصالح، وموسى، وداود، وسليمان، ويحيى، وهارون، وعيسى، ومحمد سلام الله عليهم وعلى المرسلين والحمد لله رب العالمين. ولكل واحد ممن ذكرنا طريق يخصه وعلم ينصه وخبر يقصه ويرثه من ذكرناه ممن ليست له نبوّة التشريع وإن كانت له النبوّة العامة، فلنذكر من ذلك ما تيسر فإنه يطول الشرح فيه ويتفرع إلى ما لا يكاد أن ينحصر، ولهم من الأسماء الإلهية: الله، والرب، والهادي، والرحيم، والرحمن، والشافي، والقاهر، والمميت، والمحيي، والجميل، والقادر، والخالق، والجواد، والمقسط، كل اسم إلهيّ من هذه ينظر إلى قلب نبيّ ممن ذكرنا، وكل نبيّ يفيض على كل وارث، فالنبيّ كالبرزخ بين الأسماء والورثة ولهم من

Marfat.com

حروف المعجم حروف أوائل السور وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون، هذا لهم من حيث الإمداد الإلهيّ الذي يأتيهم في قلوبهم. وإنما الذي يأتيهم من الحروف في صور خيالهم بالإمداد أيضاً فالدال، فالذال، والعين، والنون، والصاد، والراء، والألف، والطاء، والحاء، والواو، والضاد، والغين، واللام، والميم، والتاء، والكاف، والباء، والسين، والقاف، والياء، والهاء، والحرف المركب من لام ألف الذي هو للحروف بمنزلة الجوهر، وهذه الحروف من عالم الأنفاس الإلهية، وما تركب من الكلمات من هذه الحروف خاصة مما وقع عليه الاصطلاح في كل لسان بما تكون به الفائدة في ذلك اللسان، فإن تلك الكلمات لها على ما قيل لي خواص في العالم ليست لسائر الكلم.

وأما الأرواح النورية فعين لهؤلاء الأنبياء منهم أربعة عشر روحاً من أمر الله ينزلون من الأسماء التي ذكرناها الإلهية على قلوب الأنبياء وتلقيها حقائق الأنبياء عليهم السلام على قلوب من ذكرناه من الورثة، ويحصل للفرد الواحد من الأفراد وراثة الجماعة المذكورة، فيأخذون علم الورث من طريق المذكورين من الأرواح الملكية والأنبياء البشريين، ويأخذون بالوجه الخاص من الأسماء الإلهية علوماً لا يعلمها من ذكرناه سوى محمد ﷺ فإن له هذا العلم كله لأنه أخبر أنه قد علم علم الأوّلين وعلم الآخرين.

اعلم أن الله كنوزاً في الطبيعة التي تحت عرش العماء اكتنز فيها أموراً فيها سعادة العباد كاختزان الذهب في المعدن، وصور هذه الكنوز صور الكلمات المركبة من الحروف اللفظية فلا تظهر إذا أراد الله إظهارها إلا على ظهر أرض أجسام البشر على ألسنتهم وإنفاقها والانتفاع بها عين التلفظ بها مثل قول الإنسان: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فهذه الكلمات من الكنوز المنصوص عليها من الله على لسان رسوله ﷺ، وأوّل ما أظهرها الله تعالى على لسان آدم عليه السلام فهو أوّل من أنفق من هذا الكنز في الطواف بالكعبة حين أنزله جبريل فطاف به بالكعبة فسأله: ما كنتم تقولون في طوافكم بهذا البيت؟ فقال جبريل عليه السلام: كنا نقول في طوافنا بهذا البيت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فأعطى الله آدم وبنيه من حيث لا تعلمه الملائكة كلمة لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فقال آدم لجبريل عليهما السلام: وأزيدكم أنا لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فبقيت سنة في الذكر في الطواف لبنيه ولكل طائف به إلى يوم القيامة، فأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الكلمة أعطيها آدم عليه السلام من كنز من تحت العرش، فالكنوز

Marfat.com

المكتنزة تحت العرش إنما هي مكتنزة في نشأتنا، فإذا أراد الله إظهار كنز منها أظهره على ألسنتنا وجعل ذلك قربة إليه فإنفاقه النطق به، وهكذا جميع ما اكتنزه مما فيه قربة وما ليس بقربة فما هو مكتنز بل يخلق في الوقت في لسان العبد وكانت صورة اختزانه إذ لا يختزن إلا أمر وجودي أن الله لما أراد إيجاد هذا المكتنز تجلى في صورة آدمية ثم تكلم بهذا الأمر الذي يريد أن يكتنزه لنا أو لمن شاء من خلقه، فإذا تكلم به أسمعه ذلك المكان الذي يختزنه فيه فيمسك عليه، فإذا أنشأ الله ذلك المكان صورة ظهر هذا الكنز في نطق تلك الصورة فانتفع بظهوره عند الله ثم لم يزل ينتقل في ألسنة الذاكرين به دائماً ولم يكن كنزاً إلا فيمن ظهر منه ابتداء لا في كل من ظهر منه بحكم الانتقال والحفظ، وهكذا كل من سن سنة حسنة ابتداء من غير تلقف من أحد مخلوق إلا من الله إليه، فتلك الحسنة كنزاً اكتنزها الله في هذا العبد من الوجه الخاص ثم نطق بها العبد لإظهارها كالذي ينفق ماله الذي اختزنه في صندوقه فهذا صورة الاكتناز إن فهمت، فلا يكون اكتنازاً إلا من الوجه الخاص الإلهيّ وما عدا ذلك فليس باكتناز، فأول ناطق به هو محل الاكتناز الذي اكتنزه الله فيه وهو في حق من تلقفه منه ذكر مقرّب كان موصوفاً بأنه كنز فهذه كلها رموزه لأنها كلها كنوزه.

وبعد أن أعلمتك بصورة الكنز والاكتناز وكيفية الأمر في ذلك لتعلم ما أنت كنز له أي محل لاكتنازه مما لست بمحل له إذا تلقنته أو تلقفته من غيرك فتعلم عند ذلك حظك من ربك وما خصك به من مشارب النبوّة، فتكون عند ذلك على بينة من ربك فيما تعبده به، ولا تكون فيما أنت محل لاكتنازه وارثاً بل تكون موروثاً فتحقق ما ترثه وما يورث منك. ومن هذا الباب مسألة بلال الذي نص عليها لنا رسول الله ﷺ في قوله: بم سبقتني إلى الجنة؟ يستفهمه إذ علم أن السبق له ﷺ فلما ذكر له ما نص لنا قال بهما أي بتينك الحالتين فمن عمل على ذلك كان له أجر العمل ولبلال أجر التسنين وأجر عملك معاً، فهذا فائدة كون الإنسان محلاً للاكتناز، وأما تسنين الشر فليس باكتناز إلهيّ وإنما هو أمر طبيعي، فإن النبيّ ﷺ يقول معلماً لنا: «**والخير كله بيديك**» أي أنت الذي اكتنزته في عبادك فهو بجعلك فيهم واختزانك ولذلك يكون قربة إليك العمل به ثم قال: «**والشرّ ليس إليك**» أي لم تختزنه في عبادك وهو قوله تعالى: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ فأضاف السوء إليك والحسن إليه، وقوله صدق وإخباره حق. وأما قوله: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ أي التعريف بذلك من عند الله والحكم بأن هذا من الله وهذا من نفسك وهذا خير وهذا شر، هذا معنى كل من عند الله، ولهذا قال في حق من جهل الذي ذكرناه منهم

Marfat.com

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ أي ما لم يفقهون ما حدثتهم به فإني قد قلت: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فرفعت الاحتمال أو نصصت على الأمر بما هو عليه، فلما قلت: ﴿كل من عند الله﴾ يعلم العالم بالله أني أريد الحكم والإعلام بذلك أنه من عند الله لا عين السوء، ولما علم ذلك رسول الله ﷺ قال: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» أو كذلك قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها﴾ أنه فجور ﴿وتقواها﴾ أنه تقوى ليفصل بين الفجور والتقوى إذ هي محل لظهور الأمرين فيها، فربما التبس عليها الأمر وتخيلت فيه أنه كله تقوى فعلمها الله فيما ألهمها ما يتميز به عندها الفجور من التقوى ولذا جاء بالإلهام ولم يجيء بالأمر، فإن الله لا يأمر بالفحشاء والفجور فحشاء فالذكر للأصل وهو القطب والتحميدان أعني تحميد السراء والضراء، لما انقسم التحميد بلسان الشرع بين قوله في السراء الحمد لله المنعم المفضل وبين قوله في الضراء الحمد لله على كل حال وما له في الكون إلا حالة تسر أو حالة تضر ولكل حالة تحميد، فقسمها كذا على الإمامين فهؤلاء ثلاثة قد بينت مراتبهم.

ولما كانت الجهات التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان أربعة وهي قوله تعالى لنا في كتابه عن إبليس: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ وقام على كل جهة من هذه الجهات من يحفظ إيمانه منها جعل الأوتاد أربعة للزومهم هذه الجهات لكل وتد جهة أي الغالب عليه حفظ تلك الجهة الخاصة وإن كان له حفظ لسائر الجهات كأفرضكم زيد وأقضاكم علي، وكالجماعة تحمل ما لا يقدر الواحد على حمله إذا انفرد به، فلكل واحد من الجماعة قوة في حمله، وأغلب قوته حمل ما يباشره من ذلك المحمول، فلولا الجماعة ما انتقل هذا المحمول لأن كل واحد واحد لا يقدر على حمله فبالمجموع كان الحمل كذلك هذا الأمر فهذه سبعة. وأما الأبدال فلهم حفظ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها إذ لها تصرّف في الخير وتصرّف في الشرّ فتحفظ على صاحبها تصريف الخير وتقيه من تصريفها في الشر، فهذه جملة الأربعة عشر التي ذكرناها لقوم يعقلون من المؤمنين إذا أنصفوا، ومن حصل له حفظ ما ذكرناه فذلك المعصوم وتلك العصمة ما ثم غير هذين في الظاهر والباطن ﴿والله بكل شيء عليم﴾ وإذا علمت هذا وانفتح لك مقفله مشيت لكل واحد من الذي عينا لك على ما له مما ذكرناه من الأسماء الإلهية والحروف الرقمية المعينة والأفهام الموروثة من النبيين المذكورين والأرواح النورية فيحصل لك ذوقاً جميع ما ذكرناه وكشفاً لمعناه فلا تغفل عن استعماله.

Marfat.com

وفي هذا المنزل من العلوم: علم الأذكار المقربة إلى الله تعالى. وعلم الأسماء الإلهية. وعلم اختصاص الرحمة وشمولها. وعلم الأسماء المركبة التي لله. وعلم عواقب الأمور. وعلم العالم. وعلم مراتب السيادة في العالم. وعلم الثناء بالثناء. وعلم الملك والملكوت. وعلم الزمان. وعلم الجزاء. وعلم الاستناد. وعلم التعاون. وعلم العبادة. وعلم البيان والتبيين. وعلم طرق السعادة. وعلم النعمة والمنعم والإنعام. وعلم أسباب الطرد عن السعادة التي لا يشوبها شقاء. وعلم الحيرة والمتحيرين. وعلم السائل والمجيب. وعلم التعريف بالذات والإضافة وأي التعريفين أقوى؟ هذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل، وكل علم منها فتفاصيله لا تنحصر إلا لله تعالى أي يعلم مع علمه بها أنها لا تنحصر لأنها لا نهاية لها، ومنها تقع الزيادة في العلم لمن طلبها ومن أعطيها من غير طلب وهو قوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فإن تناهى العلم في نفسه فإن المعلوم لا ينتهي:

وقد نهيت النفس عن قولها	بالانتهاء فيه فلم تنته
لجهلها بالأمر في نفسه	لذاك قالت إنه ينتهي
وقد رأينا نفراً منهم	بمكة يجول في مهمه
قد حكمت أوهامهم فيهم	فانحاز ذو اللب من الأبله

واعلم أن عالم الإنسان لما كان ملكاً لله تعالى كان الحق تعالى ملكاً لهذا الملك بالتدبير فيه وبالتفصيل ولهذا وصف نفسه تعالى ﴿بأن لله جنود السموات والأرض﴾ وقال: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ فهو تعالى حافظ هذه المدينة الإنسانية لكونها حضرته التي وسعته وهي عين مملكته، وما وصف نفسه بالجنود والقوّة إلا وقد علم أنه تعالى قد سبقت مشيئته في خلقه أن يخلق له منازعاً ينازعه في حضرته ويثور عليه في ملكه بنفوذ مشيئته فيه وسابق علمه وكلمته التي لا تتبدل سماه الحارث وجعل له خيلاً ورجلاً وسلطه على هذا الإنسان، فأجلب هذا العدو على هذا الملك الإنساني بخيله ورجله ووعده بالغرور بسفراء خواطره التي تمشي بينه وبين الإنسان، فجعل الله في مقابلة أجناده أجناد ملائكته، فلما تراءى الجمعان وهو في قلب جيشه جعل له ميمنة وميسرة وتقدمة وساقة وعرفنا الله بذلك لنأخذ حذرنا منه من هذه الجهات فقال الله تعالى لنا أنه قال هذا العدو: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ وهو في قلب جيشه في باطن الإنسان،

Marfat.com

فحفظ الله هذا الملك الإنساني بأن كان الله في قلب هذا الجيش وهذا العسكر الإنساني في مقابلة قلب جيش الشيطان، وجعل على ميمنته الاسم الرب، وعلى ميسرته الاسم الملك، وعلى تقدمته الاسم الرحمن، وفي ساقته الاسم الرحيم، وجعل الاسم الهادي يمشي برسالة الاسم الرحمن الذي في المقدمة إلى هذا الشيطان وما هو شيطان الجان وإنما أعني به شيطان الإنس فإن الله يقول: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ وقال: ﴿من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ فإن شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان وباطنه، وشياطين الجن هم نواب شياطين الإنس في بواطن الناس، وشياطين الجن هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الإنس ويدبرون دولتهم فيفصلون لهم ما يظهرون فيها من الأحكام، ولا يزال القتال يعمل على هذا الإنسان المؤمن خاصة فيقاتل الله عنه ليحفظ عليه إيمانه، ويقاتل عليه إبليس ليرده إليه ويسلب عنه الإيمان ويخرجه عن طريق سعادته حسداً منه، فإنه إذا أخرجه تبرأ منه وجثا بين يدي ربه الذي هو مقدم صاحب الميمنة، ويجعله سفيراً بينه وبين الاسم الرحمن، وعرفنا الله بذلك كله لنعرف مكايده، فهو يقول للإنسان بما يزين له أكفر فإذا كفر يقول له: ﴿إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها، لأن الكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم ولذلك قال: ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ يريد المشركين بإنهم ﴿الذين لبسوا أيمانهم بظلم﴾ وفسره رسول الله ﷺ بما قاله لقمان لابنه: ﴿يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ فعلمنا بهذا التفسير أن الله أراد بالإيمان هنا في قوله: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أنه الإيمان بتوحيد الله لأن الشرك لا يقابله إلا التوحيد، فعلم النبي ﷺ ما لم تعلمه الصحابة، ولهذا ترك التأويل من تركه من العلماء ولم يقل به واعتمد على الظاهر وترك ذلك لله إذ قال: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ فمن أعلمه الله بما أراده في قوله علمه بإعلام الله لا بنظره ومن رحمة الله بخلقه أنه غفر للمتأولين من أهل ذلك اللسان العلماء به إذا اخطؤوا في تأويلهم فيما تلفظ به رسولهم إما فيما ترجمه عن الله وإما فيما شرع له أن يشرعه قولاً وفعلاً.

وليس في المنازل الإلهية كلها على كثرتها ما ذكرنا منها في هذا الكتاب وما لم نذكر من يعطي الإنصاف ويؤدي الحقوق ولا يترك عليه حجة لله ولا لخلقه، فيوفي الربوبية حقها والعبودية حقها وما ثم إلا عبد ورب إلا هذا المنزل خاصة، هكذا أعلمنا الله بما ألهمه أهل طريق الله الذي جرت به العادة أن يعلم الله منه ورثة أنبيائه وهو منزل غريب عجيب أوله

Marfat.com

يتضمن كله وكله يتضمن جميع المنازل كلها، وما رأيت أحداً تحقق به سوى شخص واحد مكمل في ولايته لقيته بإشبيلية وصحبته وهو في هذا المنزل وما زال عليه إلى أن مات رحمه الله وغير هذا الشخص فما رأيته مع أني ما أعرف منزلاً ولا نحلة ولا ملة إلا رأيت قائلاً بها ومعتقداً لها ومنصفاً بها باعترافه من نفسه، فما أحكى مذهباً ولا نحلة إلا عن أهلها القائلين بها وإن كنا قد علمناها من الله بطريق خاص، ولكن لا بد أن يرينا الله قائلاً بها لنعلم فضل الله عليّ وعنايته بي حتى أني أعلمت أن في العالم من يقول بانتهاء علم الله في خلقه وأن الممكنات متناهية وأن الأمر لا بد أن يلحق بالعدم والدثور ويبقى الحق حقاً لنفسه ولا عالم، فرأيت بمكة من يقول بهذا القول وصرح لي به معتقداً له من أهل السوس من بلاد الغرب الأقصى حج معنا وخدمنا وكان يصر على هذا المذهب حتى صرح به عندنا وما قدرت على رده عنه ولا أدري بعد فراقه إيانا هل رجع عن ذلك أو مات عليه، وكان لديه علوم وجمة وفضل إلا أنه لم يكن له دين وإنما كان يقيمه صورة عصمة لدمه هذا قوله لي ويعطيه مذهبه، وليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر السابع والعشرون بانتهاء الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والثمانون وثلثمائة

في معرفة المنازلات الخطابية

الفصل الخامس

في المنازلات وهو من سرّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ وهو من الحضرة المحمدية

منازلات العلوم تبدي — حقائق الحق والعباد
بلا تغال ولا مراء — ولا جدال ولا عناد
فقل لعقلي أقصر فنقلي — يهدي إلى الغي والرشاد
فكل ذكري إلى صلاح — وبعض فكري إلى فساد
فأنفع العلم علم فقري — للسيد الواهب الجواد

اعلم أيدك الله وإيانا أن المنازلة فعل فاعلين هنا وهي تنزل من اثنين كل واحد يطلب الآخر لينزل عليه أو به كيف شئت فقل، فيجتمعان في الطريق في موضع معين فتسمى تلك منازلة لهذا الطلب من كل واحد، وهذا النزول على الحقيقة من العبد صعود، وإنما سميناه نزولاً لكونه يطلب بذلك الصعود النزول بالحق قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فهو براقه الذي يسري به إليه وينزل به عليه، ويقول تعالى في حق نفسه على ما ذكره رسول الله ﷺ عنه فقال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة» الحديث بطوله فوصفه بالنزول إلينا، فهذا نزول حق لخلق ومنا نزول خلق لحق لأنه لا يتمكن لنا أن يكون لنا العلو والكبرياء والغنى عنه، فلنا صفة الصغار والفقر إليه، وله صفة الغنى والكبرياء:

فكلنا إليه فقير — وكلنا لديه صغير

Marfat.com

وكلنــــا نــــراه ســــوانــــا وهــــو الغنــــيّ عنــــا الكبيــــر
إلا أنــــا فــــإنــــي أراه عينــــي وإننــــي لخبيــــر
وبعـد أن علمت ذا قلت أني إلــــى غنــــاه عبــــد فقيــــر

وعلى الحقيقة فبنا ننزل عليه، وبنا ينزل علينا، ولولا ذلك ما علمنا ما يقول في خطابه لنا فإنه الغني الحميد، وعلى حقيقة الحقيقة فبه ننزل عليه وبه ينزل علينا، وسواء كانت منازلة أو نزولاً تاماً فيكون المتكلم والسامع فهو يعلم ما يقول فإنه سمع من كان هذا مقامه فما سمع كلامه غيره، ولما كان هو الأصل لم نكن إلا به، فإن الفرع بصورة الأصل يخرج وفيها يظهر الثمر أعني في الفروع وتحصل الفوائد كما هي محل الحوائج فما ثم إلا هو:

لــو كــان لــي إليــك سبيــل مــا كــان لــي عليــك دليــل
لــذاك أنــت رب عــزيــز وأننــي العبيــد الــذليــل
عجبــت مــن إلــه وعبــد فــي منــزل علــيّ يهــول
إضــافــة وحــرفــي شمــول بــأنــه ونحــن عــديــل
اللَّــه قــالــه لــم يقلــه كــون فقلتــه إذ يقــول

ومن ذلك:

هــذا هــو الأمــر الــذي لا بــد منــه وكفــى
فــاعمــل علــى قــولــي إذا كنــت بــه متصفــا
وكــن إذا نــاظــرك الــ ـحــق عليــه منصفــا
فــأنــت إن خــالفتــه كنــت بهــا علــى شفــا

واعلم أن الحق لا يكلم عباده ولا يخاطبهم إلا من وراء حجاب صورة يتجلى لهم فيها تكون له تلك الصورة حجاباً عنه ودليلاً عليه، كالصورة الظاهرة الجسدية من الإنسان إذا أرادت النفس الناطقة أن تكلم نفساً أخرى كلمتها من وراء حجاب صورة جسدها بلسان تلك الصورة ولغتها مع كون النفس مخلوقة وأمرها كما ذكرناه فكيف بالخالق؟ فلا يشهد المنازل في المنازلات الخطابية إلا صور عنها تأخذ ما تترجم له عنه من الحقائق والأسرار وهي السنة الفهوانية وحد المنازلات من العماء إلى الأرض وما بينهما، فمهما فارقت الصورة العماء وفارقت الصورة الإنسانية الباطنة الأرض ثم التقتا فتلك المنازلة، فإن وصلت إلى العماء أو جاءها الأمر إلى الأرض فذلك نزول منازلة، والمحل الذي وقع فيه

Marfat.com

الاجتماع منزل، وتسمى هذه الحضرة التي منها يكون الخطاب الإلهي لمن شاء من عباده حضرة اللسن، ومنها كلم الله تعالى موسى عليه السلام، ألا تراه تجلى له في صورة حاجته؟ ومنها أعطى رسول الله ﷺ جوامع الكلم، فجمع له في هذه الحضرة صور العالم كلها، فكان علم أسماء هذه الصور على آدم عليه السلام وأعيانها لمحمد ﷺ مع أسمائها التي أعطيت آدم عليه السلام، فإن آدم من الأوّلين الذين أعطى الله محمداً ﷺ علمهم حين قال عن نفسه أنه أعطاه الله علم الأولين والآخرين.

ومنها آتى الله تعالى داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب وجميع الصحف والكتب المنزلة من هذه الحضرة صدرت. ومنها أملى الحق على القلم الأعلى ما سطره في اللوح المحفوظ وكلام العالم كله غيبه وشهادته من هذه الحضرة والكل كلام الله فإنها الحضرة الأولى، فإن الممكنات أول ما لها من الله تعالى في إيجادها قول: ﴿كن﴾ ففتق الأسماع من الممكنات هذا الخطاب: وآخر دعواهم في الجنة الحمد لله رب العالمين عند قول الله لأهل الجنة. رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً. ولولا نفس الرحمن ما ظهرت أعيان الممكنات الكلمات.

واعلم أن الحركات كانت ما كانت لا تكون إلا من متحرك في شيء عن قصد من المحرك كان المحرّك نفسه أو غيره فتحدث الصور عن حركته لا بل عن تحركه فيما تحرك فيه بحسب قصده، فتتشكل الصور بحسب الموطن وبالقصد الذي كان من المحرك، كالحروف في النفس الخارج من الإنسان إذا قصد إظهار حرف معين لإيجاد عينه في موطنه الذي هو له انفتحت صورة الحرف في ذلك الموطن، فعين لذلك الحرف اسماً يخصه يتميز به عن غيره إذا ذكر كما تتميز صورته عن صورة غيره إذا حضر وذلك بحسب امتداد النفس، ثم إذا قصد إظهار كلمة في عينها قصد عند إظهار أعيان الحروف في نفسه إظهار حروف معينة لا يظهر غيرها فينضم في السمع بعضها إلى بعض فتحدث في السمع الكلمة وهي نسبة ضم تلك الحروف ما هي أمر زائد على الحروف إلا أنها نسبة جمعها، فتعطي تلك الجمعية صورة لم تكن الحروف مع عدم هذه النسبة الجمعية تعطيها، فهذا تركيب أعيان العالم المركب من بسائطه، فلا تشهد العين إلا مركباً من بسائط، والمركب ليس بأمر زائد على بسائطه إلا نسبة جمع البسائط، وإنما ذكرنا هذا حتى تعلم أن ما تشهده العين والتركيب في أعيان هذه الحروف لا يتناهى فلذلك لا تنفد كلمات الله، فصور الكلمات تحدث أي تظهر دائماً فالوجود والإيجاد لا يزال دائماً. فاعلم أيها المركب من أنت وبماذا تركبت وكيف لا

Marfat.com

تظهر لعينك في بسائطك وظهرت لعينك في تركيبك؟ وما طرأ أمر وجودي إلا نسبة تركيب تحكم عليه بأمر لم تكن تحكم به قبل التركيب فافهم، أنشأ صورة ﴿كن﴾ من النفس ثم الكائنات عن ﴿كن﴾ فما أظهرت إلا كلمات كلها عن ﴿كن﴾ وهي لفظة أمر وجودي، فما ظهر عنها إلا ما يناسبها من حروف مركبة تجتمع مع كن في كونها كلمة فما أمره يعني إلا واحدة وهو قوله: ﴿كن﴾ قال تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ وقال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ذلك الشيء في عينه، فيتصف ذلك المكوّن بالوجود بعدما كان يوصف بأنه غير موجود إلا أنه ثابت مدرج في النفس غير موجود الحرفية، فالمنازلة الأصلية تحدث الأكوان وتظهر صور الممكنات في الأعيان، فمن علم ما قلناه علم العالم ما هو ومن هو، فسبحان من أخفى هذه الأسرار في ظهورها وأظهرها في خفائها، فهي الظاهرة الباطنة والأولى والآخرة لقوم يعقلون:

والعيـن واحـدة والحكـم للنسـب ‌‌‌ ‌ ‌ ‌ والعيـن ظـاهـرة والكـون للسبـب

قال تعالى: ﴿وما رميت﴾ فنفى ﴿إذ رميت﴾ فأثبت عين ما نفى ﴿ولكن الله رمى﴾ فنفى عين ما أثبته فصار إثبات الرمي وسطاً بين طرفي نفي، فالنفي الأوّل عين النفي الآخر، فمن المحال أن يثبت عين الوسط بين النفيين لأنه محصور فيحكم عليه الحصر، ولا سيما والنفي الآخر قد زاد على النفي الأوّل بإثبات الرمي له لا للوسط، فثبت الرمي في الشهود الحسي لمحمد ﷺ بثبوت محمد ﷺ في كلمة الحق، فكما هو رام لا رام كذلك هو في الكلمة الإلهية محمد لا محمد، إذ لو كان محمداً كما تشهد صورته لكان رامياً كما يشهد رميه، فلما نفى الرمي عنه الخبر الإلهيّ انتفى عينه إذ لا فرق بين عينه ورميه وهكذا فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وهذه هي البصيرة التي كان عليها الدعاة إلى الله يعلمون من يدعو إلى الله ومن يدعى إلى الله فالإدراك واحدا، فإذا أدرك به الأمر على ما هو عليه سمي بصيرة لأنه علم محقق، وإذا أدرك به عين نسبة ما ظهر في الحس سمي بصراً، فاختلفت الألقاب عليه باختلاف الموطن، كما اختلف حكم عين الأداة وإن كانت بصورة واحدة حيث كانت تختلف باختلاف المواطن مثل أداة لفظة ما لا شك أنها عين واحدة، ففي موطن تكون نافية مثل قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وفي موطن تكون تعجباً مثل قوله: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ وفي موطن تكون مهيئة مثل قوله: ﴿ربما يودّ الذين كفروا﴾ وفي موطن تكون اسماً مثل قوله: ﴿إلا ما أمرتني به﴾ إلى أمثال هذا، وقد تكون مصدرية وتأتي للاستفهام

Marfat.com

وتأتي زائدة وغير ذلك من مواطنها، فهذه عين واحدة حكمت عليها المواطن بأحكام مختلفة، كذلك صور التجلي بمنزلة الأحكام لمن يعقل ما يرى، فأبان الله لنا فيما ذكره في هذه الآية أن الذي كنا نظنه حقيقة محسوسة إنما هي متخيلة يراها رأي العين والأمر في نفسه على خلاف ما تشهده العين وهذا سار في جميع القوى الجسمانية والروحانية. فالعالم كله في صور مثل منصوبة، فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال، ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل والكل متخيل، وهذا لا قائل به إلا من أشهد هذا المشهد، فالفيلسوف يرمي به، وأصحاب أدلة العقول كلهم يرمون به، وأهل الظاهر لا يقولون به نعم ولا بالمعاني التي جاءت له هذه الصور، ولا يقرب من هذا المشهد إلا السوفسطائية، غير أن الفرق بيننا وبينهم أنهم يقولون إن هذا كله لا حقيقة له، ونحن لا نقول بذلك بل نقول إنه حقيقة، ففارقنا جميع الطوائف ووافقنا الله ورسوله بما أعلمناه مما هو وراء ما أشهدناه فعلمنا ما نشهد، والشهود عناية من الله أعطاها إيانا نور الإيمان الذي أنار الله به بصائرنا.

ومن علم ما قررناه علم علم الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، وعلم أن العالم بأسره لا بل الموجودات هم عمار تلك الأرض وما خلص منها إلا الحق تعالى خالقها ومنشيها من حيث هويته إذ كان له الوجود ولا هي ولولا ما هو الأمر على ما ذكرناه.ما صحت المنازلة بيننا وبين الحق، ولا صح نزول الحق إلى السماء الدنيا ولا الاستواء على العرش ولا العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق خلقه، فلولا حكم الاسم الظاهر ما بدت هذه الحضرة ولا ظهر هذا العالم بالصورة، ولولا الاسم الباطن ما عرفنا أن الرامي هو الله في صورة محمدية فما فوق ذلك من الصور فقال: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ وهو بشر ﴿إلا وحيا﴾ مثل قوله: ﴿ولكن الله رمى﴾ فالرامي هو الله والبصر يشهد محمداً ﴿أو من وراء حجاب﴾ صورة بشرية لتقع المناسبة بين الصورتين بالخطاب ﴿أو يرسل رسولاً﴾ وهو ترجمان الحق في قلب العبد نزل به الروح الأمين على قلبك، فإذا أوحى الله إلى الرسول البشري من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وألقاه الرسول علينا فهو كلام الحق لنا من وراء حجاب تلك الصورة المسماة رسولاً إن كان مرسلاً إلينا أو نبياً، وقد تكون هذه الرتبة لبعض الأولياء، فإذا انكشف الغطاء البشري عن عين القلب أدرك جميع صور الموجودات كلها بهذه المثابة في خطاب بعضهم بعضاً وسماع بعضهم من بعض، فاتخذ المتكلم والسامع والباطش والساعي والمحس والمتخيل والمصور والحافظ وجميع القوى المنسوبة إلى البشر، فالمنازلات كلها برزخية بين الأوّل والآخر والظاهر والباطن،

Marfat.com

وصور العالم وصور التجلي ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فالمترجم المتكلم، وقد عرفنا أن الكلام المسموع هو كلام الله لا كلامه فتنظر ما جاء به في خطابه البرزخي وافتح عين الفهم لإدراكه وكن بحسب ما خاطبك به، ولا يسمع كلام الله إلا بسمع الله، ولا كلام الصورة إلا بسمع الصورة، والسامع من وراء السمع، والمتكلم من وراء الكلام ﴿والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ من التبديل والتغيير فإما ما يدل على توحيد، وإما صفة تنزيه، وإما صفة فعل، وإما ما يعطي الاشتراك، وإما تشبه، وإما حكم، وإما قصص، وإما موعظة بترغيب أو ترهيب أو دلالة على مدلول عليه فهو محصور بين محكم ومتشابه كل خطاب في العالم، فالطور الجسم لما فيه من الميل الطبيعي لكونه لا يستقل بنفسه في وجوده ﴿وكتاب مسطور﴾ عن إملاء إلهيّ، ويمين كاتبة بقلم اقتداري ﴿في رق﴾ وهو عينك من باب الإشارة لا من باب التفسير ﴿منشور﴾ ظاهر غير مطوي فما هو مستور ﴿والبيت المعمور﴾ وهو القلب الذي وسع الحق فهو عامر ﴿والسقف المرفوع﴾ ما في الرأس من القوى الحسية والمعنوية ﴿والبحر المسجور﴾ رأي الطبيعة الموقدة بما فيها من النار الحاكم الموجب للحركة ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ أي ما تستعذبه النفس الحيوانية والروح الأمري والعقل العلوي من سيدها المربي لها المصلح من شأنها ﴿لواقع﴾ لساقط عليها إذ كانت لها المنازل السفلية من حيث إمكانها مطلقاً، ومن حيث طبعها مقيداً ﴿ما له من دافع﴾ لأنه ما ثم غير ما ذكرناه، فمن عندنا التلقي لتدليه والترقي لتدانيه، وبين هذين الحكمين ظهور البرازخ التي لها المجد الشامخ والعلم الراسخ.

وقد تكون المنازلة بين الأسماء الإلهية مثل المنازلة في الحرب على هذا الإنسان إذا خالف أمر الله فيطلبه التوّاب والغفور والرحمن، ويطلبه المنتقم والضارّ والمذل وأمثالهم، وقد ورد في الحديث من هذا الباب قوله تعالى: «ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له من لقائي» وهذا من المنازلة، وقد ذقت هذا الكشف رأيته من الله في قتل الدجال بحضور رسول الله ﷺ معي فيه، ومن هنالك انفتح لي باب بسط الرحمة على عباد الله وعلمت أن رحمته وسعت كل شيء فلا بد أن ينفذ حكمها في كل شيء، وعلمت حكمة انعدام الأعراض لأنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها، وخلق الله الأمثال في المحل أو الأضداد، إذ لو ثبت عرض ثبوت محله إذا لم يكن محله معنى مثله أي عرض آخر مثله في العرضية لبقي كما يبقى الجوهر ولم تكن تتبدل حاله على الجوهر، فيكون إما دائم الشقاء من أول خلقه أو دائم السعادة، فتكون رحمة الله

Marfat.com

قاصرة على أعيان مخصوصين كما تكون بالوجوب في قوم منعوتين بنعت خاص، وفيمن لا ينالها بصفة مقيدة وجوباً تناله الرحمة من باب الامتنان كما نالت هذا الذي استحقها ووجبت له بالصفة التي أعطته فاتصفت بها فوجبت الرحمة له، فالكل على طريق الامتنان نالها ونالته، فما ثم إلا منة إلهية أصلاً وفرعاً، ثم تسري المنازلة بين الأصبعين من أصابع الرحمن في القلب في ميدان الإرادة، فإن أزاغه أزاغه رحمان، وإن أقامه أقامه رحمان، فما ثم حكم إلا له لأنه المستوي على العرش، فلا تنفذ الأحكام إلا من هذا الاسم، ثم تظهر المنازلة بين الملك والشيطان على القلب باللمتين اللتين يجدهما المكلف في قلبه، فإن لم يكن مكلفاً ووجد التردد في قلبه فلا يخلو إما أن يكون في دار تكليف أو لا يكون، فإن كان في دار تكليف فالتردد إنما هو اللمة الملكية واللمة الشيطانية بطلب كل واحد منهما لما نفذت فيه لمته أن يكون للمكلف في ذلك دخول بإعانة في فساد، فيجوز الإثم عليه كصبيين لم يبلغها حد التكليف فيتضاربان عن لمة الشيطان التي غلبت على كل واحد منهما فيجيء والداهما أو شخصان من قرابتهما أو جيرانهما أو من كان من الحاضرين من الناس فيدخلون بينهما بغير ميزان شرعي بل حمية غرض، فربما يؤدي ذلك إلى أن يكتسبوا إثماً فيما سعوا به في حقهما فلهذا تكون حركة الصبي بالشرّ عن لمة الشيطان فافهم واعرف المواطن تقر بالعلم الأتم. وإن كان غير مكلف ولا في دار تكليف ووجد التردد في أمر بين فعلين لا حرج عليه فيما يفعل منهما فذلك التردد والمنازلة بين الخاطرين كالتردد الإلهيّ غير أنه في العبد من أجل طلب الأولى والأعلى في حقه، كما يتردد المكلف بين طاعتين أيتهما يفعل، فهذا تردد إلهيّ ما هو عن اللمتين إنما هما غرضان أو غرض واحد تعلق بأمرين إما على التساوي أو إبانة ترجيح يقتضيه الوقت وما هو مكلف ولا في دار تكليف، لأنه لولا التكليف ما قرب شيطان إنساناً بإغواء أبداً لأنه عبث والعبث لا يفعله الحق لأن الكل فعله ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فصاحب علم المنازلات لا بدّ له أن يقف على هذا كله وأمثاله، وكل تردد في العالم كله فهذا أصله، أما التردد الإلهيّ أو الأصبعان أو اللمتان فشيء آخر له حكم ما هنالك، والأصل التردد الإلهيّ وما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية المتقابلة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فلنذكر في هذا الفصل بعض ما حصل لنا في المنازلات من المعارف الإلهية فإنها أكثر من أن تحصى فمن ذلك ما نذكره.

Marfat.com

الباب الخامس والثمانون وثلثمائة

في معرفة منازلة من حقر غلب ومن استهين منع

لا تحقـرن عبـاد اللّـه إن لهـم ... قدراً ولو جمعت لك المقامات
أليس أسماؤه تبدي حقائقهم ... ولو تولتهم فيها الجهالات
إلا إذا انتهكوا الشرع الذي انتهكت ... حرمات منتهكية السمهريات
ففر من أجل حمى الرحمن إن له ... عيناً لمن حكمت فيه الحميات
فإن أسماءك الحسنى بأسمائه الـ ... ـحسنى تناط وتدنيها العنايات

اعلَم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن احتقار شيء من العالم لا يصدر من تقي يتقي الله فكيف من عالم بالله علم دليل أو علم ذوق؟ فإنه ليس في العالم عَيْن إلا وهو من شعائر الله من حيث ما وضعه الحق دليلاً عليه ووصف من يعظم شعائر الله فقال: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ أي فإن عظمتها من تقوى القلوب أو الشعائر عينها من تقوى القلوب، ثم إن كل شعائر الله في دار التكليف قد حد الله لها للمكلف في جميع حركاته الظاهرة والباطنة حدوداً عمت جميع ما يتصرف فيه روحاً وحساباً لحكم وجعلها حرمات له عند هذا المكلف فقال: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ وتعظيمها أن يبقيها حرمات كما خلقها الله في الحكم فإن ثم أموراً تخرجها عن أن تكون حرمات كما تكون في الدار الآخرة في الجنة على الإطلاق من غير منع وهو قوله تعالى: ﴿نتبوّأ من الجنة حيث نشاء ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ وقوله: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ وارتفع الحجر فربما يقام العبد في دار التكليف في هذا الموطن فيريد التصرّف فيه كما تعطيه حقيقته ولكن في موطنه فيسقط حرمات الله في ذلك فلا يرفع بها رأساً ولا يجد لها تعظيماً فيفقد خيرها إذا لم يعظمها عند ربه كما قال: ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ وإنما قال هذا ولم يتوعد بسبب أن أصحاب الأحوال إذا غلبت عليهم كانوا أمثال المجانين ارتفع عنهم القلم فيفوتهم لذلك خير كثير عند الله، ولهذا لا يطلب الحال أحد من الأكابر وإنما يطلب المقام ونحن في دار التكليف، فما فاتنا في هذه الدار من ذلك فقد فاتنا خيره هنالك، فنعلم قطعاً

Marfat.com

أنا لسنا من أهل العناية عند الله بفوت هذا الخير، هذا إذا لم تتعمل في تحصيل هذا الحال الذي يفوتنا هذا الخير، فكيف بنا إذا اتصفنا بهذا الحكم المفوت للخير عن نظر في أصول الأمور حين نعرف بعض حقائقها فيكون في ذلك البعض المفوّت لنا هذا الخير، وقد رأينا منهم جماعة كثيرة من أصحاب النظر في ذلك من غير حال ذوقي الله يعيذنا منه حالاً ونظراً.

ولما كان الدليل يشرف بشرف المدلول والعالم دليل على وجود الله فالعالم شريف كله فلا يحتقر شيء منه ولا يستهان به، هذا إذا أخذناه من جهة النظر الفكري وهو في القرآن في قوله: ﴿أفلا ينظرون إلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت﴾ الآيات النظرية كلها الواردة في القرآن، وكقوله: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ وقوله: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية، وقوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ وقوله: ﴿ألم تر أن الله يسجد له﴾ الآية، وكقوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ وأمثال هذه الآيات.

وأما عند أهل الكشف والوجود فكل جزء في العالم بل كل شيء في العالم أوجده الله لا بد أن يكون مستنداً في وجوده إلى حقيقة إلهية، فمن حقره أو استهان به فإنما حقر خالقه واستهان به ومظهره وكل ما في الوجود فإنه حكمة أوجدها الله لأنه صنعة حكيم، فلا يظهر إلا ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي، فمن عمي عن حكمة الأشياء فقد جهل ذلك الشيء، ومن جهل كون ذلك الأمر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له ولا شيء أقبح من الجهل. فإن قلت فالجهل من العالم وقد قبحته فقد قبحت من استند إليه الجهل في وجوده. قلنا: كان يصح هذا لو كان الجهل نسبة وجودية، فالجهل إنما هو عبارة عن عدم العلم لا غير فليس بأمر وجودي والعدم هو الشر والشر قبيح لنفسه حيثما فرضته، ولهذا ورد في الخبر الصحيح أن النبي ﷺ قال في دعائه ربه تعالى: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك» فما نسب الشر إليه، فلو كان الشر أمراً وجودياً لكان إيجاده إلى الله إذ لا فاعل إلا الله، فالوجود كله خير لأنه عين الخير المحض وهو الله تعالى.

ثم نرجع إلى أصل الباب وهو قولنا: من حقر غلب فنبين ذلك في الهمم، وذلك أن أصل هذا أن كل شخص احتقر شيئاً فإن همته تقوى على التأثير فيه، وعلى قدر ما يعظم عنده يقل التأثير فيه، أو ربما يؤدّي إلى أن لا يكون له أثر فيه، فإن الانفعال في الأشياء إنما هو للهمم، ألا ترى تأثير همم النساء في السحر المعروف عندهم المؤثر في المسحور؟

Marfat.com

ولولا ما احتقروا المسحور وقطعوا بهممهم أن هذا الذي يفعلونه قولاً أو عملاً يؤثر في المسحور ما أثر فيؤثر بلا شك، ومن ليست له هذه الهمة في قوّة ذلك الفعل ويعظم عنده من يريد أن يسحره من الناس أن يؤثر فيه ذلك العمل أو القول وعمله أو قاله فإنه لا يؤثر جملة واحدة، فلهذا قلنا: من حقر غلب كما قيل لنا في هذه المنازلة، فإذا صدق التوجه صح الوجود، ألا ترى الأشياء الكائنة في العالم وهي من العالم تعز أن تكون أثراً عن العالم أو محكومة للعالم؟ فإن الأمثال تأنف من حيث حقيقتها أن يكون المؤثر فيها العالم فتحقر أمثالها أعني جزئيات العالم فتعلق الهمم بإيجاد أمر ما فتنظر في السبب المعين لها على إيجاد ذلك الأمر في العالم وتبحث عنه إن كان من قبل الأفعال أو الأقوال فتشرع في ذلك العمل أو القول، فإن كان مما يعز بحيث أن لا تتمكن في الأثر فيه إلا بالتوجه إلى الله فتتوجه في ذلك بالدعاء والصدق إلى الله فتؤثر بذلك التوجه تلك الهمة، فإن كان صاحب الهمة مؤمناً احتقر ذلك المؤثر فيه في جنب قوّة الله وعظمته، وإن لم يكن احتقره في قوّة همته وما استعان به على التأثير فيه فهو مغلوب عنده على كل حال وأصله الاحتقار، فإن كل شيء في العالم بالنظر إلى عظمة الله حقير وهذا من علم النسب، وكل شيء في العالم إذا نظرته بتعظيم الله لا بعظمته فهو عظيم وهو الأدب، فإنه لا ينبغي أن ينسب إلى العظيم إلا ما يستعظم، فإنه تعظم عظمته في نفس من نظره بهذا النظر، فإن استحقره فلم يعظم في نفسه بوجه ذلك التعظيم الذي في نفس من عظم عنده ذلك الشيء من العالم وربما يحتج بقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ فينبغي للعالم أن لا يتصوّر هذه الآية إلا حتى يتصوّر عزة ذلك الشيء على أمثاله، فإذا حصلت عنده عزة ذلك الشيء حينئذ يقول: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ وإن كان علينا بعزيز فيثبت العزيز للعزيز، هذا هو الأدب والتعظيم، فالشيء على عزته حقير بالنسبة إلى عزة الله التي لا تقبل التأثير لأجل هذا الحكم، فإن احتج علينا من علم حقيقة ما كنا أومأنا إليه في حال من يسخط الله ويرضيه هل يدخل هذا الأثر الحاصل من الكون في الجناب الإلهي في هذا الباب أم لا؟ قلنا: لا يدخل فإن العالم بكل شيء ﴿بيده ملكوت كل شيء﴾ وتصريف كل شيء إذ هو الموجد أسباب السخط والرضى والإجابة في الدعاء، فما خرج عنه شيء يكون لذلك الشيء أثر فيه فهو محرك العالم ظاهراً وباطناً في كل ما يريد كونه، فإن كان ثم أثر فيه فهو الذي أثر في نفسه ما العالم أثر فيه، بل غايتنا فيه أن نقول: أثر في نفسه إن قلنا بذلك العالم أي بتقدم هذا السبب وهو إيجاده الأمر الموجب للسخط عليه في هذا الشخص فأسخط الله بهذا الفعل الذي أوجده في هذا العبد لشقاوة هذا

Marfat.com

العبد أو ليظهر فيه عقوبته ومغفرته وحكم رحمته على قدر ما يظهر فيه عقيب الأمر المسخط.

وأما قوله في المنازلة: من استهين فقد يكون من استهين في حقه ذلك الشيء منع لأنه جاهل بما طلب فيكون من استهين ذلك المطلوب في حقه منع لما هو أعلى منه، فإن الطالب قد يجهل قدر ما يطلب ويعظم عنده لعدمه إياه، وهو عند الله بالنسبة إلى هذا الطالب دون هذا الطالب فيمنعه مطلوبه فيتخيل الممنوع منه أن ذلك لإهانته على من بيده إعطاء ما سأل فيه وليس كذلك، فيفتح الله إن شاء عين بصيرته ويرزقه الكشف على نفسه وعلى حقيقة ما طلب ويريه الحق في ذلك الكشف أن الذي طلبه ما هو بذاك، ويعرف شرف نفسه عن أن يتصف بالافتقار إلى الله في طلب مثل هذا، فيعلم أن الله ما منعه لإهانته عليه وإنما منعه لاستهانة ذلك المطلوب بالنسبة إليه فيشكر الله على منع ذلك، هذا وجه من وجوه قوله: من استهين منع. والوجه الآخر أن يطلب الطالب فوق قدره حتى لو أعطيه ما قبله لأنه يضعف عن حمله فيمنع لإهانته بالنسبة إلى ما طلبه وهو عكس الأوّل فيكون منع الله إياه رحمة به مثل قوله: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ لأنهم يضعفون عن القيام بما يستحقه بسط الرزق من الشكر، وليس في قوّته إلا البغي به والكفر والأشر والبطر، ويظهر ذلك في أرباب المناصب في الدنيا، فإذا رأيت صاحب المنصب يحكم عليه المنصب فتعلم أنه دون المنصب وأنه مهان يصرّفه المنصب بعزته كيف يشاء، فلا يزال مذموماً بكل لسان من الحق ومن الخلق.

وإذا رأيت صاحب المنصب يصرف المنصب ويحكم على المنصب فتعلم أنه فوق المنصب فيكون محموداً بكل لسان عند الله وعند العالم فيمنع بحق وحكمة ويعطي بحق وحكمة كما قال الحق عن نفسه ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ وذلك لعلم هذا الشخص بالأوزان فإن الله يقول: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ فيعلم على من يبسط رزقه وعلى من يقبض عنه ذلك القدر الذي بسطه على غيره فبغى به، ولذلك ما ذكر إلا عموم البسط في العباد كلهم وأضاف البغي للكل لأنه قد بسط للبعض فوقع منهم البغي فيما بسطه له لأنه شغله عن حاجة نفسه الضرورية بحاجة نفسه التي هي غير ضرورية كملك بسط الله له في الملك فأعطاه افتقاره الأصلي أن يسعى في تحصيل ملك غيره ولم يقنع بما عنده، وقد كان قبل حصول ما هو فيه عنده يشتهي أنه يحصل له بعضه ويقنع به، فلما أعطاه ما قنع وتشوق إلى الزيادة مما هو في يد غيره فلم يحصل له ذلك إن حصل إلا بالبغي في الأرض، فربما أداه

Marfat.com

ذلك البغي إلى زوال ما بيده فيندم عند ذلك ويعلم أنه ما عاد عليه إلا بغيه، فلو كان عزيزاً في طلبه غير مهان ما منع ما هكذا يقول عن نفسه، وقد يكون منع الله ذلك في حقه وأخذ ما كان بيده سبباً إلى رجوعه إلى الله وتوبته ليسعده الله بذلك، فالعاقل ينظر في أحواله وتصرّفاته وما أهله الله له، ويعلم أن ذلك كله خطاب الحق بألسنة الأحوال فيفتح عين الفهم وسمعه لذلك الخطاب العقلي والحالي فيعمل بمقتضى فهمه فيه. فإن قلت: فإن كان فهمه فيه ما تعطيه قوّة ذلك المنصب. قلنا: ليس ذلك نريد وما غاب عنا هذا الذي دخلت علينا به ولكن الله قد وضع لنا في العالم الموازين الشرعية لنقيم بها الوزن بالقسط، فإذا أعطى ذلك الأمر الذي يريد تمشيته في العالم بالوزن أخذنا منه قدر ما يدخل الميزان وتركنا منه ما لا يحتمله الميزان، فإن في مقابلة كفة الموزون مقداراً في الكفة الأخرى وذلك المقدار هو الذي يعين لنا من هذا الموزون ما نحتاج إليه في الوقت وهذا معنى قوله: ﴿ينزل بقدر ما يشاء﴾ وهو القدر الذي في الكفة الأخرى من الميزان ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ وقد يكون الميزان مكيلاً فهو على قدر الكيل، والفرق بين المكيال والميزان أن الميزان خارج عنك فتأخذ من الموزون قدر ما يقابله من الكفة الأخرى، والمكيال هو عين ذاتك من حيث ما هي متصفة بحالة ما فذلك عين كيلها، فلا تأخذ من الأمر إلا بقدر قبولها كما يأخذ المكيال فهو على الحقيقة كما هو في الميزان فإنه إذا رجح بأحد الكفتين فقد خرج عن أن يكون وزناً لأنه خرج عن مقدار ما يقابله إما بتطفيف أو غيره، فالنبيّ ﷺ لما نزل عليه من الشرائع مكيال لا ميزان والحق لما لم يصح أن يكون محلاً للأمر لم ينزل نفسه منزلة المكيال لكن وصف نفسه بأن بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه بحسب مراتب العالم، فكل خفض في ميزان الحق ورفع فهو عين الاعتدال بين الكفتين في الميزان الموضوع في العالم فإن الحق لا يزن إلا حقاً، فميزان الحق لا بد فيه من خفض ورفع لإحدى الكفتين، ولو كان على الاعتدال ما ظهر كون في العالم أصلاً ولا عدل، فإذا أقيمت موازين الشرع الإلهيّ في العالم سرى العدل في العالم، وكذلك لو أقيم الوزن الطبيعي في العالم لم يكن في العالم مرض ولا موت كما لا يكون في الجنة لأن الميزان الطبيعي في الجنة يظهر حكمه ولذلك هي دار البقاء ويرتفع فيها ميزان الشرع كما ارتفع في الدنيا ميزان الطبع، فالمنع والعطاء لولا الميزان ما كان لهما حكم في العالم، والذي يزن هو الموصوف بالمعطي والمانع والضار والنافع وهو بكل شيء عليم.

فإن قال قائل من أهل التحقيق أن الجود الإلهيّ ليس فيه منع. قلنا: صدقت. قال:

Marfat.com

فإذا كنت صادقاً وسلمت لي قولي فما حكم الاسم الإلهيّ المانع وهذا المنع الواقع في العالم لماذا يرجع فإننا لا ننكره؟ قلنا: أما الجود الإلهيّ فلا منع فيه ولكن لا يقبله إلا الممكن ولا يقبله المحال، فإذا عرفت القابل عرفت المانع والمنع، فالقوابل تقبل من هذا الجود المطلق بحسب استعداداتها كالشقة والقصار في فيض الشمس نورها فتبيض الشقة وتسود وجه القصار إن كان أبيض فيقول لهما الحكيم النور واحد ولكن مزاج القصار لا يقبل من نور الشمس إلا السواد والشقة على مزاج يقبل البياض فمزاجك منعك من قبول البياض، ويقال للشقة مزاجك منعك من قبول السواد، فلكل واحد من المذكورين أن يقول فالمسألة بحالها لِمَ لم تعطني المزاج الذي يقبل السواد؟ والقصار يقول: لِمَ لم تعطني المزاج الذي يقبل البياض؟ قلنا: لا بد في العالم من شقة وقصار، فلا بد من مزاج يقبل البياض ومزاج يقبل السواد فلا بد منكما كنتما ما كنتما فإن العالم لا بد فيه من كل شيء فلا بد أن يكون فيه كل مزاج والحق تعالى ما هو فعله مع الأغراض التي أوجدها في عباده وإنما هو مع ما تطلبه الحكمة، والذي اقتضته الحكمة هو الواقع في العالم، فعين ظهوره هو عين الحكمة، فإنه فعل الله لا يعلل بالحكمة بل هو عين الحكمة، فإنه لو علل بالحكمة لكانت الحكمة هي الموجبة له ذلك فيكون محكوماً عليه والحق تعالى لا يكون محكوماً عليه فلا يوجب موجب عليه شيئاً إلا ما ذكر لنا أنه أوجب على نفسه لا أنه أوجب عليه موجب غيره أمراً ما، فأيّ محل فرضته لمزاج خاص يتصور أن يقول: قد منعني غير هذا المزاج وهذا غلط لأن عين المزاج هو عين ما ظهر لا غيره، ولا يصح أن يقول الشيء عن نفسه لم لم يكن غيري كما قدمنا في الباب الذي قبل هذا الباب أن التركيب ليس إلا البسائط فالتركيب نسبة والنسب عدمية، وقد ظهر أمر لم يكن يظهر لولا تركيب هذه البسائط وجمعها وما هو هذا الظاهر غير أعيان البسائط، وكذلك هذا الظاهر عن هذا المزاج ما هو غير المزاج، فما ثم على الحقيقة من يقول لأي شيء منعت، وإذا لم يكن ثم لم يصح المنع في الجود الإلهيّ فبقي المنع والمانع، إنما يرجعان إلى نسب مقدرة، وما كل أحد أظهره الله على هذا العلم وأمثاله وتنزلت ألسنة الشرائع بحسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة العالم ولذلك قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا ينزل إلا بما تواطؤوا عليه، فقد يكون التواطؤ على صورة ما هي الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تابع لهم في ذلك كله ليفهم عنه ما أنزله في أحكامه وما وعد به وأوعد عليه، كما قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية، ومع هذا جاء لسان الشرع بالأينية في حق الحق من أجل التواطؤ الذي عليه

Marfat.com

لسان المرسل إليهم فقال للسوداء: أين الله؟ فلو قالها غير الرسول لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فإنه لا أينية له، فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا أنه ليس في قوة فهم هذا المخاطب أن يعقل موجده إلا بما تصوره في نفسه، فلو خاطبه بغير ما تواطأ عليه وتصوره في نفسه لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول، فمن حكمته أن سأل مثل هذه بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة، ولذلك لما أشارت إلى السماء قال فيها إنها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله ولم يقل عالمة، فالعالم يصحب الجاهل في جهله بعلمه، والجاهل لا يقدر على صحبة العالم على علمه إن لم يكن العالم ينزل إليه في صورة جهله، وكل ذلك حكمة إلهية في العالم. واعلم أن المهانة حقيقة العالم التي هو عليها لأنه بالذات ممكن فقير فهو ممنوع من جميع نيل أغراضه وإراداته منعاً ذاتياً، ولا يحجبنك وقوع بعض مراداته ونيل بعض أغراضه عما قلناه في حقه فإن ذلك ما وقع له إلا بإرادة الحق لا بإرداته، فذلك المراد وإرادة العبد معاً إنما هما واقعان بإرادة الحق فهو ممتنع بالذات أن يكون شيء في الوجود موجوداً عن إرادة العبد، ولو كان لإرادة العبد نفوذ في أمر خاص لعم نفوذها في كل شيء لو كان ذلك المراد وقع لعين إرادة الممكن، فتعين أن ذلك الواقع وقع بإرادة الله عزّ وجلّ، فالعالم ممنوع لذاته كما هو ممكن مهان لذاته، وإنما كان مهاناً لذاته لأن العبودية له لذاته وهي الذلة، وكل ذليل مهين، وكل مهين محتقر، وكل محتقر مغلوب، فصح ما جاء في المنازلة من أنه من حقر غلب ومن استهين منع، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والثمانون وثلثمائة

في معرفة منازلة حبل الوريد وأينية المعية

أنا مع العبد حيث كانا مستقبلاً ماضياً وآنا
مقيداً مطلقاً نزيهاً مقدساً عامراً مكانا
من قال شوقاً تريد عيني بأن ترانا فقد جفانا
أين أنا منك يا جفوناً لم تلحظ الفعل والزمانا
كيف لها أن ترى جلالي وقد رأى الصعق من رآنا

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد﴾ وقال: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فكان بهويته معنا وبأسمائه أقرب إلينا منا، فإن الحق إذا جمع نفسه مع أحديته فلأسمائه من حيث ما تدل عليه من الحقائق المختلفة وما مدلولها سواه فإنها ومداولاتها عينه وأسماؤه، فلا بد أن تكون الكناية عن ذلك في عالم الألفاظ والكلمات بلفظ الجمع مثل: نحن وإنا بكسر الهمزة وتشديد النون مثل قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ﴿وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقد تفرد إذا أراد هويته لا أسماءه مثل قوله: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ فوحد، وأين نحن من أنا، ولا معنى لمن قال إن ذلك كناية عن العظمة لا بل هي عن الكثرة، وما ثم كثرة إلا ما تدل عليه منه أسماؤه الحسنى أو تكون عينه أعيان الموجودات وتختلف الصور لاختلاف حقائق الممكنات المركبات إذ قد قال عن هويته أنها جميع قوى الصور، أي إذا أحب الشخص من عباده كشف له عنه به فعلم أنه هو فرآه به مع ثبوت عين الممكن وإضافة القوّة التي هي عينه تعالى إلى العبد فقال: «كنت سمعه» فالضمير في قوله كنت سمعه عين العبد والسمع عين الحق ولا يكون العبد عبداً إلا بسمعه، وإلا فمن يقول إذا نودي ﴿سمعنا وأطعنا﴾ إلا المأمور عند تكوينه وفي تصرّفاته، فلولا أنه سميع ما قيل له كن، ولا يكون لولا طاعته لربه في أمره إياه، والحق سمعه ليس غيره في كل حال فكشف له سبحانه عن ذلك، وإذا كان الأمر على ما ذكره عن نفسه وأعطاه الشهود والكشف صح الجمع في لفظة إنا ونحن، وإذا لم يكن عين القوى والموجودات إلا هو صح

Marfat.com

الإفراد في ﴿إنني أنا الله﴾ والهو والأنت وضمير المفرد بالخطاب بالكاف في ﴿إياك نعبد﴾ وأمثال ذلك، فأفرد نفسه في جمعيتنا فقال: ﴿وهو معكم﴾ وجمع نفسه في أحديتنا في قوله: ﴿ونحن أقرب إليه﴾ فأفرد الضمير العائد على الإنسان فلم يكن الجمع إلا بنا، ولا الواحد العين إلا به، فأينما كان الخلق فالحق يصحبه من حيث اسمه الرحمن لأن الرحم شجنة منه وجميع الناس رحم فإنهم أبناء أب واحد وأم واحدة فإنه خلقنا من نفس واحدة وهو آدم، وبث من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساء فنحن أرحام من حيث أن الرحم شجنة من الرحمن فصحت القرابة، وقد أمر بصلة الأرحام فقال تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وأمر بأن نوصل الأرحام وهو أولى بهذا الوصوف منا، فلا بد أن يكون للرحم وصولاً فإنها شجنة من الرحمن، وقد لعن الله واللعنة البعد من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه أي لا ينتسب إلى غير رحمه، فنحن من حيث الرحم قرابة قربى، ومن حيث الرتبة عبيد فلا ننتسب إلا إليه ولا ننتمي لسواه، وقد قال تعالى في الصحيح عنه: «اليوم أضع نسبكم» لأنه عارض عرض لنا ما هو أصل لأنا نفترق ولا نجتمع وقد لا يعرف بعضنا بعضاً، فنسبنا الذي بيننا ما هو أصل إذ لو كان أصلاً ما قبل العوارض ولا صح النكران ثم قال: «وأرفع نسبي» فإنا ما زلنا عنه قط ولا افترقنا منه ولا فارقنا ولا زال عنا، وكيف نزول عمن نحن في قبضته ومن هو معنا أينما كنا؟ وعلى أيّ حالة وصفنا من وجود وعدم ثم قال: أين المتقون؟ فقمنا إليه بأجمعنا لأنه ما منا إلا من اتخذه وقاية في دفع الشدائد عن نفسه وهو قوله: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ وما منا إلا من كان الحق له وقاية في دفع ما يقال عنه فيه أنه سوء فيكون كالمجن له تتعاور علينا سهام الأسواء فيضاف كل مكروه إلينا فداء له فصح أن الناس كلهم متقون لكن ثم تقوى خصوص وتقوى عموم ميزتها الشرائع ونبهت عليها، فمن علم ما قلناه حمل التقوى حملاً عاماً على جميع الخلق، ومن وقف مع التقوى المعلومة عند الناس خصص وما نبهنا على هذا الأمر إلا مراعاة للشرع، فإن الشرع راعى ذلك ونبه عليه حتى إذا علمه الإنسان وتحقق به ظهر له الفضل على غيره فإن الله يقول: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وقد أمر بصلة الأرحام والرحمن لنا رحم نرجع إليه فلا بد للمطيع أمره أن يصل رحمه وليس إلا وصلته بربه، فإن الله بلا شك قد وصلنا من حيث أنه رحم لنا فهو الرزاق ذو القوّة المتين المنعم على أي حالة كنا من طاعة أمره أو معصية وموافقة أو مخالفة فإنه لا يقطع صلة الرحم من جانبه وإن انقطعت عنه من جانبنا لجهلنا، ثم أنه ما أمر بصلة الأرحام القريبة إلا ليسعدوا

Marfat.com

بذلك، وما من شخص إلا وله رحم يصلها ولو بالسلام كما قال: «صِلوا أرحامكم ولو بالسلام» فإذا وصلنا رحمنا لم نصل على الحقيقة إلا هو، وإن حملناه في عين رحمنا فهو يعرف نفسه، كما أن الصدقة تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل وقال: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وفي نفس الأمر قد قلنا إنا وقاية له من كل سوء، فلا بد لكل أحد أن يكون له صديق من الناس على أي دين كان ولا بد له من مراعاة صديقه وهو في النسب رحمه بلا شك لأنه أخوه لأمه وأبيه، فكل برّ ظهر من أحد إلى أحد فهو صلة رحم لذا يقبلها الله من كل أحد فضلاً من الله ونعمة غير أنهم بينهم مفاضلة في القرب، قال عليّ بن أبي طالب القيرواني في ذلك:

الناس في جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم نسب	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء

والقرابة قرابتان: قرابة الدين وقرابة الطين، فمن جمع بين القرابتين فهو أولى بالصلة، وإن انفرد أحدهما بالدين والآخر بالطين فتقدم قرابة الدين على قرابة الطين كما فعل الحق تعالى في الميراث، فورث قرابة الدين ولم يورث قرابة الطين إذا اختلفا في الدين، فكان الواحد مؤمناً بالله وحده والأخ الآخر كافر بأحدية الله ومات أحد الأخوين لم يجعل له نصيباً في ميراثه فقال: «لا يتوارث أهل ملتين» وقد ذهب عقيل دون علي بن أبي طالب بمال أبيه لما مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ، وكل من قطع رحمه في حق شخص وهو قد وصلها في حق شخص آخر فالذي يرعى الله من ذلك جانب الوصلة لا جانب القطع فإنه القائل على لسان رسوله ﷺ: «أتبع السيئة» مثل قطع تلك الرحم «الحسنة» مثل وصلة الرحم «تمحها» فوصل رحمه في زيد يمحو قطع رحمه في عمرو، وهذا أخوه وهذا أخوه، لأن الله يصل الرحم ولا يقطعها، فالحق يعضده في صلة من وصلها ويقطع من قطعها لأنه عين ذلك الذي قطعها، ففي الوصل كلمة عناية إلهية بالواصل، وفي القطع كلمة تحقيق أي إن الأمر كذلك، فما في العالم إلا من هو وصول رحمه الأقوى الأقرب، فإن أفضل الصلات في الأرحام صلة الأقرب فالأقرب، وقد جاء في الصدقة أن أفضلها اللقمة يجعلها الإنسان في فمه لأنه لا أحد أقرب إليه من نفسه، والله أقرب إلى العبد من نفسه منه فإنه

Marfat.com

القائل: ﴿نحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ فإذا وصله العبد فقد وصله الأقرب بلا شك فقد أتى ما هو الأولى بالوصل في الأقربين فإن النص فيه، ولهذا عم كل الأشياء اتساع رحمته، فمن حجر رحمة الله فما حجرها إلا على نفسه، ولولا أن الأمر على خلاف ذلك لم ينل رحمة الله من حجرها وقصرها، ولكن والله ما يستوي حكم رحمة الله فيمن حجرها بمن لم يحجرها، وأطلقها من عين المنة كما أطلقها الله في كتابه في قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فما من شيء إلا وهو طامع في رحمة الله، فمنهم من تناله بحكم الوجوب، ومنهم من تناله بحكم المنة. كنت قاعداً يوماً بإشبيلية بين يدي شيخنا في الطريق أبي العباس العريني من أهل العليا بمغرب الأندلس فدخل عليه رجل فوقع ذكر المعروف والصدقة فقال الرجل: الله يقول: الأقربون أولى بالمعروف، فقال الشيخ على الفور: إلى الله فما أبردها على الكبد، وكذلك هو الأمر في نفسه ولا أقرب من الله، فهو القريب سبحانه الذي لا يبعد إلا بعد تنزيه، وتنقطع الأرحام بالموت ولا ينقطع الرحم المنسوبة إلى الحق فإنه معنا حيثما كنا ونحن ما بيننا نتصل في وقت وننقطع في وقت بموت أو بفقد وارتحال، وكم من حال قد أغنى عن سؤال، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل، ومن علم غيره فهو بنفسه أعلم، من عرف نفسه عرف ربه:

ليس الذي يخبر عن غيره ... مثل الذي يخبر عن نفسه
لأنه يخبر عن ذوقه ... في غيبه كان وفي حسه
وكل من أخبر عن نفسه ... فإنما أخبر عن جنسه
والحق إن قيدته أنه ... لا يحجب المحبوس في حبسه
من قيد الحق بإطلاقه ... فما أقام الميت من رمسه
هيهات لا يعرف أسراره ... إلا الذي حج إلى قدسه
من أسه الحق فذاك الذي ... يطرحه الضارب من أسه

سرّ إلهي لا يعرفه كثير من الناس، بعث الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون وأوصاهما أن يقولا له: ﴿قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ والترجي من الله واقع عند جميع العلماء كما قال: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ فقال العلماء: عسى من الله واجبة ولعل وعسى أختان فعلم الله أنه يتذكر ولا يكون التذكر إلا عن علم سابق منسي، ثم قال لهما لما رأى خوفهما من أنه لا يجيب إلى ما يدعوانه إليه: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ أي

Marfat.com

أسمع من فرعون إذا بلغتما إليه رسالة ربكما وأرى ما يكون منكما في حقه مما أوصيتكما به من اللين والتنزل في الخطاب فلم يجد فرعون على من يتكبر، لأن التكبر من المتكبر إنما يقع لمن يظهر له بصفة الكبرياء، فلما رأى ما عندهما من اللين في الخطاب رق لهما وسرت الرحمة الإلهية بالعناية الربانية في باطنه فعلم أن الذي أرسلا به هو الحق، فكان المتكلم من موسى وهارون الحق وكان السمع الذي تلقى من فرعون كلام موسى الحق، فحصل القبول في نفسه وستر ذلك عن قومه فإنه شأن الحق، ألا ترى إليه تعالى في القيامة يتجلى في صورة ينكر فيها؟ فهذا من ستره.

ولما علم فرعون أن الحق سمع خلقه وبصره ولسانه وجميع قواه لذلك قال بلسان الحق: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ إذ علم أن الله هو الذي قال على لسان عبده ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ فأخبر الله تعالى أنه ﴿أخذه نكال الآخرة والأولى﴾ والنكل القيد فقيده الله بعبوديته مع ربه في الأولى بعلمه أنه عبد الله، وفي الآخرة إذا بعثه الله يبعثه على ما مات عليه من الإيمان به علماً وقولاً، وليس بعد شهادة الله شهادة، وقد شهد له أنه قيده في الأولى والآخرة ﴿إن في ذلك﴾ أي في هذا الأخذ ﴿لعبرة﴾ أي تعجباً وتجاوزاً مما يسبق منه إلى فهم العامة إلى ما يفهمه الخاصة من عباد الله وهم العلماء ولذلك قال: ﴿لعبرة لمن يخشى﴾ وقد عرفنا أنه ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقد قال: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ ولا يخشى حتى يعلم بالتذكر ما كان نسيه من العلم بالله، ومن قيده الحق فلا يتمكن له الإطلاق والسراح من ذلك القيد.

وقولهما: ﴿إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يتقدم علينا بالحجة بما يرجع إليه من التوحيد ﴿أو أن يطغى﴾ أي يرتفع كلامه لكونه يقصد إلى عين الحقيقة فنتعب معه فلهذا قال لهما: ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ وأوصاهما أن يلينا له في القول، فلما قالا له صلى الله عليهما ما قالاه على الوجه الذي عهد إليهما الله أن يقولاه ﴿قال﴾ لهما فرعون: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ كما يقول فتانا القبر للميت لا لجهله بما يقوله، وإنما يريد أن يتنبه الحاضرون لما يقولانه مما يكون دليلاً على وجود الله ليعلموا صدقهما لأن العاقل إذا علم أنهما إذا قالا مثل ذلك ربما أن الخواطر تتنبه ويدعوهم قولهما إلى النظر فيه لنصبهما في قولهما مواضع الدلالة على الله فإنه لا يسأل خصمه فدل سؤاله أنه يريد هداية من يفهم من قومه ما جاءا به فقالا: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ فأنصفا فرعون في هذا الخطاب وهذا من القول اللين فإنه دخل تحت قولهما ﴿كل شيء﴾ ادّعاه فرعون فأعطاه الله

Marfat.com

خلقه فكان في كلامهما جواب فرعون لهما إذ كان ما جاء به فرعون خلق لله، ثم زادهما في السؤال ليزيد في الدلالة قال: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ فقالا: ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ مثل ما نسيت أنت حتى ذكرناك فتذكرت.فلو كنت إلهاً ما نسيت لأن الله قال: ﴿لعله يتذكر﴾ ثم زاد في الدلالة بما قالا بعد ذلك إلى تمام الآية، فما زال ذلك مضمراً في نفس فرعون لم يعطه حب الرياسة أن يكذب نفسه عند قومه فيما استخفهم به حتى أطاعوه فكانوا قوماً فاسقين فما شركه معهم في ضميرانهم فلما رأى البأس ﴿قال آمنت﴾ فتلفظ باعتقاده الذي ما زال معه فقال له الله تعالى: ﴿الآن﴾ قلت ذلك، فأثبت الله بقوله: ﴿الآن﴾ أنه آمن عن علم محقق والله أعلم.

وإن كان الأمر فيه احتمال وحقت الكلمة من الله وجرت سنته في عباده أن الإيمان في ذلك الوقت لا يدفع عن المؤمن العذاب الذي أنزله بهم في ذلك الوقت إلا قوم يونس، كما لا ينفع السارق توبته عند الحاكم فيرفع عنه حد القطع ولا الزاني مع توبته عند الحاكم مع علمنا بأنه تاب بقبول التوبة عند الله، وحديث ماعز في ذلك صحيح أنه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم ومع هذا لم تدفع عنه الحد بل أمر ﷺ برجمه، كذلك كل من آمن بالله عنده رؤية البأس من الكفار أن الإيمان لا يرفع نزول البأس بهم مع قبول الله إيمانهم في الدار الآخرة فيلقونه ولا ذنب لهم فإنهم ربما لو عاشوا بعد ذلك اكتسبوا أوزاراً:

أيها الخلق المسوى ... كم تنادى كم تلوى

فلتبادر قبل يوم ... ودّ فيه لو تسوى

بهم الأرض رجال ... كغثاء كان أحوى

خلق الرحمن خلقاً ... مثل ما قال فسوى

ثم أعطاه اقتداراً ... فسطا فكان أقوى

قال كن لكل شيء ... لم يكن وكان بلوى

وإذا كان الحق يقول عن نفسه أنه خلق فسوّى وقدر فهدى فما لك لا تسبح اسم ربك الأعلى جعلنا الله ممن قيده الحق به ورزقه الوقوف عند حدوده ومراسمه في الآخرة والأولى، فانظر يا أخي ما أعطت عناية هذه المعية الإلهية في قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهو معنا بهويته وهو معنا بأسمائه، فهل ترى عين العارف كوناً من الأكوان وعيناً من الأعيان لا يكون الحق معه، فالله يغفر للجميع بالواحد فكيف لا يغفر للواحد بالجميع؟ فما

Marfat.com

من إنسان إلا وجميع أجزائه مسبحة بحمد الله، ولا قوّة من قواه إلا وهي ناطقة بالثناء على الله، حتى النفس الناطقة المكلفة من حيث خلقها وعينها كسائر جسدها الذي هو ملكها مسبحة أيضاً لله، فما عصى وخالف الأمر واحد من هذه الجملة المعبر عنها بالإنسان، أفترى الله لا يقبل طاعة هذه الجملة في معصية ذلك الواحد؟ هيهات وأين الكرم إلا هنا يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟ فيقول: كرمك. فهذا تنبيه من الله لعبده أن يقول كرمك، كما يفعله الحاكم المؤمن العالم إذ يقول للسارق والزاني: قل لا زنيت، أو قل لا سرقت، أو قل لا لعلمه أنه إذا اعترف أقام عليه الحد، فربما يكون الزاني يدهش بين يدي الحاكم فينبهه ليقول بهذه المقالة لا فيدرأ عنه الحد بذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والثمانون وثلثمائة

في معرفة منازل التواضع الكبريائي

من هاله ما هو من جنسه ... فهو جهول ضل عن نفسه
لو أنه يعرف أوصافه ... ما هاله ما هو من جنسه
وكل ما في الجود فيه فمن ... دجى الليالي وسنا شمسه
وكل ما في الكون فيه فمن ... نزوله الأدنى ومن قدسه
وانظر فأنت الأمر فاثبت على ... علم ولا تنظر إلى حدسه

قال تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وقال تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ وقال: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ وقال: ﴿والله غني عن العالمين﴾ ومع هذا كله فهو القائل في الصحيح من الأخبار عنه: «مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمأت فلم تسقني» يقول مثل هذا القول لعبده، فأنزل نفسه هنا منزلة عباده، وأين ذلك الكبرياء من هذا النزول؟ وثبت في الصحيح أن الله يعجب من الشاب ليست له صبوة، وثبت أن الله أفرح بتوبة عبده من فرح صاحب الناقة التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها بعد ما ضلت وهو في فلاة من الأرض منقطعة وأيقن بالموت ففرح بها فالله أفرح بتوبة عبده من هذا بناقته، وثبت عنه أنه تعالى يتبشبش للذي يأتي المسجد كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا ورد عليهم، وأين هذا كله من قوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله برب العالمين﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فأين هذا النزول من هذه الرفعة؟ فهذا هو التواضع الكبريائي، وكل حق وقول صدق وحكم صحيح لمن كشف الله عن بصيرته من علماء عباده فأراه الحق حقاً وأراه الباطل باطلاً، وهنا تعلقت الرؤية بالمعدوم فإن الباطل عدم، وإذا كان العبد يتصف برؤية المعدوم فالحق أولى بهذه الصفة أنه يرانا في حال عدمنا رؤية عين وبصر لا رؤية علم.

وأما قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهو على الصحيح من الفهم معنى قوله ﷺ: «إن الله

Marfat.com

خلق آدم على صورته» في بعض وجوه محتملات هذا الخبر. وقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ فما ذاك إلا لخلقه على صورة الحق، وإنما رده إلى أسفل سافلين ليجمع له كمال الصورة بالأوصاف كما ذكر عن نفسه أنه عليه، فأين اتصافه بنفي المثل عن نفسه من اتصافه بالحد والمقدار من استواء ونزول واستعطاف وتلطف في خطاب وغضب ورضا وكلها نعوت المخلوق، فلو لم يصف نفسه بنعوتنا ما عرفناه، ولو لم ينزه نفسه عن نعوتنا ما عرفناه، فهو المعروف في الحالين والموصوف بالصفتين، ولهذا خلق من كل شيء زوجين ليكون لأحد الزوجين العلو وهو الذكر، ولأحد الزوجين السفل وهو الأنثى، ليظهر من بينهما إذا اجتمعا بقاء أعيان ذلك النوع، وجعل ذلك في كل نوع نوع ليعلمنا أن الأمر في وجودنا على هذا النحو، فنحن بينه وبين معقولية الطبيعة التي أنشأ منها الأجسام الطبيعية، وأنشأ من نسبة توجهه عليها الأرواح المدبرة، وكل ما سوى الله لا بد أن يكون مركباً من راكب ومركوب ليصح افتقار الراكب إلى المركوب وافتقار المركوب إلى الراكب لينفرد سبحانه بالغني كما وصف نفسه فهو غني لنفسه ونحن أغنياء به في عين افتقارنا إليه فيما لا نستغني عنه، فكل ما سوى الله مدبر ومدبر لهذا المدبر، فالمدبر اسم فاعل بما هو مدبر يجد ذلك قوّة في ذاته يفتقر إلى مدبر يظهر فيه تدبيره، والمدبر اسم مفعول بما هو مدبر يجد ذلك حالة في ذاته يفتقر بها إلى من يدبر ذاته لصلاح عينه وبقائه، ففقر كل واحد إلى الآخر فقر ذاتي، وإنما يتصف بالغنى عنه لكونه لا يفتقر إلا إلى مدبر لا إلى هذا المدبر بعينه، كما أن المدبر يتصف بالغنى لكونه لا يفتقر إلا إلى مدبر لا إلى هذا المدبر بعينه، فكل واحد منهما غني عن الآخر عينه لا عن التدبير منه وفيه، فغنى كل واحد ليس على الإطلاق، وغنا الحق مطلق بالنظر إلى ذاته، والخلق مفتقر على الإطلاق بالنظر أيضاً إلى ذاته فتميز الحق من الخلق، ولهذا كدر من قال: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ فهذا التمييز لا يرتفع أبداً لأنه تميز ذاتي في الموصوف به من حق وخلق، فما ثم إلا شيئيتان: شيئية حق وشيئية خلق، فليس كمثل الخلق في افتقاره شيء لأنه ما ثم إلا الحق، والحق لا يوصف بالافتقار، فما هو مثل الخلق، فليس مثل الخلق شيء، وليس كمثل الحق في غناه شيء لأنه ما ثم إلا الخلق، والخلق لا يتصف بالغنى لذاته فما هو مثل الحق فليس مثل الحق شيء لأنه كما قلنا ما ثم شيء إلا الخلق والحق، فالخلق من حيث عينه ذات واحدة في كثير، والحق من حيث ذاته وعينه ذات واحدة لها أسماء كثيرة ونسب، فمن لم يعلم قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ على ما قررناه فلا علم له بهذه الآية فإنه جاء بالكاف ثم نفى المثلية عن نفسه

Marfat.com

بزيادة الكاف للتأكيد في النفي، ثم نفى المثلية عن العالم بجعل الكاف صفة، فعلق النفي بالمماثل في النفي أي انتفت عن الخلق المثلية لأنه ما ثم إلا حق لا يماثل، وانتفت عن الحق المثلية لأنه ما ثم إلا خلق لا يماثل:

فهكـذا تفهـم المعـانـي ... إذ جـاءنـا النـور بـالبيـان
فليـس فـي الكـون غيـر فـرد ... حـق وإن شئتـم اثنتـان
وكـل عيـن لهـا انفـراد ... بـذاتهـا لا تـرى بثـانـي
وقـد أتـى فـي الصلاة حكـم ... منـه بتقسيمـه المثـانـي
فميـز الخلـق عنـه فيهـا ... لأجـل ذا لاحـت اثنتـان
فقـال بينـي وبيـن عبـدي ... فمـن رآه فقـد رآنـي
فلسـت غيـر إلـه ولا هـو ... لـوحـدتـي فـي الـوجـود ثـانـي
تـرجـم عنـه لسـان خلـق ... بمـا ذكـرنـا مـن البيـان

وأما قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وهو الذي أنطقهم بما نطقوا به فيه فإنه يقول عن المشهود عليهم أنهم ﴿قالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ فما من شيء ينطق إلا والله أنطقه، واختلف المنطوق به، فثم نطق أي منطوق به يتعلق به مديح، وثم منطوق به يتعلق به ذم، وثم منطوق به يتعلق به تجوز لتواطىء جعله الله في العالم، وثم منطوق به على ما هو المدلول عليه في نفسه فهو إخبار عن حقيقة وما ثم إلا ما ذكرناه، فنطق المدح شهادة أولي العلم بتوحيد الله ونطق الذم قول القائل: ﴿إن الله فقير﴾ ﴿ويد الله مغلولة﴾ يريد البخل ونطق بالحقيقة ﴿والله خلقكم﴾ ونطق بالتجوّز للتواطىء ﴿وما تعملون﴾ والآية واحدة. فأما قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ لكونهم ليسوا مثله فما عرفوه ومن جهل أمره لا يقدر قدره فهم ليسوا له بمثل ولا هو مثل لهم فوصفوه بنفوسهم وبما هم عليه ولا يتمكن لهم إلا ذلك لأنهم يريدون الوصف الثبوتي ولا يكون إلا بالتشبيه، ومن جعل مثلاً لمن لا يقبل المثل فما قدره حق قدره أي ما أنزله المنزلة التي يستحقها، فذمهم بالجهل حيث تعرضوا لما ليس لهم به علم من نفوسهم، فلو قالوا فيه بما أنزله إليهم لم يتعلق بهم ذم من قبل الحق في ذلك لأن الحاكي لا ينسب إليه ما حكاه فلا يتعلق به ذم في ذلك ولا مدح، فعلم الخلق بالله لا يدرك بقياس وإنما يدرك بإلقاء السمع لخطاب الحق إما بنفسه وإما بلسان المترجم عنه وهو الرسول مع الشهود الذي لا يسعه معه

Marfat.com

غير ما سمعه من الخطاب كما قال: ﴿إن في ذلك﴾ إشارة لما تقدم ﴿لذكر لمن كان له قلب﴾ فأحال على النظر الفكري بتقلب الأحوال عليه ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ وما عدا هذين الصنفين فلا طريق لهم إلى العلم بما يستحقه الحق أن يضاف إليه وما يستحقه الخلق أن يضاف إليهم، فمن عرف نفسه فإنه لا يماثله الحق، ومن عرف ربه فإنه لا يماثله الخلق، إذ معرفتك بجزء واحد من العالم من كونه دليلاً عين معرفتك بالعالم كله، فلهذا أنزلنا العالم منزلة الواحد فنفينا عنه المثلية، إذ ما ثم في الوجود إلا الحق والحق ما هو مثل للعالم وإن كان العالم يماثل بعضه بعضاً كما تحكم في الأسماء الإلهية في الغافر والغفور والغفار وأمثال هذا بأنها أمثال وإن تميزت بمراتب كالعالم فإن فيه أمثالاً وإن تميزت بالأعيان والمراتب، ولهذا ما نزلت هذه الآيات إلا في مقابلة قول كان منهم ورد ذلك في الخبر النبوي. وأما في القرآن فقوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ مع إقرارهم أن التوراة نزلت على موسى عليه السلام من عند الله فكذبوا على الله فاسودت وجوههم أي ذواتهم فلا نور لهم يكشفون به الأشياء بل هم عمي فهم لا يبصرون.

وأما قوله: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ فهذه آية ما نزل عند العارفين أشكل منها لما فيها من التداخل، فدخل تحت قوله تعالى في تنزيه نفسه ﴿عما يصفون﴾ ما يصفه به عباده مما تعطيهم أدلتهم في زعمهم بالنظر الفكري كل على حياله وكل واحد يدعي التنزيه لخالقه في ذلك، فأما الفيلسوف فنفى عنه العلم بمفردات العالم الواقعة في الحس منهم فلا يعلم عندهم أن زيد بن عمرو حرك أصبعه عند الزوال مثلاً ولا أن عليه في هذا الوقت ثوباً معيناً، لكن يعلم أن في العالم من هو بهذه الصفة مطلقاً من غير تعيين، لأن حصول هذا العلم على التعيين إنما هو للحس والله منزه عن الحواس، فقد اندرج عندهم هذا العلم بهذا الجزء في العلم الكل الذي هو أن في العالم من هو بهذه المثابة وقد حصل المقصود عندهم وفاتهم بذلك علم كبير، فإن صاحب هذه الحركة المعينة من الشخص المعين يجوز أن تقوم بغيره، فبأيّ شيء تقوم الحجة لله على تعيين هذا العبد حتى قرره عليها في الآخرة أو حرمه ما ينبغي له في الدنيا أو لم يتحرك بتلك الحركة، وإن كان من أصل صاحب هذا النظر إنكار الآخرة المحسوسة وإنكار الوهب في الدنيا والجزاء لصاحب هذه الحركة على التعيين، وإن من مذهبه أن تلك الحركة هي المانعة لذاتها أن يحصل لهذا المتحرك بها ما تمنعها حقيقة تلك الحركة فهو بان على أصل فاسد، وهو أن الله ما صدر عنه إلا ذلك الواحد الأوّل لأحديته، ثم انفعل العالم بعضه عن

Marfat.com

بعض عن غير تعلق علم من الله تفصيلي بذلك بل بالعلم الكل الذي هو عليه، وأما المتكلم مثل الأشعريّ فانتقل في تنزيهه عن التشبيه بالمحدث إلى التشبيه بالمحدث فقال مثلاً في استوائه على العرش: أنه يستحيل عليه أن يكون استواؤه استواء الأجسام لأنه ليس بجسم لما في ذلك من الحدّ والمقدار وطلب المخصص المرجح للمقادر فيثبت له الافتقار بل استواؤه كاستواء الملك على ملكه، وأنشدوا في ذلك استشهاداً على ما ذهبوا إليه من الاستواء:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فشبهوا استواء الحق على العرش باستواء بشر على العراق، واستواء بشر محدث فشبهوه بالمحدث والقديم لا يشبه المحدث فإن الله يقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾ والنظر الصحيح يعطي خلاف ما قالوه فقال تعالى في حق كل ناظر: ﴿سبحان ربك﴾ لمحمد ﷺ ضمير هذا الكاف أي ربك الذي أرسلك إليهم لتعرفهم بما أرسلك به إليهم وأنزله بوساطتك عليهم ﴿رب العزة﴾ أي هو الممتنع لنفسه أن يقبل ما وصفوه به في نظرهم وحكموا عليه بعقولهم وأن الحق لا يحكم عليه خلق والعقل والعاقل خلق، وإنما يعرف الحق من الحق بما أنزله إلينا أو أطلعنا عليه كشفاً وشهوداً بوحي إلهيّ أو برسالة رسول ثبت صدقه وعصمته فيما يبلغه عن الله إلينا ﴿عما يصفون﴾ من حيث نظروا بفكرهم واستدلوا بعقولهم، إذ العلم بالله لا يقبل التحوّل إلى الجهل ولا الدخول عليه بالشبه، وما من دليل عقلي إلا ويقبل الدخل والشبهة ولهذا اختلف العقلاء، فكل واحد من المخالفين عنده دليل مخالفه شبهة لمخالفه لكونه خالف دليل هذا الآخر، فعين أدلتهم كلهم هي عين شبهاتهم فأين الحق وأين الثقة؟ وأصل الفساد إنما وقع من حيث حكموا الخلق على الحق الذي أوجدهم، ثم قال: ﴿وسلام على المرسلين﴾ وما جاءت الرسل عليهم السلام إلا بما أحالته هذه الأدلة النظرية وبما أثبتته، فصدقهم في نظرهم وأكذبهم في نظرهم، فوقعت الحيرة عند هؤلاء، فإذا سلموا له ما قاله عن نفسه على ألسنة رسله وانقادوا إليهم فإن انقيادهم إليهم ينزلهم منزلتهم فإنهم ما انقادوا إليهم من حيث أعيانهم فإنهم أمثالهم، وإنما انقادوا إلى الذي جاؤوا من عنده ونقلوا عنه ما أخبر به عن نفسه على ما يعلم نفسه لا على تأويل من وصل إليه ذلك، فلا يعلم مراد الله فيه إلا بإعلام الله فيقف الناظر موقف التسليم لما ورد مع فهمه فيه أنه على موضوع ما هو في ذلك اللسان الذي جاء به هذا الرسول لا بدّ من ذلك لأنه ما جاء به بهذا

Marfat.com

اللسان إلا لتعرف أنه على حقيقة ما وضع له ذلك اللفظ في ذلك اللسان، ولكن تجهل النسبة فتسلم إليه علم النسبة مع عقلنا الدلالة بالوضع الاصطلاحيّ في ذلك اللحن الخاص فتنقاد إليه كما انقاد المرسلون ولهذا قال: ﴿على المرسلين﴾ أي هو واجب عليهم الانقياد بقوله: ﴿وسلام﴾ فنكون أمثالهم، ثم قال: ﴿والحمد لله﴾ أي عواقب الثناء إذ كل ما جاؤوا به إنما قصدوا به الثناء على الله، فعواقب الثناء على الله بما نزه نفسه عنه أن الثناء على الله في ذلك كونه تعالى أنطقهم به وأوجد ذلك في نفوسهم لأن الذي قالوه يكون حقاً ولا بد ولهذا قال: ﴿والحمد﴾ فإن الحمد العاقب، فعواقب الثناء ترجع إلى الله وعاقب الأمر آخره، ولا آخر لما قالوه إلا كونه موجوداً عنه تعالى فيهم فإنه ﴿رب العالمين﴾ من حيث ثبوته في ربوبيته بما يستحقه الربّ من النعوت المقدسة وهو سيد العالم ومربيهم ومغذيهم ومصلحهم ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

وأما قوله: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ اعلم أن العالم محصور في علو وسفل والعلو والسفل له أمر إضافي نسبي فالعالي منه يسمى سماء والأسفل منه يسمى أرضاً، ولا يكون له هاتان النسبتان إلا بأمر وسط يكون بينهما ويكون ذلك الأمر في نفسه ذا جهات فما أظله فهو سماء وما أقله فهو أرض له، وإن شئت قلت في الملأ الأعلى والملأ الأسفل أنه كل ما تكون من الطبيعة فهو الملأ الأسفل، وكل ما تولد من النور فهو الملأ الأعلى، وأكمل العالم من جمع بينهما وهو البرزخ الذي بجهاته ميزهما أو بجمعيته ميزهما بالعلوّ والسفل من حيث المؤثر والمؤثر فيه اسم فاعل واسم مفعول، والحق تعالى بالنظر إلى نفسه لا يتصف بشيء مما يتصف به وجود العالم، فالعظمة والكبرياء المنسوبان إليه في ألسنة الفهوانية أن الله لما نسب الكبرياء الذي له ما جعل محله إلا السموات والأرض فقال: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ ما قال في نفسه فالمحل هو الموصوف بالكبرياء الذي لله، فالعالم إذا نظر إلى نفسه صغيراً ورأى موجده منزهاً عما يليق به سمى ربه كبيراً وذا كبرياء لما كبر عنده بما له فيه من التأثير والقهر، فلو لم يكن العالم مؤثراً فيه لله تعالى ما علم أنه صغير ولا أن ربه كبير، وكذلك رأى لما قامت الحاجة به والفقر إلى غيره احتاج أن يعتقد ويعلم أن الذي استند إليه في فقره له الغنى فهو الغني سبحانه في نفس عبده، وهو بالنظر إلى ذاته معرى عن النظر إلى العالم لا يتصف بالغنى لأنه ما ثم عن من، وكذلك إذا نظر إلى ذله علم أنه لا يذل لنفسه وإنما يذل تحت سلطان غيره عليه فسماه عزيزاً لأنه عز الحق في نفس هذا العبد لذله، فالعبد هو محل الكبرياء والغنى والعظمة، والعزة التي لله

Marfat.com

فوصف العبد ربه بما قام به فأوجب المعنى حكمه لغير من قام به، ومن هنا برقت بارقة لمن قال من أهل النظر أن الباري مريد بإرادة حادثة لم تقم به لأنه ليس محلاً للحوادث فخلق إرادة لا في محل فأراد بها فأوجبت الإرادة حكمها لمن لم تقم به هذا القدر، وهو الذي لاح عندهم من روح هذا الأمر الذي ذكرناه في الكبرياء، وما تم لهم تحقيق النظر إلى آخره بل عبروا عن ذلك بعبارات سيئة مختلطة، فإن أكثر العقلاء يرون أن المعاني لا توجب أحكامها إلا لمن قامت به، وهذا غلط طرأ عليهم لكونهم أثبتوا الصفات أعياناً متعددّة وجودية لا تقوم بنفسها بل تستدعي موصوفاً بها تقوم به فيوصف بها، فلو علموا أن ذلك كله نسب وإضافات في عين واحدة تكون تلك العين بالنسبة إلى كذا عالمة، وإلى كذا قادرة، وإلى كذا مريدة، وإلى كذا كبيرة، وإلى كذا غنية، وإلى كذا عزيزة إلى سائر الصفات والأسماء لأصابوا، ألا تراهم يقولون في الكبرياء والعظمة والغنى والعزة أنها صفات تنزيه أي هو منزه عندهم عن نقيضها؟ وليس الأمر عند المحققين كما قالوه وإنما هو منزه عن قيام الكبرياء به بحيث أن يكون محلاً له، بل الكبرياء محله الذي عينه الحق له وهو السموات والأرض فقال: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ وهو أي هوية الحق العزيز أي المنيع لذاته أن تكون محلاً لما هي السموات الأرض له محل وليس إلا الكبرياء، فما كبر إلا في نفس العالم وهو أجل من أن يقوم به أمر ليس هو بل هو الواحد من جميع الوجوه وهو الحكيم بما رتبه في الخلق، ومن جملة ما رتبه بعلمه وحكمته أنه جعل السموات والأرض محلاً لكبريائه فكأنه يقول: وله الكبرياء الذي خلقه في نفس السموات والأرض حتى يكبروا إلههم به وكذلك وقع فكبروه في نفوسهم فقالوا: ﴿إنه ذو الجلال﴾ أي صاحب الجلال الذي نجده في نفوسنا له ﴿والإكرام﴾ بنا، فإن نظرت بعين الحقيقة ففتح الله منك عين الفهم علمت من سميت ومن وصفت ومن نعت ولمن هي هذه النعوت وبمن قامت وإلى أي عين نسبت؟.

وأما قوله فيما وصف به نفسه مما هو عند النظار صفة للخلق حقيقة وأخذوه في الله تجوّزاً من جوع وظمأ ومرض وغضب ورضى وسخط وتعجب وفرح وتبشبش إلى قدم ويد وعين وذراع وأمثال ذلك مما وردت به الأخبار عن الله على ألسنة الرسل، وما ورد من ذلك في الكلام المنسوب إلى الله المعبر عنه بصحيفة وقرآن وفرقان وتوراة وإنجيل وزبور فالأمر عند المحققين أن هذه كلها صفات حق لا صفات خلق، وأن الخلق اتصف بها مزاحمة للحق كما اتصف العالم أيضاً بجميع الأسماء الإلهية الحسنى وأجمع النظار عليها والكل

Marfat.com

أسماؤه من غير تخصيص، هذا مذهب المحققين فيه فإنه صادق ولهذا نحن في ذلك على التوقيف فلا نصفه إلا بما وصف به نفسه ولا نسميه إلا بما سمى به نفسه لا نخترع له اسماً ولا نحدث له حكماً ولا نقيم به صفة، فإنه قد قدمنا لك أنه لا يماثلنا ولا نماثله، فليس كمثله شيء منا وليس كمثلنا شيء منه، فهو لنفسه بنفسه ونحن لنا به لأنا لا نستقل بوجودنا كما استقل هو إلا أنه خلق العالم على صورته، ولذلك قبل التسمي بأسمائه، فانطلق على العالم ما انطلق على الحق من حيث ما أطلقه الحق على نفسه، فعلمنا أنه في أسمائه الأصل لا نحن، فما أخذ شيئاً هو لنا ولا نستحقه بل كل ذلك له، ومن جملة ما خلق الله الخيال وظهر لنا فيه بهذه الأسماء والصفات ففصلنا وقسمنا ورفعنا وخططنا ولم يترك شيئاً من صفات العالم عندنا إلا وصفنا بها خالقنا فكشف لنا فإذا ذلك كله صفاته لا صفاتنا، فصفات العالم على الحقيقة هوية الحق والاختلاف في التجليات الإلهية لحقائق الممكنات في عين الحق فإنه عين الصورة التي أدركناها، إذ لا نشك فيما رأينا أنا رأينا الحق بالعلامة التي بيننا وبينه وهو من هويته بصرنا وسمعنا، فما رأيناه إلا به لا ببصرنا ولا سمعنا كلامه إلا به لا بسمعنا، فلا بد من عين هو مسمى العالم، ولا بد من عين هو مسمى الحق، ليس كمثل واحد شيء من الآخر، فهذا بعض ما يحوي عليه التواضع الكبريائي، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والثمانون وثلثمائة

في معرفة منازلة مجهولة وذلك إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق وكل شيء عند الحق معين فقد قصده من الحق ما لا يناسب قصده من عدم التعيين

نكون على النقيض إذا اجتمعنا وأن بنا نكون على السواء
وفي التحقيق ما في الكون عين بلا شك سواه ولا مراء
فقل للمنكرين صحيح قولي عميتم عن مطالعة العماء
وعن نفس تكوّن فيه خلق كثير شكله شكل المرائي
فيقلب صورة الرائي إليه بحكم ثابت في كل رائي

قال الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فعين لمعين وزاد غير معين، سألت بعض شيوخنا عن الزيادة فقال: ما لم يخطر بالبال. وقال ﷺ: «**إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر، ولا بد أن يكون في البشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذي ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول، وقال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس﴾ فنكر ونفى العلم ما أخفى لهم من قرّة أعين، فعلمنا على الإجمال أنه أمر مشاهد لكونه قرنه بالأعين لم يقرنه بالأذن ولا بشيء من الإدراكات، ولذلك علمنا أن قوله ﷺ: «**جعلت قرّة عيني في الصلاة**» أنه ما أراد المناجاة وإنما أراد شهود من ناجاه فيها، ولهذا أخبرنا أن الله في قبلة المصلي فقال: «**أعبد الله كأنك تراه**» فإنه ﷺ كان يراه في عبادته ما كان كأنه يراه، ومن أهل الله من تكون له هذه الرتبة ولولا حصولها ما قرنها بالعبادة دون العمل، فما قال: اعمل لله كأنك تراه فإن العبادة من غير شهود صريح أو تخيل شهود صحيح لا تصح، وفي هذا الباب قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وفيه علم مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وكل ما هو علمه موقوف على الله لا يعلم إلا بإعلام الله أو بإشهاده، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ومن هذا الباب: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ من غير تعيين أيام معينة.

Marfat.com

أما صورة هذه المنازلة من العبد فهي كما قال أبو يزيد في الجلوس مع الله بلا حال ولا نعت وهو أن يكون العبد في قصده على ما يعلمه الله لا يعين على الله شيئاً فإنه من عين في قصده على الله شيئاً فلا فرق بينه في الصورة وبين من عبد الله على حرف، فصاحب هذه المنازلة يعبد ربه بتعيين الأوقات لا بتعيينه فهو في حكم وقته والوقت من الله لا منه، فلا يدري بماذا يفجأه وقته، فغايته أن يكون مهيأ لوارد مجهول إلهيّ يقيمه في أي عبادة شاء، فتنتج له تلك العبادة من الحق في منازلته ما لا يناسب ذلك العمل في علمه إلا أنه مناسب لعبادته في ذلك العمل، فهو زيادة بالنظر إلى العمل نتيجة بالنظر إلى العبادة فيه، وهذا مقام ما وجدنا له ذائقاً في علمنا من أهل الله لأن أكثرهم لا يفرقون بين العبادة والعمل، وكل عمل لا يظهر له الشارع تعليلاً من جهته فهو تعبد، فتكون العبادة في كل عمل غير معلل أظهر منها في العمل المعلل، فإن العمل إذا علل ربما أقامت العبد إليه حكمة تلك العلة وإذا لم يعلل لا يقيمه إلى ذلك العمل إلا العبادة المحضة.

واعلم أن العبادة حال ذاتيّ للإنسان لا يصح أن يكون لها أجر مخلوق لأنها ليست بمخلوقة أصلاً، فالأعيان من كل ما سوى الله مخلوقة موجودة حادثة، والعبادة فيها ليست بمخلوقة فإنها لهذه الأعيان أعني أعيان العالم في حال عدمه وفي حاله وجوده، وبها صح له أن يقبل أمر الله بالتكوين من غير تثبط، بل أخبر الله تعالى أنه يقول له: ﴿كن فيكون﴾ فحكم العبادة للممكن في حال عدمه أمكن فيه منها في حال وجوده، إذ لا بد له في حال وجوده واستحكام رأيه ونظره لنفسه واستقلاله من دعوى في سيادة بوجه ما ولو كان ما كان فينقص له من حكم عبادته بقدر ما ادّعاه من السيادة، فلذلك قلنا أن حكم العبادة للممكن أمكن منه في حال عدمه منها في حال وجوده، فمن استصحبته فقد استصحبه الشهود دنيا وآخرة ونعته إذا كانت هذه حالته أنه لا يفرح بشيء ولا يحزن لشيء ولا يضحك ولا يبكي ولا يقيده وصف ولا يميزه نعت وجودي فلا رسم له ولا وصف.

قال أبو يزيد البسطاميّ رضي الله عنه في هذا المقام: ضحكت زماناً وبكيت زماناً وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي. وقال في هذا المقام لما قيل له كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي فوصف نفسه بالإطلاق، ولا يصح الإطلاق إلا في العبادة خاصة لأن العبد مقيد بإرادة السيد الذي يملكه فيه، ومن كان له الإطلاق فلا يتقيد أجره ولا يتعين لأنّ العبد لا أجر له ما هو مثل الأخير، وقد كان لشيخنا أبي العباس العريني من العليا من غرب الأندلس وهو أوّل شيخ خدمته وانتفعت به له

Marfat.com

قدم راسخة في هذا الباب باب العبودية وإنما صاحبها العبد في شأنه كما أن الحق في شأنه فجزاء الإطلاق الإطلاق، سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» وما ذكر العمل وإنما ذكر العبادة، وقال الله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ فهو قولنا: ما جزاء الإطلاق إلا الإطلاق، والأجور مقيدة من عشر إلى سبعمائة ضعف لأنها أجور أعمال معينة متناهية الزمان، فلا بدّ أن يتقيد أجرها بالعدد، ولو كان جزافاً فإنه مقيد بالعدد من عند الله كالصابر يوفى أجره بغير حساب معين علمه عندنا وعند الله مقيد بقدر معلوم، لأن الصبر يعم جميع الأعمال لأنه حبس النفس على الأعمال المشروعة، فلهذا لم يأخذه المقدار والأعمال تأخذها المقادير، فعلى قدر ما يقام فيه المكلف من الأعمال إلى حين موته فهو يحبس نفسه عليها حتى يصح له حال الصبر واسم الصابر فيكون أجره غير معلوم ولا مقدر عنده جملة واحدة، وإن كان معلوماً عند الله كالمجازفة في البيع من غير كيل في المكيل ولا وزن في الموزون وفارق الصبر العبادة بأن العبادة له في حال عدمه وعدم تكليفه، والصبر لا يكون له في حال عدمه ولا في حال عدم تكليفه، فالعبادة لا تبرح معه دنيا ولا آخرة، فإذا كان مشهده عبادته في حال ارتقائه ونزل الحق إليه كما وصف الحق نفسه بالنزول فوقع الاجتماع وهو المنازلة فمن حيث أن العبد ذو عمل من الأعمال لأنه لا بد أن يكون في عمل مشروع صالح وهو الذي يصعد به فإنه براقه لأنه محمول فيتلقاه من الله من حيث ذلك العلم بالبرّ الذي عينه الله لمن جاء به وهو مقدر معلوم، ثم أن الحق ينظر في هذا المكلف فيراه مع كونه في عمله غير مشهود له ذلك العمل لعلمه أن الله هو العامل به لا هو، وأنه محل لخلق العمل به، وكالآلة لوجود ذلك العمل، فيكون الحق يعطي استحقاق ذلك العمل من حيث ما وعد به فيه، وينظر ما مشهد ذلك الشخص فيجده في عبادته التي لم يزل عليها في حال عدمه، فما ثم جزاء في مقابلتها إلا أن لا يرزقه الغفلة عنها في زمان خلق الغفلات في المكلفين ما ثم إلا هذا، وهو الذي قلنا في الممكن في حال وجوده أنه لا بد من حكم سيادة تظهر منه لأنه في زمان حكم الغفلات.

فالعناية بهذا العبد في هذه المنازلة رفع الغفلة عن العبادة في كل حال، فهذه هي الزيادة في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ﴿للذين أحسنوا بالأعمال الحسنى﴾ بما لهم من الأجور بل بما للأعمال من الأجور، فإنها بعينها للعامل ﴿وزيادة﴾ هي ما ذكرناه في حق صاحب العبادة فإنه لا يرزقه الغفلة في وقت العمل عمن هو العامل، فيرى أن العامل هو الله، وليس يعود الأجر الذي يطلبه العمل إلا على العامل، فالعامل عنده هو الله فأجرته

Marfat.com

لو كان ممن يقبل الأجور على قدره فيحصل للمكلف الذي هو الآلة القابلة للأجور أجر من لو قبل الله الأجر كيف يكون أجره هل يكون إلا على قدره، وإن قيده العمل فأين أجر هذا المكلف، فلا يحصل له سوى أجر العمل خاصة إلا على قدر أجر العامل لأن العامل عنده عينه ولا قدر له، ولولا ظهوره واتصافه بطاعة ربه في عمله لم يكن له قدر من نفسه، ولهذا ترى مآل المخالف إلى ما يكون، فلو كان له قدر في نفس الأمر لسعد بحكم قدره وإنما يسعد برحمة الله ولم تتفاضل سعادتهم لو كان لهم قدر يستحقون به السعادة، ولا نشك أنهم في السعادة متفاضلون كما أنهم في الأعمال متفاضلون من حال وزمان ومكان وعين عمل ودوام واجتماع وانفراد إلى غير ذلك فيما يقع به بالتفاضل، فعلمنا أنه ما ثم جزاء القدر، فعلمنا أن الإنسان من حيث عينه لا قدر له لا بطاعة ربه وقدر عمله.

ثم إن الحق بعد هذا النظر وتعيين الجزاء كما قرّرناه ينظر في شهود هذا المكلف فيراه ذا عبادة والعمل تابع لها فيه وهو لا يتصف بالإعراض عن الأعمال ولا بالإقبال عليه، وأنه على الحال الذي كان عليه في حال عدمه لم يتغير فيبقيه على حاله ويحجب الغفلة عنه فلا يكون له أثر فيه بوجه من الوجوه، وهذه هي العصمة العامة، فإذا وقعت منه مخالفة فإنما تقع بحكم القضاء والقدر من تكوينهما فيه كما وقعت الطاعة فما ينقص له من حاله في عبادته لأن الغفلة محجوبة عنه والحضور له دائم، فإذا وقع منه ما وقع فهو من الله عين تكوين لذلك الواقع في هذا المحل ظاهره صورة معصية لحكم خطاب الشرع وهي في نفس الأمر أعني تلك الواقعة موجود أوجده الله في هذا المحل من الموجودات المسبحة بحمده فلا أثر لهذه المخالفة فيه كما لا أثر للطاعة فيه، فتسعد النفس الحيوانية بذلك العمل كان العمل ما كان في الظاهر مما يجري عليه لسان ذنب أو لسان خير، فإنه في نفس الأمر ليس بذنب، وإنما حركته الحيوانية كحركات غير المكلف لا تتصف بالطاعة ولا بالمعصية، وإنما ذلك إنشاء صور في هذا المحل ينظر إليها علماء الرسوم قد ظهرت من مؤمن عاقل بالغ فيحكمون عليه بحسب ما هي عندهم في حكم الشرع من طاعة أو معصية ما يلزمهم غير هذا ما لم يدخل لهم الاحتمال فيه، فإن دخل لهم الاحتمال في ذلك لم يجز لهم أن يرجحوا جانب لسان الذنب على غير ذلك، كرجل أبصرته في بلدة صحيحاً سوياً في رمضان يأكل نهاراً مع معرفتك به أنه مؤمن فيدخل الاحتمال فيه أن يكون به مرض لا تعرفه أو يكون في حال سفر ولا تعرف ذلك فليس لك أن تقدم على الإنكار عليه مع هذا الاحتمال ولا يلزمك سؤاله عن ذلك بل شغلك بنفسك أولى بك.

Marfat.com

وأما قوله في هذا الباب ﷺ: «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فاعلم أنه ما سميت الجنة جنة إلا لما نذكره، وكذلك تسمية الملائكة جنة وكذلك الجن، فكل ذلك راجع إلى الاستتار، والاستتار ما هو على نمط واحد بل حكمه مختلف، وذلك أن من هذا النوع كون الحق يتجلى في القيامة ويقول: أنا ربكم ويرونه ومع هذا ينكرونه ولا يصدقون به أنه ربهم مع وجود الرؤية على رفع الحجاب، فإذا تحوّل لهم في العلامة التي يعرفونه بها يقولون له أنت ربنا وهو كان الذي أنكروه وتعوّذوا منه، وهو الذي أقروا به واعترفوا، فما هو هذا الحجاب الذي حصل لهم مع الشهود؟ هل هو أمر وجودي أو حكم عدمي؟ فهو مشهود محجوب ولا حجاب وجودي ولا حكم للعدم في الموجود فانظر ما أخفى هذا وليس في العالم في الدنيا واقع إلا هذا في جميع الأمور والناس في غفلة عنه، كما أنا نؤمن أن الملك معنا والشيطان معنا والحجب المحسوسة ما هي موجودة عندنا وأعيننا ناظرة، ومع هذا فلا ندرك الملك ولا الجان وهو يرانا وقبيله من حيث لا نراه، فهو وقبيله يرانا شهوداً عينياً، ونحن نراه إيماناً لا عيناً، فما هو هذا الستر الذي بيننا؟ إذ لو كان بيننا لحجبهم عنا كما يحجبنا عنهم فلا بد من تعيين حكمة في ذلك، وكذلك الحجب التي ذكر الله عن نفسه التي بيننا وبينه من نور وظلمة، فمن الظلمة وقع التنزيه فنفينا عنه صفات المحدثات فلم نره فنحن جعلنا الحجب على أعيننا بهذا النظر، والنور كظهوره لنا حتى نشهده وننكر أنه هو كما قدمنا في التجلي في القيامة، وهو عند العارفين اليوم في الدنيا على هذا الحكم، فيشهده العارفون في صور الممكنات المحدثات الوجود، وينكره المحجوبون من علماء الرسوم، ولهذا يسمى بالظاهر في حق هؤلاء العارفين، والباطن في حق هؤلاء المحجوبين، وليس إلا هو سبحانه وتعالى، فأهل الله الذين هم أهله لم يزالوا ولا يزالون دنيا وآخرة في مشاهدة عينية دائمة، وإن اختلفت في الصور فلا يقدح ذلك عندهم.

فإن قال قائل: فموسى أحق بهذه الصفة من الوليّ وقد سأل الرؤية. قلنا له: قد ثبت عندك إن كنت مؤمناً وإن لم تكن من أهل الكشف أن النبيّ ﷺ قد أخبر أن الله يتجلى في صورة ويتحوّل إلى صورة وأنه يعرف وينكر إن كنت مؤمناً لا تشك في هذا، وأنه قد بين أن التجلي في الصور بحسب قدر المتجلي له، فإذا علمت هذا تعلم أن موسى قد رأى الحق بما هو متجل للأولياء، إذ علم أنه يتجلى للأولياء في صور مختلفة لأن موسى وليّ الله، وقد علم ذلك ومثل هذا فلا يخفى، وإنما سأل التجلي في الصورة التي لا يدركها إلا الأنبياء،

Marfat.com

ومن الأنبياء من خصه الله بمقام لم ينله غيره، كالكلام بارتفاع الوسائط لموسى عليه السلام، فطلب موسى عليه السلام من ربه أن يراه في تلك الصورة التي يطلبها مقامه. وأما رؤيته إياه في الصورة التي يراها الأولياء فذلك خبره وديدنه، وما جعلك تقول مثل هذا على طريق الاعتراض إلا لكونك لست بوليّ عارف إذ لو كنت من العارفين لشهدته، ولم يغب عنك علم ما انفصلنا به في جواب سؤالك فصح قوله أن في الجنة ما لا عين رأت أي في الستر اعتباراً لا تفسيراً إذا لو رأته عين ما كان مستوراً ولو رأته لنطقت به وكان مسموعاً، ولو كان مسموعاً لكان محدوداً، ولو كان محدوداً لأخطرته فكان معلوماً، فهو أمر حجبنا عنه بحجاب لا يعرف، فإنه في الستر المعبر عنه بالجنة، فإذا كان عينه عين الستر فما حجبنا إلا جعلنا ما رأيناه ستراً فتعلقت الهمة بما خلف الستر وهو المستور فأتى علينا منا وما جعلنا في ذلك إلا التنزيه، ولهذا جاءت الأنبياء عليهم السلام مع التنزيه بنعوت التشبيه لتقرّب الأمر على الناس وتنبه الأقربين إلى الله الذين هم في عين القرب مع الحجاب الذي هو الأمر عليه، فيكون في ذلك التنبيه بالتشبيه رفع الأغطية عن البصر، فيتصف البصر بأنه حديد كما يتصف بصر المحتضر، قال تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ فيرى المحتضر ما لا يراه جلساؤه، ويخبر جلساءه ما يراه ويدركه ويخبر عن صدق، والحاضرون لا يرون شيئاً كما لا يرون الملائكة ولا الروحانيين الذين هم معه في مجلس واحد، وقد أخبرنا الله بأن الملائكة تحضر مجالس الذكر وهم السياحون في طلب هذه المجالس، فإذا رأوا مجلس الذكر نادى بعضهم بعضاً: هلموا إلى بغيتكم، وليس أحد من البشر من أهل ذلك المجلس يدركهم إلا من رفع الله الغطاء عن بصره فأدركهم وهم أهل الكشف، ألم تستمع لقول النبي ﷺ للذين يمشون خلف الجنائز ركاباً ألا تستحيون أن الملائكة تمشي على أقدامها في الجنازة وأنتم تركبون.

فالمؤمن ينبغي أن يعامل الموطن بما يعامله به صاحب العيان وإلا فليس بمؤمن حقاً، فإن لكل حق حقيقة وليست الحقيقة التي لكل حق إلا إنزاله منزلة المشهود المدرك للبصر، وقد قال هذا رسول الله ﷺ للرجل الذي سمعه يقول: أنا مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: **«إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال الرجل: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً يعني يوم القيامة، فقال له رسول الله ﷺ: عرفت فالزم»** ففسر الحقيقة بالنظر والرؤية وجعله بكأن لأن يوم القيامة ما وقع حساً ولكن وقع في حقه ممثلاً فأدركه في التمثيل كالواقع في الحس كالعابد الذي قال له: اعبد الله كأنك تراه، فما هذا مثل العرش

Marfat.com

البارز فإن الله هنا موجود في نفس الأمر في قبلة المصلي أو العابد في أي عمل كان، وبروز العرش ليس كذلك، فمن الناس من يعبد الله كأنه يراه للحجاب الذي منعه من أن يراه، ومن الناس من يعبده على رؤية ومشاهدة، وليس بين الذي يراه والذي لا يراه إلا كون هذا الذي لا يراه لا يعرفه مع أنه مشهود له عزّ وجلّ والعارف يعرفه، ولكن مثل هذه المعرفة لا ينبغي أن تقال فإنها لا تقبل، فإذا شهدها الإنسان من نفسه لم يتمكن له أن يجهلها فيكون عند ذلك من الذين يرون الله في عبادتهم ويزول عنهم حكم كأنك تراه فاعلم ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ يعني للقوم الذين تقدم وصفهم جزاء بما كانوا يعملون فما هو جزاؤهم هنا إلا إخفاؤهم ذلك عن هذه النفس التي لا تعلم، فيكون إخفاء حال هؤلاء وما لهم عند الله عن هذه النفوس التي لا تعلم جزاء لهم أي جزاؤهم أن يجهل مقامهم عند الله فلا تقدر نفس قدرهم كما قال الحق عن نفسه: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فأعطاهم نعته في خلقه، فلم تعلم نفس ما أخفي لهؤلاء من قرّة أعين مما تقرّ به أعينهم وكذلك قال ﷺ: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» وإنما ذكر الأعين دون جميع الإدراكات لأن كل كلام إلهيّ وغير إلهيّ لا بد أن يكون عينه عن عين موجودة وما ثم إلا كلام فما ثم إلا أعيان توجد، ومتعلق الرؤية إدراك عين المرئي واستعداد المرئي للرؤية سواء كان معدوماً أو موجوداً، فإذا رآه قرّت عينه بما رآه إذ كان غيره لا يرى ذلك، ولهذا سأل موسى الرؤية لتقر عينه بما يراه، فكان رسول الله ﷺ في حال صلاته صاحب رؤية وشهود، ولذلك كانت الصلاة محل قرّة عينه لأنه مناج والأعيان كما قلنا تتكوّن بالكلام فهو والحق في إنشاء صور ما دام مناجياً في صلاته، فيرى ما يتكوّن عن تلاوته وما يتكوّن عن قول الله له في مقابلة ما تكلم به كما ورد في الخبر الذي فيه تقسيم الصلاة من قول العبد فيقول الله.

وأما قوله في هذا الباب: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ فإن مآل الشيء لا يصح أن يكون واقعاً فيرى إلا إن مثل للرائي فهو كأنه يراه فإن المآل يقابل الحال، فالحال موجود والمآل ليس بموجود، ولهذا سمي مآلاً، والتأويل هو ما يؤول إليه حكم هذا المتشابه، فهو محكم غير متشابه عند من يعلم تأويله وليس إلا الله والراسخ في العلم يقول: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ يعني متشابهة ومحكمه، فإذا أشهده الله مآله فهو عنده محكم وزال عنه في حق هذا العالم التشابه فهو عنده كما هو عند الله من ذلك الوجه، وهو عنده أيضاً متشابه لصلاحيته إلى الطرفين من غير تخليص كما هو في نفس الأمر بحكم الوضع المصطلح عليه، فهو وإن

Marfat.com

عرف تأويله فلم يزل عن حكمه متشابهاً، فغاية علم العالم الذي أعلمه الله بما يؤول إليه علمه بالوجه الواحد لا بالوجهين، فهو على الحقيقة ما زال عن كونه متشابهاً لأنّ الوجه الآخر يطلبه بما يدل عليه ويتضمنه كما طلبه الوجه الذي أعلم الله به هذا الشخص، فعلم الله على الحقيقة به أن يعلم تأويله أي ما يؤول إليه من الجانبين في حق كل واحد، أو الجوانب إن كانوا كثيرين، فيعلمه متشابهاً لأنه كذا هو إذ كل جانب يطلبه بنصيبه ودلالته منه، فالمحكم محكم لا يزول، والمتشابه متشابه لا يزول، وإنما قلنا ذلك لئلا يتخيل أن علم العالم بما يؤول إليه ذلك اللفظ في حق كل من له فيه حكم أنه يخرجه عن كونه متشابهاً ليس الأمر كذلك بل هو متشابه على أصله مع العلم بما يؤول إليه في حق كل من له نصيب فيه، فهذه الإحاطة مجهولة ولا تعلم إلا في هذه المنازلة، فيعطى من هذا المتشابه كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه من الشبه والاشتراك. وأما مفاتح الغيب فلا يعلمها إلا هو وهو من هذا الباب فلا تعلم إلا بإعلام الله، وإن كانت تعلم فلا تعلم أنها مفاتح الغيب، فتنبه لهذا واعلم أن الإعلام أظهر لنا أن الاستعدادات من القوابل هي مفاتح الغيب لأنه ما ثم إلا وهب مطلق عام وفيض جود ما ثم غيب في نفس الأمر ولا شهود بل معلومات لا نهاية لها، ومنها ما لها وجود، ومنها ما لا وجود لها، ومنها ما لها سببية، ومنها ما لا سببية لها، ومنها ما لها قبول الوجود، ومنها ما لا قبول لها، فثم مفتاح وفتح ومفتوح يظهر عند فتحه ما كان هذا المفتوح حجاباً عنه، فالمفتاح استعدادك للتعلم وقبول العلم والفتح التعليم والمفتوح الباب الذي كنت واقفاً معه، فإذا لم تقف وسرت رأيت في كل قدم ما لم تره فعلمت ما لم تكن تعلم ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾.

فالاستعداد غير مكتسب بل هو منحة إلهية فلهذا لا يعلمه إلا الله فيعلم أن ثم مفاتح غيب لكن لا يعلم ما هو مفتاح غيب خاص في مفرد مفرد من الغيوب، فإذا حصل الاستعداد من الله تعالى حصل المفتاح وبقي الفتح حتى يقع التعليم كما قال: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ فالتعليم هو عين الفتح. ومن هذا الباب ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ كالصلاة على الراحلة فالمستقبل لا يتقيد فهو بحسب ما تمشي به كذلك لا يعرف العارف أين يسلك به ربه في مناجاته فإنه بحسب ما يناجيه به من كلامه، وكلامه سور القرآن، فأي سورة أو أي آية شاء قرأ من غير تعيين لأن الشارع ما قيده بسورة بعينها فهو بحسب ما يلقى في خاطره وذلك إلى الله، فكما لا علم له بما يلقيه في نفسه مما يناجيه به إلا حتى يلقيه كذلك لا يعلم ما يقول له الحق في مناجاته في منازلته.

Marfat.com

ومن هذا الباب قوله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ وأيام الله التي يقطعها العبد بعمره لا يعين قدرها ولهذا نكرها، فالذي يجب على المكلف في سفره عدة من أيام أخر له الاختيار في تعيينها ولكن لا يدري ما يعين منها إلا بإلقاء الله في نفسه ذلك والصوم لا مثل له فلا يدري في أي صفة يقيمه مما لا مثل لها من جانب الحق وهي كل صفة إلهية لا يمكن للعبد الاتصاف بها وإن علمها، كما يعلم أن الحق لا يماثله ولا يكون بهذا العلم إلهاً لأن الألوهة ليست صفته، وهذا معنى قوله ﷺ حين سأل ربه: «**اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك**» فدخل في هذا كل اسم ممكن أن يتصف به وكل اسم لا يمكن أن يتصف به، فما لا يتصف به من الأسماء لا مثل له، فيكون معلوماً لنا في صومنا غير قائم بنا بحيث أن نتصف به، هذا فائدة عدم التعيين في الأيام التي نصومها إذا كنا مسافرين فأفطرنا فنقضي أيام رمضان أو نؤديه في أيام غير معينة، فصاحب هذه المنازلة يقصد الله تعالى في عروجه فارغ القلب خالي النفس عرياً عن قصد اسم معين إلهي بما أنت عبد وبما هو إله فعال لما يشاء، لا يخطر لك أمر تطلبه منه إنما هو أن تكون معه في عروجك بحسب ما يكون منه مع حفظ أوقاتك فيما وقع عليك من التكليف لاقتضاء حق الوقت ومراعاة خطاب الشرع مع غيبتك عنك في ذلك بتوليه فيما أنت فيه وأنت محل لجريان مقاديره مع التحفظ ولزوم الأدب أن يجعلك محلاً لما حجره عليك، فإن أنت سلكت على هذا الأسلوب يبدو لك من الحق في منازلته ما لم يخطر لك بخاطر بل ما لا ينقال ولا تسعه العبارة.

Marfat.com

الباب التاسع والثمانون وثلثمائة

في معرفة منازلة إليّ كونك وإليك كوني

إلـيّ منـك الـدنـو وقتـا ... وثـم وقتـا إليـك منـي
أخـذت عنـك العلـوم فضـلاً ... وأنـت أيضـاً أخـذت عنـي
أنيتـي فيـك يـا حبيبـي ... إذا يقـول اللسـان أنـي
مـا أصعـب القول منك عندي ... إذا يقـول الفـؤاد صلنـي
ولـم أغـب عنـه إذ تجلـى ... ولـو درى لاشتهـى التمنـي

قال الله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ فهذه عين المنازلة لأن كل صورة منهما فارقت مكانها فكانت كل صورة من الأخرى أدنى من قاب قوسين لكل واحدة من الصورتين قوس أظهر التقويس والفرقان بين الصورتين الخط الذي قسم الدائرة بنصفين فكان الأمر عيناً واحدة، ثم ظهر بالصورة أمران، فلما صار الحكم أمرين كان من الأمر الواحد تدلياً لأن العلو كان له وفي عين هذا التدلي دنو من الأمر الآخر، وكان من الآخر تدان إلى من تدلى إليه فكان دنوه عروجاً لأن تدلي الأمر الآخر إليه أعلمنا أن السفل كان قسم هذا الآخر، وما تدانى كل واحد من الآخر إلا ليرجع الأمر كما كان دائرة واحدة لا فصل بين قطريها فكلتهما يسعيان في إزالة الخط الذي أوجب التقسيم في الدائرة، فموضع التقسيم قوله: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**» وما للعبد سؤال إلا إزالة هذه القسمة حتى يعود الأمر كما كان، فأجابه الحق إلى سؤاله بقوله: «**ولعبدي ما سأل**» فقال: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾:

فتـدليـه دنـو ... وتـدانينـا عـروج
وافتـرقنـا واجتمعنـا ... إننـا زوج بهيـج
حـدثـت حيـن افترقنا ... فـي سمـائنـا بـروج
ولهـا مـن أجل كوني ... فـي ذواتنـا فـروج
فنكـاح مستمـر ... وولـوج وخـروج

Marfat.com

ومن ذلك :

فكـان منـه التـدلـي　　　وكـان منـي التـدانـي
حتـــى أراه بعينـــي　　　كمـــا يقـــول يـرانـــي

ولما التقينا عن حب واشتياق خاطبني من أعلم في سري :

اجعل يديك على الكبد　　　تجـد الـذي منكـم أجـد
وابرح إلى طلب الوصال　　　وقـــل لـــه هبنـــي وزد
لـولا وجـود العلـم فيـه　　　مـــا تـــذكـــر مـــن عبـــد
فـإن أنكـروا هـذا فقـل　　　إن القـــرآن بـــذا ورد

قال الله عزّ وجلّ: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ فخص طائفة بالتعيين ﴿ولينذروا به﴾ فعين طائفة أخرى ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ فعين طائفة أخرى ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ فعيننا وهؤلاء هم الذين ذكرنا وهم العلماء بالله وبالأمر على ما هو عليه، فلم يكن الخط الذي قسم الدائرة إلا عين تميزي عنه وتميزه عني من الوجه الذي كان به إماماً وكنت به عبداً، فلما تحقق التمييز ووقع الانفصال بالتكوين وأظهر الخط حكمه ووصفنا بالحجاب عنه ووصف نفسه حجب الأنوار والظلم عنا وشرع لنا ما شرع وأمرنا بالإنابة إليه ووصف نفسه بالنزول إلينا علمنا أنه يريد رجوع الأمر إلى ما كان عليه بعد علمنا بما قد علمنا وتحققنا بما به تحققنا قال عن نفسه إنه سمعنا الذي نسمع به وبصرنا الذي نبصر به، وذكر لنا جميع القوى التي نجدها من نفوسنا وأثبت في هذا الوصل أعياننا، فلا يشبه ما رجع الأمر إليه ما كان عليه قبل الفصل، لأن الذي أثبته الخط من الحكم ما يزول وإن زال الخط فأثره باق لأنا قد علمنا أن الدائرة قابلة للقسمة بلا شك ولم نكن نعلم ذلك قبل، فإذا اتصلت الدائرة فلا يزول العلم منا أنها ذات قسمين من أي جزء فرضته فيها وإنما تقبلها من أي حد فرضته فيها لما ورد في الأخبار الإلهية من اتصاف الحق تعالى بصفات الخلق واتصاف الخلق بصفات الحق كما قال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فإن قلت الرحمن سميته بجميع الأسماء الحسنى. وإن قلت الله سميته بجميع الأسماء الحسنى، وكذلك تقول الخلق الذي هو العالم يقبل أسماء الحق وصفاته، وكذلك الحق يقبل صفات الخلق لا أسماءه بالتفصيل ولكن يقبلها بالإجمال، فقبوله بالإجمال مثل قوله: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ وكونه لا يقبل أسماء العالم

Marfat.com

بالتفصيل فأعني بذلك الأسماء الأعلام وهو قوله: ﴿قل سموهم﴾ يريد الأسماء الأعلام وما عدا الأسماء الأعلام فيقبلها الحق على التفصيل، فإن الحق ما له اسم علم لا يدل على معنى سوى ذاته، فكل أسمائه مشتقة تنزلت له منزلة الأعلام، ولهذا وقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء الحق ولم يقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء العالم فتحقق ما نبهنا عليه، فأعظم ما أخذه من صفاتنا الذي يدل الدليل على إحالته ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ فما كان بعد هذا فهو أهون من تحوله في الصور وغير ذلك وعلى الحقيقة فكلها نعوته، وأعظم ما أخذنا نحن منه علمنا به الذي يحيله الدليل وهو قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقول رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» فأخذنا عنه وأخذ عنا:

فيا حيرة أبدت حقائق كونه ويا خيبة للعبد حين تفوته
فمن كان أحياه يحير ذاته ومن لم يحر فيه فعنه يميته
إذا كان قوت الخلق كوناً محققاً فإله الحق للعبد قوته

قيل لسهل بن عبدالله: ما القوت؟ قال: الله. واعلم أن الإل بكسر الهمزة هو الله تعالى، والإل أيضاً العهد بكسر الهمزة، فقوله: إلى كونك أي ألوهتي ما ظهرت إلا بك، فإن المألوه هو الذي جعل في نفسه وجود الإله ولهذا قال: «من عرف نفسه عرف ربه» فمعرفتك بالله أنه إلهك أنتجته معرفتك بذاتك ولذلك ما أحالك الله في العلم به إلا عليك وعلى العالم، فكل ما ثبت لله تعالى من الأحكام ما ثبت إلا بالعالم، فعين الإل من حيث عينه هو الموصوف بهذه الأحكام، فلو ارتفع العالم من الذهن ارتفعت الأحكام الإلهية كلها وبقي العين بلا حكم، وإذا بقي بلا حكم وإن كان واجب الوجود لذاته لم يلزم أن يكون له حكم الألوهة، فوجود أعياننا من وجوده، ووجودنا أثبت العلم به في ذواتنا، ولولا أن ذاته أعطت وجودنا ما صح لنا وجود عين، وهذا معنى قول العلماء: إن العالم استفاد الوجود من الله. وأما قوله إلك كوني فهو عين قوله: «كنت سمعه وبصره» فجعل هويته عين مسمى سمعنا وقوانا وليس العالم إلا بهذا الحكم:

فإن فنيت لم أكن وإن بقيت لم أكن
فكلنا لكلنا وكلنا من قول كن
منا ومنه فاعتبر تجده فيك يستكن
فاستره لا تظهره كما أتى في لم يكن

Marfat.com

فيها بدت مشرقة شمس له ما قد سكن
فما لنا سواه من مستند ومن سكن

فالحق مصرف العالم والعالم مصرف الحق ألا تراه يقول: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ أليست الإجابة تصريفاً؟ هل يتصوّر إجابة من غير نداء وسؤال لا يصح أن يتصرّف في نفسه فما له تصرّف إلا فينا فتصرّفه إيجاده إيانا دائماً فأعيان تظهر وأحكام له تحدث وتعلقات لا تنكر:

فإن قلت أنا واحد كنت صادقاً وإن قلت لسنا واحداً لم تكذب

فيا ليت شعري من يجهل وما ثم إلا الله فالكل عالم بما لا يعلمه ثم يعلمه ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ وقد ظهر بعض رشح من هذا المشهد على طائفة من أصحاب النظر لا يعرف من أين جاءهم ذلك، فحكي عنهم أنهم يقولون: إن الله لا يعلم نفسه لأن العلم بالشيء يقتضي الإحاطة بالمعلوم وهو لا يتناهى وجوده ووجوده عين ماهيته ليس غيرها، وما لا يتناهى لا يكون محاطاً به إلا أنه لا يتناهى وأحاط علماً به أنه لا يتناهى لا له ولا للعالم، وهذا وإن كان قولاً فاسداً فإن له وجهاً إلى الصحة وذلك أنه لا يعلم نفسه على جهة الإحاطة بل يعلم نفسه أنها لا تقبل الإحاطة كما يعلم الممكنات وجميع المقدورات أنها لا تتناهى، فانظر في هذا الرشح من هذا البحر الغمر كيف أثر في العالم نحلة ظهرت في العين وبدت إلى عالم الكون حتى سطرت في الدفاتر وسارت بها الركبان وتسامر بها العلماء، وما ثم قائل إلا الله ولا منطق إلا الله، وما بقي إلا فتح عين الفهم لتنطيق الله من حيث أنه لا ينطق إلا بالصواب، فكل كلام في العالم فهو إما من الحكمة أو من فصل الخطاب، فالكلام كله معصوم من الخطأ والزلل إلا أن للكلام مواطن ومحال وميادين له فيها مجال رحب تتسع ميادينه بحيث أن تنبو عن إدراك غايتها عيون البصائر:

فينطق حين ينطق بالصواب على ما يقتضي فصل الخطاب
وترجع حسراً أبصار قوم عموا فيها عن الأمر العجاب

فإذا أردت السبيل إلى فهم هذه المعاني فتعمل في تكثير النوافل التي لها أصل في الفرائض، وإن تمكن لك أن تكثر من نوافل النكاح فإنه أعظم فوائد نوافل الخيرات لما فيه من الازدواج والإنتاج فتجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوتك شيء من العالم الصادر

Marfat.com

عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغالك بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما ترومه من ذلك، فإذا فعلت هذا أحبك الحق، وإذا أحبك غار عليك أن تشهدك عين أو يقيدك كون، فأدخلك في حمى حرمه وجعلك من جملة أحبابه وأهلك له فصرت له أهلاً كما قال في الحديث في أهل القرآن: «أنهم أهل الله وخاصته» خرج ذلك الترمذي في مصنفه، وإذا اتخذك أهلاً جعلك محلاً لإلقائه وعرشاً لاستوائه وسماء لنزوله وكرسياً لقدميه، فظهر لك فيك منه ما لم تره مع كونه فيك وهو قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ لأن جنوبهم تجافت عن المضاجع الطبيعية وصاروا أهلاً للموارد الإلهية والشوارد الربانية، فمياههم عذبة صافية، وعروشهم عن كل ما سوى ما يلقي الله إليهم خاوية، آبارهم معطلة، وأبوابهم مقفلة، وقصورهم مشيدة، ضاعت مفاتح أقفالها، وتقطعت حبال آبارها، فتنظر إلى مياهها ولا تذاق فتستحسن على جهالة فإذا سردت أخبارها قرآناً ظهر إعجازها فلم يستطع أحد معارضتها فيستحليها، فإذا سئل عن معانيها لا يدري ما يقول إذ لا ذوق له فيها إلا ما أعطاه الشهود، فغايته أن يقول: ﴿إن هذا إلا سحر﴾ ويؤثر لاختلاط ضوئه بظلمته تشبيهاً بسحر الليل، وبالسحر الذي يخرج الهواء الحار ويسوق الهواء البارد لتبقى بذلك الحياة على هيكل الحيوان فلا يدري الناظر فيه أي وجه يستقبل به فإنه مهما أقبل على وجه أعرض عن الآخر إلا أن يكون نبياً فيرى من خلفه كما يرى من أمامه فيكون وجهاً كله، وذلك هو المعبر عنه بالذوق الذي يكون عنه حقيقة الاشتياق والشوق فما ينطق عن هوى ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ علمه ذو القوة المتين في صورة شديد القوى ﴿فما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم﴾ فإنه من عين القرب أخبر لأنه من دنا فتدلى فكان كما تقدم ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ وما هو من مرجمات الظنون كما يقولون في أصحاب الكهف الفتية المعلومة: ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ يقول: ما هم على تحقيق فيما يخبرون به من عددهم هذا رجم في العدد، وأين أنت لو أخذوا في حقيقة المعدود لخاضوا وما حصلوا على طائل، ألا ترى إلى قوله تعالى لنبيه ﷺ الذي ليس من شأنه ولا من شأن الأنبياء عليهم السلام أن ينهزم ولا أن يقتل في مصاف: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾ فوصفه بالانهزام وقوله صدق، ألا ترى ذلك عن رؤيته أجسامهم أليسوا أناسي مثله فما ينهزم إلا من أمر يريد إعدامه ولا يملأ مع شجاعته وحماسته رعباً إلا من شيء يهوله، فلو لم ير منهم ما هو أهول مما رآه ليلة إسرائه ما امتلأ رعباً مما رآه، وقد رأيناهم وما ملئنا رعباً لأنا ما شهدنا منهم إلا صور

Marfat.com

أجسامهم فرأيناهم أمثالنا فذلك الذي كان يملؤه رعباً وما ذكر الله إلا رؤية عينهم لأنه قال: ﴿لو اطلعت عليهم﴾ فوصفه بالاطلاع فهم أسفل منه بالمقام، ومع هذا كان يولي منهم فراراً خوفاً أن يلحق بهم فينزل عن مقامه ويملأ منهم رعباً لئلا يؤثروا فيه كما قلنا من تأثير الأدنى في الأعلى كقوله ﷺ: «**رب ضاحك ملء فيه لا يدري أرضى الله أم أسخطه**» وقال ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله. ومن علم الأمر على هذا حقيق عايه أن يولي فراراً ويملأ رعباً هل رأيتم عاقلاً يقف على جرف مهواة إلا ويفر خوفاً من السقوط؟ فانظر فيما تحت هذا النعت الذي وصف الله به نبيه لو اطلع على الفتية مع علوّ رتبتهم وشأنهم فعلوّه أعلى ورتبته أسنى فعرفنا بذلك ينبهنا على علوّ رتبة نبينا محمد ﷺ فأعيان الفتية كانت المشهودة لنا ولم نول ولا ملئنا رعباً، وأعيان الفتية لو اطلع عليهم نبينا لولى فراراً منهم ولملىء رعباً، فانظر إلى ماذا ترجع صور العالم هل لأنفسهم أو لرؤية الناظر وتدبر ما قلناه كما تعلم قطعاً أن حبال السحرة وعصيهم في عينها حبال وعصيّ وفي نظرنا حيات فهي عين الحيات وهي عين العصي والحبال، فانظر ما ترى واعلم ما تنظر وكن بحيث تعلم لا بحيث ترى فإن الله ينكر بالرؤية ولا ينكر بالعلم، فإذا لم ينكر بالرؤية فبشاهد العلم لم ينكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة زمان الشيء

وجوده إلا أنا فلا زمان لي وإلا أنت فلا زمان لك فأنت زماني وأنا زمانك

إذا قلنا بأن النعت عين فأين الواحد المنعوت منه
وقد جاء الخطاب الحق فينا أخذناه عن الإرسال عنه
بأن الله ليس له شريك ولا مثل ولا يبديه كنه
فإن حصلت سر الكون فيه فكن منه على علم وصنه
فمهما قلت لست أنا بلا هو فضدّ القول والتعيين من هو
إذا حققت قولي يا قسيمي علمت فلم تقل من أنت من هو

قال الله تعالى حكاية عن قوم يقولون: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ وصدقوا فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أن الله هو الدهر فما أهلكهم إلا الله كما هو في نفس الأمر، اعلم أن الزمان نسبة لا وجود له في عينه وقد أطال الناس الكلام في ماهيته، فخرج من مضمون كلامهم ما ذكرناه من أنه نسبة وأنه يحدث بحدوث السؤال بمتى فيحدث له أسماء بحدوث السؤال مثل حين وإذ وإذا، وحروف الشرط كلها أسماء الزمان والمسمى أمر عدمي كلفظة العدم فإنها اسم مسماها لا عين له مع تعقل الحكم له فلنمثل ليفهم ما ذكرناه، يقال: متى جاء زيد؟ الجواب: حين طلعت الشمس مثلاً وإذا طلعت الشمس ومتى تطلع الشمس من مغربها حين يأذن الله لها في ذلك وإذا يأذن الله، ومهما أذن الله لها طلعت في جواب هل تطلع الشمس من المغرب فيعود مشرقاً فيكون هذا وأمثاله جوابه فيعقل منه الزمان إن جاء زيد أكرمتك، المعنى: حين يجيء زيد أكرمك، المعنى زمان مجيء زيد، زمان وجوب كرامتك عليّ التي أوجبها على نفسي بمجيء زيد فهو للمحدثات زمان وللقديم أزل، ومعقوليته أمر متوهم ممتد لا طرفين له، فنحكم عليه بالماضي لما مضى فيه ونحكم عليه بالمستقبل لما يأتي فيه، ونحكم عليه بالحال لما هو فيه، وهو مسمى الآن، والآن وإن كان زماناً فهو حدّ لما مضى في الزمان، ولما استقبل في الزمان كالنقطة تفرض في محيط الدائرة

Marfat.com

فتعين لها البدء والغاية حيث فرضتها منها، فالأزل والأبد عدم طرفي الزمان فلا أوّل له ولا آخر والدوام له وهو زمان الحال والحال له الدوام، فلا يزال العالم في حكم زمان الحال، ولا يزال حكم الله في العالم في حكم الزمان ولا يزال ما مضى منه وما يستقبل في حكم زمان الحال.

ألا ترى في كلام الله في إخباره إيانا بأمور قد انقضت عبر عنها بالزمان الماضي، وبأمور تأتي عبر عنها بالزمان المستقبل، وأمور كائنة عبر عنها بالحال، فالحال ﴿كل يوم هو في شأن﴾ والماضي: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ والمستقبل: ﴿إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ﴿وسأصرف عن آياتي الذين يتكبرون﴾ ﴿وسأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ ونطلب عند هذا كله عيناً وجودية يكون هذا كله فيها وهي له كالظرف فلا نجدها لا عقلاً ولا حساً لكن وهماً ظرفياً، وذاك الظرف مظروف لظرف متوهم لا يتناهى يحكم به الوهم لا غير، فما ثم إن عقلت ما يعقل بالوهم ولا يعقل بالعقل ولا بالحس إلا الوجود الحق الذي نستند إليه في وجودنا، فلهذه النسبة تسمى لنا بالدهر حتى لا يكون الحكم إلا له لما يتوهم من حكم الزمان إذ لا حاكم إلا الله، ففيه ظهرت أعيان الأشياء بأحكامها فهو الوجود الدائم، وأعيان الممكنات بأحكامها تظهر من خلف حجاب وجوده للطافته، فنرى أعيان الممكنات وهي أعياننا من خلف حجاب وجوده. ولا نراه كما نرى الكواكب من خلف حجب السموات ولا نرى السموات وإن كنا نعقل أن بيننا وبين الكواكب سموات إلا أنها من اللطافة لا تحجب من يكون وراءها ﴿والله لطيف بعباده﴾ فمن لطفه أنه هو الذي يأتيهم بكل ما هم فيه ولا تقع أبصار العباد إلا على الأسباب التي يشهدونها فيضيفون ما هم فيه إليها فظهر الحق باحتجابه فهو الظاهر المحجوب، فهو الباطن للحجاب لا لك، وهو الظاهر لك وللحجاب، فسبحان من احتجب في ظهوره وظهر في حجابه فلا تشهد عين سواه ولا ترتفع الحجب عنه ولم يزل رباً ولم نزل عبيداً في حال عدمنا ووجودنا، فكل ما أمر سمعنا وأطعنا في حال عدمنا ووجودنا إذا لم يخاطبنا بفهوانية الأمثال والأشكال، فإذا خاطبنا بفهوانية الأمثال والأشكال وألسنة الأرسال، فمن كان منا مشهوده ما وراء الحجاب وهو المثل والرسول سمع فأطاع من حينه، ومن كان مشهوده المثل سمع ضرورة ولم يطع للحسد الذي خلق عليه من تقدم أمثاله عليه فظهر المطيع والعاصي أي عصى على مثله لكونه ما نفذ فيه أمره بالطاعة ما عصى على الله ولهذا قال بعضهم: إنما احتجب الله في الدنيا عن عباده لأنه سبق في علمه أنه يكلفهم ويأمرهم وينهاهم، وقد قدر

Marfat.com

عليهم بمخالفة أمره وبموافقته في أوقات، فلا بد من ظهور المخالفة والموافقة، فخاطبهم على ألسنة الرسل عليهم السلام وحجب ذاته سبحانه عنهم في صورة الرسول وذلك لأنه قال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وقال: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فلولا أن الرسول صورته الظاهرة المشهودة ما صح هذا القول فوقعت المخالفة من المخالف بالقدر السابق والحكم القضائي، ولا يتمكن أن يخالف أمره على الكشف فانحجب بالأرسال انحجابه بالأسباب فوقع الذم على الأسباب فهي وقاية الرحمن، فما خالف أحد الله تعالى وما خولف إلا الله تعالى، فلا تزال الأسباب للمحجوبين مشهودة، ولا يزال الحق للعارفين مشهوداً مع عقلهم الحجب في حق من حجبته، فكثف اللطيف عندهم ولطف الكثيف عند العارفين بالله:

فيعلم العقل ما لا يشهد البصر وتشهد العين ما ترمي به الفكر

فجمع العارفون بين العقل والبصر، فلهم قلوب يفقهون بها، ولهم أعين يبصرون بها، ولهم آذان يسمعون بها، والمحجوبون على قسمين: منهم من له قلب لا يفقه به وعين لا يبصر بها ومنهم من له قلب يفقه به وله عين لا يبصر بها وهم المؤمنون فيعلمون ولا يشهدون، ومن عداهم لا يعلمون ولا يشهدون، وأهل الله يعلمون ويشهدون، ولهذا إذا خاطبهم يسمعون ويطيعون ويشهدون ذواتهم محلاً لما يخلق الله فيها مما يحكم فيه أنه مخالفة وموافقة، فهو مطيع مهيأ لقبول ما يتكوّن فيه كالرحم من المرأة مهيىء لما يتكوّن فيه غير ممتنع، فالعبد الذي بهذه المثابة شجنة موجده فهو رحمان في العالم رحيم بالمؤمنين، فالرب زمانه المربوب والمربوب زمانه الرب، لأنه ما ثبت الحكم لكل واحد بما حكم عليه به إلا بالآخر، فمن كون كل واحد ينطلق عليه ﴿ليس كمثله شيء﴾ لا يكون واحد منهما زماناً للآخر لارتفاع النسب، وهذا لا يكوَن إلا بالنظر لعين كل واحد لا لحكمه، فإذ انتقلت إلى النظر في الحكم الذي هو موقوف على العالم به وعلى الحق بالعالم صح أن يكون الحكم من كل واحد زماناً للآخر كالمتضايفين متى صحت الأبوة لزيد على عمرو قيل: حين صحت النبوة لعمرو من زيد، فزمان أبوة زيد بنوة عمرو، وزمان بنوة عمرو أبوة زيد، فالأب زمانه الابن، والابن زمانه الأب، وكذلك الملك والملك والملك والمالك، والقادر والمقدور، والمريد والمراد، والعالم والمعلوم، غير أن العالم والمعلوم قد تكون العين واحدة لأنه قد يكون العالم يعلم نفسه فهو المعلوم لنفسه وهو العالم بنفسه فهو العالم

Marfat.com

المعلوم له، بخلاف المريد والمراد لأنّ المراد لا يكون أبداً إلا معدوماً، ولا يكون المريد إلا موجوداً، وكذلك القادر والمقدور لا يكون المقدور أبداً إلا معدوماً فإذا وجد فلا معدم له بعد وجوده إلا بنفسه أو إمساك شرط بقائه أي بقاء الوجود عليه غير ذلك لا يكون، فقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يريد به مسك الشرط المصحح لبقاء الوجود عليكم فتنعدمون إذ لم يوجده سبحانه فإن له التخيير في إيجاد كل ممكن أو تركه على حاله من اتصافه بالعدم، فإذ قد علمت بما ذكرناه ما هو الزمان فبعد ذلك أدخل مع الناس فيما دخلوا فيه من أن الزمان الليل والنهار والأيام، أو الزمان مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك، أو الزمان مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى، وأمثال هذه الأقوال لا يضرك القول بها فإنها قد استقرّت ولها صحة في النسب الزمانيّ والله يقدر الليل والنهار بالإيلاج والغشيان والتكوير لإيجاد ما سبق في علمه أن يظهر فيه من الأحكام والأعيان في العالم العنصريّ فنحن أولاد الليل والنهار، فما حدث في النهار فالنهار أمه والليل أبوه لأن لهما عليه ولادة، وما ولد في الليل فالليل أمه والنهار أبوه فإن لهما عليه ولادة، فلا يزال الحال في الدنيا ما دام الليل والنهار يغشي أحدهما الآخر، فنحن أبناء أم وأب لمن ولد معنا في يومنا أو في ليلنا خاصة، وما ولد في الليلة الثانية والنهار الثاني فأمثالنا ما هم إخوتنا لأن الليل والنهار جديدان فأبوانا قد انعدما فهذان أمثالهما لا أعيانهما وإن تشابها فهو تشابه الأمثال، فإذا كان في الآخرة كان الليل في دار جهنم والنهار في دار الجنة فلم يجتمعا مع الولادة التي توجد في النار والجنان من حدوث التكوين فيهما فذلك مثل حوّاء من آدم، ومثل عيسى من مريم، فهذه هي ولادة الآخرة ضرب الله بعيسى ومريم وحوّاء وآدم مثلاً لنا فيما يتكوّن في الآخرة، فليس توليد الأكوان في الآخرة عن نكاح زماني بإيلاج ليل في نهار ونهار في ليل فإنهما مثلان في الزمان الذي هو اليوم الجامع لهما فقسمه الله في الآخرة بين الجنة والنار، فأعطى ظلمة الليل للنار وأعطى نور النهار للجنة ومن مجموعهما يكون اليوم وهو يوم الآخرة فإنه جامع للدارين.

والزمان محصور في سنة وشهر وجمعة ويوم، فيقسم الزمان على أربعة أقسام لأن الفصول الطبيعية أربعة، لأن الأصل في وجود الزمان الطبيعة ورتبتها دون النفس وفوق الهباء الذي يسميه الحكماء الهيولى الكل، وحكم التربيع فيها من حكم التربيع في الأحكام الإلهية من حياة وعلم وقدرة وإرادة، بهذه الأربعة ثبتت الألوهة للإله فظهر التربيع في الطبيعة ثم نزل الأمر، فظهر التربيع في الزمان الأكبر وهو السنة فانقسمت السنة إلى أربعة فصول: ربيع وصيف وخريف وشتاء، أحدث هذا الحكم فيها نزول الشمس في البروج،

Marfat.com

والبروج قسمتها الطبيعة تقسيمها العناصر التي هي الأركان إلى نارية وهوائية ومائية وترابية، كما قسمت العناصر إلى نار وهواء وماء وتراب، كما قسمت الأخلاط في الحيوان إلى صفراء ودم وبلغم وسوداء، ثم اندرج الزمان الصغير الذي هو الشهر والجمعة في الزمان الكبير وتعددت الشهور بتعداد البروج اثني عشر شهراً فقسمت عليها الأيام بحكم الرأي إلا أيام العرب أعني شهور العرب فإنها مقسمة بسير القمر فهي مقسمة بتقسيم الله لا بتقسيمنا، فلما ظهرت السنة بقطع الشمس هذه البروج كذلك ظهر الشهر العربي بقطع القمر هذه البروج، فالشهر الإلهيّ ثمانية وعشرون يوماً وشهر الرؤية والتقدير بحسب الواقع، ثم يقع التقدير في الزمان الممتد بأحد هذه الأربعة إما بالسنة أو بالشهر أو بالجمعة أو باليوم لا يقع التقدير إلا بهذا، وأعني باليوم اليوم الصغير من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس مثلاً وهو الذي يحدث عند انتهاء دورة الفلك المحيط الذي يدور بالكل وهو الذي يتعين بالعين كما قلنا بطلوع الشمس إلى طلوع الشمس مثلاً فيعلم أن الدورة المحيطة بالأفلاك قد انتهت في أعيننا ولا حد لها في نفسها، فما في الفلك المحيط سوى دورة واحدة لا تتصف بالانتهاء فنحن فرضنا فيها البدء والغاية والإعادة والتكرار ما هي في نفسها بهذا الحكم والأيام كثيرة ولكن لا تعد إلا بهذا اليوم الصغير المعلوم عندنا الجامع لليل والنهار فتعد الأيام به أو بالشهر أو بالسنة لا غير، وقد ورد أن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون بهذا اليوم الصغير، وقد ورد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وأيام الدجال يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا المعهودة، فاليوم الذي نعد به الأيام الكبار هو يوم الشمس، ويوم القمر ثمانية وعشرون يوماً من أيام الشمس، وكذلك نأخذ أيام كل كوكب بهذا اليوم الحاكم على الكل إذ كان انتهاء دورة الفلك المحيط فنأخذ يوم كل كوكب بقدر قطعه الفلك الأقصى وهو الأطلس الذي لا كوكب فيه، فأكبرها قطعاً فيه فلك الكواكب الثابتة، وإنما سميت ثابتة لأن الأعمار لا تدرك حركتها لقصر الأعمار لأن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى في مائة سنة إلى أن تنتهي إليها، فما اجتمع من السنين فهو يوم ذلك الكوكب فيحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة، وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم أن تاريخ أهرام مصر بنيت والنسر في الأسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الأهرام:

لم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع

ولقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم وأنا طائف بالكعبة مع قوم من الناس لا

Marfat.com

أعرفهم بوجوههم فأنشدونا بيتين ثبت علي البيت الواحد ومضى عني الآخر فكان الذي ثبت عليه من ذلك:

لقـد طفنـا كمـا طفتـم سنينـا بهـذا البيـت طـراً أجمعينـا

وخرج عني البيت الآخر فتعجبت من ذلك فقال لي واحد منهم وتسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم ثم قال لي: أنا من أجدادك، قلت له: كم لك منذ مت؟ فقال لي: بضع وأربعون ألف سنة، فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين، فقال لي: عن أي آدم تقول عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ﷺ أن الله خلق مائة ألف آدم فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك، فإن العالم لا تصح له رتبة القدم أي نفي الأوّلية لأنه مفعول لله أوجده عن عدم مرجح بوجود مرجح لأن الإمكان له من ذاته فالترجيح لا يزال له، وكل ما زاد على الأعيان التي هي محل ظهور الأحكام فصورتها صورة الزمان نسب وإضافات لا أعيان لها من أكوان وألوان ونعوت وصفات، ولكل نسبة وإضافة وكون ولون ونعت وصفة اسم خاص أو أسماء، هذا تحقيق الأمر في كل ما ذكرناه وقل بعد ذلك ما شئت.

Marfat.com

الباب الأحد والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه أقدام الرجال السؤال

رأيت الحق في الأعيان حقاً وفي الأسما فلم أره سوائي
ولست بحاكم في ذاك وحدي فهذا حكمه في كل رائي
وعند المثبتين خلاف هذا هو الرائي ونحن له المرائي

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وهو القائل: ﴿فاقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ فأظهر آمراً وأمراً ومأموراً في هذا الخطاب التكليفي، فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال: ما هم أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أيّ آلة كانت للقتل، فالقتل وقع في المقتول بالآلة ولم يقل فيه أنه القاتل، وقيل في الضارب به أنه القاتل كذلك الضارب به بالنسبة إلينا مثل السيف له عنده، فلا يقال في المكلف أنه القاتل بل الله هو القاتل بالمكلف وبالسيف فقام له المكلف مقام اليد الضاربة بالسيف كالحجر الأسود يمين الله في البيعة تقبيلاً واستلاماً كالمصافحة من الشخصين وتحرير هذه المنازلة معرفة الأمور الموجبة للأحكام هل لها أعيان وجودية أو هي نسب تطلبها الأحكام؟ فهي معقولة بأحكامها، وبقي العلم في المحل الذي ظهرت فيه هذه الأحكام ما هو هل هو عين الممكن وهذه النسب للمرجح مثل ما قال: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وقوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أو هل المحل وجود الحق وهذه الأحكام أثر الممكنات في وجود الحق وهو ما يظهر فيه من الصور، فكل صورة تشهد صورة وهي آثار الممكنات في وجود الحق، فيرى زيد صورة خالد في وجود حق، ويرى خالد صورة زيد في وجود حق، وكذلك كل حالة يرى تلك الصورة عليها مثل الصورة سواء، وكلا الأمرين قد قال به طائفة من أهل الله وكيفما كان على القولين فلا يتمكن لكل صاحب قول الثبات على أمر واحد بل بنفس ما يثبت الحكم لأمر يثبته لأمر آخر وينفيه عن ذلك الأمر الأوّل فهو ينفي السابق ويثبت اللاحق، فبأيّ أمر بدأ يكون له هذا الحكم في القولين معاً مثل قوله: ﴿وما رميت﴾ فنفى ﴿إذ رميت﴾ فأثبت الرمي لمن نفاه عنه، ثم لم

Marfat.com

يثبت على الإثبات بل أعقب الإثبات نفياً كما أعقب النفي إثباتاً فقال: ﴿ولكن الله رمى﴾ فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة، فلهذا سميت هذه المنازلة المسلك السيال تشبيهاً بسيلان الماء الذي لا يثبت على شيء من مسكله إلا قدر مروره عليه، فقدم رجاله غير ثابتة على شيء بعينه لأن المقام يعطي ذلك وهو عين قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ومقدار اليوم الزمن الفرد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ مع كونهم سمعوا، فانظر إلى هذا الذم كيف أشبه غاية الحمد فيمن كان الحق سمعه وبصره، فمن كان الحق سمعه فقد سمع ضرورة فلم يسمع إلا بربه فهو سامع لا بنفسه، ولا يصح أن يكون محلاً لهوية ربه فعينه وجود الحق والحكم للممكن فإن ذلك أثره ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ والوجود هو الخير فيتصفون بالوجود ولو أسمعهم إذ أوجدهم لتولوا إلى ذواتهم فيعلمون أنهم ما سمعوا فكنى عنه بالإعراض لأن الحق هو السامع وهم له كالأذن لنا آلة نسمع بها أصوات المصوّتين وكلام المتكلمين، فهو المخاطب والمخاطب، وهو المتكلم السامع ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بما قلنا ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ فوحد الداعي بعد ذكر الاثنين فعلمنا أن الأمر واحد وما سمعنا متكلماً إلا الرسول بالسماع الحسيّ وسمعنا كلام الحق بسمع الحق بالسمع المعنويّ، فالله والرسول اسمان للمتكلم فإن الكلام لله كما قال الله، والمتكلم المشهود عين لسان محمد ﷺ ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾:

فليس عيني سواه ... فما أبيت إياه
فمن يشاهد بعين الـ ... ـوجود يشهد إياه
فنحن فيه سواء ... كما يراني أراه

وقد ذكرنا جماع هذا الباب مختصراً كافياً، والله يقول الحق وهو يهدي السبل.

Marfat.com

الباب الثاني والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة من رحم رحمناه ومن لم يرحم رحمناه ثم غضبنا عليه ونسيناه

من أراد الحق يطلبه ... وفي وجود الملك والملكوت
كلمات الحق ليست سوى ... ما بدا من عالم عن ثبوت
والذي في ليس معدنه ... في مقام نحن عنه سكوت
كما نلناه من كرم ... فهو المدعو بالرحموت
والذي البرهان يظهره ... قائم في برزخ الجبروت
ظاهر الأكوان باطنها ... رهبوت عينه رغبوت
فمآل الكون أجمعه ... لمقر العفو والرحموت

قال الله تعالى في افتتاح كلامه الجامع: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم﴾ وأكد هذا العالم بأن نعته بأنه ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وقال ﷺ في الثابت عنه: «**الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**» وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**». وقال ﷺ في حديث الشفاعة: «**إن الله يقول: شفعت الملائكة وشفع النبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين**».

اعلم أن العالم لما أقام الله نشأته على التربيع وأعني بالعالم هنا الإنس والجان الذين يعمرون الدارين الجنة والنار جعل في أم الكتاب الذي يقضي على جميع ما يتضمنه العالم أربع رحمات لكل ربع من كل شخص شخص رحمة، فضمن الآية الأولى من أم الكتاب وهي البسملة رحمتان وهما قوله: الرحمن الرحيم، وضمن الآية الثالثة منها أيضاً رحمتين وهما قوله: الرحمن الرحيم فهو رحمن بالرحمتين العامة وهي رحمة الامتنان، وهو رحيم بالرحمة الخاصة وهي الواجبة في قوله: ﴿فسأكتبها للذين يتقون الآيات﴾ وقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وأما رحمة الامتنان فهي التي تنال من غير استحقاق بعمل وبرحمة الامتنان، رحم الله من وفقه للعمل الصالح الذي أوجب له الرحمة الواجبة فبها ينال العاصي

Marfat.com

وأهل النار إزالة العذاب عنهم وإن كانت مسكنهم ودارهم جهنم وهذه رحمة الامتنان، قوله لنبيه ﷺ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ وهذا معنى قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي الطريق الذي أنعمت بها عليهم وهي الرحمة التي أعطتهم التوفيق والهداية في دار التكليف وهي رحمة عناية، فكانوا بذلك غير مغضوب عليهم ولا ضالين لما أعطاهم من الهداية فلم يحاروا، يقول من غضب الله عليه: امنن علينا بالرحمة التي مننت بها على أولئك ابتداء من غير استحقاق حتى وصفتهم بأنهم غير مغضوب عليهم إذ قد مننت عليهم بالهداية فأزالت الضلالة التي هي الحيرة عنهم، فمن بالذي يزيل ما استحققناه من غضب الله فيرحمهم الله برحمة الامتنان وهي الرحمة التي في الآية الثالثة بالاسم الرحمن فيزيل عنهم العذاب ويعطيهم النعيم فيما هم فيه بالاسم الرحيم، فليس في أم الكتاب آية غضب بل كلها رحمة وهي الحاكمة على كل آية في الكتاب لأنها الأم فسبقت رحمته غضبه، وكيف لا يكون ذلك والنسب الذي بين العالم وبين الله إنما هو من الاسم الرحمن فجعل الرحم قطعة منه فلا تنتسب الرحم إلا إليه، وما في العالم إلا من عنده رحمة بأمر مّا لا بد من ذلك، ولا يتمكن أن تعم رحمة المحدث رحمة القديم في العموم لأن الحق يعم علمه كل معلوم، والحق لا يحيط أحد من علمه إلا بما شاء، فيرحم الخلق على قدر علمهم كما رحم الله على قدر علمه، فكل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام فإنه شفاء له مما يجده من ألم الغضب، وصدقة الإنسان على نفسه أفضل الصدقات، فإذا رحم نفسه وزال الغضب أعقبته الرحمة وهي الندم الذي يجده الإنسان إذا عاقب أحداً ويقول: لو شاء الله كان العفو عنه أحسن لا بد أن يقول ذلك إما دنيا وإما آخرة في انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن إقامة الحدود من هذا القبيل، فإن إقامة الحدود شرع من عند الله ما للإنسان فيها تعمل، فقد وصل الإنسان بهذا الفعل رحمه وإليه وصول الرحمة، فلا بد أن ينال الخلق كلهم رحمة الله، فمنهم العاجل والآجل لأنه ما ثم إلا من وصل رحمه فوصله الله من ذلك الوجه، ومن قطع رحمه أي بعض رحمه لأن القطع لا يتمكن له أن يعم فإن عين قطع رحم خاص وصل رحم آخر له، ففي قطعه وصل وما في وصله قطع، فيشفع الموصول من الأرحام والشفاعة مقبولة، ويقيم الوزن على المقطوع بالتعريف فإنه لا بد أن يكون أيضاً ذلك المقطوع قد قطع رحماً له، فإذا طلب ممن قطع صلة الرحم عنه يقول له الحق كما آخذ لك آخذ منك ويعلمه بأنه أيضاً قد قطع رحماً له فيسأل الله العفو والتجاوز فيقول الله له: فاعف أنت عن قاطع رحمه فيك حتى أعفو عنك، فالبضرورة يقول: قد عفوت لأن ذلك الموطن يطلب من

Marfat.com

الخائف طلب العفو فيعفو فيعفو الله عنه فتناله رحمة الله بعفو هذا ويوصل رحم آخر له فيشفع فيه، وهذا معنى قول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين**» فيكون منه في عباده ما ذكرناه وأمثاله من كل ما يستدعي الرحمة، فإن رحمة الله سبقت غضبه فهي إمام الغضب، فلا يزال غضب الله يجري في شأوه بالانتقام من العباد حتى ينتهي إلى آخر مداه فيجد الرحمة قد سبقته فتتناول منه العبيد المغضوب عليهم فتنبسط عليهم ويرجع الحكم لها فيهم، والمدى الذي يعطيه الغضب هو ما بين الرحمن الرحيم الذي في البسملة، وبين الرحمن الرحيم الذي بعد قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فالحمد لله رب العالمين هو المدى فأوّله الرحمن الرحيم وانتهاؤه الرحمن الرحيم، وإنما كان ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ عين المدى فإن في هذا المدى تظهر السراء والضراء ولهذا كان فيه الحمد وهو الثناء، ولم يقيد بضراء ولا سراء في هذا المدى لأنه يعم السراء والضراء، فكان رسول الله ﷺ يقول في السراء: «**الحمد لله المنعم المفضل**» وفي الضراء: «**الحمد لله على كل حال**» فحمد الله قد جاء في السراء والضراء فلهذا كان عين المدى، وما من أحد في الدار الآخرة إلا وهو يحمد الله ويرجو رحمته ويخاف عذابه واستمراره عليه، فجعل الله عقيب قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ فالعالم بين هذه الرحمة ورحمة البسملة بما هو عليه من محمود ومذموم، وهذا شبيه بما جاء في سورة ألم نشرح قوله تعالى: ﴿إن مع العسر يسرا ثم إن مع العسر يسرا﴾ ولقد أنشد بعضهم في هذا:

إذا ضاق بك الأمر ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا ذكرته فافرح

لأنه سبحانه نكر اليسر وأدخل الألف واللام اللتين للعهد والتعريف على العسر أي هذا العسر الثاني هو عين الأول وليس ذلك في اليسر، وهو تنبيه عجيب من الله لعباده ليقوي عندهم الرجاء والطمع في رحمة الله فإنه أرحم الراحمين، فإنه إن لم يزد على عبيده في الرحمة بحكم ليس لهم فما يكون أرحم الراحمين وهو أرحم الراحمين بلا شك، فوالله لا خاب من أحاطت به رحمة الله من جميع جهاته فاعلم ذلك. وإذا صحت الحقائق فليقل الأخرق ما شاء فإن جماعة نازعونا في ذلك، ولولا أن رحمة الله بهذه المثابة من الشمول لكان القائلون بمثل هذا لا ينالهم رحمة الله أبداً، فالله أسأله أن لا يلحقنا بالجاهلين فإنه ما

Marfat.com

ثم صفة ولا عتوبة أقبح من الجهل، فإن الجهل مفتاح كل شر ولهذا قال لمحمد ﷺ: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ خاطبه بمثل هذا الخطاب لحداثة سنه وقوة شبابه فقابله بخطاب قوي في النهي عن ذلك، وقال تعالى لنوح عليه السلام لما لم يكن له قوة الشباب وكان قد شاخ وحصل في العمر الذي لا يزال فيه محترماً مرفوقاً به في العرف والعادة ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ فرفق به في الخطاب حين وعظه، فإنه لا بد من الفرق بين خطاب الشباب وخطاب الشيوخ، كما أنه لا بد من الفرق في الخطاب بين الأحوال كما نفرق نحن في الثناء على الله بالأحوال فنقول في خطاب السرّاء: الحمد لله المنعم المفضل. ونقول في الضراء: الحمد لله على كل حال لاختلاف الباعث على الحمد علمنا ذلك رسول الله ﷺ بفعله، فأما الرحماء من عباد الله بعباد الله بل بخلق الله مطلقاً فإن الله يسرع إليهم بالرحمة عندما يلقونه إذا رحموا الخلق لرحمة تقوم بنفوسهم بعطفهم على خلق الله فيرحمهم الله فإنها أعمالهم ترد عليهم كما ورد في الخبر، فبرحمتهم رحمهم الله سبحانه:

فـلا تحـالـف ولا تشـاقـق   وكـن صـدوقـاً ولا تفـارق

فمن رحم خلق الله فإنما رحم نفسه، ثم أن لله رحمة أخرى بهم زائدة على ما رحمهم به من أجل رحمتهم بخلق الله التي هي من أعمالهم، وصورتها أن الراحم منا إذا رحم خلقاً من خلق الله فلا يخلو إما أن تكون رحمته به إزالة ما يؤلم ذلك الخلق المرحوم خاصة أو يزيده مع ذلك إحساناً، مثل من يخرج شخصاً من السجن استحق العذاب وحال بينه وبين نزول العذاب به بشفاعة منه أو يكون هو الآخذ له ثم يعقبه بعد هذا الأمان إحساناً إليه بتولية أو مال أو خلع أو تقريب فذلك أمر آخر، فإذا رحم الله عبداً بعمله الذي رحم العبد به حيواناً مثله إما بإزالة عذاب أو أضاف إلى ذلك زيادة إحسان فإن الله إذا وفاه رحمة جزاء عمله كان ما كان، فإن الله يزيده على ذلك كما زاد هذا العبد على ما ذكرنا أو يزيد ابتداء منة منه تعالى لذلك قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**» ولم يقل يرحمهم الرحيم لأنه رحمن الدنيا والآخرة والرحيم اختصاص الرحمة بالآخرة. وأما قوله: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» لأنكم تشاهدون أصحاب البلايا والرزايا وتتجاوزون فترحمونهم عن أمر الله بالرحمة التي تطلبها أحوالهم كل على حسب حاله يرحم وليس في السماء إلا الملائكة فترحمنا بالاستغفار وهو قوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ ثم قال: ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾.

Marfat.com

وأما قوله في هذا الباب ونسيناه في هذه المنازلة فهو حد نسيان ذلك الإنسان الله في الأشياء فما عاد عليه إلا نسيانه وأضافه الحق إليه فقال: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ أي تركوا حق الله فترك الله الحق الذي يستحقونه بإجرامهم فلم يؤاخذهم ولا آخذهم أخذاً لا بد فغفر لهم ورحمهم، وهذا يخالف ما فهمه علماء الرسوم فإنه من باب الإشارة لا من باب التفسير لأن الناسي هنا إذا لم ينس إلا حق الله الذي أمره الله بإتيانه شرعاً فقد نسي الله فإنه ما شرعه له إلا الله فترك حق الله فأظهر الله كرمه فيه فترك حقه ولم يكن حق مثل هذا إلا ما يستحقه وهو العقاب فعفا عنه تركاً بترك مقولاً بلفظ النسيان.

وأما نهيه تعالى إيانا أن نكون ﴿كالذين نسوا الله فنسيهم﴾ فهو صحيح فإنها وصية إلهية نهانا أن ننسى الله مثل ما نسوه هؤلاء لنقوم بحق الله ونقيم حق الله في الأشياء على نية صالحة وحضور مع الله، فيجازينا الله جزاء استحقاق استحققناه بأعمالنا التي وفقنا الله لها، والذين نسوا الله إنما ترك الله ما استحقوه من العقاب كما تركوا حق الله لا غير. ثم إن أفضل عليهم أفضل عليهم منة منه ابتداء، وإفضاله على العالمين المؤدين حقوق الله ليس منة، فإذا زاد على ما يطلبه عملهم ذلك هو الامتنان كما نالوا ما استحقوا به هذا الثواب من طريق المنة فاعلم ذلك، ألا ترى الله يقول في تمام هذه الآية لما قال: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فنسيهم﴾ لم يقل أنهم هم الفاسقون بل قال: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ فابتدأ كلاماً آخر ما فيه ضمير يعود على هؤلاء المذكورين، وكل منافق فاسق لأنه خارج من كل باب له فيخرج للمؤمنين بصورة ما هم عليه ويخرج للكافرين بصورة ما هم عليه، وقد تقدم في هذا الكتاب مرتبة المنافقين في المنازل فتنبه لما نبهتك عليه وكن من العاملين ﴿الذين يوفون بعهد الله فنعم أجر العاملين﴾ ولا تقنع بعفو الله فتكون ممن نسي الله بل ارغب في إحسانه بأن يزيدك هنا عملاً ومراقبة فيزيدك عنده جاهاً وحرمة.

وأما قوله تعالى ناهياً إيانا بقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ فأعاد الضمير عليهم فهذا نمط آخر ذكرنا حقيقته في مسألة شرف النفاق وهو النفاق المحمود في المنازل فيما عبر من هذا الكتاب، فلنذكر منه ما يليق بهذا الموضع من أجل النسيان، وذلك أن الله قال على لسان رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» لما جعلنا دليلاً عليه، ولا ينبغي أن ننظر في معرفة نفوسنا إلا حتى نريد أن نعرف ربنا، فإذا نسينا هذه المعرفة فقد نسينا معرفة نفوسنا وهو الباب الواحد الذي كان ينبغي لنا أن نخرج عليه إلى هذه المعرفة فخرجنا على الباب الآخر وهو الذي نخرج منه إلى جهلنا

Marfat.com

بنفوسنا، ولما خلقنا الله على الصورة الإلهية كان في نسياننا الله إن أنسانا الله أنفسنا فنهينا عن ذلك فإنه من نسي نفسه بالضرورة نسي ما لله عليها من الحقوق وما لها من الحقوق فتركوا الله إذ علموا أنهم لا يشهدون من الله ما هو الله عليه، وإنما يشهدون من الله أعيانهم وأحوالهم لا غير، فلما علم الله هذا من بعض عباده الذين لهم هذا الوصف أنساهم أنفسهم فلم يروا عند شهودهم أن أحوالهم عين ما رأوا فيقولون في ذلك الشهود: قال لي الله وقلت له، وأين هذا من مقام قولهم: لا نرى من الحق إلا ما نحن عليه فلم يكن لهم ذلك إلا من كونه تعالى ﴿أنساهم أنفسهم فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن طريق ما كانوا تحققوا به من أن الله لا يشهده أحد إلا من حيث حاله وما هو عليه.

ولما وصف نفسه تعالى بأنه خير الراحمين من باب المفاضلة فمعلوم أنه ما يرحم أحد من المخلوقين أحداً إلا بالرحمة التي أوجدها الرحمن فيه فهي تعالى رحمته لا رحمتهم ظهرت في صورة مخلوق كما قال في سمع الله لمن حمده أن ذلك القول هو قول الله على لسان عبده، فقوله تعالى الذي سمعه موسى أتم في الشرف من قوله تعالى على لسان قائل فوقع التفاضل بالمحل الذي سمع منه القول المعلوم أنه قول الله، وكذلك أيضاً رحمته من حيث ظهورها من مخلوق أدنى من رحمته بعبده في غير صورة مخلوق فتعين التفاضل والأفضلية بالمحال، إلا أن رحمة الله بعبده في صورة المخلوق تكون عظيمة فإنه يرحم عن ذوق فيزيل برحمته ما يجده في الراحم من الألم في نفسه من هذا المرحوم، والحق ليس كذلك فرحمته خالصة لا يعود عليه منها إزالة ألم فهو خير الراحمين، فرحمة المخلوق عن شفقة ورحمة الله مطلقة بخلاف بطشه وانتقامه مع شدته، ولكن لا يبطش بطشاً لا يكون فيه رحمة لأن قصارى الرحمة فيه إيجاده البطش بعبده، فوجود البطش رحمة رحم الله بها المبطوش إذ أخرجه من العدم إلى الوجود، ومن كان مخلوقاً من صفة الرحمة فلا بد أن يكون في بطشه رحمة، فجاء أبو يزيد في هذا المقام لما سمع القارىء يقرأ: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ قال أبو يزيد: بطشي أشد لأن بطش الإنسان إذا بطش لا يكون في بطشه شيء من الرحمة لأنه لا يتمكن له أن يبطش بأحد وعنده رحمة به جملة واحدة، فما يكون ذلك البطش إلا بحسب ما أعطاه محل الباطش وإن كان ذلك البطش خلقاً لله، ولكن ما خلقه إلا في هذا المحل فظهر بصورة المحل والمحل لا يطلب الانتقام من أحد وفي قلبه رحمة، ثم إن الله إذا بطش بعبده ففي بطشه نوع رحمة لأنه عبده بلا شك، كما أن المخلوق إذا أراد أن يبطش بعبده لا بد أن يشوب بطشه نوع رحمة للمناسبة التي بينه وبين عبده ومملوكه لأنه

Marfat.com

المبقي عليه اسم المالك والسيادة، فلا يمكن أن يستقصي في بطشه ما يذهب عينه، فيكون عند ذلك قد بطش بنفسه، والمخلوق ليس كذلك في الأجنبيّ الذي ليس بينه وبين الباطش نسبة عبودية ولا اكتسب من وجوده صفة سيادة، فإذا بطش من هذه صفته بطش ببطش لا تشوبه رحمة فهو سبحانه خير الراحمين، وما جاء قط عنه تعالى أنه خير الآخذين ولا الباطشين ولا المنتقمين ولا المعذبين كما جاء ﴿خير الفاصلين﴾ ﴿وخير الغافلين﴾ ﴿وخير الراحمين﴾ ﴿وخير الشاكرين﴾ وأمثال هذا مع كونه يبطش وينتقم ويأخذ ويهلك ويعذب لا بطريق الأفضلية، فتحقق هذا الفاصل بين وصفه بالأخذ والانتقام وبين وصفه بالرحمة والمغفرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة

في معرفة منازلة من وقف عندما رأى ما هنا له هلك

الخلق تقدير وليس بكائن ... والمبدعات هي التي تتكون
الروح والكلمات شيء واحد ... والحق فيه هو الذي يتعين
فالعالم النحرير ليس بثابت ... في حاله فمقامه يتلون
فلذاك أعطى كل شيء خلقه ... وهداكم لكلامه فتبينوا
لو لم يكن عين الكلام وجودنا ... لم نغتنمه فلم تلذ الأعين
بفنون أسماء الإله قلوبنا ... وتوجهات الحق بي تتفنن
فجميع ما جئنا به إن كنت ذا ... فهم وتحقيق به تتيقن

اعلم أيدنا الله وإياك أن الله تعالى لما سوى النشأة الإنسانية بل جميع ما أنشأه من أجسام العالم الطبيعية والعنصرية وعدلها على الترتيب الذي تقتضيه الحكمة في كل جسم وعدله وهيأه لقبول ما يريد أن يهبه في نفخه فيه من الروح الإلهيّ نفخ فيه من روحه فظهر فيه عند ذلك نفس مدبرة لذلك الهيكل وظهرت بصورة مزاج الهيكل، فتفاضلت النفوس كما تفاضلت الأمزجة، كما يضرب نور الشمس في الألوان المختلفة التي في الزجاج فتعطي أنواراً مختلفة الألوان من أحمر وأصفر وأزرق وغير ذلك بحسب لون الزجاج في رأي العين، فلم يكن ذلك الاختلاف في النور الذي حدث فيه إلا من المحل ولا تعين في نفسه جزءاً عن غيره إلا بالمحل فالمحل عينه والمحل غيره، كذلك النفوس المدبرة للهياكل الطبيعية والعنصرية فللنفوس الأثر في الهياكل بحكم التدبير، ولا تقبل من التدبير فيها من هذه النفوس إلا بقدر استعدادها، وللهياكل أثر في النفوس بحسب أمزجتها في أصل ظهورها عند تعيينها، فمنهم الذكي والبليد بحسب مزاج الهيكل فالأمر عجيب بينهما، فكل واحد منهما مؤثر فيمن هو مؤثر فيه.

ثم إن الله أخذ بأكثر أبصار جنس الإنس والجان عن أدراك النفوس المدبرة الناطقة التي للمسمى جماداً ونباتاً وحيواناً وكشف لبعض الناس عن ذلك، والدليل السمعي على ما

Marfat.com

قلناه قول الله: ﴿وإن منها﴾ يعني من الحجارة ﴿لما يهبط من خشية الله﴾ فوصفها بالخشية. وأما أمثالنا فلا يحتاج إلى خبر في ذلك فإن الله قد كشفها لنا عيناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها لله الحمد على ذلك، وكذلك اندكاك الجبل لتجلي الرب له لولا العظمة التي في نفس الجبل من ربه لما تدكدك لتجليه له، فإن الذوات لا تؤثر في أمثالها وإنما يؤثر في الأشياء قدرها ومنزلتها في نفس المؤثر فيه، فعلمه بقدر ذلك المتجلي أثر فيه ما أثر فيه ما ظهر له، فإنا نرى الملك إذا دخل في صورة العامة ومشى في السوق بين الناس وهم لا يعرفون أنه الملك لم يقم له وزن في نفوسهم، فإذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره فأثر فيه علمه به فاحترمه وتأدّب وسجد له، فإذا رأى الناس الذي يعرفون قرب ذلك العالم من الملك وأن منزلته لا تعطي أن يظهر منه مثل هذا الفعل إلا مع الملك علموا أنه الملك فحادت إليه الأبصار وخشعت الأصوات وأوسعوا له وتبادروا لرؤيته واحترامه، فهل أثر ذلك عندهم إلا ما قام بهم من العلم به، فما احترموه لصورته فقد كانت صورته مشهودة لهم، وما علموا أنه الملك وكونه ملكاً ليس عين صورته وإنما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته.

ورد في الخبر الذي خرجه أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوّة في بعض إسراءات رسول الله ﷺ أنه قال: «**جاءه جبريل عليه السلام ليلة ومعه شجرة فيها كوكري الطائر فقعد رسول الله ﷺ في الوكر الواحد وقعد جبريل عليه السلام في الوكر الآخر، ثم أن الشجرة علت بهما حتى بلغا السماء فتدلى إليهما رفرف در وياقوت، فأما محمد ﷺ فلم يعلم ما هو فلم يؤثر فيه، وأما جبريل عليه السلام عندما رآه غشي عليه فقال ﷺ: فعلمت فضله علي في العلم**» فإنه علم ما رأى فأثر فيه علمه بما رآه الغشي ولم يعلمه رسول الله ﷺ فلم ير له أثر فيه فلا يؤثر في الأشياء إلا ما قام بها وليس إلا العلم، ألا ترى شخصان يقرآن القرآن فيخشع أحدهما ويبكي والآخر ما عنده من ذلك كله خبر ولا يؤثر فيه هل ذلك إلا من أثر علمه القائم به لما تدل عليه تلك الآية وشهوده ما تضمنه من الأمر الذي أبكاه وخشع له، والآخر أعمى عن تلك المعاني لا يجاوز القرآن حنجرته ولا أثر لتلاوته فيه، فلم يكن الأثر لصورة لفظ الآية وإنما الأثر لما قام بنفس العالم بها المشاهد ما نزلت له تلك الآية فلا يؤثر فيك إلا ما قام بك من حيث ما تعلم وتشهد، فلولا علمه بالأمر ما هاله، وإذا لم يرتحل ووقف عندما رآه وقد هاله ذلك فبالضرورة يهلك أي يغيب عن صوابه وحسه ويدهش أو يغشى عليه أو يموت فرقاً منه على قدر قوّة ذلك التالي أو ضعفه، فهو مع ما حصل في نفسه من ذلك

Marfat.com

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وهذا أمر إضافي فقد يكون الأمر عند زيد أهول منه عند عمرو، وقد يكون عند عمرو أمر آخر أهول منه عند زيد، فتؤثر الأهوال عند كل واحد منهما بحيث أن يقول كل واحد منهما عن صاحبه: عجبت لفلان ما الذي رأى حتى أثر فيه بما ظهر عليه كيف به لو علم ما عندي من هذا الذي لم يرفع به رأساً؟ كل واحد منهما يقول هذه المقالة، والعالم الكامل الثالث يقول خلاف قولهما، ويعلم السبب المؤثر في كل واحد منهما فيعلم منهما ما لا يعلمان من نفوسهما، فسبحان الحكم العدل منزل الأشياء منازلها ومعين المراتب لأهلها، فإذا علمت هذا علمت علماً غريباً هو العجب العجاب بحتوي على سر لا يتمكن كشفه ولا ينبغي التصريح به، فإن الله يغار على العبد إن يظهر مثل هذا فإنه أمر يقتضيه الوجود وهو عظيم الفائدة، فما ظهر العالم إلا بالنسب ولا حصل القبول من العالم لما قبله من العالم أيضاً إلا بالنسب، فالموجد بالنسب والقابل بالنسب فالحكم لها وقد علمت ما هي النسب:

فبها صح وجودي وبها ... صح للكون من اللّه نسب
فله الشكر على ما خصني ... امتناناً من معارف النسب
فبها صحت السعادة فينا ... وبها صح للشقي الشقاء
عدم بحكم الوجود وأبدى ... عجباً فيه كيف ليس يشاء
فهو الموجد المؤثر فينا ... وهو الحق ليس فيه امتراء

فالله غني عن العالمين، والغنى صفة تنزيه، وأعظم الثناء عندنا في حق الحق قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ سواء كانت كاف الصفة أو كانت زائدة، وكونها للصفة أبلغ في الثناء عند العالم باللسان الذي نزل به القرآن، يقول رسول الله ﷺ في دعائه وثنائه على ربه عزّ وجلّ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» يريد قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال الصديق الأكبر رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك، والحق سبحانه ما أثنى على نفسه بأعظم من نفي المثل فلا مثل له سبحانه، ولهذا قال في حق العالم من حيث ما هو ناطق: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ والتسبيح تنزيه فإذا أسندت العالم إليه تعالى في الوجود وقلت إنه موجد العالم لم يتمكن لك أن تعقل هذا إلا بنسب تثبتها من حياة وعلم وقدرة وإرادة هذا حد نظر العقل، ويثبت بالشرع أنه قائل، فإن كانت أعياناً زائدة على ذات فما أوجد شيئاً بها إلا عن تعلق بالذي حدث والتعلق نسبة منها إلى المتعلق، وإن

Marfat.com

كانت هذه الصفات ليست بزائدة وإنما ثم عين واحدة وهي الذات وتوجهاتها على إيجاد الممكنات فالتوجهات نسب وهي مختلفة لما يظهر في العالم من الاختلاف الذي هو دليل على حكمنا بها، فعلى كل حال ما زالت من النسب وهي الثابتة في العقائد وفي نفوس العلماء كانوا ما كانوا:

جـاء حـديـث وارد عـن النبـي المصطفـى
بـأن مـن خـالفـه فـي عقـده علـى شفـى
ومـا لـه مـن دائـه بـرء يكـون وشفـا
إلا إذا وافقـه فـي أمـره ثـم وفـى
بكـل مـا خـاطبـه بـه وإن زل عفـا
عنـه الـذي كلفـه وهـو الإلـه وكفـى

وهذا القول كله صحيح، فهل حصل في معلومك الأنسب من جانب الحق ومن جانب المخلوق، فأوجدت بنسب وقبلت بنسب، وأوضح من هذا الذي ذكرنا فما يكون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة من تأدب وصل ومن وصل لم يرجع ولو كان غير أديب

لولا الشهود وما فيه من النعم ... ما كان لي أمل في الكون في العدم
كناية فيه حتى قال كن فبدت ... أعياننا لسماع الكون في الكلم
فلو فتحنا عيوناً ما بها رمد ... كنا حيارى كمثل العمي في الظلم
ولم نكن فوجود النور أظهرنا ... نوراً فنحن بكون غير منقسم
والنور أعياننا والنور خالقنا ... وفيه نسعى برجل أو بلا قدم

اعلم أيدنا الله وإياك أن الوجود المطلق هو الخير المحض، كما أن العدم المطلق هو الشر المحض، والممكنات بينهما فيما تقبل الوجود لها نصيب في الخيرية، وبما تقبل العدم لها نصيب في الشر، وليس الأدب إلا جماع الخير كله ولهذا سميت المأدبة مأدبة لاجتماع الناس فيها على الطعام، ولا شك أن الخير ظهر في العالم متفرقاً فلا يخلو ممكن عن خيرية ما، والممكن الكامل المخلوق على الصورة الإلهية المخصوص بالسورة الإمامية لا بد وأن يكون جامعاً لجميع الخير كله، ولهذا استحق الإمامة والنيابة في العالم ولهذا قال في آدم عليه السلام: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ وما ثم إلا اسم ومسمى، وقد حصل علم الأسماء محمد ﷺ حين قال: «علمت علم الأوّلين والآخرين» فعلمنا أنه قد حصل عنده علم الأسماء فإنه من العلم الأوّل لأن آدم له الأوّلية فهو من الأوّلين في الوجود الحسي، وقال عن نفسه فيما خص به على غيره أنه أوتي جوامع الكلم والكلم جمع كلمة والكلم أعيان المسميات قال تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ وليست غير عيسى، فأعيان الموجودات كلها كلمات الحق وهي لا تنفد فقد حصل له الأسماء والمسميات فقد جمع الخير كله فاستحق السيادة على جميع الناس وهو قوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة» وهناك تظهر سيادته لكون الآخرة محل تجلي الحق العام، فلا يتمكن لتجليه دعوى من أحد فيما ينبغي أن يكون لله أو يكون من الله لمن شاء من عباده فقوله وصل يعني إلى تحصيل الخير المحض

Marfat.com

وهو قوله تعالى: ﴿كنت سمعه وبصره﴾ وأمثال هذا، وهذا هو الوصول إلى السعادة الدائمة وهو الوصول المطلوب، ولا شك أنه من وصل لم يرجع فإنه من المحال الرجوع بعد كشف الغطاء إلى محل صفة الحجاب، فإن المعلوم لا يجهله العالم به بعد تعلق العلم به، فرجال الله المكملون كشف الله الأغطية عن بصائرهم وأبصارهم بما حصلوه من الصفات الإلهية ووقفوا عليه من الصفات الكونية وكلها كما تقدّم إلهية، وهؤلاء هم الأدباء الذين صلحوا لبساط الحق جلساء الله وأهله، وهم أهل الذكر والقرآن الذي هو الجمع وبه سمي قرآناً. وأما العامة فلا بد لهم من كشف الغطاء عن أبصارهم عند الموت فيرون الأمور على ما هي عليه وإن لم يكونوا من السعداء فيرون السعداء والسعادة ويرون الأشقياء والشقاوة فلا يجهلون بعد هذا العلم، وإن شقوا فهذا معنى قوله: «ومن وصل لم يرجع» ولو كان غير أديب أي غير جامع للخير، وإنما سمي جامعاً للخير والخير أمر واحد لكون هذا الأمر الواحد ظهر في صور كثيرة مختلفة جمعها هذا الأديب فظهر في خيريته بكل صورة خير فسمي أديباً أي جامعاً لهذه الصور الخيرية، والخير في نفسه حقيقة واحدة ظاهرة في العالم في صور مختلفة:

وما على اللّـه بمستنكر　　　أن يجمع العالم في واحد

فالأديب ظاهر بصورة حق في العالم يفصل إجماله بصوره ويجمل تفصيله بذاته، ومتى لم تكن هذه الصفة والقوّة في رجل فليس بأديب، وهؤلاء هم الذين إذا رؤوا ذكر الله وإذا ذكر الله فقد ضمن ذكره جميع العالم، فمن ذكر الله بهذا اللسان فقد ذكر العالم لأن العالم صورة الحق وهو الاسم الظاهر الذي وقع فيه التفصيل، ومدلوله أيضاً الحق لأنه عين الدليل على نفسه، فكان له من أجل هذا الاسم الباطن الذي وقع به الإجمال، فالعلم واحد وهو في الباطن وتعلقاته متعددة بتعدد صور المعلومات، فالعالم يكشف المعلومات ببصيرته على جهة الإحاطة بحقائقها أنها لا تتناهى معلوماته ولا مقدوراته، وما بقي في عين الممكن في قبوله الوجود نصيب للعدم ولا حكم إلا معقولية الإمكان وإن لم ينعدم بعد ولا يصح عدمه لأن خلاف المعلوم محال الوقوع، ولا يكون عن الوجود عدم أصلاً لأنه ليس في حقيقته صدور العدم عنه، فما انعدم من الأمور التي يعطي الدليل عدمها إنما انعدم لنفسه أو لعدم الشرط في بقائه في الوجود، وبهذا القدر انفصل وجود الممكن من وجود الحق، فإن الإمكان لا يزول حكمه عقلاً في الموجود المحدث لنفسه الممكن، والإمكان لا نصيب

Marfat.com

لوجود الحق فيه أصلاً، وإن كان وجود أعيان الممكنات لا ينعدم أصلاً بعد وجودها ولكن كما قرّرناه.

وأما الأعراض التي قلنا أنها تنعدم لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها فحقيقتها أنها أسباب عدمية لها أحكام معقولة مقولة لا يمكن جحدها ولا الحكم بها، فلو كانت الأعراض أعياناً وجودية لاستحال عدمها مع حكم الإمكان فيها، كما استحال في كل قائم بنفسه من الممكنات. ثم إنك إذا أخذت تفصل بالحدود أعيان الموجودات وجدتها بالتفصيل نسباً وبالمجموع أمراً وجودياً لا يمكن لمخلوق أن يعلم صورة الأمر فيها، فلا علم لمخلوق مما سوى الله، ولا للعقل الأوّل أن يعقل كيفية اجتماع نسب يكون عن اجتماعها عين وجودية مستقلة في الظهور غير مستقلة في الغنى مفتقرة بالإمكان المحكوم عليها به، وهذا علم لا يعلمه إلا الله تعالى، وليس في الإمكان أن يعلمه غير الله تعالى ولا يقبل التعليم أعني أن يعلمه الله من شاء من عباده، فأشبه العلم به العلم بذات الحق، والعلم بذات الحق محال حصوله لغير الله، فمن المحال حصول العلم بالعالم أو بالإنسان نفسه أو بنفس كل شيء لنفسه لغير الله، فتفهم هذه المسألة فإني ما سمعت ولا علمت أن أحداً نبه عليها، وإن كان يعلمها فإنها صعبة التصوّر مع أن فحول العلماء يقولون بها ولا يعلمون أنها هي كبلقيس تقول كأنه هو وهو هو، وكذلك من تكلم في الحق في حال ظهوره في صورة خاصة مع الحق فهو يشهده ولا يعلم أنه هو، وهذا سار حكمه في العالم لمن نظر واستبصر والله غني عن العالمين لظهوره بنفسه، فلا دليل عليه سواه له إذ ما ثم إلا الله تعالى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة من دخل حضرتي وبقيت عليه حياته فعزاؤه علي في موت صاحبه

منـــزل الآلاء والنعـــم عنـده مفـاتـح الكـرم
ولـه الحـدوث ليـس لـه قـدم فـي رتبـة القـدم
وهـو حكـم عينـه عـدم مـا لـه فـي الكـون مـن قـدم

قال الله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ والمعية صحبة، وصح عن رسول الله ﷺ المترجم عن ربه بلسان حق لا ينطق عن هوى لكونه شديد القوى: «اللهم أنت الصاحب في السفر» فاتخذه صاحباً له في سفره، والسفر من الإسفار وهو الظهور فهو ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق به ويطلق عليه. فاعلم أن سر الحياة الإلهية سرى في الموجودات فحييت بحياة الحق، فمنها ما ظهرت حياتها لأبصارنا، ومنها ما أخذ الله بأبصارنا عنها في الدنيا إلا الأنبياء وبعض أولياء الله فإنه كشف لهم عن حياة كل شيء، والمحجوبون يدركونها بالإيمان إذ كانوا مؤمنين. وأما من ليس بمؤمن فلا يدرك ذلك لا بالكشف ولا بالإيمان، نسأل الله العصمة من الكفر. ولسريان هذه الحياة في أعيان الموجودات نطقت كلها مسبحة بالثناء على موجدها إلا أنه صحبت الدعوى في هذه الحياة لكل حي ابتدىء فيتخيلون أن حياتهم لهم حتى إذا فزع عن قلوبهم فرأوا الأمر على خلاف ما اعتقدوه وهو رؤيتهم أن الحياة التي كانوا بها أحياء هي حياة الحق لا بل هي الحق عينه كما ورد في الصحيح: «كنت سمعه وبصره» وغير ذلك، فمن جملة ذلك أنه حياته فعندما أبصروا ذلك ﴿قالوا ماذا قال ربكم﴾ وما قال حياة ربكم ولهذا قلنا بل هو عين الحق ﴿قالوا الحق﴾ لما تبين لهم أنه الحق ﴿وهو العلي الكبير﴾ عن الحلول والمحل ولكن نسب وإضافات وشهود حقائق، فبالوجه الذي يقول فيه أنه سمع العبد به بعينه يقول إنه حياة العبد وعلمه وجميع صفاته وقواه وهي نسب لا أعيان فهو الحق العالم السميع إلى غير ذلك فالعين واحدة وليس إلا ما ظهر فهو عين ما ظهر، فالعبد المتحقق بالحق ينكشف له فيتبين أنه الحق إلا أنه بكل شيء محيط.

Marfat.com

فالحياة التي كان يدعي فيها قبل دخوله إلى حضرة الحق لم تبق عليه في هذا الشهود أصلاً وضد الحياة الموت، فإن اشتبهت عليه الحضرة وتخيل أنه دخل حضرة الحق وما زالت عنه حياته أنها له كما تخيل صاف في عرش إبليس على البحر أنه العرش الذي استوى عليه الرحمن تعالى وجل فقال له رسول الله ﷺ: ذلك عرش إبليس، كذلك صاحب هذا الشهود إذا رأى أن حياته باقية عليه منسوبة إليه فإن الحق قد مات في حقه وهو يدعي صحبة الحق فالحق يعزيه في موت صاحبه فإنه عنه في هذا الشهود أجنبي فهو الميت على الحقيقة، فمن لم يصحبه الحق في جميع صفاته فما هو حق فإن الحق لا يتبعض، فإذا كان كان، وإذا لم يكن كان في نفس الأمر ولا نعرفه، فكن عالماً ولا تكن جاهلاً، ولهذا قيل: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً قط، وإن الله يتولى بالفعل تعليم أوليائه مما يشهدهم إياه في تجلياته، ومثل قوله ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا» فمللكم هو في الإشارة ملل الحق. ولما كان الحق في حق كل أحد عين اعتقاده فيه وعلمه به ثم غفل عن اعتقاده الذي هو ربه فقد ذهب عن محل عقده ففقده وهو كان صاحبه فعزاه الحق فيه من حيث ما هو لنفسه في الحق الذي كان متعلق عقده قرب كل إنسان على صورة عقده فيه، والحق الذي هو حق في نفس الأمر وراء كل معتقد لا بل هو صورة كل معتقد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة من جمع المعارف والعلوم حجبته عني وهو من الحضرة المحمدية

ألا إلى اللّه تصير الأمور ما أنت يا دنياي إلا غرور
أهل التقى لم يأمنوا كيدها مع التلقي فكيف أهل الفجور
لها صفات الحق في مكرها وما لنا في مكره من شعور
لو أنها تنصف في حالها كانت لهم نعم البشير النذير
من صدقها في حالها أنها أرت رحى الموت علينا تدور
وكان لي فيها وما عندها موعظة مذكرة للخبير
بها ينال العبد في كونها كمال نعت الحق يوم النشور
وهو على النصف إذا ما مضى عنها ومن يجحد هذا يجور
ميزانها قام بها والذي يعلمه هو العليم القدير
كأحمد السبتي في الفعل إذ ملكه اللّه زمام الأمور
ما يظهر العبد بأسمائه إلا بها فهو المبين الغفور

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن الله تعالى في نفسه وجل أن يعرفه عبده واستحال ذلك فلم يبق لنا معلوم نطلبه إلا النسب خاصة أو أعيان الممكنات وما ينسب إليها، فالمعرفة تتعلق بأعيان الذوات من الممكنات، والعلوم تتعلق بما ينسب إليها فتعلم الذوات والأعيان بالضرورة من غير فكر ولا نظر، بل النفس تدركها بما ركز الله فيها وتعلم النسب إليها وهو علم الإخبار عنها مما توصف به أو يحكم به عليها بالدليل النظري أو بالإخبار الاعتصامي بغير هذا لا يوصل إلى العلم بذلك، والأحكام والأخبار غير متناهية الكثرة، فتفرق الناظر فيها ولا يجمعها، وأراد الحق من عباده أن يجمعهم عليه لا على تتبع هذه الكثرة حتى تعلم، بل أباح لبعض عباده منها ما يتعلق العلم بها الذي يجمعه عليه وهو قوله في النظر في ذلك حتى يتبين لهم أنه الحق، فمن افترق في نفسه في جمع علوم لا ينظر فيها

Marfat.com

من حيث دلالتها على الحق حجبته عن موضع الدلالة التي فيها على الحق كعلوم الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي، فما منها علم إلا وفيه دلالة وطريق إلى العلم بالله، ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث طلبه ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم عليه والحجاب عن هذه الدلالة، ثم أن بعض الناس إذا نبهه الله على طلب موضع الدلالة من كل معلوم على الله فإن الله تعالى يفرقه في المعلومات وإن كان مطلوبه دلالتها على الله فلا نشك أن جمعه لهذه المعلومات التي هي محل نظره حجاب عن الله أي عن الوجه الذي ينبغي أن يعلم منه ما في وسع القابل من الله، وليس له طريق إلى ذلك إلا بأن يترك جميع المعلومات وجميع العالم من خاطره ويجلس فارغ القلب مع الله بحضور ومراقبة وسكينة وذكر إلهي بالاسم الله ذكر قلب ولا ينظر في دليل يوصله إلى علمه بالله، فإذا لزم الباب وأدمن القرع بالذكر وهذه هي الرحمة التي يؤتيه الله من عنده أعني توفيقه وإلهامه لما ذكرناه فتولى الحق تعليمه شهوداً كما تولى أهل الله كالخضر وغيره فيعلمه من لدنه علماً قال تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ من الوجه الخاص الذي بينه وبين الله وهو لكل مخلوق، إذ يستحيل أن يكون للأسباب أثر في المسببات فإن ذلك لسان الظاهر كما قال في عيسى: ﴿فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذني﴾ لا بنفخك، والنفخ سبب التكوين في الظاهر، والتكوين ليس في الحقيقة إلا عن الإذن الإلهي، وهذا وجه لا يطلع عليه من العبيد نبيّ مرسل ولا ملك مقرب من أحد.

وغاية العناية الإلهية بالشخص من ملك أو رسول أو ولي أن يوقفه الله من ذلك على الوجه الخاص به لا على وجه غيره كما قال الخضر لموسى عليه السلام: أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، لأنه كان من الوجه الخاص الذي من الله لعبده لا يطلع على ذلك الوجه إلا صاحبه إذا اعتنى الله به، وما من مخلوق إلا وله ذلك الوجه ويعلمه الله منه أموراً كثيرة، ولكن لا يعرف بعض العبيد أنه أتاه ذلك العلم من ذلك الوجه، وهو كل علم ضروري يجدْه لا يتقدم له فيه فكر ولا تدبر، وصاحب العناية يعلم أن الله أعطاه ذلك العلم من ذلك الوجه. ثم قال له الخضر أيضاً: وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، فإن كان موسى قد علم وجهه الخاص عرف ما يأتيه العلم من ذلك الوجه، وإن كان لم يعلم ذلك فقد نبهه الخضر عليه ليسأل الله فيه، فإذا علم الأشياء كلها من ذلك الوجه فهو ملازم لتلك المشاهدة والشؤون الإلهية والأشياء تتكون عن الله وهو ينظر إليها فلا تشغله مع كثرة ما يشاهد من الكائنات في العالم وهو مقام الصديق في قوله: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله،

Marfat.com

وذلك لما ذكرناه من شهود صدور الأشياء عن الله بالتكوين فهو في شهود دائم والتكوينات تحدث، فما من شيء حادث يحدث عن الله إلا والله مشهود له قبل ذلك الحادث، وما نبه أحد فيما وصل إلينا على هذا الوجه وما يتكوّن منه في قلب المعتكف على شهوده إلا أبو بكر الصديق، ولكن نحن ما أخذناه من تنبيه أبي بكر الصديق عليه لكوننا ما فهمنا عنه ما أراد ولا فكرنا فيه، وإنما اعتنى الله بنا فيه ففاجأنا العلم به ابتداء ولم نكن نعرفه فأنكرنا ذلك وقلنا هذا من أين؟ ففتح الله بيننا وبينه ذلك الباب، فعلمنا ما لنا من الحق على الخصوص، وعرفنا أن هذا هو الوجه الخاص الذي من الله عزّ وجلّ لكل كائن عنه فلزمته واسترحت، وعلامة من يدعيه لزوم الأدب الشرعي وإن وقعت منه معصية بالتقدير الإلهيّ الذي لا بدّ من نفوذه، فإن كان يراها معصية ومخالفة للأمر المشروع فيعلم أنه من أهل هذا الوجه، وإن كان يعتقد خلاف هذا فنعلم أن الله ما أطلعه قط على هذا الوجه الخاص ولا فتح له فيه وأنه شخص لا يعبأ الله به، فإنه ما من أحد أعظم أدباً مع الشرع ولا اعتقاداً حقيقياً فيه أنه الحق كما يعلمه العامي سواء إلا أهل هذا الوجه فإنهم يعلمون الأمور على ما هي عليه، فيعلمون أن حظهم من هذا الأمر المشروع والتكليف وحظ الآتي به وهو الرسول، وحظ العامة المخاطبين أيضاً به على السواء لا فضل لأحدهم على الآخر فيه لأنه لذاته ورد لا لأمر آخر، فالذي يحرم بالعموم في الخطاب المشروع على واحد يعم جميع المكلفين من غير اختصاص حتى لو قال بتحليل ذلك في حق شخص يتوجه عليه به لسان الذم في الظاهر كان كافراً عند الجميع، وكان كاذباً في دعواه أنه من أهل هذا الوجه، فإن أخص علوم هذا الوجه ما جاءت به الشرائع ولذلك قال رسول الله ﷺ لما خطب الناس في حق عليّ بن أبي طالب إذ قيل له أنه يخطب ابنة أبي جهل على ابنته فاطمة فقال ﷺ: «**إن فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرّها وأنه ليس لي تحريم ما أحل الله ولا تحليل ما حرم الله**» فمع معرفته بالوجه الخاص الإلهيّ لم يعطه إلا إبقاء ما هو محرم على تحريمه وما هو محلل على تحليله، فما حرم على عليّ نكاح ابنة أبي جهل إذ كان حلالاً له ذلك ولكنه، قال: «**إن أراد ذلك يطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدوّ الله وبنت رسول الله تحت رجل واحد**» وأثنى على زوج ابنته الأخرى خيراً فرجع علي بن أبي طالب عن ذلك، فلو كان ذلك الوجه يعطي ما يزعم هذا المجادل أنه أعطاه لكان رسول الله ﷺ أولى بذلك وما فعل وله الكشف الأتم والحكم الأعم والحظ الأوفر إذ هو السيد الأكبر، ولا بد لكل شخص من خصوص وصف ينفرد به يعطيه الله ذلك من ذلك الوجه وبه يسعد الله في المآل من يقال أنه لا يسعد ولا تناله

Marfat.com

رحمة الله التي وسعت كل شيء فإنها صدرت من وجوه الاختصاص فعمت العالم والجاهل والطائع والعاصي، جعلنا الله ممن نالته في أحواله كلها فيلقى الله ولم يجر عليه لسان ذنب بعد معرفته بهذا الوجه، وأحكام المجتهدين وجميع الشرائع من هذا الوجه الخاص صدورها والتعبير للرؤيا بالقوة من غير نظر في كتاب ولا استدلال من هذا الوجه الخاص يكون، فمن أراد تحصيله فليلزم ما قررناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾

هذا قول الله الصادق

إن الرجال رجال اللّه كلهم ... والعارفين ومن يبقى ومن غبرا
ما منهم أحد يدري حقيقته ... إلا الذي جمع الآيات والسورا
وقام بالحق سباقاً على قدم ... وما يبالي بمن قد ذم أو شكرا
من الإله علينا في خلافتنا ... بخاتم الحكم لم يخصص به بشرا
ولا نريد بذا فخراً فيلحقنا ... نقص لذلك أو يلحق بنا غيرا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله﴾ وقال ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى الله**» ثم قال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**» يعني فتح مكة فإنه ما ثم إلى أين، وقد جعل الله بيوت النفوس الإنسانية هذه الأجسام الطبيعية التي خلقها وسوّاها وعدّلها بالبناء لسكنى هذه النفوس الإنسانية التي هي من جملة كلم الحق، فلما نفخها فيها وأسكنها وأعلم هذه النفس بما لها عند الله في تدبير هذه المملكة التي ملكها الله وركز في جبلتها علم التدبير مطلقاً، ثم عين لها في تدبيرها الخاص والعام أوقات التدبير ومقادير ذلك وجهاته بلسان الشرع موافقاً لميزان الطبع فيحمد ذلك التدبير الخاص والعام، فقال أهل هذا الشأن من علماء الطبيعة: ما قال أحد في أصل هذا العلم أجمع ولا أبدع من قول رسول الله ﷺ إذ قال: «**المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة**» وأمر في الأكل إن كثر ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس. وقال ﷺ: «**يحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه**» هذا في تدبير هذا البيت، فما زال يحكم فيه بحكم الله إلى أن انقدح له في سره أنه وإن حكم فيه بحكم الله أنه إنما يحكم فيه الله بحكم الله مع ثبوت عينه عنده، فلما عاين ذلك أنف من الحصر في ظلمة هذا الهيكل وطلب التنزيه عنه فوجد الله قد هيأ له من عمله مركباً ذلولاً غير جموح برزخياً دون البغل وفوق الحمار سماه براقاً لأنه تولد من عالم الطبيعة كما يتولد البرق في عالم الجو، فأعطاه

Marfat.com

الله السرعة في السير فيضع جافره عند منتهى طرفه براكبه، فخرج مهاجراً من مدينة جسمه وأخذ في ملكوت الملأ الأعلى وآياته بعين الاعتبار لما تعطيه الآيات من العلم بالله فتلقاه الحق عند وروده عليه من أكوانه وأكوان الموجودات فأنزله عنده خير منزل وعرفه بما لم يكن قبل ذلك يعرف معرفة خطاب إلهي وشهود مشيئة من أجل المناسبة حتى لا يفجؤه الأمر بغتة فيهلك عند ذلك كما صعق موسى عليه السلام، فإنه تعالى ما يتجلى له إلا في صورة محمدية فيراه برؤية محمدية وهي أكمل رؤية يرى فيها الحق وبها فيرفعه بها منزلاً لا يناله إلا المحمديون وهو منزل الهوية فلا يزال في الغيب مشهده فلا يرى له أثر في الحس، وهذا كان مشهد أبي السعود بن الشبل ببغداد من أخص أصحاب عبد القادر الجيلي.

فإذا كان صاحب هذا الشهود غير صاحب هوية بل يشهده في الملكوت مليكاً وكل مشاهد لا بد أن يلبس صورة مشهوده فيظهر صاحب هذا الشهود بصورة الملك فيظهر بالاسم الظاهر في عالم الكون بالتأثير والتصريف والحكم والدعوى العريضة والقوّة الإلهية كعبد القادر الجيلي وكأبي العباس السبتي بمراكش لقيته وفاوضته وكان شياعي الميزان أعطي ميزان الجود، وعبد القادر أعطي الصولة والهمة فكان أتم من السبتي في شغله، وأصحاب هذا المقام على قسمين: منهم من يحفظ عليه أدب اللسان كأبي يزيد البسطامي وسليمان الدنيلي، ومنهم من تغلب عليه الشطحات لتحققه بالحق كعبد القادر فيظهر العلو على أمثاله وأشكاله وعلى من هو أعلى منه في مقامه، وهذا عندهم في الطريق سوء أدب بالنظر إلى المحفوظ فيه، وأما الذي يشطح بالله على الله فذلك أكثر أدب مع الله من الذي يشطح على أمثاله، فإن الله يقبل الشطح عليه لقبوله جميع الصور، والمخلوق لا يقبل الشطح عليه لأنه مربوط بمقام إلهي عند الله مجهول من الوجه الخاص، فالشاطح عليه قد يكذب من غير قصد ولا تعمد وعلى الله فما يكذب كالهيولى الكل التي تقبل كل صورة في العالم، فأي صورة نسبت إليها أو أظهرتها صدقت في النسبة إليها وصدق الظهور، فإن الصور تظهرها والهيولى الصناعية لا تقبل ذلك وإنما تقبل صوراً مخصوصة، فقد يمكن أن يجهل إنسان في النسبة إليها فينسب إليها صوراً لا تقبلها الهيولى الصناعية، هكذا هو الأمر فيما ذكرناه من الشطح على الله، والشطح على أهل الله أصحاب المنازل، وكان عبد القادر الجيلي رحمه الله ممن يشطح على الأولياء والأنبياء بصورة حق في حاله، فكان غير معصوم اللسان، ورأيت أقواماً يشطحون على الله وعلى أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء ما لنا معهم كلام فإنهم مطرودون من باب الحق مبعدون عن مقعد الصدق، فتراهم في

Marfat.com

أغلب أحوالهم لا يرفعون بالأحكام المشروعة رأساً ولا يقفون عند حدود الله مع وجود عقل التكليف عندهم، وبالجملة فإن الإدلال على الله لا يصح من المقربين من أهل الله جملة واحدة، ومن ادّعى التقريب مع الإدلال فلا علم له بمقام التقريب ولا بالأهلية الصحيحة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة من وعظ الناس لم يعرفني، ومن ذكرهم عرفني، فكن أي الرجلين شئت

الخلق ظل لذات الحق ليس له ... كون يحققه علم ولا بصر
إن قام قام به أو سار سار به ... فعينه ليس هو وكونه بشر
فاعجب له من وجود لا وجود له ... ولو يزول لزال النفع والضرر
هذا الذي قلته العقل يجهله ... وليس يدريه إلا الشمس والقمر
فالشمس أنثى وبدر التمّ إن نظرت ... عين التفكر فيه حاكم ذكر
فكان بينهما الابنا وليس هما ... سواهما فاعتبر إن كنت تعتبر
عجبت من واحد في ذاته عدد ... له الظهور وفيه الكون والغير

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله يقول سبحانه: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ وقال تعالى فيما أمر به نبيه ﷺ في كتابه العزيز: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ فمدار هذه المنازلة على هذه الثلاث الآيات فالتذكر للعلماء الغافلين والوعظ لا يكون للناس أجمعين، ولهذا قال: من وعظ الناس لم يعرفني فإنه إنما يعظهم بما يكون مني لا بي، وكذلك من يخوفهم إنما يخوف بما يكون مني لا مني، فالترغيب لا يجري مجرى الترهيب، فإن الترغيب قد يكوَن فيّ، والترهيب لا يكون إلا مما يكون مني لا مني، واليوم العقيم الذي لا ينتج زماناً مثله أي ليس بعده يوم يكون عنه لأن الأيام في الدنيا كل يوم هو ابن اليوم الذي قبله وهما توأمان ليلة ونهار فالليلة أنثى والنهار ذكر فيتناكحان فيولدان النهار والليل اللذين يأتيان بعدهما ويذهبان الأبوان فإنهما لا يجتمعان أبداً، وفي غشيان الليل والنهار وإيلاج بعضهما في بعض يكون ولادة ما يتكون في كل واحد منهما من الأمور والكوائن التي هي من شؤون الحق فيكون الليل ذكراً والنهار أنثى لما يتولد في النهار من الحوادث، ويكون النهار ذكراً والليل أنثى لما يتولد في الليل من الحوادث،

Marfat.com

وتكون الليلة أنثى والنهار ذكراً لولادة التوأمين وهما اليوم الثاني وليلته، والليل أصل والنهار منه كحواء من آدم ثم يقع النكاح والنتاج.

فصل

في الواحدة التي يعظ بها الواعظ وهي أن يقوم من أجل الله إذا رأيت من فعل الله في كونه ما أمرك أن تقوم له فيه إما غيرة وإما تعظيماً، فقوله في المقام مثنى بالله وبرسوله فإنه ﴿من أطاع الرسول فقد أطاع الله﴾ فقمت لله بكتاب أو سنة لا تقوم عن هوى نفس ولا غيرة طبيعية ولا تعظيم كوني وفرادى إما بالله خاصة أو لرسوله خاصة كما قال ﷺ: **«لا أرى أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الحديث عني فيقول اتل به علي قرآناً إنه والله لمثل القرآن أو أكثر»** فقوله أكثر في رفع المنزلة، فإن القرآن بينه وبين الله فيه الروح الأمين والحديث من الله إليه، ومعلوم أن القرب في الإسناد أعظم رتبة من البعد فيه ولو بشخص واحد ينقص من الطريق وذلك لأنه ينقص حكمه فيه، فإنه لا بد أن يكتسب الخبر صورة من المبلغ فلا يبقى على ما هو عليه في الأصل الذي ينقل عنه ولا يكون في الصدق في قول المخبر هذا كلام فلان مثل من ينقله عنه أو يسمعه منه وذلك لتبدل اللغة واللسان فيه، فإن الترجمان لا ينقل عين ما تكلم به من ينقل عنه، وإنما يتكلم في نقله بما فهمه منه، وإذا كنت أنت الذي تنقل عنه كنت في طبقته وقد تفهم منه أمراً لم يفهمه منه المترجم لك عنه، فبهذا كان الحديث أكثر من القرآن، وغايته أن يكون إذا نزل عن هذه الطبقة مثله وما عدل رسول الله ﷺ إلى الأكثرية إلا والأمر أكثر بلا شك، وإنما قلنا في القرآن إنه بواسطة لقوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ وقوله: ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ وقوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾ بما يكون من الله إليه برفع الواسطة وهو الحديث الذي لا يسمى قرآناً.

فلا ينبغي لواعظ أن يخرج في وعظه عن الكتاب أو السنة ولا يدخل في هذه الطوام فينقل عن اليهود والنصارى والمفسرين الذين ينقلون في كتب تفاسيرهم ما لا يليق بجناب الله ولا بمنزلة رسل الله عليهم السلام، كما روينا عن منصور بن عمار أنه رآه إنسان بعد موته وكان من الواعظين فقال له: يا منصور ما لقيت؟ فقال: أوقفني الحق بين يديه وقال لي: يا منصور بم تقرّبت إليّ؟ فقلت له: كنت أعظ الناس وأذكرهم، فقال: يا منصور بشعر زينب وسعاد تطلب القرب مني وتعظ عبادي وذكر لي أشعاراً كنت أنشد بها على المنبر مما قاله

Marfat.com

أهل المحبة في محبوباتهم فشدد عليّ ثم قال: إن بعض أوليائي حضر مجلسك فقلت في ذلك المجلس: اللهم اغفر لأقسانا قلباً وأجمدنا عيناً فقال ذلك الولي الذي حضر عندك: اللهم اغفر لمن هذه صفته فاطلعت فلم أر أجمد عيناً ولا أقسى قلباً منك فاستجبت فيك دعاء وليي فغفرت لك، فلا ينبغي أن ينشد واعظ في مجلس إلا الشعر الذي قصد فيه قائله ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره فإنه من الكلام الذي يقوله أهل الله فهو حلال قولاً وسماعاً فإنه مما ذكر اسم الله عليه.

ولا ينبغي أن ينشد في حق الله شعراً قصد به قائله في أول وضعه غير الله نسيباً كان أو مديحاً فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربة إلى الله فإن القول في المحدث حدث بلا شك، وقد نبه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله: ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وقوله: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله وإنه لفسق﴾ وقال: ﴿حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به﴾ والشعر في غير الله مما أهل لغير الله به فإنه للنية أثر في الأشياء والله يقول: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ والإخلاص النية، وهذا الشاعر ما نوى في شعره إلا التغزل في محبوبه والمديح فيمن ليس له بأهل لما شهد به فيه، ولقد كتب إلي شخص من إخواني بكتاب يعظمني فيه بحيث أن لقبني فيه بثلاثة وستين لقباً فكتبت له: ستكتب شهادتهم ويسألون، وذكرت له مع هذا في جواب كتابه أن رسول الله ﷺ قال: «لا أزكي على الله أحداً» ولكن يقول: أحسبه كذا وأظنه كذا، ويقول الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ فلو نوى جانب الحق هذا القائل ابتداء في أي صورة شاء ربما كان ذلك القول قربة إلى الله فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فإن الله مطلع على ما في نفس الإنسان ولله يوم تبلى فيه السرائر، وكل ما كان قربة إلى الله شرعاً فهو مما ذكر اسم الله عليه وأهل به لله وإن كان بلفظ التغزل وذكر الأماكن والبساتين والجوار وكان القصد بهذا كله ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهية والعلوم الربانية فلا بأس، وإن أنكر ذلك المنكر فإن لنا أصلاً نرجع إليه فيه وهو أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة لعباده في صورة ينكر فيها حتى يتعوّذوا منها فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، وهو يقول: أنا ربكم وهو هو تعالى وهنا سر في تجليه فابحث عليه في معرفة العقائد واختلافها كذلك هذه الألفاظ وإن كان صورة المسمى فيها في الظاهر غير الله وهو خلاف ما نواه القائل فإن الله ما يعامله إلا بما نواه في ذلك وتدل عليه أحوال القائل كما قيل ينظر إلى القول وقائله يريدون وحال قائله ما هو فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن وإن كان عدواً فهو

Marfat.com

البذاء وإن حسن كما نذكر نحن في أشعارنا فإنها كلها معارف إلهية في صور مختلفة من تشبيب ومديح وأسماء نساء وصفاتهن وأنهار وأماكن ونجوم، وقد شرحنا من ذلك نظماً لنا بمكة سميناه ترجمان الأشواق وشرحناه في كتاب سميناه الذخائر والأعلاق، فإن بعض فقهاء حلب اعترض علينا في كوننا ذكرنا أن جميع ما نظمناه في هذا الترجمان إنما المراد به معارف إلهية وأمثالها فقال: إنما فعل ذلك لكونه منسوباً إلى الدين فما أراد أن ينسب إليه مثل هذا الغزل والنسيب، فجزاه الله خيراً لهذه المقالة فإنها حركت دواعينا إلى هذا الشرح فانتفع به الناس فأبدينا له ولأمثاله صدق ما نويناه وما ادّعيناه، فلما وقف على شرحه تاب إلى الله من ذلك ورجع.

ولو رأينا رجلاً ينظر إلى وجه امرأة وهو خاطب لها ونحن لا نعرف أنه خاطب وكنا منصفين في الأمر لم نقدم على الإنكار عليه إذا جهلنا حاله حتى نسأله ما دعاه إلى ذلك فإن قال أو قيل لنا أنه خاطب لها أو هو طبيب وبها مرض يستدعي ذلك المرض نظر الطبيب إلى وجهها علمنا أنه ما نظر إلا إلى ما يجوز له النظر إليه فيه بل نظره عبادة لورود الأمر من الرسول ﷺ في ذلك ولا ينكر عليه ابتداء مع هذا الاحتمال، فليس الإنكار عليه من المنكر بأولى من الإنكار على المنكر في ذلك مع إمكان وجود هذه الاحتمالات، إذ لا تصح المنكرات إلا بما لا يتطرق إليها احتمال، وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين، فإن أصحاب الدين المتين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة فإن للمغير شروطاً في التغيير، فإن الله ندبنا إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن بهم، فلا ينكر صاحب الدين مع الظن وقد سمع أن بعض الظن إثم، فلعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر فإن الله يؤاخذه بكونه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل ولم يكن له ذلك، وسوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة، فلا يقال فيه في حق نفسه أنه سيىء الظن بنفسه لأنه عالم بنفسه، وإنما قلنا فيه أنه يسيء الظن بنفسه اتباعاً لسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام، وله وجه في الحقائق الشرعية فإنه بالنظر إلى نفسه ليس هو في فعله ما ينكره على نفسه على الحقيقة عالماً بأنه في فعله ذلك على منكر يعلمه بل هو على ظن فسوء الظن بنفسه أولى، وذلك أن لله عباداً قد قال لهم الله: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فما فعلوا إلا ما أباح الشرع لهم فعله، وإن لم يعلموا أنهم ممن خوطبوا بذلك وهو في الحديث الصحيح فما فعل إلا ما هو مباح عند الله وهو لا علم له بذلك فهو عند الله بهذه المثابة،

Marfat.com

فلهذا قلنا سوء الظن بنفسه إذ لم يكن فيها على بصيرة على الحقيقة مع هذا الاحتمال من جانب الحق، وقد جعل الله لمن هذه صفته علامة يعرف بها نفسه أنه من أولئك القوم، ولا يشك بالعلم الشرعيّ الصحيح أن حرمة نفس الإنسان عليه عند الله أعظم من حرمة غيره بما لا يتقارب، وأنه من قتل نفسه أعظم في الجرم ممن قتل غيره، وأن صدقته على نفسه أعظم في الأجر من صدقته على غيره، فالعالم الصالح من استبرأ لدينه في كل أحواله في حق نفسه وفي حق غيره، وإلى الآن ما رأيت أحداً من أهل الانتماء إلى الدين وإلى العلم على هذا القدم، فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله وحال بيننا وبين إهماله.

ولولا ما في ذكر هذا من المنفعة لعباد الله والنصيحة لهم ما بسطنا القول فيه هذا البسط وإن كان الفصل يقتضيه فإنه فصل الموعظة والله يقول لنبيه ﷺ فيما أنزله عليه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ مثل هذه التي ذكرناها فإنها وصية منا إلى عباد الله جمعت بين الحكمة لأنا أنزلناها منزلتها، وبين الحكم والحكيم من ينزل الأمر منزلته ولا يتعدى به مرتبته. وأما الموعظة الحسنة فهي الموعظة التي تكون عند المذكر بها عن شهود، فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فكيف بمن حقق أنه يراه فإن ذلك أعظم وأحسن، وقد يكون قوله مثنى يريد به التعاون في القيام لله تعالى في ذلك الأمر، وصورة التعاون فيه أن الشرع في نفس الأمر قد أنكر هذا الفعل ممن صدر عنه عليه، فينبغي للعالم المؤمن أن يقوم مع المشرع في ذلك فيعينه فيكون اثنان هو والشرع، وفرادى أن يكون هذا المنكر لا يعلم أنه معين للشرع في إنكاره ووعظه فيقول: قد انفردت بهذا الأمر وما هو إلا معين للشرع، وللملك الذي يقول بلمته للفاعل لا تفعل إذ يقول له الشيطان بلمته افعل فيكون مع الملك مثنى فإن الملك مكلف بأن ينهي العبد الذي قد ألزمه الله به أن ينهاه فيما كلفه الله به أن ينهاه عنه فيساعده الإنسان على ذلك فيكون ممن قام لله في ذلك مثنى، وقد يكون معيناً للشارع وهو الرسول عليه السلام فهو الذي أنكر أوّلاً هذا الفعل على فاعله وتقدم في الوعظ في ذلك، فيكون هذا الإنسان الواعظ مع وعظ الرسول المتقدم مثنى، كما سأل بعض الناس رسول الله ﷺ أن يجعله رفيقه في الجنة فقال له رسول الله ﷺ: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**» فطلب منه العون فقد قاما في ذلك مثنى هو ورسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾ وقال: ﴿استعينوا بالله﴾ فشرك نفسه مع عبده في الفعل، وما لا يفعله الله إلا بالالة فهو من هذا الباب، ولا يعلم ذلك إلا العالم بأسرار الله وما هي الحقائق عليه، فلا تغفل عن هذا النفس وكن المعين لمن ذكرت لك تحمد عاقبتك

Marfat.com

ويحصل لك سهم في الإعانة مع المعين، يقول العبد: ﴿وإياك نستعين﴾ فيقول الحق: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» فتبين قوله تعالى هذه بيني وبين عبدي فهي لله وله في حكم الإعانة إذا أراد الله وجود الصلاة فلا بد من استعداد المحل الذي به ظهور الصلاة فافهم.

فصل

في قوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ وأما تذكيره بأيام الله فهي أيام الأنفاس على الحقيقة فإنها أقل ما ينطلق عليه اسم يوم فهو أن تذكره بقوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فتلك أيام الله وأنت في غفلة عنها، وتدخل في مضمون قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ إشارة إلى قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ مع غير ذلك ﴿لعبرة لمن كان له قلب﴾ أي لمن له فطنة بالتقلب في الأحوال أو تقلب الأحوال عليه فيعلم من ذلك شؤون الحق وحقائق الأيام التي الحق فيها في شأن، فالشأن واحد العين والقوابل مختلفة كثيرة يتنوّع فيها هذا الشأن بتنوّعها واختلافها، فهو من الله واحدة وفي صور العالم كثيرة، كالصورة الواحدة في المرايا الكثيرة والظلالات الكثيرة من الشخص الواحد للسرج المتعددة هكذا الأمر ﴿أو ألقى السمع﴾ لما يتلى عليه من قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وأمثاله ﴿وهو شهيد﴾ من نفسه تقلب أحواله فيكون على بصيرة في ذلك من الله، فهذه أيام الله التي ينبغي أن يذكر العبد بها إلى أمثال ذلك من أيام الله وهي أيام النعم وأيام الانتقام التي أخذ الله فيها القرون الماضية.

واعلم أن البلايا أكثر من النعم في الدنيا فإنه ما من نعمة ينعمها الله على عباده تكون خالصة من البلاء فإن الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها وإضافتها إلى من يستحقها بالإيجاد وأن يصرفها في الموطن الذي أمره الحق أن يصرفها فيه، فمن كان شهوده في النعم هذا الشهود متى يتفرّغ للالتذاذ بها وكذلك في الرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا، ويتضمنها من التكليف ما يتضمنه النعم من طلب الصبر عليها ورجوعه إلى الحق في رفعها عنه وتلقيها بالرضى أو الصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى بالله إلى غير الله، وهذا غاية الجهل بالله لأنك تشكو بالقويّ إلى الضعيف لما تجد في حال الشكوى من الراحة مع كونك تشتكي إلى غير مشتكى لأنك تعلم أنه ما بيده شيء ولا يقدر على رفع ما نزل بك إلا من أنزله وقد علمت أن الدار دار بلاء لا يخلص فيها النعيم عن البلاء وقتاً واحداً وأقله طلب الشكر من المنعم بها عليها، وأي تكليف أشق منه على النفس ولذلك قال تعالى: ﴿وقليل

Marfat.com

من عبادي الشكور﴾ لجهلهم بالنعم أنها نعم يجب الشكر عليها يؤيد ما قلناه قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ في حق راكب البحر إذا اشتدّ الريح عليه وبرد فبما فيها من النعمة يطلب منه الشكر عليها وبما فيها من الشدة والخوف يطلب منه الصبر فافهم وتدبر كلام الله تغنم، وما أنزله الله إلا تذكرة للبيب كما قال: ﴿ليدبروا آياته ليتذكر أولوا الألباب﴾ ولا تكن ممن ليس له منه نصيب إلا البلاغ.

فصل

في اليوم العقيم والعقيم ما يوجب أن لا يولد منه فلا تكون له ولادة على مثله، وسمي عقيماً لأنه لا يوم بعده أصلاً وهو من يوم الأسبوع يوم السبت وهو يوم الأبد، فنهاره نور لأهل الجنة دائم لا يزال أبداً، وليله ظلمة على أهل النار لا يزال أبداً، ولهذا يموتون أهل الكبائر فيها الذين يخرجون منها بعد العقوبة إلى الجنة إذ لا خلود في النار إلا لأهلها الذين هم أهلها، يقول رسول الله ﷺ: **«أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم الله فيها إماتة»** الحديث وهو صحيح، فينامون فيها نومة حتى لا يحسوا بالنار إذا مستهم عند ما تتسلط على آلات المعاصي بالأكل وهي الجوارح، والإيمان يمنع من تخلصها إلى القلب، فهذه عناية التوحيد الذي كان في قلوبهم، فعلم التوحيد يميتهم في النار موتة النائم في حال نومه، والإيمان على باب النار ينتظرهم حتى إذا بعثهم الله من تلك النومة وهم قد صاروا فحماً أخرجهم سبحانه فغمسهم في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة تكون في حميل السيل ثم يدخلون الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله إله واحد في الدنيا جملة واحدة، ولأهل الجنة في الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة طلوع الشمس إلى غروبها في الدنيا، وإن لم يكن في الجنة شمس فالحركة التي كانت تسير بالشمس فيظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الأطلس الذي على الجنة وهو سقفها والحركة بعينها فيه موجودة، ولأهل الجنة كشف ورؤية إلى المقادير التي فيه المعبر عنها بالبروج، فإن ذلك الفلك هو السماء الذي أقسم الله به في قوله: ﴿والسماء ذات البروج﴾ فيعلمون بها حد ما كان عليهم في الدنيا مما يسمى بكرة وعشياً، وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله عند ذلك برزق يرزقهم فيها كما قال لهم: ﴿رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ وهو رزق خاص في وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع، والدوام في الأكل

Marfat.com

إنما هو عين النعيم بما يكون به الغذاء للجسم ولكن لا يشعر به كثير من الناس إلا العلماء بعلم الطبيعة، وذلك أعني صورة قوله أكلها دائم، إن الإنسان إذا أكل الطعام حتى يشبع فذلك ليس بغذاء ولا بأكل على الحقيقة، وإنما هو كالجابي الجامع المال في خزانته والمعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الأطعمة والأشربة فإذا جعل فيها أعني في خزانة معدته ما اختزنه فيها ورفع يده حينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال ويغذيه بها في كل نفس يخرج عنه دائماً فهو لا يزال في غذاء دائم، ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ والله حكيم، فإذا خلت الخزانة حرّك الطبع الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به فلا يزال الأمر هكذا دائماً أبداً، فهكذا صورة الغذاء في المتغذي، فالتغذي في كل نفس دنيا وآخرة، وكذلك أهل النار وقد وصفهم الله بالأكل والشرب فيها على هذا الحد إلا أنها دار بلاء فيأكلون عن جوع ويشربون عن عطش، وأهل الجنة يأكلون ويشربون عن شهوة لالتذاذ لا عن جوع فإنهم ما يتناولون الشيء المسمى غذاء إلا عن علم بأن الزمان الذي كان الاختزان فيه قد فرغ ما كان مختزناً فيه فيسارع إلى الطبيعة بما تدبره فلا يزال في لذة ونعيم لا يحوج الطبيعة إلى طلب وحاجة للكشف الذي هم عليه، كما أن أهل النار في الحجاب فلا يعلمون هذا القدر فيجوعون ويظمؤون لأن المقصود منهم أن يتألموا، فتبين لك أنه لا لذة إلا العلم ولا ألم إلا الجهل، والشمس مكورة قد نزع نورها في أعينهم طالعة على أهل النار وغاربة كما تطلع على أهل الدنيا في حال كسوفها وكذلك القمر يسبحان وجميع الدراري على صورة سباحتهم الآن في أفلاكهم لكنها مطموسة في أعينهم، فعلى ما هو الأمر في نفسه هم الذين طمس الله أعينهم إذ شاء عن إدراك الأنوار التي في المنيرات فالحجاب على أعينهم كما نعلم أن الشمس هنا في حال كسوفها ما زال نورها منها وإنما القمر حجبها عنا، ولو لم يكن كذلك ما عرف أهل التعاليم متى يكون الكسوف وكم يذهب منها في الكسوف عن أعيننا ويقع ذلك على ما ذكروه.

فلو كان من الأمور التي لا تجري على مقادير موضوعة وموازين محكمة قد أعلمها الله من وفقه لطلب مثل هذا العلم ما علمه، وهذا لا يقدح في قولنا أن الشمس قد كسفت أو قد زال نورها عن إدراك أعيننا فإن هذا القدر وهذه الصورة ما ثم من يمنعنا أن نصطلح على أن نطلق عليها اسم كسوف وخسوف وتكوير وطمس، فيشهد أهل النار أجرام السيارة طالعة عليهم وغاربة ولا يشهدون لها نوراً لما في الدخان من التطفيف، فكما كانوا في الدنيا عمياً عن إدراك أنوار ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك هم في النار عمي عن إدراك أنوار هذه

Marfat.com

السيارة وغيرها من الكواكب، ومن كان في هذه أعمى ﴿فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ وإنما كان أضل سبيلاً فإنه في الدنيا يجد من يرشده إلى الطريق ولكن لا يسمع، وفي النار ما يجد من يرشده إلى الطريق فإنه ما ثم طريق لكن يجد من يندمه على ما فاته ليزيده حسرة إلى حسرته وعذاباً إلى عذابه، فليل أهل النار لا صباح له ونهار أهل الجنة لا مساء له أي لا ليل فيه، فمن وعظ الناس في عقده طلباً منه بذلك أن ينفع الناس في عقده فما عرف الله بخلاف المذكر فإنه يذكر ويعظ بما عنده ويعلم أن من السامعين من يكون له ذلك الوعظ شفاء ودواء، ومن الناس من يزيده مرضاً إلى مرضه كما قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ وهي واحدة ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ وهم يستبشرون بورود العافية عليهم ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ والسورة واحدة والمزاج مختلف، فلا يعرف حقيقة هذه الآية إلا الأطباء الذين يعلمون أن العقار الفلاني فيه شفاء لمزاج خاص من مرض خاص وهو داء وعلة لمزاج خاص وزيادة مرض في مرض خاص، فالطبيب أحق الناس علماً بهذه الآية، وكذلك طبيب القلوب فيما يؤمنها ويخيفها، فالحكيم هو الذي يأتي إلى العليل من مأمنه ويظهر له بصورة من يعتقد فيه ليستدرجه إلى صورة الحق بالحق الذي يليق به، ولكن وقع الأمر الإلهي في العالم بخلاف هذا لأن مشيئة الله تعلقت بأن الله لا يجمعهم على الهدى.

وأما الطريق في ذلك فمعلوم عند الله وعند أهله لا يشكون فيه، فإن الذي يعتقد في مخلوق مّا من حجر أو نبات أو حيوان أو كوكب أنه إلهه وهو يعبده ويخاطبه ذلك الإله المشهود له على الكشف بما هو الحق عليه يرجع إلى قوله لاعتقاده فيه كما يرجع إلى قوله في الآخرة ويتبرأ منه كما تبرأ إلهه منه، والله قادر على أن ينطقه في الدنيا بذلك في حق من يعبده لكن العلم السابق والمشيئة الإلهية منعا من ذلك ليكون الخلاف في العالم، فجرى الأمر على ذلك في الدنيا وبعض الآخرة، ويرجع الأمر إلى حكم أخذ الميثاق بالرحمة التي وسعت كل شيء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والتسعون وثلثمائة

في معرفة منازلة منزل من دخله ضربت عنقه وما بقي أحد إلا دخله

لولا وجود الحق في الخلق　　لم يبق من يبقى ومن يبقي
قلت له إن كنت لي مغنيا　　من غير ما تحكم فاستبق
ما أنا غير لا ولا عينكم　　لأنني أعلم من يلقي
فانظر إلى الحكمة مكشوفة　　في الحق إذ ينعت بالحق

وهذا هو منزل الاتحاد الذي ما سلم أحد منه، ولا سيما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه ومع هذا قالوا به، فمنهم من قال به عن أمر إلهيّ، ومنهم من قال به بما أعطاه الوقت والحال، ومنهم من قال به ولا يعلم أنه قال به، فأحوال الخلق مختلفة فيه، فأما أصحاب النظر العقلي فأحالوه لأنه عنده يصير الذاتين ذاتاً واحدة وذلك محال، ونحن وأمثالنا نرى ذاتاً واحدة لا ذاتين، ويجعل الاختلاف في النسب والوجوه والعين واحدة في الوجود والنسب عدمية وفيها وقع الاختلاف فتقبل الضدين الذات الواحدة من نسبتين مختلفتين فالله يقول: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ ويقول وهو القائل على لسان عبده: سمع الله لمن حمده. ويقول: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره ولسانه ويده ورجله**» وغير ذلك قولاً شافياً لأنه ذكر أحكامها، فقال الذي يبطش بها ويسعى بها ويتكلم به ويسمع به ويبصر به ويعلم ومعلوم أنه يسمع بسمعه أو بذاته يسمع، وعلى كل حال فجعل الحق هويته عين سمع عبده وبصره ويده وغير ذلك، فأما ذات العبد وأما صفته وأما نسبته، فهذا قول الحق الذي فيه يمترون، والملك يقول مع علمه بذلك: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ والجن يقول: ﴿أنا خير منه﴾ والرسول يقول: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ ومن الناس من يقول: أئنا لمردودون في الحافرة والسموات والأرض والجبال تأبى وتشفق من حمل الأمانة وتقول: ﴿أتينا طائعين﴾ فما في العالم إلا من نسب الفعل إليه أي إلى نفسه مع علم العلماء بالله أن الفعل لله لا لغيره والله يقول: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فأضاف العمل إليهم وهو خالقه وموجده أعني العمل:

Marfat.com

فأين حال الدعاوى ... من حال من يتبرا
والأمر في العين فرد ... أحكامه فيه تترى

وقال الهدهد: ﴿أحطت علماً بما لم تحط به﴾ وقالت نملة: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ وقال الله: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾ وقالت الجلود: ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ وقال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فما ترك شيئاً من المخلوقات إلا وأضاف الفعل إليه، إلا أن هذا المنزل لا يتمكن لمن دخله أن يرأس عليه أحد من جنسه لا بل ولا أحد من المخلوقين وهو تعريف إلهيّ في حضرة خيال، ومقامه أن يكشف له عن ماهية أحكام نفسه فيرى أنه محال أن يرأس عليه أحد، فإن كشف له عن ماهيات أحكام نفوس العالم.يرى أنه من المحال أن يرأس على أحد أو يرأس عليه أحد، فإن الأمر واحد في نفسه والواحد لا يرأس على نفسه، وهو مشهد عزيز العالم كله فيه ولا يعلمه إلا من شاهده. ثم من هذا المقام ما تخيله من لم يطلع على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه من قوله تعالى: ﴿قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين﴾ فتخيل أنه عينه الثابت في العدم ربما حصل لها الوجود لما رآه من حكم عينها في وجود الحق حتى انطلق عليه اسم هذا العين وما علم أن الوجود وجود الحق والحكم حكم الممكن مع ثبوته في عدمه، فلما تخيل بعض الممكنات هذا التخيل من اتصافه بالوجود حكم بأنه قد شارك الحق في الوجود فصح له المقام مقام الجمع بوجود الحق في الوجود، وفي نفس الأمر الوجود عين الحق ليس غيره، فلما أدخله حضرته تعالى ضرب عنقه أي أزال جماعته لأن العنق الجماعة، فلما زال عنه إطلاق الجماعة عليه بما أعطاه من أحدية الأمر وعلم أنه جهل في إمكانه نفسه وأن جميع الممكنات مثله في هذا الحكم وهو قوله: وما بقي أحداً إلا دخله أي في نفس الأمر ما ثم إلا أحدية مجردة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وهذا الحكم يظهر في الشهادة في وجود الحق بالاسم الخاص الذي لذلك الممكن الذي يقال فيه أنه عالم وجاهل، وما كان من الأسماء والأسماء والأحكام للممكنات والوجود للحق فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الموفي أربعمائة

في معرفة منازلة من ظهر لي بطنت له ومن وقف عند حدي اطلعت عليه

ظهوري بطون الحق في كل موطن وحدي وجود الحق في كل مطلع
فإن كان عيني في وجودي لم يكن وإن كان لم يظهر وضاق من اتسع
فيا خيبة الأكوان إن لم يكن بها ويا سعدها إن كان في عينها طلع
هو البرق إلا أنه هو خلب فما يسبحه رعد ولا مطر يقع

اعلم أيدنا الله وإياك أن الله تعالى يقول عن الهوية: ﴿هو الأول والآخر﴾ وما ثم إلا أنا وهو وكان ولم يكن ثم كنت، وعند وجودي قسم الصلاة بيني وبينه نصفين وما ثم إلا مصل ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ وهو السمع والبصر مني، فما أسمع إلا نفسه فهو الأول والآخر ما هو أنا فإن الآلة لا حكم لها إلا بالصانع بها كما كان صانعاً فيها فصنع فيها بها وبنفسه بها من حيث قبولها وبنفسه من حيث تجليه بخطابه:

تعددت الأعيان والأمر واحد وأشهدت الأكوان واللّه شاهد
فما ثم إلا اللّه ما ثم غيره أقر بتوحيد ما هو جاحد

فإذا ظهرت بعيني في: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ بطن تعالى في خطابي وسمع إيماني وقال: أثنى علي عبدي فسمى آخريته عبداً وفي الجواب هو الرب فالأولية ردها إليّ فإنه لم يقل حتى قلت كما أني لم أوجد حتى قال كن فكنت أول سامع وكان أول قائل، ثم كنت أول قائل وكان أول سامع، فتعين الباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم بي، وبنفسه وما ظهر إلا بي، وما بطن إلا بي، وما صحت الأولية إلا بي، وما ثبتت الآخرية إلا بي، فأنا كل شيء فهو بي عليم، فلو لم أكن بمن كان يكون عالماً، فأنا أعطيته العلم وهو أعطاني الوجود فارتبطت الأمور بيني وبينه، وقد اعترف لي بذلك في تقسيمه الصلاة بيني وبينه على السواء لأنه علم أنه لي كما أنا له فلا بد مني ومنه فلا بد من واجب وممكن، ولو لم يكن كذلك لكان عاطلاً غير حال فأنا زينته فهو أرضي ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ فظهر

Marfat.com

بي اقتداره ونفوذ أحكامه وسلطان مشيئته، فلو لم أكن لم تكن زينته، ثم قلب الأمر فجعلني أرضاً وكان زينة لي وقلدني الإمامة فلم أجد على من أكون إماماً إلا عليه وعين إمامتي ما زينني به وما زينتي إلا بهويته، فهو سمعي وبصري ولساني ويدي ورجلي ومؤيدي، وجعلني نوراً كلي فزينني به له ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وهو نور السموات والأرض وذكر أن الأرض ذلول وهل ثم أذل مني وأنا تحت عزته، ولما خلق الخلق وعرفني بما خلق قال لي: اجعل بالك وتفرج في صنعي بخلقي فكلف وأنا أنظر إلى ما يريد إظهاره مما لا علم لي به، فحد الحدود فتجاوزتها العبيد، وقال فلم يسمع له مقال، وأمر فلم يمتثل أمره ابتداء ونهى فلم يمتثل له نهي ابتداء، وقال فاعترض كيف تجعل فيها من يفسد فيها؟ فجعلوا نظرهم أصلح من نظره وعلمهم أتم من علمه، فقال لي: أنت قلت أنك ذلول ولا ذلة أعظم من ذلتك وأي ذلة أعظم من ذلة من أذله الذليل، هذا الملك يعترض هذا الخليفة وليته ونهيته فعصى هذا اللعين أمرته بالسجود فأبى وادعى الخيرية على من هو خير منه فهل رأيت بعينك إلا من اعترف بعظمتي ونفوذ اقتداري ومع ذلك خالفني واعترض عليّ وتعدى حدي، فلو كانت عزتي وعظمتي حالاً لهم زينتهم بها ما وقع شيء من ذلك، فهم أرض مرداء جرداء لا نبات فيها فلا زينة عليها، فعلمت أنه مني أتيت عليّ فزينتهم بي فرأتني زينتي فعظموني وما عظمني إلا زينتي فقال المعترض: لا علم لنا وقال من نهيته: ربنا ظلمنا أنفسنا، وقال من خالف أمري إني أخاف الله رب العالمين فأين هذا المقام من ذلك؟ وأين دار رضوان من دار مالك؟ فإليه يرجع الأمر كله فمن العزيز ومن الذليل، فلولا ما اطلع على من تجاوز الحدود والرسوم ما رجعوا إلى حدودهم فإن الاطلاع ما يكون إلا من رفيع وهو رفيع الدرجات، فخافوا فاعترفوا، كما قلنا بجهالتهم وظلمهم أنفسهم وخوفهم من تعدي حدود سيدهم فقال: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وتجاوزوا حدود سيدهم ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ فإن الله للرحمة خلقهم ولهذا تسمى بالرحمن واستوى به على العرش وأرسل أكمل الرسل وأجلهم قدراً وأعمهم رسالة رحمة للعالمين ولم يخص عالماً من عالم، فدخل المطيع والعاصي والمؤمن والمكذب والموحد والمشرك في هذا الخطاب الذي هو مسمى العالم، ولما أعطاه ﷺ مقام الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه أخذ يقنت في صلاته شهراً يدعو على طائفة من عباد الله بالهلاك رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله فأنزل الله عليه وحيه بواسطة الروح الأمين: يا محمد إن الله يقول لك ما أرسلك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة أي لترحم مثل هؤلاء، كأنه يقول له بدل دعائك عليهم

Marfat.com

كنت تدعوني لهم ثم تلا عليه كلام ربه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أي لترحمهم فإنك إذا دعوتني لهم ربما وفقتهم لطاعتي فترى سرور عينك وقرتها في طاعتهم، وإذا لعنتهم ودعوت عليه وأجبت دعاك فيهم لم يتمكن أن آخذهم إلا بأن يزيدوا طغياناً وإثماً مبيناً، وذلك كله إنما كان بدعائك عليهم، فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي نؤاخذهم به، فتنبه رسول الله ﷺ لما أدبه به ربه فقال ﷺ: «إن الله أدبني فحسن أدبي» وقال بعدك ذلك: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وقام ليلة إلى الصباح لا يتلو فيها إلا قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وهو قول عيسى عليه السلام، والله تعالى قد قال له لما ذكر ارسله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وكان من هدى عيسى عليه السلام هذه الآية التي قام بها رسول الله ﷺ ليله كله إلى الصباح، أين هذا المقام من دعائه ﷺ على رعل وذكوان ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وما خصّ ذنباً من ذنب كما لم يخص إسرافاً من إسراف، كما لم يخص في إرسال محمد ﷺ عالماً من عالم ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ بالألف واللام للشمول مع عمارة الدارين، فلا بد من شمول الرحمة، ولولا أن الأمور قد عين الله لها آجالاً مسماة وأياماً معدودات لكان عين الانتقال بالموت إلى الله عين الرحمة بهم التي تكون لهم بعد استيفاء الحدود لتعديهم الحدود، فتعديهم الحدود هو الذي أقام عليهم في الدار الآخرة الحدود كما أقامها على بعضهم في الدار الدنيا، فما مات أحد من خلق الله إلا كما ولد مؤمناً، وما وقع الأخذ إلا بما كان بين الإيمانين، فإن رحمة الله وسعت كل شيء وباطنه فيه الرحمة ولهذا قال: من ظهر لي بطنت له، لأنه ما ظهر أحد لله حتى فارقه، إذ لو لم يفارقه لما ميز نفسه عنه فبطن الحق في ظهوره فهو السور الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب والناس لا يشعرون، والكلام في هذا الباب لا يتناهى فصوله، وهذا القدر من التنبيه على ما فيه كاف إن شاء الله ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

فهرس الفتوحات المكيّة

الجزء السادس

الموضوع	الصفحة
الباب الأحد والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير وهو من الحضرة المحمدية .	٣
الباب الثاني والستون وثلثمائة: في معرفة منزل سجود القلب والوجه والكل والجزء وهما منزل السجودين والسجدتين	١٩
الباب الثالث والستون وثلثمائة: في معرفة منزل إحالة العارف ما لم يعرفه على من هو دونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه وتنزيهه الباري عن الطرب والفرح	٢٩
الباب الرابع والستون وثلثمائة: في معرفة منزل سرّين من عرفهما نال الراحة في الدنيا والآخرة والغيرة الإلهية	٣٩
الباب الخامس والستون وثلثمائة: في معرفة منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله على الأكوان وهو من الحضرة المحمدية	٥٢
الباب السادس والستون وثلثمائة: في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله ﷺ وهو من أهل البيت .	٦٣
الباب السابع والستون وثلثمائة: في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له وقصور الأفهام عن دركه	٨٦
الباب الثامن والستون وثلثمائة: في معرفة منزل الأفعال مثل أتى ولم يأت وحضرة الأمر وحده	١١٢
الباب التاسع والستون وثلثمائة: في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود . .	١٢٣
الباب السبعون وثلثمائة: في معرفة منزل المزيد وسرّ وسرين من أسرار الوجود والتبدل وهو من الحضرة المحمدية	٢٠٦
الباب الأحد والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل سر وثلاثة أسرار لوحية أمية محمدية	٢٢١
الفصل الأول: في ذكر العماء وما يحوي عليه إلى عرش الاستواء	٢٣٨
الفصل الثاني	٢٤١
فصل ثالث في الفلك الأطلس والبروج والجنات وشجرة طوبى وسطح الفلك المكوكب	٢٤٥
الفصل الرابع	٢٥١
وصل	٢٥٢
الفصل الخامس	٢٥٥

Marfat.com

الفصل السادس ٢٥٨
الفصل السابع ٢٥٨
الفصل الثامن ٢٦١
الفصل التاسع ٢٦٢
وصل ٢٧٠
الباب الثاني والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل سر وسرين وثنائك عليك بما ليس لك وإجابة الحق إياك في ذلك لمعنى شرّفك به من حضرة محمدية ٢٧٣
وصل إشارة وتنبيه ٢٨١
الباب الثالث والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفضل مرتبته على العالم بالعناية وبقاء العالم أبد الآبدين وإن انتقلت صورته وهو من الحضرة المحمدية ٢٨٥
الباب الرابع والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل الرؤية والرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الربية وأن للكفار قدماً كما أن للمؤمنين قدماً وقدوم كل طائفة على قدمها وآتية بإمامها عدلاً وفضلاً من الحضرة المحمدية ٢٩٧
الباب الخامس والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالم الحقائق والامتزاج وهو من الحضرة المحمدية ٣١١
الباب السادس والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكمية ومقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض، وهذا المنزل يتضمن ألف مقام محمدي ٣٢١
وصل ٣٢٥
الباب السابع والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل سجود القيومية والصدق والمجد واللؤلؤة والسور ٣٣٦
الباب الثامن والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل الأمة البهيمية والإحصار والثلاثة الأسرار العلوية وتقدم المتأخر وتأخر المتقدم من الحضرة الإلهية ٣٤٤
الباب التاسع والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل الحل والعقد والإكرام والإهانة ونشأة الدعاء في صورة الإخبار وهو منزل محمدي ٣٥٥
وصل ٣٦٧
الباب الثمانون وثلثمائة: في معرفة منزل العلماء ورثة الأنبياء من المقام المحمدي ٣٦٩
الباب الأحد والثمانون وثلثمائة: في معرفة التوحيد والجمع، وهو يحتوي على خمسة آلاف مقام رفرفي وهو من الحضرة المحمدية، وأكمل مشاهده من شاهده في نصف الشهر أو في آخره ٣٧٨
الباب الثاني والثمانون وثلثمائة: في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهية والأسرار الأعجمية موسوية لزومية ٣٨٩
الباب الثالث والثمانون وثلثمائة: في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية ٤٠٣

Marfat.com

الباب الرابع والثمانون وثلثمائة: في معرفة المنازلات الخطابية الفصل الخامس في المنازلات وهو من سرّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ وهو من الحضرة المحمدية ٤١٠
الباب الخامس والثمانون وثلثمائة: في معرفة منازلة من حقر غلب ومن استهين منع ٤١٧
الباب السادس والثمانون وثلثمائة: في معرفة منازلة حبل الوريد وأينية المعية ٤٢٤
الباب السابع والثمانون وثلثمائة: في معرفة منازل التواضع الكبريائي . . . ٤٣١
الباب الثامني والثمانون وثلثمائة: في معرفة منازلة مجهولة وذلك إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق وكل شيء عند الحق معين فقد قصده من الحق ما لا يناسب قصده من عدم التعيين ٤٣٩
الباب التاسع والثمانون وثلثمائة: في معرفة منازلة إليّ كونك وإليك كوني ٤٤٨
الباب التسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي وإلا أنت فلا زمان لك فأنت زماني وأنا زمانك ٤٥٤
الباب الأحد والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه أقدام الرجال السؤال . . . ٤٦٠
الباب الثاني والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة من رحم رحمناه ومن لم يرحم رحمناه ثم غضبنا عليه ونسيناه ٤٦٢
الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة من وقف عندما رأى ما هنا له هلك ٤٦٩
الباب الرابع والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة من تأدب وصل ومن وصل لم يرجع ولو كان غير أديب . ٤٧٣
الباب الخامس والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة من دخل حضرتي وبقيت عليه حياته فعزاؤه علي في موت صاحبه ٤٧٦
الباب السادس والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة من جمع المعارف والعلوم حجبته عني وهو من الحضرة المحمدية ٤٧٨
الباب السابع والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ هذا قول الله الصادق ٤٨٢
الباب الثامن والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة من وعظ الناس لم يعرفني، ومن ذكرهم عرفني، فكن أي الرجلين شئت ٤٨٥
فصل ٤٨٦
فصل ٤٩٠
فصل ٤٩١
الباب التاسع والتسعون وثلثمائة: في معرفة منازلة منزل من دخله ضربت عنقه وما بقي أحد إلا دخله ٤٩٤
الباب الموفي أربعمائة: في معرفة منازلة من ظهر لي بطنت له ومن وقف عند حدي اطلعت عليه ٤٩٦

Marfat.com